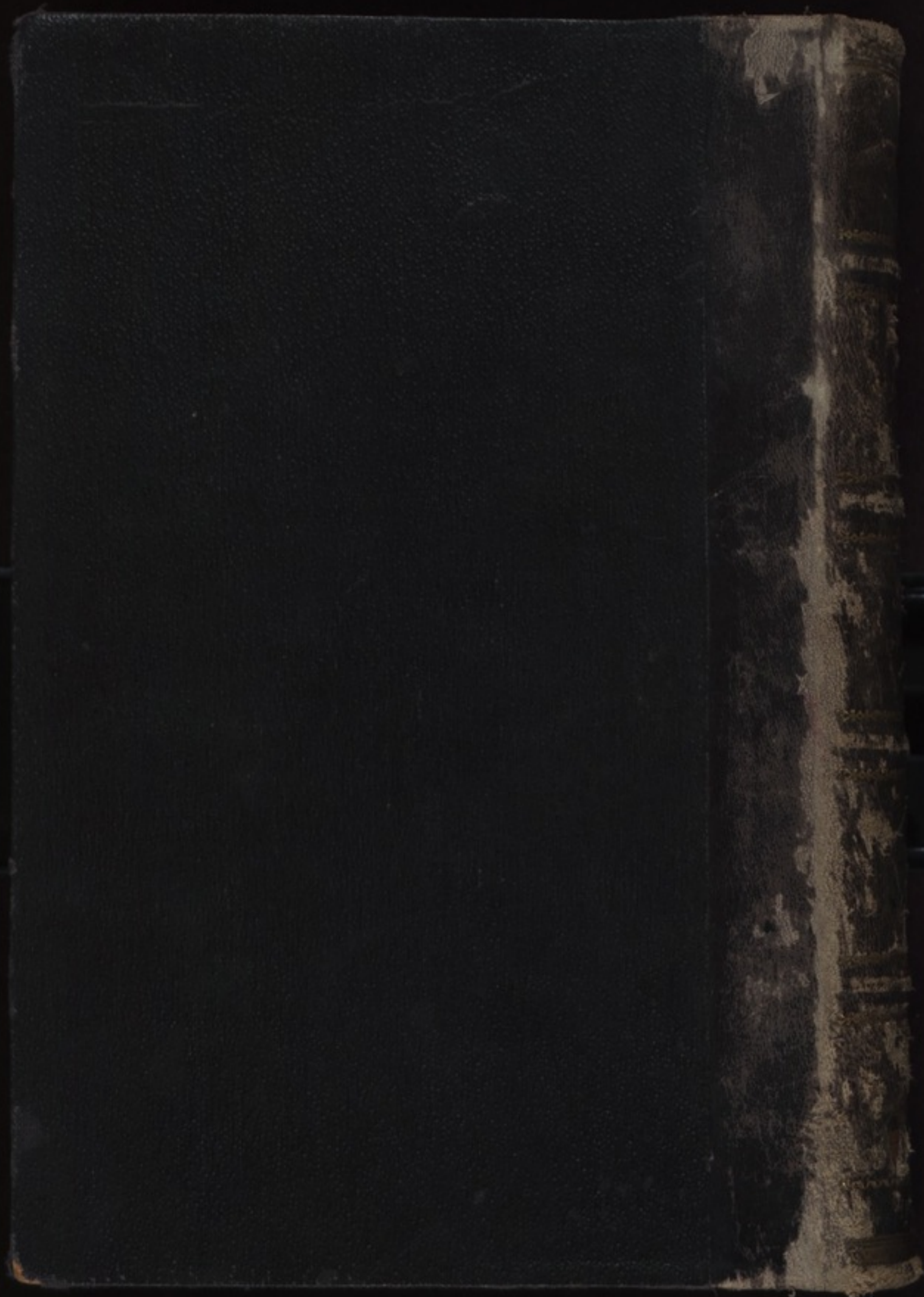


دائرة معارف القرن الرابع عشر العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففي النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج
وقانون الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين
والاحصاءات وسائر ما يهم الانسان في جميع المطالب

﴿ تأليف ﴾

محمد فريد وجدي

(المجلد السادس)

حاز هذا الكتاب رضاء وزارة المعارف العمومية والجامعة الازهرية ومجالس المديريات فقررته لجميع معاهدها الدراسية

(الطبعة الثانية)

﴿ طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين ﴾
(اول يوليه سنة ١٩٢١ م)

حرف العين

﴿ عبأ ﴾ المتاع يعبأه عبئا. هيأه ومثله عبّأه

(عبأ الجيش وعبّأه) جهزه

(التعباء) كساء من صوف مفتوح من الامام ومثله (العباءة)

(العيبة) الحمل

﴿ عب ﴾ الماء يعبه عباً شربه بلا تنفس

(العباب) معظم السيل وارتفاعه وكثرته و(اليعبوب) النهر الشديد الجرية

(العب) الردن

﴿ عبث ﴾ يعبث عبثاً لعب وهزل

(العبث) اللعب

﴿ عبد ﴾ ربه يعبده عبادة وعبودية خضع له وانقاد لأوامره . و (العبادة) الطاعة لله

(عبّد الطريق) ذلله

(تعبّد الرجل) تنسك

(اعتبده واستعبده) اتخذه عبداً

(العابد) جمعه عباد

(العبابيد والعباديد) الفرق من الناس

(العبد) الانسان حراً كان او رقيقا جمعه عباد وعبدان وأعبُد

﴿ عبد الله بن عمر ﴾ بن الخطاب القرشي العدوى . كان من كبار الصحابة واجلائهم اسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر مع ابيه الي المدينة وعرض علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم احد فرده لصغر سنه . فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه وقبله في جيشه

من مناقبه انه كان كثير الاتباع لرسول الله صلي الله عليه وسلم شديد التحرى والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه

وكان كثير الورع والعلم اعتبره المسلمون قطباً من أقطابهم مدة حياته ولا يزالون يروون عنه الاحاديث العالية الاسناد

كان علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يتخلف عن الحرب معه ومع الجيوش التي يرسلها . ثم لما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم اولع بالحج ولم يزل علي ذلك حتى مات

يقال انه كان أعلم الصحابة بمناسك

الحج

روى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لأم المؤمنين حفصة بنت عمر ان أخاك عبد الله رجل صالح لوكان يقوم من الليل . فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل

وقال جابر بن عبد الله ما منا أحد الا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله

وقال ميمون بن مهران ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس

وقال سعيد بن المسيب لو شهدت لأحد انه من اهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر

وحكي الاصمعي قال حدثنا ابو عبد الرحمن وهو ابو الزناد عن ابيه قال اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر . فقالوا تمنوا . فقال عبد الله بن الزبير اما انا فأتمنى أمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين . وقال عبد الله بن عمر أما أنا فأتمنى المغفرة . قال فنالوا ماتمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له

وحكي سفيان الثورى عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال لقد رأيت عجباً ، كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم ليقم رجل منكم فليأخذ الركن اليماني وليسأل الله حاجته فانه يعطي من ساعته . قم ياعبد الله بن الزبير فانك أول مولود ولد في الهجرة فقام وأخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم انك عظيم ترجي لكل عظيم أسألك بحرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك عليه السلام أن لا تميتني حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة ، وجاء حتى جلس . فقال قم يامصعب فقام حتى أخذ بالركن اليماني ، فقال اللهم انك رب كل شيء واليك يصير كل شيء أسألك بقدرتك علي كل شيء ان لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين وجاء حتى جلس

فقال قم ياعبد الملك فقام وأخذ بالركن اليماني وقال اللهم رب السموات السبع ورب الارض ذات القفر ، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك علي جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لاتميتني من الدنيا حتى توليني شرق الارض وغربها ولاينازعني احد الا اتيت برأسه . ثم جاء حتى جلس

فقال قم ياعبد الله بن عمر فقام حتى اخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم انك رحمن رحيم اسألك برحمتك التى سبقت غضبك واسألك بقدرتك علي جميع خلقك ان لاتميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت لكل رجل ماسأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة وورثت له

وحكي حمزة بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال خطرت لي هذه الآية (ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فذكرت ما أعطاني الله عزوجل فما وجدت شيئا احب اليَّ من جاريتي رمينة فقلت هي حرة لوجه الله فلولا اني اعود في شيء جعلته لله لنكحتها . فأنكحها نافعا فهي ام ولده

وكان ابن عمر اذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه الي ربه عز وجل . قال نافع كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر احدهم فيلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر علي تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له اصحابه يا ابا عبد الرحمن والله ما بهم الا ان يخدعوك . فيقول ماخدعنا احد بالله الا انخدعنا له

قال نافع مامات ابن عمر حتى اعتق الف انسان اوما زاد . وكان يحيي الليل صلاة فاذا جاء السحر استغفر الي الصباح

توفي مجروحا من حربة مسمومة وذلك ان الحجاج بن يوسف الثقفي امر رجلا فسم زج حربته وزحمه في الطريق ووضع الزج علي ظهر قدمه ليسرى السم منه الى دمه

وسبب ذلك ان الحجاج خطب يوما واخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لاتنتظرك . فقال له الحجاج لقد هممت ان اضرب الذى فيه عيناك . قال ابن عمر ان تفعل فانك سفيه . وقيل انه اخفى قوله ذلك علي الحجاج ولم يسمعه وانما كان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التى كان النبى صلي الله عليه وسلم وقف فيها وكان ذلك يعز علي الحجاج . فأمر رجلا معه حربة يقال انها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمر الحربة علي قدمه وهي في غرز راحلته فمرض منها اياما فدخل عليه

الحجاج يعوده . فقال من سمك يا اباعبد الرحمن ؟ فقال وما تصنع به ؟ قال قتلني الله ان لم اقتله . قال وما اراك فاعلا ، انت امرت من نخسني بالحربة . فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه

ثم مالبث ابن عمر الا اياما ومات وصلي عليه الحجاج

توفي بمكة سنة ثلاث وسنين وهو ابن اربع وثمانين سنة وكان قد اوصي ان يدفن ليلا فلم يقدر علي ذلك من اجل الحجاج

﴿ عبد الله بن المبارك ﴾ هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى مولى بني حنظلة

كان من كبار العلماء واجلاء الزهاد جمع بين العلم والزهد جمعا يتعذر علي غيره. اخذ الفقه عن سفيان الثورى ومالك بن انس وروى عنه الموطأ . وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع وكان كذلك ابوه

يحكي عن ابيه انه كان يعمل في بستان لمولاه واقام فيه زمانا ثم ان مولاه جاءه يوما وقال له اريد رمانا حلواً فمضي الي بعض الشجر وأحضر منها رمانا فكسره فوجده حامضا فحرد عليه . وقال أطلب الحلو فتحضر لي الحامض، هات حلوا. فمضي وقطع من شجرة اخرى فلما كسره وجده ايضا حامضا فاشتد حرده عليه وفعل ذلك دفعة ثالثة، فقال له بعد ذلك، انت ماتعرف الحلو من الحامض ؟ فقال لا . فقال كيف ذلك ؟ قال لأني ما اكلت منه شيئا حتى اعرفه . فقال ولم لم تأكل ؟ قال لأنك ما اذنت لي ، فكشف عن ذلك فوجده حقا فعظم في عينه وزوجه ابنته . ويقال ان عبد الله رزق من تلك الابنة فنمت عليه بركة ابيه

وقد رويت هذه الحكاية وعزيت لابراهيم بن ادهم

ونقل ابو علي الجياني ان عبد الله ابن المبارك المذكور سئل ايما افضل معاوية ابن ابي سفيان ام عمر بن عبد العزيز فقال والله ان الغبار الذى دخل في انف معاوية مع رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل من عمر الف مرة . صلي معاوية خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال سمع الله لمن حمده ، فقال ربنا ولك الحمد فما بعد هذا ؟

وجاء في كتاب اللصوص علي مراتب

أهل اللصوص عن أشعث بن شعبة المصيصي قال قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب فلما رأت الناس قالت ماهذا ؟ قالوا عالم اهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت هذا والله الملك لاملك هرون الذى لايجمع الناس الا بشرط واعوان

كان لعبد الله بن المبارك شعر منه قوله :

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره
وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الاساطين حانوت بلا غلق
تبتاع بالدين اموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به
وليس يفلح أصحاب الشواهين

يذكر عبد الله بن المبارك في هذه الابيات حال العلماء الذين جعلوا دينهم حبالة لاخذ مابيد الناس من عرض الدنيا قوله بين الاساطين حانوت بلا غلق اى بين أعمدة المسجد دكان بلا اقفال اشارة الي المكان الذى يجلس فيه المدرسون

ومن كلامه :

تعلمنا العلم للدنيا ، فدلنا علي ترك الدنيا

وكان عبد الله بن المبارك قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل الي هيت فتوفي بها سنة (١٨١) أو (١٨٢) وكان مولده بمرو سنة (١١٨) ه

﴿ عبد الله بن عبد الحكم ﴾ هو ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن اعين ابن ليث بن رافع الفقيه المالكي المصرى

كان أعلم اصحاب مالك بمختلف قوله وافضت اليه رئاسة الطائفة المالكية بعد أشهب . وروى عن مالك الموطأ سماعا وكان من ذوى الاموال والرباع له جاه عظيم وقدر كبير وكان يزكي الشهود ويجرحهم ومع هذا لم يشهد ولا أحد من ولده لدعوة سبقت فيه

ويقال انه دفع للامام الشافعي عند قدومه الى مصر الف دينار من ماله واخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين آخرين الف دينار وهو والد ابي عبد الله محمد صاحب الامام الشافعي

روى بشر بن بكر قال رأيت مالك ابن انس في النوم بعد مامات بأيام فقال ان ببلادكم رجلا يقال له ابن عبد الحكم

لحذوا عنه فانه ثقة

وكان لابي محمد المذكور ولد آخر يسمي عبد الرحمن من اهل الحديث والتواريخ صنف كتاباً في الفتوح وغيره

ولد ابو محمد المذكور سنة (١٥٠) وقيل سنة (١٥٥) وتوفي سنة (٢١٤) وتوفي ولده عبد الرحمن سنة (٢٥٧) ودفن الي جانب قبر ابيه

﴿ عبد الله بن وهب ﴾ هو ابو محمد عبد الله بن وهب ابن مسلم القرشي بالولاء الفقيه المالكي المصرى مولى ريحانة مولاة ابي عبد الرحمن يزيد بن انيس الفهرى

كان احد أئمة عصره صحب الامام مالك بن انس عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير . وقال مالك في حقه عبد الله بن وهب امام

وقال ابو جعفر بن الجزار رحل ابن وهب الي الامام مالك في سنة (١٤٨) ولم يزل في صحبته الي ان توفي مالك وسمع من مالك قبل عبد الرحمن بن القاسم ببضع عشرة سنة وكان مالك يكتب اليه اذا كتب في المسائل الي عبد الله بن وهب المفتى ولم يكن يفعل هذا مع غيره . وادرك من اصحاب ابن شهاب الزهرى اكثر من عشرين رجلا

وذكر ابن وهب وابن القاسم عند مالك فقال : ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه

قال يونس بن عبد الاعلي صاحب الامام الشافعي كتب الخليفة الي عبد الله ابن وهب في قضاء مصر فخبأ نفسه ولزم بيته . فاطلع عليه أسد بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره . فقال له الا تخرج الى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فرفع اليه رأسه وقال الى هنا انتهي عقلك . أما علمت أن العلماء يحشرون مع الانبياء وان القضاة يحشرون مع السلاطين

كان ابن وهب عالماً صالحاً كثير الخوف من الله تعالي

ولد سنة (١٢٤) أو (١٢٥) وتوفي بها سنة (١٩٧) هـ . وله مصنفات معروفة في الفقه

وروى أن سبب موته انه قرىء عليه كتاب الاهوال من جامعه أى من الاحاديث التى جمعها هو فأخذه شيء كالغشي فحمل الي داره فلم يزل كذلك الى أن قضي نحبه

﴿ عبد الله بن مسلمة القعنبي ﴾ هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي المعروف بالقعنبي

كان من كبار علماء المدينة أخذ العلم من مالك بن انس وهو من علية اصحابه وثقاتهم وهو أحد رواة الموطأ عنه . فان الموطأ رواه عن مالك جماعة وبين الروايات اختلاف وأكملها رواية يحيي بن يحيي

كان عبد الله بن مسلمة يسمي الراهب لكثرة عبادته وفضله

قال عبد الله بن احمد بن الهيثم سمعت جدى يقول كنا اذا أتينا عبد الله ابن مسلمة القعنبي خرج الينا كأنه مشرف علي جهنم نعوذ بالله منها

وكان يسكن البصرة وهو من ثقات الرواة للاحاديث توفي سنه (٢٢١)

﴿ عبد الله بن كثير ﴾ هو أحد القراء السبعة قيل مكي دارى ، والدار بطن من بنى لخم منهم تميم الدارى الصحابي وقيل انما نسب الي دارين لانه كان عطارا وهو موضع الطيب وهذا أصح . قالوا وهو مولي عمرو بن علقمة الكناني وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حين طرد الحبشة عنها

كان عبد الله بن كثير قاضي الجماعة بمكة وهو من الطبقة الثانية من التابعين . وكان شيخاً كبيراً أبيض الرأس واللحية طويلا جسيما أسمر اشهل العين يغير شيبته بالحناء او بالصفرة وكان حسن السكينة

ولد بمكة سنة (٤٥) وتوفي بها سنة (١٢٠) هـ

﴿ عبد الله الدبوسي ﴾ هو ابو زيد عبد الله بن عمر بن عيسي الدبوسي الفقيه الحنفي كان من اكابر أصحاب الامام ابي حنيفة ممن يضرب به المثل . وهو أول من وضع علم الخلاف وابرزه الي الوجود وله كتاب الأسرار والتقويم للادلة وغيره من التصانيف والتعاليق

وروى انه ناظر بعض الفقهاء فكان كلما الزمه ابو زيد الزاماً تبسم أو ضحك فأنشد ابو زيد :

مالي اذا الزمته حجة
قابلني بالضحك والقهقهه
ان كان ضحك المرء من فقهه
فالدب في الصحراء ما أفقهه

وكانت وفاته بمدينة بخارى سنة (٤٣٠)

﴿ عبد الله بن أبي عصرون ﴾ هو أبو سعد عبد الله بن ابي السرى محمد بن هبة الله بن مطهر بن علي بن أبي عصرون

ابن ابي السري التميمي الحديثي ثم الموصلي الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين

كان من أعيان الفقهاء وفضلاء العلماء ممن طار صيته ، وسار ذكره

قرأ القرآن برواياته العشر علي أبي الغنائم السلمي السروجي والبارع ابي عبد الله ابن الدباس وابي بكر المزرقي وغيرهم

وتفقه علي القاضي المرتضي أبي محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري وعلي أبي عبد الله الحسن بن خميس الموصلي ثم علي اسعد الميهني ببغداد

وأخذ الاصول عن أبي الفتح بن برهان الاصولي وقرأ الخلاف وتوجه الي مدينة واسط وقرأ علي قاضيها الشيخ ابي علي الفارقي . ودرس بالموصل سنة (٥٢٣) واقام بسنجار مدة ثم انتقل الي حلب في سنة (٥٤٥) ثم قدم دمشق لما ملكها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة (٥٤٩)

ودرس بالزاوية العربية من جامع دمشق وتولي أوقاف المساجد ثم رجع الى حلب وأقام بها وصنف كتبا كثيرة في المذاهب منها صفوة المذهب من نهاية المطلب في سبع مجلدات . وكتاب الانتصاف في أربع مجلدات . وكتاب المرشد في مجلدين ، وكتاب الذريعة في معرفة الشريعة . وصنف التيسير في الخلاف أربعة اجزاء ، وكتابا سماه مأخذ النظر ومختصر في الفرائض وكتابا سماه الارشاد المعرب في نصرة المذهب ولم يكمله ، وذهب فيما نهب له بحلب واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وتعين بالشام وتقدم عند نور الدين صاحب الشام وبنى له المدارس بحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها وتولى القضاء بسنجار ونصيبين وحران وغيرها من ديار بكر ثم عاد الي دمشق في سنة (٥٧٠) وتولي القضاء بها في سنة (٥٧٣) عقيب انفصال القاضي ضياء الدين ابي الفضائل القاسم بن تاج الدين يحيي بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري

ثم عمي في آخر عمره قبل موته بعشر سنين وابنه محيي الدين محمد ينوب عنه وهو باق علي القضاء

ثم صنف جزءاً لطيفاً في جواز قضاء الاعمي وهو علي خلاف مذهب الامام الشافعي ولكن جاء في كتاب البيان لابي الحسن العمراني انه يجوز للاعمي ان

يتولي القضاء علي قول في مذهب الشافعي ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة وأثنى عليه وقال ختمت به الفتاوى وذكر له شيئا من الشعر

وكان كثيراً ماينشد ولا يعلم هل هو له ام لا وذكرهما العماد الكاتب في الخريدة:

أؤمل ان احيا وفي كل ساعة
تمر بي الموتي تهز نعوشها
وهل أنا الا مثلهم غير أن لي
بقايا ليال في الزمان أعيشها

وأورد له صاحب الخريدة قوله :

أؤمل وصلا من حبيب وانني
علي ثقة عما قليل أفارقه
تجارى بنا خيل الحمام كأنما
يسابقني نحو الردى وأسابقه
فياليتنا متنا معاً ثم لم يذق
مرارة فقدى لا ولا أناذائقه

وأورد له أيضاً :

ياسائلا كيف حالي بعد فرقته
حاشاك مما بقلبي من تأثيكا
قد أقسم الدمع لايجفو الجفون أسي
والنوم لا زارها حتى ألاقيكا

وأورد له أيضا :

وما الدهر الامامضي وهوفائت
وماسوف يأتي وهو غير محصل
وعيشك فيما أنت فيه فانه
زمان الفتى من مجمل ومفصل

ولد سنة (٩٤٣) ه بالموصل وتوفي سنة (٥٨٥) بدمشق ودفن في مدرسته التى أنشأها داخل البلد وهي معروفة به

ولما توفي ورد من القاضي الفاضل المشهور بالعلم والادب تعزية فيه جوابا علي كتاب ورد عليه بذلك من بعض الكبراء وهي :

« وصل كتاب الذات الكريمة جمع الله شملها ، وسربها أهلها ، ويسر الي الخيرات سبلها ، وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها ، وفيه ز يادة هي نقص الاسلام ، وثلم في البرية يتجاوز رتبة الانثلام الي الانهدام ، وذلك ما قضاه الله من وفاة الامام شرف الدين بن أبي عصرون رحمة الله عليه ، وما حصل بموته من نقص الارض من اطرافها ، ومن مساءة أهل الملة ومسرة أهل خلافها ، فلقد كان علماً للعلم منصوبا ، وبقية من بقايا السلف الصالح محسوبا ولقد علم الله اغتمامي لفقد حضرته

واستيحاشي خلو الدنيا من بركته، واهتمامي بما عدمت من النصيب الموفور من ادعيته»

﴿ ابو عبد الله ﴾ الحسين بن احمد ابن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الكاتب الشاعر المشهور

كان فرد زمانه في المجون والخلاعة الشعرية فانه لم يسبق الي تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه وسلامة شعره من التكلف

مدح الملوك والقادة وله ديوان كبير يقع في عشر مجلدات و يغلب فيه الهزل وله جد حسن

تولي حسبة بغداد وأقام فيها مدة ويقال انه عزل بأبي سعيد الاصطخرى الفقيه الشافعي وافي عزله ابيات مشهورة

يقال انه كان في الشعر في درجة امرىء القيس وانه لم يكن بينهما مثلهما لأن لكل منهما طريقة مخترعة من شعره:

ياصاحبي استيقظا من رقدة
تزرى علي عقل اللبيب الاكيس

هـذى المجرة والنجوم كأنها
نهر تدفق في حديقة نرجس

وأرى الصبا قد غسلت بنسيمها
فعلام شرب الراح غير مغلس

قوما اسقياني قهوة رومية
من عهد قيصر دنها لم يمسس

صرفا تضيف اذا تسلط حكمها
موت العقول الي حياة الانفس

ومن شعره قوله:

قال قوم لزمت حضرة حمد
وتجنبت سائر الرؤساء

قلت ماقاله الذى احرز المه
ى قديما قبلي من الشعراء

يسقط الطير حيث يلتقط الحـ
ـب ويغشي منازل الكرماء

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره

كان أبو عبد الله من كبار شعراء الشيعة وقد أوصي قبل موته ان يدفن عند رجلي موسي بن جعفر من آل البيت وأن يكتب علي قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)

يحكي أن بعض أصحابه رآه في النوم فسأله عن حاله فأنشد:

افسد سوء مذهبي
في الشعر حسن مذهبي

لم يرض مولاى علي
سبي لاصحاب النبي

وقد رثاه الشريف الرضي المشهور بقصيدة منها:

نعوه علي حسن ظني به
فلله ماذا نعي الناعيان

رضيع ولاء له شعبة
من القلب مثل رضيع اللبان

وما كنت أحسب ان الزمان
يفل مضارب ذاك اللسان

بكيتك للشرد السائرات
تمتق الفاظها بالمعاني

ليبك الزمان طويلا عليك
فقد كنت خفة روح الزمان

توفي بالنيل وهي بلدة علي الفرات سنة (٣٩١) وحمل الي بغداد

﴿ ابو عبد الله الكاتب ﴾ هو الحسين ابن علي بن احمد بن عبد الواحد بن بكر ابن شعيب الطيبي

كان من أعيان الادب المشهورين في القرن السادس الهجرى معروف بالظرف اختص بالامام المستنجد ومنادمته وحظي عنده

يقال انه دخل يوما علي المستنجد فناداه قائلا: ابن شيب برفع كلمة ابن وحقها ان تنصب

فأجابه علي الفور. عبدك يا امير المؤمنين. فجعل ماقاله المستنجد مبتدأ وجعل عبدك خبرا فأعجب الخليفة ذلك

من شعره في المستنجد:

انت الامام الذى يحكي بسيرته
من ناب بعد رسول الله او خلفا

أصبحت لب بني العباس كلهم
ان عددت بحروف الجمل الخلفا

يريد ان المستنجد هو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس و (لب) جمل حروفها اثنان وثلاثون

ومن شعره ايضا:

واغيد لم تسمح لنا بوصاله
يد الدهر حتى دب في عاجه النمل

تمنيت لما اختط فقدان ناظرى
ولم ار انسانا تمنى العمي قبل

ليبقي علي مر الزمان خياله
حيالي وفي عيني لمنظره شكل

كان ابن شيب مقداما في حل الالغاز ولا يكاد يتوقف عما يسأل عنه فتفاوض ابو غالب بن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قيلش في امر ابن شيب هذا وما هو عليه من حل اللغز فقال ابو منصور تعال حتى نعمل لغزا

محالا ونسأله عنه فنظم ابو منصور :

وما شيء له في الرأس رجل
وموضع وجهه منه قفاه
اذا أغمضت عينك ابصرته
وان فتحت عينك لا تراه

ونظم ايضا :

وجار وهو تيار ضعيف العقل خوار
بلا لحم ولا ريش وهو في الرمز طيار
بطبع بارد جدا ولكن كله نار

وانفذ اللغزين اليه فكتب على الاول : هو طيف الخيال . وكتب على الثاني هو الزئبق لجاءا اليه وقالا : هب اللغز الاول هو طيف الخيال والبيت الثاني يساعدك عليه ، فكيف تعمل في البيت الاول ؟ فقال لأن المنام يفسر بالعكس . لأن من بكى يفسر له بالضحك ، ومن مات يفسر له بطول العمر . وقوله في الثاني هو طيار ارباب صنعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والآبق وما يشبه ذلك لانه يناسب صفته، واما برده فظاهر ولافراط برده ثقل جسمه وجرمه ، وكونه نار لسرعة حركته وشكله في افتراقه والتئامه . وعلى كل حال ففي كل ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الاشياء الباطلة اذا نزلت على الحقائق

وقد ذكر ابن شرف القيرواني في كتابه ابكار الافكار عن رجل يعرف بأبي علي التونسي انه عمل الناز امن هذه المادة التي لا حقيقة لها وانشدها اياها فيجيب عنها على الفور وينزلها على حقائق، منها انه عمل لغزا وهو :

ماطائر في الارض منقاره
وجسمه في الافق الاعلي
مازال مشغولا به غيره
ولا ترى ان له شغلا

فقال أبو عبد الله للوقت والساعة هو الشمس واخذ يتكلم على شرح ذلك وذكر عدة الناز صنعها له وهو ينزلها على حقائق ويذكر لها مناسبات لا ثقة بها

ولد سنة (٥٠٠) وتوفي سنة (٥٨٠) ه

﴿ عبد الله بن سليمان ﴾ بن وهب أبو القاسم الكاتب كان وزير الامام المعتضد الخليفة العباسي مدة عشر سنين وهو الذي قال فيه ابن المعتز من خلفاء العباسيين :

قد استوى الناس ومات الكمال
وقال صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو القاسم في نعشه
قوموا انظروا كيف تسير الجبال

ولما دخل ابن المعتز على ابنه القاسم ابن عبد الله قال :

اني معزيك لا اني على ثقة
من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد صاحبه
ولا المعزى ولو عاشا الي حين

ولما حمل علي أعناق الرجال قال ابن المعتز :

وما كان ريح المسك ريح حنوطه
ولكنه هذا الثناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه اصلاب قوم تقصف

ولما تقدم القاسم للصلاة عليه قال ابن المعتز :

قضوا ما قضوا من امره ثم قدموا
اماما لهم والنعش بين يديه
فصلوا عليه خاشعين كأنهم
وقوف خضوع للسلام عليه

ولما استتر عند ابن ابي عون التاجر دخل عليه يوما فقام له . فقال له ابن ابي عون ياسيدى اخبأ لي هذا القيام الي وقت انتفع به . فما كان الا قليل حتى ولى الوزارة فاستدعاه فصار اليه وهو في مجلسه بمخلعته والناس عنده فقام اليه وعانقه . وقال هذا وقت ينتفع بقيامي وأجلسه معه على طرف الدست فما مضت ساعة حتى استدعاه اليه المعتضد فدخل عليه وغاب ثم حضر وأخذ بيده الى مكان خلوة وقال ان الخليفة طلبني بسببك لانه كوتب بخبرنا وانكر علي

ثم قال الوزير لابن أبي عون اني قد شهرتك شهرة ان لم يكن معك مائة الف دينار معدة للنكبة هلكت فيجب ان تخلصها لك هذه الحالة فقط ثم تحصل لك نعمة بعدها

ثم قال الوزير هاتوا فلانا الكاتب فجاء فقال احضر الساعة التجار وسعر مائة الف كر من غلات السلطان بالسواد عليهم فخرج وعاد ، وقال لقد قررت معهم ذلك. فقال بع على عبد الله بن أبي عون هذه الغلة بنقصان دينار مما قررت به السعر على التجار وبعه له عليهم بالسعر الذى قررته معهم وطالبهم هذه الساعة بفضل ما بين السعرين واخرهم بالثمن الي أن يتسلموا الغلال واكتب الى النواحي بتقبيضهم ذلك فقام ابن ابو عون من المجلس وقد حصل له مائة الف دينار

فقال له الوزير اجمل هذه أصلا لنعمتك ولا يسألنك أحد من الخلق شيئا الا أخذت رقعته ووافيته على أجرة ذلك وخاطبتني فيه. وكان يعرض عليه في كل يوم مايصل اليه بنافيه ألوف دنانير ويدخل في المكاسب الجليلة وكان ربما قال له في بعض الرقاع كم قرروا لك على هذه فيقول كذا فيقول الوزير هذه تساوى أكثر من ذلك ارجع اليهم ولا تبايعهم الا بكذا

وكان ممن خدم هذا الوزير في أيام نكبته رجل يعرف بيعقوب الصائغ. وكان عاميا ساقطا فقلده لما ولي الوزارة حسبة الحضرة . فعزم الوزير على السفر فجلس للنظر فيما يحمل معه من خزائنه ومن يسافر معه من أصحابه وخدمه ، ويعقوب حاضر فأمر الوزير بما يحمل معه فلما انتهى الى فصل ، قال يعقوب بعاميته ويحمل معه أيضا كفن وحنوط، فتحير الوزير من ذلك وأعرض عنه وأخذ يأمر وينهى ولما انتهى الى فصل من كلامه كرر يعقوب ذلك القول ، فأعرض عنه ضجراً . وفعل ذلك ثالثا . فقال الوزير ياهذا تخاف علي ان انا مت ان اصلب او اطرح على قارعة الطريق بغير كفن . ان تعذر الكفن كفنوني في ثيابي

ولد سنة (٢٣٦) وتوفي سنة (٢٨٨)هـ

➤ عبد الله بن الخشاب ➤ هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن احمد المعروف بابن الخشاب البغدادى

كان من أشهر علماء الادب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب وحفظ الكتاب الكريم بالقراءات الكثيرة وكان متضلعا من العلوم وله فيها اليد الطولى . وكان مع هذا كالحسن الخط جداً . ذكرها العماد الاصبهاني في الخريدة وعدد فضائله ومحاسنه ثم قال وكان قليل الشعر ومن شعره في الشمعة :

صفراء من غير سقام بها
كيف وكانت أمها الشافية
عارية باطنها مكتس
فأعجب لها عارية كاسية

وذكر له لغزاً في كتاب وهو :

وذى اوجه لكنه غير بائح
بسر وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه
فتسمعها بالعين مادمت تنظر

شرح كتاب الجمل لعبد القاهر

الجرجاني وسماه المرتجل في شرح الجمل وترك ابوابا من وسط الكتاب ما تكلم عليها وشرح اللمع لابن جنى ولم يكملها . وكانت فيه بذاذة وقلة اكتراث بالمأكل والملبس

وذكر العماد انه كانت بينهما صحبة ومكاتبات وقال لما مات كنت بالشام فرأيته ليلة في المنام فقلت له ما فعل الله بك؟ قال خيراً قلت فهل يرحم الله الادباء؟ قال نعم . قلت وان كانوا مقصرين؟ قال يجرى عتاب كثير ثم يكون النعيم

توفي سنة (٥٦٧) ومات عن نحو ثماني وسبعين سنة

➤ عبد الرحمن بن علي ➤ بن حامد ابن الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار شيخ الاطباء ورئيسهم بدمشق

وقف داره بالصاغة القديمة بدمشق على تعليم الطب . تخرج به جماعة كثيرة من الاطباء، وصنف كتبا منها اختصار الحاوى ومقالة في الاستفراغ وتعاليق ومسائل في الطب وشكوك واجوبة ورد على شرح ابن ابي صادق لمسائل حنين ورسالة يرد فيها على يوسف الاسرائيلي في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة .

ونسخ كتبا كثيرة في الطب يزيد عددها على مائة مجلد واختصر الاغاني الكبير وقرأ العربية على تاج الدين الكندى وقرأ الطب على الرضي الرحبي . ثم لازم ابن المطران واخذ عن الفخر المارديني وغيره

خدم الملك العادل ولازم ابن شكر وكانت جامكيته جامكية الموفق عبد العزيز فانه نزل عليها بعده مائة دينار في الشهر

وعالج الملك الكامل فحصل له من جهته اثنى عشر الف دينار واربعة عشر بغلة بأطواق ذهب وخلع اطلس وغير ذلك

وولاه السلطان رئاسة الاطباء في ذلك الوقت بمصر والشام وكان خبيرا بكل مايقرأ عليه ولازم السيف الآمدى وحصل معظم مصنفاته ونظر في الهيئة والنجوم . ثم طلبه الأشرف فتوجه اليه فأقطعه مايغل في السنة الفا وخمسمائة دينار

ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء فجاء الى دمشق لما ملكها الملك الأشرف فولاه رياسة الاطباء بها وزاد ثقل لسانه حتى انه لم يفهم كلامه . وكان الجماعة يقعون بين يديه ويجيب هو بما كتب لهم ماأشكل في اللوح واجتهد في علاج نفسه واستعمل المعاجين الحارة فعرضت

له حمي قوية فأضعفت قوته وظهرت به امراض قوية كثيرة وأسكت وسالت عينه

اتفق لهذا الطبيب في ايام الملك العادل اشياء قربته منه وأعلت محله عنده منها انه اتفق له مرض شديد وعالجه الاطباء فقال والله لئن لم تخرج له دما ليخرجن بغير اختياره ، فاتفق انه رعف السلطان وبرىء . فكان لما قاله قبل وقوعه تأثير عنده دله علي فضله

ومنها انه كان يوما مع جماعة من الاطباء والعادل معهم فقال يوما لابد من الفصد فلم توافقه الاطباء علي باب دار السلطان فخرج اليهم خادم ومعه قارورة فرأوها ووصفوا لها علاجا فأنكر هو ذلك العلاج وقال ليس فيها داء ويوشك ان يكون هذا ماء حناء اختضب به فاعترف لهم الخادم بذلك ومن شعره ما كتب الي الطبيب رشيد الدين ابي خليفة في مرضةمرضها:

حوشيت من مرض تعاد لاجله
وبقيت ما بقيت لنا اعراض
نا نعدك جوهرا في عصرنا
وسواك ان عدوا فهم اعراض

ولد سنة (٥٦٥) وتوفي سنة (٦٢٧)

ابو عبد الرحمن هو شبيب بن حمدان الاديب الطبيب الكحال تقي الدين ابو عبد الرحمن نزيل القاهرة

سمع ابن رزوية وكتب عنه الدمياطي وكان فيه شهامة وقوة نفس وله أدب وفضائل . عارض قصيدة بانت سعاد بقصيدة منها :

الي النبي رسول الله ان له
مجدا تسامي فلا عرض ولا طول
مجدا كبا الوهم عن ادراك غايته
ورد عقل البرايا وهو معقول
مطهر شرف الله العباد به
وشاد فخرا به الاملاك جبريل

قال الشيخ اثير الدين ابو حيان عرض علي ديوانه فانتخبت منه ماقرأته عليه فمن ذلك قصيدة يمدح فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم :

هذا مقام محمد والمنبر
فاستجل أنوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجناب معفرا
في مسك تربته خدودك وافخر
واحلل علي حرم النبوة واستجر
بحماه من جور الزمان المنكر

فهناك من نور الاله سريرة
كشفت غطاء الحق للمستبصر
وجلت دجي ظلم الضلال فأشرقت
افق الهداية بالصباح المسفر
نور تجسم فارتقي متجاوزا
شرفا علي الفلك الاثير الاكبر

ومن شعره ايضا :

انهض فزند الصباح قد قدحا
وامزج لنا من رضابك القدحا
فالزهر كالزهر في حدائقه
والطير فوق الغصون قد صدحا
في روضة نطقت عرائسها
بدر قطر في نظمه سبحا
وصفق الماء في جداوله
ورقص الغصن طيره فرحا
والزق بين السقاة تحسبه
اسود مستقيا وقد ذبحا
فعاطني قهوة معتقة
تذهب كأسي وتذهب الترحا
بكر اذا عرس النديم بها
وافتضها الماء سبح الفرحا
من كف رخص البنان معتدل
لولامس الماء خده جرحا
يسعي بخمر الدلال مغتبقا
ومن سلاف الشباب مصطبحا
قد تسلف الحرب من سوالفه
وجداً اذا جد بالهوى مرحا
كم لي بسفح العقيق من كلف
عقيق دمع عليه قد سفحا

ومن قوله أيضاً :

وبديعة الحركات أسكن حبها
حب القلوب لواعج البرحاء
سوداء بيضاء الفعال وهكذا
حب النواظر خص بالاضواء
أسرت محاسنها العقول فأطلقت
أسرى المدامع ليلة الاسراء
فلئن جننت بحبها لا بدعة
أصل الجنون يكون بالسوداء

وقال أيضاً :

أقام عذر العذار فيه
واحتج لي قده القويم
وصح وجدي عليه لما
أسقمني طرفه السقيم
فكم بنعمان من كئيب
فارقه بعده النعيم
يزيده لوعة وشوقا
حديث أيامه القديم

وقال ايضا :

ومهفهف قسم الملاحة ربها
فيه وأبدعه بغير مثال
فلخده النعمان روض شقائق
ولثغره النظام عقد لآلي
يامن رأى غزلان رامة هل رأى
بالله منهم مثل طرف غزالي

توفي سنة (٦٧٥) ه

﴿ عبد السلام بن الحسين ﴾ هو ابو طالب المأموني من اولاد المأمون ورد الري وامتدح الصاحب بن عباد الوزير بقصائد فأعجبه نظمه وتقدم عنده فرماه ندمان الصاحب بالدعوة لبني العباس وكانوا ينتحلون عليه الشعر في هجاء الصاحب ويحلفون انه له حتى سقطت منزلته عند الصاحب . عند ذلك قال قصيدته الغراء يطلب الاذن للرحيل وأولها :

يا ربع لو كنت دمعا فيك منسكبا
قضيت نحبي ولم أقض الذي وجبا
لا تنكرن ربعك البالي بلا جسد
فقد شربت بكأس الحب ما شربا
ولو أفضت دموعي حسب واجبها
أفضت من كل عضو مدمعا سربا
عهدي بربعك للذات مرتبعا
فقد غدا للفوادي السحب منتحبا
فياسقاك اخو جفني السحاب حيا
يحبو رباالارض من نور الرباض حبا
ذو بارق كسيوف الصاحب انتضيت
ووابل كعطاياه اذا وهبا

ومنها قوله :

وعصبة بات فيها الغيظ متقداً
اذ شدت لي فوق أعناق العلا رتبا
فكنت يوسف والاسباط هم وأبوا
أسباط انت ودعواهم وما كذبا
ومن يرد ضياء الشمس ان شرقت
ومن يسد طريق الغيث ان سكبا
قد ينبح الكلب مالم يلق ليث شرى
حتى اذا ما رآى ليثا مضى هربا
ارى مآربكم في نظم قافية
وما ارى لي في غير العلى اربا
عدوا عن الشعر ان الشعر منقصة
لذي العلاء وهاتوا المجد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به
ان كان مبتدعا ام كان مقتضبا
اسير عنك ولي في كل جارحة
فم بشكرك يحوى منطقا ذربا

اني لأهوى مقامي في ذراك كما
تهوى يمينك في العافين ان تهبا
لكن لساني يهوى السير عنك لأن
يطبق الارض مدحا فيك منتخبا
اظنني بين اهلي وانام همو
اذا ترحلت عن مغناك مغتربا

قال وكان يمنى نفسه أن يقصد بغداد ويدخلها في جيش ينضم اليه من خراسان وتسمو همته الي الخلافة فاعتل بالاستسقاء وتوفي سنة (٣٨٣) ه

ومن شعره :

فلست وان حكت القريض بشاعر
فأعطي ماقد قلته القل والكثرا
ولكن بحر العلم بين اضالعي
طافرمي من دره النظم والنثرا
ولو كان لي مال بذلت رقابه
لمن يعتفيكم او يذيع لكم شكرا
فقد قنعت والحمد لله همتي
وفزت وما أبغي بمدحكم اجراً
وما طلبي الا السرير وانما
سريت اليكم ابتغي بكم النصرا

وقال ايضا :

وغدا الجمر والرماد عليه
في قميصين مذهب ومعنبر
ماترى النار كيف اسقمها القر
فأضحت تخبو وحينا تسعر

وقال ايضا :

وحمام له حر الجحيم
ولكن شابه برد النسيم
قذفت به ثيابي في عقاب
وزرت به نعيما في جحيم

﴿ عبد السلام بن تيمية ﴾ هو عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم الخضر ابن محمد بن علي الامام شيخ الاسلام مجد الدين ابو البركات بن تيمية الحراني جد الشيخ تقي الدين

تفقه في صغره علي عمه الخطيب فخر الدين ورحل الي بغداد وهو ابن بضع عشرة سنة في صحبة ابن عمه السيف وسمع بها وروى عنه الدمياطي وولده عبد الحليم وجماعة وكان اماما حجة بارعا في الفقه والحديث وله يد طولي في التفسير ومعرفة تامة في الاصول والاطلاع علي مذاهب الناس وله ذكاء مفرط ولم يكن في زمانه مثله

مؤلفاته كثيرة منها الاحكام وشرح الهداية وارجوزة في القرآت وكتابا في اصول الفقه

قال الشيخ شمس الدين الذهبي قال الشيخ تقي الدين كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول الين للشيخ مجد الدين الفقه كما ألين لداود الحديد

شيخه في الفرائض والعربية ابو البقاء وشيخه في القراءات عبد الواحد وشيخه في الفقه ابو بكر بن عتيمية صاحب ابن المنى

حكي البرهان المراغي انه اجتمع به فأورد نكتة عليه فذكر مجد الدين الجواب عنها من مائة وجه وسردها عن آخرها . ثم قال للبرهان قد رضينا منك أعادة ما قلناه . فخضع له

توفي سنة (٦٥٢) بحران

➤ عبد السلام بن المفرج ➤ هو ابو محمد التكريتي من العلماء والاعلام

اخذ الفقه عن والده يحيي بن القاسم وحفظ القرآن وقرأ الأدب وبرع فيه وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الادبية . من شعره :

متى يفيق من الاشواق سكران
ويرتوي من شراب الوصل ظمآن
ويرجع العيش غضا بعد مايبست
منه بطول الجفا والصد اغصان
أفني اصطباري صدح غاب واحدها
فكم لها في فروع الأيك الحان
باتت تنوح علي غصن تميل به
ريح الصبا وكأن الغصن نشوان
حزينة الصوت تشجي صوت سامعها
قريحة قلبها المفجوع حنان
تبكي بغير دموع والبكا خلق
بالدمع لي ولذاك الوجد ألوان
آها علي عيشنا الماضي ولذته
اذ غصنه باجتماع الشمل فينان

وقال أيضا :

أمني فؤادي ساعة بعد ساعة
لقاكم ولولا ذاك كنت أطيش
فما العيش الاعيش من نال وصلكم
وهيهات من فارقتموه يعيش

ولد سنة (٥٧٠) وتوفي سنة (٦٧٥)

➤ عبد الصمد بن عبد الوهاب ➤ ابن زين الامناء بن ابي البركات الحسن ابن محمد ابن عساكر الامام المحدث الزاهد امين الدين ابو اليمن

هو الدمشقي الشافعي نزيل الحرم سمع من جده ومن الشيخ الموفق ومن ابن البن وأبي القاسم بن صصرى وابن الزبيدي وابن غسان والقاضي ابي نصر

ابن الشيرازي وأجاز له المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي وطائفة وحدث بالحرمين بأشياء

كان عالما فاضلا له مشاركة جيدة في جميع العلوم وله نظم وهو صاحب عبادة وورع . كل من عرفه أثنى عليه ثناء جميلا كان شيخ الحجاز في وقته وله تآليف في الحديث

قال الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم ابن داود العطار لما ودعت الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النوري رحمه الله تعالي بنوى حين أردت السفر الي الحجاز حملني رسالة في السلام عنه للامام جار الله ابي اليمن عبد الصمد ابن عساكر فلما بلغته سلامه رد عليه السلام وسألني عنه اين تركته فقلت ببلده نوى فأنشدني بديها

أخيبين علي نوى اشتاقكم
شوقا يجدد لي الصبابة والجوى
واريد قربكم لاني مرتج
يا سادتي قرب المقيم علي نوى

وكتب اليه الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة وأرسلها له بمكة وهي :

أترى يرجع عهد العلم
وزمان الوصل في ذي سلم
وعهودي بالحمي روي الحمي
مدمع المشتاق قبل الديم
زمن هيج اشواقي به
وعهودي فيه طول القدم
كلما أملت تجديدا به
عقل الحظ مطايا هممي
وحقيق أنا بالسعي ولو
تلب طرفي في السرى عن قدمي
طالما قد مر لي عيش به
كان أحلي من دوام النعم
في حمي من إضم من حله
راجيا أو لاجيا لم يضم
نمت في البعد ولولا أملي
ان أراه في الكرى لم أنم
وبرغمي بعد طيب الوصل ان
صرت ارجو زورة في الحلم
صرت ابكي خيم الوادي وقد
عشت دهراً بين تلك الخيم
لحنيني دام مذ فارقتها
ونعيمي بعدها لم يدم
جيرة الوادي وحي لكم
فهو عندي من ابر القسم
ولِيال بمنى كانت لنا
بسناكم مشرقات الظلم

والتزام العهد فيما بيننا
بين ذاك الركن والملتزم
واحاديث رضا كانت اذا
مرض القلب شفاء السقم
ماذكرت العهد الاسفحت
نار شوقي عوض الدمع دمي
ان قلبي صار في الركب الذي
بالسرى قد أمكم من امم
عارض النوق بشيء لم يطق
حمل شيء منه حمر النعم
سار في ذمة احسانكم
مستجيراً ياأهيل الذمم
ندمي اذ بعت ايام الحمى
اترى يرجع بيعي ندمي
فهنيئاً لكم احرامكم
كلما شئتم بذاك الحرم
وجواراً أنتم الآن به
شرفا اهل الصفا والعلم
ليتكم ان تذكروا من خصكم
دونه السعد باوفي القسم
أو تادوا قلبه المضنى عسى
ان يلبي بعد طول الصمم
واذا لم يك أهلا فعسى
عطفكم يجعله في الخدم
واشركوه معكم جودا ومن
هو أولي منكم بالكرم

ولد عبد الصمد سنه (٦١٤) وتوفي سنة (٦٨٧)

عبد الصمد بن المعدل بن غيلان بن الحكم بن البحيري بن المختار

كان من مجيدي الشعراء في الدولة العباسية. ولد بالبصرة ونشأ بها وكان هجاء شديد اللسان والمارضة لايسلم منه من مدحه فضلا عن غيره

ومن شعره قوله :

استبق قلبك لايموت صبابة
حذرا لبين أخ له يتوقع
ان حل بينهم وبينك بائن
فبأي قلب بعد ذلك تجزع

وقال أيضا :

ان العيون اذا أمكن من رجل
يفعلن بالقلب مالا يفعل الاسل
وليس بالبطل الماشي الي بطل
في الحرب تحمد احيانا ويشتمل
لكنه من كوى قلبا اذا رشقت
فيه العيون فذاك الفارس البطل

وله أيضا:

برعت محاسنه فجل بها
عن ان يقوم بوصفها لفظ
نطق الجمال بعذر عاشقه
للعاشقات فأخرس الوعظ
ما للقلوب اذا التبسن به
منه سوى حسراتها حظ
ما ضر من رقت محاسنه
لو كان رق فؤاده لفظ

توفي في حدود الاربعمائة والمائتين

عبد العزيز بن حامد بن الخضر ابو طاهر الشاعر من أهل واسط

كان يعرف بسيدوك روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان وابو الجوائز وهما الواسطيان

من شعره :

تاركني في الهوى حديثا
بكثرة الدمع بين صحبي
هبك تجنيت لاجتناب
طيفك يجفو لأى ذنب
هذه حياتي بلا مكاس
يانور عيني ونار قلبي

وقال ايضا :

شربنا من شعانين النصارى
علي ورد كأردية العروس
تغنينا بنات الروم فيه
بألحان الرهابن والقسوس
فياليل نعمنا في دجاه
بحاجات تردد في النفوس
رياضة والمدامة والتداني
شموس في شموس في شموس

ومن شعره أيضا :

ان داء المداة ابرح داء
وطبيبي سريرة ما تبوح
تحسبوني اذا تكلمت حيا
ربما طار طائر مذبوح

وعمل له البيتين المشهور بن اللذين لم يعمل مثلهما في طول الليل وقصره وهما :

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا
والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ غابوا فديتهم
ليل الضرير فصبحي غير منتظر

توفي سنة (٣٦٣)

عبد العزيز السلمي هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن شيخ الاسلام

كان من العلماء الاعلام سمع من الخشوعي وعبد اللطيف بن اسماعيل الصوفي والقاسم بن عساكر وابن طبرزد

وحنبل وابن المرستاني وغيرهم وخرج له الدمياطي اربعين حديثاً عوالي . وروى عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وغيرهم

وتفقه علي الامام فخر الدين بن عساكر وقرأ الاصول والعربية ودرس وصنف وافتى وبرع في مذهب الشافعي وبلغ رتبة الاجتهاد وقصده الطلبة من البلاد وتخرج به أئمة وله الفتاوى السديدة وكان ناسكا ورعا اماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لايخاف في الله لومة لائم

ولي خطابة دمشق بعد الدولقي فلما تملك الصالح اسماعيل دمشق واعطي الفرنج صفد والشقيف ذمه ابن عبد السلام هذا علي المنبر وترك الدعاء له فعزله وحبسه ثم أطلقه فبرح دمشق الي مصر فلما قدمها تلقاه الملك الصالح نجم الدين أيوب وبالغ في احترامه واتفق موت قاضي القضاة شرف الدين بن عين الدولة فولي بدر الدين السخاوى قضاء القاهرة وولي ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر . ثم ان معين الدين بن الشيخ بنى بيتاً علي سطح مسجد بمصر وجعل فيه طبلخانة معين الدين فأنكر ذلك ابن عبد السلام ومضي بجماعته وهدم البنيان وعلم ان السلطان والوزير يغضبان فأسقط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء فعظم ذلك علي السلطان وقيل له اعزله عن الخطابة والا شنع عليك علي المنبر كما فعل في دمشق فعزله فأقام في بيته يعلم الناس

وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والشعر وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد

وأرسل له السلطان لما مرض وقال عين مناصبك لمن تريد من أولادك فقال مافيهم من يصلح. وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ففوضت اليه

ولما مات شهد الملك الظاهر جنازته والخلائق

من مؤلفاته انه اختصر كتاب نهاية المطلب وله القواعد الكبرى والقواعد الصغرى ومقاصد الرعاية وغير ذلك

وقد ضرب به المثل فكان يقال : ماأنت الا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام

و يقال انه لما حضر بيعة الملك الظاهر قال له ياركن الدين أنا أعرفك مملوك

البندقدار فما بايعه حتى جاء من شهد له بالخروج عن ملكه الى الملك الصالح وعتقه

ولد سنة (٥٧٧) أو (٥٧٨)

وتوفي سنة (٦٦٠)

➤ عبد العزيز بن محمد ➤ بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف العلامة الاديب الشاعر شيخ الشيوخ شرف الدين الدمشقي الشافعي الحموى الصاحب ابن قاضي حماة

رحل به والده واسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب واسمعه المسند كله من عبيد الله بن ابي المجد الحربي وقرأ كثيراً من كتب الادب علي الكندى وسمع من جماعة وبرع في العلم والادب وكان من الاذكياء المعدودين وله محفوظات كثيرة سكن بعلبك مدة وسكن دمشق مدة ثم سكن حماة وكان صدرا كبيرا نبيلا معظما وافر الحرمة كبير القدر

روى عنه الدمياطي وابو الحسين اليونيني وابن الظاهرى وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وجماعة كثيرة

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى لااعرف في شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها من نظم أحسن منه ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا أسرى ولا أكثر فن له في لزوم مالا يلزم مجلداً كبيرا وما رأيت له شيئاً الا وعلقته لما فيه من النكت والتوريات الفائقة والقوافي المتمكنة والتركيب العذب والالفاظ الفصيح والمعنى البليغ فمن ذلك قوله :

غدوت فكنت شمسي في صباحي
ورحت فكنت بدري في مسائي
وجدتك اذ عدمت وجود نفسي
فأهلا بالفراق وباللقاء
فان اغفيت كان عليك وعيي
أو استيقظت كان بك ابتدائي
فياسعدى اذا مادام سكرى
علي وان صحوت فياشقائي
وقلت لصاحبي لما لحاني
عليك بما عناك ولي عنائي
اصمك سوء فهمك عن خطابي
وأعماك الضلال عن اهتدائي
وهنت فكنت في عيني صبيا
أخاطبه بألفاظ الهجاء
فلو أصبحت ذا حاء وسين
لما عنقت في حاء وباء

وقال أيضا :

مالم يغير عكسه لفظه
مثله قبل نبل البندق
وما اذا اصحف معكوسه
عاد الي صيغته فستق

وقال ايضا :

لأني في العشق مخطي
وعلي العشق يخطي
مالكم يامن لحوني
لتم باللوم ضبطي
لاتخطوا بي الي الحـ
ـد فقد جاوزت خطي
كم شرحتم ما أعمي
وكشفتم ما اغطي
وتهددتم وقلتم
انني في الامر مخطي
صبروني هل اخـذتم
عملق من تحت ابطي
قد تخليت عن العقل
لـ خلاوني وخبطي
شفني اغيد قلبي
منه في قلب وبسط
وحياتي ومماتي
في رضا منه وسخط

ولحـاني في هواه
كل واهي العقل زطي
يشهر اللحظ يماني
ويهز القـد خطي
زين الخد بخال
وعذار هو شرطي
ابدع الحسن به ما
شاء من شكل ونقط
مد اطراف بنان
حسنها يقطع وسطي
ثم عاطاني سلافا
مثلها من فيه يعطي
عتقت عند شيوخ
من شيوخ الدبرشمط
فلها بذلي ومنعي
ولها حلي وربطي
خلني افسد مالي
في الذي يصلح خلطي
مذهبي هذا الذي فا
تني بصحبي ورهطي
وبه فاشهد علي نط
تي وخذان شئت خطي

وقال ايضا :

أرقت لبـارق مزن أضا
علي الاثلات بذات الأضا
كما نبض العرق ثم انبرى
كادمان رام اذا انبضـا
فأذكرني بالغضـا جيرة
تولوا وأصليت جمر الغضا
أضاء الدجي لي لما دنوا
وباتوا فضاق علي الفضا
وطول في حبهم لائمي
وعز من قلبي لما عرضا
رأى النار في كبدي تلتظي
وفي جوفه الماء ماخضخضا
بروحي غزال بألحاظه
وعود بألحاظنا تقتضي
سقاني من ريقه خمرة
شفاني بهـا وبها أمرضا
رنا وانثنى فقضي حسنه
علي ولي وطر ما انقضي
فمن قـده ذابل مشرع
ومن لحظه صارم منتضي
أبثك وجدا كساني الضنا
فأعجزني السقم ان أنهضا
وعمم فودي وخط المشيب
فسود حالي بما بيضا

بعيني أقيك فتم وادعا
وان كان جفني ماأغمضا
فزدني صدودا ازد صبوة
وفي حالة السخط لافي الرضا
اعد نظرا منك في امر من
اليك مقاليده فوضا
وفاض علي خـده دمعه
فذهبه بعدما فضضا
وعاود اطرابه بعد ما
نضا من شبيبتـه مانضا

وقال أيضا :

قرأت خط عذار يقطعني
بواو عطف ووصل منه عن كثب
واعربت لي نون الصدغ معجمة
بالخاء عن نحو مقصودي ومطلبي
حتى رنا فسبت قلبي لواحظه
والسيف اصدق انباء من الكتب

ولد سنة (٥٨٦) وتوفي سنة (٦٦٣)

﴿ عبد اللطيف البغدادي ﴾ بن يوسف بن محمد بن علي بن سعد هو العلامة موفق الدين البغدادي الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف بابن اللباد لقبه تاج الدين الكبدي بالجدي

الملتحي لرقة وجهه وتجعده ويبسه

ولد ببغداد سنة (٥٥٥) سمع هو وابوه من ابن ابي البطي وابي زرعة المقدسي وشهدة وجماعة وروى عنه جماعة المنذرى والضياء وابن النجار والقوصي وحدث بمصر والقدس ودمشق وحران وبغداد وكان أحد الاذكياء المتضلعين من الآداب والطب وعلم الاوائل الا ان دعاويه كانت أكثر من علومه وكان دميم الخلقة نحيلا قليل لحم الوجه وكان ينتقل في البلاد

من كلامه: اللهم اعذنا من جموح الطبيعة، وشموس النفس، وساس لنا مقادة التوفيق، وخذ بنا في سواء الطريق ياهادى العمي، يامرشد الضلال، يامحيي القلوب الميتة بالايمان، خذ بايدينا من مهواة الهلكة، ونجنا من ردغة الطبيعة، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى، انك مالك الدنيا والآخرة سبحان من عم بحكمته الوجود، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود، تلألأت بنور وجهك الآفاق، وشرقت شمس معرفتك علي النفوس اشراقا وأى اشراق

(مؤلفاته): غريب الحديث والمجرد منه. والواضحة في اعراب الفاتحة. وكتاب الألف واللام. وشرح بانت سعاد. وذيل الفصيح خمس مسائل نحوية شرح مقدمة ابن باب شاذ. شرح الخطب النباتية. شرح سبعين حديثا شرح اربعين حديثاً طبية. الرد علي فخر الدين الرازى تفسيره سورة الاخلاص. شرح نقد الشعر لقدامة. قوانين البلاغة. الانصاف بين ابن برى وابن الخشاب في كلامهما علي المقامات، مسألة انت طالق في شهر قبل رمضان. كتاب قبسة العجلان في النحو اختصار العمدة لابن رشيق مقدمة حساب اختصار كتاب النبات. اختصار كتاب الحيوان. وله اختصارات اخرى كثيرة لكتب الطب. كتاب أخبار مصر الكبير. الافادة في أخبار مصر. مقالة في الرد علي اليهود والنصارى. مقالة في النفس. مقالة في العطش. مقالة في السقنقور: مقالة في العلم الالهي. كتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي في زهاء عشر مجلدات. شرح الراحمون يرحمهم الرحمن اختصار الصناعتين للعسكرى. اختصار مادة البقاء للتميمي. كتاب بلغة الحكيم. في الماء. مقالة في

الحركات المعتاصة. مقالة في العادات. الكلمة في الربوبية. مقالة في حقيقة الدواء والغذاء. مقالة في التأديب بصناعة الطب الراوند. مقالة في الحنطة. مقالة في البحران. مقالة رد فيها علي ابن رضوان في اخلاق جالينوس وارسطو. كتاب تعقب حواشي ابن جميع علي القانون. مقالة في الحواس. مقالة في الكلمة والكلام. كتاب الشيعة كتاب تحفة الامل. كتاب الحكمة الكلامية كتاب الدرياق. حواشي علي كتاب البرهان للفارابي. حل شيء من شكوك الرازى علي كتب جالينوس. مقالة في تدبير الادوية والادوا من جهة الكيفيات مقالة في تعقب اوزان الادوية. مقالة اخرى في المعنى. مقالة في النفس والصوت والكلام. مقالة في بئر الحرب. جواب مسألة سئل عنها في ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائغ في الطبع والعقل كما هو سائغ في الشرع. مقالة في المدينة الفاضلة. مقالة في العلوم الضارة. رسالة في الممكن. مقالة في الجنس والنوع. الفصول الاربعة المنطقية. تهذيب كلام افلاطون. مقالة في كيفية استعمال المنطق. مقالة في القياس. كتاب في القياس كبير يدخل في اربع مجلدات. السماع الطبيعي مجلدان. شرح الاشكال البرهانية. مقالة في تزييف الشكل الرابع. مقالة في تزييف ما يعتقده ابن سينا. مقالة في القياسات المختلطات. مقالة في تزييف المقاييس الشرطية. مقالة في ابطال الكيمياء. عهد الحكماء. كتاب التولنج. مقالة في البرسام. مقالة في الرد علي ابن الهيثم. مقالة في اللغات وكيفية تولدها. مقالة في القدر

أقام موفق الدين عبد اللطيف مدة بمصر فلما توفي الملك العزيز توجه الي القدس سنة (٦٠٤) وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه في اصناف من العلوم ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام وكان له منه الجامكية الوافرة وصنف باسمه عدة مصنفات. ثم توجه الي ملطية وعاد الى حلب وتوفي ببغداد سنة (٦٢٩) ه

﴿ عبد الله الطيفورى ﴾ كان من كبار الاطباء في الدولة العباسية حسن العقل طيب الحديث علي لكنة كانت في لسانه. وكان من أحظي خلق الله عند أمير المؤمنين الهادي

قال يوسف بن ابراهيم حدثني الطيفوري انه كان متطببا لطيفور الذى كان يقول انه اخو الخيزران والناس يقولون او اكثرهم انه مولى الخيزران . ولما وجه المنصور ابنه المهدى الي الري لحارب استقار حمل المهدى الخيزران وهي حامل بموسي وخرج طيفور معها وأخرجني معه . ولم تكن الخيزران علمت بما رزقت من الحمل . وكان عيسي المعروف بأبي قريش . يدلانيا في العسكر فلما تبينت الخيزران ارتفاع العلة بعثت بمائها مع عجوز ممن معها وقالت لها اعرضي هذا الماء علي جميع المتطببين الذين في عسكر المهدى وجميع من ينظر في ذلك . فعلت العجوز وكنا في ذلك الوقت بهمذان . واجتازت في منصرفها بخيمة عيسي فرأت جماعة من غلمان أهل العسكر وقوفا يعرضون عليه قوارير الماء . فكرهت أن تجوزه قبل ان ينظر الي الماء . فقال لها عند نظره الي الماء : هذا ماء امرأة وهي حامل بغلام . فأدت العجوز عنه ما قال الي الخيزران امرأة المهدى فسجدت شكرا لله وأعتقت عدة مماليك وصارت الي المهدى فأخبرته بما قالت العجوز فأظهر من السرور بذلك اكثر من سرورها

وأمر باحضار عيسي وسأله عما قالت العجوز فأعلمه ان الامر علي ما ذكرت فوصله ووصلته الخيزران بمال جليل وأمره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة

قال الطيفوري فأراد طيفور أن ينفعني فأرسل الي الخيزران ان متطببي ماهر بصناعة الطب فابعثي اليه بالماء حتى يراه فنعلت ذلك في اليوم الثاني . فقال لي قل مثل قول عيسي فأعلمته ان الماء يدل علي انها حامل فاما تمييز الغلام من الجارية فذلك مالا اقوله فجهد بي كل الجهد ان اجيبه الي ذلك فلم افعل صيانة لنفسي عن الاكتساب بالمخرقة فأدى قولي اليها فأمرت لي بألف درهم وأمرت بملازمتها فلما وافت الري ولدت بها الهادى وصح عند المهدى ان ابا قريش عنين بعد ان امتحن بكل محنة فسر بذلك واحظاه وتقدم عنده علي جميع المخصيان وكان ذلك من أسباب الصنع لي . فضممت الي أمير المؤمنين موسي ودعيت متطببه وهو رضيع وفطم ثم ولدت هرون الرشيد بالري ايضا فكان ولده شؤما علي الهادى لأن الحظوة كلها او اكثرها صارت له دونه فأضر بي

ذلك في جاهي وما كنت فيه من كثرة الدخل الي أن ترعرع موسي ففهم الامر فكان ذلك مما زاد في جاهي وجميل رأيه في فكان ينيلني من أفضاله اكثر مما كانت الخيزران تنيلنيه وفتح الله علي المهدى وقتل ستقار وطراحته شهريار أبا مهرويه وخلد بسختر أبا الحرث بن بسختر والربعين وسبي ذراريهم فكانت من ذلك السبي مهرويه وخلد وقرابتهما شاهك ، وكانت علي مائدة شهريار وهم ام السندى ابن شاهك وكان منهم الحارث بن بسختر وجميع هؤلاء الموالي الرازيين . ثم أدرك الهادى وافضت الخلافة الي المهدى فاتصل بي الامر وعظم قدرى لاني صرت متطبب ولي العهد . ثم ملك الهادى أمة العزيز فكانت أعز اليه من جلدة ما بين عينيه وهي ام جعفر وعبد الله واسماعيل واسحق وعيسي المعروف بالجرجاني وموسي الاعمي وأم عيسي زوج المأمون وأم محمد وعبيد الله ابنتيه فبناني موسي الهادى جميع ولدها واعلم امة العزيز انه يتبرك بي ، فنلت منها أكثر مما آمل

ثم دبر الهادى البيعة لابنه جعفر بن موسي فدعاني قبل البيعة بيوم لخلع علي

حملني علي دابة من دواب رحله بسرجه ولجامه وأمر لي بمائة الف حملت الى منزلى ، وقال لاتبرح الدار باقي يومك وليلتك واكثر نهار غدك ، حتى أبايع لابنك جعفر فتنصرف الي منزلك وانت انبل الناس لأنك توليت تربية ابن خليفة صار ولي العهد وولي ولى العهد الخلافة ووربيت ابنه الي أن صار ولي عهد ، وبلغ أمة العزيز الخبر ففعلت بي مثل الذى فعل من الصلات وحملت الي منزلي ثياب صحاح ولم تحملني علي دابة وأقمت في الدار بعيساباذ الي أن طلعت الشمس من اليوم الذى تلت فيه مانلت .

ثم جلس الهادى وقد أحضر جميع بني هاشم فأخذت عليهم البيعة لجعفر وأحلفوا عليها وعلي خلع الرشيد ثم آل زائدة فكان يزيد بن مزيد أول من خلع الرشيد وبايع جعفر بعده ، ثم شراحيل ابن معن بن زائدة وأهل بيته ، ثم سعيد ابن مسلم بن قتيبة بن ، ثم آل مالك وكان أول من بايع منهم عبدالله ثم الصحابة وسائر مشايخ العرب ثم القواد . فما انتصف النهار الا وقد بايع أكثر القواد . وكان فيهم هرثمة بن أعين ولقبه المشؤم ، وكان

المنصور قد قوّده علي خمسمائة ولم يكن له حركة بعد أن قود فتوفي أكثر أصحابه ولم يثبت له مكان من توفي منهم ، فأحضروه وأمروه بالبيعة . فقال له يا أمير المؤمنين . لمن ابايع ؟ فقال له بايع لجعفر بن امير المؤمنين قال ان يميني مشغولة ببيعة امير المؤمنين وشمالي مشغولة ببيعة هرون فأبايع بماذا ؟ فقال له تخلع هرون وتبايع جعفراً . قال يا أمير المؤمنين أنا رجل ادين بنصيحتك ونصيحة الأئمة منكم أهل البيت ، و بالله لو تخوفت أن تحرقني علي صدقي أياك بالنار لما حجزني ذلك عن صدقك . ان البيعة يا أمير المؤمنين انما هي ايمان ، وقد حلفت لهرون بمثل ما تستحلفني به لجعفر ، وان خلعت اليوم هرون خلعت جعفراً في غد ، وكذلك جميع من حلف لهرون علي هذا فغدر به

قال فاستشاط موسي من قوله ، وأمر بوجء عنقه ، وسارعت جماعة من الموالي والقواد نحوه بالحرزة والامد فنهاهم الهادى عنه ثم عاودوه الامر بالبيعة . فقال يا أمير المؤمنين قولي هذا قولي الاول

فزبره الهادى وقال اخرج الي لعنة الله لا بايعت ولا بايع أصحابك الف سنة

ثم أمر باخراجه من الدار بعيساباذ واسقاط قيادته : وقال اطلقوه لينفذ حيث أحب لاصحبه الله ولا كلأه

ثم وجم مقدار نصف ساعة لا يأمر ولا ينهي ثم رفع رأسه ليندون خادمه وقال له الحق الفاجر ، فقال له يندون الحقه فصنع به ماذا ؟ فقال ترده علي امير المؤمنين . قال فلحقه يندون فيما بين باب خراسان وباب بردان بالقرب من الموضع المعروف بباب النقب وهو يريد منزله علي نهر المهدى فرده . فلما دخل قال له يا حائك يبايع أهل بيت أمير المؤمنين فيهم عم جده وعم ابيه وعمومته واخوته وسائر لحمته و يبايع وجوه العرب والموالي والقواد وتمسك انت عن البيعة ؟

فقال هرثمة يا أمير المؤمنين وما حاجتك الي بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أشراف الناس ؟ الا أن الأمر علي ما حكيت لك انه لا يخلع اليوم أحد هرون و يبقي في غد لجعفر .

قال الطيفوري فالتفت الهادى الي من حضر مجلسه ، فقال لهم : شاهت الوجوه صدق والله هرثمة و بروغدرهم وأمر الهادى عند هذا الكلام لهرثمة بخمسين الف

درهم واقطعه الموضع الذى لحقه فيه يندون، فسمي ذلك الموضع عسكر هرثمة الي هذه الغاية . وانصرف الناس كلهم في امر عظيم من امر ذي قدر ، قد غمهم ما لقيه به الخليفة ومما يتوقعه من البلاء ان حدث بالهادى حادث لمسارعتهم الي خادم الرشيد ، وأما بطانة جعفر فقد كانوا أملوا خلافة صاحبهم والغنى بما قد قلد منها ، فصاروا يتخوفون علي نفس صاحبهم التلف ، وعلي انفسهم ان سلموا من القتل والبلاء والفقر .

ودخل موسي الهادى علي امة العزيز فقالت له يا أمير المؤمنين ما احسب احداً عاين ولا سمع بمثل ما عاينا وسمعنا ، فانا اصبحنا في غاية الأمل لهذا الفتى ، وامسينا علي غاية الخوف عليه ، فقال ان الامر لعلي ما ذكرت واز يدك واحدة ، قالت وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال امرت برد هرثمة لأضرب عنقه ، فلما مثل بين يدى حيل بيني وبينه ، واضطررت الي ان وصلته واقطعته ، وانا علي زيادته ورفع مرتبته والتنويه باسمه . فبكت امة العزيز . فقال لها ارجو ان يسرك الله ، فتوهمت وتوهم جميع من يطيف بها انه علي اغتيال الرشيد بالسم فلم يمهل ولم تمض به ليال ثلاثل حتى توفي الهادى ، وولي الخلافة هرون الرشيد ، فوالله لقد احسن غاية الاحسان في أمر جعفر وزاده نعماً الي نعمه وزوجه ام محمد ابنته

قال يوسف بن ابراهيم وحدثني ابو مسلم عن حميد الطائي المعروف بالطوسي قال اعتل ابو غانم يعني اباه علة صعبة فتولي علاجه منها الطيفوري المتطبب وكانت في ابي غانم حدة شديدة تخرجه الي تذ… اصحابه والي الاقدام بالمكروه عليهم . قال فاني لواقف علي رأسه وانا غلام في قباذر ز بيرون . اذ دخل عليه الطيفوري فجس عرقه ونظر الي مائه ثم ناجاه بشيء لم افهمه . فقال له كذبت وسبه ، فرد عليه الطيفوري بأشد من سبه . فقلت في نفسي ذهبت والله نفس الطيفوري . فقال ابو غانم لقد اقدمت ويلك ، كيف اجترأت علي بهذا ؟ فقال له والله ما احتملت سيدى الهادى قط علي لقائي بحرف خشن ، ولقد كان يقذفني فأرد عليه مثل قوله فكيف احتمل لك ؟ فخاف لي ابو مسلم انه رأى أباه ضاحكا باكيا يفهم في بعض اسرة وجهه الضحك وفي بعضها البكاء . ثم قال له والله انك كنت ترد علي امير

المؤمنين الهادى القذف الذى كان يقذفك به؟ فقال له الطيفورى اللهم نعم . فقال له فأسألك بالله لما أجبت في عرض حميد ما أحببت ، وقذفته بما شئت من القذف متى قذفتك . ثم بكي علي الهادى بكاء كثيرا

قال يوسف فسألت الطيفورى عما حدثني به ابو مسلم من ذلك فبكي حتى تخوفت عليه الموت مما تداخله من الجزع عند ذكر حميد . وقال والله ما عاشرت بعد الهادى أحر نفساً ولا أكرم طبعاً ولا أطيب عشرة ولا اشد انصافا من حميد الا انه كان صاحب جيش فكان يظهر ما يجب علي اصحاب الجيوش اظهاره فاذا صار مع اخوانه كان كأنه من المنقطعين اليهم ، لا من المتفضلين عليهم

قال يوسف وحدثني الطيفوري انه كان مع حميد الطوسي بقصر بن هبيرة ايام تغلب صاحبنا علي مدينة السلام وما والاها فقدمت عليه جماعة من جبل طيء عليهم رئيس لهم يقدمونه علي انفسهم ، و يقرون له بالفضل والسؤدد عليهم . فأذن له في الدخول عليه في مجلس عام قد احتشد لاظهار عدده فيه ثم قال لذلك الرئيس ما أقدمك ياابن عم ؟ فقال له قدمت مدداً لك اذ كنت علي محاربة هذا الدعي لما لايجب له ولا يستحقه ، يعنى صاحبنا ، فقال له حميد لست اقبل مددا الا من وثقت بصرامته وقوة قلبه واحتماله لما تصعب علي اكثر الناس في نصرتي ، ولا بد من امتحانك ، فان خرجت علي المحنة قبلتك والا رددتك الي اهلك ، فقال له الطائي امتحني بما احببت ، فأخرج حميد عودا من تحت مصلاه ثم قال له ابسط ذراعك فبسطه فحمل حميد العود علي عاتقه ، ثم هوى الي ذراع الطائي فلما قرب العمود من ذراعه رفع يده ، فأظهر حميد غضبا عليه . ثم قال له رددت يدى ؟ فترضاه الطائي ثم دعاه الي معاودة امتحانه ، فأمره حميد باظهار ذراعه ففعل فرفع حميد العمود ليضرب به ذراعه فلما قرب العمود من ذراع الطائي فعل مثل فعله في المرة الاولى . فلما جذب ذراعه ولم يمكن حميد من ضربه بالعمود امر بسحبه بعد سحبه في مجلسه ، واخذوا به ودواب اصحابه ، وطردهم من معسكره فانصرفوا من عنده رجالة بأسوأ حال .

قال الطيفوري فلمته علي ما كان منه

فاستضحك ثم قال لي قد أطلقت لك الضحك مني والاستهزاء بي وقذف عرضي متى تكلمت في الطب بحضرتك بشيء تنكره ، فأما قيادة الجيوش فذلك ما ليس لك فيه حظ . فلا تتكرن مخالفة رأيك رأيي . ثم قال لي انا رجل من يمن وكان الرسول صلي الله عليه وسلم مضريا ، والخلافة في أيدى مضر ، فكما اني أحب قومي فكذلك الخلفاء تحب قومها ، وان أظهرت ميلا الي قومي في بعض الاوقات وانحرافا عمن هو أمس بها رحما مني فاني غير شاك في ميلها اليهم اذا حقت الحقائق ، ومعي من ابناء نزار بشر كثير وكان في استشعارى من قدم علي من قومي مفسداً لقلوب من قد امتحنته وعرفت بلاءه من النزارية ولست أدرى لعل كل من أتاني من عشيرتي لا يساوى رجلا واحداً من النزارية فأردت بما كان مني استجلاب قلوب من معي ، وأن ينصرف من أتاني من عشيرتي منفرين لا مبشرين ، لأنهم متى انصرفوا منفرين انقطعت عنا مادتهم ، ومتى انصرفوا مبشرين أتاني منهم من لا يسعه مال ما في أيدينا من السواد . فعلمت انه قد أصاب التدبير ولم يخطيء فيما بنى عليه أمره

◀ عبد اللطيف ▶ هو موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الطبيب الشهير درس بالمدرسة النظامية ببغداد ثم رحل الي دمشق في صحبة السلطان صلاح الدين الايوبي ثم جاء مصر ودرس بالازهر ثم رجع الي بغداد وتوفي بها سنة (٦٢٩)

من مؤلفاته كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . وهو ملخص من كتاب كبير له اسمه (العبر والخبر في عجائب مصر)

◀ عبد الوهاب الشعراني ▶ من كبار علماء مصر وهو مؤلف كتاب الميزان في الفقه وكشف الغمة عن قلب هذه الامة وقد ضمنه جميع الاحاديث النبوية التى أخذ منها الأئمة أحكام الفقه وله الطبقات الكبرى وغيرها

توفي سنة (٩٧٣) هـ

◀ عبد الرحمن ▶ بن عوف هو أحد كبار الصحابة الذين ساعدوا الاسلام بمالهم وأنفسهم كان من ضمن الذين رشحهم عمر عند وفاته للخلافة وهم ستة

◀ عبد الرحمن بن عيسي ▶ العمرى

هو مؤلف كتاب الترصيف في النحو توفي سنة (١٠٣٧) ه بمكة

عبد الملك بن مروان تولي الخلافة سنة (٦٥) ه بويع له بالخلافة بعد موت والده مروان بن الحكم

في مبدأ خلافته خرج عليه المختار بالكوفة وأتبعه خلق كثير وبايعوه علي المطالبة بدم الحسين بن علي بن أبي طالب فقد كانت القلوب لاتزال دامية من جراء ماحدث لأهل البيت النبوى من التشتيت والدمار ، وكانت الفتن مضطرمة في كثير من أنحاء البلاد وكان ابن الزبير مستقل بجهات الحجاز ومعه خلق كثير

ثم تجرد المختار لقتال قتلة الحسين بعد أن استولي علي الكوفة وظفر بشمر بن ذى الجوشن وعمر بن سعد بن أبي وقاص وخولي الاصبحي وابن عمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم من الرؤساء الذين خضبوا أيديهم بدماء آل البيت الكريم وبعث برؤسهم الى محمد بن الحنفية بالحجاز سنة (٦٦) ه ومحمد بن الحنفية هذا هو ابن علي بن أبي طالب من غير فاطمة الزهراء عليها السلام

ثم أن المختار لما أوتي هذا النصر ادعي دعاوى عريضة واتخذ له كرسيا زعم ان فيه سراً وانه لقومه مثل التابوت لبنى اسرائيل

ثم بعث بالجنود لقتال عبد الله بن زياد الذى قتل الحسين في ولايته بالعراق وكان بالموصل فاقتتلوا قتالا مراً وانهزم منه اصحاب ابن زياد وقتل هو في المعركة فأحرق المختار جثته فتمت نكبة قتلة الحسين عليه السلام

ثم أن المختار خرج علي عبد الله بن الزبير الذى كان خليفة بالحجاز فأرسل اليه الجنود فانتصروا علي شيعته وقتلوه واستولي مصعب بن الزبير قائد تلك الجنود وهو اخو عبد الله بن الزبير علي العراقين

فقلق عبد الملك بن مروان من انتشار سلطان عبدالله بن الزبير فسار الي مصعب بن الزبير في جيش عرمرم وقاتله حتى قتله واستقام له الامر بالعراق

ثم ان عبد الملك ارسل الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبد الله بن الزبير نفسه فحاصر الحجاج الكعبة ورمي مكة بالمجانيق حتى تهدم شطر من البيت الحرام وانف ابن الزبير ان يسلم نفسه فقاتل

بنفسه و بمن معه حتى قتل فصلبه الحجاج وكان ذلك سنة (٧٣) وكانت خلافة ابن الزبير تسع سنين فدان الناس كلهم لعبد الملك ولم يبق له في الخلافة منازع

فلما استتب الامر لعبد الملك بن مروان أخذ يبعث البعوث للجهاد وكان بنو امية ابطلوا ذلك منذ خلافة يزيد بن معاوية لماهم فيه من الاضطراب والقلق ، فأرسل الي عامله بأفريقية زهير بن قيس البلوى وكان مقيما ببرقة فولاه حرب البربر سكان المغرب وأمره باستنقاذ القيروان ومن بها من المسلمين من يد كسيلة المتغلب عليها . فراجعه زهير يعلمه بكثرة الفرنج في تلك الجهة وشدة أمة البربر فأمده بالمال ووجوه العرب وصناديدها فزحف زهير في جيش لجب سنة (٦٩) والتقي مع كسيلة بجهة القيروان واشتدت الحرب بين الفريقين ثم انتهت بانهزام كسيلة ومن معه من الفرنج والبربر وقتل كسيلة ووجوه البربر فذلوا وخضعوا لزهير

ثم ان زهيرا ترك القيروان ورجع الي برقة فوجد اسطول الرومان علي قتالها في جيوش كثيفة ومعهم اسرى من المسلمين فاستغاثوا به وكان في فئة قليلة من اصحابه فهجم علي الرومان وقاتلهم حتى قتل وقتل معه جماعة من اشراف أصحابه وهرب الباقون الى دمشق فأخبروا الخليفة بما وقع

وبعد ذلك اضطربت بلاد المغرب واشتدت بها الفتن فبعث عبد الملك الى عامله بمصر حسان بن النعمان الغساني وبعث اليه المدد فزحف اليهم سنة (٦٩) في اربعين ألف مقاتل وبعد ان استراح سار قاصد مدينة قرطاجة وهي أعظم مدن العالم بعد رومية وكان بها جموع من الفرنج لايحصي عددهم فافتتحها عنوة ونجا فلولهم في السفن الى جزيرة صقلية (سيسليا) والاندلس . ثم أمر بتخريب قرطاجة لعصيانها عليه بعد ذلك وتعفية رسومها وكسر قنواتها فزالت من الوجود

ثم قاتل الفرنج ببلاد صطفورة و بنزرت وهزمهم وقاتل امرأة كاهنة كانت صاحبة سلطان عظيم انحاز اليها أكثر البربر وأطاعوها وكانت تدعي داهية وقد قتل من المسلمين في قتالها خلق كثير ولم تزل الكاهنة ومن معها يتعقبون حسانا والعرب حتى أخرجوهم من جهات قابس ولحق حسان بطرابلس فلحقه هناك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حتى يصله كتابه

ثم ان الكاهنة أمرت بتخريب المدن والضياع والمراعي والمزارع لصد أطماع العرب. وكانت المدن والضياع من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة فخربت الكاهنة كل ذلك فشق ذلك علي البربر واستأمنوا الي حسان وكان عبد الملك قد بعث اليه بالمدد فأمنهم واستعمل الحيلة في قتلها ثم التقي معها وقتلها ، وبذلك أستأمن اليه باقي البربر وشرط عليهم حسان ان يكون معه منهم اثنى عشر الفا لايفارقونه في مواطن الجهاد فأجابوا ثم أسلموا فانصرف حسان الي القيروان وثبت ملكه واستقام امره ، فدون الدواوين وكتب الخراج علي عجم افريقية ومن اقام معهم علي النصرانية من البربر

ثم اوعز اليه عبد الملك بأتخاذ دار للصناعة لانشاء السفن الحربية فبنى بها مايزيد عن سبعمائة سفينة ومنها كان فتح جزيرة صقلية (سيسيليا) ايام زيادة الله الأول من بنى الاغلب علي يد اسد بن الفرات

ثم ان حسانا استخلف علي المغرب رجلا من قواده اسمه صالح وارتحل الي المشرق بما جمعه من الاموال والذخائر وأهدى الي أمير مصر عبد الله مائتى جارية من بنات ملوك الافرنج والبربر فلم يقنعه ذلك وانتزع كثيرا مما كان بيده فلما قدم علي أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وأخبره أنكر ذلك. ثم اهدى اليه حسان من غريب النفائس ماله عظمه الوليد وشكره عليه ووعده برده الي عمله فحلف حسان أن لايلي عملا لبنى أمية أبدا

وكان عبد الملك بن مروان ولي الحجاج الثقفي العراق بعد مقتل ابن الزبير فلما ذهب اليها أفحش في الظلم. وأخذ بالظنة وقتل كثيرا من الناس فخرج عليه الناس من كل جهة واستفحل امرهم وكانوا سببا في تعطيل الفتوحات الاسلامية زمانا طويلا

توفي عبد الملك سنة (٨٦) هو كانت مدة خلافته بلامنازع منذ قتل عبد الله بن الزبير ثلاثة عشرة سنة وأربعة اشهر

كان عبد الملك حازما عاقلا فقيها دينا الا أن الدنيا استهوته بعد خلافته وعمره ستون سنة وكان بخيلا

هو أول من ضرب السكة (النقود) في الاسلام وكانت الطوائف وهي الجيوش التى كانت تجهز في اوان الصيف لسد

الثغور وقتال العدو تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية لحدوث الفتن بين المسلمين واستمر ذلك التجهيز من صدر الاسلام الي أواخر عهد الدولة العباسية ولما اشتدت الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك واجتمعت الروم واستجاشوا علي من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك ملكهم علي ان يحمل اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه علي المسلمين ولم يستمر هذا التعهد زمناً طويلا لانه بعد ذلك بقليل انتصر المسلمون علي الروم في وقائع عديدة وفتحوا كثيراً من بلادهم

عبد الله ابن الزبير انظر ترجمته في كلمة الزبير

ابن عبد ربه هو ابو عمر احمد ابن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير ابن سالم القرطبى مولي هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى

كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع علي أخبار الناس صنف كتابه العقد الفريد وهو من عيون الكتب الادبية وأحفلها بوجوه الشعر والنثر لم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة مما يطيب نشره الا أتي عليها وكان له شعر جيد منه قوله :

يااذا الذى خط العذار بوجهه
خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندى ان لحظك صارم
حتى لبست بعارضيك حمائلا

وله أيضا :

ومعذر نقش العذار بمسكه
خداً له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن ان عضب جفونه
من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقيل ان هذين البيتين لأبي طاهر الكاتب وقيل لابي الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادى

ولابن عبد ربه ايضا :

ودعتنى بزفرة واعتناق
ثم قالت متى يكون التلاقي
وبدت لي فأشرق الصبح منها
بين تلك الجيوب والاطواق
ياسقيم الجفون من غير سقم
بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق أفظع يوم
ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله أيضا :

ان الغواني ان رأينك طاويا
برد الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه
نسب يزيدك عندهن خبالا

وله من جملة قصيدة طويلة في المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الحكمي أحد ملوك الاندلس من بني أمية

بالمنذر بن محمد
شرفت بلاد الاندلس
فالطير فيها ساكن
والوحش فيها قد أنس

قال الوزير ابن المغربي في كتاب ادب الخواص : وقد روى ان هذه القصيدة شقت عند انتشارها علي ابي تميم معد المعز لدين الله وساءه ما تضمنته من الكذب والتمويه الى ان عارضها شاعره الايادي التونسي بقصيدته التي اولها:

ربع لزينب قد درس
واعتاض من نطق خرس

وهذا الشاعر هو ابو الحسن علي بن محمد بن الايادي التونسي

ولابن عبد ربه قوله :

نعق الغراب فقلت أكذب طائر
ان لم يصدقه رغاء بعير

ومن قوله يصف الرمح :

بكل رديني كأن سنانه
شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع
تقاصرت الآجال في طول متنه
وعادت به الآمال وهي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسن ظنه
فهن لحبات القلوب قوارع
وذي شطب تقضي المنايا بحكمه
وليس لما تقضي المنية دافع
فرند اذا ما اعتن للعين راكد
وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل أرواح الكماة انسلاله
ويرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ما التقت أمثاله في وقيعة
هنالك ظن النفس بالنفس واقع

ومن قوله في السيف :

بكل مأثور علي متنه
مثل مدب النمل بالقاع
يرتد طرف العين من حده
عن كوكب للموت لماع

ومن شعره قوله :

يامن يجلد للزما
ن اما زمانك منك أجلد
سلط نهاك علي هوا
ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع
فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقي سوى
آثارهم والعين تفقد
أو ما سمعت بمن مضي
هذا يذم وذاك يحمد
المال ان أصلحته
يصلح وان افسدت يفسد

وقال في ذم اهل الزمان :

رجاء دون اقربه السحاب
ووعد مثل ما لمع السراب
ودهر سادت العبدان فيه
وعاثت في جوانبه الذئاب
وأيام خلت من كل خير
ودنيا قد تدرعها الكلاب
كلاب لو سألتهم ترابا
لقالوا عندنا انقطع التراب
يعاقب من أساء القول فيهم
وان يحسن فليس له ثواب

وقال ايضا :

ساق ترنم يشدو فوقه ساق
كأنه لحنين الشوق مشتاق
ياضيعة الشعر في بله جراهقة
تشابهت منهم في اللؤم اخلاق

ومن قوله أيضا :

ياغافلا مايرى الا محاسنه
ولو درى ما رأى الا مساويه
انظر الي باطن الدنيا بظاهرها
كل البهائم يجرى طرفها فيه

وقال أيضا :

فصادمت حجراً لو كنت تقصر به
من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب
فكان ذاك له روحا وذا نفسا
صحيفة افنيت ليت بها وعسى
عنوانها راحة الراجي اذا يئسا
وعده هاجس في الصدر قد برمت
أحشاء صدري به من طول ما التبسا
مواعد غرني منها وميض سنا
حتى عددت اليها الكف مقتبسا

ومن شعره قوله :

روح الندى بين اثواب العلا وصب
يفني في جسد المجد موصوب

ما أنت وحدك مكسو شحوب ضنى
بل كلنا منك من مضنى ومشحوب
يا من عليه حجاب من جلالته
وبات بذلك يوماً غير محجوب
الفي عليك يدا للضر كاشفة
كشاف ضر نبي الله ايوب

وله في هذا المعنى أيضا :

لاغرو ان نال منك السقم والضرر
قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
يا غرّة القمر المزوى غضارتها
فدى لتربك مني السمع والبصر
أن يمس جسمك موعوكا بصالبة
فهكذا يوعك الضرغامة المصر
أنت الحسام فان تفلل مضاربه
فقبله مايفل الصارم الذكر
روح من المجد في جثمان مكرمة
كأنها الصبح من خديه ينفجر
لو غال مجلوده شيء سوى قدر
أكبرت ذلك ولكن غاله القدر

أما نثره فنه ما كتبه في مقدمة كتابه العقد الفريد قال :

« (وبعد) فان أهل كل طبقة وجهابذة كل امة ، قد تكلموا في الادب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ، وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر الفاظ السالفين ، واكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها الي اختصار ، والمتخير الي اختيار .

« ثم اني رأيت آخر كل طبقة ، وواضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل أدب ، أعذب الفاظا ، واسهل بنية ، واحكم مذهبا وأوضح طريقة من الاول ، لأنه ناقص متعقب ، والاول باد متقدم ، فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة ، والكتب المترجمة ، بعين انصاف ثم يجعل عقله حكما عادلا قاطعا ، فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع ، طيبة النبت ، ذكية التربة يانعة الثمرة ، فمن أخذ بنصيبه منها ، كان علي ارث من النبوة ، ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه . ولا يضل من تمسك به وقد الفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ، ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ، ولباب اللباب ، وانما لي فيه تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش الدرر كل كتاب وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور

عن الحكماء والادباء ، واختيار الكلام اصعب من تأليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله ، وقال الشاعر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا
ن دليلا علي اللبيب اختياره

وقال افلاطون : عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم ، ظاهرة في حسن اختيارهم ، فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعاني وجواهر الحكم ، وضروب الأدب ، ونوادر الامثال ، ثم قرنت كل جنس منها الي جنسه فجعلته بابا علي حدته ، ليستدل الطالب للخبر علي موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب الخ الخ »

ولد ابو عبد ربه سنة (٢٤٦) وتوفي سنة (٣٢٧) ودفن بمقبرة بني العباس بقرطبة وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام

عبيد الله ◄ هو أبو القاسم بن عبد الله كان من المؤرخين الجغرافيين وهو مؤلف كتاب المسالك والممالك وهو من أجمع الكتب لاخبار الأمم والبلدان توفي في حدود سنة (٣٠٠) ه

عبيدة ◄ بن الحارث بن المطلب كان من الصحابة شهد بدرا وتوفي سنة (١) من الهجرة

عبد الله بن عامر ◄ هو عبد الله ابن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي وهو ابن خال عثمان بن عفان . ام عثمان أروى بنت كريز وامها ام عامر بن كريز ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلي الله عليه وسلم وأم عبد الله دجاجة بنت اسماء بن الصلت السلمية .

كان عبد الله من الصحابة الاكرمين ولد بعد الهجرة بأربع سنين وأسلم أبوه عام الفتح

روى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أتي بعبد الله بن عامر في فتح مكة فجعل ينفث عليه وجعل عبد الله يتسلع ريق النبي صلي الله عليه وسلم فقال انه لسقا

وروى ابن عساكر انه لما جيء به لرسول الله صلي الله عليه وسلم قال : هذا ابن السلمية ؟ قالوا نعم . قال : هذا ابننا وهو أشبهكم بنا وهو مسقا . فلم يزل عبد الله شريفا سخيا كريما كثير المال والولد

كان عبد الله يعد في الطبقة الاولي من أهل المدينة وكان حسن النشاة ممدوحاً

من نجباء قريش وكرمائهم

ولاه عثمان بن عفان البصرة وعمره أربع وعشرون سنة أو خمس وعشرون ففتح سجستان وكرمان ومازال يطارد كسرى يزدجرد حتى قتله وانقرضت على يده الدولة الساسانية وصار الى المسلمين ملك الاكاسرة

ولاه عثمان البصرة سنة (٢٨) وقيل (٢٩) خلفا لابي موسى الاشعرى فقال أبو موسى لاهل البصرة : يقدم عليكم غلام كريم الجدات والعمات يجمع له الجندان يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا

جمع له عثمان جند ابي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي من عمان والبحرين وأمره أن يستعمل على كور فارس وخراسان ولاة وان يغزو البلاد التى ثارت على المسلمين وهي فارس وخراسان . فصدع بالامر والتقى بالثائرين في اصطخر فقاتلهم حتى انهزموا ثم سار الى أطراف ولاية فارس فدوخها وأخضع الثائرين فيها ثم قصد خراسان وفرق جنوده في اطرافها واطراف سجستان وكرمان وقصد هو نيسابور وجعل على مقدمته الاحنف بن قيس فافتتح امامه الطبسين وهما بابا خراسان وسار الى قهستان وابرش فلقيه قوم يسمون الهياطلة فقاتلهم حتى اضطرهم لان يلجأوا الى حصنهم وقدم عليها ابن عامر فصالحه أهلها على ٦٠٠ الف درهم

ثم قصد البلاد التى من اعمال نيسابور كبشت وخواف واسفراين وارغيان ثم قصد نيسابور بعد ان استولى على كل اعمالها فامتنعت عليه فحاصرها اشهرا وكان على كل ربع من أرباع المدينة مرزبان يحفظه فطلب صاحب ربع من تلك الارباع الامان على ان يدخل المسلمين المدينة فأعطيه . فادخلهم ليلا ففتح الباب وتحصن مرزبان المدينة في حصنها ومعه جماعة وطلب الامان والصلح على جميع نيسابور على وظيفة يؤديها فصالحه ابن عامر على الف الف درهم وولى على نيسابور قيس بن الهيثم السلمي

ثم أرسل عبد الله بن عامر قواده يضربون في أطراف البلاد وقدم في تلك الاثناء بهنة والى ابيور على عبد الله بن عامر فصالحه عليها وعلى بادغيس و بوشنج فكتب له كتاب عهد هذه صورته

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة

وبوشنج وبادغيس • أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين ، واصلاح ماتحت يديه من الارضين ، وصالحه على هراة سهلها وجبلها على أن يؤدى من الجزية ما صالحه عليه وان يقسم ذلك على الارضين عدلا بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة » . كتبه ربيع بن نهشل وختمه عبد الله بن عامر

ثم حدثت الفتنة وصرف عن الولاية الى زمن معاوية بن ابي سفيان فولاه على البصرة ثانية سنة (٤١) وجعل اليه معاوية خراسان وسجستان فاستعمل على خراسان قيس بن الهيثم السلمي وكانت ثارت بلخ وهراة وبادغيس على المسلمين فسار قيس الى بلخ فنازلها فسألوه الصلح ومراجعة الطاعة فأعطاهم ماسألوا وكان المسلمون حريصين على راحة الشعوب المقهورة فتقدم عطاء بن السائب مولى بنى ليث ببناء ثلاث قناطر على ثلاثة أنهر من أنهر عمالة بلخ فبناها وسميت قناطر عطاء

ثم ان عبد الله بن عامر استبطأ قيسا بالخراج فعزله وولى عبد الله بن حازم فخاف قيس بن حازم شغبه فقدم على عبد الله ابن عامر قبل وصول ابن حازم وترك البلاد بلا امير فازداد عبد الله بن عامر غضبا عليه لتركه الثغر وقيام الفتن فيه بسبب ذلك فضربه وحبسه . وولى عبد الرحمن بن سمرة على سجستان فأتاها وأخذ يدوخ البلاد التى نكث أهلها حتى بلغ كابل فحصرها اشهرا ونصب عليها المجانيق فثلم سورها ثلمة عظيمة فبات عليها عباد ابن الحصين ليلة يجالد المشركين ويمنعهم عن سدها حتى أصبح ولم يقدروا عليها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزمهم المسلمون ودخلوا البلادة عنوة . ثم سار عبد الرحمن الى زران و بست وخشك فظفر بأهلها وفتحها كلها . ثم سار الى زابلستان وهي غزنه وأعمالها وقد كان أهلها نكثوا أيضا فقاتلهم وفتحها وعاد الى كابل وقد نكث أهلها ففتحها

استمر عبد الله بن عامر واليا على البصرة لمعاوية نحواً من ثلاث سنين وكان حسن السيرة في أهلها محببا اليهم ولكنه كان مفرطا في لين العريكة فلم يخف بطشه السفهاء، فاشتدت فيها وطأة الخوارج

من امثلة حلمه ولينه واستخفاف الخوارج به مارواه ابن عساكر عن ابي داود قال خرج عبد الله بن عامر الى الجمعة

في ثياب رقاق وابو بلال (هو مرداس بن أُدية من رؤس الخوارج) تحت المنبر وذلك في يوم الجمعة فقال ابو بلال : انظروا الي اميركم يلبس لباس الفساق فقال ابو بكرة وهو تحت المنبر : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : من أهان سلطان الله في الارض أهانه الله

لهذا واشباهه فسدت عليه البصرة فشكا ذلك الي زياد بن ابيه فقال له جرد السيف ، فقال له اني اكره أن اصلحهم بفساد نفسي

عزله معاوية ابن ابي سفيان وسبب ذلك أن عبد الله بن عامر أوفد وفداً من البصرة الي معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة وفيهم عبد الله بن ابي اوفي اليشكرى المعروف بابن الكواء فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن اهل البصرة خاصة . فقال ابن الكواء ياامير المؤمنين ان اهل البصرة قد اكلهم سفهاؤهم ، وضعف عنهم سلطانهم . ثم أخذ يعجز عبد الله بن عامر ويضعفه

فلما علم معاوية ذلك عزم علي عزل عبد الله بن عامر عنها ولم يرد ان يفاجئه بذلك احتراما له وتحاشيا من غضبه مع ميل الناس اليه فكتب اليه يسأله أن يزوره فقدم عليه وكان يأتيه ويتغدى عنده ثم دخل اليه يوما يودعه راجعاً الي عمله فقال له اني سائلك ثلاثاً فقال هي لك وأنا ابن ام حكيم

قال معاوية : ترد علي عملي (أى ولاية البصرة) ولا تغضب

قال عبد الله بن عامر : قد فعلت

قال معاوية : وتهب لي مالك بعرفة

قال عبد الله : قد فعلت

قال معاوية : وتهب لي دورك بمكة

قال عبد الله : قد فعلت

قال معاوية : وصلتك رحم

قال عبد الله : واني سائلك ياأمير المؤمنين ثلاثة ، فقل قد فعلت

قال معاوية : قد فعلت وانا ابن هند

قال عبد الله : ترد علي مالي بعرفة

قال معاويه : قد رددت اليك مالك بعرفة

قال عبد الله : وتنكحني هندا بنت معاوية

قال معاوية : قد فعلت

قال عبد الله : ولا تحاسب لي عاملا ولا تتبع اثرى

قال معاوية : قد فعلت

ومما يدل علي ما كان لعبد الله بن عامر من المكانة في قلوب الناس مارواه ابن عساكر قال : سأل معاوية قبيصه بن جابر عمن يرى لهذا الأمر (يعني الخلافة) من بعده : فاجابه : وأما فتاها حياء وحلما وسخاء فابن عامر

ولما كانت فتنة عثمان ، كان أشد الناس علي عثمان أهل الكوفة وأهل مصر وأما أهل البصرة فقد كانوا أخفهم عليه لأن عبد الله بن عامر كان واليا عليهما من قبله وكان لحسن سيرته يحبب عثمان الي الناس . لهذا لما اشتد في عثمان من عماله كان فيما شرطوا عليه أن يقر عبد الله بن عامر علي البصرة لتحببه اليهم

ولما حوصر عثمان أرسل عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود علي جيش لانجاده حتى اذا كانوا بادانى الحجاز خرجت خارجة من أصحابه فلقوا رجلا فقالوا ما الخبر ؟ قال قتل عدو الله نعثل (يعني عثمان رضي الله عنه) وهذه خصلة من شعره . فحمل عليه زفر بن الحارث وهو يومئذ غلام مع مجاشع بن مسعود فقتله فكان أول مقتول في دم عثمان ثم رجع مجاشع الي البصرة

فلما رأى عبد الله بن عامر ذلك حمل ما في بيت المال واستعمل علي البصرة عبد الله بن عامر الحضرمي ثم شخص الي مكة فوافي بها طلحة والزبير وعائشة وهم يريدون الشام فقال لا بل ائتوا البصرة فان لي بها صنائع وهي أرض الاموال وبها عدد الرجال والله لو شئت ماخرجت حتى اضرب بعض الناس ببعض

فقال طلحة : هلا فعلت ؟ أأشفقت علي منا كب تميم ؟

ثم أجمع رأيهم علي السير الي البصرة فاقبل بهم اليها

وكان عبد الله بن عامر مع طلحة والزبير وعائشة يوم الجمل حتى قال علي عليه السلام : أتدرون من حاربت ؟ حاربت أمجد الناس ، يعني عبد الله بن عامر ، وأشجع الناس ، يعني الزبير ، وأدهي الناس يعني طلحة

ولما هزم الناس يوم الجمل وانتصر علي عليه السلام جاء عبد الله بن عامر الي الزبير فاخذ بيده فقال : اباعبد الله أنشدك الله في امة محمد فلا محمد امة بعد اليوم أبداً .

فقال الزبير خل بين العار بن يضطر بان
فان مع الناوف الشديد المطامع

فلحق عبد الله بن عامر بالشام حتى نزل دمشق وقد قتل ابنه عبد الرحمن يوم الجمل وبه كان يكنى . فقال حارثة بن بدر بن العباس العداني في خروج عبد بن عامر الي دمشق

أتاني من الانباء ان ابن عامر
اناخ والقي في دمشق المراسيا
يطيف بمجامي دمشق وقصره
فعيشك ان لم يأتك القوم راضياً

ولم يزل عبد الله بن عامر مع معاوية بالشام حتى ولاه البصرة كما ذكرنا ولم يسمع له ذكر في صفين حين حارب معاوية علياً عليه السلام ، فقد اعتزل الفتنة من يوم الجمل كما يظهر من قوله للزبير

كان عبد الله بن عامر عالي الهمة كبير الفؤاد فتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان وهراة وزابلستان وهي غزنة وأعمالها وافغانستان فقضى على دولة الفرس وقتل كسرى يزدجرد في ولايته

لما أتم هذه الفتوحات عمل على عمارية البلاد وأراد ان يصل ما بين العراق والحجاز بالقرى العامرة فاخذ يحفر الانهر في سواد البصرة فاحتفر نهر البصرة ونهر ام عبد الله وهي امه ونهر الأبلة

ثم بدأ بالبادية فاتخذ فيها النباج وهي قرية بالبادية فغرس فيها الغرس فكانت تدعى نباج بن عامر . واتخذ القريتين وغرس بها نخلا وانبط عيوناً تعرف بعيون ابن عامر وبينها وبين النباج ليلة على طريق المدينة . وحفر الحفير ثم حفر السمينة ، واتخذ بقرب قباء قصراً وجعل فيه زنجاً ليعملوا فيه . وهذه كلها أماكن ومياه بين البصرة والحجاز

وكان ينوى أن يجعل بين الحجاز والبصرة مدائن متصلة بحيث تكون كالجنان الزاهرة فروى عنه ابن قتيبة انه قال : لو تركت لخرجت المرأة في حداجتها على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافي مكة

وروى ابن الاثير وابن عساكر وابن عبد البر ان ابن عامر اتخذ الحياض بعرفة وأجرى اليها العين وسقي الناس الماء وبقي ذلك الي اليوم واتخذ في البصرة السوق اشترى دورا فهدمها وجعلها سوقا

وكان عبد الله بن عامر سخياً كريماً حلبما ميمون النقيبة كثير المناقب

وقال ابن الأثير انه كان احد الاجواد الممدوحين

وقال ابن عساكر قدم ابن عامر على عثمان فقال له : صل قومك من قريش ففعل وأرسل الي علي بن ابي طالب بثلاثة آلاف وكسوة . فلما جاءه به قال علي عليه السلام : الحمد لله انا نرى تراث محمد يأكله غيرنا . فبلغ ذلك عثمان فقال لابن عامر قبح الله رأيك أترسل الي علي بثلاثة آلاف درهم ؟ قال كرهت ان أغرق ولم ادر ما رأيك . قال فأغرق . فبعث اليه بعشرين الف درهم وما يتبعها فراح علي الي المسجد فانتهي الي حلقة وهم يتذاكرون صلات ابن عامر هذا الحي من قريش . فقال علي هو سيد فتيان قريش غير مدافع قال وتكلمت الانصار فقالت ايت الطلقاء الا عداوة . فبلغ ذلك عثمان فدعا ابن عامر فقال ابا عبد الرحمن ق عرضك ودار الانصار فالستهم ما قد علمت . فأفشي فيهم الصلات والكساء فاثنوا عليه . فقال له عثمان انصرف الي عملك . فانصرف والناس يقولون . قال ابن عامر وفعل ابن عامر . فقال عبد الله بن عمر اذا طابت المكسبة زكت النفقة

وروى الطبرى قال كان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريك عثمان في الجاهلية ، فقال العباس بن ربيعة لعثمان اكتب لي الي ابن عامر يسلفني مائة الف فكتب فأعطاه مائة الف وصله بها وأقطعه داره دار العباس بن ربيعة اليوم

وروى ابن عساكر عن ميمون بن مهران قال أراد عبد الله بن عمر بن الخطاب شراء اهل بيت كان يعجبهم فأعطي بهم الف دينار فأبي فاشتراهم عبد الله بن عامر بعشرة آلاف دينار واعتقهم

وروى عن عبد الله بن محمد القروى قال : اشترى عبد الله بن عامر من خالد ابن عقبة بن ابي معيط داره التى في السوق ليشرع بها داره على السوق بثمانين او سبعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله . ما هؤلاء ؟ فقيل له يبكون دارهم . فقال يا غلام فأتهم فأعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا

روى الاصمعي قال : أرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحي فمكث ساعة ثم قال : لا أجمع عليكم عيا ولؤما . من اخذ شاة من السوق فهي له وثمنها علي

قيل لما ولي ابن عامر البصرة انحدر اليه صديقان له من اهل المدينة كان احدهما عبد الله بن جابر الانصارى والآخر من ثقيف فأقبلا يسيران حتى اذا كانا بناحية البصرة قال الانصارى للثقفي هل لك في رأى رأيته ؟ قال اعرضه . قال رأيت ان ننيخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا ونمس ماء ثم نصلي ركعتين ونحمد الله علي ما مضي من سفرنا . قال هذا الذى لايرد . فتوضيا ثم صليا ركعتين فالتفت الانصارى الي الثقفي وقال : ياأخا ثقيف ما رأيك؟ قال موضع رأى هذا قضيت سفرى وانصبت بدني وانضيت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر ، فهل لك رأى غير هذا ؟ قال نعم اني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي ان يراني طالبا رزقا من غيره . اللهم وارزق ابن عامر ارزقني من فضلك ثم ولي راجعا الى المدينة ودخل ثقيف البصرة فمكث أياما فأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال ألم أخبر ان ابن جابر خرج معك فخبره خبره فبكي ابن عامر ثم قال . اما والله ما قالها أشرا ولا بطرا ، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم ان الله الذى فعل ذلك فسأله من فضله . ثم أمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة وطرف وأضعف ذلك كله للانصارى فخرج الثقفي وهو يقول :

امامة ماحرص الحريص بزائد
فتيلا ولا زهد الضعيف بضائر
خرجنا جميعا من مساقط روسنا
علي ثقة منا بجود ابن عامر
فلما انخنا الناعجات ببابه
تأخر عنى اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادر
علي ما يشاء اليوم بالخلق قاهر
وان الذى اعطي العراق ابن عامر
لربي الذى ارجو لسد مفاقرى

في ابيات اخرى

ولقد كان ابن عامر لكرمه وسعة صدره اذا أبطأ علي أحدهم بالعطاء عاتبه روى ابن عساكر قال وعد ابن عامر انس ابن انس شيئا وقد كان عوده ذلك فمطله فقام اليه بمكة في الموسم فقال:

ليت شعرى عن خليلي ما الذى
غاله في الود حتى ودعه
لاتهني بعد اذ أكرمتني
وقبيح عادة منتزعة

واذكر البلوى التى أبليتنى
ومقالا قلته في المجمعة
لايكن برقك برقا خلبا
ان خير البرق ماالغيث معه

وفي ابن عامر يقول زياد الاعجم مادحاً :

اخ لك لاتراه الدهر الا
علي العلات بساما جواداً
اخ لك ماتوده بمذق
اذا ماعاد فقر اخيه عادا
سألناه الجزيل فما تلكا
واعطي فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا
فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا مارجعت اليه الا
تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

روى ابن عساكر عن عمر بن ميمون ان عبد الله بن عامر حين مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم وفيهم ابن عمر . قال ماترون في حالى ؟ فقالوا ماشك لك في النجاة (اى في الآخرة) قد كنت تقرى الضيف وتعطي المختبط (المختبط هو الذى يسألك عن غير معرفة ولايد سلفت اليك)

وعن ميمون قال : بعث عبد الله ابن عامر حين حضرته الوفاة الي مشيخة أهل المدينة وفيهم ابن عمر فقال أخبروني كيف كانت سيرتي قالوا كنت تتصدق وتعتق وتصل رحمك . قال وابن عمر ساكت فقال ياأبا عبد الله مايمنعك أن تتكلم ؟ قال قد تكلم القوم . قال عزمت عليك لتتكلمن . فقال ابن عمر اذا طابت المكسبة زكت النفقة وستقدم فترى

قال ابن مندة توفي النبى صلي الله عليه وسلم ولعبد الله بن عامر ثلاث عشرة سنة وتوفي هو سنة تسع وخمسين . وقال الحافظ ابو نعيم انه توفي سنة ستين

وجاء في أسد الغابة انه توفي سنة ثمان وخمسين وأوصي لعبد الله بن الزبير

وروى ابن عساكر ان عبد الله بن عامر توفي قبل معاوية بسنة فقال معاوية يرحم الله أبا عبد الرحمن بمن نفاخر وبمن نباهي

وقد روى عنه علماء الحديث حديثا واحدا عن النبى صلي الله عليه وسلم : من قتل دون ماله فهو شهيد

أبو عبيدة بن الجراح

أحمد

كبار الصحابة وأعلام المسلمين الاولين وهو من العشرة المبشرين . واسمه عامر ابن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة اشتهر بكنيته ونسبه الي جده

وامه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة وأمها دعد بنت هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر . ادركت امه الاسلام واسلمت

كان ابو عبيدة في الجاهلية محترماً في قومه معروفاً باصالة الرأى وسداده فيهم، موصوفا بالدهاء والتدبير وكان يقال : داهيتا قريش ابو بكر وابو عبيدة بن الجراح

أسلم ابو عبيدة في أول ظهور الاسلام روى ابن عساكر في تاريخه عن يزيد ابن رومان قال : انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة ابن الحارث بن المطلب وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد وابو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فعرض عليهم الاسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا في ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله صلي الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها وكان اسلامهم في بعض الروايات بدعوة ابي بكر رضي الله عنهم أجمعين

كان ابو عبيدة قوى الاسلام صادقاً في حب نبيه حتى سماه صلي الله عليه وسلم امين هذه الامة . عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لكل امة امين وان امينا أيتها الامة ابو عبيدة ابن الجراح

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال جاء أهل نجران الي النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا ابعث لنا رجلا امينا . فقال « لأبعثن اليكم اميناً حق امين » فاستشرف لها الناس (أي تطلعوا لمن يرسله منهم) فبعث أبا عبيدة بن الجراح

مما يدل علي شدة ايمان ابي عبيدة ماجاء في أسد الغابة من أن أبا عبيدة لما كان يوم بدر جعل ابوه وكان مع المشركين يتصدى له وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر أبوه قصده قتله ابو عبيدة فأنزل الله تعالى : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم . الآية»

روى عن موسي بن عقبة قال قال

ابو بكر الصديق سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لابي عبيدة ثلاث كلمات لأن يكون قلهن لي أحب الى من حمر النعم . قالوا وما هن ياخليفة رسول الله . قال كنا جلوساً عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فقام أبو عبيد فاتبعه رسول الله بصره ثم أقبل علينا فقال : « ان ههنا لكتفين مؤمنتين » وخرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتحدث فسكتنا فقلن اننا كنا في شيء كرهنا ان يسمعه فسكت ساعة لايتكلم ثم قال : « ما من اصحابي الا وقد كنت قائلا فيه لابد الا أبا عبيدة » وقدم علينا وفد نجران فقالوا يامحمد ابعث لنا من يأخذ لك الحق ويعطيناه . فقال « والذي بعثني بالحق لأرسلن معكم القوى الامين » قال أبو بكر فما تعرضت للامارة غيرها فرفعت رأسي لاريه نفسي « فقال قم ياأباعبيدة » فبعثه معهم

شهد أبو عبيدة المشاهد الكبرى كلها مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان ممن ثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله من المغفر يومئذ فانتزعت ثنيتاه فحسنتا فاه وصار اهتم فما روى قط أحسن منه هتما

روى ابن عساكر عن عمر بن الخطاب انه قال : لو أدركت أباعبيدة ابن الجراح لاستخلفته وما شاورت فان سئلت عنه قلت استخلفت أمين الله وأمين رسوله

لما تولى أبو بكر الخلافة سلم أباعبيدة قيادة جيش من الجيوش التي أرسلها الي الشام وأمره بقصد حمص . ولما تولى الخلافة عمر جعل له القيادة العامة علي جيوش الشام

ففتح أبوعبيدة دمشق بعد أن حاصرها سبعين ليلة وكان وهو علي دمشق يسرح الجنود وعليها الامراء لكي يشغلوا جيش الرومان عن امداد دمشق حتى تيسر له فتحها بعدعناء شديد . ولما فتحها استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان . ثم سار هو الي فحل من أرض الاردن وهزم هناك جيوش الرومان وأتي بيسان وطبرية وحاصرهما فصالحاه علي صلح دمشق . ثم بعد أن وجه يزيد بن أبي سفيان الي سواحل دمشق سار الى حمص عن طريق بعلبك وقدم اليها السمط بن الاسود الكندى وقدم خالدا الي البقاع ونزل أهل بعلبك الى أبي عبيدة فصالحوه وكتب لهم

بذلك كتابا

ثم ذهب الي حمص فافتتحها ايضا ثم رجع من هناك الى اليرموك او اجنادين لنجدة عمرو بن العاص . ثم سار الي حماه فصالحه اهلها . ثم سار الي حلب وقدم خالدا الي قنسرين وعبادة بن الصامت الي اللاذقية

ثم ترك حصار حلب وسار الي حاضرها فافتتحها . ثم سار الي انطاكية وجيوشه تحاصر حلب فكتب اليه عمر بالرجوع الى حلب واتمام الفتح فعاد وفتحها صلحا .

ثم سير جيوشه تضرب في الشمال والشرق حتى أتمت فتح سورية و بلغت الفرات شرقا وآسيا الصغرى شمالا وجعل ابو عبيدة علي كل كورة فتحها عاملا ورتب فيها المرابطه والجيوش ونظم شؤن البلاد وبسط علي اهلها جناح الرأفة والعدل وعاملهم بما اشتهر عنه من اللين والاناة والرفق حتى صار سلطان المسلمين احب اليهم من سلطان الرومان

كان ابو عبيدة متواضعا زاهدا تقيا رزينا لين الجانب عالما بالشرع ماهرا في فنون الحرب

روى ابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب انه قال يوماً لجلسائه . تمنوا فتمنوا . فقال عمر بن الخطاب لكني أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح . فقال له رجل ما ألوت الاسلام (أي ماقصته حقه) . فقال عمر ذاك الذى اردت

وأخرج ابن عساكر عن عبدالله بن عمر انه قال ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها وأحسنها أحلاما وأثبتها جنانا ان حدثوك لم يكذبوك ابو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وابو عبيدة بن الجراح

اخرج الجزرى في اسد الغابة وابن عساكر في تاريخه عن هشام بن عروة عن ابيه قال : قدم عمر بن الخطاب الشام فتلقاه امراء الاجناد وعظماء اهل الأرض فقال عمر اين اخي ؟ قالوا من ؟ قال ابو عبيدة . قالوا يأتيك الآن . قال فجاء علي ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وسأله ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى اتي الي منزله فنزل عليه فلم ير في بيته الا سيفه وترسه . قال عمر : لو اتخذت متاعا او قال شيئا . قال ابو عبيدة: ياامير المؤمنين ان هذا سيبلغنا المقيل

وروى ابن عساكر عن ابن عمر أن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيدة اذهب بنا الي منزلك . قال وما تصنع عندى ماتريد الا أن تعصر عينيك علي. قال فدخل منزله فلم ير شيئا . قال أين متاعك لا أرى الا لبداً وصحفة وشنا وانت أمير أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة الي جونة (أي سلة) فأخذ منها كسيرات. فبكي عمر . فقال له أبو عبيدة قد قلت لك انك ستعصر عينيك علي. ياأمير المؤمنين يكفيك مايبلغك المقيل . قال عمر غيرتنا الدنيا كلنا غيرك ياأباعبيدة

وروى ابن عساكر عن قتادة قال قال أبو عبيدة ابن الجراح وهو أمير علي الشام :

« ياأيها الناس اني امرؤ من قريش وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى الا وددت اني في مسلاخه (أى جلده)

وروى ابن عساكر عن موسى بن عقبة ان عمرو بن العاص لما كان في غزوة ذات السلاسل في مشارف الشام وخاف من جانبه الذى هو به بعث الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يستمده فندب رسول الله المهاجرين والانصار فانتدب فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب في سراة المهاجرين وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وأمد بهم عمرو بن العاص فلما قدموا علي عمرو قال :

أنا أميركم وأنا أرسلت الي رسول الله أستمده بكم

فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين

فقال عمرو : انما أنتم مدد أمددت بكم

فلما رأى ذلك أبو عبيدة وكان رجلا حسن الخلق لين الشيمة متبعاً لأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم وعهده قال : تعلم ان آخر ماعهد الي رسول الله انه قال اذا قدمت علي صاحبك فتطاوعا وانك ان عصيتني لاطيعنك . فسلم أبو عبيدة الامارة لعمرو بن العاص

وأخرج ابن عساكر عن أبي البخترى قال قال عمر لابي عبيدة (أى يوم انتخاب خليفة لرسول الله) هلم أبايعك فاني سمعت رسول الله يقول انك أمين هذه الأمة . فقال أبو عبيدة كيف أصلي بين يدى رجل أمره رسول الله أن يؤمنا حتى قبض يعني

ابا بكر الصديق

واخرج ابن عساكر عن جابر قال : كنت في الجيش الذى مع خالد بن الوليد أمد بهم أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر أهل دمشق . قال أبو عبيدة صل بالناس فأنت احق اتيتني تمدني . قال ما كنت لأصلي قدام رجل سمعت النبي يقول لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح

وروى ابن عساكر عن ابي الحسن عمران ان ابا عبيده بن الجراح كان يسير في العسكر فيقول :

ألا رب مبيض ثيابه ، مسودلدينه . ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين . ادرأوا السيئات القديمات ، بالحسنات الحديثات. فلو ان احدكم عمل من السيئات مابينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها

ولما اشتد فتك الطاعون في الشام خاف عمر علي ابي عبيدة فاستدعاه اليه فكتب اليه ابوعبيدة:

« اني في جند من المسلمين لن ارغب بنفسي عنهم ، واني قد علمت حاجة امير المؤمنين التي عرضت لك ، وانك تستبقي من ليس بباق فاذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمتك وأذن لي في الجلوس

انتشر الطاعون بالشام وكان أبوعبيدة مع ستة وثلاثين الفاً من المسلمين فلم يبق منهم الا ستة آلاف رجل ومات كثير من أقطابهم منهم ابو عبيدة ومعاذ بن جبل و يزيد بن ابي سفيان . وقد اختلف في مكان وفاة ابي عبيدة فمن قائل انه في بيسان ومن قائل انه في عمواس ومن قائل انه في الاردن

جاء في اسد الغابة عن عروة بن رويم ان ابا عبيدة انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه اجله بفحل فتوفي بها

وزاد ابن عساكر علي هذا قوله انه اوصي قبل وفاته بقوله :

« اقرأوا امير المؤمنين السلام وأعلموه انه لم يبق من اماناتي شيء الا وقد قمت به وأديته اليه ، الا ابنة خارجة نكحت في يوم بقي من عدتها لم أكن قضيت فيها بحكومة . وقد كان بعث الي بمائة دينار فردوها اليه »

فقال بعض الحاضرين : ان في قومك حاجة ومسكنة فقال ابو عبيدة :

« ردوها اليه وادفنوني من غربي

نهر الاردن في الارض المقدسة . ثم قال ادفنوني حيث قضيت فاني اتخوف أن يكون سنة »

وعن سعيد المقبري قال : لما طعن ابو عبيدة بن الجراح بالاردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين فقال :

« اني موصيكم بوصية ان قبلتموها لم تزالوا بخير اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان وتصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لامرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا . فان امرأ لو عمر الف حول ما كان له بد من أن يصير الي مصرعي هذا الذى ترون. الله كتب الموت علي بني آدم فهم ميتون . واكيسهم أطوعهم له واعملهم ليوم معاده والسلام عليكم ورحمة الله

يامعاذ ابن جبل صل بالناس »

ومات .

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال:

« ياأيها الناس توبوا الي الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فان عبدا لا يلقي الله تائبا من ذنبه الا كان حقا علي الله ان يغفر له ، من كان عليه دين فليقضه فان العبد مرتبط بدينه . ومن أصبح منكم مهاجرا أخاه فليلقه فليصالحه ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث . والدين العظيم انكم أيها المسلمون لتفجعنم برجل ماأزعم أني رأيت عبدا أبر صدرا ولا ابعد من الغائلة ولا أشد حبا للعامة ولا أنصح للعامة منه . فترحموا عليه يرحمه الله واحضروا الصلاة عليه »

كانت وفاته رضي الله عنه سنة (١٨)

﴿ أبو عبيدة الهروى ﴾ هو أحمد بن محمد القاشاني كان من أكابر العلماء صاحب كتاب الغريبين فسر فيه غريب القرآن وغريب الحديث . توفي سنة (٤٠١) ه

والهروى نسبة الى هراة وهي مدينة بخراسان والقاشاني نسبة الي قاشان وهي قرية بهراة

﴿ عبد الله بن انيس ﴾ الانصارى الجهني كان من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم . توفي سنة (٥٤) ه

﴿ عبيد الله بن محمد ﴾ كان يقال له ابن عائشة من كبار العلماء توفي سنة (٢٨٨) ه

﴿ عبيد الله الزاركشي ﴾ صاحب تاريخ دولة الموحدين ودولة الحفصيين في تونس كان عائشاً حوال القرن التاسع

المجرى

﴿ ابو عبيدة النحوى ﴾ هو ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، تيم قريش البصرى النحوى

قال الجاحظ في حقه لم يكن في الارض خارجي ولا اجماعي أعلم بجميع العلوم منه

وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف : كان شمار الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وايامها . وكان مع معرفته لم يقم البيت اذا أنشده حتى يكسره . وكان يخطيء اذا قرأ القرآن الكريم نظرا .وكان يبغض العرب والف في مثالبها كتباوكان يرى رأى الخوارج

استقدمه هرون الرشيد من البصرة الي بغداد سنة (١٨٨) وقرأ عليه بها أشياء من كتبه ، وأسند الحديث الي هشام بن عروة وغيره . وروى عنه علي بن المغيرة الاثرم وابو عبيد القاسم بن سلام المقدم ذكره وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني وعمر بن شبة النميرى وغيرهم

قال ابو عبيدة أرسل الي الفضل بن الربيع الي البصرة في الخروج اليه فقدمت عليه وكنت أخبر بخبره فاذن لي فدخلت عليه وهو في مجلس طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقي عليها الا بكرسي وهو جالس علي الفرش فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك الى واستدناني حتى جلست معه علي فراشه، ثم سألني وبسطني وتلطف بي وقال أنشدني فأنشدته من عيون الاشعار التى احفظها جاهلية، فقال لي لقد عرفت أكثر هذا واريد من ملح الشعر فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطا

ثم دخل رجل في زى الكتاب وله هيئة حسنة فأجلسه الي جانبي وقال اتعرف هذا ؟ قال لا . قال هذا ابو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه . فدعا له الرجل وقرضه لفعله هذا . ثم التفت الى وقال كنت اليك مشتاقا ، وقد سألت عن مسألة افتأذن لى ان اعرفك قلت هات . فقال قال الله تعالي :« طلعها كأنه رؤس الشياطين » وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف. قال فقلت انما كلم الله العرب علي قدر كلامهم اما سمعت قول امرىء القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به

فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وازمعت عند ذلك اليوم ان اضع كتابافي القرآن لمثل هذا واشباهه، ولمايحتاج اليه من علمه. ولمارجعت الى البصرة عملت كتابي الذى سميته المجاز وسألت عن الرجل فقيل لي هو من كتاب الوزير وجلسائه

وقال ابو عثمان المازني سمعت أباعبيدة يقول : دخلت علي هرون الرشيد فقال لي يامعمر بلغنى ان عندك كتابا حسنا في صفة الخيل احب ان اسمعه منك. فقال الاصمعي وما تصنع بالكتب يحضر فرس. فأحضر فقام الاصمعي فجعل يضع يده علي عضو عضو منه ويقول هذا كذا ، قال فيه الشاعر كذا ، حتى اقضي قوله

فقال لي الرشيد ماتقول فيما قال ؟ فقلت اصاب في بعض واخطأ في بعض ، والذى اصاب فيه منى تعلمه ، والذى اخطأ فيه ما ادرى من اين اتي به

وبلغ ابا عبيدة ان الاصمعي يعيب عليه كتاب المجاز فقال يتكلم في كتاب الله تعالى برأيه فسأل عن مجلس الاصمعي في اى يوم هو فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقته فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ، ثم قال له: ياباسعيد ماتقول في الخبز أى شيء هو ؟ فقال الذى نخبزه ونأكله . فقال أبو عبيدة : قد فسرت كتاب الله تعالي برأيك فان الله تعالي قال : وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا » فقال الاصمعي : هذا شيء بان لي فقلته ولم افسره برأيي . فقال ابو عبيدة ان الذى تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا . وقام وركب حماره وانصرف

وزعم الباهلي صاحب كتاب المعاني ان طلبة العلم كانوا اذا اتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدرر . واذا اتوا مجلس ابي عبيدة اشتروا الدرر في سوق البعر لأن الاصمعي كان حسن الانشاد والزخرفة لرديء الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح ، وان الفائدة مع ذلك عنده قليلة. وان ابا عبيدة كان معه سوء عبارة مع فوائد كثيرة وعلوم جمة

تقول في هذا القول تحامل علي الأصمعي فقد دل تاريخ الادب في جملته

وتفصيله علي ان الرجل كان قطبا من اقطاب العربية ناهيك انه اشهر رواة الأخبار لايجهل اسمه احد (انظر ترجمته)

لم يكن ابو عبيدة يفسر الشعر. وقال المبرد : كان ابو زيد الانصارى اعلم من الاصمعي وابي عبيدة بالنحو ، وكانا بعده يتقاربان ، وكان ابو عبيدة اكمل القوم

وكان علي بن المدني يحسن ذكر ابي عبيدة ويصحح روايته وقال كان لا يحكي عن العرب الا الشيء الصحيح

وحمل ابو عبيدة والاصمعي الى هرون الرشيد للمجالسة فاختار الاصمعي لأنه كان أصلح للمنادمة

وكان ابو نواس يتعلم من ابي عبيدة ويصفه ويسب الاصمعي ويهجوه ، فقيل له ما تقول في الأصمعي قال بلبل في قفص . فقيل له ماتقول في خلف الاحمر ، فقال جمع علوم الناس وفهمها . قيل فما تقول في ابي عبيدة ، فقال ذاك اديم طوى علي علم

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي النديم يخاطب الفضل بن الربيع يمدح ابا عبيدة و يذم الاصمعي لقوله :

عليك أبا عبيدة فاصطنعه
فان العلم عند أبي عبيدة
وقدمه وآثره عليه
ودع عنك القريد بن القريدة

قيل كان أبو عبيدة ان انشد بيتا لايقيم وزنه. واذا تحدث أو قرأ لحن اعتماداً منه لذلك ، ويقول النحو محدود

قال ابو عبيدة لما قدمت علي الفضل ابن الربيع قال لى من اشعر الناس ؟ قلت الراعي. قال وكيف فضلته علي غيره ؟ قلت لأنه ورد علي سعيد بن عبد الرحمن الاموى فوصله في يومه الذى لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه :

وأنضاء تحن الي سعيد
طروقا ثم عجلن ابتكارا
حمدن مناخه وأصبن منه
عطاء لم يكن عدة ضمارا

فقال الفضل فما احسن ما اقتضيتنا يا ابا عبيدة ثم غدا الي هرون الرشيد فأخرج لى صلة وامرلي بشيء من ماله وصرفني

وكان ابو عبيدة معمر من موالي بنى عبد الله بن معمر التيمي

كان ابو عبيدة تجباهاً لم يكن بالبصرة

أحداً الا وهو يداجيه ويتقيه علي عرضه. قال له بعض الاجلاء : تقع في الناس فمن أبوك ؟ فقال أخبرني ابي عن ابيه انه كان يهوديا من أهل باجوران . فمضي الرجل وتركه

خرج ابو عبيدة الي بلاد فارس قاصداً موسي بن عبد الرحمن الهلالي فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من ابي عبيدة فان كلامه كله دق . ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان علي ذيله مرقة. فقال له موسي قد أصاب ثوبك مرق وأنا اعطيك عوضه عشر ثياب . فقال ابو عبيدة لا عليك فان مرقك لايؤذى . أى مافيه دهن ففطن لها موسي وسكت

وكان الاصمعي اذا اراد الدخول الي المسجد قال انظروا لايكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفاً من لسانه . فلما مات لم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لاشريف ولا وضيع .

وكان ابو عبيدة وسخاً الثغ يميل الي مذهب الخوارج

قال ابو حاتم السجستاني كان ابو عبيدة يكرمنى علي انى من خوارج سجستان

وقال الثورى دخلت المسجد علي ابي عبيدة وهو ينكث الارض جالساً وحده فقال لي من القائل :

اقول لها وقد جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي

فقلت له قطرى بن الفجاءة (وهو من زعماء الخوارج) فقال فض الله فاك هلا قلت هو لأمير المؤمنين ابي نعامة (هي كنية قطرى بن الفجاءة) ثم قال اجلس واكتم علي ماسمعت منى . قال فما ذكرته حتى مات

قال ابن خلكان الذى ننقل منه هذه الترجمة : ان هذه الحكاية فيها نظر لأن هذا البيت من جملة أبيات لعروة ابن الاطنابة الانصارى الخزرجي واطنابة امه واسم ابيه زيد بن مناة لايكاد يخالف فيه أحد من أهل الأدب فانها أبيات مشهورة للشاعر المذكور

وذكر المبرد في كتاب الكامل أن معاوية بن ابي سفيان الاموى قال اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر آدابكم ، فان فيه مآثر اسلافكم ، ومواضع ارشادكم . فلقد رأيتنى يوم الهزيمة وقد عزمت علي الفرار فما ردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري

ابت لي عفتي وابي بلائي
واخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي علي المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات
واحمي بعد عن عرض صريح

قل الزمخشري في كتاب ربيع الابرار في باب الاسماء والكنى والالقاب: سأل رجل أبا عبيدة عن اسم رجل فما عرفه . فقال كيسان أنا اعرف الناس به هو خداش أو خراش أو رياش أو شيء آخر . فقال ابو عبيدة ماأحسن ماعرفته . فقال اى والله وهو قرشي ايضاً . قال فما يدريك ؟ قل او ماترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب ؟ واخبار ابي عبيدة كثيرة

(مؤلفات ابي عبيدة) لابي عبيدة نحو مائتي مصنف فمنها كتاب مجاز القرآن . وكتاب غريب القرآن ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب غريب الحديث ، والديباج والتاج ، والحدود ، وخراسان ، وخوارج البحرين واليمامة ، والموالي ، والبله ، والضيفان . ومرج راهط . والمنافرات . والقبائل . وخبر البراض والقرائن . والبازى . والحلم . والحيات . والعقارب . والنواكح . والنواشز . وحضر الخيل . والاعيان . وبيان باهلة . وايادى الازد . والخيل . والابل . والانسان . والزرع . والرحل . والدلو . والبكرة . والسرج . واللجام . والفرس . والسيف والشوارد . والاحتلام . ومقاتل الفرسان . ومقاتل الاشراف . والشعر والشعراء . وفعل وافعل . والمثالب . وخلق الانسان . والفرق . والخف . ومكة والحرم . والجمل وصفين . وبيوت العرب . واللغات . والغارات . والمماتنات . والملاومات والاضداد . ومآثر العرب . ومآثر غطفان . وادعية العرب . ومقتل عثمان . واسماء الخيل . والعفة . وقضاة البصرة . وفتوح الاهواز . وفتوح ارمينية . ولصوص العرب . واخبار الحجاج . وقصة الكعبة . والحمس من قريش . وفضائل الفرس ، ومالحن فيه العامة ، والسواد وفتحه ، ومن شكر من العمال وحمد ، والجمع والتثنية ، والاوس والخزرج ، وكتاب محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وكتاب الايام الصغير خمسة وسبعون

يوماً ، وكتاب الايام الكبير الف ومائتا يوم ، وأيام بني مازن وأخبارهم ، وغير ذلك من الكتب النافعة مما يطول ذكره

ولد أبو عبيدة في سنة (١١٠) وقيل (١١١) وقيل (١١٤) وقيل (١٠٨) وقيل (١٠٩) هـ. والاول أصح ، وتوفي سنة (٢٠٩) وقيل (٢١١) وقيل (٢١٠) وقيل (٢١٣) هـ

وكان سبب موته ان محمد بن القاسم ابن سهل النوشجاني أطعمه موزا فدخل عليه ابو العتاهية فأعطاه موزاً فقال ياأبا جعفر قتلت ابا عبيدة بالموز وتريد ان تقتلني به ؟ لقد استحليت قتل العلماء

كان اصل أبو عبيدة معمر بن المثنى من باجروان من بلاد بلخ من أعمال الرقة واسم لمدينة بنواحي أرمينية من اعمال مروان وابو عبيدة من هذه المدينة

﴿ عبد المؤمن ﴾ هو ابو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب

كان والده وسطا في قومه وكان يصنع الآنية من الطين فيبيعها وكان وقورا عاقلا يحكي ان ابنه عبد المؤمن كان نائما في صباه تجاهه وهو يشتغل في عمله بالطين اذ سمع دويا في السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة علي الدار فنزلت كلها مجتمعة علي عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها فرأته امه علي تلك الحال فصاحت خوفا علي ولدها فسكتها ابوه . فقالت اخاف عليه . فقال لابأس عليه بل اني متعجب مما يدل عليه ذلك . ثم أنه غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر مايكون من أمر النحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي وما به من ألم فتفقدت امه جسده فلم تر به اثرا ، ولم يشك اليها ألما . وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر ، فمضي ابوه اليه فأخبره بما رآه من النحل مع ولده . فقال الزاجر يوشك أن يكون له شأن يجتمع علي طاعته اهل المغرب فكان من امره ماشتراه

وقيل ان محمد بن تومرت المعروف بالمهدى كان قد ظفر بكتاب في الجفر وفيه مايكون علي يد عبد المؤمن من جلائل الاعمال وقد ورد في ذلك الجفر قصته وحليته واسمه . فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده فصحبه وهو اذ ذاك غلام فكان يكرمه و يقدمه علي اصحابه

وافضي اليه بسره ، وانتهي به الي مراكش وصاحبها يومئذ ابو الحسن بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وجرى له معه مايطول بسطه واخرجه منها فتوجه الى الجبال لحشد الجيوش واستمال الناس ولكنه لم يملك شيئا من البلاد فاستخدم عبد المؤمن هذه الجيوش بعد موت بن تومرت علي الترتيب الذى رتبه

وكان ابن تومرت اذا رأى عبد المؤمن تفرس فيه النجابة وأنشد :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها

فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة والكف مانحة

والنفس واسعة والوجه منبسط

وهذان البيتان لابي الشيص الخزاعي الشاعر المشهور . وكان ابن تومرت يقول لاصحابه ، احبكم هذا غلاب الدول . ولم يصح عنه انه استخلفه ، بل راعي اصحابه في تقديمه اشارته فتم له الامر وكمل

أول ماأخذ عبد المؤمن من بلاد المغرب وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة وانتقل بعد ذلك الي مراكش وحاصرها أحد عشر شهرا ثم ملكها ، وكان أخذه لها في سنة (٥٤٢) واستوثق له الأمر وامتد ملكه الى المغرب الأقصي والادني وبلاد افريقية وكثير من بلاد الاندلس ، وتسمي امير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح

ذكر العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي لما انشده :

ماهزعطفيه بين البيض والاسل

مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

اشار اليه بأن يقتصر علي هذا البيت وامر له بألف دينار

ولما استتب له الامر وصفا له الحال خرج من مراكش الي مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد توفي منه سنة (٥٥٨) وكانت مدة ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة واشهراً

كان عند وفاته شيخاً نقي البياض معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية خشن الكفين طويل القعدة واضح بياض الاسنان ، بخده الأيمن خال قيل ان ولادته كانت سنة (٥٠٠) وقيل (٤٩٠)

عهد الي ولده ابي عبد الله محمد فاضطرب له الامر وخلع من سنة ولايته وبايعوا اخاه يوسف بن عبد المؤمن

قلت ان ابن تومرت وجد كتابا من الجفر وهو علي ما يعلم كتاب فيه ذكر الحوادث المستقبلة ينسب تأليفه لبعض مشهورى العلماء والائمة . ذكره ابن قتيبة في أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام طويل :

واعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذى ذكره سعد بن هرون العجلي وكان رأس الزيدية ثم قال :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا

فكلهم في جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا امام ومنهم

طوائف سمته النبي المطهرا

ومن عجب لم اقضه جلد جفرهم

برئت الي الرحمن ممن تجفرا

والأبيات أكثر من هذا ذكرها ابن قتيبة كلها ثم قال وهو جلد جفر ادعوا انه كتب لهم فيه الامام كل ما يحتاجون اليه وكل ما يكون الي يوم القيامة والله اعلم

قولهم الامام يريد به جعفر الصادق عليه السلام والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله من أبيات :

لقد عجبوا لأهل البيت لما

أتاهم علمهم في مسك جفر

ومرآة المنجم وهي صغرى

أرته كل عامرة وقفر

المسك الجلد . والجفر مابلغ أربعة اشهر من اولاد المعز وجفر جنباه وفصل عن امه والانثى جفرة . وكانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في الجلود والعظام والخزف وما أشبه ذلك

﴿ العبادلة ﴾ هم ثلاثة رجال من وجوه الصدر الأول في الاسلام وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عباس

﴿ ابن عباد ﴾ هو المعتمد علي الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي اشبيلية بن ابي الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو ابن عطاف بن نعيم اللخمي من ولد النعمان ابن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة

كان المعتمد بن عباد المذكور ملك

قرطبة واشبيليـة وما والاهمـا من بلاد الاندلس وفيـه وفي ابيـه يقول بعض الشعراء :

من بني المنذرين وهو انتساب
زاد في فخرهم بنو عبـاد
فتيـة لم تلد سواها المعالي
والمعالي قليلة الاولاد

كان بدء أمرهم في بلاد الاندلس أن نعيا وابنه عطافا أول من دخل اليهـا من بلاد المشرق وهما من اهل العريش القرية القديمة الفاصلة بين الشـام ومصر وأقاما بها مستوطنين بقرية بقرب تومين من اقليم طشانةمن أرض اشبيلية .وامتد لعطاف عمود النسب من الولد الى الظافر محمد بن اسماعيل القاضي فهو اول من نبغ منهم في تلك البلاد . وتقدم باشبيلية الي أن ولي القضاء بهافأحسن الحكم والسياسة وتحبب الي الناس فرمقته القلوب وكبر في العيون

وكان يحيي بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمستعلي صاحب قرطبـة سيء السيرة فتوجه الي اشبيلية محاصراً لها فلما نزل عليها اجتمع رؤساء اشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمد المذكور وطلبوا اليه ان يملكوه عليهم فلبى طلبهم ووثبوا علي يحيي فركب اليهم وهو سكران فقتل وتم الامر للقاضي محمد . ثم ملك بعد ذلك قرطبـة وغيرها من البلاد

ثم قيل للقاضي محمد المذكور بعـد استيلائه علي البلاد ان هشام بن الحكم من اولاد خلفاء بني امية في مسجد بقلعة رياح فأرسل اليـه من احضره وفوض الامر اليه وجعل نفسـه كالوزير له . وفي هذه الحادثة يقول الحافظ ابو محمد بن حزم الظاهري في كتاب نقط العروس

اخلوقة لم يقع في الدهر مثلهـا فانه ظهر رجل يقال له خلف العصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعي انه هشام فبويع وخطب له علي جميع منابر الاندلس في اوقات شتى وسفك الدماء وتصـادمت الجيوش في أمره . وأقام المدعي انه هشام نيفاً وعشرين سنة والقاضي محمد بن اسماعيل في رتبة الوزير بين يديه والامر اليه ولم يزل الامر كذلك الى ان توفي المـدعو هشاما فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده . وكان من اهل العلم والادب والمعرفة التامة بتدبير الدول . ولم يزل ملكا مستقلا الي

أن توفي في ليلة الاحد لليـلة بقيت من جمادى الاولي سنة سنة (٤٣٣) وقيل انه عاش قريب الخمسـين واربعمائة ودفن بقصر اشبيلية

واختلفوا في مبـدأ استيلائه فقيـل سنـة (٤١٤) وهـو الذى ذكره العماد الكاتب في الخريدة وقيل سنة (٤٢٤)

لما مات محمد القاضي قام بعده بالملك ولده المعتضد بالله ابو عمرو عباد

قال في حقه ابو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة :

ثم أفضي الامر الى عبادسنة(٤٣٣) وتسـمي أولا بفخر الدولة ثم بالمعتضـد . قطب رحي الفتنة ، ومنتهي غاية المحنة ، ناهيك من رجـل لم يثبت له قائم ولا حصيد ، ولا سلم منه قريب ولا بعيد ، جبار ابرم الامر وهو متناقض ، وأسـد فرس الطلا وهو رابض ، متهور تتحاماه الدهاة ، وجبان لاتأمنه الكماة ، متعسف اهتدى ، ومنبت قطع فما أبقى ، ثاروالناس حرب وضبط شأنه بين قائم وقاعد حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديده وعدده ، وكان قد أوتي أيضاً من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخامة الهيئة وسباطة البيـان وتقوب الذهن وحضور الخاطر وصدق الحدس مافاق علي نظرائه ، ونظر مع ذلك في الادب قبل ميـل الهوى به الى طلب السـلطان أدني نظر بذكي طبع حصل منه لتقوب ذهنه علي قطعة وافرة علقها من غير تعمد لها ، ولا امعان النظر في غمارها ، ولا اكثار من مطالعتهـا ، ولا منافسة في اقتنـاء صحائفها ، اعطته سجيته علي ذلك ماشاء من تحبير الكلام ، وقرض قطع من الشعر ذات طـلاوة في معان أمـدته فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الارادة ، واكتتبها الادباء للبراعة . جمع هذه الخلال الظاهرة الى جود كف بارى السـحاب بها ، وأخبار المعتضد في جميع أفعاله ، وضروب أنحائه غريبـة بديعة ، وكان اذا كلف بالنساء فاستوسع في اتخاذهن ، وخلط في اجناسهن ، فانتهي في ذلك الي مدى لم يبلغه أحد من نظرائه ، فتشانسله لتوسعه في النكاح ، وقوته عليه ، فذكر انه كان له من الولد نحو العشرين ذكراً ومن الاناث مثلهم

ثم أورد له ابن بسام عـدة مقاطيع منها قوله :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله
بماء صباح والنسيم رقيق
معتقة كالتبر أما بخارها
فضخم وأما جسمها فدقيق

ولولده المعتمد فيه من جملة أبيات :

سيبدع يهب الآلاف مبتدئاً
و يستقل عطاياه و يعتذر
له يد كل جبار يقبلها
لولا نداها لقلنا انه الحجر

ولم يزل في عز سلطانه ، واغتنام مساره حتى اصابته علة الذبحة ، ولما أحس بقرب يومه استدعي مغنياً يغنيه ليجعل أول ما يبدأ به فالا . فأول ماغناه كان:

نطوى الليالي علما ان ستطوينا
فشعشعها بماء المزن واسقينا

فتطير من ذلك ولم يعش سوى خمسة أيام ، توفي سنة (٤٦١)

قم بالملك بعده ابنه المعتمد بن عباد الذي نحن بسبيل الترجمة له

قال ابو الحسن علي بن القطاع السعدى في كتاب لمح الملح في حق المعتمد بن عباد المذكور

« انه اندى ملوك الاندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، واعظمهم عمادا ، وأرفعهم عماداً ، ولذلك كانت حضرته ملقي الرحال ، وموسم الشعراء ، وقبلة الآمال ، ومألف الفضلاء ، حتى أنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه »

وقال ابن بسام في كتابه الذخيرة :

كان للمعتمد بن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعة ، واتخذه بضاعة ، لكان رائقاً معجباً ، ونادراً مستغرباً ، فمن ذلك قوله :

أكثرت هجرك غير انك ربما
عطفتك أحياناً علي أمور
فكأنما زمن التهاجر بيننا
ليل وساعات الوصال بدور

وعزم المعتمد علي ارسال حظاياه من قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من أول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وأنشد أبياتاً من جملتها:

سايرتهم والليل أغفل ثوبه
حتى تبدى للنواظر معلما
فوقفت ثم مودعا وتسلمت
مني يد الاصباح تلك الانجما

وله في وداعهن أيضا :

ولما وقفنا للوداع غدية
وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتى كأن عيوننا
بجرى الدموع الحمر منها جراحات

ومن شعره ايضا :

لولا عيون من الواشين ترمقني
وما أحاذره من قول حراس
لزرتكم لا أكافيكم بجفوتكم
مشيا علي الوجه أو سعيا علي الراس

وكتب الي ندمائه من قصره بقرطبة وقد اصطبحوا بالزهراء يدعوهم الي الاغتباق عنده :

حسد القصر فيكم الزهراء
ولعمرى وعمركم ماأساء
قد طلعتم بها شموسا نهارا
فاطلعوا عندنا بدورا مساء

والزهراء سراى من أعجب ماصنع الصانعون انشأها ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بنى أمية بالأندلس بالقرب من قرطبة في سنة (٣٢٥) طولها من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الي الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى بها أربعة آلاف سارية وعدد ابوابها الخارجية يزيد علي خمسة عشر بابا . وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه علي عمارة الزهراء . وكانت جباية الأندلس يومئذ خمسة آلاف الف دينار (خمسة ملايين) وأربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستون الف دينار

وكان أبو بكر محمد بن عيسي بن محمد اللخمي الداني الشاعر المشهور مائلا الي بنى عباد بطبعه اذ كان المعتمد الذى جذب بضبعه وله فيه المدائح الانيقة فمن ذلك قصيدة يمدحه بها ويذكر أولاده الاربعة وهم الرشيد عبيد الله والراضي يزيد والمأمون والمؤتمن ومن جملتها قوله :

يغنيك في محل يمينك فيردى
بروعك في درع بروقك في برد
جمال واجمال وسبق وصولة
كشمس الضحي كالمزن كالبرق كالرعد
بهمته شاد العلا ثم زادها
بناء بأبناء جحاجحة لد
بأربعة مثل الطباع تراكبوا
لتعديل جسم المجد والشرف العد

قوى امر اللاذفونش قره كند ملك الفرنج في مدة ابن عباد وكانت الاندلس قد اقتسمت الي عدة ممالك عليها ملوك من المسلمين سموا ملوك الطوائف انصدعت منهم وحدة المملكة وتفرقت كلمتها وضعف أمرها علي عدوها . فكان هؤلاء الملوك يؤدون للاذفونش الفرنجي ضريبة سنوية ثم انه أخذ طليطلة سنة (٤٨٧) بعد حصار شديد وكان ملكها القادر بالله ابن ذى النون . وفي اخذها يقول ابو محمد عبد الله بن فرج بن عزنون اليحصبي و يعرف بابن العسال الطليطلي :

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس
فما المقام بها الا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منثوراً من الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه
كيف الحياة مع الحيات في سفط

وكان المعتمد بن عباد صاحب هذه الترجمة أكبر ملوك الطوائف وأكثرها بلاداً وجيوشا ومع ذلك كان يؤدى للاذفونش الضريبة كغيره . فلما ملك الاذفونش طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعاً في اخذ بلاده وارسل اليه يتهدده و يأمره ان ينزل عن الحصون التى بيده ويكون له السهل فضرب المعتمد الرسول وقتل من كانوا معه. فبلغ الخبر الاذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع الى طليطلة لاخذ آلات الحصار فلما سمع مشائخ الاسلام وفقهاؤها بذلك اجتمعوا وقالوا ان ملوك الاندلس مشتغل بعضهم بمقاتلة بعض وان استمرت الحال علي ماهي عليه أفضت الي ضياع البقية الباقية في أيدى المسلمين فجاؤا الي القاضي عبد الله بن محمد ابن ادهم وفاوضوه فيما نزل بالمسلمين وتشاوروا فيما يفعلونه فرأى كل منهم رأيا ثم أجمعوا أمرهم علي أن يكتبوا الي أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجدونه علي الافرنج فاجتمع القاضي بالمعتمد بن عباد وأخبره بما جرى فوافقه عليه وقال له تمضي اليه بنفسك فامتنع فألزمه بذلك فقال استخير الله سبحانه وخرج من عنده وكتب في الوقت كتابا الي يوسف بن تاشفين يخبره بصورة الحال وسيره اليه مع بعض عبيده. فلما وصله خرج مسرعاً الي مدينة سبتة لتلقائه واعلامه بحال المسلمين . فأمر بعبور عسكره الي الجزيرة الخضراء وهي مدينة بالاندلس وأقام

بسبتة من مراكش وارسل الي مراكش يستدعي من تخلف بها من جيشه فلما تكاملوا عنده امرهم بالعبور وعبر آخرهم وهو في عشرة آلاف مقاتل واجتمع بالمعتمد وقد جمع ايضا جنوده وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلبا للجهاد وبلغ الاذفونش الخبر وهو بطليطلة فخرج في اربعين الف فارس غير من انضم اليه وكتب الاذفونش الي الامير يوسف كتابا يتهدده وأطال الكتاب فكتب يوسف الجواب في ظهره : الذى يكون ستراه . ورده اليه. فلما وقف عليه ارتاع لذلك وقال هذا رجل عازم ، ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة وتصافا فحدث قتال عنيف انتصر فيه العرب وهرب الاذفونش بعد استئصال جنوده فلم يسلم معه منهم الا نفر يسير وكان ذلك سنة (٤٧٩)

أما المعتمد بن عباد فأبلي في ذلك اليوم بلاء حسناً وأصابته عدة جراحات في وجهه و بدنه وشهد له بالشجاعة

ورجع الامير يوسف بن تاشفين الي بلاده والمعتمد الي بلاده

ثم أن الامير يوسف عاد الي الاندلس في العام الثاني وخرج اليه المعتمد وحاصر بعض حصون الافرنج فلم يقدر عليه فرحل عنه وعبر الى غرناطة فخرج اليه صاحبها عبد الله بن بلكين ثم دخل البلد وأخرج عبد الله ودخل قصره فوجد فيه من الاموال والذخائر مالا يحد . ثم رجع الي مراكش وقد أعجبه حسن بلاد الاندلس وما بها من القصور والبساتين ، وجعل خواصه يعظمون عنده الاندلس ويحسنون له أخذها و يوغرون صدره علي المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده فلما انتهي الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها سير بن بن ابي بكر الاندلسي فوصل الي اشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة . وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامیه علي الموت بنفسه مالم يسمع بمثله ، واستولي علي الناس في البلد الفزع فصاروا يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة و يترامون من شرفات الاسوار فلما كان سنة (٤٨٤) هاجم جنود يوسف ابن تاشفين البلد ولم يتركوا لاحد شيئاً وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم وقبض علي المعتمد وأهله ، وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك أحدهما المأمون وكان ينوب عن والده في قرطبة

لحصروه بها الي أن أخذوه وقتلوه والثاني الراضي كان أيضاً نائباً عنه في رندة وهي من الحصون المنيعة فنازلوها وأخذوها وقتلوا الراضي ولابيهما المعتمد فيهما مراث عديدة

لما أسر المعتمد بن عباد قيدوه من ساعته وجعل مع أهله في سفينة واحتشد الناس بضفتي الوادي يبكونهم وفي ذلك يقول ابو بكر محمد بن عيسى اسماعيل الداني المعروف بابن اللبانة :

تبكي السماء بدمع رائح غادى
علي البهاليل من أبناء عباد

ومنها :

ياضيف اقفر بيت المكرمات
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهي قصيدة طويلة مؤثرة وفي هذه الحادثة يقول أيضاً ابو محمد عبد الجبار ابن حمديس الصقلي :

ولما رحلتم بالندى في اكفكم
وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت
فهذى الجبال الراسيات تسير

تقول ماأهلك المسلمين الا هذه الخصال من التحاسد والتناهب بحسد أمير أمير علي ما بيده فبدل ان يسير سيره في عمارية البلاد ، واصلاح حال العباد ، يغير عليه كما يفعل اللصوص لا لينتصر حزبا اصلاحياً ، ولا ليؤيد أصلا دينيا ، ولكن ليتمتع دونه بالرياض والقصور ، والمآكل والحور ، وهذا في الوقت الذى كان فيه اعداؤهم يتربصون بهم المقاتل ويتحينون لاهلاكهم الفرص ، فبئس أولئك الملوك و بئست المذاهب

حمل ملك الاندلس المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين فأمر بارساله الي اغمات واعتقله بها حتى مات قال الوزير الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان : ولما أجلي عن بلاده ، وأعرى عن طارفه وتلاده ، وحمل في السفين ، وأحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره وأعواده ، بقي آسفا تتصعد زفراته ، وتطرد اطراد المذانب عبراته لايخلو بؤانس ، ولا يرى الا غريبا بدلا عن تلك المكانس ، ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم يروجه سره مجلوا تذكر منازله فشاقته ، وتصور بهجتها فراقته ، وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من اقماره وخلوه

من حراسه وسماره وفي اعتقاله يقول ابو بكر الداني المذكور في قصيدته المشهورة التي أولها:

لكل شيء من الاشياء ميقات
وللمنى من مناياهن غايات
والدهر في صبغة الحرباء منغمس
ألوان حالاته فيها أستحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده
وربما قمرت بالبيدق الشاة

ثم قال :

انفض يديك من الدنيا وساكنها
فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت
سريرة العالم العلوى أغمات

وله أيضا في حبسه قصيدة عملها باغمات سنة (٤٨٦) ه

تنشق رياحين السلام فانما
اقضي بها مسكا عليك مختما
وقل لي مجازاً ان عدمت حقيقة
لعلك في نعمي وقد كنت منعما
افكر في مصر مضى لك مشرقاً
فيرجع ضوء الصبح عندى مظلما
واعجب من رفق المجرة اذ رأى
كسوفك شمسا كيف اطلع انجما
لقد عظمت فيك الرزية اننا
وجدناك منها في المزية اعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصدت
وسيف أطال الضرب حتى تثلما
بكي آل عباد ولا كمحمد
وابنائه صوب الغمامة اذ همي
حبيب الي قلبي حبيب لقلبه
عسي طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا بهم نحمد السرى
فلما عدمناهم سرينا علي عمي
وكنا رعينا العز حول حماهم
فقد اجدب المرعي وقد اجدب الحمي
وقد ألبست ايدى الليالي محلهم
مناسج سدى الغيث فيها والحما
قصور خلت من ساكنيها فما بها
سوى الادم تمشي حول واقفة الدما
يجيب بها الهام الصدى ولطالما
أجاب القيان الطائر المترنما
كأن لم يكن فيها انيس ولا التقي
بها الوفد جما والخميس عرمرما
حكيت وقد فارقت ملكك مالكا
ومن ولهي احكي عليك متمما
مصاب هوى بالنيرات من العلا
ولم يبق في أرض المكارم معلما

انا ادرى بفضلك منك اني
لبست الظل منه في الحرور

ومنها قوله :

تصرف في الندى خيل المعالي
فتسمح من قليل بالكثير
وأعجب منك انك في ظلام
وترفع للعفاة منار نور
رويدك سوف توسعني سرورا
اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلى رتب المعالي
غداة تحل في تلك القصور
تزيد عن ابن مروان عطاء
بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع
فليس الخسف ملتزم البدور

ودخل يوماً عليه بناته السجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالاجرة في اغمات حتى ان احداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة التي كان في خدمة ابيها وهو في سلطانه فرآهن في اطمار رثة وحالة سيئة فصدعن قلبه وانشد :

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا
فساءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة
يغزلن للناس لا يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
ابصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والاقدام حافية
كأنها لم تطأ مسكا و كافورا
لا خد الا ويشكو الجدب ظاهره
وليس الا مع الانفاس ممطورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا
فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به
فانما بات بالاحلام مغرورا

ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده ابو هاشم والقيود قد اثقلته ، والمحنة قد عضته فلما رآه بكي وقال :

قيدي اما تعلمني مسلما
ابيت ان تشفق او ترحما
دمي شراب لك واللحم قد
أكلته لا تهشم الا عظما
يبصرني فيك ابو هاشم
فينثني والقلب قد هشما
ارحم طفيلا طائشا لبه
لم يخش ان يأتيك مسترحما

تضيق علي الأرض حتى كأنما
خلقت وإياها سواراً ومعصما
بكيتك حتى لم يخل لي الاسى
دموعاً بها ابكي عليك ولا دماً
واني علي رسمي مقيم فان امت
سأجعل للباكين رسمي موسما
بكاك الحيا والريح شقت جيوبها
عليك وناح الرعد باسمك معلما
ومزق ثوب البرق واكتسب الضحى
حداداً وقامت انجم الجو مأتما

ومنها قوله :

وحار ابنك الاصباح وجداً فما اهتدى
وغاض اخوك البحر غيضا فاظلما
وما حل بدر التم بعدك دارة
ولا اظهرت شمس الظهيرة مبسما
قضى الله ان حطوك عن ظهر اشقر
اشم وان امطوك اشأم ادهما

وكان قد انفكت عنه القيود فأشار لذلك بقوله :

قيودك ذابت فانطلقت لقد غدت
قيودك منهم بالمكارم ارحما
عجبت لأن لان الحديد وقد قسوا
لقد كان منهم بالسريرة اعلما
سينجيك من نجي من الجب يوسفا
ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

ووفد الداني المذكور علي المعتمد وهو باغمات وفادة وفاء لا وفادة استجداء، وحكي انه لما عزم عن الانفصال عنه بعث اليه المعتمد عشرين ديناراً وشقة بغدادية وكتب معها:

اليك النذر من كف الاسير
فان تقبل تكن عين الشكور
تقبل مايكون له حياء
وان غدرته أحوال الفقير

وهي عدة أبيات قال الداني فرددتها اليه لعلمي بحاله وانه لم يترك عنده شيئاً وكتبت اليه جوابها وهو :

سقطت من الوفاء علي خبير
فذرني والذي لك في ضميري
تركت هواك وهو شقيق نفسي
لئن شقت برودي عن غدور
ولا كنت الطليق من الرزايا
لئن أصبحت اجحف بالاسير
جذيمة أنت والزباء خانت
وما أنا من يقصر عن قصير
اسير ولا اسير الى اغتنام
معاذ الله من سوء المصير

وارحم اخيات له مثله
جرعتهن السم والعلقما
متهن من يفهم شيئا فقد
خفنا عليه للبكا والعمى
والغير لا يفهم شيئا فما
يفتح الا لرضاع فما

وكان قد اجتمع عليه جماعة من الشعراء وهو في تلك الحال وألحوا عليه في السؤال فأنشد :

سألوا اليسير من الاسير وانه
بسؤالهم لأحق منهم فأعجب
لولا الحياء وعزة لخمية
طي الحشا لحكاهمو في المطلب

أشعار المعتمد كثيرة وأشعار الناس فيه أيام دولته ونكبته لا تحصى

توفي المعتمد بن عباد باغمات في سجنه سنة (٤٨٨) ﻫ وله من العمر نحو (٥٨) سنة فنودي في جنازته بالصلاة علي الغريب بعد ما كان له من الدولة والصولة فسبحان المعز المذل . واجتمع عند قبره جماعة من الشعراء الذين كانوا يمدحونه في ايام دولته بالمدائح فيغدق عليهم المنائح فندبوه بقصائد بديعة وأنشدوها عند قبره وبكوا عليه . منهم ابو بكر عبد الصمد شاعره الذى كان مختصا به رثاه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الاحسان أولها :

ملك الملوك أسامع فأنادى
أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما نقلت عن القصور ولم تكن
فيها كما قد كنت في الاعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعا
وجعلت قبرك موضع الانشاد

ولما فرغ من انشادها قبل الثرى ومرغ جسمه وعفر خده فأبكي عليه كل من حضر

ويحكي أن رجلا رأى في منامه اثر الكائنة عليه كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس وأنشد :

رب ركب قد أناخوا عيسهم
في ذرى مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم
ثم أبكاهم دما حين نطق

ورأى ابو بكر الداني حفيد المعتمد ابن عباد وهو غلام وسيم الحيا قد اتخذ الصياغة صناعة وكان يلقب في أيام دولتهم فخر الدولة وهو من الألقاب السلطانية عندهم فنظر اليه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ فقال من جملة قصيدة :

شكاتنا فيك يا فخر العلا عظمت
والرزء يعظم فيمن قدره عظما
طوقت من نائبات الدهر مخنقة
ضاقت عليه وكم طوقتنا النعما
وعاد طوقك في دكان قارعة
من بعد ما كنت في قصر حكي ارما
صرفت في آلة الصواغ انملة
لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها
فتستقل الثريا ان تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له
حليا وكان عليه الحلي منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى
اني رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني عليك به
لو ان عيني تشكو قبل ذاك عمى
ماحطك الدهر لما حط من شرف
ولا تحيف من اخلاقك الكرما
لح في العلا كوكبا ان لم تلح قمرا
وقم بها ربوة ان لم تقم علما
والله لو انصفتك الشهب لانكسفت
ولو وفى لك دمع العين لانسجما
بكي حديثك حتى الدهر حين غدا
يحكيك رهطا والفاظا ومبتسما

هذا ما أردنا ايراده من سيرة المعتمد بن عباد ونكبته وهي من أعجب ما حدث للملوك في ذلك العصر المظلم حين اقتسم المسلمون علي انفسهم وصار ملوكهم وقادتهم أشباه المتلصصين يترصد بعضهم لبعض فمتى لاحت لأحدهم فرصة أغار علي جاره وما زال به حتى يثل عرشه ثم لا يعامله معاملة تليق بمثله بل معاملة البهائم والوحوش فيثقله بالقيود ويمزق شمل اسرته كل ممزق ، ويقتر عليه حتى يضطر هو واهله للتسول . ولا ندرى من أين سرت الي امراء المسلمين هذه الخصلة الشنيعة والاسلام يأمر بالاجتماع وينفر من الفرقة ويوجب الاحسان الي الاسير ومعاملة كل بما هو أهله ؟

◄ ابن عباد ► هو الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن احمد بن ادريس الطالقاني

كان نادرة في فضائله وفواضله ، وآية في كرمه ومكارمه ، أخذ الادب عن ابي الحسين احمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة وعن ابي الفضل ابن العميد وغيرهما

قال ابو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه :

« ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن، وجمعه اشتات المفاخر لان همة قولي تنخفض عن بلوغ ادني فضائله ومعانيه ، وجهد وصفي يقصر عن يسير فواضله ومساعيه »

وقال ابو بكر الخوارزمي في حقه :

« الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها، ودب ودرج من وكرها ، ورضع افاويق درها ، وورثها عن آبائه كما قال ابو سعيد الرستمي في حقه :

ورث الوزارة كابرا عن كابر
موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا
رته واسماعيل عن عباد

وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابا الفضل بن العميد فقيل له صاحب بن العميد ثم اطلق عليه اللقب لما تولى الوزارة و بقي علما عليه

وذكر الصابي في كتاب التاجي انه انما قيل له الصاحب لانه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده . وكان اولا وزير مؤيد الدولة ابي منصور بويه ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي تولي وزارته بعد ابي الفتح علي ابن ابي الفضل ابن العميد المذكور في ترجمة ابيه محمد فلما توفي مؤيد الدولة سنة (٣٧٣) بجرجان استولي علي مملكته اخوه فخر الدولة ابو الحسن علي فاقر الصاحب علي وزارته وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الامر وانشده ابو القاسم الزعفراني يوما أبياتا نونية من جملتها :

أيا من عطاياه تهدى الغنى
الي راحتى من نأى اودنا
كسوت المقيمين والزائرين
كسا لم نخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في
صنوف من الخز الا انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن ابن زائدة الشيباني ان رجلا قال له احملني ايها الامير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية . ثم قال ولو علمت ان الله سبحانه

وتعالي خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه. وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقيص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس . ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لاعطيناكه

اجتمع عند الصاحب من الشعراء مالم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح وكان حسن الاجوبة رفع الضرابون من داء الضرب اليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين . فوقع تحتها هذه العبارة (في حديد بارد)

وكتب بعضهم اليه ورقة أغار فيها علي رسائله وسرق جملة من الفاظه فوقع فيها (هذه بضاعتنا ردت الينا)

وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره، ثم صعد السطح يوما فاطلع عليه فرآه فناداه المحبوس بأعلي صوته (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فقال الصاحب (اخسأوا فيها ولا تكلمون)

صنف في اللغة كتابا سماه المحيط وهو في سبع مجلدات رتبه علي حروف المعجم كثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة علي جزء متوفر . وله أيضا كتاب الكافي في الرسائل، وكتاب الاعيان وفضائل النيروز . وكتاب الامامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب ويثبت امامة من تقدمه . وكتاب الوزراء وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي وكتاب أسماء الله تعالي وصفاته وله رسائل بديعة ونظم جيد منه قوله :

رق الزجاج وراقت الخمر
وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح
وكأنما قدح ولا خمر

وله يرثي كثير بن احمد الوزير وكنيته أبو علي :

يقولون لي أودى كثير بن احمد
وذلك مرزوء علي جليل
فقلت دعوني والعلي نبكه معا
فمثل كثير في الرجال قليل

وحكي أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوى أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب اليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته وتدبير أمر مملكته . فكان من جملة أعذاره اليه انه يحتاج لنقل كتبه خاصة الي أربعمائة جمل فما الظن بما يليق به من التجمل

قيل لم يسعد أحد بعدوفاته كما كان

في حياته غير الصاحب فانه لما توفي أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس علي باب قصره ينتظرون خروج جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور وأولاد سائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشي فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما ورثاه أبو سعيد البرسي بقوله :

ابعد ابن عباس يهش الي السرى
اخو امل او يستماح جواد
أبي الله الا أن يموتا بموته
فما لهما حتى المعاد معاد

وكانت ولادته سنة (٣٢٦) باصطخر وقيل بالطالقان . ووفاته سنة (٣٨٥) بالري ثم نقل الي اصبهان ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزيه

وتوفي والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة (٣٥٤) وكان وزير ركن الدولة ابن بويه وهو والد فخر الدولة وعضد الدولة ممدوح المتنبي

والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين لا من طالقان خراسان

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الاصبهاني رأيت في المنام قائلا يقول لي لم لم ترث الصاحب مع فضلك وشعرك . فقلت ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بما أبدأ منها وقد خفت أن أقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها

فقال أجز ما أقول :
فقلت قل فقال :
ثوى الجود والكافي معا في حفيرة
فقلت :
ليأنس كل منهما بأخيه
فقال :
هما اصطحبا حيين ثم تعانقا
فقلت :
ضجيعين في لحد بباب دزيه
فقال :
اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم
فقلت :
أقاما الي يوم القيامة فيه

﴿ الدولة العبدالية ﴾ هي من الدول الافغانية قامت من سنة ١١٦٠ الي ١٢٠٢ هجرية أي من سنة ١٧٤٧ الي سنة ١٧٨٨ ميلادية

تتألف أفغانستان من عدة قبائل أشهرها قبيلتا الغلجائي والعبدالي فاستمرت

هذه القبائل خاضعة للدولة الصفوية الفارسية

فلما تولي شاه عباس الكبير اساء الحاكم الفارسي السيرة في بلاد الافغان فذهب أحد أمراء العبدالية واسمه سدو الي اصفهان ليشكو هذه الحال الي شاه عباس ويعده بالطاعة لكل حاكم عادل يرسله فيهم فسر منه شاه عباس فولاه علي افغانستان ورفعه الي مقام الامراء المستقلين تحت سيادة ايران . ففرح أهل الافغان بذلك وهم للان يعتبرون اعقاب السدوزية أي أولاد سدو المذكور من اهل الكرامات الذين لا تجوز معاقبتهم أو الانتقام منهم علي أي جناية وقعت منهم ان لم تكن جناية القتل

فلما قامت الدولة الغلجائية واستولت علي ولاية قندهار ثم اغارت علي ايران واستولت عليها قام ازاد خان العبدالي في الوقت نفسه واستولي علي مدينة هرات ورفع لواء الاستقلال ولم تزل اعقابه حاكمين عليها حتى انقرضت الدولة الغلجائية بقيام نادرشاه الفاتح الفارسي المشهور الذي استولي علي جميع بلاد الافغان وضمها الي ملكه ولكن لم تطل مدة نادر شاه لانها انتهت سنة ١١٦٠ فقام بالامر علي الافغان بعده احمد خان العبدالي وهو رأس هذه الدولة

(احمد شاه بابا) لما مات نادر شاه قام احمد العبدالي السدوازي الذي كان في معسكر نادرشاه مع جموع من الافغانيين والازبك وهاجم الايرانيين ثم سار الي قندهار . واستولي عليها واستولي علي الخراج الذي كان مرسلا من كابل وبلاد السند الي نادر شاه عند مروره بقندهار فقوي جانبه فأعلن استقلاله ولقب نفسه شاه افغان

ثم انه فتح هرات ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان واشتغل بتنظيم حكومة هذه البلاد حتى تم له ما أراد . ثم هاجم البلاد الهندية مرارا وانتصر انتصارا باهرا علي المراتبين وهم من الوثنيين الذين أعجزوا السلاطين التيمورية في الهند وكانوا يريدون نزع السلطة من ايدي المسلمين فهزم المراتبين شر هزيمة وبالغ في النكاية بهم حتى صارت هذه الواقعة مانعة لهم من العودة الي غاراتهم فذاع صيت احمد شاه فدان له كثير من اقطار الهند كبنجاب وقشمير والسند وما يتاخمها

ثم فتح بلوخستان ومكران وبلخ

وكان شجاعا حازما عادلا حليما رحيما كان الافغانيون يعتبرونه أبا شفيقا لهم فلقبوه ببابا وتوفي سنة ١١٨٧

(سليمان ابن احمد) تولي الملك بعده ابنه سليمان ابن احمد وكان اخوه الاكبر تيمور في هرات فلما بلغه موت ابيه جمع أعوانه وحضهم علي استخلاص حقه من أخيه فتقدم الي قندهار وظفر بأخيه واعتقله وحكم البلاد

(شاه تيمور احمد) تولي الافغانيين من سنة ١١٨٧ الي ١٢٠٧ (١٧٧٣ ـ ١٧٩٣) فقام باخضاع البلاد التي أظهرت العصيان في الهند وقشمير ولاهور وألجأها للعود الي طاعته

وبعد ذلك بسنين قلد ولده الثاني محمودا ولاية هرات ونقل العاصمة من قندهار الي كابل وجعل علي قندهار ولده الثالث زمان الذي كان علي جانب عظيم من كرم الخلال

(شاه زمان بن تيمور) كان همايون ابن تيمور في قندهار عند وفاة أبيه فلما بلغه الخبر أخذ البيعة لنفسه من اهل قندهار وقصد كابل ليستولي عليها فبلغ ذلك اخاه زمان فقابله بجيش جرار وتقاتلا فانهزم همايون وفر الي هرات والتجأ الي أخيه محمود وطلب اليه أن يعينه علي أخيه زمان فلم يجبه فترك هرات ومكث بينها وبين قندهار فمرت به قافلة فنهبها واستعان بأموالها علي حشد جيش فبلغ ذلك حيدر ابن زمان فخرج لصده ولكنه عاد منهزما ودخل همايون مدينة قندهار وعذب اهلها ونهب أموالهم واتخذ بها الجيوش فقصده أخوه زمان فانهزم همايون وفر الي منتان فهزمه واليها وأسره وبعث به الي أخيه فسمل عينيه وخلص الملك لزمان . ولكن أخاه محمودا ثار عليه وسار قاصدا قندهار فلقيه زمان فهزمه وأسر أمراء جيشه . ثم صالح أخاه علي أن تكون له هرات بشرط أن يخطب فيها باسم زمان

ثم ان زمان استولي علي لاهور وما جاورها من بلاد الهند وبينما هم بلاهور اذ بلغه ان اخاه محمودا شق عصا الطاعة فعاد اليه ولكن كان ابنه قيصر بن زمان قد حارب عمه محمودا وفاز عليه وفتح هرات فولاه أبوه عليها والتجأ محمود وابنه كامران الي بلاد العجم

ثم عاد محمود لفتح هرات فلم ينجح والتجأ الي مراد خان شاه بخارى ثم ذهب

الي خوارزم قاصدا فتح علي شاه ملك ايران مستعينا به علي اخيه فاعانه بالجنود فتمكن محمود من الاستيلاء علي قندهار ثم تقدم الي كابل فلقيه أخوه زمان شاه بجيشه فهزمه محمود وأسره وأمر بسمل عينيه ودخل محمود كابل وجلس علي سرير الملك

(شاه محمود بن تيمور) لما جلس شاه محمود علي سرير الملك جاءه قيصر ابن شاه زمان محاربا ولكنه انهزم فصفا الملك لمحمود ولكنه لشدة تشيعه كرهه أهل السنة ثم خذله الشيعة أيضا فأجمعوا علي عزله فعزلوه وحبسوه وأجلسوا شاه زمان وهو كفيف البصر ليحكم فيهم حتى يجيء شاه شجاع بن تيمور

(شاه شجاع بن تيمور) وصل شاه شجاع فجلس علي سرير الملك فقدم اليه شاه محمود ليقتص منه فعفا عنه وأعاده للسجن

ثم قصد قشمير لتأديب واليها عطا محمد علي عصيانه فلما وصل الي مدينة مظفر آباد وصل اليه رسول عطا محمد يعرض عليه توبته فعفا عنه ورجع

وبينما هو في الطريق اذ بلغه ان شاه محمودا ومن كان معه من الامراء قتلوا حراس السجن وهربوا الي قندهار فوصل شاه شجاع الي كابل فوجدها في غاية الاضطراب وعلم ان أخاه بين هرات وقندهار يقطع الطريق علي القبائل ليأخذ أموالها يستعين بها علي تجنيد الجنود، فتم له ما أراد وقصد قندهار فاستولي عليها ولم يمض زمن كبير حتى بلغ عدد جيشه مائة الف فساقهم الي كابل وقاتل شاه شجاع وهزمه فهرب الي پيشاور

(شاه محمود ثانية) دخل شاه محمود كابل ثانية وجعل ابنه كامران واليا علي قندهار

أما شاه شجاع فكاتب عطا محمد خان والي قشمير أن يمده بالمال والرجال فأبي أن يعطيه شيئا الا برهن فأرسل اليه شاه شجاع الجوهرة المسماة دربازى نور فأقرضه الخان خمسة عشر لكروبية (اللك يساوى عشرة آلاف جنيه) ولم يرسل له رجالا فجهز شجاع خان بهذا المال جيشا ولما بلغ أخاه محمود الخبر أرسل اليه يصالحه بحجة ان توالي الحروب قد اباد الحرث والنسل فاتخذ شاه شجاع هذا الصلح وسيلة لتهديد عطا محمود فأظهر هذا انه عاد الي طاعته وانه سيمده بجيش فجاءه

على رأس خمسة آلاف مقاتل مظهرا الطاعة ومضمرا السوء فلما تمكن منه أخذه اسيرا من بيشاور الي قشمير واجتهد في تحصينها وكاتب الانكليز في الهند للاتفاق معهم علي حرب رنجيت سنك الزعيم الوثني الذى كان ثائرا في بعض بلاد البنجاب فوقعت الرسالة في يد رنجيت سنك بواسطة جواسيسه فبعث بها الي شاه محمود فجهز كل منهما جيشا فاجآه وأخذاه اسيرا الا ان محمودا عفا عنه وخلص أخاه شجاعا من أسره واقام عظيم خان أخا وزيره فتح خان واليا علي قشمير

وبعد مضي سنتين طمع رنجيت سنك في الاستيلاء علي قشمير فجهز ثمانين الفا من الوثنيين البابانا كين وسار بهم الي تلك المدينة ولم يكن عند واليها عظيم خان غير عشرة فمكن بهم حتى دخل جيش رنجيت سنك الوادي فأحدق بهم واعمل فيهم السلاح حتى قتل وأسر منهم ٤٠ الفا وفر الباقون فكتب رنجيت سنك يستعطف محمودا ويعتذر اليه عما فعل مدعيا انه فعله باغواء اخيه شاه شجاع . فخاف هذا عاقبة هذه التهمة فالتجأ الي حكومة الانكليز في الهند فاكرمت مثواه

وفي سنة (١٢٣٢) هجرية طمع فيروز الدين بن تيمور الذى كان واليا علي هرات من قبل أخيه شاه محمود في الاستيلاء علي خراسان فقصدها بجيوشه ولكنه انهزم امام الايرانيين واضطر أن يستميل ملكهم ويعده بدوام الطاعة فصارت هرات تابعة لايران

كان فيروز بعد هذا الصلح مع ايران في حال مترددة الي أن اشتدت المنافسة بينه وبين حسن علي مرزا بن فتح علي شاه والي خراسان . فأرسل سفيرا الي أخيه شاه محمود يستنجده فانتهز شاه محمود هذه الفرصة للاستيلاء علي هرات فأرسل وزيره فتح محمد خان لفتحها فلم يسمح له فيروز بالدخول وامره ان يتوجه لاخذ غوريان من يد الايرانيين فاحتال محمد خان علي أخذ هرات كما كلفه بذلك مولاه ورجا فيروز ليحضر الي معسكره للمشاورة فلما حضر قبض عليه ودخل المدينة . وارسل أخاه كهندل خان لفتح غوريان فلما سمع بذلك حسن علي ميرزا أرسل جيشا للمدافعة عن غوريان فجهز فتح محمد خان جيشا وسار لاعانة أخيه كهندل خان . فلما

وصل الي كوسيه بلغه ان حسن علي ميرزا وصل بجنوده الي كافر قلعة فقاومته فزحف فتح محمد خان علي كافر قلعة ولكنه انهزم وتقهقر الي هرات فاضطرب شاه محمود وولده كامران فأرسل مولي شمس مفتى هرات وخان مولي خان (أي شيخ الاسلام) الي فتح علي شاه يخبرانه بأن هذه الجراءة هي من فتح خان ولم تكن من محمود ويستعطفان قلبه اليه . فطلب فتح علي شاه من السفير ان يخبر شاه محمود بين أحد أمرين . فاما أن يبعث اليه بفتح خان المذكور واما ان يسمل عينيه

فلما اطلع كامران بن شاه محمود علي رسالة شاه ايران حمله الضعف علي سمل عيني ذلك الرجل الذى كان سببا في ايصال أبيه الي سرير الملك

ولما أشاع هذا الامر أرسل أخوه عظيم خان والي قشمير اثنين من اخوته وهما دوست محمد (جد الاسرة المالكة للافغان الآن) وياور محمد خان الي بيشاور لطلب شاه زاده ايوب اخا شاه محمود ليقلداه الملك وأعلنا ذلك ودخلا في حدود جلال آباد وهجم دوست محمد خان علي كابل وافتتحها سنة (١٨٣٦) م

وأرسل أيضا أخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع المذكور وحارب سنجو خان والي درنة وغلبه

الخلاصة ان اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلا اتحد كل واحد منهم مع واحد من أبناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلا وطافوا بهم البلاد الافغانية شرقا وغربا وهدموا أساس ملك شاه محمود ولم يبق في يده سوى قندهار وهرات

ثم انتزعوا الملك من أبناء تيمور واستقل كل واحد منهم في ولاية من ولايات افغانستان كل هذا أخذا بثار عيني أخيهم وبعد قليل استولوا علي قندهار وانتزعوها من يد شاه محمود أيضا فانحصرت سلطة محمود في هرات ونواحيها .

وفي سنة (١٢٤١) هـ أساء ظن شاه محمود بابنه كامران فخاف هذا أن يقبض أبوه عليه فهرب من هرات وجمع بعض القبائل وتوجه لمحاربته ثم اضطر للاستنجاد بحسن علي ميرزا فأنجده فهزم أباه واستولي علي هرات

(شاه كامران بن محمود) تولي شاه كامران ولكن أباه شاه محمود مازال

يواصل السعي لاسترداد ملكه من ابنه حتى توفي سنة ١٢٤٥

وفي سنة (١٢٤٨) عزم عباس ميرزا ابن ملك الفرس على فتح هرات فوقعت بينه وبين الافغان وقائع آلت الى حصار مدينة هرات سنة (١٤٨٠) فحاصرها عباس ميرزا وتداخل سفير انجلترا لمنعه فلم يصغ الى تهديده فجاءت العمارة الانجليزية الى خليج فارس فاستولت على جزيرة خاوق فاضطر شاه الفرس ان يلتفت للانجليز وترك هرات سنة (١٣٥٥)

ولما رأى الانجليز بالافغانيين ميلا الى الفرس اذ كان دوست محمد أمير كابل وكهندل خان والي قندهار وسائر اخوتهما الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يراسلون الشاه عند محاصرته لمدينة هرات لما رأى الانجليز ذلك أرادوا رفع الراية على افغانستان حتى يأمنوا على الهند . فجهزوا شاه شجاع بجيش تحت قيادة ضباط الانجليز فسار الى قندهار فهرب واليها كهندل خان الى طهران فقلده الشاه ولاية شهر بابك فدخل شاه شجاع قندهار ثم قصد كابل فهرب صاحبها دوست محمد الى بخارى ليستعين بأميرها فلم ينجده واحتقره فلم تفه للانجليز فأسروه وبعثوا به الى مملكته . واقتسمت أفغانستان الى قسمين هرات وأعمالها بيد كامران شاه و باقي المملكة وقاعدتها كابل بيد شاه شجاع

فقام محمد أكبر خان بن دوست محمد وحارب الانجليز ففقدوا معه صلحا سنة (١٢٥٨) تعهدوا برد دوست محمد خان الى بلاد الافغان فاستولى على ما كان بيد شاه شجاع وحاول الاستيلاء على هرات من يد كامران فلم يستطع

بقي كامران بمدينة هرات يقاوم الايرانيين تارة والافغانيين أخرى ثم غلب عليه الطيش فانهمك على اللهو فكرهه الناس فانتهز وزيره يار محمد خان البامي هذه الفرصة وخنقه في قرية خارج المدينة واستولى على الملك فانقرضت بموته الدولة العبدالية السدوزائية

➤ عبر ➤ النهر يعبره عبورا قطعه وجاوزه بوزن نصر

(عبر الرؤيا) وعبرها أي فسرها

(اعتبر الشيء) اختبره

(استعبر) جرت عبرته أي دمعته

(العبارة) هي الالفاظ الدالة على

المعاني

(العبرة) النوع والعجب والعظة

(العبير) الزعفران أو اخلاط من الطيب

➤ العبرانية ➤ هي اللغة التي يتكلم بها اليهود وهي من اللغات المثرية أنزل الله بها التوراة والانجيل والعبرانية بمعنى اللغة اليهودية أيضا

(انظر تاريخ العبرانيين في كلمة اسرائيل)

➤ أبو العبر ➤ هو محمد بن أحمد الهاشمي المشهور بأبي العبر . كنيته أبو العباس فصيرها أبا العبر ثم انه كان يزيدها كل سنة حرفا فمات وهو ابو العبر طرد طيك طنكندى بك بك بك

كان شاعرا ترك الجد وعدل الى الهزل حببه المأمون وقال هذا عار على بني هاشم فصاح في الحبس نصيحة لامير المؤمنين فأخبروه فاستحضره وقال هات نصيحتك فقال الكشكية أصلحك الله لا تطيب الا بكشك فضحك منه وقال ارى انه مجنون فقال ابو العبر (انما امتخطت حوت) فقال له ويحك ما معنى قولك؟ فقال اصلحك الله زعمت اني مجحت نون . فقلت انما امتخطت حوت . فاطلقه وقال أظنني في حبسك مأتوما قال بل ماء بصل . فقال المأمون اخرجوه عني ولا تقم في بغداد فهذا عار علينا

كان أبو العبر في اول امره صالح الشعر مع توسط لا يتفق مع أبي تمام والبحتري واضرابهما فعمد الى الهزل وكسب بذلك اضعاف ما كسبه كل شاعر بالجد ومن قوله الصالح :

لا أقول الله يظلمني

كيف اشكو غير متهم

واذا ما الدهر ضعضعني

لم تجدني كافر النعم

قنعت نفسي بما ظفرت

وتناهت في الملاهي

قال عبد العزيز بن ابي محمد : كان ابو العبر يجلس في مجلس تجتمع اليه فيه المجان فكان يجلس على سلم وبين يديه بالوعة بها ماء وحمأة وقد سهل مجراها وبيده قصبة طويلة وعلى رأسه خف وفي رجليه قلنسوتان ومستمليه في جوف بئر وحوله ثلاثة يدقون بالهواوين حتى تكثر الجلبة للسماع و يصيح مستمليه من البئر ثم يملي عليهم فان ضحك أحد ممن حضر منهم

قاموا فصبوا علي رأسه البالوعة ان كان وضيعا وان كان ذا مروءة فرشوا عليه بالقصبة من مائها ثم يجلس في ذلك الي أن ينقضي المجلس فلا يخرج احد منه حتى يغرم درهمين

ومن شعره الصالح :

أيها الامرد المولع بالهجـ ر أفق ما كذا سبيل الرشاد
فكأني بحسن وجهك قد البـ بس في عارضيك ثوب حداد
وكأني بعاشقيك وقد أبـ دلت فيهم من خلطة ببعاد
حيث تغضي العيون عنك كما ينـ قبض السمع من حديث معاد
فاغتنم قبل أن تصير الي كا ن وتضحي من جملة الاضداد

وقال أيضا :

رأيت من العجائب قاضيين هما أحدوثة في الخافقين
هما اقتسما العمي نصفين عمدا كما اقتسما قضاء الجانبين
هما قال الدمار لملك يحيي اذا افتتح القضاء باعورين
وتحسب منهما من هز رأسا لينظر في مواريث ودين
كأنك قد جعلت عليه دنا فتحت بزاله من فرد عين

وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق الي البركة فاذا علا في الهواء يقول . الطريق جاءكم المنجنيق . حتى يقع في البركة فيطرح عليه الشباك و يصطاد و يخرج وهو يقول :

وما مر بي الملك ذا الملك ، و يصطادني بالشبك كما في بعض السمك . ويضحك لي هك هك

توفي بعد الاربعين ومائتين

العبسي — ابو القاسم العبسي هو جمال الملك علي بن أفلح الشاعر المشهور كان من ظرفاء الشعراء مدح الخلفاء فمن دونهم وجاب البلاد ولقي قادتها وكبراءها ولكنه كان كثير الهجاء

من شعره يخاطب محبوبه :

ياجاهلا قدر المحبة سامني ماضاع من كلفي ومن تبريحي
سيان عندك مغرم بك هائم وخلي قلب فيك غير قريح
لو كنت أعلم ان طبعك هكذا لم أعص يوم نصحت فيه نصيحي

ما كان في عزمي السلو وانما أزمتنيه بكثرة التقبيح

وله في بعض الرؤساء وقد وصل الي بابه فمنعه البواب :

حمدت بوابك اذ ردني وذمه غيري علي رده
لأنه قلدني نعمة تستوجب الاغراق في حمده
أراحني من قبح ملقاك لي وكبرك الزائد في حده

توفي ببغداد سنة (٥٣٥) وقيل (٥٣٦) وقيل (٥٣٧) وعمره اربع وستون سنة

العباس — هو العباس بن عبد المطلب عم النبي صلي الله عليه وسلم أسلم بمكة سرا حين هجرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وجاء مع جيش المشركين في حرب بدر فأسره المسلمون وافتدى نفسه وأعلن اسلامه ومكث يجاهد مع المسلمين

ابن عباس — هو ابن المتقدم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلي الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يدعي الحبر لسعة علمه وقد روي للامة أحاديث لا تحصي وكان يقصده الناس من كل قطر ليأخذوا عنه العلم

توفي سنة ٦٨ بالطائف

العباس بن الاحنف — هو خال ابراهيم بن العباس الصولي وهو حنفي يمامي كان رقيق الحاشية لطيف الطبع وله مع الرشيد اخبار

قال بشار بن برد مازال غلام من بني حنيفة يدخل نفسه ويخرجها حتى قال :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبا بثقل ما حملوني منهم قعدوا
لاخرجن من الدنيا وحبهم بين الجوانح لم يشعر به أحد

قيل وكان في العباس آيات الظرف فكان جميل المنظر نظيف الثوب فاره المركب حسن الالفاظ كثير النوادر شديد الاحتمال طويل المساعدة

طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال ان مارية هي الغالبة علي أمير المؤمنين . وانه جرى بينهما عتب فهي بعزة دالة المعشوق تأبي أن تعتذر . وهو بعزة الخلافة وشرف الملك والبيت يأبي ذلك . وقد

رمت الامر من قبلها فأعياني وهو احرى ان تستفزه الصبابة . فقل شعرا تسهل به عليه هذه القضية . وأعطاه دواة وقرطاسا فطلبه الرشيد فتوجه اليه ونظم العباس قوله :

العاشقان كلاهما متغضب
وكلاهما متوجد متجنب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا
وكلاهما مما يعالج متعب
ان التجنب ان تطاول منكما
دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لاحد الرسل أبلغ الوزير اني قد قلت اربعة أبيات فان كان فيها مقنع وجهت بها اليه فعاد الرسول وقال هاتها ففي أقل منها مقنع . فكتب الابيات وكتب تحتها بيتا :

لابد للعاشق من وقفة
تكون بين الوصل والصرم
حتى اذا الهجر تمادى به
راجع من يهوى على رغم

فدفع يحيي الرقعة الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر . والله لكأني قصدت بهذا . فقال والله يا أمير المؤمنين وأنت المقصود به . فقال الرشيد يا غلام هات نعلي فانني أراجعها على رغم . فنهض وأذهله السرور ان يأمر للعباس بشيء .

ثم ان مارية لما علمت بمجيء الرشيد اليها تلقته وقالت كيف ذلك يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذى جاء بي اليك . قالت فمن قاله ؟ قال العباس بن الاحنف . قالت فبم كوفيء . قال ما فعلت بعد شيئا . قالت والله لاأجلس حتى يكافأ فأمر له بمال كثير وأمرت له هي بدون ذلك وأمر له يحيي بدون ما أمرت به وحمل على برذون

ثم قال له الوزير تمام النعمة عندك أن لاتخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة . فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع اليه بقيته

حدث أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصرى قال حدثنى رجل من قريش قال خرجت حاجا مع رفيقين لي فعرجنا على الطريق لنصلي . فجاءنا غلام فقال لنا هل فيكم أحد من أهل البصرة ؟ فقلنا كلنا من أهل البصرة . فقال ان مولاى من أهلها ويدعوكم اليه . فقمنا اليه فاذا هو نازل على عين ماء فجلسنا حوله فأحس بنا فرفع طرفه

ضعفا وانشأ يقول :

يابعيد الدار عن وطنه
مفردا يبكي على شجنه
كلما جد الرحيل به
زادت الاسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله اذ أقبل طائر فوقع على أعالي صخرة كان تحتها وجعل يغرد . ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ يقول :

ولقد زاد الفؤاد شجا
طائر يبكي على فننه
شفه ماشفنى فبكي
كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس تنفسا فاضت معه نفسه فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتولينا الصلاة عليه . فما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه . فقال هذا العباس بن الاحنف

اما ما ذكر من انه مات هو والكسائي وابراهيم الموصلي وهشيمة الخمارة في يوم واحد وان الرشيد امر المأمون ان يصلي عليهم وانه قدم العباس بن الاحنف لقوله :

وسعي بها قوم وقالوا انها
لهي التى تشقي بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
اني ليعجبنى المحب الجاحد

ففيه نظر ان الكسائي مات سنة (١٥٩) على خلاف فيه . وما كان المأمون كما قيل ليقدم العباس على مثل الكسائي وأيضا فقد روى الصولي انه رأى العباس ابن الاحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام والله اعلم اى ذلك كان

ومن شعره :

وحدثتنى ياسعد عنهم فزدتنى
جنونا فزدني من حديثك ياسعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره
فليس له قبل وليس له بعد

ومن شعره أيضا :

اذا أنت لم تعطفك الا شفاعة
فلا خير في ود يكون بشافع
وأقسم ماتركي عتابك عن قلي
ولكن لعلمي انه غير نافع
واني ان لم الزم الصمت طائعا
فلابد منه مكرها غير طائع

ومن شعره من قصيدة :

يا أيها الرجل المعذب نفسه
أقصر فان شفاءك الاقصار
نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عينا بعينك دمعها المدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها
أرأيت عينا للبكاء تعار

توفي سنة (١٩٢) وقيل (١٩٣)

﴿ العباسية ﴾ هي الدولة الاسلامية الشهيرة التي تولت الخلافة من سنة (١٣٢) الي سنة (٦٥٦) ببغداد وقد رأينا أن نأتي علي تاريخها تفصيلا لانه يشمل تاريخ المسلمين في زهرة دولتهم ، وابان قوتهم

(كيف ظهرت الدعوة العباسية)

ابتدأ ظهور هذه الدعوة سنة (١٠٠) وأول من أظهرها محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس عم النبي صلي الله عليه وسلم اذ جمع اليه اثني عشر من خاصته سماهم النقباء وهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز ابن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسي بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم والقاسم بن مجاشع وعمران بن اسماعيل ومالك بن الهيثم وطلحة بن رزيق وعمرو بن أعين وشبل بن طهمان وعيسي بن احمد

ثم اختار سبعين رجلا ونشر فيهم منشورا ليكون لاعمالهم دستورا وأرسلهم الي الآفاق يذيعون دعوته . وكان هو مقيما بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحميمة

توفي محمد بن علي المذكور وقام بعده ابنه ابراهيم الملقب بالامام ثم اتصل به رجل يقال له ابو مسلم الخراساني وكان فصيح اللسان جرىء القلب فأعجب به الامام وجعله من خاصته

ثم رأى أعوان ابراهيم الامام ان يرسلوا واحدا الي خراسان فوقع انتخاب الامام علي أبي مسلم وكان لم يتجاوز العشرين من عمره فسار اليها . وكان عامل مروان علي خراسان نصر بن سيار فخرج عليه جديع بن علي الازدي الملقب بالكرماني وسار معه اهل اليمن فتغلب بهم علي مرو فلما وصل ابو مسلم الخراساني الي خراسان سنة (١٢٩) اظهر الدعوة للدولة العباسية جهارا فرأى عامل مروان علي خراسان ان ابا مسلم أضر علي الدولة الاموية من الكرماني فارسل الي الخليفة مروان بن محمد يطلب انجاده بالجنود وكان مروان

مشغولا بقتال الخوارج فلم يجب عامله الي طلبه فكتب الي مروان يشرح له حال ابي مسلم وكثرة من انضم اليه وانه يدعو الي ابراهيم الامام واردف ذلك بهذه الابيات :

ارى خلل الرماد وميض نار
واخشي ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تزكو
وان الحرب مبدؤها الكلام
لئن لم يطفها عقلاء قوم
فان وقودها جثث وهام
اقول من التعجب ليت شعري
أأيقاظ امية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما
فقل قوموا لقد حان القيام

فلم يجب مروان عامله بشيء ولكنه قصد الحميمة وقبض علي ابراهيم الامام وحبسه حتى مات

وكان ابراهيم الامام قد اوصي اهله حين قبض عليه ان يسيروا الي الكوفة مع اخيه ابي العباس السفاح واوصي اليه بالامر فسار السفاح بأهله ومعه اخوه ابو جعفر المنصور الي الكوفة واقاموا بها مستترين

أما ابي مسلم فانه انتهز ضعف عامل خراسان من حرب مع الكرماني فأخذ يكتب الي شيبان ثم يقول للرسول اجعل طريقك علي بنى مضر فكانوا يأخذون الكتب ويقرأونها فيجدون فيها قول ابي مسلم : «رأيت اليمن لا وفاء لهم ولا خير بهم فلا تثقن بهم ولا تظهر اليهم فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ما تحب ولئن بقيت لا ادع لهم شعرا ولا ظفرا»

ويرسل رسولا آخر بكتاب فيه ذكر مضر يمثل ذلك ويأمر الرسول ان يجعل طريقه علي اليمانية حتى صار هوى الفريقين معه

ثم جعل يكتب الي نصر بن سيار والي الكرماني : « ان الامام اوصاني بكم لست اعدو رأيه فيكم »

وسار ابو مسلم حتى خندق بين جيش نصر وجيش الكرماني فهابه الفريقان وارسل الي الكرماني : (اني معك) فاشتد الامر علي نصر بن سيار عامل مروان فأرسل الي الكرماني يقول: «لا تغترن فوالله اني خائف عليك وعلي اصحابك من ابي مسلم»

ثم دارت رحي الحرب بين الفريقين

ووجد نصر بن سيار غرة من الكرماني فضربه ضربة كانت القاضية عليه وصلبه فأقبل ابن الكرماني وقد اجتمع اليه جمع كثير واتحد ابو مسلم معه ايضا فقاتلوا نصرا حتى اخرجوه من دار الامارة وتغلب ابن الكرماني علي مروان ثانية

كان أمر ابي مسلم قد استفحل وذاع صيته وأتت الناس من مرو وغيرها اليه فرأى نصر ان أمره وامر ابن الكرماني آيل الي السقوط فأرسل الي خصمه يدعوه الي الاتحاد معه علي قتال ابي مسلم فعلم ابو مسلم بذلك وكان معسكرا بالماخوان فتحول الي اليمن خوفا من أن يقطع عليه نصر الماء

فجمع ابو مسلم اصحابه للحرب فكان سليمان بن كثير بازاء ابن الكرماني فقال له سليمان ان ابا مسلم يقول لك «اما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالامس اباك وصلبه وما كنت احسبك تجتمع مع نصر في مسجد تصليان فيه»

فرجع ابن الكرماني عن رأيه وانتقض صلح العرب فحالف ابومسلم ابن الكرماني وحاربا نصرا وانتصرا عليه فهرب ودخل ابومسلم مرو واخذ البيعة بها للعباسيين وبايع ابن الكرماني مع من بايع واستتب الامر في مرو لابي مسلم ثم أرسل جنوده تترى حتى جميع خراسان وخاف ابو مسلم من اجتماع كلمة ابني الكرماني عليه فقتلهما

(المبايعة لابي العباس)

قلنا ان أبا العباس السفاح أخا ابراهيم الامام سار بأهله الي الكوفة مستخفيا فبقوا بها الي شهر ربيع الاول سنة (١٣٢)

فظهر ابو العباس السفاح فسلم عليه الناس بالخلافة وعزوه في أخيه الامام فدخل دار الامارة صباح الجمعة ثاني عشر ربيع الاول سنة (١٣٢) ثم خرج الي المسجد وصلي بالناس وحضهم علي الطاعة

فبلغ مروان هذا الامر وكان اذ ذاك بحران فسار منها الي الزاب وهو في مائة وعشرين الف مقاتل فسار اليه ابو عون عامل بني العباس علي شهرزور بما عنده من الجموع وأمده السفاح بعساكر مع عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس وعقد مروان جسرا علي الزاب وعبر الي جهة عبد الله المذكور فالتقيا وكان علي ميمنة عبد الله ابا عون وعلي ميسرته الوليد بن معاوية فاشتد القتال بين الجيشين فانهزم

مروان وغرق كثير من جيشه وغنم عبد الله سلاحا كثيرا وكتب الي اخيه الخبر

فر مروان بالموصل فسبه أهلها فسار عنها حتى أتي حران فأقام بها بضعا وعشرين يوما حتى دنا منه عسكر السفاح فحمل أهله وخيله ومضي منهزما الي حمص فتعقبه عبد الله بن علي المذكور فسار مروان من حمص الي دمشق ثم الي فلسطين وعبد الله يطارده ثم قصد مروان مصر فأرسل عبد الله في أثره أخاه صالحا فأدركه صالح في كنيسة بوصير وانهزم أصحابه فطعنه رجل برمح فقتله واجتز رأسه واحضره الي صالح فأرسل صالح رأس مروان الي السفاح وكتب اليه :

قد فتح الله مصر عنوة لكم
واهلك الكافر الجعدي اذ ظلما

وبايع اهل مصر لبني العباس وبعد ان استتب الامر بها رجع صالح الي الشام تاركا ابا عون بمصر وهرب ابناء مروان عبد الله وعبيد الله الي الحبشة وقاتلهما الاحباش فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدد ممن معه بقي الي خلافة المهدى فأمسكه عامل فلسطين وبعث به اليه

بقتل مروان انتهت الخلافة الاموية

(خلافة أبي العباس السفاح) من سنة ١٣٢ الي ١٣٦

أول عمل شرع فيه أبو العباس السفاح بعد توليه الخلافة استئصال بني أمية حتى من تابعه ودخل في طاعته منهم فطاردهم مطاردة الحيوانات واعمل فيهم السيف حيث ثقفهم

وكان قد أمن سليمان بن هشام الاموى فبينما سليمان في حضرته يوما اذ دخل الشاعر سديف فلما رأى سليمان بن هشام أنشد :

لا يغرنك ماترى من رجال
ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بقتل سليمان بن هشام للحال . وقتل عمه عبد الله بن علي تسعين رجلا منهم دعاهم لوليمة عنده ثم غدر بهم وأمر بقتلهم جميعا

وهرب عبد الرحمن بن معاوية الي الاندلس فانتخبه الناس خليفة للمسلمين هنالك فصار للشرق خليفة في بغداد وللغرب خليفة في الاندلس

لما تم الامر لابي العباس أقر أبا

مسلم علي خراسان والعراقين وأبا عون علي
مصر وعمه عبد الله بن علي علي الشام وبنى
الهاشمية بالانبار وجعلها مقر خلافته

أيام أبي العباس كانت كثيرة القلاقل فقد خلع أقوام طاعته وحاربوه منهم حبيب بن مرة المري ومن معه من اهل البثنية وحوران وكان حبيب هذا من قواد مروان بن محمد . فسار اليه عبد الله بن علي وقاتله ثم صالحه وأمنه

ومنهم ابو الورد مجزأة بن الكوثر وكان من قواد مروان أيضا ودعا أهل قنسرين للخروج معه فأجابوه فوجه اليه عبد الله ابن علي اخاه عبد الصمد فانهزم فسار اليه عبد الله نفسه فانهزم اصحاب ابي الورد وثبت هو وخمسمائة معه حتى قتلوا جميعاً

ثم ثار اهل الجزيرة علي السفاح فأرسل اليهم ابو العباس أخاه أبا جعفر المنصور فدارت الدائرة علي الثائرين وهرب رئيسهم أبو اسحق الي سميساط فتبعه أبو جعفر وعبد الله بن علي فتصالح الطرفان وخرج ابو اسحق من سميساط آمنا وولي السفاح اخاه علي الجزيرة وارمينية واذربيجان

وثار بسام بن ابراهيم في خراسان وسار الي المدائن فأرسل اليه السفاح خازم بن خزيمة فهرب بسام بعد قتال عنيف

وخرج علي السفاح شيبان بن عبد العزيز فأرسل اليه حازم بن خزيمة فقتل شيبان وقتل اصحابه

وفي هذا الوقت انتهز الرومان الفرصة فوجهوا جيشا لافتتاح ملطية واخذوها عنوة

توفي السفاح سنة ١٣٦ وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان موته بالجدري فأوصى بالخلافة لابي جعفر المنصور

أول من اتخذ الوزراء في الاسلام السفاح فان خلفاء بني أمية لم يستوزروا

(ابو جعفر المنصور) من سنة ١٣٦ الي ١٥٨

مات السفاح وأبو جعفر بمكة حاجا ومعه ابو مسلم الخراساني فبويع له بالخلافة وهو بالطريق وكان عمه عبد الله بن علي بالشام فلم يبايع له ودعا الناس لصلاة جامعة وخطبهم قائلا

« ان السفاح عهد الي بولاية العهد من بعده والسبب في ذلك انه لما اراد مطاردة مروان لم يقو علي هذا الامر احد فقال من قام بهذا الامر جعلته ولي

عهدي . وعلي هذا الشرط طاردت انا مروان حتى ظفرت به »

وصادق كثيرون ممن معه علي قوله فبايعه الناس بالشام وسار عبد الله الي حران وكان ابو مسلم قد عاد مع ابي جعفر من الحج . فلما علم أبو جعفر بانتقاض عمه عليه أمر ابا مسلم بالمسير اليه وقتاله . فأرسل ابو مسلم الي عبد الله عم المنصور يقول : اني لم أؤمر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام . فقال من كان من اهل الشام مع عبد الله كيف يكون معك وهذا يأتي بلادنا و يقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا فنحن نرجع الي بلادنا ونمنعه وقاتله فقال لهم عبد الله : والله ما يريد الشام وما اتي الا لقتالكم فأبوا الا المسير الي الشام فارتحل عبد الله الي الشام وتبعه أبو مسلم فاقتتلوا خمسة أشهر كان النصر فيها أغلبه لعبد الله ورأى أبو مسلم أهل خراسان يتراجعون فارتجز وقال :

من كان ينوي أهله فلا رجع
فر من الموت وفي الموت وقع

ثم انه حمل علي عبد الله حملة صادقة فهزمه وسار عبد الله حتى أتى أخاه سليمان بالبصرة وأقام عنده مستخفيا

ذاع صيت ابي مسلم حتى خافه المنصور علي ملكه فأراد قتله . وكان قد بدا من ابي مسلم ما اغضب المنصور عليه من ذلك انه لما حج تقدم ابا جعفر وكان يعطي الحسنات ويحفر الآبار فجعل كل الفكر له . ولما بلغ ابا مسلم موت السفاح لم يعزه ولم يهنئه بالخلافة . وكان يأتيه كتاب المنصور فيقرأه ثم يعطيه لمالك ابن الهيثم فيقرأه و يضحكان استهزاء .

ولما حارب ابو مسلم عبد الله بن علي عم المنصور غنم منه غنائم كثيرة فأرسل ابو جعفر اليه أبا الخطيب ليكتب ما اصابه من الاموال فسار الي ابي مسلم وبلغه طلب المنصور . فقال له ابو مسلم انا امين علي الدماء خائن في الاموال وشتم المنصور واراد ان يقتل ابا الخطيب فشفع فيه فخلي سبيله

فرجع ابو الخطيب واخبر المنصور بما قال ابو مسلم فخشي المنصور ان يصل ابو مسلم الي خراسان فيحتمي بها وفيها شيعته فكتب اليه

« اني وليتك الشام ومصر فهما خير لك من خراسان فوجه الي مصر من احببت واقم بالشام فتكون بقرب امير

المؤمنين فان أحب لقاءك اتيته من قريب»
فلما أتاه الكتاب غضب وقال يوليني مصر والشام وخراسان لي ؟

فكتب الرسول الي المنصور بذلك وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعاً علي الخلاف وخرج قاصداً خراسان . فسار المنصور من الانبار الي المدائن وكتب الي أبي مسلم في المسير اليه . فكتب اليه أبو مسلم يقول :

« انه لم يبق لامير المؤمنين أكرمه الله عدواً الا أمكنه الله منه . وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء . فنحن نافرون عن قربك حريصون علي الوفاء لك ما وفيت . حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامة . فان أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك . وان أبيت الا أن تعطي نفسك ارادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي »

فرد عليه أبو جعفر المنصور يقول :

« قد فهمت مقالتك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغاشين لملوكهم . الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم . فانما راحتهم في انتشار نظام الجماعة فلم ساويت نفسك بهم . فأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من اعباء هذا الامر علي ما أنت به وليس مع الشريطة التى أوجبت منك سمعا ولا طاعة وحمل أمير المؤمنين اليك عيسي بن موسي رسالة اتسكن اليها ان أصغيت . وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك . فانه لم يجد بابا يفسد فيه نيتك أوكد عنده من الباب الذى فتحه عليك »

وأرسل المنصور هذا الكتاب كما يفهم من نصه مع عيسي ولكن قيل انه أرسله مع أبي حميد الحرورى وكان داهية

فلحق ابو حميد بأبي مسلم وهو بحلوان ودفع اليه الكتاب وقال له :

ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه فيك حسدا وبغيا يريدون ازالة النعمة وتغييرها . فلا يفسد ما كان منك . وانك لم تزل أمير آل محمد يعرفك الناس بذلك . وما ذخر الله لك من الاجر عنده في ذلك اعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان

فقال له ابو مسلم : متى كنت تكلمني بهذا الكلام :

فقال انك دعوتنا الي هذا الامر والي طاعة اهل بيت النبي بنى العباس وأمرتنا بقتال من خالف ذلك . فدعوتنا عن أرضين متفرقة . واسباب مختلفة فجمعنا الله علي طاعتهم . والف مابين قلوبنا واعزنا بنصرنا لهم . ولم نلق رجلا منهم الا بما تقذف الله في قلوبنا حتى اتيناهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة . أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهي أملنا ان تفسد أمرنا . وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني »

فأقبل مسلم علي أبي نصر بن مالك ابن الهيثم فقال له :

أما تسمع مايقول لي هذا ؟ ماترى في قوله يامالك ؟

فقال له مالك : لاتسمع قوله . ولا يهولنك هذا منه فلعمرى ماهذا كلامه . فامض لامرك ولاترجع فوالله لئن اتيته ليقتلنك وقد وقع في نفسه شيء فلا يأمنك أبداً

ثم استشار أبو مسلم نيزك ايضاً فقال له مثل قول مالك فعزم علي عدم المسير الي أمير المؤمنين وقال لابي حميد ارجع لصاحبك فما أنا بذاهب أبدا.

فدالجه باللين فلم يفد شيئا فهدده بالحرب فوجم قليلا ثم ارسل أحد ثقاته الي أمير المؤمنين حتى يتجسس له الامور فتلقاه بنو هاشم بكل مايحب فرجع اليه وحبب له المسير الي الخليفة . فعزم ابو مسلم علي ذلك

فرجع ابو مسلم حتى امير المؤمنين في ثلاثة آلاف من اصحابه فأمر المنصور بأن يأن يتلقاه الناس ويحتفلوا ثم به دخل علي المنصور فقبل يده فأمره بأن ينصرف ويروح نفسه ثلاثا وانصرف

فلما كان الغد امر المنصور اربعة من الحرس ان يقتلوا ابا مسلم اذا هو صفق لهم بيديه وجعلهم وراء الرواق وارسل الي أبي مسلم يستدعيه وكان عنده عيسي بن موسي يتغدى معه

قال المنصور لابي مسلم : اخبرني عن نصلين اصبتهما مع عبد الله بن علي

قال أبو مسلم هذا أحدهما

قال المنصور أرنيه . فأنضاه أبو مسلم وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه . وأقبل عليه يعاتبه وقال له : اخبرني عن

كتابك الي السفاح تنهاه عن الموات أردت ان تعلمنا الدين

قال أبو مسلم ظننت ان أخذه لا يحل فلما أتاني كتابه علمت انه اهل بيت معدن العلم

قال فأخبرني عن تقدمك اياي بطريق مكة

قال كرهت اجتماعنا علي الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك للرفق

قال : فقولك لمن أشار اليك بالانصراف الي بطريق وحين أتاك موت أبي العباس ، الي أن نقدم فنرى رأينا ومضيت ، فلا انت اقمت حتى لحقتك ولا انت رجعت الي

قال : منعني عن ذلك ما اخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت نقدم الي الكوفة وليس عليك من خلاف

قال : فجارية عبد الله أردت ان تتخذها . فقال لا ولكن خفت ان تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها

قال فما أرقك ، وخروجك الي خراسان ؟

قال : خفت أن يكون قد دخلك مني شيء . فقلت آتي خراسان فأكتب

اليك عذري وأذهب ما في نفسك

قال فالمال الذي بخراسان ؟

قال : انفقته علي الجند تقوية لهم واستصلاحا

قال : ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة بنت علي وتزعم انك ابن سليط بن عبدالله بن عباس . لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعباً

ثم قال : وما الذي دعاك الي قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا وهو أحد فتياننا قبل أن يدخلك في هذا الامر

قال : أراد الخلاف وعصاني فقتلته

فلما طال عتاب المنصور قال أبو مسلم لا يقال هذا الي بعد بلائي وما كان مني

قال المنصور : ياابن الخبيثة والله لو كانت امة مكانك لاجزأت ، انما عملت في دولتنا و بريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا

فأخذ أبو مسلم بيده يقبلها و يعتذر

فقال المنصور : مارأيت كاليوم وما زدتني الاغضبا

فأخذ ابو مسلم يستعطفه فشتمه وصفق بيديه فخرج عليه الحرس فلما رآهم بسيوفهم قال المنصور استبقني لعدوك

يا أمير المؤمنين

فقال له المنصور : لا أبقاني الله اذن، أي عدو أعدى لي منك

وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو

فقال المنصور : ياابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك ؟

فكان قتله لخمس بقين من شعبان سنة (١٣٧) . ولما قتل قال المنصور :

زعمت ان الدين لا ينقضي
فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تسقي بها
أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة الف صبراً

فلما قتل دخل عيسي بن موسي وهو ابن أخي المنصور علي المنصور وقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟

فقال قد كان ههنا .

فقال عيسي قد عرفت نصيحته وطاعته ورأي الامام ابراهيم كان فيه

فقال المنصور : ياأحمق والله ما أعلم في الارض عدواً أعدى لك منه . هاهو في هذا البساط

فقال عيسي : انا لله وانا اليه راجعون

وكان لعيسي فيه رأي

فقال المنصور لعيسي : خلع الله قلبك وهل كان لك أمر أو نهي أو ملك أو سلطان مع أبي مسلم ؟

ثم دعا المنصور بجعفر بن حنظلة فدخل عليه فقال :

ماتقول في أمر أبي مسلم ؟

قال يا أمير المؤمنين ان كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل ثم اقتل

فقال المنصور وفقك الله ها هو في البساط

قال يا أمير المؤمنين عد من اليوم خلافتك

و بعد قتل أبي مسلم كتب المنصور الي أبي نصر مالك بن الهيثم علي لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله وماخلف عنده، وأن يقدم وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلما رأى الخاتم كاملا (وكان أبوا مسلم أوصاه قائلا اذا أتاك كتابي عليه خاتمي ناقصا فهو مني وان كان كاملا فلا) فقال فعلتموها وانحدر الي همذان هاربا من وجه المنصور

وفي سنة (١٤١) خرج الراوندية على المنصور وهم قوم من أهل خراسان كانوا يعتقدون تناسخ الارواح ويزعمون ان روح آدم حلت في عثمان بن نهيك وان ربهم هو أمير المؤمنين المنصور وان جبريل هو الهيثم ابن معاوية فلما ظهروا أتوا قصر المنصور وقالوا هذا قصر ربنا

فأخذ المنصور رؤساءهم وحبس منهم مائتين .

فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً ومشوا به كجنازة حتى أتوا باب السجن فرموا بالنعش وكسروا باب السجن وأخرجوا رؤساءهم وساروا جميعاً وهم نحو ستمائة رجل قاصدين المنصور . فتنادى الناس واغلقت الابواب وخرج المنصور ماشياً من القصر ثم اتي بدابة فركبها وسار نحوهم فتكاثروا عليه وكادوا يقاتلونه فظهر عند ذلك معن بن زائدة (وكان متخفيا من المنصور) وقاتل الراوندية فانتصر عليهم وتكاثرت عليهم الناس فقتلوا جميعا ولم ينج احد منهم فعفا المنصور عن معن بن زائدة لحسن بلائه في هذه الحادثة

كان المنصور يخاف علي ملكه من بني الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وخصوصا من محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي فطلبه فلم يتمكن من القبض عليه فحبس احد عشر شخصاً من بني الحسن في سجن ضيق حتى كان الواحد منهم يبول و يتوط علي الآخر حتى ماتوا جميعا

فهاجت هذه الحادثة محمد بن عبد الله ابن الحسن فثار علي المنصور بالمدينة وتسمى بالمهدى واستولي علي المدينة وضواحيها وأرسل أخاه ابراهيم الي البصرة في ثلاثين ألفاً فأرسل اليه المنصور ابن أخيه عيسي بن موسي فسار حتى أتي المدينة وجرى بين الفريقين قتال فقتل محمد بن عبد الله وجماعة من اهل بيته واصحابه . وتعقب عيسي بن موسي ابراهيم بن عبد الله بالبصرة فانهزم ايضا

بعد هذه الوقعة شدد المنصور في طلب آل علي حتى كاد يفنيهم جميعا

وفي سنة (١٥٤) بدأ ابو جعفر المنصور ببناء بغداد وسماها مدينة السلام ثم دعيت بعد ذلك بغداد ودان الناس لخلافته الا الاندلسيين

في عصر هذا الخليفة أخذ العرب

يترجمون علوم اليونان وشرع علماء الدين في تدوين الحديث والفقه

وفي سنة (١٥٨) سار المنصور ليحج فنزل قصر عبودية فانقض هناك كوكب بعد الفجر وبقي اثره ظاهرا حتى مطلع الشمس فاحضر المنصور ابنه المهدى واوصاه وعهد اليه وسار فلما وصل الي بئر ميمون مات بها في تلك السنة وكان عمره ثلاثا وستين سنة بعد ان ولي اثنتين وعشرين سنة .

(صفاته) كان نحيفا اسمر خفيف العارضين وكان من احسن الناس خلقا لما يخرج الي الناس . وكان مع هذا كثير التقلب كثير الهواجس لا يستقر علي رأى

(محمد المهدى بن المنصور) من سنة (١٥٨ الي ١٥٩)

كان المنصور قد عهد بالخلافة بعد وفاته لعيسي بن موسي فلما مات المنصور احتال مولاه الربيع فكتم موته وجعل علي وجهه كلة خفيفة يرى شخصه منها وجمع اهله حوله ثم قرب منه الربيع كأنه يخاطبه ثم رجع اليهم وامرهم عنه ببيعة المهدى ابنه ولابن عمه عيسي بن موسي من بعده

ثم ان المهدى استقدم اليه عيسي بن موسي والح عليه في خلع ولاية العهد ومبايعة ابنه الهادى فامتنع فهدده بالقتل فقبل

في ايام المهدى سنة (١٥٩) ظهر المقنع بخراسان وكان رجلا من اهل مرو يسمي حكيما يقال انه اتخذ وجها من ذهب يضعه علي وجهه وادعي الالوهية وكان يدعي ان الله خلق آدم فحل في صورته ثم صورة نوح وهلم جرا الي ابي مسلم الخراساني وكان يعتقد انه افضل من النبي صلي الله عليه وسلم ثم حل في هاشم وهو اسمه . قيل وكان يحسن الشعوذة فاستغوى بها خلقا كثيرا فتحصنوا في قلعة بكش وبث الدعاة في الناس وادعي احياء الموتي وعلم الغيب فبعث المهدى في طلبه فحوصر حصارا شديدا فلما ايقن بالهلاك جمع نساءه واهله وسقاهم سما فماتوا واحرق القلعة بالنار وقال لاصحابه من احب ان يرتفع معي الي السماء فليلق نفسه في النار معه فالقي نفسه والقي من معه انفسهم فاحترقوا جميعا

وفي سنة (١٦٣) ارسل ابنه هرون الرشيد لغزو بلاد الروم فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية فارتاعت الملكة ايريني

الوصية علي ابنها ليون فصالحته علي الجزية
سبعين الف دينار سنويا
وكان هرون يغزو بلاد الروم كل سنة
وفي سنة (١٦٩) عزم المهدى علي خلع ابنه موسي الهادى والبيعة لابنه الآخر هرون الرشيد فبعث اليه وهو بجرجان في هذا المعنى فلم يفعل فبعث اليه في القدوم عليه فضرب الرسول ولم يلب طلب والده فسار المهدى يريده فلما بلغ ماسبذان مات مسموما . وكان السبب في ذلك انه كان له جارية تدعي حسنة وجارية اخرى يفضلها عليها نعمدت حسنة الي كمثرى وسمت احسنها وأرسلتها هدية للجارية الاخرى فرأى المهدى الكمثرى وهي مع الخادم فاخذ واحدة فاكلها فاصابه السم فمات وسمعت حسنة بموته فجاءت تبكي وتقول اردت ان انفرد بك فقتلتك ورجعت حسنة وعليها المسوح
قال ابو العتاهية في ذلك:
رحن في الوشي واقبلـ
ن الينا في المسوح
كل نطاح من الدهـ
ـر له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عـ
مرت ما عمر نوح
فعلي نفسك نح ان
كنت لابد تنوح

توفي المهدى سنة (١٦٩) وعمره ثلاث واربعون سنة ومدة خلافته عشر سنين وكان الرشيد معه يوم موته في ما سبذان

(الهادى ابن المهدى) من سنة ١٦٩ـ ١٧٠

بويع له يوم وفاة ابيه . فخرج عليه الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب بالمدينة وانتصر علي عامل الهادى. ثم قصد الحسين مكة فاقتتل هنالك مع بعض اشياع بني العباس فقتلوه

وفي سنة ١٧٠ عزم الهادى علي خلع بيعة الرشيد وتولية ابنه جعفر فعاجلته المنية.قيل في سبب موته امه الخيزران كانت قد استبدت بالملك فكانت المواكب تغدو وتروح الى بابها. ثم كلمته يوما في امر فلم يجد الي اجابتها سبيلا، فقالت لا بد من الاجابة اليه . فغضب الهادى وقال والله لاقضيتها لك . قالت:

اذن لا أسألك حاجة أبداً ، قال لا أبالي . فقامت مغضبة فقال لها مكانك . والله لئن بلغني انه وقف ببابك أحد من قوادى لأضربن عنقه ولاقبضن ماله . ما هذه المواكب التي تغدو وتروح أمام بابك.أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ اياك اياك أن تفتحي بابك لمسلم أو ذمي . فانصرفت وهي لا تعقل ثم أمرت جواريها أن يقتلنه فجلسن علي وجهه وهو نائم فمات وعمره ست وعشرون سنة ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر

(هرون الرشيد) من سنة ١٧٠ الي ١٩٣

كان عمره حين ولي الخلافة اثنين وعشرين سنة

لما مات أخوه موسي الهادى جاء اليه يحيي بن خالد البرمكي وهو نائم في فراشه وقال له : قم يا أمير المؤمنين. فقال له الرشيد: كم تروعني اعجابا منك بخلافتي ؟ فكيف حالي مع الهادى اذا بلغه هذا ؟

فاعلمه بموته وأعطاه خاتمه . وبينما يحيي بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة اذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله المأمون

استوزر الرشيد يحيي بن خالد البرمكي
وفي ذلك يقول ابراهيم الموصلي النديم :
ألم تر أن الشمس كانت سقيمة
فلما ولي هرون أشرق نورها
بيمن أمين الله هرون ذى الندى
فهرون واليها ويحيي وزيرها

في سنة (١٧٦) ظهر يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين من آل علي بن أبي طالب عليه السلام واشتدت شوكته وكثرت جموعه وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيي بن خالد البرمكي في خمسين الفا . فكاتبه الفضل وبذل له الأمان وما يختاره. فأجابه يحيي الي الصلح وقدم يحيي الي الرشيد فسر بذلك وتلقاه أحسن لقيا وأمر له بمال كثير ثم حبسه حتى مات

وفي سنة (١٨٧) خرج الوليد ابن طريف التغلبي وهو من الخوارج فاستولي علي كثير من مدن أرمينية وأذربيجان فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد وهو ابن أخ معن بن زائدة فانتصر عليه وقتله

وفي سنة (١٨٢) حملت ابنة خاقان ملك الترك الي الفضل بن يحيي فماتت

ببرذعة فرجع من معها الي أبيها وأخبروه بأنها قتلت غيلة فأغار علي بلاد الاسلام وأوقع بالمسلمين والذميين وسبى أكثر من مائة الف نسمة وأتى أمراً عظيما لم يسمع بمثله في الارض

وفي سنة (١٨٧) أوقع الرشيد بالبرامكة بعد أن قتل جعفر بن يحيي . والسبب في ذلك تعاظم أمر البرامكة وتحول الناس اليهم فخشي الرشيد أمرهم فأمر بقتلهم فحزن عليهم الناس حزناً شديداً لفضلهم وكرمهم وحسن بلائهم في خدمة الدولة العباسية وفي ذلك يقول الرقاشي وقيل أبو نواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وطي الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
ولن تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي
وقل للرزايا كل وقت تجددى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
أصيب بسيف هاشمي مهند

وحبس الرشيد يحيي أبا جعفر والفضل أخاه حتى ماتا

قلنا ان ايرينى كانت تدفع الجزية لهرون الرشيد فلما خلعت الروم هذه المملكة وأقامت نيقفور بدلها كتب الى هرون الرشيد :

« من نيقفور ملك الروم الى هرون الرشيد ملك العرب . أما بعد فان الملكة ايرينى حملت اليك من أموالها ما كنت حقيقاً بأن تحمل أضعافه اليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن . فاذا قرأت كتابي هذا فاردد ما أخذت والا فالسيف بيننا وبينك »

فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب استشاط غضباً وكتب علي ظهره :

« الجواب ما تراه دون أن تسمعه »

وجهز جيشه وسار به حتى نزل علي مقربة من القسطنطينية بعد أن دمر المدن التى مر بها فارتاع نيقفور من ذلك وطلب الصلح متعهداً بدفع الجزية

فعاد الرشيد ولم يكد يصل الى بغداد حتى نكث نيقفور عهده فعاد اليه الرشيد فانتهب ودمر كل ما مر به في آسيا الصغرى حتى وصل الى البوسفور فجزع ملك الروم وبالغ في استباحة الرشيد فعفا عنه وعاد

ولكن ابن نيقفور أغرى أباه علي المسير الي الرشيد فحشد جيشا جراراً ولحق بالرشيد في فريجيه فدارت بين الفريقين حرب شعواء قتل فيها من جيش الروم نحو أربعين ألف نسمة ونهب الرشيد ودمر كثيراً من مدن آسيا الصغرى وضرب الجزية علي نيقفور ثم رجع

كان بين الرشيد وبين شارلمان ملك الفرنكيين وأمبراطور الرومان صداقة وكان يهاديه فأهداه مرة بشطرنج ثمين وساعة شمسية من اختراع العرب وارسل اليه ايضا مفاتيح كنيسة القيامة في القدس ومعها امر لعماله بأن يعاملوا حجاج النصارى بحسن معاملة

كان الرشيد قد ارسل رافع ابن الليث عاملا علي خراسان فخلع الطاعة وملك مدينة سمرقند فاستاء الرشيد من ذلك وخرج لتأديبه بنفسه وكان مريضا فلما وصل الي مدينه طوس من خراسان اشتد مرضه فالتفت الي وزيره الفضل وأنشد :

أحين دنا ما كنت أخشي دنوه
رمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنت محسداً
فصبراً علي مكروه مر العواقب
سأبكي علي الحب الذي كان بيننا
وأندب أيام السرور الذواهب

ثم مات ودفن هناك سنة (١٩٣) وله من العمر سبع وأربعون سنة وخمسة أشهر ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهران

كان هرون الرشيد وديع الاخلاق محباً للرعية حتى أنه كان يطوف بغداد ليلا ليرى ما عليه العامة بنفسه فان رأى منكراً غيره ، وكان محبا للعلم والعلماء ، بلغت العلوم والآداب في أيامه أوجها الأعلي وكان كثير العطاء حتى قيل انه لم ير خليفة قبله أعطي منه للمال

وقد كانت أيامه أحسن أيام دولة العباسيين وأكثرها عمارا وبركة وصفاء ، وقد بلغ من الشهرة في حياته وقبيل مماته ما لم يبلغه غيره من الخلفاء وأولع الناس يتحدثون مناقبه وأيامه حتى خرجوا في المبالغة فيها عن الحدود المعقولة بسبب شهرته وبعد صيته ناهيك انه ليس في العالم الشرقي من يجهل اسم هرون الرشيد

(خلافة محمد الأمين) من سنة ١٩٣ الي ١٩٨

كان هرون الرشيد قد عهد بالخلافة

الي اولاده الامين ثم المأمون ثم المؤتمن
وكان الأمين ببغداد حين وفاة ابيه وكان المأمون بمرو فكتب صالح بن الرشيد الي أخيه الأمين يخبره بوفاة والده وارسل له الخاتم والقضيب والبردة . فانتقل الامين من قصره الي قصر الخلافة وصلي بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فنعي الرشيد وعزى نفسه ووعدهم خيرا

كان الامين ضعيف الرأى منهمكا علي اللذات مدمنا علي الخمر مشتغلا بولائمه وسهراته

استوزر الفضل بن الربيع وزير ابيه وكان الفضل يخاف من المأمون فحسن للامين خلع أخيه وأخذ البيعة لابنه موسي فخاف الامين عاقبة هذا الامر فأغرى الفضل كثيرا من الناس ليحثوا الامين علي ذلك فلما رأى كثرة مشجعيه امر بالدعاء لابنه علي المنابر ولقبه بالناطق بالحق وابطال الدعاء للمأمون

ثم ارسل الامين لاخيه المأمون يأمره بالقدوم عليه فأبي . فأرسل الامين جيشا لمقاتلة المأمون تحت قيادة علي بن عيسي فأرسل المأمون جيشه لملاقاته وعليه طاهر ابن الحسين وتلقب المأمون نفسه من ذلك الحين بأمير المؤمنين وبايعته شيعته بخراسان . فالتقي الجيشان قرب الرى فانهزم جيش الأمين وقتل قائده فأرسل المأمون جيشاً آخر لتقوية طاهر بن الحسين عليه هرثمة بن أعين وامرهما ان يقصدا بغداد وكان الأمين قد أرسل جيشا ثانيا لقتال اخيه تحت قيادة أحمد بن مرشد وعبد الله بن حميد فاختلفا في طريقهما ولم يجدا طاهرا فعادا

اما طاهر بن الحسين فوصل الي بغداد وحاصرها سنة ثم هاجمها فتحصن الأمين بمدينة المنصور وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه فلما ايقن بالهلاك أرسل الي هرثمة يطلب الأمان فراجع هرثمة طاهرا في ذلك فأباه . ولكن الامين خرج قصدا هرثمة فوجد حراقته فنزل اليها فلما قابله هرثمة قبل يديه فلم يرض طاهر بذلك فامر يرمي حراقة هرثمة ولكن الامين كان عارفا بالسباحة فنجا الي الشاطيء . فأمسكه اصحاب طاهر وحبسوه . ثم ان طاهراً امر بعض الجنود بقتله فقتل وأرسل رأسه الي المأمون

ثم دخل طاهر المدينة وصلي بالناس وخطب للمأمون وكان قتل الأمين سنة

١٩٨ وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة

(عبدالله المأمون) من سنة ١٩٨ الي ٢١٨

أرسل القائد طاهر بن الحسين للمأمون الخاتم والبردة والقضيب وهو بخراسان وهناه بالخلافة وهو بمرو

قام سنة ١٩٨ نصر بن سيار مطالبا بدم الامين فاجتمع اليه خلق كثير من أهل المطامع فتغلب علي كيسوم وسمياط وغيرها ثم عبر نهر الفرات وقويت شوكته حتى كانت سنة ٢٠٩ فأرسل المأمون عبد الله بن طاهر لقتاله فهزمه فطلب الأمان فأمنه وأرسله للمأمون

وفي سنة ١٩٩ خرج علي المأمون محمد ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب يدعو الي الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة فبايعه أهل الكوفة فأرسل اليه المأمون الحسن بن سهل فهزم ولكن الثائر العلوى مات فجأة فأقيم مقامه غلام من ولد علي بن أبي طالب فاستولي أبو السرايا القيم عليه علي البصرة وواسط وجرت بينه و بين المأمون عدة وقائع انتهت بهزيمة أبي السرايا وقبض الحسن ابن سهل عليه وقتله وأرسل رأسه الي المأمون

وفي سنة ٢٠٠ ظهر ابراهيم بن موسي ابن جعفر بمكة فاستولي علي اليمن

وفي سنة ٢٠١ ماطل الحسن بن سهل الجند في دفع مرتباتهم فثاروا وساروا الي المنصور بن المهدى لمبايعته فلم يقبل فبايعوا أميراً منهم وكثر الفساد في بغداد فتطوع جيش منهم سموه (المتطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فتتبع الاشرار وهدأت الاحوال

في هذه السنة عهد المأمون بالخلافة الي علي بن موسي من آل علي عليه السلام ولقبه الرضا وكتب للآفاق بذلك قائلا انه لم يجد في بني العباس وبني علي افضل ولا أورع ولا أعلم من علي بن موسي فلذلك جعله ولي عهد الخلافة من بعده وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين وكتب بذلك الي الآفاق أيضاً

فلم يرض بذلك بنو العباس فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدى ببغداد وسموه المبارك

فمات علي بن موسي وقيل سمه

المأمون وكتب الي الآفاق بموته فخلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدى وكانت مدة خلافته سنة واحدة واحد عشر شهراً وما زال مختفيا الي سنة ٢١٠ حيث اخذوهو منتقب بين امرأتين فحبسه المأمون ثم أطلقه

وعاد المأمون من خراسان الي بغداد سنة (٢٠٤) فسقطت الفتن بقدومه.وعاد الي لبس السواد

وفي سنة (٢١٤) غزا المأمون الروم ووصل طرسوس وفتح عدة حصون ثم عاد الي دمشق ثم عاود الحرب في السنة التالية وفتح حصون اخرى ثم عرج علي مصر

وفي سنة (٢١٨) اظهر المأمون بدعة القول بأن القرآن مخلوق وليس بقديم وكتب للآفاق بامتحان رجال العراق في ذلك وتعذيب من لم يقل به

وفي تلك السنة مرض فخلع اخاه القاسم المؤتمن من ولاية العهد وأخذ البيعة لأخيه الآخر ابي اسحق المعتصم ثم توفي وهو يقول : يا من لا يموت ارحم من يموت

فكانت مدة خلافته عشرين سنة وعمره ثمانيا واربعين

كان المأمون أعلم خلفاء بني العباس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مآثر علي العلم والعلماء أمر بترجمة الكتب اليونانية والهندية وغيرهما وانفق في هذا السبيل أموالا طائلة فكان واضع أساس النهضة العلمية الاسلامية التى برزت أنوارها العالم كله في سنين معدودة

(المعتصم بن الرشيد) من سنة ٢١٨ الي ٢٢٧

لما تولي الخلافة ثار الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأحضره المعتصم وأخذ منه البيعة فهدأت الفتنة

وفي سنة (٢١٩) ظهر محمد بن القاسم بالطالقان بخراسان وهو من أولاد علي عليه السلام يدعو الي الرضا من آل محمد فتبعه خلق كثير فأرسل اليه المعتصم عبد الله بن طاهر فهزم محمد بن القاسم وأرسله الي المعتصم فحبسه فهرب فجعل لمن دل عليه مائة الف فلم يوقف له علي أثر

وفي أيام المعتصم قوى امر بابك الخرمي المجوسي الذى كان بدء ظهوره في عهد المأمون فاستولي علي جبال طبرستان وهزم عدة جيوش للمأمون والمعتصم فلما كانت سنة ٢٢٠ وجه المعتصم الأفشين

حيدر بن كاوس اليه وزوده بالاطباء لمعالجة الجرحي وبالصيادلة لتركيب العقاقير

التقي الافشين ببابك الخرمي فحدثت بينهما حرب طاحنة انتهت بانكسار الثاني فهرب بأسرته الي بلاد الروم وبينما هو في الطريق أسره سهل بن سنباط وأرسله الي الافشين فقتله وكان من أعصي الناس وأشدهم فسادا

وفي سنة (٢٢٣) أغار توفيل ملك الروم علي بلاد الاسلام فأحدث احداثا منكرة حتى انه سمل اعين الاسرى وقطع آنافهم وآذانهم فبلغ المعتصم ان امرأة هاشمية سمعت تنادى وهي في أسره وامعتصماه فجمع جنوده وسار قاصداً بلاد الروم يخرب وينهب في طريقه حتى بلغ عمورية وهي مدينة في غلاطية وكان توفيل يقود جيشه بنفسه فلما ضاقت عليه الامور ارسل للمعتصم يطلب الصلح فلم يقبل الخليفة واستمر علي ضرب عمورية بالمجانيق ثم اقتحمها وذبح سكانها وأحرقها وكانت أعمر مدينة في الشرق

ثم اتي المعتصم برسل توفيل الذين كان ارسلهم لطلب الصلح وقال لهم عودوا الي مولاكم فأبلغوه باني اخذت بثار مدينة

زبطرة . وهي المدينة التى كان أغار عليها توفيل فأحدث منكراته بها

ارتكب المعتصم جريمة كانت سببا في خراب دولته وذلك انه اتخذ حرساً من الاتراك فانتهي أمرهم بالتغلب علي الخلفاء كما سترى

وفي هذه السنة توفي المعتصم بعد ان حكم ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وكان عمره سبعاً وأربعين سنة

كان طيب الاخلاق الا اذا غضب. وكان ضعيف القراءة والكتابة

ممايؤثر عن كرم أخلاقه انه انفرد مرة عن أصحابه في يوم مطير فرأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد ارتطم في الوحل ووقع الحمل والرجل ينتظر من يمر عليه ويساعده فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار ورفع الحمل عليه ثم غسل يده وركب . فقال الشيخ غفر الله لك ياشاب . ثم لحقه اصحابه فأمر للشيخ بأربعة آلاف درهم

(الواثق بالله بن المعتصم) من سنة ٢٢٧ الي ٢٣٢

ثارت في أيامه القيسية بدمشق فأرسل اليهم رجاء بن أيوب الحضار فقاتلهم وحل

جماعتهم

وارسل الواثق سنة ٢٣٠ بغا الكبير لقتال بني سليم الذين كانوا يفسدون حول المدينة المنورة فانتصر عليهم واخضعهم

وفي سنة ٢٣٢ مات الواثق بالاستسقاء ولما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الناس مشترك
لاسوقة منهم تبقي ولا ملك
ماضر اهل قليل في تفاقرهم
وليس يغني عن الملاك ماملكوا

كان عمره حين مات ٣٢ سنة

(المتوكل علي الله بن المعتصم) من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧

كان في عزم رجال الدولة تولية محمد ابن الواثق ثم عدلوا عنه لصغره فبايعوا المتوكل علي الله وكان عمره ستا وعشرين سنة

في سنة ٢٣٤ عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد وهم محمد ولقبه المنتصر بالله ، وابو عبد الله ولقبه المعتز بالله ، وابراهيم ولقبه المؤيد بالله وعقد لكل واحد منهم لوائين احدهما اسود وهو لواء العهد والآخر ابيض وهو لواء العمل

وأقطع المنتصر أفريقية والمغرب كله والعواصم وقنسرين والثغور جميعها الشامية والجزرية وديار مضر وربيعة والموصل وكل الاراضي التى يرويها الدجلة ومكة والمدينة وحضرموت والبحرين والسند وساموا وكل توابعها

وأقطع المعتز خراسان وطبرستان وأرمينيه واذربيجان

واقطع المؤيد دمشق وحمص ومرج الاردن وفلسطين

وفي سنة ٢٣٥ أمر المتوكل اليهود والنصارى بلبس الطيالسة العسلية وشد الزنانير وركوب السروج بالركب الخشب وعمل رقعتين علي لباس مماليكهم مخالفتين للون الثوب كل واحدة منها قدر أربعة أصابع ولونها غير لون الاخرى ومن خرج من نسائهم فليلبس ازارا عسليا ومنعهم من لباس المناطق . وأمرهم بهدم كنائسهم المحدثة وان يجعل علي ابوابهم صورة شياطين من خشب ونهي ان يستعان بهم في أعمال الحكومة وأمرهم بأن لا يظهروا صليبا في شعانينهم وأمر بتسوية قبورهم بالارض وكتب بذلك الي الآفاق ثم امرهم ان يقتصروا في ركوبهم علي البغال والحمير وان لايركبوا الخيل والبراذين

وفي سنة ٢٣٦ امر بهدم قبر الحسين ابن علي عليه السلام وهدم ماحوله من المنازل ومنع الناس من زيارته وكان شديد البغض للامام علي كرم الله وجهه

وفي سنة ٢٣٧ ولى المتوكل يوسف ابن احمد ارمينية واذربيجان ولما وصل الي خلاط اتي بقراط بن اشوط البطريق فقيده وحمله الي المتوكل فأجمع بطارقة ارمينية مع ابن اخي بقراط وتحالفو علي قتل يوسف ووافقهم علي ذلك موسي بن زرارة صهر بقراط فوثبوا بيوسف فقتلوه وكل من قاتل معه . ومن لم يقاتل من اصحابه فأخذوا ملابسهم وتركوهم عراة وطردوهم علي تلك الحال فهلك اكثرهم بردا

فلما بلغ المتوكل هذا الخبر وجه اليهم بغا الكبير قائده فقتل ثلاثين الفا وسبى خلقا كثيرا ثم سار الي مدينة تفليس وحاصرها ورماها بالنفط فأحرقها واحرق بها خمسين الف نسمة

وفي سنة ٢٣٨ جاءت ثلاثمائة سفينة حربية للروم تحت قيادة ثلاثة من امراء البحر فرستها منهم سهيبة . بدمياط ونزل جنودها فقتلوا منها خلقا كثيراً وسبوا النساء والاطفال

وفي سنة (٢٤١) ثارت البجاة بالنوبة فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله فقتل رئيسهم فطلبو الصلح وجاء خليفة قائدهم الي المتوكل ثانيا فصالحه علي اداء الادوات والنفط واشترط عليه أن لا يمنع المسلمين من استخراج المعادن

وفي سنة (٢٤٧) قتل المتوكل قتله غلام تركي اسمه باغر قيل قتله باغراء المنتصر ابنه وكان عمره اربعين سنة

(المنتصر بن المتوكل) من سنة ٢٤٧ الى ٢٤٨

بايعه قتلة ابيه في ليلة قتلهم اياه وفي الصباح بايعه الناس

وفي سنة ٢٤٨ الجأ وصيف و بغا وباقي الاتراك علي المنتصر أن يخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد خوفا منهما ان ينتقما من قتلة ابيها فخلعهما ومات المنتصر وله من العمر خمس وعشرون سنة

(المستعين بالله بن المعتصم) من سنة ٢٣٨ الى ٢٥٢

لما توفي المنتصر اجتمع الموالى الهارونية

من القد وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش من قواد الاتراك والمنار بتواجموا علي عدم تولية احد من أولاد المتوكل لئلا يقتالهم وبايعوا احمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه المستعين بالله

وفي سنة (٢٥٢) ثار الجنود طالبين عزل القواد الاتراك وثار معهم الناس وفتحوا السجون واخرجوا المسجونين وقطعوا الجسور ونهبوا دور اهل اليسار ليصرفوها في سبيل الثورة وامتدت الفتنة الي سامرا وثار الموالي باتامش وزير المستعين فقتلوه ونهبوا داره

وفي سنة ٢٥٢ قتل وصيف وبغا باغر التركي قاتل المتوكل وحصر الجنود المستعين مع وزيريه في قصره بسامرا فهرب الي بغداد

فأخرج الثائرون المعتز بن المتوكل من السجن وبايعوه فأرسل جيشاً لمحاربة المستعين فأكره اهل بغداد علي التنازل فخلع نفسه سنة (٢٥٢) وخطب ببغداد للمعتز بالله بن المتوكل فأمر بقتل المستعين فقتل وفي ذلك يقول بعض الشعراء

خلع الخليفة احمد بن محمد
وسيقتل التالي له أو يخلع
ويزول ملك بني أبيه ولا ترى
أحد يملك منهم يتمتع
ايها بني العباس ان سبيلكم
في قتل أعبدكم سبيل مهيع
رقعتكم دنياكم فتمزقت
بكم الحياة تمزقا لا يرقع

(المعتز بن المتوكل) من سنة ٢٥٢ الي ٢٥٥

أول عمل عمله ان خلع اخاه المؤيد من ولاية العهد وحبسه حتى مات

وفي سنة (٢٥٣) خرج عليه عبد العزيز بن ابي دلف بهمذان فوجه اليه المعتز موسي بن بغا الكبير فانتصر عليه

وفي هذه السنة ابتدأت دولة يعقوب الصفار بهرات ان تظهر

وفي سنة (٢٥٤) وجه احمد بن طولون عاملا علي مصر وهو تركي الاصل فانتهي أمره بأن ملك مصر والشام

وفي سنة (٢٥٥) سار الجنود الاتراك اليه يطلبون حقوقهم فماطلهم فدخلوا عليه فجروه من رجليه وضربوه بالدبابيس ووضعوه بالشمس حافي القدمين فكان يرفع رجلا ويضع رجلا من شدة الحر. ثم سلموه لمن يتولى تعذيبه فمنعه الطعام

والشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه سردابا وجصصوا عليه حتى مات وكان عمره أربعا وعشرين سنة

(المهتدي بن الواثق) من سنة ٢٥٥ الي ٢٥٦

ظهر في أيامه صاحب الزنج وهو علي ابن محمد بن عبد الرحيم من ولد عبد قيس فجمع اليه زنج البصرة وادعي انه من ولد علي عليه السلام وكان أهل البحرين قد أحلوه محل النبي صلي الله عليه وسلم فحارب جيوش المهتدي وانتصر عليها

ثم ان المهتدي أوعز الي احد القادة الاتراك وهو بايكيال بقتل موسي بن بغا فاتحد مع موسي علي قتل المهتدي فأسرع المهتدي فحبس بايكيال ثم قتله وبعدها سار لقتال موسي بن بغا فانقلب عليه أصحابه فداسوا علي خصيتيه وصفعوه حتى مات

(المعتمد بن المتوكل) من سنة ٢٥٦ الي ٢٧٩

بايع الاتراك المعتمد . في أيامه اشتدت شوكة علي بن محمد صاحب الزنج واستولي علي الاهواز والبصرة وواسط وغيرها وأكثر القتل والنهب وهزم جيش المعتمد فأرسل هذا اخاه الموفق لمحاربة صاحب الزنج سنين حتى انتصر عليه وقطع راسه

وفي سنة (٢٦٢) أغار يعقوب الصفار علي الاهواز فدحره الموفق ثم عاد في السنة الثانية فملك الاهواز

ثم ان الموفق اشتد أمره فضيق علي أخيه المعتمد حتى انه احتاج الى ثلاثمائة دينار فلم يجدها فقال :

أليس من العجائب ان مثلي
يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً
وما منها يسير في يديه

وفي سنة (٢٧٨) تحرك بالكوفة قوم يعرفون بالقرامطة . وكان بدء أمرهم أن رجلا فقيراً قدم من ناحية خورستان الي سواد الكوفة وكان يظهر العبادة وكان يعظ الناس بالزهد و يقول لهم انه يدعو الي الامام من أهل بيت النبوة فاستجاب له قوم كثيرون فاتخذ منهم اثني عشر نقيباً وأمرهم أن يدعوا الناس الي مذهبهم. فبلغ خبره عامل تلك الجهة فقبض عليه وحبسه وأقسم ليقتلنه فأشفقت احدى الجوارى عليه فأخذت مفتاح السجن من سيدها حال سكره وفتحت الباب للرجل فهرب ووضعت المفتاح مكانه

فلما هب العامل من نومه اراد أن يقتل الخارجي فلم يجده فشاع هذا الامر وافتتن به أهل تلك الناحية وزعموا انه رفع الى السماء

ثم ظهر في ناحية اخرى وقال للناس لايمكن أن ينالنى أحد بسوء . ثم رحل الي الشام وتسمي باسم رجل كان ينزل عنده اسمه كرميته ثم خفف فقيل قرمط

من مذهب القرامطة ان عيسي عليه السلام ظهر للفرج بن عثمان من اهل قرية نصرانة فقال له: انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيي بن زكريا وانك روح القدس . وعرفه ان الصلوات اربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها والصوم يومان في السنة وهما يوم النيروز ويوم المهرجان . وان النبيذ حرام والخمر حلال ولا يؤكل كل ذى ناب ولا كل ذى مخلب وان الجمعة يوم الاثنين لايعمل فيه شيء، الي غير ذلك .

وفي سنة (٢٧٩) توفي المعتمد وكان عمره خمسين سنة وستة اشهر

(المعتضد بن الموفق) من سنة ٢٧٩ الي ٢٨٩

في عهده انتشر مذهب القرامطة في سواد الكوفة فقاتلهم واحضر رئيسهم فقال له المعتضد :

أخبرني هل تزعمون ان روح الله تحل في أجسادكم ؟

فقال الرجل : ياهذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فما تنفعك ؟ فلاتسأل عما لا يعنيك وسل عما يخصك

فقال المعتضد: وما تقول فيما يخصني؟

فقال اقول : ان النبي صلي الله عليه وسلم مات وابوك العباس حي فهل طلب الخلافة ام بايعه احدمن الصحابة علي ذلك؟

ثم مات ابو بكر واستخلف عمر وهو يرى موضع العباس ولم يوص اليه

ثم مات عمر وجعلها شورى في ستة أنفس ولم يوص الي العباس ولا ادخله فيهم فباذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة علي دفع جدك عنها؟

فأمر به المعتضد فعذب وخلعت عظامه ثم قطعت يداه ورجلاه ثم قتل .

كان المعتضد شهما شجاعا وقيل لما حضرته الوفاة أنشد [illegible]

تمتع من الدنيا فانك لا تبقي
وخذصفوها ماان صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر اني أمنته
فلم يبق لي خلا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع
عدواً ولم أمهل علي طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع
فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة
وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهما فأخمد جمرتي
فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ألقي
ولم يغن عنى ماجمعت ولم أجد
لدى الملك والاحياء في حسنها رفقا
فياليت شعرى بعد موتي ما الا
قي الي نعم الرحمن أم ناره التي

(المكتفي بن المعتضد) من سنة ٢٨٩ الي ٢٩٥

اشتدت شوكة القرامطة في عهده حتى حصروا دمشق وتسمي أميرهم الحسين بالمهدى أمير المؤمنين وعهد الي عمه عبد الله ولقبه المدثر ، زعماً منه انه المدثر المذكور في القرآن الكريم ثم سار الي حماة والمعرة وغيرهما فقتل أهلها حتى النساء والاطفال وسار الي سلمية فأخذها بالامان ولكنه قتل أهلها حتى صبيان المكاتب

فلما اشتد أمره خرج له المكتفي في سنة (٢٩١) فأوقع بالقرامطة وأخذ رئيسهم فقتله

وكانت مصر اذ ذاك مستقلة تحت حكم الدولة الطولونية وعليها هرون ابن خمارويه فأرسل المكتفي جيوشه فملكت الشام ومصر ومات هرون وانقرضت الدولة الطولونية

ثم ظهرت القرامطة بدمشق وأعلوا فيها قتلا ونهباً ثم نهبوا طبرية وساروا الي الكوفة فأرسل المكتفي اليهم جيشاً فدحروه وغنموا ما كان معه ولكن والي دمشق انتصر عليهم وحمل رئيسهم الي بغداد

وفي سنة (٢٩٤) هجم القرامطة علي الحجاج في طريق العراق فقتلوهم عن آخرهم وكانوا عشرين الفاً فسير اليهم المكتفي بالجنود فدحروهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً وأتوا برئيسهم ذكرويه مجروحا الي بغداد

توفي المكتفي سنة ٢٩٥ وعمره ثلاث وثلاثون سنة

(المقتدر بن المعتضد) من سنة ٢٩٥

الي (٣٢٠)

كان عمره حين بويع له بالخلافة ثلاث عشرة سنة فاستصغره رجال الدولة فعزموا علي خلعه وتولية عبد الله بن المعتز وهو المشهور بالشعر والادب في كتب المحاضرات فبايعوه ولقبوه المرتضي بالله فوجه الي المقتدر يأمره بالانتقال الي الدار التى كان مقيما فيها لينتقل هو الي دار الخلافة فأجابه بالسمع والطاعة وسأله الامهال الي الليل فعاد غلمانه الى دار الخلافة (غلمان المرتضي بالله) وقاتلوا غلمان المقتدر طول النهار وانصرفوا عنهم آخر النهار . فلما جن الليل سار الحسين ابن حمدان من أنصار المرتضي بالله عن بغداد بأهله وماله الى الموصل ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن

فلما رأى ابن المعتز ذلك ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ظناً منه ان من بايعه من الجنود يتبعونه فلم يتبعه أحد فرجع واختفي فوقعت الفوضي في بغداد وكثر السلب والنهب

فخرج المقتدر بعسكره وقبض علي جماعة وقتلهم وعاد الي الخلافة واستتب له الامر فيها

ابتدأت دولة الفاطميين تظهر في أيام المقتدر بعد انقراض دولتى الاغالبة والادارسة بالمغرب بقيام عبد الله المهدى

من أكبر الاحداث وأعجبها في عهد هذا الخليفة انه في سنة (٢١٧) ثار الناس والجنود ناقمين علي تصرف رجال الحكومة في أموال المملكة وطلبوا ان يجعل الحق للامة في تدبير الشؤن . ثم هجموا علي بيت الخليفة وأخرجوه وبايعوا محمد بن المعتضد ولقبوه القاهر بالله

ثم طلب منه الجنود حقوقهم فماطلهم فثاروا عليه فهرب منهم

فساروا الي الدار التى فيها المقتدر وأخرجوه وحملوه الي دار الخلافة وبايعوه ثانية ولم تكن خلافة القاهر الا يومين اثنين

وفي سنة (٣٢٠) سار القائد مؤنس الملقب بالخادم مغاضباً وأرسل خادمه الي الخليفة برسالة . فسأله الوزير عنها فقال أمرني مولاى أن لا أذكرها الا لأمير المؤمنين . فضربه الوزير وصادر ثلاثمائة الف دينار من أموال سيده

فلما بلغ مؤنساً ما جرى وهو اذ ذاك بحربي ينتظر ان يطيب الخليفة قلبه ويعيده

ويعيده سار نحو الموصل ومعه جميع القواد فاجتمع بنو حمدان علي محاربته وجندوا له ثلاثين ألف مقاتل وكان مؤنس في ثمانمائة مقاتل فهزم بنى حمدان واستولي علي اموالهم فاجتمع معه جيش جرار فتحدر بهم الي بغداد ونزل بباب الشماسية وأشار اصحاب المقتدر عليه بحضور الحرب ظنا منهم ان الناس اذا رأته عادوا جميعاً اليه فخرج وهو كاره وبين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة وعليه البردة والناس حوله

فوقف علي تل عال بعيد عن المعركة فأرسل اليه قواده يسألونه التقدم فلما تقدم من موضعه انهزم أصحابه قتل وصوله اليهم فأراد الرجوع فلحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم . فقال ويحكم أنا الخليفة . قالوا قد عرفناك ياسفلة وضربه واحد منهم بسيفه علي عاتقه فسقط الى الارض وذبحه بعضهم ورفعوا رأسه علي خشبة وهم يكبرون ويلعنونه . واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف السوأة الى ان مر به رجل فستره بحشيش ثم حفر له في موضعه ودفن ولما حمل رأس الخليفة الى القائد مؤنس بكي ولطم وجهه ورأسه وأنفذ الي دار الخلافة من منعها من النهب

(القاهر بن المعتضد) من سنة ٣٢٠ الي ٣٢٢

لما قتل المقتدر استعظم مؤنس قتله فأراد أن ينصب ابنه أبا العباس مكانه لأنه هو الذى رباه وأدبه

فاعترضه اسحق النوبختى وقال بعد الجهد استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه ، فنعود الى تلك الحال . لا والله لا نرضي الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا وما زال بمؤنس حتي رده عن رأيه . وذكر له أبا المنصور محمد بن المعتضد فأجابه مؤنس كارهاً لعلمه بشر أبي المنصور وظلمه

فبويع لابي المنصور بن المعتضد سنة ٣٢٠ ولقبوه القاهر بالله واستحلفه مؤنس بأن لا يتعرض له ولا لحاجبه يليق ولا لعلي ابن يليق بسوء

ثم اشتغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وأحضر أم المقتدر وكانت مريضة فسألها عن اموالها فلم تقر ببعضها فضربها وعلقها من رجليها وضرب المحلات الغامضة من بدنها .

وصادر القاهر أموال جميع حاشية المقتدر بعد ان حل اوقافها و باعها

ثم ان مؤنس الخادم والوزير علي بن مقلة و بلبق الحاجب وعلي بن بلبق اخذوا يضيقون علي القاهر حتى انهم وكلوا بمن يفتش الداخل اليه والخارج من عنده فنوى القاهر الايقاع بهم قبل ان يوقعوا به

اما الوزير ابن مقلة و بلبق وغيرهم فانهم اتفقوا علي القبض عليه فدخل ابن بلبق القصر فوجده مملوءا جنوداً كان القاهر قد اعدهم للايقاع بمن يريد اغتياله فهرب ابن بلبق وهرب الوزير . اما بلبق فدخل علي القاهر فأمر بالقبض عليه وارسل فقبض علي مؤنس القائد

فثار الجنود لحبسه وطلبوا اخراجه من السجن ثم ظفر القاهر بابن بلبق فذبحه وأمر بوضع رأسه علي طشت بين يديه وحملت الي ابيه في السجن فلما رأى رأس ابنه اخذ يبكي ويقبلها فأمر بذبحه هو ايضا ثم ذهب بالرأسين الي مؤنس فلما رآهما تشهد ولعن قاتلها فأمر بذبحه ، ووضع رأسه بجانب الرأسين وأمر بأن يطاف بها في الشوارع ثم امر بالرؤوس فنظفت وحفظت في خزانة الرؤوس كما جرت به العادة اذ ذاك

واخذ القاهر يتطلب الوزير ابن مقلة وكان مختفياً يعمل علي خلعه وما زال يدس الدسائس حتي تمكن من غرضه فهجمت الجنود عليه ليلا وخلعته بعد ان حكم عاما واحداً وسبعة أشهر ثم عاش خاملا الى ان مات سنة ٣٣٨

(الراضي بالله بن المقتدر) من سنة ٣٢٢ الي ٣٢٩

كان محبوساً مع والدته فأخرج و بويع له بالخلافة فاستوزر ابن مقلة فأحسن هذا الوزير الي كل من اساء اليه

في سنة ٣٢٣ عظم شأن الحنابلة فصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذا اراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها فأزعجوا بغداد . وركب مدير الشرطة ونادى في جانبي بغداد ان لا يجتمع من الحنابلة اثنان ولا يصلي منهم امام الا اذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الصبح والعشائين

وكتب الراضي كتابا و بعث به ليقرأ علي الحنابلة ينكر عليهم فيه فعلهم و يوبخهم علي تشبيه الله بخلقه فمنه

انكم تارة تزعمون ان صورة وجوهكم القبيحة السمجة علي مثال رب العالمين

وتذكرون الاصابع والكف والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود الي السماء والنزول الى الارض وتنسبون شيعة آل محمد الي الكفر والضلال وتنكرون زيارة قبور الائمة وتشنعون علي زوارها بالابتداع، ومع ذلك أنتم تجتمعون علي زيارة قبر رجل من العوام وتدعون له معجزات الانبياء فلعن الله شيطانا زين لكم هذه المنكرات وما أغواه. وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهداً يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضربا وتشديدا وتبديدا وقتلا وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم »

في زمن هذا الخليفة صارت الخلافة رسما دينيا فقط وانقسمت المملكة الي دول تولي كلا منها أمير مستقل ولم يبق لأمير المؤمنين غير بغداد واعمالها ومع ذلك فكان الحكم فيها لابن رائق الوزير وليس للخليفة الا الخطبة والسكة (النقود)

وكان ابن رائق المذكور والياً بواسط فقلده الخليفة امارة الجيش ولقبه امير الامراء وهو أول من نال هذا اللقب فبطلت الوزارة ببغداد وأمر الخليفة بأن يخطب لابن رائق علي المنابر

انقسمت المملكة بين امراء مستقلين فكانت البصرة في يد ابن رائق . وخوزستان في يد البريدى وفارس في يد عماد الدولة بن بويه . وكرمان في يد أبي علي بن الياس . والرى واصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ووشمكير بن زياد يتنازعان عليها والموصل وديار بكر وربيعة ومضر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد الاخشيد والمغرب وافريقيا في يد القائم العلوى. والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الاموى وخراسان وما وراء النهرين في يد نصر بن احمد بن سامان . وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي

توفي الراضي وعمره اثنان وثلاثون سنة وكان أديبا فمن شعره قوله :

كل صفو الي كدر
كل أمن الى حذر
ايها الآمل الذى
تاه في لجة الغير
أين من كان قبلنا
درس العين والأثر

لا دردر الشيب من
واعظ ينذر البشر

ومن شعره يرثي أباه المقتدر :

ولو أن حياً كان قبراً لميت
لصيرت أحشائي لاعظمه قبرا
ولو ان عمري كان طوع مشيئتي
وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرى ضاجعت في تربة البلى
لقد ضم منك الغيث والليث والبحرا

كان الراضي آخر خليفة تجالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته وخزائنه ومطابخه وأموره علي ترتيب الخلفاء المتقدمين

(المتقي بالله بن المقتدر) من سنة ٣٢٩ الى ٣٣٣

لم يكن له من الخلافة الا الاسم

في سنة ٣٣٠ مات ابن رائق امير الامراء فقلد المتقي ناصر الدولة بن حمدان أمرة الامراء ولقبه سيف الدولة

ثم تولي توزون التركي امارة الامراء

وفي سنة ٣٣٢ ظهر لص ببغداد يعرف بابن حمدى أعجز الناس فأمنه ابن شيرزاد وهو من كبار قواد توزون واشترط ن يأخذ منه كل شهر خمسة عشر الف دينار في مقابل عدم تعقبه فكان يستوفيها منه واللص يعثو في بغداد الفساد تحت حمايته وهذا مالم يسمع بمثله

ثم خاف المتقي من توزون فأرسل الي ناصر الدولة بن حمدان يطلب اليه انفاذ حرس مع ابن عمه فخرج المتقي بأهله ووزيره الي الموصل وأقام بها. ثم استوحش من ابن حمدان ايضاً فسار الي الرقة وأرسل الى توزون يسأله الصلح فأمنه فانحدر المتقي من الرقة الي الفرات فلما بلغ هيت أرسل الي توزون من يجدد اليمين فحلف له توزون ثانية ثم سار عن بغداد ليستقبل أمير المؤمنين فتلقاه بالسندية ونزل وقبل الارض وقال : ها أنا قد وفيت بيميني والطاعة لك . ثم أمر توزون بسمل عيني الخليفة ووزيره وحرمه ونزل بهم الى بغداد

(المستكفي بالله بن المكتفي) من سنة ٣٣٣ الى ٣٣٤

احضر توزون عبد الله بن المكتفي وولاه الخلافه ولقبه المستكفي بالله

توفي توزون فخلفه علي امارة الامراء ابن شيرزاد . فلما علم معز الدولة بن بويه بموت توزون سار الي بغداد فاختفي

المستكفي وابن شيرزاد . ووصل معز الدولة ولقي المستكفي وأمنه فلقبه الخليفة معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة واخاه حسنا ركن الدولة وأمر بضرب ألقابهم وكناهم علي الدراهم والدنانير

كان توزون قد اتخذ قهرمانة عاقلة لدس الدسائس لمسها علم فبلغ معز الدولة انها أخذت تكيد له . فلما كان يوم ٢٢ جمادى الآخرة من سنة ٣٣٤ حضر معز الدولة عند الخليفة والناس معه فحضر رجلان من نقباء الديلم فتناولا يد المستكفي فظن انهما يريدان تقبيلها فمدها اليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في عنقه وساقاه ماشيا الي معز الدولة فحبس بها وأخذ علم القهرمانة فقطع لسانها

(المطيع لله بن المقتدر) من سنة ٣٣٤ الى ٣٦٣

لما بويع له بالخلافة امر بسمل عيني المستكفي . وزال ما كان قد بقي للخلافة من عمل واستبد معز الدولة بكل شيء ولم يسمح للخليفة بوزير بل بكاتب يدبر اقطاعه واخراجاته ولم يبق بيد المطيع لله الا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته

في سنة (٣٤٣) مرض معز الدولة فخاف علي نفسه الموت فاحضر ابنه (بختيار) وقلده ولاية العهد في امارة الامراء من بعده ثم عوفي معز الدولة . ثم عاوده المرض فجدد العهد لابنه ولقبه عز الدولة وأظهر التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه . توفي فكانت امارته احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً ويومين

تولي بعده ولده فأساء السيرة واشتغل باللهو وفي سنة ٣٤٨ أمسك أخاه حبشي وحبسه وكثرت حروبه مع امراء البلاد المجاورة له كالموصل وغيرها وكثر شغب جنوده عليه

فلما أصيب المطيع بالفالج خلع نفسه من الخلافة وسلمها الي ابنه عبد الكريم ولقب بالطائع لله

(الطائع لله بن المطيع) من سنة ٣٦٣ الى ٣٨١

وفي سنة ٣٦٤ أغار عضد الدولة علي العراق واستولى عليه فأرسل اليه بختيار يطلب اليه أن يقدم لفتح بغداد وكان السبب في استدعائه لهياج الاتراك عليه فلما سمع الفتكين أحد قادة الاتراك بقدوم

عضد الدولة تجهز لرده وجاء عضد الدولة فحاصر بغداد فغلت اسعارها وسادت الفوضي فيها ثم خرج الفتكين لمقاتلة عضد الدولة فانهزم ففر هو واتراكه الى تكريت ودخل عضد الدولة الى بغداد وقبض علي بختيار . فلما سمع ابنه وكان والياً علي البصرة امتنع فيها وكاتب ركن الدولة والامراء المجاورين لينصروه فأجابوه وانتصروا جميعا علي عضد الدولة واجلوه عن بغداد وأعادوا بختيار

ولكن عضد الدولة اعاد الكرة فخرج بختيار قاصداً الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له علي المنابر ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد غير الخليفة . ثم ان عضد الدولة تعقب بختيار وقبض عليه وقتله فكانت مدة امارته احدى عشرة سنة وشهوراً

ثم ان عضد الدولة اصيب بالصرع فبدأ بتعمير بغداد وكانت قد خربت من توالى الفتن وأخذ يوزع الاموال علي العلماء والغرباء واذن لوزيره نصر بن هرون وكان نصرانيا في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقراء النصارى وتزوج امير المؤمنين ابنته وكان صداقها مائة الف دينار

ثم مات عضد الدولة سنة (٣٧٢) بعد أن حكم خمس سنين ونصفا وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة شديد الهيبة محبا لأهل الفضل

خلفه ولده صمصام الدولة فأقطع اخويه فارس ولكن أخاه شرف الدولة ملك واسط فسار اليه أخوه صمصام الدولة مع بعض خاصته فقبض عليه شرف الدولة وسمل عينيه

فتولي بعده اخوه ابو نصر بهاء الدولة

وفي سنة (٣٨١) قبض بهاء الدولة علي الطائع وحمله الي بيته وأشهد عليه بالخلع واخذ مابدار الخلافة من الذخائر وكان الشريف الرضي العلوى موجوداً حين القبض علي الطائع فقال :

من بعد ماكان رب الملك مبتسما — الي ادنيه في النجوى و يدنيني
امسيت ارحم من قد كنت اغبطه — لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني — ياقرب ماعاد بالضراء يبكيني
هيهات اغتر بالسلطان ثانية — قد ضل ولاج ابواب السلاطين

والشريف الرضي هذا من أولاد علي عليه السلام

(القادر بالله بن اسحق بن المقتدر) من سنة ٣٨١ الي ٤٢٢

ترقي بهاء الدولة سنة ٤٠١ وولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع

وفي سنة ٤١١ عظم أمر أبي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة فأزال ملك سلطان الدولة عن العراق

وفي سنة ٤١٥ توفي سلطان الدولة وتولي بعده ابنه ابو كاليجار

وفي سنة ٤١٦ تولي مشرف الدولة وخطب ببغداد لاخيه جلال الدولة ابي طاهر

ومن العجيب ان الاتراك والديلم هابو القادر بالله فأطاعوه احسن طاعة وكان تقياً حليماً كريماً وكان يخرج من داره في زى العامة ويزور قبور الصالحين. توفي وعمره ست وثمانون سنة وعشرة اشهر وخلافته احدى واربعون سنة

(القائم بأمر الله بن القادر بالله) من سنة ٤٢٢ الي ٤٩٧

في سنة توليته حصلت فتنة ببغداد لاستبداد القواد بالمال فهاجت الجنود فهرب امير الامراء جلال الدولة الي عكبرا وخطب الاتراك ببغداد للملك أبي كاليجار وراسلوه ليقدم عليهم فامتنع ، فأعادوا الخطبة لجلال الدولة واعتذروا له فعاد

في عهد هذا الخليفة انحلت الخلافة والسلطة معا ببغداد فصارت السلطتان غير قادرتين علي حفظ الأمن في المدينة وانتشر العرب في البلاد فنهبوها

وفي سنة ٤٢٩ لقب جلال الدولة بملك الملوك

وفي سنة ٤٣٥ توفي الملك جلال الدولة وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واحد عشر شهرا . فولي بعده ابو كاليجار فلقبه الخليفة بمحيي الدين

في أيامه قويت شوكة السلجوقيين وامتلكوا خراسان وجرجان وكرمان فأرسل الملك كاليجار في سنة ٤٣٩ الى السلطان ركن الدين طغرلبك ابنه أبي كاليجار وتزوج الامير المنصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود اخي الملك طغرلبك

توفي أبو كليجار سنة ٤٤٠ وتولي ابنه الملك الرحيم فامتنع الخليفة أن يطلق عليه هذا اللقب قائلا لايجوز ان يتلقب أحد بأخص صفات الله واستقر ملكه بالعراق والبصرة وخوزستان

في سنة ٤٤٢ ملك السلطان طغرلبك اصفهان وفي سنة ٤٤٦ استولي علي أذربيجان . وفي سنة ٤٤٧ وصل الي بغداد وخطب له فيها . فأزال ملك بني بويه وكان الملك الرحيم آخرهم

تزوج الخليفة القائم ارسلان خاتون خديجة ابنة داود أخي طغرلبك

وفي سنة ٤٥٠ سار البساسيرى احد قواد المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بمصر الي بغداد فدخلها وخطب في مساجدها للمستنصر وأبعد الخليفة العباسي عن بغداد وكان طغرلبك مشتغلا بقتال اخيه ابراهيم فلما قتله وعاد الي العراق رد الخليفة العباسي وقاتل البساسيرى وقتله

وفي سنة ٤٥١ دخل الخليفة القائم الى بغداد فكان طغرلبك آخذاً بلجام بغلته

وفي سنة ٤٦٢ خرج رومانوس امبراطور الروم في مائة الف حتى وصل الي ملاذكرا من أعمال خلاط فأسرع اليه السلطان الب ارسلان السلجوقي بخمسة عشر الفا فلما قرب العسكران طلب الهدنة من ملك الروم فلم يقبل. فبكي الب ارسلان وقال للناس من اراد ان ينصرف فليس هنا سلطان يأمر و ينهي والقي القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط . ثم قال : ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم فقاتلهم قتال اليائس فانهزموا وأسر ملكهم فلما مثل بين يدى الب ارسلان ضربه ثلاث مقارع وقال له الم أطلب اليك المهادنة فأبيت ؟

فقال له الامبراطور دعني من التوبيخ وافعل مابدالك

فقال السلطان : ماعزمت ان تفعل بي ان اسرتني ؟

فقال الامبراطور : افعل القبيح

فقال له السلطان : فما تظن ان افعل بك ؟

قال الامبراطور : اما أن تقتلني أو تشهر بي في بلادك ، والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائباعنك

قال السلطان ماعزمت علي غير هذا ففداه بألف الف دينار وان يطلق كل أسير عنده من المسلمين . ثم أجلسه معه علي سريره وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها وأطلق جماعة من البطارقة وخلع عليه وعليهم وسير معه جنود ليوصلوه الي مأمنه وشيعه فرسخا

أما الروم فلما بلغهم خبر أسر الملك رومانوس وثب ميخائيل السابع علي المملكة فملك البلاد . فلما وصل رومانوس الى قلعة دوقية و بلغه الخبر لبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل بما تقرر بينه و بين السلطان الب ارسلان وجمع رومانوس ماعنده فبلغ مائتى الف دينار فأرسل بها الى السلطان وحلف له انه لايقدر علي غير ذلك

قتل السلطان الب ارسلان سنة (٤٦٥) قتله محافظ قلعة من قلاعه يوسف الخوارزمي وكان قد أمر أن تشد أطرافه الى أربعة أوتاد . فشتم السلطان فأمر السلطان بتركه ليقتله بالنشاب فرماه بيده فأخطاه فوثب علي السلطان وبرك عليه وطعنه بخنجر

توفي الب ارسلان بعد ان اوصي بالملك لابنه ملكشاه فسار سيرة ابيه في الغزو حتى وصل الي الرى

ولما سمع قاروت بك اخو الب ارسلان بموته سار الي الرى قاصداً الاستيلاء علي ممالكه . فكان ملك شاه قد سبقه اليها فتقاتلا فانهزم قاروت بك

ثم سار ملك شاه الى ترمذ وملكها .

ثم سار الى سمرقند فصالحه صاحبها فعاد الي خراسان ومنها الى الرى وأقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

توفي الخليفة القائم وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر

فكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وتسعة أشهر

(المقتدى بأمر الله) من سنة ٤٦٧ الى سنة ٤٦٨

هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله

في سنة ٤٦٨ إرسل تاج الدولة تتش ابن الب ارسلان احد قواده الي دمشق ففتحها وخطب فيها للمقتدى

وفي سنة ٤٧٢ سار ملك شاه الي كرمان وكان عليها سلطان شاه بن قاروت فخرج لاستقبال ابن عمه ومعه الهدايا فأقره علي ملكه

وفي سنة ٤٨٤ زفت ابنة السلطان ملكشاه الي الخليفة بعد أن اشترط عليه شروطا قبلها . منها أن لا يكون له زوجة ولا سرية غيرها

في سنة ٤٨٥ مات السلطان ملك

شاه وخلفه ابنه محمود وعمره أربع سنين وخطب له علي المنابر ولقب ناصر الدنيا والدين . وسارت والدته وهي تركان خاتون من بغداد الي اصفهان وبها بركياروق وهو أكبر أولاد ملك شاه من غيرها فخرج منها الى الري فسيرت تركان خاتون الجيوش لقتاله فانحاز اليه جماعة منهم فعاد بهم الي اصفهان وحاصرها

ثم قدم بركيارق بغداد وملكها وخطب له بها ولقب ركن الدولة

توفي المقتدر فجأة وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة وثمانية أشهر

(المستظهر بالله بن المقتدر) من سنة ٤٨٧ الي ٥١٣

في هذه السنة شبت الحرب بين السلطان بركيارق أمير الامراء وبين عمه تتش والسبب في ذلك ان تتش بن الب ارسلان طمع في ملك أخيه ملك شاه لما مات فاستولي علي هيت والموصل وديار بكر وأذربيجان

فلما بلغ السلطان بركيارق الخبر وكان بنصيبين عبر نهر الدجلة ولم يكن معه الا الف فارس وتلاقيا فانهزم بركيارق الي اصبهان وكانت لاخيه محمود فمنعه من الدخول ثم صرح له بالدخول ليقتله . ولكن السلطان محمودا مرض ومات فملك أهل اصبهان عليهم بركيارق فكاتب الامراء العراقيين والخراسانيين فاستمالهم فسار بركيارق الى عمه تتش بنحو ثلاثين الف مقاتل فانهزمت جنود تتش وثبت هو حتى قتل

في سنة (٤٩٠) جهز السلطان بركيارق الجنود وأرسلها لقتال عمه ارسلان ارغون في خراسان فاتفق ان بعض غلمانه قتله فسار بركيارق الي نيسابور فملكها وكذلك باقي البلاد الخراسانية بلا قتال. فأقر السلطان أخاه الملك سنجر عليها

وفي سنة ٤٩١ وصلت جموع الصليبيين الى بلاد المسلمين وملكوا بعضاً منها كما تراه في كلمة صليبيين

في سنة ٤٩٣ جرت حرب بين السلطان بركيارق و بين أخيه السلطان محمد انهزم فيها الاول وتنقل في البلاد الي اصفهان وسار الي خورسان وخطب للسلطان محمد في بغداد

وفي سنة ٤٩٤ حصلت وقعة أخرى بين بركيارق وأخيه السلطان محمد فانهزم الاخير الي خراسان وكانت لاخيه سنجر

فأقم بجرجان

أما السلطان بركيارق فرجع الي بغداد واعاد الخطبة لنفسه بها ولكن لم يلبث طويلا حتى جاءه أخوه السلطان محمد بجيش أمده به أخوه السلطان سنجر فهرب بركيارق من بغداد ودخلها السلطان محمد فأعاد له الخليفة الخطبة

وبعد أن دامت الحرب بين الاخوين مدة هلك بينهما فيها خلق كثير اصطلحا سنة ٤٩٧ وتقرر بينهما أن بركيارق لايعترض أخاه محمدا في الطبل وأن لايذكر معه علي منابر البلاد التى صارت له وهي ديار بكر والجزيرة والشام

توفي السلطان بركيارق بعد أن عهد لابنه ملكشاه وعمره أربع سنين وثمانية اشهر فأحضر الامراء وأعلمهم بأنه جعل ابنه ولي عهده وجعل الامير اياز اتابكه (أى مربياً له) فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة وخطب للطفل ملكشاه بمساجد بغداد

وفي سنة ٤٩٩ سار السلطان محمد من أذربيجان الى الموصل ليأخذها من جكرميش فأرسل اليه محمد يبذل له الطاعة ودخل اليه وزير السلطان محمد وقال له : المصلحة أن تحضر الساعة الى السلطان فانه لايخالفك في كل ماتطلبه منه . فسار معه جكرميش فلما رآه جنوده ذاهباً الي السلطان محمد أخذوا يبكون ويضعون التراب علي رؤوسهم خوفاً عليه. فلما دخل علي السلطان محمد أكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال له ارجع الي رعيتك فان قلوبهم عليك . فقبل الارض وعاد وعمل من الغد بساطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الي السلطان الهدايا والتحف ولوزيره أشياء ثمينه

وفي سنة ٥١٢ توفي المستظهر بالله وعمره احدى واربعون سنة

(المسترشد بالله بن المستظهر) من سنة ٥١٢ الي ٥٢٩

في سنة ٥١٣ خرج الملك طغرل علي أخيه السلطان محمود والسبب في ذلك ان الملك طغرل كان قد أقطعه والده زنجان وغيرها. فلما آلت السلطنة الي أخيه محمود خشي أمره فأرسل اليه بهدايا وحسن له المجيء اليه بواسطة الامير كنتغدى فعكس هذا الأمير الامر وحسن لطغرل العصيان

فسار اليهما السلطان محمود بمدينة

سميران فهرب طغرل وكنتغدى الي قلعة سرجهان ولحقها بكنجة فقصدهما أصحابهما فقويت شوكتهما

وفي سنة ٥١٧ وقعت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة والسبب في ذلك ان دبيساً ارسل الى الخليفة يطلب اليه أحد رجاله واسمه البرسقي ويهدده بالقتل ان لم يفعل

فأمر الخليفة المسترشد قائده البرسقي بتجهيز الجنود لقتال دبيس فانهزم هذا الأخير وهرب الى الملك طغرل واحتمي به

في سنة ٥٢٠ استحكم الخلاف بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان محمود امير الامراء والسبب في ذلك أن السلطان ولي شحنكية بغداد شخصا يدعي برنقش فختلف مع نواب الخليفة لاسباب فهدده الخليفة بالقتل ان لم يرجع عن اختلافه مع نوابه فخاف على نفسه وهرب الى السلطان محمود وأقنعه بالمسير لقتال الخليفة وقال له انه قد قوى أمره وصارت له جنود وانه حضر الحرب . وان لم يؤخذ على غرة وفي بداية امره فربما لم يتمكن من اخضاعه فيما بعد ، وربما طمع في استرجاع حقوق الخلافة علي ما كانت عليه

فسار السلطان محمود بعساكره الي بغداد وجمع الخليفة عساكره ودارت بين الفريقين حروب كاد يظفر فيها الخليفة بخصمه لولا أن بعض قواده انحاز بعسكره الي السلطان محمود . عند ذلك طلب الخليفة الصلح فتم ودفع الخليفة ماطلب منه من الاموال

وفي سنة ٥٢١ أسند السلطان محمود شحنكية بغداد الى اتابك عماد الدين زنكي بن أقسنقر

وفي سنة ٥٢٥ توفي السلطان محمود بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وكان حليما كريما عاقلا يعفو عند المقدرة

وملك بعده ابنه داود . وفي سنة ٥٢٦ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وأمرهم بقصد العراق فساروا ونزلوا بالمنارية من دجيل وعبر الخليفة المسترشد بالله الي الجانب الغربي فنزل بالعباسية والتقي العسكران بحصن البرامكة فابتدأ بزنكي فحمل علي ميمنة الخليفة وعليها جمال الدين اقبال فانهزمت وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة علي ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وعماد الدين

وفي سنة ٥٢٧ أرسل المسترشد بهاء الدين أبا الفتح الاسفراييني الواعظ الي عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة وزادها أبو الفتح ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة . فقبض عليه زنكي وأهانه. فلما بلغ الخليفة ذلك سار بثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل تركها أتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي فضيق الخليفة عليها الحصار ولم يظفر بها فرجع عنها. ثم تم الصلح بين الخليفة وأتابك زنكي سنة ٥٢٨

وفي سنة ٥٢٩ سار الخليفة المسترشد لقتال السلطان مسعود فقابلهم مسعود فانحازت ميسرة الخليفة الي السلطان واقتتلت ميمنة وميسرة الخليفة قتالا ضعيفاً ودار به عسكر السلطان فانهزمت وثبت الخليفة فأخذ اسيراً فانزله السلطان الي خيمة ووكل به من يخدمه ويقوم له بالواجب ثم أخذ يراسله في الصلح حتى تم علي أن يدفع الخليفة مبلغاً من المال وأن لا يعود بعدها لجمع العساكر وأن لا يخرج من داره . ثم أركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا ان يعود الي بغداد فوصل الخبر بقدوم رسول من السلطان سنجر وخرج الناس والسلطان محمود للقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمة منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه بعد ان جرحوه جراحات عديدة ومثلوا به وجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة

(الراشد بالله بن المسترشد) من سنة ٥٢٩ الي ٥٣٠

في سنة ٥٢٩ قتل دبيس بن صدقة بظاهر خونج وكان السلطان محمود أمر غلاماً أرمنياً بقتله

وفي سنة ٥٣٠ اجتمع الملوك وأصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود وسار الملك داود بن محمود في عسكر أذربيجان الي بغداد ووصل أتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد

فلما بلغ السلطان مسعود الخبر سار الي بغداد وحاصرها فلما لم يظفر بها عزم

علي العود الي همذان فوصله طرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الي بلاده وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الي الموصل في نفر يسير من أصحابه ودخل السلطان مسعود الي بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود وعرض عليهم اليمين التى حلف بها الراشد له وفيها بخط يده هذه الجملة . « انى متى جندت أوخرجت أولقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر »

فأفتى العلماء بخلعه وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد

(المقتفي لأمر الله بن المستظهر) من سنة ٥٣٠ الي ٥٥٥

لما قطعت الخطبة للراشد بالله استشار السلطان الامراء والاعيان فيمن يصلح للخلافة . فقال الوزير يصلح لها أحد عمومة الراشد ولكنى لاأفصح عن اسمه لئلا يقتل

فتقدم السلطان بعمل محضر في خلع الراشد ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ أموال وأشياء تقدح في الامامة ثم حرروا استفتاء قالوا فيه . ماتقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا؟

فأفتوا ان من هذه صفته لايصلح للامامة . ثم ان السلطان أحضر القاضي أبا طاهر الكرخي فشهدوا عنده بذلك فحكموا بخلعه

ثم اقترح الوزير تولية أبي عبدالله الحسين بن المستظهر ، فأحضر وأجلس في اليمين ودخل السلطان والوزير وتحالفا علي شروط قداقترحوها. وخرج السلطان وأحضر الامراء والعلماء وبايعوه سنة ٥٣١

وفي سنة ٥٣٢ وقعت الحرب بين السلطان مسعود وبين الملك داود فغلب السلطان خصمه وتفرق عسكره للنهب فأعاد الملك داود عليه الكرة فقهره فقصد السلطان مسعود أذربيجان وقصد الملك داود همذان

وفي سنة ٥٣٣ ملك أتابك زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل و بعلبك

وفي سنة ٥٤٧ توفي السلطان مسعود ابن ملكشاه بهمذان فعهد بالملك لابن أخيه ملكشاه فخطب له الامير خصبك ورتب له الامور . ثم قبض عليه وأرسل

الي أخيه الملك بخوزستان يستدعيه ليملك مكانه وكان قصده أن يحضر اليه ليقبض عليه و يخطب لنفسه. فسار اليه محمد فأجلسه علي السرير وخطب له

ثم شعر محمد بخبث نية خاصبك فقتله ومعه زنكي الجاندار ورمي برأسيهما فبقيا حتى أكلتهما الكلاب واستتب الامر لمحمد

وفي سنة ٥٥٤ توفي السلطان محمد ابن محمود بن محمد ملكشاه وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد

وفي السنة التالية توفي الخليفة المقتفي لأمر الله وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وعمره ستاً وستين سنة . وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يحكمه ونفذحكمه علي جيشه من منذ تحكم المماليك علي الخلفاء

(المستنجد بالله بن المقتفي) من سنة ٥٥٥ الى ٥٦٦

لما اشتد المرض علي المقتفي أرادت احدى حظاياه وهي أم ولده أبي علي أن تكون الخلافة لابنها دون ولي العهد يوسف ابن المقتفي فأوعزت الي بعض الجوارى أن يقتلن ولى العهد اذا دخل علي والده

وأعدت لهن السكاكين لهذا الغرض ، وكان ليوسف خصي صغير يتعرف له الاخبار فرأى الجوار بأيديهن السكاكين فأخبر سيده . فاستدعي يوسف أستاذ الدار وأخذه معه واستصحب عدداً من الخدم ولبس درعه ودخل الدار وهو شاهر سيفه فقابلته الجوارى بالسكاكين فضرب واحدة فجرحها وضرب أخرى ثم صاح بأستاذ الدار فدخل هو والخدم فهرب الجوارى . ثم أخذ أخاه أبا علي وأمه فسجنهما وقتل بعض الجوارى وأغرق بعضاً

ولما مات أبوه تولي الخلافة ولقب المستنجد

في سنة ٥٥٦ قتل السلطان سليمان شاه لتهوره ولهوه فتولى بعده ارسلان شاه ابن طغرل بن محمد ملكشاه فخطب له علي منابر بغداد

وفي سنة ٥٦٦ توفي المستنجد بالله وعمره ست وخمسون سنة وكان من احسن الخلفاء سيرة

وكان سبب موته انه كتب الي وزيره مع طبيبه يأمره بالقبض علي أستاذ الدار وقطب الدين قايماز وصلبهما وكان قد اشتد

مرضه فلجتمع الطبيب بهما وأطلعهما علي الامر . فقالا له : عد اليه وقل له : اني أوصلت الخط الي الوزير . فنعل ثم دخل الرجلان علي المستنجد ومعهما رجالهما فحملوه وهو يستغيث الي الحمام وأقوه وأغلقوا الباب عليه وهو يصيح الي أن مات

(المستضيء بأمر الله بن المستنجد) من سنة ٥٦٦ الي ٥٧٥

كان سنة ٥٦٥ قد مات قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل . وكان قد أوصي بالملك لابنه الا كبر عماد الدين زنكي . ثم عدل عنه الي ابنه الثاني سيف الدين غازى . وسبب ذلك ان القائم بتدبير الدولة كان خادما يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طائعاً لعمه نور الدين وكان هذا يبغض فخر الدين . فاتفق فخر الدين وابنه حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى وهي والدة سيف الدين علي تولية ابنها المذكور

فقصد عماد الدين عمه نور الدين صاحب دمشق مستنصراً به فلما كانت سنة ٥٦٦ أنجده نور الدين بجيش فلك الرقة ونصيبين والخابور وسنجار وأتي مدينة بلد وهي فوق الموصل وعبر الدجلة ونزل علي حصن نينوى فأرسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه علي أن يقر مابيد سيف الدين و يطلب لنفسه الأمان فأجابه الي ذلك وشرط علي فخر الدين أن يكون معه بالشام و يعطيه اقطاعا مرضية . فتسلم البلد وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الي الشام ومعه فخر الدين عبد المسيح

في سنة ٥٧٥ توفي الخليفة المستضيء ، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة

(الناصر لدين الله بن المستضيء ،) من سنة ٥٧٥ الي ٦٢٢

في سنة ٥٧٦ مات سيف الدين غازى بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولي بعده عز الدين الموصلي فأعطي جزيرة ابن عمرو وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه وأعطي قلعة شوش لابنه الصغير ناصر الدين كبك وكان المدبر لدولة عز الدين مجاهد الدين قايماز

(الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله) من سنة ٦٢٢ الي ٦٢٣

كان والده قد بايع له بولاية العهد سنة ٥٨٥ ثم نفر منه وخافه علي نفسه

فانه كان شديداً قوياً عالي الهمة فأسقط اسمه من ولاية العهد وجعلها لأخيه الصغير علي الا انه توفي في حياته

فرجع الناصر فبايع لابنه الظاهر ولما توفي والده أخرجه رجال الدولة من الحبس وبايعوه بالخلافة فأظهر العدل والاحسان وفرق في الناس اموالا جزيلة

(المستنصر بالله بن الظاهر) من سنة ٦٢٣ الي ٦٤١

بويع له عقب موت أبيه فأظهر في العدل فوق مافعل ابيه . وأفاض الصدقات وعم اعمال البر وأنشأ المدرسة المستنصرية فكانت من أكمل المدارس بناءً وأكفأها معلمين ورتب لها من الطعام ما يكفيها وجعل فيها الاطباء والصيادلة لتطبيب الطلبة

الا انه أخطأ خطأ عظيما في نقص عدد الجنود طلبا للاقتصاد

وهو الذى أعاد له محمد بن يوسف ابن هود الدعوة العباسية بالاندلس فولاه عليها وذلك سنة ٦٢٩

في أيام هذا الخليفة استولي التتار علي كثير من بلاد المسلمين حتى وصلوا في بعض غاراتهم الى بغداد ولكن ردهم عساكر الخلافة

(المستعصم بالله بن المستنصر) من سنة ٦٤١ الي سنة ٦٥٦

اشتهر هذا الخليفة بلهوه وقصفه فكان يلعب بالطيور و يلهو بالنساء وكان ضعيف الرأى قليل الحزم كثير الغفلة وكان كثيراً ماينبه الي استفحال أمر التتار و يستحث علي مايجب عليه أخذه من الاهبة لاستخلاص البلاد من أيديهم واتقاء ماعسي أن يصيب الخلافة منهم فكان يقول : أنا يكفيني بغداد وهم لا يستكثرونها علي اذا تنازلت لهم عن باقي البلاد ولا يهجمون علي وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي

ترك الامور تجرى علي مايشاء اعداؤه فكانت البلاد تقع الواحدة بعد الأخرى في يد التتار أى (المغول) فينهبونها و يدمرونها و يسبون نساءها وأطفالها وهو لاه بنفسه لايحرك ساكنا

فبعد ان ملك المغول الرى واصبهان وهمذان وأكثر بلاد العراق تقدموا في سنة ٦٥٥ قاصدين مدينة بغداد . وهم تحت قيادة هولاكو بن الفاتح الاشهر جانكيز خان

فلما بلغ الخليفة ماقصده من الاستيلاء علي دار الخلافة جمع خواصه وتشاوروا في الامر فأشار عليه الوزير أن يبذل الاموال والهدايا والتحف لهولاكو وخواصه ليكون ذلك مقدمة للصلح معهم علي أمر لائق

فقال الدويدار الصغير لأصحابه ان الوزير انما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلانمكنه من ذلك

فامتنع الخليفة لهذا السبب من العمل بمشورة الوزير وأرسل لهولاكو أشياء لا قيمة لها فغضب وعزم علي الاسراع الي بغداد

وفي هذه الاثناء حدثت فتنة في بغداد بين السنية والشيعة وكان الوزير شيعياً فأمر الخليفة بنهب دور الشيعة فنهبت ولم تراع ذمة الوزير فشق ذلك عليه وأرسل الى هولاكو يهون عليه امر بغداد

فلما كانت ٦٥٦ نزل هولاكو بجموع التتار علي بغداد وحاصرها ورماها بالمجانيق والنفط فلما رأى الخليفة في نفسه العجز عن المقاومة أرسل وزيره ابن العلقمي الي هولاكو لطلب الصلح فاستأمن لنفسه واخذ أمانا للمستعصم منه ان يبقي علي خلافته

فخرج المستعصم لمقابلة هولاكو ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ثم قتل المستعصم ضربا بالعمد ووطأ بالاقدام جثته

وركب الي بغداد فاستباحها أياماً وخرج النساء والصبيان علي رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر المغولية فماتوا جميعاً

قيل انه قتل في هذه الحادثة من المسلمين نحو مليون ونصف وهو غلو عظيم الا انه يدل علي عظم المجزرة التى أمر بها هولاكو

وقد نهبت جنود المغول دور الخلفاء والامراء وألقوا كتب العلم في نهر دجلة ومروا عليها بالخيول فذهبت نفائس الكتب وذخائر القرائح كأنها لم تكن

فكانت مدة الخلافة العباسية خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة حكم في أثنائها سبعة وثلاثون خليفة

◀ عبس ▶ بنوعبس هي قبيلة عربية (أنظر عرب)

◀ عبق ▶ الطيب يعبَق عبقا انتشرت رائحته

◀ العبقرى ▶ الكامل من كل

شيء . والسيد . والذى ليس فوقه شيء

◀ العَبَنْل ▶ الضخم . (العَبَنْلة) الضخمة

◀ العَبْهَر ▶ الممتلئ الجسم والنرجس والياسمين

◀ العباهلة ▶ الملوك الثابتون في ملكهم

◀ عتب ▶ عليه يعتُب ويعتِب عتباً غضب عليه

(عاتبه) لامه

(أعتبه) اعطاه العُتْبَى اى الرضا

(استعتبه) طلب اليه وأعطاه العتبى

(التَّعَتُّب) الامر الكريه والفساد

◀ العتبي ▶ هو ابو عبد الرحمن محمد ابن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر ابن عتبة بن ابي سفيان القرشي الاموى المعروف بالعتبي الشاعر البصرى المشهور

كان اديبا فاضلا شاعرا مجيدا وكان راوية لأخبار العرب وأيامها لهشعر جيد في رثاء بنيه

روى العلم عن ابيه وسفيان بن عيينة ولوط بن مخنف. روى عنه ابوحاتم السجستاني وابو الفضل الرياشي واسحق بن محمد النخعي وغيرهم قدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه اهلها

كان العتبي وابوه سيدين أديبين فصيحين وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب أشعار الاعاريب واشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الذبيح وكتاب الاخلاق وغير ذلك

قال العتبي المذكور سمعت اعرابياً يقول لرجل ان فلانا وان ضحك لك فان عقاربه تسرى اليك فان لم تجعله عدوا في علانيتك فلا تجعله صديقا في سريرتك

ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف وابن المنجم في كتاب البارع وروى له قوله :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فأعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن متى أبصرنني اوسمعن بي
سعين فرقعن الكوى بالمحاجر
فان عطفت عنى اعنة اعين
نظرن بأحداق المها والجآذر
واني من قوم كريم نثاؤهم
لاقدامهم صيغت رؤس المنابر

خلائف في الاسلام في الشرك قادة
بهم والبهم فخر كل مفاخر
ومن شعره أيضا :
لما رأتني سليمي قاصراً بصري
عنها وفي الطرف عن امثالها زور
قالت عدمتك مجنونا فقلت لها
ان الشباب جنون برؤه الكبر
وذكر له المبرد في الكامل بيتين يرثي
بهما اولاده وهما :
اضحت بخدي للدموع رسوم
اسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها
الا عليك فانه مذموم
شعر العتبي جيد وهو يعتبر من فحول
شعراء المحدثين
توفي سنة (٢٢٨)

➤ عتد ➤ الشيء يعتد عتادة وعتادا تهيأ
(عتد الشيء وأعتده) هيأه
(العتيد) الحاضر

➤ العيترة ➤ ولد الرجل وقيل رهطه وعشيرته الادنون

➤ عترسه ➤ اخذه بالشدة
(العيتريس) الجبار والغضبان

➤ عتق ➤ الشيء يعتق عتاقة قدم فهو عتيق
(عتقت البنت) تعتيق عتقا صارت عاتقا و (العاتق) الجارية اول بلوغها
(عتق الرقيق) يعتيق عتقا خرج عن الرق
(أعتق العبد) اخرجه عن الرق
(العيتاق) من الخيل النجائب مفرده عتيق
(العتيق) القديم والكريم

➤ العتق ➤ اتفق الائمة ان العتق من اعظم القربات المندوب اليها وقد جعلها الشارع من بعض الكفارات عن الذنوب تيسيرا للعتق

➤ العاتك ➤ الكريم والخالص من كل شيء
(العاتكة) المرأة التي تكثر الطيب

➤ العتكي ➤ هو الحسن السكري جامع ديوان الشعراء الهذليين . توفي سنة (٢٥٧) ﻫ

➤ عتله ➤ تعتله عتلا اخذه بمجامعه وجذبه بعنف
(العتلة) حديدة كالعصا لها رأس مفلطح يهدم بها

➤ العتمة ➤ ثلث الليل الأول. وقيل وقت صلاة العشاء

➤ عته ➤ يعته عتها نقص عقله
(عته الرجل) نقص عقله
(تعته فلان) تجنن
(العتاهية) الاحمق

➤ أبو العتاهية ➤ هو أبو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء العيني المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور
ولد بعين التمر وهي قرية بالحجاز قرب المدينة وقيل انها من أعمال سقي الفرات وقيل انها قرب الانبار ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان مبدأ أمره يبيع الجرار فقيل له الجرار واشتهر بمحبة عتبة جارية أمير المؤمنين المهدي واكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله :
أعلمت عتبة أنني
منها على شرف مطل
وشكوت ما ألقي اليـ
ـها والمدامع تستهل
حتى اذا برمت بها
أشكو كما يشكو الأقل
قالت فاي الناس يـ
ـلم ما تقول فقلت كل
وكتب يوما الى أمير المؤمنين المهدي وعرض بطلبها منه :
نفسي بشيء من الدنيا معلقة
الله والقائم المهدي يكفيها
اني لأيأس منها ثم يطمعني
فيها احتقارك للدنيا وما فيها
قال ابو العباس المبرد في كتاب الكامل ان ابا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدي الي أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان . فأهدى له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب علي حواشيه هذين البيتين المتقدم ذكرهما . فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي أتدفعني الي رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالشعر فأعفاها وقال املأوا له البرنية مالا . فقال الكتاب أمر لي بدنانير فقالوا له لاندفع لك الا دراهم الي ان يفصح بما أراد . فاختلف في ذلك حولا، فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد اعرض عن ذكرى صفحا

ومن شعره في المديح :

اني امنت من الزمان وصرفه
لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله
تخذوا له حر الخدود نعالا
ان المطايا تشتكيك لأنها
قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا
واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

مدح بهذه الابيات عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين الفا وخلع عليه حتى لم يقدر ان يقوم . فغار الشعراء منه فجمعهم ثم قال : يامعشر الشعراء عجبا لكم ما أشد حسدكم بعضكم بعضا ان احدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشبب بصديقته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره . وقد اتانا ابو العتاهية فشبب بأبيات يسيرة ثم قال وانشد الابيات المذكورة فما لكم منه تغارون ؟

وكان ابو العتاهية لما مدحه بتلك الابيات تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبطئه :

اصابت علينا جودك العين ياعمر
فنحن لها نبغي التمائم والنشر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها
وان لم تفق منها رقيناك بالسور

قال أشجع السلمي الشاعر المشهور أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا فأمر بالجلوس فاتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد وسكت المهدي فسكت الناس . فسمع بشار حسا فقال لي من هذا فقلت أبو العتاهية . قال فأمره المهدي أن ينشد فأنشد :

ألا ما لسيدتي مالها
ادلت فأحمل أدلالها

قال فنخسني بشار بمرفقه وقال ويحك أرأيت أجسر من هذا ؟ ينشد مثل هذا الشعر في هذا الموضع ؟ حتى بلغ الي قوله :

اتته الخلافة منقادة
اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها احد غيره
لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب
لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشار انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه ؟ ؟ قال اشجع

فوالله ما انصرف أحد عن ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية

لأبي العتاهية في الزهد أشعار كثيرة من الطبقة العليا وهو يعد من طبقة المولدين في درجة بشار بن برد وأبي نواس وتلك الطائفة وشعره كثير

يحكي انه لقي أبا نواس يوما فقال له كم تعمل في يومك من الشعر ؟ فقال له البيت والبيتين . فقال له أبو العتاهية لكنني أعمل المائة والمائتين في اليوم . فقال له أبو نواس لانك تعمل مثل قولك

ياعتب مالي ولك
باليتني لم أرك

ولو أردت مثل هذا الالف والالفين لقدرت عليه وأنا أعمل مثل قولي

ثم أنشد بيتاً فيه مجون كبير . ثم قال له ولو أردت مثل هذا لأعجزك الدهر

من ألطف شعر أبي العتاهية قوله :

ولقد صبوت اليك حتى
صار من فرط التصابي
يجد الجليس اذا دنا
ريح التصابي في ثيابي

ومن شعره في عتبة جارية المهدي :

يا اخوتي ان الهوى قاتلي
فنشروا الاكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى
فانني في شغل شاغل

ويقول فيها أيضاً :

عيني علي عتبة منهلة
بدمعها المنسكب السائل
يامن رأى قبلي قتيلا بكي
من شدة الوجد علي القاتل
بسطت كفي نحوكم سائلا
ماذا تردون علي السائل
ان لم تنيلوه فقولوا له
قولا جميلا بدل النائل
أو كنتم العام علي عسرة
منه فمنوه الى القابل

وحكي صاعد اللغوي في كتاب الفصوص ان أبا العتاهية زار يوما بشار ابن برد فقال له أبو العتاهية اني لاستحسن قولك اعتذاراً من البكاء اذ تقول :

كم من صديق لى اسا
رقه البكاء من الحياء
واذا تفطن لامني
فأقول مابي من بكاء

لكن ذهبت لارتدى

فطرفت عينى بالرداء

فقال له أيها الشيخ ماعرفته الا من بحرك ، ولا نحته الا من قدحك ، وأنت السابق حيث تقول :

وقالوا قد بكيت فقلت كلا

وهل يبكي من الجزع الجليد

ولكن قد أصاب سواد عينى

عويد قذى له طرف حديد

فقالوا ما لدمعهما سواء

أكلتا مقلتيك أصاب عود

قل صاعد وتقدمها الي هذا المعنى الحطيئة حيث يقول :

اذا ما العين فاض الدمع منها

أقول بها قذى وهو البكاء

وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر فحكي قال : لما امتنعت من قوله أمر المهدى بحبسي في سجن الجرائم فلما دخلته دهشت ورأيت منظراً هالني فطلبت موضعاً آوى فيه فاذا أنا بكهل حسن البزة والوجه عليه سيما الخير فقصدته وجلست علي غير سلام عليه ، لما انا فيه من الجزع والحيرة والفكر فمكثت كذلك ملياً واذا الرجل ينشد :

تعودت مس الضر حتى ألفته

وأسلمنى حسن العزاء الي الصبر

وصيرني يأسي من الناس واثقا

بحسن صنيع الله من حيث لا ادرى

قال أبو العتاهية فاستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب الي عقلي فقلت له تفضل أعزك الله علي باعادتهما . فقال يااسماعيل ويحك ما أسوأ أدبك ، وأقل عقلك ومروءتك . دخلت فلم تسلم علي تسليم المسلم علي المسلم ، ولا سألتنى مسألة الوارد علي المقيم ، حتى سمعت منى بيتين من الشعر الذى لم يجعل الله تعالي فيك خيراً ولا أدباً ولا معاشاً غيره طفقت تستنشدني مبتدئاً كأن بيننا أنساً وسالف مودة توجب بسط القبض ، ولم تذكر ما كان منك ، ولا اعتذرت عما بدا من اساءة أدبك

فقلت اعذرني متفضلا فدون ما أنا فيه مدهش

قال وفيم أنت ؟ تركت الشعر الذى هو جاهك عندهم ، وسببك اليهم ، ولا بد ان تقوله فتطلق . وأنا يدعي الساعة بي فأدعي بعيسي بن زيد بن رسول الله صلي الله عليه وسلم فان دللت عليه لقيت الله

تعالي بدمه وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم خصمي فيه والا قتلت فأنا أولي بالحيرة منك ، وها انت ترى صبرى واحتسابي

فقلت يكفيك الله عز وجل وخجلت منه

فقال لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين : ثم اعادهما علي مراراً حتى حفظتهما . ثم دعا بي و به فقلت له : من انت أعزك الله عز وجل ؟ قال انا حاضر صاحب عيسي بن زيد

فأدخلنا علي المهدى فلما وقفنا بين يديه قال للرجل اين عيسي بن زيد ؟

قال وما يدريني اين عيسي بن زيد ؟ تطلبته فهرب منك في البلاد ، وحبستني فمن اين اقف له علي خبر ؟

قال له متى كان متواريا واين آخر عهدك به وعند من لقيته ؟

قال مالقيته منذ توارى ولا عرفت له خبرا

قال والله لتدلن عليه او لأضربن عنقك الساعة

فقال اصنع مابدالك ، فوالله لا ادلك علي ابن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ولو كان بين ثوبي وجلدى ما كشفت لك عنه

قال المهدى اضربوا عنقه . فضرب عنقه .

ثم دعا بي فقال أتقول الشعر أو ألحقك به ؟

قلت بل أقول

قال أطلقوه ، فأطلقت

حدث الانبارى ابو بكر قال: ارسلت زبيدة ام الأمين الي ابي العتاهية ان يقول علي لسانها ابياتا بعد قتل الأمين يستعطف بها المأمون فأرسل اليها هذه الابيات :

ألا ان صرف الدهر يدني و يبعد

ويمتع بالألاف طوراً و يفقد

أصابت بريب الدهر منى يدى يدى

فسلمت للاقدار والله احمد

وقلت لريب الدهر ان هلكت يد

فقد بقيت والحمد لله لي يد

اذا بقي المأمون لي فالرشيد لى

ولى جعفر لم يفتقد ومحمد

فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له ابو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف علي زبيدة وزاد في تكرمتها وقضي حوائجها جميعا

قال ثمامة انشدني ابو العتاهية :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالي الذى انا منفق
وليس لي المال الذى انا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له من اين قضيت بهذا ؟ قال من قوله صلي الله عليه وسلم : انما لك من مالك ما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او أعطيت فأمضيت . فقلت أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وانه الحق ؟ قال نعم . قلت فلم تحبس عندك سبعاً وعشرين بدرة في دارك لاتأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولاتقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ قال يا ابا معن والله ان ماقلت الحق ولكنى اخاف الفقر والحاجة الي الناس . قلت وما يزيد حال من افتقر علي حالك وانت دائم الحزن لاتأكل ولا تشرب منها ، دائم الجمع شحيح علي نفسك لاتشترى اللحم الا من عيد الى عيد . فترك جواب كلامي كله ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم

فلما قال لي هذا القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه اومعاتبته وامسكت عنه وعلمت انه ممن لم يشرح الله صدره للاسلام

وقيل له مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال والله مابخلت بما رزقنى الله قط . قيل له فكيف ذاك وفي بيتك من المال مالا يحصي ؟

قال ليس ذلك رزقي فلو كان رزقي لأنفقته

قيل أطبع الناس بالشعر بشار بن برد والسيد الحميرى وابو العتاهية وما قدر قد احد قط علي جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرته

كان أبو العتاهية غزير البحر كثير المعاني لطيفها سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلف الا انه كثير الساقط المرذول . وأكثر شعره في الزهد والامثال وكان قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لايؤمن بالبعث والنشور ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

حدث الخليل بن اسد النوشجاني قال اتانا ابو العتاهية الي منزلنا فقال زعم الناس انى زنديق والله مادينى الا التوحيد فقلنا له قل شيئاً نتحدث به عنك فقال:

الا اننا كلنا بائد
واى بنى آدم خالد
وبدأهم كان من ربهم
وكل الي ربه عائد
فياعجباً كيف يعصي الا
له ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل علي انه واحد

لأبي العتاهية ارجوزة سماها ذات الابيات وفيها اربعة آلاف مثل فمنها :

حسبك مما تبتغيه القوت
ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا
من اتقي الله رجا وخافا
هي المقادير فلمنى او فذر
ان كنت اخطأت فما اخطا القدر
لكل مايؤذى وان قل ألم
ما اطول الليل علي من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله
وخير ذخر المرء حسن فعله
ان الفساد ضده الصلاح
ورب جد جره المزاح
من جعل النمام عينا هلكا
مبلغك الشر كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة
يغنيك عن كل قبيح تركه
يرتهن الرأى الاصيل شكه
ما عيش من آفته بقاؤه
نغص عيشا كله فناؤه
يارب من أسخطنا بجهده
قد سرنا الله بغير حمده
ماتطلع الشمس ولا تغيب
الا لامر شأنه عجيب
لكل شيء قدر وجوهر
واوسط واصغر واكبر
فكل شيء لاحق بجوهره
اصغره متصل بأكبره
من لك بالمحض وكل ممتزج
وساوس في الصدر منك تختلج
مازالت الدنيا لنا دار اذى
ممزوجة الصفو بأنواع القذى
الخير والشر بها ازواج
لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالمحض وليس محض
يخبث بعض و يطيب بعض
لكل انسان طبيعتان
خير وشر وهما ضدان
والخير والشر اذا ما عدا
بينهما بون بعيد جداً
انك لو تستنشق الشحيحا
وجدته انتن شيء ريحا
عجبت حتى ضمني السكوت
صرت كأني حائر مبهوت
كذا قضي الله فكيف اصنع
والصمت ان ضاق الكلام اوسع

يقال ان ابا العتاهية جلس يوما يلوم أبا نواس علي استماع الغناء ومجالسته لاصحابه فقال له ابو نواس :

أتراني يا عتاهي
تاركا تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالـ
ـنسك عند القوم جاهي

فوثب أبو العتاهية وقال لا بارك الله عليك

ومن مدائحه البديعة ما مدح به الرشيد عند عقد الولاية لبنيه الثلاثة الامين والمأمون والمؤتمن منها قوله :

وراع براعي الليل في حفظ امة
يدافع عنها الشر غير رقود
بألوية جبريل يقدم أهلها
ورايات نصر حولها و بنود
تجافي عن الدنيا فأيقن انها
مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية
ثلاثة املاك ولاة عهود
هم خير أولادهم خير والد
له خير آباء مضت وجدود
بنو المصطفي هرون حول سريره
فخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم
عيون ظباء في قلوب اسود
جدودهم شمس أتت في أهلة
تبدت لراء في نجوم سعود

وقال يمدح الرشيد :

وهرون ماء المزن يشفي من الصدى
اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
واوسط بيت في قريش لبيته
وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه
وتحكي الرعود العاصفات حوافره

اذا حميت شمس النهار تضاحكت
الي الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوما بنكبة
فهرون من بين البرية ناصره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك
لذا لم يفت هرون ضد ينافره

وقال يمدح الفضل بن الربيع :

اذا ما كنت متخذاً خليلا
فمثل الفضل فاتخذ الخليلا
يرى الشكر القليل له عظيما
ويعطي من مواهبه الجزيلا
اراني حيثما يممت طرفي
وجدت علي مكارمه دليلا

وقال يمدح المهدى:

انت المقابل والمدا
بر في المناسب والعديد
بين العمومة والخؤو
لة والابوة والجدود
فاذا انتميت الي ابيـ
ـك فانت في المجد المشيد
واذا انتمي خال فما
خال بأكرم من يزيد

يريد يزيد بن منصور وكانت ام المهدى ام موسي بنت منصور الحميرى

وقال يمدح يزيد بن مزيد الشيباني أحد قواد الرشيد :

كأنك عند الكر في الحرب انما
تفر من الصف الذى من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغي
وما آفة الآمال غير حبائكا

وقال يمدح عمر بن العلاء :

رضيت ببعض الظلم خوف جميعه
وليس لمثلي بالملوك يدان
وكنت امرأ اخشي العقاب واتقي
مغبة ما تجني يدى ولساني
ولو انني عاتبت صاحب قدرة
لعرضت نفسي صولة الحدثان
فهل من شفيع منك يضمن توبتي
فاني امرؤ اوفي بكل ضمان

وقال يمدح هرون الرشيد :

يامن تبغي زمناً صالحا
صلاح هرون صلاح الزمن
كل لسان هو في ملكه
بالشكر من احسانه مرتهن

ولد ابو العتاهية سنة (١٣٠) وتوفي سنة (٢١٣) وقيل (٢٢٣)

يقال انه لما حضرته الوفاة قال اشتهي ان يجيء مخارق المغني ويغني عند

رأسي :

اذا ماانقضت عني من الدهر مدتي

فان عزاء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكري وتنسي مودتي

ويحدث بعدي للخليل خليل

وأوصي ان يكتب علي قبره هذا البيت :

ان عيشاً يكون آخره الموت

لعيش معجل التنغيص

﴿ عتا ﴾ الرجل يعتو عتوا و عتيا وعتيا استكبر

(العتيق) العاني

﴿ عثر ﴾ يعثر عثرا وعثورا زل وكبا

(عثره وأعثره) جعله يعثر

(تعثر) عثر

(العاثور) المهلكة وما يعثر به جمعها عواثير

(العثير) التراب

(العثمان) فرخ الحبارى وفرخ الثعبان

﴿ عثمان بن عفان ﴾ هو ثالث الخلفاء الراشدين بعد النبي صلي الله عليه وسلم

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي القرشي الأموي يجتمع نسبه مع النبي صلي الله عليه وسلم في عبد مناف

كنيته أبو عبدالله وأبو عمر وأشهرهما الثانية

ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف . وأمها البيضاء بنت حكيم بن عبد المطلب عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم

كان عثمان قبل أن يسلم تاجر بز وكان غنيا كريما محببا من قومه لكرم اخلاقه ومحترما لديهم حتى قيل ان المرأة كانت ترقص صبيها وهي تقول :

أحبك والرحمن

حب قريش عثمان

فلما بعث النبي صلي الله عليه وسلم جماعة في مقدمتهم أبو بكر دعاه الي الاسلام فأسلم فأحبه النبي صلي الله عليه وسلم وجعله موضع ثقته ثم زوجه ابنته رقية فماتت في السنة الثانية من الهجرة فزوجه بابنته الاخرى أم كلثوم ولذا سمي ذا النورين ثم توفيت ام كلثوم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو أن لنا ثالثة لزوجناك

روى انه لما أسلم أخذه عمه الحكم ابن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال له : ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لادعك أبداً حتى تدع ماانت عليه

فقال عثمان والله لاادعه ابداً ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه

ولما اشتدت قريش في اضطهاد المسلمين هاجر الي الحبشة مع رقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان أول من هاجر ثم هاجر الهجرة الثانية الى المدينة

بذل عثمان في نصرة الاسلام نفسه وماله وجاهه حتى انه حمل في تجهيز جيش العسرة ألف بعير وخمسين فرساً وكان هذا الجيش متوجها الي تبوك

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان الي النبي صلي الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يقبلها ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم

ثم اشترى بئر دومة بعشرين الف درهم فجعلها للمسلمين يستقون منها

لما حضرت عمر الوفاة أوصي ان يجتمع الستة الرجال الذين مات رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأن ينتخبوا واحداً منهم ، وهم علي وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة والزبير وشرط ان يكون معهم ابنه عبدالله وليس له شيء غير الشورى

فاجتمعوا وتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد

فسمعها عمر فانتبه فقال : الا أعرضوا عن هذا أجمعين فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم . ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الامر ، وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الايام الثلاثة فأحضروه أمركم . ومن لي بطلحة ؟ فقال له سعد بن أبي وقاص أنا لك به ولا يخالف ان شاء الله

فقال عمر أرجو ان لا يخالف ان شاء

وما أظن أن يلي الا احد هذين الرجلين علي وعثمان . فان ولي عثمان فرجل فيه لين وان ولي علي ففيه دعابة وأحر أن يحملهم علي طريق الحق . وان تولوا سعداً فأهلها هو ، والا فليستعن به الوالى ، فاني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف . ونعم ذو الرأى

عبد الرحمن بن عوف مسدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا اليه

وقال لأبي طلحة الانصارى : يا ابا طلحة ان الله عز وجل طالما اعز الاسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم

وقال للمقداد بن الاسود : اذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم

وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ان قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الامر وقم على رؤسهم . فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وابي واحد فاشدخ رأسه او اضرب رأسه بالسيف . وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما عليه الناس

فخرجوا فقال علي لقوم كانو امعه من بني هاشم : ان أطع فيكم قومكم لم يؤمنوا ابداً .

وتلقا ه العباس فقال له علي : عدلت عنا . فقال وما علمك ؟ قال قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخران معي لم ينفعاني ، بله اني لا ارجو الا احدهما

فقال العباس : لا ادفعك في شي الا رجعت الي مستأخراً بما اكره . اشرت عليك عند وفاة رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تسأله فيمن يلي هذا الامر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى ان لا تدخل معهم فأبيت . احفظ عنى واحدة . كلما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يزالون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم لنا به غيرنا . وايم الله لا يناله الا بشر لا ينفعه خير

فقال علي : اما لئن بقي عثمان لاذكرنه ما اتى ولئن مات ليتداولنها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدوني حيث يكرهون . ثم تمثل بهذين البيتين

حلفت برب الراقصات عشية
غدون خفافا فابتدرن المحصبا
ليختلين رهط بن يعمر مارئا
نجيعاً بنو الشداخ ورداً مصلبا

والتفت فرأى أباطلحة فكره مكانه فقال أبوطلحة : لم ترع أبا الحسن

فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي وعثمان أيهما يصلي عليه . فقال عبد الرحمن كلا كلاكما يحب الامرة لستما من هذا في شيء . هذا الي صهيب ، استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس علي امام

فصلي عليه صهيب

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة ، ويقال في بيت المال ، ويقال في حجرة عائشة بأذنها وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب . وامروا ابا طلحة ان يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما . وقال تريدان أن تقولا حضرنا وكنا في أهل الشورى

اجتمع اهل الشورى وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة أنا كنت لأن تدافعوها أخوف مني لأن تنافسوها . لا والذى ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التى أمرتم . ثم أجلس في بيتي فانظر ماذا تصنعون

فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد

فقال عبد الرحمن فانا انخلع منها . فقال عثمان أنا أول من رضي فقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول أمين في الارض أمين في السماء

فقال القوم : قد رضينا وعلي ساكت

فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟

قال : أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة

فقال : أعطوني مواثيقكم على ان تكونوا معي على من بدل وغير ، وان ترضوا من اخترت ، ولكم علي ميثاق الله ان لا أخص ذا رحم لرحمه ، ولا آلو المسلمين

فأخذ ميثاقهم واعطاهم مثله

فقال لعلي : انك تقول اني أحق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ، ولم تبعد . ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم

تحضر ، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر

قال : عثمان

ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به علياً فقال عثمان

ثم خلا بسعد فكلمه

فلقي علي سعداً فقال له : اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيباً . اسألك برحم ابنى هذا من رسول الله صلي الله عليه وسلم و برحم عمي حمزة منك ان لاتكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً علي فاني ادلي بما لايدلي به عثمان

ثم دار عبد الرحمن لياليه يلقي اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن وافي المدينة من أمراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم لايخلو برجل الا امره بعثمان حتى اذا كان في الليلة التى يستكمل في صبيحتها الأجل اتي منزل المسور بن مخرمة بعد ابهيرار من الليل (أى بعد انتصافه) فايقظه فقال : ألا أراك نائما ولم أذق في هذه الليلة كثير غمض . انطلق فأدع الزبير وسعدا . فدعاهما فبدا الزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلي دار مروان . فقال له خل ابنى عبد مناف وهذا الأمر . فقال نصيبى لعلي

وقال لسعد : اذا وأنت كلالة فاجعل نصيبك لي فأختار

قال ان اخترت نفسك فنعم ، وان اخترت عثمان فعلي أحب الي . ايها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا

قال يا أبا اسحق اني قد خلعت نفسي منها علي ان اختار ولو لم أفعل وجعل الخيار الي لم أردها . اني أريت (اى في المنام) كروضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل لم أر فحلا قط أكرم منه كأنه سهم لايلتفت الي شيء مما في الروضة حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج من الروضة ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه و يلتفت يمينا وشمالا و يمضي قصد الأولين حتى خرج ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة لاوالله لا اكون الرابع ولايقوم مقام ابي بكر وعمر بعدهما احد فيرضي الناس عنه . فاني اخاف ان يكون الضعف قد أدركك فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر

وانصرف الزبير وسعد وارسل عبد الرحمن المسور بن مخرمة الي علي فناجاه طويلا وهو لايشك انه صاحب الامر ، ثم نهض وارسل المسور الي عثمان فكانا في نجيهما حتى فرق بينهما اذان الصبح

فقال عمرو بن ميمون قال لى عبد الله ابن عمر ياعمرو من أخبر انه يعلم ما كلم به عبد الرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك علي عثمان

فلما صلوا الصبح جمع عبد الرحمن الرهط و بعث الي من حضره من اهل السابقة والفضل من الانصار وأمراء الاجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله (اى ازدحم) فقال :

ايها الناس قد احب ان يلحق اهل الامصار بأمصارهم وقد علموا من اميرهم

فقال سعيد بن زيد : انا نراك اهلا لها

فقال عبد الرحمن اشيروا علي بغير هذا

فقال عمار : ان اردت ان لايختلف المسلمون فبايع علياً

فقال المقداد بن الاسود : صدق عمار ان بايعت علياً قلنا سمعنا واطعنا

قال ابن ابي سرح : ان اردت ان لاتختلف قريش فبايع عثمان

فقال عبد الله بن ابي ربيعة : صدق ان بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا

فشتم عمار بن ابي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين ؟

فتكلم بنو هاشم و بنو امية

فقال عمار : ايها الناس ان الله عز وجل اكرمنا بنبيه واعزنا بدينه ، فأني تصرفون هذا الأمر عن اهل بيت نبيكم؟

فقال رجل من بنى مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما انت وتأمير قريش لانفسها

فقال سعد بن ابي وقاص : ياأبا عبد الرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس

فقال عبد الرحمن : اني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط علي أنفسكم سبيلا . ودعا علياً وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده

فقال ارجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي

ودعا عبد الرحمن عثمان فقال له مثل ماقال لعلي

قال عثمان : نعم فبايعه

فقال علي : حبوته حبو دهر ، ليس هذا اول يوم تظاهرتم فيه علينا . فصبر جميل والله المستعان علي ماتصفون . والله

ماوليت عثمان الا ابرد الامر اليك . والله كل يوم هو في شأن

فقال عبد الرحمن يا علي : لا تجعل علي نفسك سبيلاً، فاني قد نظرت وشاورت الناس فاذا هم لا يعدلون بعثمان

فخرج علي وهو يقول: سيبلغ الكتاب اجله

فقال عمار ياعبد الرحمن اما والله لقد تركته وانه من الذين يقضون بالحق و به يعدلون

فقال يا عمار والله لقد اجتهدت للمسلمين

قال ان كنت اردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين

وقال المقداد : ما رأيت مثل ما أوتي اهل هذا البيت بعد نبيهم اني لأعجب لقريش انهم تركوا رجلا ما اقول ان احداً اعلم ولا اقضي منه بالعدل . اما والله لو أجد اعوانا

فقال عبد الرحمن : يامقداد اتق الله فاني خائف عليك الفتنة

فقال رجل للمقداد : رحمك الله من اهل هذا البيت ومن هذا الرجل

قال المقداد : اهل البيت بنو عبد المطلب والرجل علي بن ابي طالب

فقال علي : ان الناس ينظرون الي قريش وقريش تنظر الي بيتها ، فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم

وقدم طلحة في اليوم الذى بويع فيه لعثمان فقيل : بايع عثمان

فقال أكل قريش راض به

قيل : نعم . فأتي عثمان فقال له عثمان: انت علي رأس امرك ان ابيت رددتها

قال : اتردها ؟

قال : نعم .

قال : أكل الناس بايعوك

قال : نعم .

قال طلحة : قد رضيت ، لا ارغب عما قد اجتمعوا عليه وبايعه

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد قد اصبت ان بايعت عثمان . وقال لعثمان لو بايع عبد الرحمن غيرك مارضينا

فقال عبد الرحمن : كذبت يا اعور لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة

وكان المسور بن مخرمة يقول : ما

رأيت رجلا بذ قوما (غلبهم) فيما دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبد الرحمن بن عوف

وكانت البيعة لعثمان لليلة بقيت من ذى الحجة سنة (١٣) فاستقبل بخلافته المحرم سنة(٢٤)

وقيل انه استخلف لثلاث مضين من المحرم سنة (٢٤) فخرج فصلي بالناس العصر

واراد ان يخطب الناس فأرتج عليه (اى قفل عليه باب الكلام فقال: ايها الناس ان اول مركب صعب . وان بعد اليوم اياما وان اعش تأتكم الخطبة علي وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله

(فتوحات عثمان) اعاد عثمان فتح بلاد ارمينية واذربيجان بعد ان انتقضت علي المسلمين

ولي عثمان معاوية علي الشام والجزيرة وثغورهما وامره ان يغزو شمشاط وهي بارمينية فارسل معاوية فاتحها الاول وهو حبيب بن مسلمة . فخرج اليها سنة (٣٦) فقاتله اهلها ثم طلبوا الصلح فصالحهم علي ذلك

فجمع له بالطريق ارمينافش جيشا وقصده حبيب بن مسلمة فطلب هذا المدد فارسل اليه معاوية بالفي مقاتل وارسل الي عامله علي الكوفة ان يمده فارسل اليه ستة آلاف رجل ، فتقابل الجمعان فانهزم الارمن وقتل قائدهم

ثم توغل حبيب في ارمينية الغربية واتجه احد قواده وهو سلمان الخير الي ارمينية الشرقية ففتحا جميع البلاد الي بين البحر الاسود وبحر الخزر حتي القوقاز

فلما وصل المسلمون الي نهر ترك الذى يصب في بحر الخزر صدهم الارمن ومنعوهم عن التوغل فيما وراء بحر قزوين فعادوا لغزو بلاد الروم فأغار معاوية بن ابي سفيان علي الاناضول سنة ٢٥ و٢٦ من جهة اقليمي كبادوكيا وفريجيا فاخذ عمورية ثم اعد اسطولا وامر عبد الله بن سعد بن ابي سرح ان يمده اسطولا آخر واستعمل عبد الله بن قيس الجاسي علي البحر وسار الاسطولان فاجتمعا في قبرص فصالحهم اهلها

وفتح معاوية جزيرة كريد ويسميها العرب اقريطش وجزيرة كوس وجزيرة رودس

وكان عمرو بن العاص قد فتح في خلافة عمر بن الخطاب برقة وطرابلس

فلما ولي عثمان بن عفان ارسل عبد الله بن ابي سرح لغزو افريقيه سنة ٢٤ أو ٢٥ وهي تونس فصالحهم أهلها علي مال يؤدونه ولم يستطع ان يتوغل فيها

ثم عاود الكرة عليها وكان عثمان قد أمدهم بجيش فيه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير فساروا مع عبد الله بن سعد بن ابي سرح سنة ٢٦ فقاتلهم الرومان بطرابلس فهزموهم ثم قصدوا افريقية (تونس) فقاتلهم واليهامن قبل الرومان بمائة وعشرين الف مقاتل فنشب بينهم قتال شديد انتهي بهزيمة الرومانيين وفي هذه الموقعة قتل عبد الله بن الزبير غريغوار قائد الجيش الروماني وسبي ابنته وتم الفتح فكان سهم الفارس فيها ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف وهو فتح لم يسمع بمثله

ثم سار هذا الجيش مخترقا شمال افريقا من الشرق الي الغرب فاتحاً كل مايصادفه من المدن والقلاع حتى انتهي الي جبل طارق وهي نهايه مراكش فانقادت جميع هذه الممالك واذعنت لدفع الجزية وانجلت عنها الجنود الرومانية

في السنة الثالثة من خلافة عثمان انتقضت بعض بلاد الفرس علي المسلمين وفعل فعلها بعض بلاد الكرد . فأرسل عثمان عبيد الله بن معمر في خراسان وولاها عميرة بن عثمان وأرسل الاول الي فارس . فأثخن عبيد الله بن معمر في خراسان حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة الا أصلحها

ثم انتقضت فارس علي عبيد الله بن معمر فلقي الثائرين في اصطخر فقتل عبيد الله فاستنفر عبد الله بن عامر والي البصرة أهلها وسار بنفسه الي فارس فلقيه الثائرون باصطخر فقتل منهم عدداً عظيما وانهزموا ففتح اصطخر عنوة وسار الي دار ابجرد ومدينة جور ففتحهما ثم عاد الي اصطخر وقد انتقضت ثانية فحاصرها وافتتحها وفني فيها اكثر أهل البيوتات والاساورة لأنهم كانوا لجأوا اليها . ووطيء ابن عامر اهل فارس وطأة لم يزالوا منها في ذل

ولما رجع عبد الله بن عامر الي البصرة انتقضت خراسان فوجه الي سجستان الربيع بن زياد الحارثي والى كرمان مجاشع بن مسعود السلمي . وسار هو الى نيسابور فأتي الطبسين . وهما حصنان يعتبران بابي خراسان ففتحها ثم سير

قواده الي أعمال نيسابور وكل أعمالها وطوس وهراة .

ووجه عبد الله بن عامر ايضاً الاحنف بن قيس الى طخارستان فأتي سواجرد فصالحه اهلها ثم مضي الى مرو فصالحه اهلها ايضاً واستولى علي رستاق بلخ فاجتمع علي قتاله اهل الجوزجان والطالقان والفارياب ومعهم الصغانيان (التركستان الشرقية) فهزمهم الاحنف بن قيس جميعاً وفتح البلاد المذكورة

ثم سار الي بلخ وهي عاصمة طخارستان فافتتحها ثم انعطف الى خوارزم فلم يتيسر له فتحها فعاد

وأما مجاشع بن مسعود الذى توجه الي كرمان فانه فتح عميد والسيرجان وجيرفت ولم يدع بلداً في كرمان الا فتحه

واما الربيع بن زياد الذى سار الي سجستان فانه فتح حصن زالق وكركويه وروشت وناشروذ وشرواذ وزرنج . الخ

وفتح عبد الرحمن كابل وزابلستان وهي ولاية غزنة

لما طبرستان فتحها سعيد بن العاص في خلافة عثمان سنة (٣٠)

(مقتل يزدجرد ملك الفرس) كان يزدجرد التجأ في مدة عمر بن الخطاب الي حلوان ثم اصفهان وكان كلما تقدمت جيوش المسلمين يفر أمامها حتى استقر في كرمان

ولما ثارت فارس في عهد عثمان وأخضعها عبد الله بن عامر مرة ثانية كان في أثناء اخضاعها يطارد يزدجرد ملك الفرس وأرسل في أثره هرم بن حيان فأتبعه الي كرمان فهرب منه الى خراسان ثم لحق بمرو الروذ وكاتب ملوك الصين وفرغانة والخزر فأمدوه فسار بالجيوش الي سجستان وقيل الي جرجان فالتقي بجيوش المسلمين فهزموه فالتجأ الى مرو الشاهجان فمنعه صاحبها من الدخول وكتب الى نيزك طرخان من ملوك الترك يستقدمه لقتل يزدجرد ومصالحة العرب عليه وان يعطيه كل يوم الف درهم فجاء نيزك الي يزدجرد متظاهراً بنصرته واحتال عليه ليقتله فأحس يزدجرد بالدسيسة ففر الي ارحاء علي نهر المرغاب فقتله صاحب الرحي ورماه في النهر وانقرضت به الدولة الساسانية من بلاد الفرس وكانت مدة ولايتها (٣٢٩) سنة

(طعن الناس علي عمال عثمان) كان

الوليد بن عقبة عامــلا لعمر علي الجزيرة فعزل عثمان سعــد بن أبي وقاص وولاها الوليد بن عقبة فقدم الكوفة وأحسن السيرة في الناس ولبث فيهم خمس سنين ثم اتهمه بعضهم بشرب الخمر

قيل انه سكر وصلي الصبح بأهــل الــكوفة اربعاً ثم التفت لهم وقال أزيدكم؟ فقال ابن مسعود مازلنا معــك في الزيادة منذ اليوم. وشهدوا عليه عنــد عثمان فأمر عليا بجلده فأمر علي عبد الله بن جعفر بجلده فجلده

وروى الطبرى ان الناس كانوا في عهد الوليد فرقتين العامة معه والخاصة عليــه. وفي رواية ان الوليد ادخل علي الناس الخير حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ولقد تفجع عليه الاحرار والمماليك وكان يسمع الولائد وعليها الحداد حين عزله وتولية سعيد ابن العاص يقلن:

يا ويلنا قد عزل الوليد

وجاءنا مجوعا سعيــد

ينقص في الزاد ولا يزيد

فجوع الاماء والعبيــد

وفي رواية الطبرى عن الشعبى انه كان مما زاد عثمان علي يد الوليد رد علي كل مملوك في الكوفة من فضول الاموال ثلاثة في كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم

ولــكن قوماً تألبوا عليه فاتهموه أمام عثمان بأنه يشرب الخمر وشهد عليه آخرون زوراً فجلده عثمان

(حادثة أبي ذر) كان أبو ذر الغفارى من خيرة المسلمين علماً وتقوى وشدة في الدين وجرأة في قول الحق. وكان يعتقد ان كل أموال الفيء من حقوق المسلمين وليس للامام أو من يقوم مقامه ان يدخر شيئاً منها بل يجب ان تقسم علي الناس كما كان ذلك في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وكان معاوية يكثر من ادخار المال في ولايته بالشام لصرفه وقت الحاجة وكان يقول: المال مال الله. فوجد محبو الفتنة من مذهب ابي ذر وسيلة يتوسلون بها لايجاد المشاغب فانطلق عبد الله بن سبأ الي الشام واندس علي ابي ذر فوسوس له قائلا: ألا تعجب يا أبا ذر الي معاوية يقول المال مال الله الا ان كل شيء لله، كأنه يريد ان يحتجنه اى (يكتنزه) دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين

لقي ابو ذر معاوية وقال ما يدعوك الي ان تسمي مال المسلمين مال الله؟

قال معاوية يرحمك الله يا ابا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والامر امره؟ قال فلا تقله

فقال معاوية: اني لا أقول انه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين

ثم قام ابو ذر بالشام وجعل يقول: يامعشر الاغنيـاء واسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم

فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه علي الاغنياء حتى شكا الاغنياء مايلقون من الناس

فكتب معاوية الي عثمان ان ابا ذر قد أعضل بي وقد كان من امره كيت وكيت

فكتب عثمان الي معاوية: ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها فلم يبق الا ان تثبت فلا تنكأ القرح وجهز ابا ذر الي وابعث معه دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فانما تمسك ما استمسكت

فبعث معاوية الي عثمان بأبي ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع (هو اسم جبل بالمدينة) قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار (اى ذات اهوال)

ودخل علي عثمان فقال له: يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذربك (اى حدة لسانك)

فأخبره انه لاينبغي ان يقال مال الله، ولا ينبغي للاغنياء أن يقتنوا مالا

فقال عثمان يا ابا ذر علي ان أقضي ماعلي وآخذ ما علي الرعية ولا اجبرهم علي الزهد وان ادعوهم الى الاجتهاد والاقتصاد

قال ابو ذر فتأذن لي في الخروج فان المدينة ليست لي بدار

فقال عثمان: او تستبدل الا شراً منها

فقال ابو ذر: أمرني رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اخرج منها اذا بلغ البناء سلعا

قال عثمان: فأنفذ ما امرك به فخرج ابو ذر حتى نزل الربذة فخط بها مسجداً واقطعه عثمان صرمة من الابل واعطاه

مملوكين وأرسل اليه ان تعاهد المدينة حتى لاترتد اعرابيا

وروى الطبرى عن ابن عباس قال كان ابو ذر يختلف من الربذة الى المدينة مخافة الاعرابية وكان يحب الوحدة والخلوة فدخل علي عثمان وعنده كعب الاحبار (وكان من علماء اليهود ثم أسلم)

فقال ابو ذر : لاترضوا من الناس بكف الاذى حتى يبذلوا المعروف .وقد ينبغي للمؤدى الزكاة ان لا يقتصر عليها حتى يحسن الى الجيران والاخوان و يصل القرابات

فقال كعب الاحبار من ادى الفريضة فقد قضي ماعليه

فقال له ابو ذر يا ابن اليهودية ما انتوما هنا ، والله لتسمعن مني اولأ دخل عليك ورفع محجنه فضر به فشجه

فاستوهبه عثمان (اى استوهب كعب الاحبار حقه) فوهبه له

فقال عثمان لأبي ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك

(مبادىء الفتنة) قضي عثمان الشطر الأكبر من خلافته وهو احب الي الناس من عمر لرأفته واقبال الدنيا علي الناس في عهده . ولكنه آثر بنى امية علي غيرهم وأغدق عليهم الاموال وآثرهم بالمناصب فانحرفت عنه القلوب ، وتطلع الناس لمناقشته الحساب

قال ابن جرير الطبرى في تاريخه كان عثمان مستضعفا طمع فيه الناس وأعان علي نفسه بأفعاله وباستيلاء بنى امية عليه . وكان ابتداء الجراءة عليه ابلا من ابل الصدقة قدم بها عليه فوهبها لبعض ولد الحكم بن ابي العاص فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان في داره . فكان ذلك اول وهن دخل علي خلافة عثمان

وقيل انه خطب يوما وبيده عصا كان رسول الله وابو بكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها علي ركبته. فلما تكاثرت احداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من اهل المدينة من الصحابة وغيرهم الي من بالآفاق بذلك و بأن يقدموا لخلع عثمان فهاج الناس وكان ما كان

وقد كان اول ماتكلم به في الخارج محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن ابي بكر ان عابا عثمان في غزوة ذات الصوارى التى

غزاها مع عبد الله بن سعد بن ابي سرح في البحر سنة احدى وثلاثين واظهروا عيبه وما خالف به ابا بكر وعمر وانه استعمل عبد الله بن سعد رجل اباح دمه رسول الله ونزل القرآن بكفره ونزع أصحاب رسول الله عن الاعمال وولاها مثل عبد الله بن سعد وسعيد بن العاص الى غير ذلك من الكلام الذى ساء عبد الله فعزلهما عن المسلمين في مركب ليس فيه غير القبط حتى رجع الجيش الي مصر واخذ ابن ابي حذيفه يفسد قلوب المسلمين علي عثمان

وكان السبب في ظهور التذمر من عثمان في العواصم كمصر والبصرة والكوفة هو تألف جمعية سرية قام بها عبد الله ابن سبأ المعروف بابن السوداء (وكان يهوديًا ثم أسلم علي عهد عثمان) اسسها علي مبدأين دينيين اولهما وجوب رجوع محمد عليه الصلاة والسلام الي الدنيا كما قيل برجوع عيسي عليه السلام . فكان يقول العجب ممن يصدق ان عيسي يرجع ويكذب ان محمدا يرجع . فقبل جمهور من الناس هذه العقيدة منه

المبدأ الثاني وصاية علي بن ابي طالب فكان يقول للناس انه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب علي وصيه . وان عثمان اخذها بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدأوا بالطعن علي امرائكم وبعث دعاته وكاتب رجالا من الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الي ماعليه رأيهم حتى تم له الامر

ثم قام حمران بن ابان في البصرة لأ يثار الصدور علي عثمان لأ نه كان حاقداً عليه اذ ضر به علي زواجه بامرأة في العدة واجترأ أهل الكوفة علي التظاهر بالعداء وتجاوزوا حدود الأدب في تناول عثمان وسيرته . حتى أن سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة جعل خاصته من وجوه أهلها واهل القادسية فكان يسمر عنده مثل مالك بن كعب الارحبي وعلقمة ابن قيس النخعي وثابت بن قيس الهمداني وجندب بن زهير الغامدى وعروة ابن الجعد وصعصعة بن صوحان وابن الكواء وطليحة بن خويلد وغيرهم وكانوا يفيضون في ذكر الاحوال والرجال وربما انتهوا الي الملاحاة والمشاتمة والتضارب . فاذا لامهم حجاب سعيد نهروهم وضربوهم

ثم منع سعيد السمر عنده فكان

هؤلاء القوم يجتمعون في مجالسهم يذمون سعيداً وعثمان فكتب سعيد وأهل الكوفة الي عثمان في اخراجهم فكتب الى معاوية ان نفرا خلقوا للفتنة فقم عليهم وانههم وان آنست منهم رشدا فاقبل وان أعيوك فارددهم علي

فأنزلهم معاوية وأجرى عليهم من الرزق ما كان لهم بالعراق وأقاموا عنده يحضرون مجلسه . فقال لهم يوما : انكم قوم من العرب لكم اسنان (اعمار) وألسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغلبتم الامم وحويتم مواريثهم، وقد بلغني انكم نقمتم قريشا ولو لم تكن قريش كنتم أذلة . ان أئمتكم لكم جنة فلا تفترقوا عن جنتكم وان أئمتكم يصبرون لكم علي الجور ويحتملون عنكم المؤنة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم السوء ولا يحمدكم علي الصبر . ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم علي الرعية في حياتكم و بعد وفاتكم

فقال رجل منهم وهو صعصعة : اما ماذكرت من قريش فانها لم تكن اكثر العرب ولا امنعها في الجاهلية . واما ما ذكرت من الجنة فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا

فقال معاوية عرفتكم الآن وعلمت ان الذي أغراكم علي هذا قلة العقول . وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا. أعظم عليك أمر الاسلام وتذكرني بالجاهلية . أخزى الله قوماً عظموا امركم . افقهوا عني ولا أظنكم تفقهون . ان قريشاً لم تعز في جاهلية ولا اسلام الا بالله تعالى . لم تكن بأكثر العرب ولا اشدها ولكنهم كانوا اكرمهم احسابا، وامحضهم انسابا ، واكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضاً الا بالله . فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم . هل تعرفون عجمياً او عربيا أو اسود او احمر الا وقد أصابه الدهر في بلده وحرمته ، الا ما كان من قريش فانهم لم يردهم أحد من الناس بكيد الا جعل الله خده الاسفل حتى أراد الله أن يستنقذ من اكرمه واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ، ثم ارتضى له اصحابا فكان خيارهم قريشاً ثم بنى هذا الملك عليهم يحوطهم في الجاهلية وهم علي كفرهم افتراه لا يحوطهم وهم علي دينه ؟ اف لك ولاصحابك . أما انت ياصعصعة فان قريتك شر القرى ، انتنها نبتاً واعمقها

وادياً وأعرفها بالشر وألأمها جيراناً ، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع الا سب بها ، ثم كانوا ألأم العرب القابا وأصهارا، نزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة فارس حتى أصابتكم دعوة النبي صلي الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى اذا أبرزك الاسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع الي الذلة ، ولا يضر ذلك قريشا ولا يضعهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرف بالشر فأغرى بكم الناس وهو صارعكم ولا تدركون بالشر أمراً أبداً الا فتح الله عليكم شراً منه وأخزى

ثم قام وتركهم فتقاصرت اليهم أنفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال اني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لا ينفع الله بكم أحدا أبداً ولا يضره، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة ، فان أردتم النجاة فالزموا الجماعة ولا يبطرنكم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار . اذهبوا حيث شئتم فسأكتب الي أمير المؤمنين فيكم

وكتب معاوية الى عثمان انه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ، أضجرهم العدل ولا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة أنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم ، وليسوا بالذين ينكرون أحداً الا مع غيرهم فانه سعيداً ومن عنده منهم فانهم ليسوا الا أكثر من شغب ونكير

فقيل انهم خرجوا يريدون الجزيرة فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وهو بحمص فدعاهم ووبخهم

وقيل كتب عثمان الي معاوية يردهم الي الكوفة فأطلقوا ألسنتهم فكتب سعيد يشكوهم فأمر عثمان باشخاصهم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص وكان علي حمص فقال لهم : يا آلة الشيطان (أي ياحربة الشيطان) لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد في نشاق ، خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم يامعشر من لا أدري أعرب هم أم عجم. ثم مضى في توبيخهم علي ما فعلوا وما قالوا لسعيد ومعاوية

فهابوا سطوته وطفقوا يقولون نتوب الي الله أقلنا أقالك الله . حتى قال تاب الله عليكم

(مانقمه الناس علي عثمان) نقم الناس علي عثمان أشياء نسردها من أوثق

مصادرها :

منها اتمامه الصلاة في منى وعرفة وكان رسول الله والخليفتان بعده يقصرونها

ومنها زيادة النداء الثالث علي الزوراء يوم الجمعة

ومنها اخراج أبي ذر من الشام والمدينة الي الربذة

ومنها سقوط خاتم النبي صلي الله عليه وسلم من يده في بئر اريس

ومنها افشاؤه الولايات في أهله و بني عمه

ومنها صلته لاهله و بني عمه الاموال واقطاعهم القطائع وحملهم علي رقاب الناس واستئثاره برأيه ورأيهم وترك المهاجرين والانصار لا يستشيرهم ولا يوليهم

ومنها انه أعطي مروان بن الحكم خمس الغنيمة من غزو افريقية . ووصل عبد الله بن خالد بن اسيد بأربعمائة الف درهم . وأقطع الحرث بن الحكم موضع سوق بالمدينة كان تصدق به رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المسلمين . وأعطي اباسفيان بن حرب مائتي الف درهم . وانكح الحرث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة الف من بيت المال

ومنها انه حمي الحمي (المراعي) حول المدينة الا عن بني أمية . ورد الحكم بن العاص الذى كان طرده رسول الله الي المدينة وأعطاه مائة الف درهم .

ومنها استعماله السوط بدل الخيزران في الضرب فضرب ظهور الناس بالسياط

ومنها تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة ، دارا لنائلة ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته

ومنها ضربه عبد الله بن مسعود حتى كسر ضلعا من اضلاعه

ولكن عثمان اعتذر عما عزى اليه بأعذار أكثرها يكاد يكون مقبولا

فاعتذر عن اتمامه الصلاة بمنى أى عن صلاته أربع ركعات بدل ركعتين بأنه سمع ان بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس زعموا ان الصلاة للمقيم ركعتان واحتجوا بأن أمير المؤمنين يصلي ركعتين فصلي عثمان أربعاً دفعاً لهذه الشبهة

واعتذر عن الحمي الذى حماه حول المدينة بقوله ان عمر حمي الحمي قبلي لأبل الصدقة ، وقد وليت وانى لأكثر العرب بعيراً وشاة ومالى اليوم شاة ولا بعير غير

بعيرين لحجي

واعتذر عن صلة أهله بالاموال بانه ائتمر بامر الله فيها اذ امر بصلة الاهل . وقال ان أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هولها . اما أنا فأخذت ماهولي من بيت المال فقسمته في اهلي . ومع هذا فانه قد اشير عليه باسترداد ما اعطاه لمروان وخالد ابن اسيد فاسترده وأعاده لبيت المال

واعتذر عن رد الحكم بن ابي العاص بانه مكي وقد سيره رسول الله الى الطائف ثم رده

واعتذر عن تولية الاحداث من اهله بقوله انه لم يستعمل الا مجتمع محتمل مرضي (يريد عبد الله بن عامر) واحتج بأن رسول الله قد ولى اسامة بن زيد ولم يبلغ العشرين

واعتذر عن اعطاء عبد الله بن سعد ابن ابي سرح الخمس بقوله انه نفله خمس ماأفاء الله عليه فكان مائة الف وقد جعل مثل ذلك ابو بكر وعمر . فزعم الجند انهم يكرهون ذلك فرده عليهم وليس ذلك لهم

ثم ان أم سلمة احدى زوجات النبى صلي الله عليه وسلم نصحته أن يتوخي السبيل التى سلكها ابو بكر وعمر فأجابها بما يأتي :

« ياأمنا قد قلت فوعيت ، وأوصيت فاستوصيت . ان هؤلاء النفر رعاع غثرة (أى سفلة) تطأطأت لهم تطأطؤ الماتح الدلاء (أى كالذى يتناول الماء من أعلا البئر) وتلددت لهم تلدد المضطر (أى تلفت لهم يمينا وشمالا) فأرانيهم الحق اخوانا، وأراهموني الباطل شيطانا ، أجررت المرسون منهم رسنه (أى مكنت المشدود منهم من ذمامه أى اهملته وشأنه) وأبلغت الراتع مسعاه ، فانفرقوا علي فرق ثلاثا : فصامت صمته أنفذ من صول غيره وساع اعطاني شاهده ، ومنعني غائبه ، ومرخص له في مدة رينت علي قلبه فأنا منهم بين ألسن لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد . عذيرى الله ألا ينهي منهم حليم سفيها ، ولا عالم جاهلا ، والله حسبى وحسبهم يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون

لما فشت الفتنة في الامصار، وتوغرت الصدور علي عثمان عزم سعيد بن العاص والي الكوفة علي المسير الي عثمان سنة (٣٤) فانتهز دعاة الفتنة خلو البلد من رئيس فأظهروا امرهم وعزموا علي الذهاب

خلع عثمان تحت قيادة يزيد بن قيس فبادره القعقاع بن عمرو فقال انما نستعفي من سعيد بن العاص فتركه. وكتب يزيد الي الرهط الذين عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد بحمص في القدوم فساروا اليه وسبقهم الاشتر ووقف على باب المسجد يوم الجمعة يقول :

جئتكم من عند عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم على مائة درهم (اى من العطاء) ورد أولي البلاء منكم الي الفين ويزعم ان فيكم بستان قريش فهاج القوم لهذا الخبر. ونادى يزيد في الناس من شاء أن يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل فخرجوا وذوو الرأي يعذلونهم فلا يسمعون. ونزل يزيد واصحابه الجرعة لاعتراض سعيد ورده عن الرجوع الي الكوفة. فلما وصل سعيد اليهم بالجرعة قالوا ارجع فلا حاجة لنا بك. فرجع سعيد الى عثمان فأخبره بخبر القوم وانهم يختارون أبا موسي الاشعرى فولاه الكوفة وكتب اليهم :

اما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم واعفيتكم من سعيد، ووالله لاقرضنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبرى، ولاستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئا احببتموه لايعصي الله فيه الا سألتموه، ولا شيء كرهتموه لايعصي الله فيه الا استعفيتم منه، انزل فيه عند ما احببتم حتى لايكون لكم عند الله حجة ولنصبرن كما امرنا حتى تبلغوا ماتريدون

ثم خطابهم ابو موسي الاشعرى وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان فرضوا

أما عثمان فانه احضر اهل شوراه وهم عبدالله بن سعد بن ابي سرح وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص ومعاوية وكانوا بطانته دون الناس فجمعهم وشاورهم فيما يفعل ليتقي شر الناس

فقال له عبد الله بن عامر : ارى لك ياامير المؤمنين ان تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك.

وقال سعيد بن العاص : احسم عنك الداء، فاقطع عنك الذى تخاف، ان لكل قوم قادة متى هلكت تفرقوا ولا يجتمع لهم امر

وقال معاوية : أيسر عليك ان تأمر امراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ماقبله وأكفيك انا اهل الشام

وقال عبد الله بن سعد : ان الناس اهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف

عليك قلوبهم

ثم قام عمرو بن العاص فقال : ياامير المؤمنين انك قد ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل او اعتزل، فان ابيت فاعزم عزما وامض قدما

فقال له عثمان : مابالك قمل فروك، أهذا الجد منك ؟

فسكت عمرو حتى تفرقوا ثم قال : والله ياامير المؤمنين لأنت اكرم علي من ذلك ولكنى علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود اليكم خيرا وادع عنك شرا

وقال الطبرى : كان عمرو بن العاص ممن يحرض على عثمان ويغرى به، ولقد خطب عثمان يوما في آخر خلافته فصاح عمرو بن العاص :

اتق الله ياعثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها معك فتب الى الله نتب

فقال عثمان : وانك هنها ياابن النابغة قملت والله جبتك منذ نزعتك عن العمل

وقال الطبرى ايضا : كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب على عثمان وكان يقول : والله ان كنت لألقي الراعي فأحرضه علي عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه

فلما اشتد الشر بالمدينة خرج عمرو ابن العاص الي منزله بفلسطين فبينما هو بقصره ومعه ابناه عبد الله ومحمد وعندهم سلامة بن روح الخزامي اذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال محصور

فقال عمرو أنا ابو عبد الله. العير يضرط والمكواة في النار

ثم مر بهم راكب آخر فسألوه. فقال قتل عثمان

فقال عمرو أنا ابو عبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها

فقال سلامة بن روح : يامعشر قريش انما كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه. فقال نعم أردنا ان نخرج الحق من خاصرة الباطل ليكون الناس في الامر شرعاً سواء

(ترجع لذكر عثمان) لما سمع عثمان مشورات أصحابه عمل بمشورة عبد الله ابن عامر فشغل الناس بالغزو فلم يقف ذلك ألسنة الناس عن الطعن علي حكومة عثمان والنيل منها، وأخذوا يتكاتبون من

الامصار وكان كبار الصحابة ملازمين الصمت الا نفراً منهم كانوا يذبون عنه مثل زيد بن ثابت وابي اسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فلم يغنوا عنه شيأ

فاجتمع الناس الي علي بن ابي طالب عليه السلام فكلموه في ذلك فدخل علي عثمان وقال :

« الناس ورائي وقد كلموني فيك ، والله ماادرى مااقول لك ، ولا اعرف شيأ تجهله ، ولا أدلك علي أمر لاتعرفه ، انك لتعلم ، ماسبقناك الي شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وما خصصنا بأمر دونك ، وقد رأيت وصحبت رسول الله صلي الله عليه وسلم وسمعت منه ونلت صهره ، وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولي بشيء من الخير منك ، وأنت أقرب الي رسول الله رحما ولقد نلت من صهر رسول الله صلي الله عليه وسلم مالم ينالاه وما سبقناك الي شيء ، فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر من عمي ، ولا تعلم من جهالة . وان الطريق لواضح بين . وان اعلام الدين لقائمة اعلم ياعثمان ان افضل عباد الله امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة ، وامات بدعة متروكة فوالله ان كلا لبين ، وان السنن لقائمة لها اعلام ، وان البدع لقائمة لها اعلام . وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وأضل فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، واني احذرك الله وسطواته ونقماته فان عذابه شديد اليم ، واحذرك أن تكون امام هذه الامة الذى يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الي يوم القيامة ويلبس امورها عليها ويتركها شيعا لايبصرون الحق لعلو الباطل يموجون فيها موجاً ويمرحون فيها مرحاً

فقال عثمان : قد علمت والله لتقولن الذى قلت . اما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك وما جئت منكراً أن وصلت رحما وسددت خلة (حاجة) وآويت ضائعاً ووليت شبيها بمن كان عمر يولي . أنشدك الله ياعلي هل تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال نعم . قال فتعلم ان عمر ولاه ؟ قال نعم . قال فلم تلومنى ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟

قال علي ان عمر كان يطأ علي صماخ من ولي ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ

به أقصي العقوبة . وأنت لاتفعل .ضعفت ورققت علي أقربائك

قال عثمان وهم أقرباؤك أيضا

قال أجل ان رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل لغيرهم

قال عثمان: هل تعلم ان عمر ولي معاوية ؟ فقد وليته

فقال علي : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلام عمر ؟

قال عثمان نعم

قال علي فان معاوية يقتطع الامور دونك ويقول الناس هذا أمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه

ثم خرج من عنده وخرج عثمان علي أثره فجلس علي المنبر ثم قال :

أما بعد فان لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة . وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة ، عيابون طعانون ، يرونكم ما تحبون ، و يسترون عنكم ماتكرهون ، يقولون لكم ويقولون ، امثال النعام يتبعون أول ناعق ، أحب مواردهم اليهم البعيد ، لايشربون الا نغصا (كدراً) ، ولا يردون الا عكرا ، ولا يقوم لهم رائد ، وقد اعيتهم الامور ، الا والله لقد عبتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له علي ما أحببتم وكرهتم ، ولانت لكم وأوطأتكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي ، أما والله لأنا أعز نفراً وأقرب ناصراً ، وأكثر عدداً وأحرى ان قلت هلم أتي الي ، ولقد عددت لكم أقرانا وأفضلت عليكم فضولا ، وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ، ومنطقا لم انطق به فكفوا عني ألسنتكم وعيبكم ، وطعنكم علي ولاتكم فاني كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا . الا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي ولم تكونوا تختلفون عليه

فقام مروان بن الحكم فقال :

ان شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف . نحن وأنتم والله كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم

مغارسكم تبنون من دمن الثرى

فقال عثمان اسكت لا سكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا ؟ ألم أتقدم

اليك ان لاتنطق ؟

فسكت مروان ونزل عثمان عن المنبر فاشتد قوله علي الناس وعظم فزاد حقدهم عليه

فأخذ الناس يتكاتبون في الامصار ويتداعون الى العمل ضد عثمان فكان محمد بن ابي بكر الصديق وعمار بن ياسر ومحمد بن جعفر يكاتبون اهل مصر فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عُدَيس البلوى في خمسمائة وقيل في الف . وخرج اهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعي . وخرج اهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد وعليهم حرقوص بن زهير السعدى وكلهم في مثل عدد أهل مصر

خرجوا جميعا في شوال مظهرين للحج ولما كانوا من المدينة علي ثلاث مراحل تقدم ناس من اهل البصرة وكان هواهم في طلحة فنزلوا في أخشب وتقدم ناس من اهل الكوفة وكان هواهم في الزبير فنزلوا الأعوص ونزل معهم ناس من اهل مصر وكان هواهم في علي وتركوا عامتهم بذى المروة

فقال زياد بن النضر وعبد الله بن الاصم من أهل الكوفة لا تعجلوا حتى ندخل المدينة فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان حقا لا يقوم لنا امر . ثم دخلوا المدينة ولقوا عليا وطلحة والزبير وأمهات المؤمنين وأخبروهم انهم أتوا للحج وان يستعفوا من بعض العمال واستأذنوا في أن يذهب من أهل الكوفة وكل مصر فريق الى من هواهم فيه .

وقال كل فريق منهم ان بايعنا صاحبنا والا كذبناهم وفرقنا جماعتهم ثم رجعنا عليهم حتى نبغتهم

فأتي المصريون علياً عليه السلام وهو في عسكر عند احجار الزيت وقد بعث ابنه الحسن الى عثمان فيمن اجتمعوا عليه وعرضوا علي علي امرهم فلم يأبه بهم وردهم

وأتي البصريون طلحة والكوفيون الزبير ففعلا مثل ما فعل علي فانصرفوا .

وتفرق أهل المدينة فلم يشعروا الا والتكبير في نواحيها وقد هجموا واحاطوا بعثمان ونادوا بأمان من كف يده ، وصلي عثمان بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا الناس من كلامه

وغدا عليهم علي عليه السلام وقال

ماردكم بعد ذهابكم . قالوا أخذنا كتاباً مع بريد بقتلنا

فقال لهم علي كيف علمتم بما لقي اهل مصر وكلكم علي مراحل من صاحبه حتى رجعتم علينا جميعا ؟ هذا امر ابرم بليل

فقالوا اجعلوه كيف شئتم ولا حاجة لنا بهذا الرجل ليعتز علينا . ثم منعوا الناس من الاجتماع بعثمان

وكتب عثمان الي الامصار يستنجدهم ويخبرهم ما الناس فيه فخرج اهل الامصار خرج من مصر معاوية بن خديج بأمر واليها عبد الله بن سعد . وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو بأمر أبي موسي الأشعري . وخرج من البصرة مجاشع ابن مسعود السلمي بأمر عبد الله بن عامر . وخرج من الشام حبيب بن مسلمة الفهرى بأمر معاوية وكان مع كل منهم جنود للدفاع عن عثمان

أما عثمان فخطب في يوم الجمعة خطبة قال منها :

ياهؤلاء . الله الله . فوالله ان اهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون علي لسان محمد فامحوا الخطأ بالصواب

فقال محمد بن مسلمة أنا أشهد بذلك فأقعده حكيم بن جبلة . وقام زيد بن ثابت ليدافع عن عثمان فأقعده آخر وأخذ الثائرون يرمون الناس بالحصي واصيب عثمان فصرع وقاتل دونه سعد بن ابي وقاص والحسين بن علي وزيد بن ثابت وابو هريرة . ودخل عثمان بيته وعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا

ودخل علي وطلحة والزبير علي عثمان يعودونه وعنده نفر من بنى امية فيهم مروان . فقالوا لعلي : أهلكتنا وصنعت هذا الصنع ؟ والله لأن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا

فقام علي عليه السلام مغضباً

صلي عثمان بالناس وهو محصور ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة وصلي بالناس امير المصريين الغافقي وقيل ابو ايوب الانصارى وقيل سهل بن حنيف حتى قتل عثمان

ولقد كان لعثمان رضي الله عنه متسع من الوقت ومندوحة عن الاسترسال مع المتغلبين علي الامر من بنى امية فان الثائرين من المصريين لما قصدوا عثمان نزلوا بذى خشب فلما بلغ عثمان ذلك جاء الى بيت علي وتوسل اليه بالقرابة في ان

يركب اليهم ويردهم

فقال له علي قد كلمتك في ذلك فأطعت أصحابك وعصيتني فعلي اى شيء اردهم ؟

قال عثمان . ردهم علي ان اصير الى مانراه وتشير به وأن اعصي اصحابي واطيعك

فركب علي في ثلاثين من المهاجرين والانصار فأتوا المصريين وتولي الكلام معهم علي ومحمد بن مسلمة فرجعوا الي مصر ورجع علي ومن معه الى المدينة ودخل علي علي عثمان وأخبره برجوع المصريين وأشار عليه أن يسمع الناس ماعول عليه من النزع قبل أن يجيء غيرهم . ففعل وخطب خطبته التي ينزع فيها واعطي الناس من نفسه التوبة وقال :

أنا اول من اتعظ . استغفر الله مما فعلت واتوب اليه • فمثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني اشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لأن ردني الحق عبداً لاستنن بسنة العبد ، ولأذلن ذل العبد ، وما عن الله مذهب الا اليه ، فوالله لأعطينكم الرضي ولأنحين مروان وذويه ولا احتجب عنكم

ثم بكي وبكي الناس حتى اخضلت لحاهم

وعد عثمان بما وعد ولكن بني أمية لم يرقهم ذلك فقصده مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ولاموه علي مافعل . فوبختهم امرأته نائلة وقالت لهم : انكم لا تزالون به حتى يقتلوه . فلم يرجعوا الي قولها واستذلوه في اقراره بالخطبة والتوبة عند الخوف

واجتمع الناس بالباب وقد ركب بعضهم بعضا فقال لمروان كلمهم. فكلمهم وأغلظ لهم في القول . وقال جئتم لتنزع ملكنا من ايدينا والله لئن رمتمونا لمرن عليكم منا أمر لايسركم ، ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الي منازلكم فانا والله مانحن بمغلوبين علي مافي أيدينا

فلما بلغ عليا عليه السلام ماقال مروان نكر ذلك وقال لعبد الرحمن بن الأسود أسمعت خطبته ومقالة مروان للناس اليوم؟ يالله وللناس ان قعدت في بيتي قال تركتني وقرابتي وحقي ، فان تكلمت فجاء مايريد يلعب به مروان ويسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول

ثم قام مغضبا قاصدا عثمان وقال له :

أما رضيت من مروان ورضي منك

الا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء ربه . والله مامروان بذى رأى في دينه ونفسه • وايم الله اني لأراه يوردك ولا يصدرك • وما انا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك . أذهبت شرفك وغلبت علي رأيك

ثم دخلت عليه امرأته نائلة وقد سمعت قول علي،فساعدته في عذل زوجها علي طاعة مروان.وقالت اتماترك الناس لمكان علي فأرسل اليه فاستصلحه

فبعث عثمان اليه فلم يأته فأتاه عثمان الي منزله يستلينه ويعده الثبات علي رأيه معه

فقال علي بعد ان قام مروان علي بابك يشتم الناس ويؤذيهم ؟

فخرج عثمان وهو يقول خذلتني وجرأت الناس علي

فقال علي : والله اني أكثر الناس ذبا عنك ، ولكن كلما جئت بشيء أظنه لك رضي ، جاء مروان بأخرى فسمعت قوله وتركت قولي

بقي علي مغضبا لا يتدخل في أمر عثمان الي ان منعه اعداؤه الماء،فتأثر علي عليه السلام وامر بادخال الماء اليه

وجاء في رواية انه لما حضر عثمان كان علي عليه السلام بخيبر فاشتد طعن الناس علي عثمان في غيبته فكتب اليه هذا الكتاب :

أما بعد فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطبيين ، وارتفع امر الناس في شأني فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمي وطمع في من لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب ، فاقبل علي اولي

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي
والا فأدركني ولما أمزق

ولما جاء علي الي المدينة وجد الناس مجتمعين عند طلحة وقدم عليه عثمان وقال له :

أما بعد فان لي حق الاسلام ، وحق الاخاء والقرابة والصهر . ولو لم يكن من ذلك شيء ، وكنا في الجاهلية لكان عاراً علي بني عبد مناف ان ينتزع اخو بني تيم (يعني طلحة) امرهم

فقال له علي سيأتيك الخبر ثم خرج

الي المسجد فرآى اسامة فتوكأ علي يده حتى دخل دار طلحة وهو في خلوة من الناس

فقال له ياطلحة ماهذا الامر الذى وقعت فيه ؟

فقال ياأبا الحسن بعد مامس الحزام الطبيين ؟

فانصرف علي الي بيت المال وأعطي الناس فانصرفوا عن طلحة وسر بذلك عثمان . وجاء اليه طلحة تائبا . فقال والله ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوبا . فالله حسيبك ياطلحة

ورووا سبباً آخر لعود المصريين الي محاصرة عثمان بعد أن نصحهم علي بالرجوع

وهو ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح ضرب رجلا ممن كانوا شكوه الي عثمان حتى قتله فركب المصريون الى المدينة وبسطوا الامر لكبار الصحابة فاجتمعوا علي عثمان وألحوا عليه في انصاف القوم من عامله . فقال لهم اختاروا رجلا. أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابي سرح وأهل مصر . وبينما هم علي مسيرة ثلاثة أيام من المدينة رأوا راكبا يدنو منهم ويبتعد عنهم فقبضوا عليه وسألوه فقال أنا غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر

وقيل بل كان الذى قبضوا عليه ليس بغلام عثمان بل هو ابو الاعور السلمي ففتشوه فوجدوا معه انبوبة من رصاص وفيها كتاب الي عامل مصر ففتحوه فاذا فيه : « اذا أتاك محمد بن ابي بكر وفلان وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم واقر علي عملك حتى يأتيك رأيي »

وسواء صح خبر ولاية محمد بن ابي بكر علي مصر اولم يصح فان المصريين لما علموا ان في الكتاب الامر بقتل بعضهم رجعوا ورجع الكوفيون والبصريون واقرأوا الكتاب في محضر من الصحابة

وقام علي ومحمد بن مسلمة فأتيا عثمان وقالا له ماقال المصريون . فاقسم بالله ما كتبه ولا علم له به

فقال محمد بن مسلمة : صدق ، هذا من عمل مروان

ثم دخل علي عثمان وفد من المصريين فلم يسلموا عليه بالخلافة فذكر له رئيسهم ابن عُديس مافعل والى مصر عبد الله بن سعد بن ابي سرح من الاستبداد بالمال والرأى ، فاذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب امير المؤمنين . ثم ذكروا له امر الكتاب فحلف انه ما كتبه ولا علم به . وسألوه عمن كتبه فقال لاادرى . فقالو كيف يكتب في مثل هذه الامور العظيمة وينقش عليها خاتمك وأنت لاتعلم . فان كنت كاذباً فقد استحققت الخلع . وان كنت صادقاً فقد استحققت ان تخلع نفسك لضعفك عن هذا الامر وغفلتك وخبث بطانتك ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الامر بيد من تقطع الامور دونه فاخلع نفسك كما خلعك الله

فأجابهم عثمان اني لا انزع قميصاً البسنيه الله ولكني اتوب وانزع

قالوا لو كان هذا اول ذنب تبت منه قبلنا . لكننا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالي وان منعك أصحابك قاتلناهم حتى نخلص اليك

ثم أخذوا في حصاره ليحملوه علي خلع نفسه ولو أرادوا قتله لقتلوه . فهاجر

المدينة اناس كثيرون ونصح بعضهم عثمان بالخروج فأبي وكتب لولاته يستمدهم

ثم أن الثائرين منعوا عنه الماء ليذعن حتى لايقتلوه وكان ذلك التضييق باشارة من طلحة

فبلغ الثائرين خبر توارد القواد الذين أرسلهم ولاة عثمان لانجاده فحاولوا ان يدخلوا علي عثمان ليقتلوه فمنعهم الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن طلحة وابن الزبير وابو هريرة وسعيد بن العاص ومروان وجم غفير

فلما طال الامر وخاف الثائرون وصول المدد اليه رأى محمد بن ابي بكر ان الحسن اصيب بجراح وهو يدافع الثائرين وخاف أن يراه بنو هاشم فيأتوا ويطردوا المحاصرين بالقوة فأمرهم بالهجوم علي عثمان من البيوت المجاورة لبيته فاقتحموا داره من دار عمر بن حزم ولم يشعر بهم أحد ممن يدافعون عنه وندبوا له رجلا يقتله ، فدخل عليه ذلك الرجل فقال له اخلعها وندعك . فأبي فخرج الرجل ودخل آخر وآخر كلهم يعظه ويخرج ثم دخل عليه محمد بن ابي بكر فحاوره طويلا فاستحيا وخرج . ثم دخل عليه الغوغاء من الثائرين

فطعنه عمرو بن الحمق عدة طعنات ودافعت عنه امرأته نائلة فنفحها أحدهم بالسيف في أصابعها وتولي قتله كنانة بن بشر . وجاء غلمان عثمان فقتلوا من قتليه سودان ابن حمران وغيره .

وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فدخلوا علي عثمان فوجدوه مقتولا فقال علي لابنيه كيف قتل امير المؤمنين وانتما علي الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمداً بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتي منزله

وكا قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة (٣٥) وكان عمره بين قتل بين الثانية والثمانين والتسعين ومدة خلافته اثنتى عشرة سنة الا بضعة ايام

قتل عثمان فافترقت الامة في امر قتله الي اربع فرق ثم انفصل عنهم صنف آخر فصاروا خمسة

(أولها) شيعة عثمان وهم أهل الشام وأهل البصرة فقال أهل الشام ليس أحد أولي بطلب دم عثمان من أسرة عثمان وقرابته ولا أقوى علي ذلك من معاوية فولوه الزعامة في المطالبة بدمه

وأما اهل البصرة فقالوا ليس أحد أولى بطلب دم عثمان الا طلحة والزبير لانهما من أهل الشورى

(ثانيها) شيعة علي عليه السلام وهم أهل الكوفة فكانوا يرون انه كان اولي من عثمان بالخلافة

(ثالثها) المرجئة فهم الذين شكوا وكانوا بعيدين عن المدينة مشغولين بالجهاد فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان ووجدوا هذا الخلاف قالوا تركناكم وامركم واحد ليس بينكم اختلاف وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون . فبعضكم يقول قتل عثمان مظلوما وكان اولي بالعدل واصحابه . وبعضكم يقول كان علي اولى بالعدل واصحابه . كلهم ثقة وعندنا مصدق فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجيء أمرهما الي الله حتى يكون الله هو الذى يحكم بينهما

(رابعها) من لزم الجماعة وهم سعد ابن أبي وقاص وأبو ايوب الانصارى واسامة بن زيد وحبيب بن مسلمة الفهرى وصهيب بن سنان ومحمد بن مسلمة في عشرة آلاف من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والتابعين . فقالوا نتولي عثمان

وعليا ولا نتبرأ منهما ونشهد عليهما وعلي شيعتهما بالايمان ونرجو لهم ونخاف عليهم

(خامسها) الحرورية فقالوا نشهد علي المرجئة بالصواب ثم خلطوا بعد ذلك وكفروا كل من خالفهم

ثم ان هذه الفرق انقسم بعضها علي بعض فصارت سبعين فرقة

(ما حدث بعد قتل عثمان) اجتمع رأى الناس علي اسناد الخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام فأباها أولا ثم اضطر لقبولها فقبل فخرج عليه معاوية بن أبي سفيان بالشام مدعيا انه هو الذى أوعز بقتل عثمان . وخرج عليه طلحة والزبير وعائشة مطالبين بدم عثمان فكانت حروب هلك فيها جم غفير من المسلمين سنلم بها في تاريخ علي كرم الله وجهه

(مراثي عثمان رضي الله عنه) اكثر الشعراء بعد قتل عثمان من رثائه فقال حسان ابن ثابت شاعر النبي صلي الله عليه وسلم من ابيات :

اتركتم غزو الدروب وراءكم
وغزوتمونا عند قبر محمد

فلبئس هدى المسلمين هديتم
ولبئس أمر الفاجر المتعمد

وله أيضاً

ان تمس دار بن أروى منه خاوية
باب صريع وباب محرق خرب

فقد يصادف باغي الخير حاجته
فيها ويهوى اليها الذكر والحسب

يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
لا يستوى الصدق عند الله والكذب

(صفة عثمان رضي الله عنه) لم يكن بالطويل ولا بالقصير وكان حسن الوجه رقيق البشرة كث اللحية عظيمها أسمر اللون عظايم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كثير الشعر وكان يلون لحيته بالصفرة ويشد أسنانه بالذهب

أما ولده فهم عبد الله الأكبر أمه فاختة بنت غزوان وعبد الله الاصغر أمه رقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم وتوفي صغيرا ، وعمرو وأبان وخالد وعمر وسعيد والوليد وأم سعيد والمغيرة وعبد الملك وأم عمرو وعائشة

وقد كان عمرو اسنى أولاده وأشرفهم عقبا . وكذلك ابنه عبد الله الأكبر . وله عقب كثير وممن أعقب من أولاده

أيضاً خالد

(نظرة في الفتنة التى حدثت في عهد عثمان)

توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم تاركا للأمة الخيرة في انتخاب من يقوم بأمرها ، والحرية في اختيار شكل حكومتها فلجتمع رأيها علي أن يكون أميرها بالانتخاب وأن يكون شكل حكومتها علي نحو ما كان عليه في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أى أشبه بملكية يقودها رئيس واحد الي ما يرى فيه المصلحة ملقباً بلقب خليفة الرسول

ونحن لا نستطيع أن نسمي هذا الشكل من الملكية لاملكية مقيدة ولا مطلقة ولا استبدادية ولا دستورية لأخذها من مقومات كل من هذه الاشكال بقسط . فمن رأى الخليفة قائما بالأمر وحده غير مكلف بأخذ رأى وزارة مسؤولة ولامقيد بمجلس نيابي خيل له ان هذا الشكل ملكية مطلقة ليس للقائم بالامور فيها ما يمنعه عن الاستبدادية برأيه . ولكن فانه ان من أكبر مميزات الحكومات المطلقة علو ارادة القائم فيها علي كل ارادة حتى علي نصوص القانون نفسه وتغلب سلطته علي كل سلطه حتى علي سلطة الامة . ولم يكن الامر كذلك في الشكل الذى كانت عليه الخلافة الاسلامية الأولى . فان الخليفة وان كان مطلق الارادة الا انه كان خاضعاً لسلطة القانون الالهي وهو القرآن وسنة الرسول . وكانت سلطته مستمدة من سلطة الأمة فانها هي التى انتخبته لمركز الخلافة بارادتها ، فلم يرق اليه لا بالوراثة ولا بالتغلب . وكل أمة تهب السلطة تستطيع أن تسلبها فكان الخليفة الاسلامي يشعر بهذه القيود فكان يصرح في أول خطبة له بأنه سيعمل بكتاب الله وسنة رسوله ويعترف للامة بحق عزله ان حاد عنهما

ولكنا مع هذا لا نستطيع أن نحكم بأن هذا الشكل من الحكومة كان من الملكية المقيدة بالمعنى السياسي المعروف الآن . فان التقييد الحكومي لا يكون الا بقانون نظامي وسلطات متنوعة تقوم بحفظه من العبث . ولم يكن في شكل الخلافة الاسلامية ظل من هذه السلطات فكان المسلمون ينتخبون الامير ويدعونه وشأنه يعمل ما شاء بغير رقيب ولا حسيب الدستور القرآني يسع كل ما جد

اليوم من اشكال السلطات الدستورية ففي قوله تعالي : « وامرهم شورى بينهم » وفي مبدأ انتخاب الامير ما كان يمكن أهل الحل والعقد في الامة الاسلامية الاولي من تأليف وزارة مسؤولة ومجلسين نيابيين كما عليه الحال في البلاد الدستورية اليوم ، ولكن عذر المسلمين الاولين انهم كانوا أهل بداوة لاعلم لهم بنظام الدول ، بل كان العالم كله في ذلك العهد لايدرك من معنى الدستور مايسعه معناه ، فلم يكن من السهل علي امة كالامة العربية ان تبلغ في شكل حكومتها المبلغ الذى يحتمله دستورها الالهي فاكتفت بما وصل اليه علمها من شكل الخلافة

تولي الخليفة الأول فسار بسيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم يختلف عليه أحد ، وسارت الحكومة سيرها الطبيعي وارتقت الامة رقيها المقدر لها في عهده . ثم خلفه الخليفة الثاني فاستن بسنة سلفه فلم تنجم ناجمة من شر ، واطردت الامة طريقها في الرقي والتقدم

ولكن لاننس ان انتظام سير الحكومة في هذين العهدين كان ثمرة اخلاق الرجلين اللذين مثلاها لاثمرة نظامها الذاتي ، لان نظامها كما قدمنا كان خالياً من كل ضمان وكل قيد فلم يكن يصد ارادة القائم بها شيء الا مايكون من انتقاد المحكومين في مجالسهم الخاصة ولا أثر لذلك في تغيير وجهة الامور

توفي الخليفة الثالث وهو عثمان رضي الله عنه فلم يكن من طراز أبي بكر وعمر في علوهما عن المؤثرات الخارجية فستولي عليه اهله وعشيرته فاتخذوا الولايات الاسلامية طعمة لهم ، وخضع هو نفسه لاهوائهم فأخذ يغدق عليهم من الاموال مالم يسمع بمثله في ايام صاحبيه فأنكر الناس عليه ذلك وكان ما كان من أمر التألب عليه

ان الناظر في حادثة عثمان علي ما أحاطها به المؤرخون من عبارات التضليل الباعث عليه ضعف النقد يعدها أمراً جللا وهي في حقيقتها أمر طبيعي كان نتيجة لازمة لمقدمات سابقة . ونحن لانود أن نقول بأن عثمان رضي الله عنه استحق أن يقتل ، ولكنا نقول انه استحق أن يعزل ولكن الشكل الفذ الذى كانت عليه الحكومة اذ ذاك لم يسمح الا بحدوث هذه النتيجة المحزنة المريعة

عثمان استحق أن يعزل لجملة أسباب

(أولا) لضياع هيبة الخلافة في عهده فانه كان يجترىء رجل مثل جهجاه علي كسر العصا التى كان يتوكأ عليها وهو علي المنبر فلم يقو علي معاقبته بما يستحق أو يؤاخذه بحيث لايجترىء عليه مجترىء بمثلها

وقد تبين من التاريخ الذى سردناه انه كان يصعد الى المنبر فيتوب مما فعل ويستغفر الله ثم يعود سيرته الاولى من الخضوع لرأى فتية بنى أمية . وفي توبته اقرار بأنه أخطأ ثم في عوده دليل محسوس علي خضوعه للمؤثرين عليه وكفي بهذا مسقطا لهيبة الخلافة وهي الوظيفة التى كان يعتبر صاحبها الرئيس الاعلي للامة

(ثانيا) لوقوعه تحت تأثير قرابته من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعمرو بن العاص وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية ابن أبي سفيان وغيرهم وهم اما من الطلقاء الذين من رسول الله صلي الله عليه وسلم عليهم بلا فدية عند فتح مكة بعد ان كان تاريخهم في مكافحة الدعوة الاسلامية أقبح تاريخ ، واما هم من الفتيان الذين لاحريجة لهم في الدين ولا صفة لهم بين المؤمنين

(ثالثا) لحرمانه المجتمع الاسلامي من مكونيه الأولين امثال علي بن ابي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبي أيوب الانصارى وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة ، واعتماده علي فتيان بنى أمية فكان يرسل الي الولايات الكبرى كمصر وسورية والعراقين والفرس من أولئك الفتية من لايحسنون قيادة ولا يعرفون سيادة ، و يترك أمثال أولئك الكاملين عاطلين بلا عمل وهم مكونو المجتمع الاسلامي وأرواحه التى أقامته بين المجتمعات البشرية

هذه الامور الثلاثة وحدها كانت كافية لتبديد المجتمع الاسلامي وحل الوحدة الدينية وهي وحدها كانت كافية لحمل المسلمين علي خلع ذلك الخليفة ولكن شكل تلك الحكومة لم يكن يسمح لهم بخلعه فحدثت الحادثة التى انتهت بقتله

كان عثمان يستطيع أن يتلافى الوقوع في شر هذه الحوادث بتولية أمثال علي وطلحة والزبير الولايات الكبيرة فان هؤلاء النفر كان لهم من المقام الرفيع ، والسوابق الجليلة ، والحب في نفوس الناس ما كان يقيم الكافة علي الطريق السوى و يوجد

للمجتمع الاسلامي روحه المدبر . ولكن عثمان كان تحت تأثير مثل عبد الله بن سعد ابن أبي سرح المطعون في دينه ومروان بن الحكم المكروه من الناس وغيرهما من الغلمان والاحداث دون أولئك الصحابة الأكرمين الذين استعان بهم النبى صلي الله عليه وسلم نفسه في تكوين الامة ، واستعان بهم أبو بكر وعمر في تقويم معوج الشؤون ، فكيف لاتنحرف عنه الأمة وكيف لاتسقط مهابة الخلافة ، وكيف لا يجترىء الناس عليه

ان قتل عثمان رضي الله عنه علي حسن سوابقه وفضله في اقامة الدين و بذله نفسه وماله في مساعدة رسول الله يعد من الامور المريبة ولكن الثائرين طلبوا اليه ان يخلع نفسه فأبي فحاصروه ليحملوه علي ذلك فأصر علي الاباء ، فدخلوا عليه وهددوه بالقتل فلم يزدد الا اباء فاستهدف بذلك كل ما حدث

هذا رأينا ولكن اخواننا المؤلفين الأولين كانوا يذهبون في تعظيم الاشخاص مذهبا لايلائم نص الدين نفسه فاستنكروا حادثة عثمان استنكاراً لم يفعله معاصروه انفسهم وانا نرى من اتمام الفائدة ان

نأتي علي نص دفاع دافع به عنه أبو بكر محمد بن يحيى الاشعرى في كتابه « التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان » وهو مثال لغيره قال :

« اعلم رحمك الله ان الرافضة والملحدة قد طعنوا علي عثمان وتعلقوا عليه بأشياء فعلها لا يثبت لهم عليه بها حجة ، قد ذكرنا أكثرها فيما مضي ونذكر الآن منها طرفا ونذكر الجواب عنها بحسب الامكان فنقول :

« فان قيل ان ابن مسعود أنكر علي عثمان في أمر المصاحف وتحريقها ، فالجواب : ان ابن مسعود دونه في الفضل والمرتبة فكان عثمان أعلم بما فعل ، ولأن الرجل كان يقول للرجل قراءتنا خير من قراءتك فأزال عثمان هذا وجمعهم علي شيء واحد . وكان قد ولى زيد بن ثابت أمر المصاحف ولو كان ذلك متوجها الي عثمان لكان ذلك طعنا علي من قبله من الصحابة وقد روى ان عليا قال : عن ملا منا أصحاب رسول الله فعل عثمان . ولو كان منكراً لكان علي قد غيره لما صار الامر اليه فلما لم يغيره علم ان عثمان كان مصيباً فيما فعل

« فان قيل انه اعتدى بتولية الوليد ابن عقبة وانه سكر فصلي بهم الفجر ركعتين ثم التفت فقال أزيدكم ؟ فالجواب انه قد ولي رسول الله صلي الله عليه وسلم بعض الناس علي الصدقة ففسق فأنزل الله (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . الآية) فليس يلحق عثمان الا ما لحق رسول الله صلي الله عليه وسلم . وولي عمر بن الخطاب قدامة بن مظعون البحرين فشرب الخمر متأولا فجلده عمر ، وقدامة بدري من أولي السابقة والفضل ، وكذلك عثمان وولى علي المختار بن أبي عبيد المدائن فأتاه بصرة فقال هذه من أجور المومسات . فقال علي رضي الله عنه قاتله الله لو شق عن قلبه لوجد فيه حب اللات والعزى وهو أفسق من الوليد . فأخذ المختار المال ولحق بمعاوية .

« وكان علي يلقي من ولاته وعماله الامر الشديد فكان يقول وليت فلانا فأخذ المال ووليت فلانا فخانني الي غير ذلك . ذكر ذلك ابو نعيم في كتاب الامة

« فان قيل قد انكر ابن مسعود وابو ذر اتمام عثمان الصلاة بمنى وانه صلي اربعا . فالجواب انه قد اعتذر عن ذلك وقال ذلك رأى رأيته . ثم لو كان فعله خلاف الحق لما تبعاه ووافقاه . فقيل لهما في ذلك فقالا الخلاف شر

« وقد روى جماعة من الصحابة اتمام الصلاة في السفر منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة . والذى حمل عثمان علي اتمام الصلاة انه بلغه أن قوما من الاعراب شهدوا الصلاة معه بمنى ، فرجعوا الى قومهم فقالوا الصلاة ركعتان كذلك صليناها مع عثمان بمنى . فلأجل ذلك صلاها أربعا ليعلمهم وابنوا به الخلاف والاشتباه . وكذلك فعل عمر في أمر الحج وأن يجمعوا بين الحج والعمرة في أشهر الحج وخالفه ابنه عبد الله وقال سنة رسول الله أحق أن تتبع . وتابعه أبو موسي وجماعة من الصحابة علي ترك الجمع بين الحج والعمرة مع علمهم بفعل رسول الله صلي الله عليه وسلم واقامه الاحرام حتى دخل مكة معتمراً حتى فرغ من المناسك ولم ينكروا ذلك علي عمر ولو كان انكاراً لما تابعوه علي رأيه

« فان قيل انه أعطي من مال الصدقة ووفر أقرباءه فالجواب ان عثمان أعلم ممن أنكر عليه والامام اذا رأى المصلحة

في فعل شيء فعله فلا يكون انكار من جهل المصلحة في ذلك حجة علي من عرفها فانه لايخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لايعرفون . فقد فرق رسول الله صلي الله عليه وسلم غنائم خيبر في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة وترك الانصار لما رآى في ذلك من المصلحة حتى قالوا تقسم غنائمنا في الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ وجهلوا ما رآه عليه السلام من المصلحة وذلك اعظم مما فعله عثمان لان مال المؤلفة من الغنيمة فلا يلزم عثمان من انكار من أنكر عليه الا ماالزم رسول الله صلي الله عليه وسلم

«فان قيل الذى اعطي رسول الله كان من الخمس قيل له لو كان من الخمس لما أنكرت الانصار ذلك ولما قالت غنائمنا ، ولقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم انما اعطيتهم من مال الله . الا تراه استمال قلوبهم بقوله : ألا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وتذهبون برسول الله الي بيوتكم ؟ قالوا رضينا والحديث مشهور

«فان قيل ان عثمان ضرب عماراً قيل هذا لا يثبت ولو ثبت فان للامام ان يؤدب بعض رعيته بمايراه وان كان خطأ. الا ترى ان النبى عليه السلام أقص من نفسه واقاد وكذلك ابوبكر وعمر ادبا رعيتهما باللطم والدرة واقادا من انفسهما وذلك لما اصاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بطن رجل بخشبة فجرحه فوقع قميصه وقال تعال فاقتص . فعفا عنه وجاء رجل الي ابي بكر يستحمله فلطمه فانكر ذلك الناس فقال ابوبكر انه استحملني (اى طلب ان احمله علي دابة) فحملته فبلغنى انه باعه . ثم قال له دونك فاستقد فعفا عنه . وضرب عمر جارية اسعد بالدرة فساء ذلك سعداً فناوله عمر الدرة وقال له اقتص . فعفا

«فان قيل عثمان لم يقد من نفسه . قيل له كيف ذلك وقد بذل من نفسه ما لم يبذله احد خصوصا يوم الدار فانه قال ياقوم ان وجدتم في كتاب الله ان تضعوا رجلي في قيد فضعوهما . وقد ذكرنا ان عماراً تقاذف هو ورجل آخر فجلدهما عثمان حد القذف

«فان قيل اعطي عثمان من بيت المال من ليس له فيه حق . قيل لا يثبت ذلك عنه. وكيف تقبل ذلك وعثمان من

اكثر الناس مالا واكثرهم عطية ومعروفا مع ان الدهر لا يخلو من جهال يقولون مالا يعلمون فقد قسم رسول الله صلي الله عليه وسلم قسما فقال له رجل هـذه قسمة ما اريد بها وجه الله . فبلغ ذلك النبي عليه السلام فغضب ثم قال: رحم الله موسي لقد اوذى باكثر من ذلك فصبر. وقسم يوم حنين تبراً فقال له رجل اعدل يامحمد فقال له ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل ؟ فهذا رسول الله كان يلقي من الجهال هذا فكيف بعثمان رضي الله عنه؟

«فان قيل انه ولي اقواما لايستحقون الولاية منهم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وغيرهم . قيل فمن اين لكم ان هؤلاء لم يعدلوا ولئن جاز لكم ادعاء الفسق في ولاة عثمان لجاز ذلك في ولاة عمر، فقد ولى المغيرة البصرة فرمي بما لا يثبت .وولي ابا هريرة البحرين فقالوا خان مال الله وولى قدامة البحرين فشرب الخمر متأولا (اى انه احل بتأويله ماورد فيه من النهي لاعاصيا) . وولي علي الاشتر وامره ظاهر وولى ابن مخنف فاخذ المال وهرب . فلم خصصتم عثمان بالطعن مع ان النبي صلي الله عليه وسلم ولي زيد ابن حارثة فطعن الناس فيه حتى قام خطيبا منكراً عليهم فيما طعنوا فيه. وقالوا فيه وفي اسامة ابنه والحديث مشهور وانما طعن الناس علي عثمان للينه وحيائه وكثر في ايامه من لم يصحب النبي عليه السلام ومن جهل فضل الصحابة

«فان قيل فقد نفي اباذر الي الربذة طردا .قيل لم يكن ذلك نفيا وانما كان ذلك تخييرا له لانه كان كثير الخشونة لم يكن يداري من الناس مايداري غيره فخيره عثمان بعد استئذانه في الخروج من المدينة فاختار الربذة ليبعد عن الناس ومعاشرتهم وذلك انه كان بالشام فجرى بينه وبين معاوية مناظرة في هذه الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ،الآية) فقال معاوية هي في اهل الكتاب وقال ابو ذر هي فيهم وفينا فكتب معاوية الى عثمان في ذلك ، فكتب الي ابي ذر أن اقدم علي . قال فقدمت عليه ، فانثال علي الناس كأنهم لم يعرفوني فشكا ذلك الى عثمان رضي الله عنه واستأذن في الخروج من المدينة فخيره فاختار نزول الربذة لما يلقي من الناس واجتماعهم عليه فخاف الافتتان بهم . هذا

هو الصحيح . فأما الرافضة فيضعون عليه أشياء لا أصل لها . فان جعل إشخاص ابي ذر من الشام وحبسه بالمدينة طعناً علي عثمان ، قيل الأئمة اذا خشوا الفتنة . والاختلاف فلهم ان يبادروا الي حسمه وقد فعل عمر مثل ذلك ، حبس جماعة من الصحابة عنده بالمدينة لأجل احاديث حدثوها الناس ومنعهم من الخروج ومنعهم من لبس اشياء كانت مباحة خوفا أن يتأسي بهم من لاعلم له ولا ورع عنده فيرتكب بذلك ماليس له مع ان للامام ان ينفي اقواما اذا خاف الافتتان بهم . فقد روى ان عمر بن الخطاب نفي نصر ابن حجاج لما خاف ان يفتتن به النساء لحسن صورته . وقصته مع ام الحجاج ابن يوسف مشهورة . وشعرها فيه:

هل من سبيل الي خمر فأشربها
ام هل سبيل الي نصر بن حجاج

«ونفي علي رضي الله عنه النعمان عن ملأ من الصحابة ونفي حسان ايضا والله أعلم

«فان قيل ان جماعة واقفوا علي حصره وقتله فقد روى ان حذيفة وعماراً قالا قتلناه كافراً ، وان طلحة فيمن حصره ، وان عليا أعان علي قتله وان الناس خذلوه واسلموه الى غير ذلك من الأمور . قيل هذا لا يصح عن حذيفة وانما المنقول عنه خلافه ذلك وانما هذا من كلام الرافضة ، وان قال ذلك فلأنه لا يخلو أحد من الصحابة من حامد ومن يبغضه فكيف بعثمان وهو من أهل السابقة والفضل والكمال ؟ والطعن علي عثمان طعن علي من تقدمه ، وأما طلحة فانه كان يقول يوم الجمل اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضي . وأما علي فانه قال غير مرة اللهم اني أبرأ اليك من دم عثمان . وقال والله ما قتلت عثمان ولا مالأت علي قتله . ولما بلغه قتله قال : اللهم اني لم ارض بقتله ولم آمر به . وقال فيه كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين . وسئلت عائشة عن عثمان فقالت : قتل مظلوما لعن الله قاتله، أقاد الله من ابن ابي بكر ، وساق الله الي اعز بني تميم هوانا ، واهراق الله دماء بني بديل، وساق الله الى الاشتر سهما من سهامه . فوالله ما من القوم احد الا اصابته دعوتها . وأما ترك الصحابة الانكار علي من حصره فلقد ناصحوا عنه ولم يفتنوا

ان الأمر يبلغ الي قتله وانما ظنوا انها تكون معتبة . ومع ذلك فان عثمان كان يعزم عليهم ليكفوا عن القتال ولقد انكروا وبالغوا في الانكار منهم علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام وابن عمر وأبو هريرة والمغيرة والزبير وابن عامر وحمل الحسن ابن علي يومئذ جريحا ولبس ابن الزبير الدرع مرتين رضي الله عنهم. وعن ابن عون لقد قتل عثمان وان في الدار لسبعمائة رجل منهم الحسن وابن الزبير ولو اذن لهم لضربوهم حتى اخرجوهم من المدينة : واما طالحة فانه انصرف ولم يكن فيمن حضره . كيف وهو يلعن قاتله مع عائشة صباحا ومساء . وكان هو والزبير وعائشة ومعاوية يطلبون بدمه . فكيف يعينون عليه و يطالبون بدمه هذا خلف ومع هذا فينبغي الكف عما شجر بين الصحابة والاستغفار لهم والامساك عما نسب اليهم من الرذائل ، وكذلك أتباع الانبياء انما يذكر محاسنهم التى مدحوا عليها و يمسك عما سواه.

« فان قيل ان عثمان حمي الحمي ومنع منه الناس قيل روى أن المصريين جاؤا الي عثمان فقالوا : ادع بالمصحف فدعا به فقتحوا سورة يونس وقرأ هذه الآية :

« قل أرأيتم ما نزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا . الآية » فقالوا له ارأيت ماحميت من الحمي آلله اذن لك اما علي الله تفترى ؟ فقال هذه الآية نزلت في كذا وكذا ، واما الحمي فقد حمي الأئمة قبلي لابل الصدقة فلما زادت ابل الصدقة زدت في الحمي. فجعلوا لا يأخذونه بآية الا قال نزلت في كذا وكذا حتى أخذ عليهم ان لايشقوا عصا المسلمين ، فأقبلوا راجعين الي بلادهم راضين . فرأوا في الطريق غلاماً معه كتاب فرجعوا اليه فقال اني لم آمر به ولاشعرت به فحصروه باغين عليه ظالمين له وقد حمي النبى صلي الله عليه وسلم نقيع الخضمات لخيل المسلمين . وقال البخارى بلغنا ان النبى عليه السلام حمي النقيع وحمي عمر السرف والربذة واستعمل علي الحمي مولي يدعي هنيا . فلم يثبت علي عثمان ذنب ولو ثبت لما استحق بذلك القتل وانتهاك الحريم وشق العصا وتفريق الجماعة . ولكن الله أكرمه بالشهادة والجنه بالنبى عليه السلام وصاحبيه في الجنة حافظا لوصية رسول الله صلي الله عليه وسلم في خلع القميص وحقني

قاتلوه بالخزي واللعنة وانتهاك حرمة المدينة في الشهر الحرام

« فان قيل فقد رويتم عن النبى صلي الله عليه وسلم انه ذكر فتنة تكون بعده وقال في عثمان فاتبعو هذا واصحابه فانهم علي هدى فاخبرنا من أصحابه . قيل أصحابه أصحاب رسول الله المشهود لهم بالجنة المذكور بعضهم في التوراة والانجيل الذين من أحبهم سعد ومن أبغضهم شقي مثل علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد وسعيد وغيرهم من الصحابة ممن كان في وقتهم فانهم كلهم كانوا علي هدى كما قال النبى صلي الله عليه وسلم وكلهم انكر قتله وكلهم استعظم ماجرى علي عثمان وشهدوا علي قتلته انهم في النار ، وهم الذين تجمعوا وتألبوا عليه مثل عبد الله ابن سبأ واصحابه الذين اشقاهم الله بقتله حسدا منهم له وبغيا عليه وارادة الفتنة وان يوقعوا الضغائن بين امة محمد صلي الله عليه وسلم لما سبق عليهم من الشقاء في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب الاليم فاجتهد الصحابة في نصرته والذب عنه و بذلوا أنفسهم دونه فأمرهم بالكف عن القتال وقال اني أحب ان القي الله سالما مظلوما ولو أذن لهم لقاتلوا عنه . قال ابن سيرين كان معه في الدار جماعة من المهاجرين والانصار وابنائهم. فقالوا ياأمير المؤمنين خل بيننا و بينهم فعزم عليهم أن لايقاتلوا

« فان قيل فقد علموا انه مظلوم وقد أشرف علي الهلاك فكان ينبغي عليهم أن يقاتلوا عنه و ينصروه وان كان قد منعهم قيل ان القوم كانوا اهل طاعة لامامهم وقد وفقهم الله تعالي للصواب من القول والعمل وقد فعلوا مايجب عليهم من الانكار بقلوبهم والسنتهم وعرضهم لنصرته علي حسب طاقتهم فلما منعهم من نصرته علموا ان الواجب عليهم السمع والطاعة له ولا يسعهم مخالفته وكان الحق عندهم فيما رآه عثمان

« فان قيل فلم منعهم عن نصرته وهو مظلوم وقد علم ان قتالهم عنه نهي عن المنكر واقامته حق يقيمونه . فالجواب ان منعه اياهم يحتمل وجوها كلها محمودة . احدها علمه بأنه مقتول مظلوم لاشك فيه لان النبى صلي الله عليه وسلم قد أعلمه انه يقتل مظلوما وأمره بالصبر . قال : اصبر . فلما أحاطوا به تحقق انه مقتول وان الذى قاله

النبي عليه السلام له حق لابد ان يكون . ثم علم أن قد وعد من نفسه الصبر فصبر كما وعد وكان عنده من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فاذا رضي فليس هذا بصابر اذ وعده من نفسه الصبر

« الوجه الثاني انه كان قد علم ان في الصحابة قلة عدد وان الذين يريدون قتله كثير عددهم فلو اذن لهم فالقتال لم يأمن أن يتلف من أصحاب النبي عليه السلام بسببه فوقاهم بنفسه اشفاقا منه عليهم لأنه راع عليهم والراعي يجب عليه ان يحفظ رعيته بكل ما أمكنه ومع ذلك فقد علم انه مقتول فصانهم بنفسه . الوجه الثالث انه لما علم انها فتنة وان الفتنة اذا سل فيها السيف لم يؤمن ان يقتل فيها من لا يستحق القتل فلم يختر لأصحابه ان يسلوا السيوف في الفتنة اشفاقا عليهم من ان تذهب فيها الاموال وتنتهك فيها الحريم فصانهم عن جميع هذا

« ووجه رابع وهو انه يحتمل ان يكون صبر عن الانتصار لتكون الصحابة شهودا علي من ظلمه وخالف امره وسفك دمه بغير حق لأن المؤمنين شهداء الله في ارضه ومع ذلك فلم يحب ان يهرق بسببه دم مسلم ولا يخلف النبي صلي الله عليه وسلم في امته بسفك دم رجل مسلم فكان عثمان بهذا الفعل موفقاً معذوراً رشيداً مجبوراً وكان الصحابة في عذر وشقي قاتله وخاذله والله اعلم » انتهي

•••

هذا مثال مما يكتبه مؤرخو المسلمين عن الحوادث الكبرى في تاريخ الصدر الأول وهي كتابات من يعتقد ان الله يتقرب اليه بمثلها مما يقصد به تنزيه أصحاب رسوله من الخطأ والزلل والذهاب في تقديسهم الي أبعد مايصل اليه وهم المتوهم . وغفل هؤلاء المؤرخون انهم بذلك يسخطون الحق و يضلون الامة عن رؤية وجوه العبر من تاريخ اسلافها ويحرمونها من الاستفادة من تسلسل حوادثه وتضامنها ، وكل هذه هفوات لا تغتفر ارتكبوها في سبيل الاعتقاد بأن الغلو في ادعاء العصمة لأصحاب النبي صلي الله عليه وسلم من القربات التي توجب لفاعلها المغفرة وحسن الخاتمة

ان الذي يطالع مانقلناه من دفاع ابي بكر محمد بن يحيي الاشعري يخيل اليه انه يقرأ حادثة دينية أشبه بما ترويه الشعوب

القديمة عن انبيائها فيرى خليفة بلغ الغاية في القيام بما عهد اليه قد أحاط به اعداء الحق من كل صوب ، وكبار صحابته جاثون حوله يلتدمون صدورهم ، خاشعة أبصارهم يسألونه ان يأمرهم ببذل ارواحهم للدفاع عنه ، فيأبي عليهم ذلك تحققا منه انه مقتول ، فيصمتون حيارى لا يدرون ماذا يفعلون، ثم ينتهي الامر بهجوم اولئك الفجرة المحاصرين فيقتلونه وهو بين ايديهم تحقيقا للنبوءة السابقة ، واحقاقا للمحنة اللاحقة

هذا مايتبادر الى خيال تالي ذلك الدفاع وكفي بهذا تضليلا للعقول، وافسادا لعبر التاريخ، وطمسا لمعالم الحقيقة الاجتماعية وخروجا علي سنة القرآن، وتشويها لصورة المجتمع الاسلامي في ذلك العصر

لقد سهل علي هذا المدافع عن عثمان رضي الله عنه ان يصور كبار الصحابة الذين كانوا علي عهده في صور الاخشاب المسندة لا يبدون حراكا تاركين خليفتهم في يد طغمة من حثالة الناس يحاصرونه ويمنعونه الصلاة والماء ثم يهجمون عليه فيقتلونه كأن من سنة الدين الاسلامي ان لا يجوز لأحد ان يغير مكروها رآه ولو كان فيه ازهاق روح الخليفة واسقاط هيبة الخلافة وشعب وحدة المسلمين. كل هذا يسيغه المدافع في سبيل الانتصار لفرد غير معصوم من الخطأ

نحن مثله نجل مقام عثمان رضي الله عنه ونعده ركنا من أركان الدعوة الاسلامية الأولى بذل في سبيلها روحه وماله ، ونرى من الحوادث المنكرة قتله ولكننا أكثر اجلالا للحق لأن الله هو الحق وليس بعد الحق الا الضلال ، فلا يظنن احد اننا من اعداء الخليفة الثالث أو اننا من الشيعة نرى أن عليا كان اولى منه بالخلافة ، ولكننا نحب أن نقرر حادثة تاريخية بغير تضليل للعقول ، فنريد أن نرى القارىء الاسباب ونتائجها كما هي وكفي بهذا خدمة للناس

فان كان يرى بعض الناس انهم يتقربون من الله بالانتصار المطلق للصحابة والتعسف في الاعتذار عنهم ، وطمس معالم الحقيقة لانتحال الحجج لتنزيههم، فانا نرى ان عبادة الله لا تكون الا بمظاهرة الحق وتجليته ابيض ناصعا كما هو في ذاته ، ونعتبر من الانحراف عن الدين السعي في طمس اعلامه، وتعفية آثاره

كفانا ان نقول ان عثمان رضي الله عنه كان واحداً من أجلاء الصحابة تقيا نقيا ورعا قضي عمره في نصرة الاسلام، و بذل ماله لتكوين شيعته، ولكنه كان من اللين ورقة الجانب بحيث تغلب عليه فتيان بني امية امثال مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وغيرهم ممن لافضيلة لهم، بل ممن سيرتهم كانت مذمومة، وطريقتهم مريبة فاضطرب حبل الامور، واختل توازن المجتمع فدعا ذلك الى التذمر والشغب وجر ذلك الي تكون عصابة انتدبت لخلعه او احداث حدث يمنع تدخل الاغرار في تلك الحكومة القيمة، فأدت الامور الي ما كان، وهو حادث حصل مثله في كل امة من امم المعمور. ولقد كان عثمان رضي الله عنه يستطيع ان يتقي ذلك كله بخلع نفسه من الخلافة ولكنه ابي ذلك مدفوعا باشاره مروان وامثاله

مما يدل علي ان كبار الصحابة كانوا متذمرين من استسلام عثمان لمشير به من فتيان بني امية ان بقية اهل الشورى كعلي وطلحة والزبير وسعد كانوا ضده فكان علي عليه السلام كثيرا ماينهاه عن الاسترسال في الخضوع لاولئك الفتيان حتى حمله علي أن يتوب علي ملأ من المسلمين علي المنبر وكان طلحة ممن يغرى بالتشديد في حصاره ليحمله علي خلع نفسه حتى انه اشار علي الثورين بمنع الماء عنه، وكان الزبير وسعد علي رأيهما في ذلك. عدا كبار الصحابة مثال ابي ايوب الانصاري ومحمد بن سلمة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ولو كان هؤلاء معه لاستطاعوا ان يكفوا عنه فلا يصلون اليه بسوء

فان قال قائل بأن هؤلاء لايستطيعون ذلك فقد قال شططا لان المحاصرين لعثمان كانوا أهل مصر والبصرة والكوفة وكان هوى الاولين مع علي والآخرين مع طلحة والزبير فكان يكفي ان يشير اليهم هؤلاء بالانصراف لينصرفوا كما فعلوا أول مرة. ولكنهم لما رأوا ان امر استسلام عثمان لبني مروان قد استفحل تركوا الثائرين وشأنهم ولزم كل منهم بيته

اما قول ابي بكر محمد بن يحيي الاشعري في دفاعه انه كان مع عثمان في الدار جماعة من المهاجرين والانصار وابنائهم فقالوا ياامير المؤمنين خل بيننا و بينهم فعزم عليهم ان لايقاتلوا، ثم قول ابي بكر المذكور في الاعتذار عن عدم نصرته ان القوم كانوا اهل طاعة لامامهم وقد وفقهم الله تعالي للصواب من القول والعمل وقد فعلوا مايجب عليهم من الانكار بقلوبهم وألسنتهم وعرضهم لنصرته علي حسب طاقتهم فلما منعهم من نصرته علموا ان الواجب عليهم السمع والطاعة ولا يسعهم مخالفته الخ الخ فهو من قبيل تصيد الاعذار للتمويه ليس غير. فهل يعقل ان قوما كأصحاب النبي يتركون خليفتهم المحبوب يهدده جفاة العرب وأجلافهم فيستأذنوه في نصرته فيمنعهم فيجلسوا بجانبه مغلولة أيديهم الي أعناقهم ينتظرون به الدوائر ؟

ان مثل هذه الحال لاتعقل من الحمقي العاجزين فكيف من الصحابة أئمة الدين ؟ ان أشباه هذه السفسطات لو جازت علي بعض الاحلام الضعيفة ووافقت بعض الاذواق الكليلة فلا تسوغ في نظر نقدة التاريخ، والدارسين لمقدمات الحوادث و نتائجها. فهي أقوال يتعلل بها القارئون تمضية للوقت ولكنها لاتفيد في تهذيب الامم وترقية أرواحها واعدادها للحياة الصحيحة

أما قول ابي بكر المذكور: فان قيل فلم منعهم عن نصرته وهو مظلوم وقد علم ان قتالهم عنه نهي عن المنكر واقامته حق يقيمونه، فالجواب ان منعه اياهم يحتمل وجوهاً كلها محمودة. أحدها علمه بأنه مقتول مظلوم لاشك فيه لأن النبي عليه السلام قد أعلمه انه يقتل مظلوما وأمره بالصبر. فقال اصبر. فلما أحاطوا به تحقق انه مقتول وان الذى قاله النبي عليه السلام له حق لابد أن يكون، ثم علم انه قد وعد من نفسه الصبر فصبر كما وعد وكان عنده من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فاذا رضي فليس هذا بصابر اذ وعده من نفسه الصبر

نقول: ان هذا القول من غرائب الاقوال، فان عثمان لو كان يعلم انه مقتول لما أرسل يستنجد بقواده لينقذوه، ولما اغلق بابه عليه، ولترك الثائرين يفعلون ماشاؤا. ثم كان الصحابة علموا ذلك وكان انبني عليه فساد عظيم ولم تجر سنة النبي صلي الله عليه وسلم باخبار أحد بأنه سيقتل مظلوماً وكل ماورد في ذلك يمكن عده من الاحاديث الموضوعة لأنها تنافي روح الاحاديث النبوية وعبارتها أشبه

بعبارات الوضاعين لتجسيم شأن الحوادث في نظر العامة

هـذا ردنا علي الوجه الأول من الوجوه التي سردها ابو بكر محمد بن يحيي صاحب الدفاع . ثم قال :

الوجه الثاني انه قد علم ان في الصحابة قلة عدد وان الذين يريدون قتلة كثير عددهم فلو اذن لهم في القتال لم يأمن أن يتلف من أصحاب النبي عليه السلام بسببه فوقاهم بنفسه اشفاقاً منه عليهم لانه راع والراعي يجب عليه ان يحفظ رعيته بكل ماأمكنه ومع ذلك فقد علم انه مقتول فصانهم بنفسه

نقول : مما ينافي هذا الوجه ان عثمان رضي الله عنه كان قد أرسل وهو محصور يستنجد بولاته في الامصار ويطلب اليهم الجيوش لامداده وخاف المحاصرون له أن تجيء تلك الامداد فعجلوا بقتله وكانوا لا يقصدون غير عزله

ثم قال أبو بكر محمد المذكور :

الوجه الثالث انه لما علم انها فتنة وان الفتنة اذا سل فيها السيف لم يؤمن أن يقتل فيها من لا يستحق القتل فلم يختر لاصحابه أن يسلوا السيف في الفتنة اشفاقاً عليهم من تقم تذهب فيها الاموال وتهتك فيها الحريم فصانهم عن جميع هذا

نقول هـذا الوجه يدفعه ردنا علي الوجه المتقدم

ثم قال ابو بكر محمد المذكور:

ووجه رابع : وهو انه يحتمل أن يكون صبر عن الانتصار لتكون الصحابة شهوداً علي من ظلمه وخالف امره وسفك دمه بغير حق لأن المؤمنين شهداء الله في أرضه ومع ذلك فلم يحب أن يهراق بسببه دم مسلم ولا يخلف النبي صلي الله عليه وسلم في امته بسفك دم رجل مسلم فكان عثمان بهـذا الفعل موفقا معذوراً رشيداً مجبوراً ، وكان الصحابة في عذر وشقي قاتله وخذله والله أعلم

نقول : ان هـذا الوجه مما لا يحتاج الي رد وهو فوق ذلك يوجب الأسف مما وصلت اليه حالة تعليل الحوادث لدى آبائنا الأولين فيما يختص بتاريخ الصحابة فقد صبغوها بصبغ دينية ، وأحاطوها بغلف من العبارات لا ينفذ منها الذهن الى حقيقة الواقع ، فستروا بذلك وجوه العبر عن اعين الناس ، وغلا بعضهم فاستحسن أن لا

يخوض خائض في تعليل الحوادث التي حدثت في عهد الصحابة حتى لا يتناول النقد التاريخي واحـداً منهم ولا ندرى حاملا لهم علي ذلك غير ما ورد من الاحاديث في مدح بعض الصحابة ، واتقاء الله في تناولهم بسوء . ولا نرى في هذا ما يحمل علي اغفال حوادثهم من النقد التاريخي الذى هو حق الامة لا حقهم الشخصي ، فما دام تاريخ الامة مرتبطا بتاريخهم وحوادثها متولدة من حوادثهم فان من حقها أن تتبع حوادثها الى مصادرها ، وأن تتعقب حلقات سلسلتها الي أولاها لتدعم تاريخها علي اصوله الثابتة فتصل حاضرها بماضيها صلة محكمة . والتاريخ لم يوضع لمجرد الفكاهة كما يظنه الاكثرون ولكنه أدوار نشوء الحياة الاجتماعية في الامة لابد لها من الالمام بها لتستكمل العلم بأطوار وجودها ، لتحيا حياة صحيحة. فتناول حوادث الصحابة وتسليط النقد العلمي عليها واجب وجوب البحث عن مقومات حياتنا الاجتماعية

أما ماورد من الأحاديث في وجوب احترامهم واتقاء الله فيهم فمحمول علي عدم بخسهم حقهم ، والتحامل عليهم لتسوىء سمعتهم

ثم اننا نختم هـذه المادة بقولنا ان عثمان لم يعبه شيء غير افراط في الاستسلام لذوى قرابته فهم الذين أوردوه الموارد ، اما هو في نفسه فكان أبر المسلمين نفساً ، وأتقاهم قلبا ، وأطولهم باعا في نصرة الدين ناهيك انه جهز جيشاً للنبي صلي الله عليه وسلم من ماله وانه بذل في سبيله ما يعبر عنه بالقناطير المقنطرة ثم ناهيك أن النبي صلي الله عليه وسلم رضيه لمصاهرته فزوجه باحدى بناته فلما توفيت زوجه بأخرى فلما توفيت قال لو كان لنا بنت ثالثة لزوجناكها . هذا يدل علي فضل عثمان وعلو كعبه في الشرف والسؤدد ولولا ما احدث من استسلامه لبني أمية لكان تاريخه أكرم تاريخ الائمة الراشدين . يكفيك دليلا علي ذلك أن المسلمين في السنين الأولى لخلافته كانوا يفضلون عهده علي عهد عمر . فلما اشتد كلب فتيان امية علي الامارات والاموال كره الناس أمرته بسببهم والكمال لله وحده

➤ العثمانيون ➤ هم ملوك آل عثمان الاتراك ويطلق اسم عثماني علي كل محكوم بحكومتهم أو داخل ضمن سيادتهم . وقد

استوفينا تاريخهم في كلمة ترك فانظره هناك

﴿ أبو عثمان الجيزى ﴾ هو سعد بن اسماعيل الواعظ المشهور . كان كبير الشأن وكان اذا وعظ ينشد :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوي والطبيب مريض

يقال انه كان مستجاب الدعوة. قام في مجلسه رجل فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا في حب مولاه ؟

قال اذا خلا من خلافه كان صادقاً في حبه

فوضع الرجل التراب علي وجهه،وصاح وقال كيف ادعي حبه ولم اخل طرفة عين من خلافه ؟

فبكي أبو عثمان وأهل المجلس وجعل أبو عثمان يقول صادق في حبه ، مقصر في حقه

قال أبو عمرو كنت اختلف الي ابي عثمان مدة في وقت شبابي وحظيت عنده . ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه وكنت اذا رأيته من بعيد او في طريق اختفيت حتى لا يراني فخرج علي يوما من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصا فتقدمت اليه وأنا دهش ، فلما رأى ذلك قال يا أبا عمرو لا تثقن بمودة من لا يحبك الا معصوما .

وكان يقول طول العتاب فرقة،وترك العتاب حشمة

وكان يقول لا يستوى الرجل حتى يستوى في قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل

وكان يقال ثلاثة أشياء لا رابع لها أبو عثمان بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام

وقال أبو عثمان منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالي في شيء فكرهته،ولا نقلني الى حال فسخطته

وقالت مريم ابنة أبي عثمان . كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث الى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة ، فانه اذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره

وقالت صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها وقلت يا أبا عثمان أى عملك أرجي عندك ؟

فقال يا مريم لما ترعرعت وأنا بالرى وكانوا يراودونني علي التزوج فأمتنع جاءتني امرأة فقالت يا أبا عثمان قد أحببتك حبا

ذهب بنومي وقرارى وأنا اسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بي

فقلت ألك والد ؟ قالت نعم ، فلان الخياط في موضع كذا

فراسلته فأجاب فتزوجت بها . فلما دخلت بها وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق فقلت اللهم لك الحمد علي ما قدرته ، وكان أهل بيتي يلومونني علي ذلك فأزيدها برا وأكراما الى ان صارت لا تدعني اخرج من عندها فتركت حضور المجلس ايثارا لرضاها وحفظا لقلبها وبقيت معها علي هذه الحالة خمس عشرة سنة وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض علي الجمر ولا ابدى لها شيأ من ذلك الي ان ماتت فما شيء عندى ارجي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي

توفي ابو عثمان سنة (٢٩٨)

﴿ ابو عثمان الخالدى ﴾ كان شاعرا كثير الحفظ . قال محمد بن اسحق النديم قال لي الخالدى وقد تعجبت من كثرة حفظه : انا أحفظ الف سفر في كل سفر مائة ورقة

وكان هو واخوه مع ذلك اذا استحسنا شيأ غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً ، لا لعجزا منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كان طبعهما . وقد عمل ابو عثمان شعره وشعر اخيه قبل موته ، وله تصانيف منها حماسة شعر المحدثين

من شعره قوله :

ومن نكد الدنيا اذا ما تعذرت
امور وان عدت صغاراً عظائم

اذا رمت بالمنتاش نتف اشاهبي
اتيحت له من نتفهن الاداهم

فأنتف ما اهوى بغير ارادتي
واترك ما اقلي وانفي راغم

وله أيضاً :

بنفسي حبيب بأن صبرى لبينه
واودعني الاشجان ساعة ودعا

وأنحلني بالهجر حتى لو انني
قذى بين جفني ارمد ما توجعا

وقال يصف غلامه رشا ويسرد مناقبه في خدمته :

ما هو عبد لكنه ولد
خولنيه المهيمن الصمد

وشد ازرى بحسن خدمته
فهو يدى والذراع والعضد

صغير سن كبير منفعة
تمازج الضعف فيه والجلد

في سن بدر الدجي وصورته
فمثله يصفي و يعتقد
الي أن قال :
ظريف مزح مليح نادرة
جوهر حسن شرارة تقد
ومنفق مشفق اذا انا ا
رفت و بذرت فهو مقتصد
مبارك الوجه منذ حظيت به
حالي رخي وعيشتي رغد
سامرى ان دجا الظلام فلي
منه حديث كأنه الشهد
خازن ما في يدى وحافظه
فليس شيء لدى يفتقد
يصون كتبي فكلها حسن
يطوى ثيابي فكلها جدد
وأبصر الناس بالطبيخ فكاا
مسك القلايا والعنبر الترد
وهو يدير المدام ان جليت
عروس دن نقابها الزبد
تمنح كاسي يد اناءها
تحل من لينها وتنعقد
تخف كذا كيس فلا عوج
في بعض اخلاقه ولا أود

وصيرفي القريض وزان دي
نار المعاني الجياد منتقد
ويعرف الشعر مثل معرفتي
وهو علي ان يزيد مجتهد
وكاتب توجد البلاغة في
الفاظه والصواب والرشد
وواجد بي من المحبة والر
أفة أضعاف ما به اجد
اذا تبسمت فهو مبتهج
وان تنمرت فهو مرتعد
ذا بعض أوصافه وقد بقيت
له صفات لم يحوها أحد
الشيخ شهاب الدين محمود في غلام له
عكساً في هذا المعنى مقصوداً للفكاهة قال:
ما هو عبد كلا ولا ولد
الاعناء يضني به الكبد
وفرط سقم اعيا الأساة فلا
جلد عليه يبقي ولا جلد
اقبح ما فيه كله فلقد
تساوت الروح منه والجسد
أشبه شيء بالقرود في الورى ولد
ان كان للقرد في الورى ولد
وجنته مثل صبغة الورس لـ
كن ذاك صاف ولونها كمد

يقطر سما فضحكه ابدا
شر بكاء و بشره حرد
ذو مقلة حشو جفنها عمـ
ص يسيل دمعاً ومابها رمد
كأنما الخد في نظافته
قد اكلت فوق صحنه غدد
يجمع كتفيه من مهانته
كأنه في الهجير مرتعد
يطرق لا من حيا ولا خجل
كأنه للتراب منتقد
ألكن الافي الشتم ينبح كاا
كلب ولو كان خصمه الاسد
يشتمني الناس حين يشتمهم
اذ ليس يرضي بسبه احد
كسلان الافي الاكل فهو اذا
ما حضر الاكل جمرة تقد
كالنار يوم الرياح في الحطب الـ
يابس يأتي علي الذى يجد
يرفل في حلة منبتة
من قمله رقم طرزها طرد
أجمل اوصافه النميمة والـ
كذب وثقل الحديث والحسد
كل عيوب الورى به اجتمعت
وهو بأضعاف ذاك منفرد

ان قلت لم يدر ما اقول وان
قال كلانا في الفهم متحد
كأن مالي اذا تسلمه
منى ماء وكفه برد
حملته لي دوية حسنت
كنت عليها في الظرف اعتمد
كمثل زهر الرياض ما وجدت
عيني لها شبها ولا اجد
فر يوماً بها علي رجل
لديه علم اللصوص يفتقد
اودعها عنده ففر بها
وما حواها من بعدها بلد
فجاء يبكي فظلت اضحك من
فعلي وقلبي بالغيظ متقد
وقال لي لا تخف لخليته
مشهورة الوصف حين يفتقد
عليه ثوب وعمة وله
وجه وذقن وساعد يد
وقائل بعه قلت خذه ولا
وزن تجازى به ولا عدد
في الذى قد اضاعه عوض
وهو علي ان يزيد مجتهد
كانت وفاة الخالدى في حدود
الار بعمائة

﴿ العُثنون ﴾ اللحية

﴿ عثا ﴾ يعثو عُثوا وعثيا يعثا وعثي يعثى عِثيا افسد وتكبر

﴿ عجب ﴾ من كذا يعجَب عجبا اخذه العجب

(عجَّبه) حمله علي العجب

(أعجبه الامر) حمله علي العجب منه

(أُعجِب فلان من الشيء) اذا عجب منه

(العُجَاب) ماجاوز الحد في العجب

(العَجْب) اصل الذنب

(العُجْب) الزهو والكبر

(الأعجوبة) العجيبة جمعها اعاجيب

﴿ فعل التعجب ﴾ للتعجب صيغتان وهما ما أفعله وأفعِل به نحو: (ما أعظم العلم وأعظم به) يصاغان من فعل متصرف قابل للتفاوت بشرط ان يكون ثلاثيا تاما مثبتا مبنيا للمعلوم لم يجيء الوصف منه علي أفعل. فلا يتعجب من نحو عسي ومات ويتوصل للتعجب مما لم يستوف الشروط بذكر مصدره منصوبا بعد نحو ما اشد، ومجرورا بعد نحو أشدد فتقول ما أشد فائدة العلم، وما أكثر عائدته، وأعظم بكثرة فائدته

﴿ عجّ ﴾ الرجل يعِجّ ويعَجّ عَجا وعجيجا صاح ورفع صوته ومثله (أعجّ)

(العَجاج) الغبار ومثله (العَجاجة)

(العجّاج) الصيّاح ومثير العجاج

﴿ عجره وبُجره ﴾ أي ما أخفي وما ابدى من ذوات صدره

﴿ العَجْرد ﴾ الخفيف السريع، والغليظ الشديد

(المُعجرد) العريان

﴿ عجرف ﴾ تعجرف تكبر وبغا

(العَجرَفة) جفوة في الكلام وخرق في العمل

﴿ عجزت ﴾ المرأة تعجِز عُجوزا صارت عجوزا

(عجز عنه) يعجِز ويعجَز عجزا ضعف عنه ولم يقدر عليه

(العَجُز) مؤخر الشيء

(أعجاز النخل) أصولها

(العجيزة) عجز المرأة خاصة

﴿ المعجزة ﴾ هي الامر الخارق للمادة الذى يحصل علي يد نبي مرسل ادلالا علي صدق رسالته. ولقد كان من سنة الله ان يرسل رسله الي الناس بالمعجزات ليحملهم بها علي الاذعان لهم

فانهم كانوا من غلظ الشعور بحيث لا يتأثرون الا بما يؤثر علي خيالهم فقد أرسل موسي بالعصا يلقيها فتنقلب حية تسعي ويدخل يده في جيبه ثم يخرجها فتنقلب بيضاء من غير سوء. وأرسل عيسي عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص واحياء الموتي باذن الله. فلما كان العصر الذى أرسل الله فيه محمداً صلي الله عليه وسلم كانت القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور قد تلطف فلم يرسل رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب واحقاق الحق وازهاق الباطل والتغلب علي الارواح والعقول بمحض الدعوة والسيرة الصالحة فكانت معجزاته أبلغ المعجزات. لأنه ان ساغ للمتشكك أن يشك في كل معجزة سابقة فلا يستطيع أن يشك في ان محمداً عليه الصلاة والسلام قد بعث وحيداً بغير مال ولا جاه فغير عقائد أمته ووحد قبائلها وأسس لها ملكا وحاطه بدستور كريم سمح لها بالتدرج في مراقي الكمال ونفخ فيها روحا ارتقت بها الي اوج العزة والجلال في سنين معدودة وكفي بهذه الانقلابات معجزة لمن غبر ومن حضر ولمن يأتي بعدنا الي يوم الدين

ولقد آمن به عدد من كبار فلاسفة الغرب مثل المؤرخ الفيلسوف كارليل الانجليزى والبارون هنرى دوكاسترى الفرنسي واللورد هادلي وغيرهم من هذا الطريق. وأنصف تاريخه كبار المؤرخين فأعجبوا بأعماله وأظهروا دهشتهم من الروح التى بثها في أمته أمثال سديو ودوبرسفال وجوستاف لوبون ورينان ودروى وغيرهم من هذا الطريق أيضاً. فمعجزته خير المعجزات وأدومها علي مر الدهور

ثم لا يسبق الي ذهن القارىء ان محمداً صلي الله عليه وسلم لم تحدث علي يده المعجزات علي الاطلاق. لا بل حدثت علي يده خوارق للمادة لا تقل عما حدث لعيسي وموسي وغيرهما ولكنه لم يجعلها أساساً للدعوة للايمان

قد روى انه كان اذا عطش جيشه وضع يده في اناء صغير فنبع الماء من بين أصابعه فشرب جيشه وادخر ماء لسفره. وكان اذا جاع عسكره لم يجمع بقية ما يكون لديه من الاغذية فوضع يده فيها فيغتذى جيشا ويتزود منها زادا يكفي

لأن يوصله لغايته

وقد ثبت عنه غير هذا شيء كثير جداً حتى روى عنه أحياء الموتى

لايوجد اليوم من يستطيع أن ينكر امكان حدوث المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ماوصل اليه منذ مائة سنة. ولوكان هؤلاء الماديون يتعرضون امامهم ما هدى اليه ألوف من العلماء الباحثين في المباحث النفسية في مشارق الارض ومغاربها أمثال الاساتذة وليم كروكس وروسل ولاس واللورد افبرى واكسون وتندل وبلوكس ولودج ومورغان الخ من الانجليز وكاميل فلامريون والدكتور داريكس والدكتور جيبييه والأستاذ شارل ريشيه من الفرنسيين وعدد لا يحصى من العلماء الايطاليين والالمانيين والروس وسواهم لرأوا ان كل هؤلاء قد هدوا بالتجارب التى أجروها على القوى النفسية الى نواميس أرقى من النواميس الحاكمة على المادة في استطاعتها في شروط مخصوصة ابطال عمل تلك النواميس واحداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادى فأصبحت المعجزات في نظر العلم من الممكنات وعلم انها تابعة لنواميس خاصة بها

أنا لاأقول ان مايحصل في جلسات استحضار الارواح والتجارب النفسية من حدوث طرقات أو رفع أثاثات الغرف الى السقف أو امرار الخزانات الجسيمة والحيوانات من خلال الحوائط أو احداث رياح ترتج منها البيوت أو تتداعى بها للسقوط أو ظهور أشباح نورانية وأشباح جسدية تكلم الناس وتصحبهم الخ — أنا لاأقول ان هذا كله من باب المعجزات.

ولكنى أقول ان من يتأمل في هذه الخوارق التى تتعطل معها نواميس الطبيعة ويتحقق من حدوثها يعرف ان هناك نواميس روحانية أرقى من النواميس المادية وانه لو كانت هذه الخوارق تظهر لمجرد وجود واسطة من عامة الناس فكيف لا يحدث أرقى من ذلك على يد نبى مرسل وصل من صفاء الروح وكمال الفطرة الى حيث لا تناله الهمم ولا تحوم حوله الافكار؟

يصعب على من يحبس نفسه في أقفاص الحس أن يصدق بأن في أوروبا خوارق من هذا القبيل تحصل على أيدى علماء الطبيعة وتحت أعينهم في شروط علمية صارمة ومراقبات لا تحتمل الشبهة

وفي منازل أولئك العلماء انفسهم. نعم يصعب على المحبوس في قفص الحس أن يتصور ذلك وعذره انه لم يقرأ منه شيأ او أنه هاله أمر الطبيعة المحسوسة فوقف عندها وترك ماوراءها ذلك لاصحاب الافئدة القوية والعقول الطامحة (انظر كلمتى روح ونوم مغناطيسي)

﴿ عَجف ﴾ يعجَف عجفا ذهب سمنه وهزل فهو (أعجف) وهي عجفاء. و (العَجَف) الهزال

﴿ عجل ﴾ الرجل يعجَل عجَلا وعجَلة اسرع ومثله (عَجَّل)

(عاجله بذنبه) أخذه به ولم يمهله

(أعجله) سبقه

(تَعجّل) عجل

(استعجله) حثه

(العاجلة) الدنيا

(العُجالة) ماتعجلته من شيء وما يعجل للضيف

(العِجْل) ولد البقرة

(العَجَل) السرعة. و (العَجِل) المسرع ومثله (العجلان)

(العَجلة) الخفة والسرعة والآلة التى تجر عليها الاثقال

(العَجول) المسرع والكثير العجلة

﴿ المنتخب العجلي ﴾ هو ابوالفتوح أسعد بن ابي الفضائل محمود بن خلف ابن احمد بن محمد العجلي الاصبهاني الملقب منتخب الدين الفقيه الشافعي الواعظ

كان فقيهاً فاضلا زاهداً مشهوراً بالعبادة والقناعة عرف عنه انه ما كان يأكل الا من كسب يده وكانت مهنته التوريق

سمع الحديث ببلده على ام ابراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية والحافظ ابي القاسم لسماعيل بن محمد بن الفضل وابي الوفاء غانم بن احمد بن الحسن الجلودى وابي الفضل عبدالرحيم ابن احمد ابن محمد البغدادى وابي المطهر القاسم ابن الفضل بن عبد الواحد الصيدلاني وغيرهم قدم بغداد وسمع بها من ابي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سلمان المعروف بابن البطي وغيره

ثم عاد الي بلده فاشتهر وصنف عدة تصانيف منها شرح مشكلات الوسيط والوجيز للغزالى فتكلم في المواضع المشكلة من الكتابين ونقل من الكتب المبسوطة

عليهما . وله كتاب تتمة التتمة لابي سعد الماقولي . وعليه كان الاعتماد في الفتوى باصبهان

ولد سنة (٥١٤) او (٥١٥) باصبهان وتوفي بها سنة (٦٠٠)هـ

﴿ العجلي ﴾ نسبة الي عجل ان لجيم وهي قبيلة كبيرة مشهورة من بني ربيعة الفرس ولجيم هو عجل بن لجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل

قال ابو عبيدة كان عجل بن لجيم يعد في الحمق بين العرب وكان له فرس جواد فقيل له ان لكل فرس جواد اسما فا اسم فرسك ؟ فقال لم اسمه بعد، فقيل له فسمه ففقأ احدى عينيه وقال قد سميته الأعور وفيه قال بعض شعراء العرب

رمتني بنو عجل بداء ابيهم

وهل أحد في الناس احمق من عجل

أليس ابوهم عار عين جواده

فسارت به الامثال في الناس بالجهل

يقال عار العين اذا فقأها

﴿ عجم ﴾ الحرف يعجمه عجما نطقه

(عجم الشيء) عضه ولاكه . و(عجم فلاناً) امتحنه

(عجم يعجم عجمة) كان في لسانه لكنة

(أعجم الكتاب) ضد أعربه

(تعاجم) تظاهر بالعجمة

(انعجم عليه الكلام) خفي فلم يفهمه

(استعجم) سكت عجزاً . و(استعجم الكلام) استبهم

(العجماء) البهيمة

(العجمي) من جنسه العجم وان أفصح

(التعجم) خلاف العرب (انظر تاريخ العجم في مادة فرس)

(الأعجم) من لا يفصح كلامه

﴿ عجن ﴾ الدقيق يعجنه ويعجنه عجناً معروف

(تعجن الشيء) صار عجينا

(العجان) الاست وتحت الذقن جمعه عجن واعجنة

﴿ العجوة ﴾ التمر المحشي في وعائه

﴿ عدة ﴾ يعده حسبه واحصاه

(عد زيدا عالما) حسبه وظنه عالما

(أعد الشيء) هيأه

(اعتد) صار معدودا

(اعتدت المرأة) دخلت في عدتها

(هذا شيء لا يعتد به) أي لا يلتفت اليه

(استعد فلان للامر) تهيأ له

(الماء العد) أي الجاري الذي لا ينقطع

(العديد) المعدود واسم من العد وما أكثر عديدهم أي عددهم

(أيام عديدة) أي معدودة

(هو في عداهم) أي يعد معهم

(العدة) الجلة من الاشياء

﴿ العدد ﴾ هو الاحصاء

الفاظ العدد من ثلاثة الى تسعة في اللغة العربية تكون علي عكس المعدود في التذكير والتأنيث سواء كانت مفردة كسبع ليال وثمانية ايام أو مركبة كخمسة عشر بيتاً وست عشرة داراً . أو معطوفا عليها . كثلاثة وعشرين كرسيا وأربع وعشرين ناقة

أما واحد واثنان فهما علي وفق المعدود في الاحوال الثلاثة . تقول في المذكر واحد واحد عشر . وواحد وثلاثون . واثنان واثنا عشر واثنان وثلاثون . وفي المؤنث واحدة واحدى عشرة واحدى وثلاثون .

واثنتان واثنتا عشرة واثنتان وثلاثون

وأما مائة وألف فلا يتغير لفظها في التذكير والتأنيث . وكذلك الفاظ العقود كعشرين وأربعين الاعشرة فهي علي عكس معدودها ان كانت مفردة كعشرة رجال وعشر نسوة ، وعلي وفقه ان كانت مركبة كخمسة عشر رجلا وخمس عشرة امرأة

﴿ عدة المرأة ﴾ اتفق الائمة علي ان عدة الحامل مطلقا بالوضع وعدة من لم تحض أو يئست ثلاثة أشهر وعلي ان عدة من تحيض ثلاثة اقراء اذا كانت حرة فان كانت أمة فقرءان بالاتفاق . وقال داود الظاهري ثلاثة أقراء

﴿ العدس ﴾ من الزروع البقلية التي يعتنى بها في بلادنا غاية العناية . ويعتبر الفلاحون العدس من أغذيتهم الرئيسية

أكثر ما يزرع العدس في أراضي الحياض بالوجه القبلي ولا يزرع منه كثير في الوجه البحري حيث تروى الارض من الترع . وهو زرع شتوي يزرع في الوقت التي تزرع فيه الحنطة

أما وقت زرعه في أراضي الحياض فيتوقف علي نزول مياه النيل بعد الفيضان

فتبزر بزوره نثرا في العادة على الطين وتغطى بالرمروم وفي بعض الاوقات تحرث في الارض بعد ان تجف وتتماسك

أما في حالة الرى الدائم فقد جرت العادة بحرث الارض وتزحيفها مرتين . واذا كانت الارض حينئذ محروثة حرثاً جيدا فان الحبوب تبزر نثرا وتغطى بالزحافة يكفي الفدان نحو أربع كيلات من العدس

تنحصر الاعمال بعد البذر في ازالة الاعشاب من ارض العدس لأنه بطيء النمو ولا يبلغ حجما عظيما

اذا زرع العدس في الحياض فلا يسقى بعد زراعته ولكن في الارض التى تروى بالترع يسقى بعد زرعه مباشرة . ويزرع العدس غالبا مختلطا مع الفول أو الشعير أو الحنطة وسبب ذلك ان العدس ينحنى اذا كان وحده ويستلقى على الارض لضعف ساقه . فيزرع معه من تلك الاصناف لتسنده وتزيد فيما يتخلله من النور والهواء فيزيد محصوله

يدرك العدس بعد زرعه بنحو خمسة اشهر او خمسة اشهر ونصف

يقلع العدس باليد واذا كان مزروعا مع نوع آخر فانهما يدرسان معا وبعد ذلك تنفصل حبوب كل عن الآخر . والأفضل أن يقلع كلا النوعين على حدة .

متوسط المحصول نحو ٤ أو ٥ أرادب من الحبوب ونحو حملين أو ثلاثة من التبن وهذا التبن مفيد جداً وله قيمة ثمينة في تغذية الماشية الحلوب

العدس بعيد جدا عن أن تضره الحشرات ولكن قد يعاق عن النمو كثيرا كما أنه قد يكون عرضة لان تقتله الاعشاب

(القيمة الغذائية للعدس) العدس أغذى البقول على الاطلاق فهو أغذى من أرقى أنواع اللحوم . اليك احصاء يبين لك مقدار ما يوجد من المادة الزلالية المغذية في كل ألف جزء من الاغذية المختلفة ومن بينها العدس وهو مقتبس من دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية:

زلال البيض	١١٧
مح البيض	١٦٣
لحم العجل	١٦٦
لحم البقر	١٧٤
لحم المعزى	١٨٧
لحم البط	٢٠٣
لحم الحمام	٢٠٩
البازلة (البسلة)	٢٢٣
الفاصولياء	٢٢٥
اللوز	٢٤٠
العدس	٢٦٤

ثم انه فوق ذلك يحتوى على ٤٠٠ جزء في كل الف من المواد النشوية وعلى ١٥١٫٦٥ من الدكسترين وعلى ٢٧٫٤٥ من السكر وعلى ٢٤٫٠١ من المواد الدهنية فالعدس كابرى الرأي أغذى البقول على الاطلاق وأغذى من اللحوم أيضاً وقد هدى العمال والنوتية والفلاحين الى التعويل عليه وهذا سر صبرهم على الاعمال وجلدهم على المشاق

قالت دائرة معارف القرن العشرين الفرنسوية في مادة غذاء ماياتي :

« من المحقق ان الجبن والعدس والفاصولياء والبازلة والفول أغذى من لحم البقر من جهة المواد الزلالية وجهة المواد الايدرو كربونية والدهنية أيضاً وكثير من الناس يتوهمون بأن اللحم هو الغذاء الأكثر تعويضاً للجسم فان التحليلات الكيماوية دلتنا على مبلغ خطأ هذا الرأى والعمل اليومي يقوى هذه النظرية لأن كثيراً من الناس المشتغلين بأجسادهم كالفلاحين والعمال وطواقة البريد بالقرى وادلاء الجبال عمدة غذائهم الجبن »

هذا ماقاله دائرة المعارف الفرنسية ولكن ظهرت مباحث علمية مؤسسة على الاختبار دلت على أن البقول كاللحوم مصدر كثير من أنواع الاملاح الضارة بالجسم بل المهلكة له . من العلماء الذين قالوا بهذا المذهب الدكتور (هيج) الانجليزى فانه قال بأنه لا يهلك الجسم شيء أكبر من حمض البوليك اذا انتشر في الدم وهذا الحمض مصدره الاغذية فهو يوجد بكمية عظيمة في اللحوم والبقول والقهوة والشاى فنصح الناس بترك هذه المواد الغذائية بتاتاً وأمرهم بالاكتفاء بالنباتات الخضراء والجبن والفواكه قائلا انها حاصلة على جميع ما يحتاج اليه البدن من صنوف المواد الداخلة في تركيبه . وأنا نحيل قارئنا للاطلاع على الفصل الذى كتبناه في كلمة (طب) فان فيه بسط آراء الدكتور هيج تفصيلا وآراء غيره من كبار العلماء

(فوائد العدس طبياً) قال علماء الطب العربي العدس يسكن الحرارة ويزيل بقايا الحمى ومزورته بدهن اللوز بعد

العرق تؤمن من النكس . وماؤه يسكن السعال واوجاع الصدر . وبلع ثلاثين حبة منه يقوى المعدة والهضم . ودقيقه مع العسل يصلح الكي ويلحم القروح . وغسل البدن به ينقي البشرة و يصفي اللون . والطلاء به مع الخل والعسل و بياض البيض يحل الاورام الصلبة والاستسقاء والترهل وهو يحرق الاخلاط ويظلم البصر و يورث الدمعة. وادمانا كله يولد السرطان والجذام والماليخوليا . وان خالطه حلو في البطن ولد سدداً توجب القولنج والاستسقاء وتقوى الباسور وطبيخه مع القديد يوقع في امراض رديئة ونفخ وقراقر

والتضمد به مع السفرجل والاكليل يحلل النزلات والرمد . و يصلح فساده طبخه بالخل و السيرج والسلق

اما المر منه فعظيم النفع في قلع الآثار والحكة وادمال الجراح . وغسل الوجه به مع بزر البطيخ يجذب الدم الي ظاهر البدن و يحمر الالوان و ينقي الصفار

يحرق فيبيض رماده الاسنان وان طلي علي الجفن منع استرخاءه

***

هذا قول أطباء العرب ومنه يرى انهم يتفقون في ضرر العدس مع هيج وأمثاله . فان قيل فلم لم نشاهد آثار هذا الضرر علي آكليه من النوتية والفلاحين قلنا ان هؤلاء يأتون من الحركات الجسدية في الهواء الطلق ما يكفي لتحليل السموم الغذائية واخراجها بطريق الافرازات الجلدية والكلاوية والرئوية والمعوية . أما الذين حياتهم جلوسية فلا أظن انهم يستطيعون اتقاء مضار العدس وسواه من البقول لو أكثروا من أكلها

وعندنا انه يكفي الانسان ان يغتذى باللبن وما يصنع منه والجبن والنباتات الخضراء والفواكه لينتقي شر الأمراض الكثيرة التي تصيب البدن فتجعل عيش صاحبه مراً . وحق الانسان ان يأكل ليعيش لا ان يعيش ليأكل

وان هذا الجبن الذى يعده بعضهم من الاغذية الضعيفة يحتوى من المواد المغذية علي نحو ضعفي ما يحتوى عليه اللحم فقدرت دائرة المعارف ان مايحتويه أرقي اللحوم في الالف من المواد المغذية ٢٠٩ ولكن مقداره مايحتويه الجبن منها ٣٣٤

عدَل الشيء يعدله عدلاً أقامه

(عدَل الطريقُ) مال

(عدَل فلاناً بفلان) سوى بينهما

(عدَل عن الطريق) حاد

(عدَل الحاكمُ) أنصف

(عدُل الرجلُ) صار عدلا

(عدَّل الشيء) أقامه

(عادله) وازنه

(اعتدل) توسط

(العَدْل) ضد الجور . والعادل والمثل والنظير

(العِدْل) المثل والنظير

(العَديل) المثل والنظير أيضاً

العدل ماهو العدل ؟ العدل روح كل شريعة وهو النقطة العالية التي يسعي مشترعو العالم الى الوصول اليها من القدم الى اليوم فماهو العدل وكيف انبعث الانسان للبحث عنه و كيف وجده وكيف حدده ؟

من البداهة التي لا تحتاج لدليل ان الانسان اجتماعي بطبعه فكل خصائصه تسوقه للاجتماع وليس الانسان بالكائن الوحيد المتمتع بهذه المزية فان هنالك من الحيوانات كالنحل والنمل وكثير من أنواع الطيور وغيرها مالا تعيش الا مجتمعة ولكن الفرق بين مجتمعاتها ومجتمع الانسان كالفرق بينها وبينه من حيث الخصائص العقلية والقابلية للارتقاء فتلك جمعتها الحاجة الحيوية علي أبسط أحوالها فلم تجد من فطرتها القابلية للتخطي خطوة للامام فظلت كما هي من يوم وجودها وأما الانسان فجمعته أولا الحاجة الحيوية المحضة ثم قادته فطرته القابلة للترقي الي بلحات متعاقبة من المدنية حتى وصل الى ماهو عليه اليوم مقوداً بتأثير نوعين من الحاجات ، وهما حاجات جسدية وحاجات أدبية ، وتحت تأثير عاملين عامين من عوامل الارتقاء وهما شعوره (بشخصية مستقلة) لها حق في الوجود و (تمتعه بعقل) يفرق به بين الحسن والقبيح

محض اجتماع الانسان الي أبناء جنسه أشعره بضرورة اقامة قوة حاكمة لتحمي شخصه وأسرته وماله من عاديات بني جنسه فوجدت (الحكومة) . شعرت الحكومة لأجل حسم كل نزاع يقوم بين فرد وآخر من أفراد الجمعية بحاجتها الي هاد يهديها الى طريق الحق في حكمها فحكمت (العقل) وما أداها اليه هذا العقل من الاحكام سمته (عدلا) فالعدل

اذن هو مظهر من مظاهر العقل

هنا يلزمنا أن تنبه الى موضوع خطير وهو ان مشترعي أوروبا عامة يعيبون الدينيين في اعتقادهم بأن أصل الشرائع الوحي ولهم في ذلك عليهم مطاعن في غاية الصرامة . ونحن هنا لامناص لنا من حل هذه الشبهة فنقول :

القرآن الكريم توسع في معنى الوحي فلم يقصره علي النبيين بل أطلقه علي أدني درجات الانسياق الطبيعي الحيواني فقال تعالي (واذ أوحي ربك الي النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) واذا صح اطلاق الوحي علي هذا الانسياق الفطرى الحيواني صح من باب أولى اطلاقه علي نتائج العقل الانساني لأن الله خالق كل شيء والباعث علي كل شيء . فيكون لا تنافي بين قول مشترعي أوروبا ان الشرائع أصلها العقل و بين قول الدينيين ان اصلها الوحي

اذا لم يقبل الدينيون هذا الحل الموافق للكتاب والعلم فقد تعرضوا لشبه لا مخلص لهم منها وهي :

(أولا) لو كان أصل الشرائع الوحي بمعناه الخاص لنزلت الشرائع الاولي حاصلة علي العدالة بمعناها الخاص والمشاهد من حوادث التاريخ ان الشرائع بدأت مناسبة لعقل الانسان وسذاجته ونقص أخلاقه والله يتنزه عن ذلك

(ثانياً) في الارض أمم كثيرة في أدني درجات التوحش ولديها شرائع علي حسب مداركها مطابقة في أصولها الاولية لشرائع الجماعات البشرية الاولي فلماذا الحكم بأن شرائع المتوحشين العصريين هي من تلقاء أنفسهم وتلك الشرائع هي من الوحي مع تشابهها في النقص والسذاجة ؟

ان قال قائل لقد نزهت الله عن ايحاء الشرائع الناقصة ولكنك قررت بانها باعتبار كونها من مقتضيات الفطرة يصح أطلاق اسم الوحي عليها كما أطلق علي الانسياق الحيواني في آية النحل ألا ترى في هذا ماينافي التنزيه ؟

نقول في هذا الاعتراض مغالطة صريحة لان العقل يدرك فرقا بما ينسبه للخالق مباشرة وبما ينسبه له بالواسطة . وذلك اننا نرى في الكون جمالا وقبحاً فنرى أنفسنا مضطرين لنسبة الجمال لله لان الله هو الكمال المحض الذى لا يصدر

منه الا الكمال المحض . اما القبح المشاهد مثل ثوران البراكين واكتساحها للمدائن المأهولة والزلازل الجتاحة التى تخسف القرى بما أقلت الخ فالعقل يأبي نسبته للخالق وان كان هو فاعله . وليس في هذا تناقض في احكام العقل فان الله وهو الكمال المحض خالق العالم الدنيوى علي ما فيه من النقص درجة تمهيدية لعالم أرقي منه ولذلك سماه الدنيا أى الحياة الدنيا فكل ما فيه من نقص سيتأدى الي الكمال في عالم آخر . مثل الله في ذلك ، وله المثل الاعلي ، كمثل باني البيت ينسف الجبال ويقتطع صخورها و يقطع الاشجار و يستخدم اخشابها لتكوين البيت . فلو اقتصرت علي نظر أفعاله المؤقتة ونحلته صفاتها ظلمته . أى ان رأيته وهو يقطع الخشب أو ينسف الصخور فلقبته بلقب متلف الاشجار وناسف الجبال ظلمته ولا سيما ان كان قل لك ان تلك الاعمال وقتية لها نتيجة سامية ستنتهي اليها . وكذلك الخالق سبحانه وتعالى جعل هذا العالم الأرضي سلما لما بعده فكل مانشاهد من نقص فيه من مقتضيات التكوين والبناء ، لاينافي انه الكمال المحض وانت مع علمك بهذا لاترى من العدل ان تنسب لله الامور التمهيدية كحوادث الزلازل الجتاحة والفيضانات المخربة لثقتك بأنها ممهدات لعالم أرقي منه أو لحال في في العالم الانساني أعلي وأكرم . فانت لاتستحسن ولاتجد من الأدب أن تنسبها اليه مع أنها فعله . كذا ليس مما يناقض التنزيه ان تعتقد بأن الشرائع الأولية الناقصة وحيه والهامه بالمعنى الأعم كما تعتقد ان كل الحوادث الجتاحة فعله بالمعنى الأعم أيضاً

فان قال قائل قد ثبت شرعا ان أول البشر آدم عليه السلام وهو نبي بالاجماع وقد ذكر الله انه أوحي اليه وعلمه فيكون أصل الشرائع الوحي بالمعنى الخاص

نقول ان صح ان ايحاء الله لآدم كان بالمعنى الخاص ولم يكن بمعنى الالهام والنفث في الروع من طريق مقتضيات الفطرة الانسانية فان الله لم يذكر انه أوحي اليه شريعة بل لم يكن الحال يقتضي ذلك في ذلك العهد لقلة الناس وقربهم من حالة الفطرة وكل ما ذكره الله من الوحي اليه أنه علمه الاسماء كلها وأنه لقنه كلمات فتاب عليه بها الخ وقد

ذكر الله كتبه وشرائعه في مواطن من القرآن كثيرة ولم يذكر شريعة لآدم كما ذكر صحف ابراهيم والواح موسى وتوراته وزبور داود وانجيل عيسى وقرآن محمد عليهم الصلاة والسلام . وبهذا فقد انحلت الشبهة المتقدمة

قلنا العدل مظهر من مظاهر العقل ونقول الآن انه شيء حقيقي وزيادة عن هذا فهو حدث اجتماعي خطير ، فيجب علينا أن نبحث عن موضعه ووظيفته فنقول :

اذا اعتبرنا الحكم العادل اياً كان واخذنا في بحثه رأينا له مصدرين اثنين ، وان شئت فقل وجدناه نتيجة عاملين اثنين ، احدهما الحوادث الاجتماعية والثاني القانون الاخلاقي . اما عناصر العامل الأول فالملكية والأسرة وحقوق الأب والزوج واختلاف الجنسين والسن والاعمال التي مصدرها الارادة والاختيار . هذه هي مواد فن التشريع وهي كما ترى لم توجدها القوانين وأنما سنت القوانين من أجلها . ولا يخفى ان كلا من هذه الاشياء والاعمال يقتضي على حسب طبيعته نتائج تشريعية يحددها العقل . ولكن أي طريق يسلكه العقل في تحديدها ؟

لاشك انه سيسلك في تحديدها عين الطريق الذي سلكه في ادراكها . وهنا تأتي مهمة القانون الاخلاقي لأن كل الحوادث لها ارتكاز على الاخلاق من بعض الوجوه مثال ذلك الأحكام التشريعية الخاصة بالاسرة ستكون في الجماعة المكونة للقانون مطابقة لمكان الاسرة من اصولهم الاخلاقية . ومن هنا ترى ان هنالك رابطة صميمة بين القانون الاخلاقي والعدالة فهما مرتبطان بحيث لا ينفصلان وان كانا متميزين كل التمايز فقاعدة العدالة مرتكزة على طبيعة الحوادث ذاتها وهذه الحوادث ليست امورا فرضية اخترعها المشترعون وانما هي حوادث حسية مشاهدة أما الاصل المحدد للعدالة فمستمد على ما يدركه الانسان عن ذاته أى على القانون الاخلاقي . وانما كان الامر كذلك لأن القانون الاخلاقي هو الموجب على الانساني احترام العدالة . فاذا كانت العدالة موجودة بين البشر فما ذلك الا لأن الطبيعة تشعر الانسان بوجوب احترامه لنظيره ولأن القانون الاخلاقي يوجب أول أصل من اصوله على الانسان بأن لا يضر غيره

وأن يؤدى لكل ذى حق حقه . وبذلك يمكن القول بأن الاخلاق اصل الشريعة او بأن الشريعة فرع من علم الاخلاق وان كانا متميزين أحدهما عن الآخر تمام التمايز لأن كليهما وان نتج من العقل والحرية والانسانية الا أن لكل منهما غرضا خاصاً . فعلم الاخلاق يبعث الانسان للخير والصلاح ونتيجته ان يسلم للانسان حكومة نفسه بتغليبه على شهواته . وأما العدالة فبالعكس اساسها المنفعة وغايتها حماية الذات الانسانية وحياطتها لتصل الى كمالها فلا مانع يمنعها حقها من ذلك . والاخلاق انما تنتج من القلب فهي تسبح بالانسان في عالم الفكر والخيال . اما العدالة فمجالها الحقائق الموجودة وهي لأجل أن تسود على ذويها في حاجة الى قوة خارجة عنها

مما مر يمكن استنتاج جملة نتائج وهي :

(اولا) العدالة في الامة تكون مناسبة لعاداتها واخلاقها

(ثانيا) الامم تتكون على النظام الذى تدرك به نفسها

(ثالثاً) ان كل ترق اخلاقي يتبعه ترق تشريعي

(رابعاً) الشريعة لاتصل الى اوج كمالها في امة الا اذا كانت المساواة بين الافراد بالنسبة حدها الأقصى ، اى اذا ترقت فيها الاخلاق لدرجة ان الرجل منها يعتبر غيره نظيره . وهذه هي الحالة الوحيدة التى يتخلص فيها العقل من اوهامه الاجتماعية فيواجه الطبيعة الحقة للحوادث ويترك لها زمامه لتقوده الى العدالة المحضة

من هنا يرى الرائي كيف ان كل انقلاب حدث في اخلاق امة يتأدى بطبعه الى انقلاب في شريعتها . ويدرك تبعاً لهذا سبب فساد الاحكام وبعدها عن العدالة في بعض الامم المتدينة التى تقرر مبدأ التمايز في افراد الجماعة فتهب لبعضهم حقوقاً تسلبها عن الآخرين باعتبارات دينية

هنا نستلفت نظر القارىء الى امر خطير يدل في اجماله على ان الشريعة الاسلامية هي أعدل الشرائع وارقاها بحكم اكبر اصل من اصول فلسفة التشريع . وذلك ان هذه الفلسفة تقرر بأن الشريعة لاتصل الى اوج الكمال الا اذا كانت المساواة تامة بين الافراد . وهذه الشريعة الاسلامية مبناها (انما

المؤمنين اخوة) فلم تقرر في اصولها ادني امتياز لاية طائفة فتكون بهذا الدليل اعدل الشرائع

(العدل الوضعي والعدل الطبيعي)

قسم فلاسفة الشرائع العدل الي قسمين قسم سموه (العدل الوضعي) وقسم سموه (العدل الطبيعي)

فالعدل الوضعي هو العدل المعتبر في الشرائع الوضعية عند الامم المختلفة وأما العدل الطبيعي فهو العدل المطلق الذي يتصوره العقل و يعتبره حقاً طبيعياً للانسان. والامم في تكوينها لشرائعها انما تحدد العدل علي قدر ماتدركه من حقائق الاشياء وما تتأثر به ضمائرها من الآداب ولكن فوق هذا العدل الانساني الوضعي يوجد أصل سام هو العدل الطبيعي الذي ترقي الامم اليه درجة درجة محفوزة بعوامل التقدم الادبي والمدنية . هذا مايمكن الاستدلال عليه من النظر لترقي الامم في تهذيب شرائعها ونظاماتها وأن الشرائع لم تترق ولم تهذب الا لوجود أصل ثابت هو العدل المطلق تتقرب منه الامم في تدرجها نحو الكمال . وقد كتب مشرعو الفرنسيين في مقدمة قانونهم المدني قولهم « يوجد عدل علم ثابت لايتغير بتغير الامكنة والازمنة ، هو أصل كل الشرائع الوضيعة وما هو في ذاته الا الروح العام السائد علي جميع الانام » انتهي

فالبحث عن هذا الروح العام الذي تنزل منه جميع الشرائع الوضيعة هو غرض ذلك العلم العالي المسمي بفلسفة التشريع

(الحقوق الوضيعة والحقوق الطبيعة)

كما يوجد عدل طبيعي علم يعتبر مطمح نظر جميع الشرائع الوضيعة ، وكما يوجد عدل هو غاية اجتهاد الشرعيين وثمرة محاولاتهم التشريعية ، كذلك يوجد حقوق طبيعية وحقوق وضيعية كانت في كل جيل غرض الواضعين للشرائع وكان تباينهم في تحديدها اوتخالفهم في تقديرها علي حسب الامكنة والازمنة والامم سبباً لتخالف الشعوب في شرائعها وتفاضلها في ادراك جوهر العدالة المطلقة

المشرع ليس هو المخترع للحق ولا للحقوق فان الانسان بفطرته يشعر بأن له حقوقاً علي الهيئة الاجتماعية التي هو عائش بين ظهرانيها ومن وظيفة الشارع احترام تلك الحقوق واعتبارها ثم جمعها

والتأمل فيها وتقرير مايجب لكل منها علي قدر ما لديه من المعلومات والقابلية لادراك الحق وهو بمحاولاته هذه انما يسعي لأن يصل الي أخص معاني العدل المطلق الذي مظهره هذا الكون المحسوس بحقائقه الثابتة كما ورد في الاثر « بالعدل قامت السموات والارض »

ثم ان الانسان اذا شعر بأن له حقوقاً فانما يشعر بذلك لأنها من مقتضيات طبيعته وتركيبه ولانه يحس من نفسه بأنه حر عاقل

وقد كان هذا الشعور ملازماً للانسان في كل أطواره فهو من يوم وجوده يشعر بأن له حقوقاً يجب عليه أن يدافع عنها ضد المسيطرين عليه بل قد ينمو فيه هذا الشعور احياناً فيدفعه الى احداث الثورات الهائلة وليس بعد هذا برهان علي ان شعور الانسان بحقوقه امر فطرى فيه وانما كان فطرياً لاستناده علي طبيعته الثابتة وفطرته الأصلية

وكما ان للانسان حقوقاً يطالب بها فان عليه واجبات تتطلب منه . وهذه الحقوق والواجبات تتحد أمام الانسان بواسطة شعوره بوجود اصلي الخير والشر أى بواسطة القانون الاخلاقي الذى هو من فطرة الروح الانسانية

(اقسام الحق الوضعي)

اصطلح فلاسفة التشريع علي تقسيم الحق الوضعي الى قسمين وهما :

(١) الحق الداخلي (٢) والحق الخارجي أو الحق العام بين الامم

فالحق الداخلي ينقسم الي حق خاص وحق عام وحق عقابي . قال مونتسكيو الشارع الفرنسي (١) في كتابه (أصول القوانين) : « الناس باعتبار انهم سكان كوكب سماوى كبير هو الكرة الارضية فيها أمم مختلفة قد تقررت بينهم روابط سميت بالحقوق العامة بين الامم . وباعتبار انهم اعضاء جماعة يجب حفظ قوتها وهيئتها قد تقررت بينهم روابط اخرى باعتبار انهم افراد امة واحدة سميت بالحقوق المدنية » انتهي كلام مونتسكيو

اما الحق العقابي فهو الذى يحدد علاقات الافراد فيما بينهم من جهة المسؤلية عن اعمالهم

(درجة الشعور بالحق)

رأينا مما تقدم ان أصل الشعور بالحق

(١) توفي سنة ١٧٧٥

هو شعور الانسان بالحرية والاستقلال وذلك الشعور لم يكن يوجد لولا ارتباط الانسان بطائفة من أمثاله في الهيئة الاجتماعية وبناء عليه فيكون شعور الامة بحقوقها مناسباً لشعورها بحريتها . وقد تخالفت الشرائع في تحديد الحقوق علي قدر تخالف الامم في الشعور بالحرية

وقد رأينا من استقراء حوادث التاريخ انه كلما ترقت الامم في المدنية ترقت حدود الحقوق فيها وأخذت شكلا علمياً تجريدياً

واذا صعدنا بافكارنا الي أقدم احيان التاريخ رأينا ان الانسان في مبدأ وجوده كان ضعيف الشعور بحريته لذلك كان شعوره بحقوقه ضعيفا كذلك . وما كان شعوره قوياً الا بشيء واحد وهو انه يوجد قانون يثيب علي الحسنات ويعاقب علي السيآت فكان يحس بضرورة السير علي موجبه بكل جهده . وكانت عقيدته في ذلك القانون انه وحي الهي لايجوز تغييره ولا تحويره يجب الخضوع لأحكامه خضوعاً أعمي

من هنا كان الشعور بالحق لدى تلك المجتمعات الاولية منطفي بنواشي التقليد . ولذلك كان امتياز الطوائف والحكم المطلق والعبودية وكراهة الاجنبي من الأوصاف العامة لكل تلك المجتمعات البشرية

هذا كان شأن قدماء المصريين والهنود وجميع الامم الشرقية ولذلك بقيت كل هذه الامم حافظة لتقاليدها مقدسة لشرائعها علي ما فيها من عوج قروناً مستطيلة وكانت الصفات الرئيسية التي تقتضيها هذه الشرائع ملازمة لها في كل أدوار حياتها وتلك الصفات المميزة وجود الطوائف الممتازة والحكم الاستبدادى المطلق والاستعباد والحقد علي الاجنبي

فنشأت الطوائف الممتازة من طبيعة تقسيم العمل في الجماعات الحديثة النشأة . فأسندت الجماعة القيام بأمر العلم والدين الي طائفة منها فنشأت طائفة الدينيين نالت من الامتيازات بقدر ما يسمح به استعدادهم للتقليد

ثم حدثت طائفة المدافعين عن الجماعة بعد طائفة الدينيين مباشرة بلغت من الامتيازات هي أيضاً ماقدر لها علي قدر اجلال الناس لافرادها

ونشأ الحكم المطلق الاستبدادى من طبيعة الاحوال في تلك الجماعات فمن

كل جماعة ليس للفرد الواحد فيها اعتبار وليس له هو بحقوقه الذاتية شعور يضيع فيها معنى الدستور ويكون الحكم فيها استبدادياً بحتاً . فان الذى يوجد الدستور الافراد والذى يسوق الافراد لايجاده هو شعورهم بالحرية والاستقلال وطريق كل ذلك المطالبة فمتى لم يوجد شيء من ذلك لم يوجد الدستور وهذا ظاهر

وأما الاسترقاق وكراهة الاجنبي فنشأ من اعتبار الأقدمين كل من ليس منهم عدواً جاء ليعدو عليهم ويجتاح أموالهم وأولادهم وقد كان الشأن كذلك في مبدأ تكون الجماعات البشرية لعدم وجود الحاجة الي تبادل المنافع والمرافق فكان كل فرد من أمة يقع في أيدى أمة أخرى يكون جزاؤه الاهلاك بلا محاكمة . ثم ترقت الاعمال قليلا وشعر الانسان بالحاجة الي المعين له في العمل فأبدلت الجماعات قتل الاجنبي باستعباده وتشغيله مع البهائم وقد عد علماء العمران هذا الاسترقاق درجة من درجات الترقي

هذا نظر فلسفة التشريع في أصول الشرائع القديمة التي ادعي أصحابها انها وحي من الله اليهم وليس حكمها علي شرائع المرسلين المشهورين ليعلو عن هذا الحكم علواً يسمح لهم بأن يعدوها في مصاف شرائعهم الوضعية العصرية

ولما كان من غرضنا في هذا الفصل خدمة الشريعة الاسلامية فلا يجوز لنا أن نتخطي هذا المجال الى غيره حتى نثبت بالادلة القاطعة الحسية ان الشريعة الاسلامية مع انها شريعة موحاة وغير قابلة للتبدل والتحور هي أرقي شرائع العالم وأحوزها علي الأصول الثابتة المقررة التي يعتبرها الفلاسفة أصول العدل المطلق الذى لايتغير . ونحن لاطريق لنا للوصول الى هذه النتيجة الا بسط ما يسميه الفلاسفة بالحقوق الطبيعية التي كشفها العلم وصارت معياراً لعدالة الشرائع ثم نقارنها بأصول الشريعة الاسلامية فان انطبقت عليها كانت الشريعة الاسلامية هي مظهر الشريعة الطبيعية التي أجمع الفلاسفة علي اعتبارها أصولاً ثابتة لاتتغير فنقول :

(ماهي الحقوق الطبيعية)

هي مجموع الاصول الطبيعية السائدة علي الناس بمقتضي فطرتهم قبل سيادة أى قانون عليهم . فهي مطلوب الفطرة

الانسانية التي لو خلا منها القانون عد ناقصاً أو جائراً

فالحق الطبيعي الاول للانسان هو حق الحياة • فلا يجوز أن يسلبه أحد هذا الحق ولا يجوز له أن يسلبه نفسه • ومن مقتضي هذا الحق ينتج حقه في الدفاع عن نفسه فلو قتل الهاجم عليه فلا اثم عليه ولا علي من يعينه علي قتل الهاجم عليه اذا لم يجد طريقة أخرى للدفاع بها عن حياته • ومما ينتج من هذه القاعدة انه ليس للانسان أن يقتل نفسه بأى حجة من الحجج وهذا القانون الطبيعي الذى يحرم علي الانسان قتل نفسه يحرم عليه أيضاً أن يبتر لنفسه عضواً او أن يعطل فيه وظيفة

هذا الأصل الطبيعي ينطبق علي الشريعة الاسلامية تمام الانطباق فقد حرم الله قتل النفس الا بحق واعتبر قاتل النفس الواحدة كقاتل الناس جميعاً وليس بعد هذا زجر عن القتل فقال تعالي: «ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً» ونهي عن قتل النفس نهياً صارماً فقال تعالي: «ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما» ونهي عن بتر الاعضاء وتعطيل وظائفها فقال عليه الصلاة والسلام ملعون من خصي أو اختصي . وزاد حتى حرم بتر أعضاء الحيوانات وعدها من الآثام الشنيعة

هذا وقد كان قتل النفس مسموحا به في شرائع الاقدمين . بل كان لدى اليونانيين والرومانيين من علائم احتقار الآلام واستصغار الحوادث الجسام.وكان لديهم بتر الاعضاء مسموحا به أيضاً

الحق الطبيعي الثاني يقضي بأن يعيش الانسان معيشة كأنه عاقل شاعر. ومن هنا ينتج وجوب تمتعه بحق استعمال مواهبه وحريته في عقائده

من هذه الجهة فشريعة الاسلام أول شريعة اعترفت ببلوغ الانسان رشده فخاطبته مخاطبة الراشد فوجهت الخطاب اليه ، وناقشته مناقشة الشاعر بماله وما عليه وحاكمته الي عقله • حتي ان هذا الدين سلك هذا المسلك من جهة العقائد فقد قررها وبرهن عليها وطلب من المعتقد بها الدليل علي حقيتها • وليس بعد هذا مزيد في اعتبار رشد الانسان وحرية فكره

ومن دلائل اعتبار الله للانسان رشيداً

شاعر انه أمر رسوله صلي الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه في الامر فقال تعالي (وشاورهم في الامر) وليس بعد أن يأمر الله رسوله بأن يشاورهم في الامر من مزيد في الدلالة علي ان هذا الدين بني علي قاعدة الحق الطبيعي لا علي الاستبداد والتقليد الاعمي. وكثيراً ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يرجع عن رأيه الي رأيهم فيما لم ينزل فيه وحي مثل حاله في وقعة احد ، كان رأيه ان ينتظر العدو في المدينة ورأيهم ان يخرج اليه فاتبع رأيهم . ثم ندموا علي أن اشاروا عليه بالخروج وكرهوا ان يكون رأيهم غالباً فتنزلوا عن آرائهم فلم يرجع عن عزمه تمكينا لهذه الحالة من نفوسهم

أما من جهة حرية الانسان في عقيدته فقد قال الله « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي »

ومما يجب لفت النظر اليه في هذه النقطة ان الشريعة الاسلامية لا تعتبر الاختلافات الدينية في الامور الحقوقية فالمسلم وغيره من أهل الملل سواء أمام العدل والحق وقد ثبت ان عمر بن الخطاب حكم لمصري ان يضرب ابن عمرو بن العاص عامل مصر عقوبة له علي تعديه علي ذلك المصري بالضرب وليس بعد هذا مزيد للعدل والحرية واحترام الحقوق الانسانية

الحق الثالث الطبيعي للانسان أن يكون حرا في عمله وان يكون ذا حق في استغلال الارض وما عليها في مصلحته بلا سيطرة عليه ولا منع من أحد الا اذا كان في ذلك تعد منه علي غيره

والناظر للاسلام من هذه الوجهة يرى انه قد طالما نشط الناس لاستغلال الارض وامتلاكها وبعث الهمم للتبارى في ايجاد الصنائع النافعة يدل علي ذلك سرعة تقلهم لكل آثار مدنية الهنود والرومان واليونان والفرس في صدرهم الاول بسرعة عدت أمرا خارقة للعادة في تاريخ البشر

الحق الطبيعي الرابع أن يكون الناس سواء في الحقوق لا امتياز لأمير علي مأمور ولا لعالم علي جاهل ولا لغني علي فقير لانهم كلهم في الخلقة سواء

وقد قرر الاسلام بأن الناس كلهم سواء في الخلقة والحقوق فقال تعالي « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » وقال تعالي « انما المؤمنون أخوة » وقد قرر الدين ان ليس لعربي علي أعجمي فضل ولا لغني علي فقير حق ولا لعالم علي جاهل •

امتياز بل الكل امام العدل الالهي سواء وانما التفاضل في الدرجات الروحيـة في العالم المقبل الذى يجزى فيه الانسان جزاء وفقاً علي كل عمل عمله في هذا العالم وكل سابقة حظي بها فيـه . وأظهر مظهر لهذا العدل السامي قوله صلي الله عليه وسلم « والله لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »

هذه هي الحقوق الطبيعية الأصلية التى تتنزل منها سائر الاصول الثانوية وقد رأيت انها مطابقة لما ورد عنها في الشرع الاسلامي تمام المطابقة فهل بعدهذا يقال ان الشرع الاسلامي ليس بشرع ثابت أوانه في حاجة الى التحوير والتبديل مع حصوله علي هذه الاصول بأوسع المعاني وأعدل الاساليب

بقي علينا ان ننظر نظرة الي ماقاله فلسفة التشريع من ان امتيـازات الطوائف والحكم الاستبدادى والعبودية وكراهة الاجنبى من الصفات لجميع الشرائع القديمة التى قيل انها وحي الهي فنقول :

قد ثبت مما قررناه لك عن الاسلام في الكلام علي الحق الطبيعي الرابع انه قرر مبدأ المساواة بين الافراد ولم يجعل امتيازاً لطائفة علي اخرى

وأما من جهة الحكم الاستبـدادى فقدقررنا انه أتي بمبدأ الشورى فقال تعالي: (وشاورهم في الامر) وذكر المؤمنـين فوصفهم بقوله (وأمرهم شورى بينهم)

وأما من جهة الاسترقاق فقد حدده الاسلام بالحروب الشرعية ولم يبطله لكونه كان سنة عامة في القوانين الوضعيـة والالهية . ولو أبطله لحاجه الناس بالمقررات الدينية والوضعية والعادات ولخرج بذلك عن كونه ديناً مراعياً للاطوار الانسانية فاقره وعلقه علي اختيار الحاكم وما علقـه علي اختيـار الحاكم الا لأنه سيأتي يوم يعتبر فيه الاسترقاق شنيعافيبطل بلاحرج بدون ان تشعر به الهيئة الاجتماعية الاسلامية وقد قررنا هذا بتفصيل في الجزء العاشر من مجلة الحياة في ردنا علي ماورد في تقرير اللورد كرومر مما يختص بالاسلام

اما من جهـة كراهة الاجنبى فليس له أثر في الاسلام بل قرر الله تعـالي ان الله لم يوزع الامم في الارض الا لتتعارف وتتبادل المنافع والمرافق فقال تعالي « ياأيها الناس اناخلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عنـد الله اتقاكم »

انظر كيف تلطف فذكر نا أولا بأصلنا المشترك زجرا لنا عن ظلمهم وايذائهم ثم ذكر لنا انهم افترقوا قبائل وشعوبا لضرورة المعيشة ويكون في تعرفنا اليهم ارضاء للخالق جل وعز وهو خالق الكل والمتجلي بالرحمة علي الكل

هذا الانطباق المحكم بين مقررات شريعة وجـدت قبل اكثر من الف وثلاثمائةسنة وبين مقررات فلسفة التشريع العصرية يشعر بأن هذه الشريعة لايمكن ان تكون من فكر البشر فان ارسطو ذاته وهو أكبر عقل في الأقدمين وافلاطون وسولون وليكورج وجميع مشترعي الامم لم يستطيعوا أن يأتوابشريعة تطابق العدل الطبيعي والحقوق الطبيعية مع انقطاعهم لتلك الابحاث عمرهم ومزاولتهم لهذا الفن علما وعملا في بلاد كلها فلاسفة ومشترعون فكيف يعقل ان عربيا ربي بيتيما محروما من العلم وفي بلاد ليس فيهـا قضاء ولا حكومة ولا دستور ولا نظام يستطيع أن يكوّن هـذا القانون منطبقا علي أقصي درجات العدل المطلق ومطابقا لفلسـفة التشريع الاصلية

هذا أكبردليل علي ان هذا الرسول الكريم محمدا صلي الله عليه وسلم جاء بهذا الشرع وحيـاً من عنـد الله (ولو كان من عنـد غير الله لوجدوا فيـه اختلافا كثيراً)

﴿ عدم ﴾ المال يعدمه عدَما فقده و(أعدمه) جعله عادما

(العُدْم والعَدَم) الفقدان

﴿ عدَن ﴾ بالمكان يعدُن ويعدِن عدْنا وعدونا أقام به

(جنات عَدْن) أى جنات اقامة لمكان الخلود

(المَعْدِن) منبت الجواهر من ذهب ونحوه

﴿ عـدَن ﴾ مستعمرة انجليزية علي الساحل الجنوبي لبلاد العرب علي شبه جزيرة صغيرة صخرية يظن انهـا كانت بركانا قديما متصلة بالارض بمضيق حرج جعلت فيها انجلترة فرضة حربية ومستودعا للفحم لامداد الاساطيل يسكنها نحو (٥٠٠٠٠) نسمة ترسو عليها البواخر الذاهبة للشرق الأقصي لتتزود منها فحما : وهي مرتبطة تلغرافيـا بجميع أجزاء الكرة الارضية تستعمل فيها السكة الهندية وهي

الروبية . اشترتها انجلترة من حكومة عمان سنة ١٨٣٩ (انظر عمان من كلمة عرب)

عدنان هو أبو قبيلة عربية ابظر (عرب)

عدا الرجل يعدو عَدْواجرى

(عدا عليه عُدوانا) ظلمه

(عدا عن الامر) جاوزه وتركه

(عَدَا) يستثنى بها مع ماو بغير ما مثل خلا . تقول جاء الناس عدا زيدا ، وما عدا زيدا

(عَداه عن الامر) صرفه عنه

(عَدَّى الشيء) أجازه وأنفذه

(عَاداه) خاصمه

(تعدَّاه) جاوزه

(تعدَّى عليه) ظلمه ومثله (اعتدى عليه)

(استعداه) استعانه واستنصره .

(فاعداه) أي فأغاثه

(العَوادى) جمع العاد يَة وهو الشغل يصرف الانسان عن الشيء

(دفعت عنه عادَية فلان) أي ظلمه

(العَدَّاء)الشديدالعدْ و أي الجرى

و (العَدْو) الجرى

(العِدى)المتباعدون الغرباء

(العدَى والعُدَى) الاعداء

(العِدْوَى)مايعدى من الامراض

(العُدْوَى والعُدْوان) الظلم

(العُدْوة) المكان المتباعد

(العُدْوة والعَدْوة) جانب الوادى جمعه عَدًا وعَدَيات

(عَدِيّ) قبيلة شهيرة والنسبة اليها عَدَوِيّ

العَدَوِي هو حسن العدوى العالم الازهرى له شرح على البخارى اسمه (النور السارى على صحيح البخارى) توفي سنة (١٣٠٣) هـ

العَدَوِي علي العدوى هو من علماء الازهر مؤلف حاشية على (المختصر) في فقه الامام مالك .توفي سنة (١١٨٩)هـ

المدوى هو محمد عبادة العدوى من علماء الازهر له حاشية على شرح شذور الذهب في النحو . توفي سنة (١١٩٣) هـ

العدواني هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد الاديب ابو محمد بن أبي الاصبع العدواني المصرى الشاعر المشهور الامام في الادب كان من أئمة الادب المتبحرين، له تصانيف حسنة ممتعة وشعر جيد.منه قوله

تصدق بوصل ان دمعي سائل
وزود فؤادى نظرة فهو راحل
جملتك بالتمييز نصباً لناظرى
فلم لارفعت الهجر والهجر فاعل

ومن شعره قوله :

فديت التي اذودعتني أودعت
من اللطف سمعي ساعة البين جوهرا
فلما التقينا رد دمعي لنحرها
وديعتها فهي اللآلي التي ترى
بكت ورنت نحوى فجرد لحظها
من الجفن سيفاً بالدموع مجوهرا

ومن شعره أيضاً :

من ينم الدنيا بظلم فاني
بطريق الانصاف أثني عليها
وعظتنا بكل شيء لوانا
حين جاءت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحاً
حين أبدت لاهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا
للبلي حين جددت عصريها
كم أرتنا مصارع الاهل والاحـ
باب لو نستفيق بين يديها
ولكم مهجة بزهرتها اغتر
ت فأدمت ندامة كفيها
أتراها أبقت على سبأ من
قبلنا حين بدلت جنتيها
يوم بؤس لهـا ويوم رخاء
فتزود ماشئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا
تسل عما تراه من حالتيها
دار زاد لمن تزود منهـا
وغرور لمن يميل اليهـا
مهبط الوحي والمصلي التي كم
عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قدر بحوا الجنة
ة فيها وأوردوا عينيهـا
رغبت ثم رهبت ليرى كل
لبيب عقباه من حالتيها
فاذا أنصفت تعين أن يثـ
نى عليها البر من ولديها

ومن شعره أيضاً :

انتخب للقريب لفظاً رقيقاً
كنسيم الرياض في الاسحار
فاذا اللفظ رق شف عن المع
نى فأبداه مثل ضوء النهار
مثلما شفت الزجاجة جسما
فاختفى لونها بلون العقار

وقال في قيم حمام :

وقيم كلمت جسمي أنامله
بغير السنة تكليم خرصان
ان أمسك اليد مني كاد يكسرها
أو سرح الشعر من فودى أدماني
فليس يمسك امساكا بمعرفة
ولا يسرح تسريحا باحسان
ومن شعره أيضا :
جفتنى الليالى فاغتديت كانني
افتش دهرى في التراب علي نجم
أراني لاينفك نجمي هابطا
تراه يراه ربنا حسب للرجم
فصرت اذاً قوسا وعقلي راميا
ورأبي الذى احمي الرمايابه سهمي
ومن شعره ايضا :
وساق اذا ماضحك الكأس قابلت
وقائعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسي ضجيعي علي الدجي
فأسبل دون الصبح من ثغره حجبا
وقسمت شمس الطاس بالكاس انجما
وياطول ليل شمسه قسمت شهبا
ومن شعره أيضا :
اذا ما سقاني ريقه وهو باسم
تذكرت مابين العذيب وبارق

ويذكرني من قده ومدامعي
مجر عوالينا ومجرى السوابق
ومن شعره ايضا :
أيا عبلة الارداف لفظك عنتر
ومالي علي غاراته في الخشاصر
نعم أنت ياخنساء خنساء عصرنا
وشاهد قولي ان قلبك لى حجر
ومن شعر أيضا :
رأيت بفيه اذ تبسم أدمعا
فقلت رني لى اذ بكي فمحزنا
أجاد له في النظم شاعر ثغره
ولكنه من مقلتى سرق المعنى
ومن شعره ايضا:
تبسم لما ان بكيت من الهجر
فقلت ترى دمعي فقال أرى ثغرى
فديتك لما ان بكيت تنظمت
بفيك لآلي الدمع تنى عن الدر
فلا تدعي ياشاعر الثغر صنعة
فكاتب دمعي قال ذا النظم من نثرى
توفي العدواني سنة (٦٥٤) بعدان
عاش نيفا وستين سنة
﴿ عذُب ﴾ الشيء يعذُب عذوبة
كان عذبًا
(عذّبه) أوقع به العذاب . والعذاب

كل ماشق علي الانسان ومنعه عن مراده
جمعه اعذبة
(العَذْب) الطيب
﴿ عذره ﴾ يعذره عذرا ومعذرة
رفع عنه اللوم والذنب
(عذره) بالغ في عذره
(عذّر الرجل) لم يثبت له عذر فهو
معذّرا
(عذّر في الامر) قصر فيه
(أعذر الرجل) أبدى عذرا
(أعذر زيد) ثبت له عذر
(تعذّر عن الامر) تأخر
(تعذّر عليه الامر) صعب
(العذار) جانب اللحية الذى
يحاذى الأذن . والعذار الحياء أيضاً
يقال : (هو أبو عُذر هذا الكلام)
أى أول من اقتضبه وأصله العُذْرة وهي
البكارة
(العَذْراء) البكر
(العَذِرة) فضلات الانسان
(العَذِر) العاذر
(المعاذير) جمع المعذار وهي الستور
والحجج
(المعاذر) الحجج مفردها معذرة

﴿ العَذْق ﴾ النخلة بحملها
(العِذْق) عنقود البلح
﴿ عذله ﴾ يعذُله ويعذِله لامه
(العَذْل) الملامة
﴿ عَرُب ﴾ الرجل يعرُب عُروبه
كان عربياً خالصاً ولم يلحن
(أعرب الشيء) ابانه
(تعرّب) اقام بالبادية وصار اعرابياً
(العرب العاربة) هم الخلّص
(الخيل العِراب) الكرائم
(العَرَباء من العرب) هم الخلّص
(العُربون) والعَربون هو مايعطي
من الثمن مقدماً قبل الاتفاق
(العَروب) المرأة المتحببة الي زوجها
(عَرُوبة) يوم الجمعة
(الأعراب) سكان البادية خاصة
واحده أعرابي
(العرب المستعربة والمتعربة)
الدخلاء الذين ليسوا بخلص
﴿ العرب ﴾ الامة العربية من أقدم
الامم وأشهرها لعبت في التاريخ القديم
والحديث أدواراً لاتزال آثارها باقية
للآن ، وقد خلد الله وجودها ولغتها بما
خصها به من اجتبائه خاتم رسله منها

وازاله لتشقوحيه بامنها . واذا كانت الامة العربية من الجنس الابيض أرقي الاجناس البشرية وقد عدها بعض علماء التشريح نموذج التقويم البشرى الكامل (انظر انتولوجيا) فان لغتها أرقى اللغات الحية علي الاطلاق واشملها لمقومات الآداب والعلوم من الالفاظ والتراكيب . ثم ان تاريخ كل امة اسلامية يختلط أصله بتاريخ هذه الامة في صدر الاسلام فلا غرو ان اسهبنا في بسط تاريخها جاهلية واسلاماً وافضنا في بيان فضل لغتها قديماً وحديثاً

(تاريخ العرب في الجاهلية) لا يزال في تاريخ العرب في الجاهلية شيء من الغموض علي كثرة ما تكلم فيه المتكلمون وخاض لججه الخائضون

فلقد طفحت الكتب الادبية بذكر قبائل العرب واخبارها واشعارها ووقائعها ولكن ذلك كله لم يتعد مدى قرن أو قرنين قبل البعثة المحمدية فأين هذا القدر من تاريخها في مدى القرون البعيدة ، والاجيال السابقة في عهد تكونها واشتقاقها من اصولها ؟ ثم أن كل ما كتب في الكتب العربية من تاريخ العرب يراد به الوجهة الادبية لا التاريخية غالباً فأين هو من الحقائق المؤيدة بالاساطير والنقوش التى لا مجال للشك فيها ؟

كتب في تاريخ العرب فطاحل من مؤرخي أوروبا درهى وسديو وجوستاف لوبون وكوستان دوبر سفال وهو أشهرهم جميعاً وكتابه أجمع الكتب لتاريخ العرب ولكنه مستمد من الكتب العربية وليس له فيها الا حسن التبويب ، وكمال الترتيب وصحة الاستنتاج . وهذا لا يكفي لتحقيق تاريخ العرب فصارت الآمال معقودة الآن علي ما يبذله المنقبون في النقوش الاثرية العربية مما يوجد في اليمن وتدمر وغيرها عسي ان يتكلل مسعاهم بالنجاح فيقعوا علي أصدق ما يجب ان يعرف عن أصل تاريخ العرب وحقيقة أدواره المتعاقبة

يوجد للتاريخ العربي مصادر غير عربية اقدمها التوراة فان في سفر التكوين شيء من أخبار العرب وفي أسفار أخرى ذكر بعض قبائلهم وملوكهم

وقد ألم المؤرخ اليوناني هيرودوتس المتوفي في أوائل القرن الخامس من الميلاد بشيء من ذكر العرب . وألم غيره من المؤرخين بذكر أشياء عن العرب ليس فيها كبيرة فائدة . وانما الفضل في الافاضة

في تاريخ العرب للمؤرخين استرابون وبلينيوس وبريبلوس وبطليموس فانهم ألموا بجميع ماقيل عن العرب وفصلوه تفصيلا

(الآثار العربية والتاريخ) للآثار فائدة كبيرة جداً في كشف تواريخ الامم فقد كان تاريخ المصريين لايزال غامضاً لولا مادونوه من أخبارهم علي آثارهم ومعابدهم

كذلك للعرب آثار باليمن والحجاز وغيرها عليها نقوش حميرية بالقلم المسند أو نقوش آراميه بالقلم النبطي وغيره . فلما اهتدى بحاثو أوروبا الى اماكنها قصدوها لحل رموزها وكشف النقاب عن تاريخ العرب

أول من تصدى لهذه المباحث العالم الالماني ميخايلس المتوفي سنة ١٨٩١ ثم عثر الضابط الانجليزى ولستد سنة ١٨٣٨ علي نقوش حميرية باليمن اهتم بها العلماء غاية الاهتمام ولم يستطيعوا حل رموزها الا بعد سنين

ووجد الضابط الانجليزى كروتندن في صنعاء نقوشا ظن انها من خرائب مدينة مأرب

أول من تصدى من الفرنسيين للبحث عن هذه النقوش كان المسيو (ارنو) فانه اخترق اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد ومعه ٥٦ نقشا نقلها من صنعاء والخريبة وحرم بلقيس

ثم جاء المستعرب (ارسباندر) لحل رموز الآثار التى وجدها ارنو وذلك سنة ١٨٤٥

ثم أن وزارة المعارف في باريز أرسلت المستعرب يوسف هاليفي سنة ١٨٦٩ الى اليمن فسار حتى بلغ مأرب ورجع ومعه ٦٨٠ نقشاً

ثم جاء ادوورد غلازر الالماني فساح في اليمن مراراً ونقل منها الف نقش بينها نقوش غاية في القيمة التاريخية

ثم حاول الوصول الي مأرب رجال آخرون فهلكوا في الطريق

وعثر الباحثون أيضاً في شمال بلاد العرب علي آثار الانباط فوجدوا منها آثاراً كثيرة في مدينة بطرا ومدينة الحجر . واكتشفوا في حوران والعلا نقوشا بالخط المسند الحميرى فكشفت جميع هذه النقوش النقاب عن جزء من التاريخ العربي القديم ومابقي منه أكثر

ثم أن البحاثين عثروا في آثار بابل وآشور ومصر وفنيقية علي شيء من تاريخ العرب . فوجدوا في بابل نقوشاً بالخط المسماري وقفوا منها علي تاريخ العمالقة من العرب البائدة . واستدلوا من النقوش التي وجدوها في آشور وبابل علي قيام دولة حمورابي العربية استولت علي بابل عدة قرون قبل الميلاد بأكثر من الفي سنة

(جغرافية بلاد العرب) جزيرة العرب يحدها من الشمال الشرقي خليج فارس من شواطيء عمان الي مصب نهر الفرات والدجلة الي أعلي سورية ومن الشمال الغربي نهر الفرات وفلسطين وخليج العقبة ومن الجنوب الشرقي طول البحر الاحمر الي باب المندب ومن الجنوب الغربي بحر العرب علي شواطيء اليمن وحضرموت والشحرالى شواطيء عمان

وتنقسم بلاد العرب الي خمسة اقسام كبيرة وهي الحجاز وتهامة ونجد والعروض واليمن وكل منها ينقسم الى اقسام

أما الحجاز فهو اقليم مستطيل يحده غرباً البحر الاحمر وشرقاً البادية الكبرى وجنوباً بلاد عسير وشمالا بادية الشام وطوله من الشمال الي الجنوب يبلغ ١٥٠٠ كيلو متر وعرضه من الغرب الي الشرق يبلغ ثلاثمائة كيلو متر . ويقطعه من الشمال الي الجنوب جبال السراة ويبلغ ارتفاع بعضها ٨٠٠٠ قدماً وفيها مياه كثيرة وغابات وقرى آهلة بالناس . ومنحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل الي البحر يسمونه تهامة وأرضه رملية وبعضها قابل للزراعة

والحجاز كان ولاية عثمانية منذ سنة ٩٢٢ هجرية وكان قبل ذلك التاريخ تابعا لحكومة مكة

أما اليمن فهي واقعة في الجنوب الغربي من جزيرة العرب وطولها من الشمال الي الجنوب نحو ٧٥٥ كيلو متراً ومن الغرب الي الشرق نحو ٤٠٠ كيلو متر ويقدر سكانها بنحو أربعة ملايين كلهم مسلمون علي مذهب الزيدية . فيهم قليل من اليهود . أما أهل العسير فهم وهابيون

تنقسم أرض اليمن الي قسمين قسم السهول وتسمي تهامة وهي الي البحر ، وقسم الجبال وهي سلسلة من جبال السروات متصل بعضها ببعض من الشمال الي الجنوب اعلاها جبل كوكبان يبلغ

ارتفاعه ٣٠٠٠ متر

جميع هذه الجبال آهلة بالسكان وفيها عيون كثيرة تتكون منها أنهار تسير في وديان خصبة منها ما يسير الي الغرب ويصب في البحر الاحمر وأكبرها وادى مشرف ووادى كانون جنوب القنفذة ووادى عاشور عند ثغر حلي ووادى السهام قرب الحديدة ، ووادى هندان الذى يمر بمدينة تعز والوادى الكبير قرب مخا

أما الانهار التى تصب في المحيط الهندى فهي وادى الميدان ويصب قرب ميناء عدن ووادى دانا ووادى الشارد اللذان يجريان قرب صنعاء وينحدران الي الصحراء أحدهما ماراً بخرائب مأرب والثاني بخرائب معين

بعض هذه الانهار تغيض مياهه بالصحراء قبل أن تصل الي البحر الا زمن شدة الامطار التى تكاد لاتنقطع في تلك البلاد مدة الشتاء والربيعين

من حاصلات اليمن الدخن والقمح والشعير والعدس والسمسم والذرة والفول والقطن والنيلة والتبغ والنباتات الخضراء والنا كهة بأنواعها

أكبر ثغور اليمن الحديدة وفيها أربعون الف نسمة من أجناس مختلفة كالأحباش والسوماليين والهنود والجاويين والفرس والسودانيين

من أحسن فرضات اليمن عدن يعتبر موقعها أمنع موقع في تلك الجهات لانها في وسط جزيرة صخرية تتصل بالقارة بلسان من الرمال . حصنها الانجليز تحصيناً منيعاً . وهي علي الدوام غاصة بالسفن والاساطيل الانجليزية . و يقدرون عدد السفن التى تسير بينها وبين البصرة وبومبي بنحو ١٨٠٠ سفينة في السنة . وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٠٨ سبعة ملايين وسبعمائة الف جنيه . يبلغ عدد أهلها نحو خمسين الف نسمة وكانت قبل احتلال الانجليز لها لايزيد عدد أهلها عن خمسة آلاف نسمة

وقد أبرمت بين تركيا و بين انجلترة معاهدة سنة ١٩٠٤ جعلت فيها أملاك الانجليز ببلاد العرب ممتدة من بوغاز باب المندب الى نهر بانا شرقا وهو ما لا يقل عن ٢٠٠ كيلو متر طولا وخمسين كيلو متراً عرضاً

ومما يدخل تحت سلطة الانجليز في جنوب بلاد العرب واحة الشيخ عثمان

المشهورة بسلطنة لحج ومركز سلطانها الحوطة ثم جزيرة بريم الواقعة في مدخل بوغاز باب المندب ومساحتها ٨٠ ميلا مربعا

للانجليز عدا هذا شبه سيادة علي الحكومات الصغيرة التى في ساحل حضرموت فهم يعطون ملوكها مرتبات شهرية حتى لايتنازلوا عن شيء من ممالكهم لدول أخرى. أهمها سلطنة المكلة وسلطنة مهرة والشيحر وتريم

أما عمان فهي واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب . كل ساحلها عامر بالبلاد والسكان وطوله من ثغر مربط الي شبه جزيرة القطر نحو ٢٢٠٠ كيلومتر وعرضه في داخل البلاد الى الغرب نحو ٣٠٠ كيلو متر . عاصمتها مسقط

عمان تنقسم الى البطنة ولاتمتد اكثر من ٤٠ كيلو متراً أغلبها مغطي بالنخيل المشهور بجودة ثمره والى قسم الجبال اكبرها الجبل الأخضر ويرتفع الى نحو ٣٠٠٠ متراً . و يوجد بين هذه الجبال وديان كثيرة خصبة تسقي بواسطة مجارى ماء لها خزانات وسدود

من حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنيلة والنباتات الخضراء وكثير من أنواع الفاكهة ولا سيما الجوز الهندى والمانجو . ومن محصولاتها خشب السند والصندل والصمغ العربي والصبر والتنباك وفي جبالها كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلي . وعلي سواحلها مغاصات كثيرة للؤلؤ

أهل سواحل عمان يشتغلون بصيد السمك فيصدرون منه مقادير عظيمة الي بلاد الفرس وغيرها . ومايبقي منه يعطونه غذاء للبقر ويسمدون به أراضيهم

عمان مشهورة بجودة خيلها و بقرها وغنمها

يبلغ أهل عمان مليوناً وستمائة الف نسمة مساحتها تبلغ نحو (٨٠) الف ميل مربع عاصمتها مسقط وعدد سكانها ٢٠ الف نسمة

ينقسم سكانها الي قسمين قسم البدو وقسم المتحضرين وهم خليط من الهنود والا جم والبلوخستان والعرب والزنوج

أهل عمان علي مذهب الاباضية المنسوب الي عبد الله بن اباض المرى الذى استولي علي افريقية الشمالية سنة (١٥٢) ه وادعي فيها الخلافة

كانت عمان تابعة لحكم التبابعة باليمن ثم اسلمت في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم

وفي سنة (١٥٠٨) استولي البرتغاليون علي سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لغاراتهم البحرية

وفي سنة (١٦٥٨) طرد أهل عمان البرتغاليين من بلادهم · ثم دهمهم الفرس فاستمان العمانيون بملك الشحر أحمد بن سعيد فأجلي الفرس عن بلادهم فبايعوه ملكا علي بلادهم سنة ١١٦٧ هجرية وهي في يد بنيه الى الآن

وقد عقدت معهم انجلترة بضع معاهدات من سنة (١٧٩٨) ضمنت بها لسلطان عمان مرتبا شهريا وتكلفت بحفظ استقلاله وصيانة الامن في بلاده في مقابل عدم تنازله عن شيء من أملاكه لدولة اخرى

ومن ثم أخذت السلطة الانجليزية تمتد الي تلك البلاد فاستولت سنة (١٨٥٤) علي جزائر كوريا موريا وعلي جزائر خشم الواقعة في مضيق هرمز في سنة ١٨٧٦ وفي هذه السنة أعلنت حمايتها علي جزيرة سوقطرة

أما نجد فهو أوسع الاقسام وهو واقع في وسط جزيرة العرب وفي منتصف المسافة بين المدينة وبغداد . وهو ينقسم الي قسمين الشمالي وهو الحائل وما والاه ويسمونه نجد الحجاز ، والثاني العارض وما يليه ويسمونه نجد اليمن

برتفع سهل نجد عن البحر بنحو ١٢٠٠ متر ولذلك سمي نجداً

فيه جبال مشهورة منها جبل سلمي وجبل طويق وجبل أجا · ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ومن الشرق لسان من الدهناء

(من هم العرب) العرب من الساميين والساميون هم الشعوب الذين يتكلمون بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية . ومنها الشعوب التى كانت تتكلم باللغة الفنيقية والآشوريةوالآرامية

ومعنى ساميين انهم منسوبون الى سام بن نوح عليه السلام

والناقد البصير يحكم لاول وهلة ان هذه اللغات مشتقه كلها من أصل واحد لتشابهها لفظاً وتركيباً

وقد اصطلح مؤرخو العرب ان يقسموا تاريخهم قبل الاسلام الى قسمين: العرب البائدة والعرب الباقية فالبائدة عندهم هي التي بادت قبل الاسلام، والباقية قسمان العرب القحطانية باليمن، والعرب العدنانية بالحجاز وما يليها

(العرب البائدة) هي قبائل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس واميم وجرهم وحضرموت ومن يتصل بهم . ويقال لهم العرب العاربة

وقد كان لهذه القبائل ملوك ودول وقد امتد ملكهم الي الشام ومصر

وروى المؤرخون ان هذه القبائل كانت تسكن اولا في بابل من آسيا الصغرى ثم هاجروا الي جزيرة العرب . وقالوا ان بنى عاد والعمالقة ملكوا العراق

ثم ان مؤرخي العرب يقسمون القبائل البائدة الي قسمين العماليق وهم من نسل لاوذ بن سام وسائر القبائل الاخرى من ارم بن سام

فالعمالقة في نظر مؤرخي العرب من نسل لاوذ بن سام والعرب البائدة من نسل ارم اى آراميين

والعمالقة هم أهل شمال الحجاز مما يلي جزيرة سيناء فتحوا مصر مدة الفراعنة وأسسوا فيها أسرة ملكية

قلنا ان العرب ملكوا العراق وأسسوا بها دولة ونقول ان تلك الدولة سماها المؤرخون المحدثون دولة حمورابي وهو اسم اكبر ملوكها ومؤسس أقدم شريعة في العالم . وزعموا انه كان من أهل القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . أغار على الدولة البابلية الاولي فاقتبس قومه تقاليد البابليين ومدنيتهم واستخدموا لغتهم ثم فنى المقهورون في القاهرين وصارت الدولة البابلية عربية بحتة

أما دولة العمالقة في مصر فتبتدىء من سنة ٢٢١٣ الى ١٧٠٣ قبل الميلاد جاؤها من طريق برزخ السويس أو البحر الاحمر فأقاموا بها وكثر عددهم فيها ثم لما سنحت لهم الفرصة وثبوا علي ملوكها وملكوا البلاد دونهم . وكان أول ملوكهم سلاطيس وحكم بعده بنوه الي سنة ١٧٠٣ فتمكن المصريون من انتزاع الملك من أيديهم وطردهم فتفرقوا في جزيرة العرب قبائل وأفخاذاً وأنشأوا دولا في اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب

اما عاد فهي من القبائل الآرامية

ولذلك سميت أيضاً عاد ارم العرب يضربون المثل بهم في القدم ، وكل ما ذكر عنهم مبالغ فيه فقد ذكر قدماء المؤرخين ان طول الرجل منهم كان ٧٠ ذراعاً الي مائة ذراع وان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وعينه تفرخ بها السباع ولم يذكروا من ملوكها الا بضعة ملوك أولهم عاد وقالوا عنه انه عاش ١٢٠٠ سنة وانه تزوج بالف امرأة وولد له أربعة آلاف ولد ذكر . وكل هذا من المبالغات التي لا تثبت علي النقد العلمي

أما ثمود فكان مقامها في الحجر المعروفة بمدائن صالح في وادى القرى بطريق الحاج الشامي وكان اليهود يسكنونها قبل الاسلام

أما طسم وجديس فقد قل عنهما مؤرخو العرب انهما من ارم مثل سائر العرب البائدة وذكروا انهما سكنتا اليمامة في شرق نجد وقاعدتها القرية . وكانت طسم صاحبة السيادة الى أن تولاها رجل ظلوم فانفت جديس من الخضوع له فقتلوه هو وخاصة قومه ، فهرب الي رجل تبع اليمن حسان بن اسعد فشكا اليه ما أتته طسم واستنجده فأرسل الي طسم وجديس جيشاً فأفناهم معاً

من أشهر مدن طسم وجديس القرية في اليمامة ويقال لها خضراء حجر وفيها آثار وحصون . وفي اليمامة قرية اسمها جعدة فيها قصر يسمونه العادى اشارة الي قدمه يقولون انه من بناء طسم

(دولة الانباط) ذكر العرب دولة الانباط في كتبهم وأرادوا بهم أهل العراق وقد تحقق المنقبون في الآثار والمتتبعون لتواريخ اليونان والرومان وما ذكر في التوراة ان دولة الانباط كانت عربية قامت بمشارف الشام في الجنوب الشرقي من فلسطين ممتدة الي رأس خليج العقبة ويحدها من الجنوب بادية الحجاز ومن الشمال فلسطين ومن الشرق بادية الشام وكان اليونان يسمون هذه المملكة ببلاد العرب الحجرية وكانت عاصمتها بطرا (الحجر)

كان أقدم سكان هذه الجهة الحوريين وهم سكان الكهوف القدماء وكانوا قبائل علي كل منها رئيس . غزاهم داوود ملك اليهود وكانوا يسمونهم الادوميين وبقوا تحت سيادة اليهود الى أن ضعف امرهم فاستقلوا وكبر سلطانهم في عهد بختنصر اذ ساعدوه

في حروبه اليهود . ثم دهمهم الانباط من الشرق فلكوا مملكة ادوم قبل القرن الرابع للميلاد وبقيت الي اوائل القرن الثاني بعده حتى دخلت في حوزة الرومان سنة ١٠٦ وهم عرب علي الارجح

أما مدينة بطرا عاصمتهم فكانت قائمة في مستو من الارض تحيط به الصخور عند ملتقى طرق القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن وكان العرب يسمونها الرقيم . قال المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم)

« الرقيم قرية علي فرسخ من عمان علي تخوم البادية فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون ان من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفي المغارة ثلاثة قبور تسلسل لنا من أخبارها ان النبي صلي الله عليه وسلم قال : بينما نفر ثلاثة يتماشون اذ أخذهم المطر فالوا الي غار في الجبل فانحطت الى فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم الى اخر الحديث »

وقال الاصطخرى : « الرقيم مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة منحوتة بيوتها وجدرانها في صخر كأنها حجر واحد »

كان للنبطيين ملوك ووزراء ونظام سياسي واقتصادى وكان الاسم الغالب علي ملوكهم الحارث او عبادة او مالك . فكان الحارث الأول عن سنة ١٦٩ قبل الميلاد اول ملوكهم

اختلف المؤرخون في أصل الانباط فقال قوم انهم من نسل نبايوط بن اسماعيل متابعين في ذلك ماقالته التوراة . وذهب آخرون انهم من أهل العراق لأن النبط يطلق علي سكان مابين النهرين

وذهب آخرون انهم من جبل شمر في اواسط بلاد العرب نزحوا الي العراق حتى داهمهم فيها الآشوريون فأخرجوهم من واديهم الذى كانوا به

وقال آخرون ان الانباط جاؤا من خليج العجم

ووجه الخلاف بين المؤرخين في هل هم عرب او آراميون

فالقائلون بأنهم عرب احتجوا بأن اسماءهم عربية وبان اليونانيين قالوا عنهم انهم عرب حيث ذكروهم

والقائلون بآراميتهم يحتجون بأن لغتهم آرامية وان العرب يطلقون كلمة نبط علي أهل العراق . ولكن الذى ثبت انهم كانوا يكتبون باللغة الآرامية ويتكلمون

بالعربية

أما مدينة تدمر فهي الواقعة في طرف البادية التى تفصل الشام عن العراق وتبعد نحو ١٥٠ ميلا عن دمشق نحو الشمال الشرقي تحيط بها جبال

لم يذكر العرب مدينة تدمر الا بعد الاسلام فأحاطوها بالغلو الشديد فقالوا انها من بناء سليمان مع انها لم تكن في حوزته

حاول الرومانيون فتحها فأخفقوا ثم نجحوا في ذلك ولكن كانت سلطتهم اسمية

اشهر ملوكها اذينة اتفق سنة ٢٥٨ مع فاليريان الروماني لمحاربة سابور ملك الفرس . فلما غلب سابور أرسل اليه اذينة هدايا وأراد أن يتقرب اليه فرفض سابور هداياه فغضب اذينة ورجع للتقرب من الرومان وطلب اليهم نجدة لمقاتلة ملك الفرس فسر الرومان بطلبه وأرسلوا اليه جنوداً فهجم علي الفرس وانتقم للرومان واسترجع البلاد التى كان سابور قد فتحها . فأصبح لاذينة سورية وما يليها وتسمى ملك الملوك

ومن اشهر ملوك تدمر (زينوبيا) وهي امرأة اذينة وكانت وصية علي ابنها القاصر فملكت مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الي انقرة فقاتلها القيصر الروماني اورليان وهزمها

كانت زينوبيا من أعجب النساء شجاعة ودهاء وكانت تركب الخيل وتجالس قوادها

وقد رجح بعضهم ان زينوبيا هي التى يسميها العرب الزباء ملكة الجزيرة بعد أبيها عمرو بن الظرب بن حسان العمليقي ويذكرون انها احتالت علي جذيمة الابرش ملك الحيرة الذى قتل أبيها حتى قتلته

(من غزا بلاد العرب) أقدم الامم التى غزت بلاد العرب المصريون في عهد احمس منقذ مصر من حكم العمالقة فانه بعد أن أخرجهم من مصر طاردهم الى اواسط جزيرة سيناء نحو سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد

فلما تولي تحوتمس الثالث في القرن السادس عشر قبل الميلاد قطع برزخ السويس واكتسح أعالي بلاد العرب وسورية وفلسطين وفنيقية وما بين النهرين

ولما تولى الفرعون رعمسيس الثالث من الاسرة العشرين المصرية نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد أرسل وفداً للبحث عن المعادن الكريمة في شبه جزيرة سينا

واقتدى به رمسيس الرابع سنة ١١٦٦ قبل الميلاد فافتتح طريقا قريبا الي بلاد العرب

وقد غزا بلاد العرب من الآشوريين الملك تغلات فلاسر في القرن التاسع قبل الميلاد فقاتل قبيلة علي حدود مصر وولي عليها رجلا من جنده

وغزا ساراجون الآشورى بلاد العرب سنة ٧١٥ قبل الميلاد واوغل فيها حتى وصل الي اقصي البلاد العامرة

وغزاها من ملوك الآشوريين ايضا سنحاريب في القرن السابع قبل الميلاد فبلغ في فتوحاته غرب بلاد العرب وشمالا الى حوالي جزيرة سيناء وهي من اقدم بلاد العرب عمرانا

ومنهم اسور اخدين في القرن السابع ايضا فانه اوغل في بلاد العرب حتى وصل الي البحرين واليمامة

ومنهم اسور بانيبال المتوفي سنة (٦٠٥) قبل الميلاد فقد ورد انه هزم العرب قرب دمشق وكانوا متحدين مع اعداء الآشوريين في تلك الجهات

ومنهم نبوخودونزوور وهو الذى يسميه العرب بختنصر قال ابن الاثير في تاريخه « وسار بختنصر الي معد فلقي جموع العرب فقاتلهم وهزمهم واكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب وتلاقي هو وبختنصر في ذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الي حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين علي نفسه واصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو اول كمين عمل فأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهي عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان وافترقا »

اما الفرس فانهم بعد ان انتقلت اليهم مملكة آشور كان جيرانهم من العرب يؤدون اليهم الجزية ولما حمل قمبيز ملك الفرس علي مصر أعانه العرب فكانوا يمدون له الماء

ثم ان العرب رفعوا نير الفرس عن عواتقهم واستضعفوا سابور ملك الفرس لصغر سنه فدخلوا الي بلاده وشنوا الغارة علي الناس واكثروا من الافساد . فلما كبر سابور حارب اولئك العرب واكثر فيهم من القتل وقطع الخليج الفارسي الي البحرين واليمامة والقطيف واسرف في قتل من صادفه ثم عطف علي ديار بكر وربيعة بالجزيرة واوقع بأهلها

أما اليونانيون فطمعوا في فتح بلاد العرب ولم يفلحوا . فلما تغلب الاسكندر الاكبر علي العالم هم بفتح بلاد العرب فمات قبل بلوغ أربه

ترى مما تقدم ان للعرب مع الامم الفاتحة تاريخا مملوءا بالحوادث لم يذكره العرب في تاريخهم ولولا البحاثون في آثارهم لما وقفنا علي شيء منه

(دول اليمن) اليمن هو الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب وكان ينقسم الي ٨٤ مخلافاً والمخلاف تحته مدن ومحافد وقرى

أما تاريخ اليمن فمن أشد التواريخ سقما واضطرابا

أول من ملك اليمن يعرب بن قحطان فانه قهر قوم عاد باليمن والعمالقة بالحجاز وولي اخوته علي ما كان بايديهم فولي أخاه جرهما علي الحجاز ، وعاد بن قحطان علي الشحر وحضرموت بن قحطان علي جبال الشحر ، وعمان بن قحطان علي عمان

ثم تولى بعده ابنه يشجب بن يعرب ثم ابنه عبد شمس وهو سبأ الذى بنى سد مأرب المشهور

وقد أعقب سبأ هذا عدة اولاد أشهرهم حمير وكهلان . ولما مات سبأ خلفه ابنه حمير وهو مؤسس الدولة الحميرية وهي طبقتان الملوك التبابعة وملوك حمير . للمؤرخين اختلافات كبيرة في عددهم وعصورهم وتتابعهم ولكنهم اتفقوا بأن آخر ملوك حمير واول التبابعة هو الحارث الرائش

أما التبابعة فأولهم الحارث الرائش المذكور وآخرهم ذو جدن حكم بعد ذى نواس الذى غلبه الاحباش وأخذوا اليمن منه وقد بلغ عدد التبابعة ٣٦ تبعاً حكموا نحو ١٧٠٠ سنة وهي مدة طويلة جدا فانه يخص كلا منهم أكثر من ٦٥ سنة ولم يعهد في تاريخ دولة من الدول مثل هذه الحال

ومما هو جدير بلفت النظر اليه ان المؤرخين من العرب جعلوا مدة حكم اول التبابعة الحارث الرائش ١٢٥ سنة ومدة ابرهة ذى المنار ١٨٣ سنة ومدة الأقرن ابن ابي مالك الشهابي ١٦٣ وهي مدد يظهر لأول وهلة انها اطول مما جرت به العادة

ثم فتح الاحباش اليمن في آخر عهد التبابعة وكان عليها التبع ذو نواس

فهرب وهلك في هروبه فخلفه ذو جدن فقهره الاحباش أيضاً واقاموا باليمن وقائدهم ابرهة بن الاشرم فاراد هدم الكعبة فقصدها في عام الفيل فهلك جيشه ثم خلفه يكسوم ابنه فاساء السيرة فذهب سيف بن ذي يزن بن أحد ملوك التبابعة الي كسرى مستنجداً اياه فأنجده بجيش فأخرج الاحباش وتولي سيف اليمن تحت سيادة العجم فقتله بطانته ولم يملك بعده أحد بل استقل كل أهل ناحية تحت رئيس منهم

ولقد كانت اليمن في اقدم ازمانها تقسم الي مخافد وكل مخفد الي قصور ، والقصر حصن او قلعة يحيط به سور يقيم فيه امير او وجيه له أعوان و يعرف صاحب المخفد بوضع لفظ (ذو) امام اسمه فيقال ذو غمدان . وذو معين ، ومعناه صاحب غمدان وصاحب معين وتعرف هذه الطبقة من الحكام بالاذواء او الذوين . وقد كان لكل مخفد من هذه المخافد حكومة قائمة بذاتها . وربما اجتمعت عدة مخافد تحت حكم امير واحد يسمونه (قيل) وكان الاقيال كثيراً ما يتقاتلون لاختلاف يشجر بينهم

وقد كان يكبر شأن قيل من الاقيال فيدخل جميع الاقيال تحت سلطته فيؤسس دولة ويرث الملك اعقابه مدة طويلة . وقد دلت الآثار التاريخية علي قيام ثلاث دول في اليمن علي هذا النحو وهي الدولة المعينية والدولة السبأيه والدولة الحميرية ولا بد لنا من كلمة علي كل منها

(الدولة المعينية) لم يتنبه علماء التاريخ الى هذه الدولة الا حديثا ولم يكن لها ذكر في تواريخ العرب انفسهم . وما نبههم اليها الا ورود ذكرها في كلام المؤرخ اليوناني استرابون وقد ذكرهم غيره من المؤرخين القدماء كبلينيوس وذيونيسيوس و بطليموس فكان العلماء يظنون ان المعينين هم المنائيون نسبة الي منى بقرب مكة ولكن المستشرق هاليفي لما ارتاد بلاد الجوف في شرق صنعاء اكتشف انقاض معين وقرأ اسمها عليها مكتوباً بالقلم المسند ووجد بجانبها براقش ونقل معه ثلاثمائة وثلاثة نقوش منها ٧٩ وجدت بمعين و ١٥٤ وجدت ببراقش و٧٠ وجدت بالسوداء فقرأ المستشرق المذكور اسماء الكثيرين من ملوك الدولة المعينية ووقف علي كثير من

نظامها . وقد بلغ عدد من عثر علي اسمائهم من ملوك معين ٢٦ يشترك كل عدد منهم في اسم و يتميزون بالالقاب فمنهم (اب يدع) يثيع اي المنتشر و (علي يدع) ريام اي السامي

وقد ثبت ان سلطان هذه الدولة امتد الي شواطيء البحر الابيض المتوسط وشواطيء خليج العجم وبحر العرب اي انها استولت علي جميع شبه جزيرة العرب وكانت دولة تجارة وسلام لا فتح ولا حرب

والظاهر ان اصل هذه الدولة قبيلة من عرب العراق الذين اسسوا دولة حمورابي في بابل فلما بادت دولتهم هنالك نزحوا الي اليمن وأسسوا فيها الدولة المعينية

(الدولة السبأية) دولة سبأ قحطانية و يسمون بالعرب المتعربة ولكن المؤرخين من العرب اغفلوا ذكر اصل هذه الدولة والذي عرف الآن ان هذه الدولة تأسست في القرن الثامن قبل الميلاد بعد الدولة المعينية وقد بلغ عدد من عرفت أسماؤهم من ملوك هذه الدولة اكثر من ثلاثين ملكا استدلوا عليها من النقوش الاثرية وقد كانت دولة سلام وتجارة وقد دفعت الجزية للآشوريين و يظهر من النقوش ان هذه الدولة مرت علي اربعة ادوار تتميز بألقاب ملوكها فكان ملكهم في الدور الاول يلقب بلقب (مكرب سبأ) وكان في الدور الثاني يلقب (بملك سبأ) وفي الدور الثالث (بمكرب سبأ وريدان) وفي الدور الرابع (بمكرب سبأ وريدان وحضرموت وغيرها)

يرجح ان هذه الدولة وجدت سنة ٨٥٠ وزالت سنة ١١٥ قبل الميلاد

من ملوكها يثعمر وزمر علي و يدع ايل بن سمهعلي ينوف وذرب و كرب ايل و بريم ايمن

(دولة حمير) الحميريون فرع من السبأيين وحمير عند العرب هو ابن سبأ و يظهر ان الحميريين كانوا يقيمون في ريدان قبل توليتهم بمدة قرون فلما سنحت لهم الفرصة أخضعوا اخوانهم السبأيين ثم اشركوهم معهم فصار ملكهم يدعي (ملك سبأ وذو ريدان)

تمتاز دولة حمير عن دولة سبأ بأنها كانت دولة فاتحة فقد حاربت العجم والاحباش وغيرهما

كان آخر ملوك حمير ذا نواس سنة ٥٢٥ ميلادية فكان مدة بقاء الدولة

السابقة ٦٤٠ سنة

وقد اختلف المؤرخون والنقابون عن الآثار في من أول ملوكها ولا يزال هذا الامر غامضا الي اليوم وغاية ماعرف من هذا الشأن ان أولهم كان اسمه علهان نهفان تحكم من سنة ١١٥ الي ٨٠ قبل الميلاد ثم خلفه ابنه شعر وتار

قال العرب ان اشهر ملوك حمير شمر يرعش وهو الذى تولي من سنة ٢٧٥ الي ٣٠٠ بعد الميلاد . قالوا انه وطيء ارض العراق وفارس وخراسان وأخرب مدينة الصغد وقيل انه ملك بلاد الروم

قال مؤرخو العرب ومن كبار ملوك حمير سعد ابو كرب قالوا انه غزا اذربيجان وهزم الترك وقتل وسبي منهم ثم رجع الي اليمن فهابته الملوك وهادنته أمراء الهند ثم غزا الترك والروم والفرس مرة اخرى وجاز الي الصين وغنم منها مغانم شتى . وضرب ابنه يعفر الجزية علي القسطنطينية ثم سار الى رومية وحاصرها ولكن وقع الطاعون في معسكره جعلهم عرضة لهجوم الرومانيين فلم يفلت منه أحد

ولكن هذه الاقوال بعيدة عن العقل فان انتقال جيش عربي من اليمن الى الصين والقسطنطينية ثم رومية علي صعوبة وسائل النقل في تلك العصور مما يجعل هذه الغارات مستحيلة

(فتح الاحباش لليمن) العلاقة بين اليمن والحبشة كانت موجودة من القدم لقرب البلادين وقد طمع بعض ملوك الحبشة في الاستيلاء علي اليمن فروى ان احدهم حاول امتلاكها في أوائل القرن الثاني للميلاد وان واحداً آخر ملك بعض مدنها في اواخر القرن الثالث فطرده الحميريون ثم عاد الاحباش في منتصف القرن الرابع فاكتسحوا اليمن كلها فحدثت بينهم و بين العرب وقائع كثيرة ولا سيما بين ملك الحبشة العلي اسكندى وبين الهدهاد ملك حمير ثم بين العلي عميدة و بين الهدهاد وبلقيس ثم تم للاحباش فتح اليمن بمساعدة الرومان ومكثوا بها الي سنة ٣٧٤ ميلادية ثم استردها الحميريون الي سنة ٥٢٥ حيث اعاد الاحباش عليها الكرة وملكوها ثانية فحدث في هذه المدة ماحدث من ابرهة ابن الأشرم الذى تصدى لهدم الكعبة ثم مل الحميريون سلطة الاحباش فذهب احد امرائهم واسمه سيف بن ذى

يزن الي الفرس واستنجد بهم فانجدوه بجيش قهر به الاحباش فوقعت اليمن تحت سيادة الفرس الي أن فتحها المسلمون في عصر النبي صلي الله عليه وسلم

(مدنية العرب في اليمن) تبين القارىء مما تقدم ان أهل اليمن لم يقلوا عن أهل مصر وفنيقية مدنية في العصور القديمة اذ كان منهم الملوك الفاتحون والتجار المتنقلون وكان لديهم مدن عامرة وآثار جميلة ويظهر انهم اقتبسوا ذلك من البابليين أولا علي عهد دولة حمورابي التى أغارت عليهم قبل نحو أربعة آلاف عام وقد عثر البحاثون علي آثار قصورهم واطلال معابدهم وقطع من سكتهم (أى نقودهم)

وقد عرف أيضاً انه كانت لهم تجارة واسعة في انواع البخور والطيوب والصموغ وروى انهم كانوا يفلحون الارض و يستثمرونها وكانوا يستخرجون المعادن من بطن الارض كالذهب والفضة والاحجار الكريمة . وكانت لهم قصور شاهقة كقصر غمدان وقصر ناعط وقصر ريدة وقصر صرواح . هذا غير القلاع والسدود والجسور

قال الهمداني و ياقوت ان الذى بنى قصر غمدان الملك اليشرح يحصب فيكون قد بنى في القرن الاول للميلاد و بقي الي عهد عثمان بن عفان ويكون قد قاوم أفاعيل الطبيعة نحواً من ستة قرون . وقد شاهد الهمداني اطلاله فقال انه كان مؤلفاً من عشرين طبقة بين كل سقفين عشرة أذرع . وقال ان بانيه لما بلغ به غرفته العليا جعل سقفها رخامة واحدة شفافة وكان يعرف الموجود بها ما يطير فوقه فيميز الغراب من الحدأة . وكانت حروفه أربعة تماثيل من أسود نحاسية مجوفة رجلا الأسد في الدار ورأسه وصدره خارجان من القصر وما بين فيه الي مؤخره حركات مدبره فاذا هبت الريح فدخلت أجواف الاسود سمع لها زئير كزئير الاسود وكان يصبح فيها بالقناديل فترى من رأس عجيب وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك اثنى عشر ذراعاً وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور الشمال والجنوب وعند كل باب منها تمثال من نحاس اذا هبت الريح زار وفيها مقيل من الساج والآبنوس وكان فيها ستور لها أجراس اذا ضربت الريح تلك الستور

تسمع الاصوات من بعد

وقد وصف العرب بقية القصور نثراً وشعراً ولا حاجة للاطالة بنقل ذلك

(الدول القحطانية الاخرى) كان عرب اليمن كثيراً ماينزحون من بلادهم عند نزول الشدائد بهم فينزلون الحجاز أو اليمامة أو البحرين أو عمان وقد تيسر لبعضهم انشاء دول في بعض تلك الجهات وقد عد العرب من دولهم الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق وكندة بنجد

وقد اعتبر العرب تسع عشرة قبيلة خارج اليمن من بني قحطان أي ينتسبة غير عدنانية وهي : قبائل طيء والأشعر وبجيلة وجذام والازد وعاملة وكندة ولخم ومذحج وهمذان ومازن وغسان وعدنان ومزيقيا وازدشنوءة والأوس والخزرج وخزاعة . ولكل من هذه القبائل بطون وأفخاذ وعمائر وعشائر لا سبيل لحصرها هنا

وقد نشأت من بعضها وهي غسان ولخم وكندة دول سيرد ذكرها

وقد اتفق العلماء علي ان هذه القبائل كلها قحطانية وانهم خرجوا من اليمن بعد انهدام سد مأرب علي أثر سيل العرم .

وانا لذا كرون موجزاً من تاريخ كل دولة من هذه الدول الثلاث المار ذكرها

(دولة الغساسنة)

قلنا ان بني غسان هاجروا من اليمن لنهدم سد مأرب بسيل العرم فنزلوا مشارف الشام وحاربوا بها قوماً من قضاعة يقال لهم الضجاعمة وأخذوا ما بأيديهم وأسسوا هنالك دولة تحت حماية الرومان في الجهة التى تعرف الآن باسم البلقان وحوران فبلغوا درجة عالية من المدنية فبنوا القصور ومصروا الامصار واتخذوا لهم عاصمة في بصرى بحوران يسميها الاتراك الآن الشام القديمة

وقد بلغ عدد ملوكهم اثنين وثلاثين ملكا حكموا نحو ستة قرون كما ورد في كتب العرب وكان أولهم جفنة بن عمرو وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى استولي المسلمون علي ملكه فأسلم ثم هرب الى قيصر وارتد

ولكن بحاثي الأوروبيين يزعمون ان عدد ملوك الغساسنة لايتجاوز العشرة وان أولهم جبلة بن شمر وآخرهم جبلة بن الأيهم . وقد وقف الاوروبيون علي تحرير ماقالوه عن هذه الدولة من كتب اليونان

والسريان

امتد ملك الغساسنة حتى عم مشارف الشام وتدمر وفلسطين ولبنان وبنى ملوكهم القصور الفخمة والقناطر الضخمة من قصورهم المشهورة القصر الابيض وقصر المشتى وقصر الفضاء وقصر السويداء وقصر ابين وغيرها

(دولة اللخميين في العراق)

أول من حكم العراق آل تنوخ ومنهم جذيمة الأبرش ثم صار الحكم بعده الي ابن اخته عمرو بن عدى وهو من آل نصر فرع من لخم . وقعت دولة اللخميين تحت سلطة الفرس كما كانت قد وقعت دولة الغساسنة تحت سلطة الرومان ويطلق العرب علي ملوكهم اسم ملوك الحيرة

بلغ عدد هؤلاء الملوك اثنين وعشرين ملكا في ثلاثمائة واربع وستين سنة كلهم من نسل عمرو بن عدى الا ستة منهم

كان أول ملوك الحيرة عمرو بن عدى كما قدمنا وآخرهم المنذر المغرور . وكانت عاصمتهم مدينة الحيرة وهي علي نحو ثلاثة أميال من الكوفة في موضع يقال له النجف علي الساحل الغربي للفرات وكانت آهلة بالقصور والمباني العظيمة والحدائق الغناء

وبقيت الحيرة عامرة في الاسلام بضعة قرون . وكان بجوارها القصران المشهوران وهما الخورنق والسدير

أما ديانة ملوك الحيرة فقد قال بعضهم انها النصرانية تنصروا علي عهد امرىء القيس الاول في أوائل القرن الرابع وقال غيره ان أول من تنصر النعمان بن المنذر في آخر القرن السادس

﴿ دولة كندة ﴾

كندة بطن من كهلان فهم قحطانيون ، أصلهم من البحرين والمشقر هاجروا الى حضرموت فأقاموا ببلدة اسمها كندة فكانوا هنالك موالين للحميرين

فاتفق ان حجر بن عمرو آكل المرار سيد كندة كان أخا حسان بن تبع ملك حمير من أمه فولاه قبائل معد كلها

ولكن اليعقوبي قال ان سبب نزوح كندة عن حضرموت ان وقع بين القبيلتين حروب طالت حتى كادت تفنيهما فرحلت كندة من اليمن فصارت الى أرض معد فجاورتهم . ثم ملكوا رجلا منهم اسمه مرتع بن معاوية بن ثور فكان أول ملوكهم . ثم خلفه آخر وآخر حتى

الحارث بن عمرو بن حجر

حارب النعمان بن المنذر ملك الحيرة الحارث بن عمرو المذكور وهزمه ثم تمكن منه وقتله لمنافسة كانت بينهما فبقي أولاده الاربعة يحكم كل منهم في الجهة التي عينه بها أبوه قبل موته فأغرى النعمان بينهم العداوة فلم يبق بينهم غيراثنين وهما حجر ابن الحارث علي بنى أسد ومعدى كرب ابن الحارث صاحب قيس وعيلان . ثم ثار بنو أسد فقتلوا حجراً فهب ابنه امرؤ القيس بن حجر الشاعر المشهور للأخذ بثاره فأوقع ببنى أسد ثم قصد قيصرليمده بجنود فمات بالقسطنطينية وقيل بل سمه قيصر ، فضعفت دولة كندة ولم يبق منها الا معدى كرب بن الحرث علي بنى قيس وبنى عيلان وأمراء آخرون لهم سيادة علي بعض القبائل . وكان أشهر فروع تلك الدولة في دومة الجندل والبحرين ونجران وغمر ذى كندة فبقيت في كل منها دولة صغيرة حتى ظهر الاسلام فانقرضت جميعها

تأسست هذه الدولة في القرن الخامس وانقرضت بوفاة امرىء القيس سنة ٥٦٠

(تاريخ العرب العدنانية)

قلنا ان العرب ينقسمون الي قسمين العرب القحطانية باليمن وينبرها من الممالك التى أسسوها بالعراق والبحرين وغيرهما والعرب العدنانية وقد بقي علينا أن نتكلم علي العرب العدنانية فنقول :

العرب العدنانية هم ذرية اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، وذلك ان ابراهيم هاجر بامرأته هاجر وابنها اسماعيل الي بلاد العرب فأسكنهما بمكة وبنى البيت الحرام ثم عاد الي الشام فلما كبر اسماعيل تزوج بامرأة من جرهم أصحاب مكة في ذلك العهد فولدت له اثنى عشر ولداً فتناسلوا وبارك الله فيهم حتى بلغ عددهم الملايين وكانت العرب تسميهم الاسماعيلية والعدنانية أيضاً نسبة الى عدنان أحد ذرية اسماعيل

والفرق بين العرب العدنانية والعرب القحطانية ينحصر في النظام الاجتماعي وفي الدين واللغة

فمن الوجهة الاجتماعية يمتاز العرب العدنانية عن القحطانية بأن جمهورهم أهل بداوة يسكنون الخيام ويربون الماشية ويرحلون وراء المياه والاعشاب فهم لا يبنون بيوتاً ولا يؤسسون أمصاراً الأأهل مكة فانهم تحضروا منهم

ومن الوجهة الدينية يمتاز القحطانيون بأن آلهتهم تقرب من آلهة البابليين منها عشتار وايل وبعل الخ ولكن آلهة العدنانيين كانت لاتشترك مع سواها ولها أسماء خاصة كاللات والعزى ومناة وهبل

ومن الوجهة اللغوية يوجد بين الطائفتين خلاف جوهرى وان كان الجميع يتكلمون العربية والخلاف يتناول الاعراب والضمائر والاشتقاق والتصريف

اقدم ماذكره العرب عن العرب الاسماعيلية يتصل باسماعيل نفسه

قالوا لما نزل اسماعيل بمكة وشب تزوج من بقية بنى جرهم وتعلم العربية فولد له اثنى عشر ولداً تناسلوا فكانوا أصل العرب العدنانية ويسمون المستعربة لانهم ليسوا من العرب بل دخلاء فيهم كالقحطانية أيضاً

أشهر أولاد اسماعيل قيدار ملكه أخواله علي الحجاز ومن ذريته عدنان وبينهما أربعون أبا . وقال بعضهم بل بينهما عشرون وقيل أقل من ذلك . فولد لعدنان عك ومعد . ومعد هذا هو أبو القبائل العدنانية

كان هؤلاء العرب العدنانية علي حالة قبائل وكان لهم ماشية كثيرة وتجارة

وكان مقامهم في تهامة والحجاز ونجد علي حالة بداوة الا قريشاً فقد تحضرت وسكنت مدينة مكة

وقد قسم المؤرخون العدنانية الي قسمين بنى عك وبنى معد . فبنو عك نزلوا نواحي زبيدة جنوب تهامة وليس لها شأن كبير في حوادث التاريخ

أما بنو معد فنهم تناسل عقب عدنان كلهم . انقسم بنو معد الى قسمين بنى نزار وبنى قنص والاول أكثرعدداً وأعز نفراً وهي عدة فروع منها قضاعة ومضرور بيعة وايادوانمار وكانت منازلهم في تهامة والحجاز ونجد . فكانت قضاعة بجهة جدة علي ساحل البحر الاحمر الي حيز الحرم المكي وكانت مضر في حيز الحرم الي السروات . وكانت ربيعة في مهبط الجبل من غمرذى كندة بينه وبين مكة مسيرة يومين وفي بطن ذات عرق وما والاها من نجد . وكانت اياد وانمار ما بين حد أرض مضر الى حد نجران وكانت قنص في أرض مكة وأوديتها

وشعابها وما والاها من البلاد

ثم ان هذه القبائل نزحت من بلادها لطلب العيش فأنشأ بعضها دولا وضاع ذكر البعض الآخر

فكان اول من نزح بنى قضاعة فتفرقت بطونها في جزيرة العرب في نجد والبحرين ومشارف الشام فأنشأ بعضها دولا بالعراق والشام وكان نزوح هذه القبيلة حوالى القرن الاول للميلاد

(دول قضاعة)

من بطون قضاعة (جهينة وبلي) وكانت منازلهم بين ينبع و يثرب ومصر علي شواطيء البحر الاحمر ولم تكن لهم دولة ذات ملوك ولكنهم غلبوا علي بادية مصر وصعيدها اجيالا

قال ابن خلدون عنهم انهم انتشروا مابين صعيد مصر و بلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الامم وغلبوا علي بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوها .

وقد كان هؤلاء العرب يقاتلون للغنم لا للفتح

ومن دول قضاعة (تنوخ) وهوفرع كبير من قضاعة . وقال بعض المؤرخين ان تنوخا كانت مزيجا من قضاعة والازد وكانت دولتهم في اوائل ظهور النصرانية

كان لتنوخ دول في مشارف الشام والعراق منها دولة جذيمة الابرش كانت عاصمتها في المضيرة بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا . ويرى المؤرخون ان هذه الدولة كانت في نحو القرن الثالث من الميلاد

اول ملوكها مالك بن فهم ثم خلفه ابنه جذيمة الأبرش وكان ملكا فاتحا استولي علي البلاد الواقعة بين الحيرة والأنبار والرقة وسائر القرى المجاورة لبادية العراق

ثم خلفه ابن اخته عمرو بن عدى وجعل الحيرة عاصمة له وهو جد دولة لخم التى منها المناذرة

وهناك دولة اخرى تنوخية قامت في مدينة بطرا عند زوال دولة النبطيين حكموها تحت حماية الرومانيين من ملوكها النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان

لم تطل ايام هل الدولة فحل محلها بطن آخر من قضاعة اسمه سليح

﴿ دولة سليح ﴾

سليح بطن من قضاعة ملكوا مشارف الشام بعد تنوخ وكان مقرهم في

مواب من ارض البلقاء وفي سلمية وحوارين والزيتون . ومن ملوكها النعمان بن عمرو ومالك بن النعمان وعمرو ابنه ثم خلفهم الغساسنة كما مر والاولون هم الضجاعمة الذين ذكرنا ان الغساسنة تغلبوا عليهم

(انمار)

انمار بطن من قضاعة رحلت الى جبال السروات فملكوها ثم تخاصمت هنالك القبيلتان المكونتان لانمار وهي بجيلة وخثعم فحدث بينهما حروب يطول بسطها

(اياد)

اياد بطن من قضاعة نازعتها مضر الحياة فنزحت من تهامة الي العراق قرب الكوفة ثم أنهم شنوا الغارة علي الفرس فأوقع بهم كسرى انو شروان وأجلاهم عن العراق فنزلوا الي تكريت والجزيرة والموصل ثم نزحوا منها الي بلاد الرومان والشام

(ربيعة)

هاجرت ربيعة من تهامة فنزحت قبيلة عبد القيس منها الي البحرين وهجر ونزلت قبائل أخرى منها الي نجد والحجاز واليمن. وكانت القبائل التى نزلت الحجاز منها بكر وتغلب وعنزة وضبيعة. ثم حدثت بينهم حروب فتغلبت بكر علي تغلب فتفرقت تغلب في البلاد وانتشرت بكر ابن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة الى سواد العراق . وانحازت النمر وغفيلة الي أطراف الجزيرة وعانات . وكانت الزعامة لعنزة ثم تحولت الي عبد القيس ثم الي النمر ابن قاسط ثم الي بكر بن وائل ثم الي تغلب فتولي منها وائل بن ربيعة وهو كليب المشهور

(مضر)

استأثرت مضر بتهامة حتى كثر عددها فوقعت بين بطونها الحروب واشهر تلك البطون قيس بن عيلان وخندف فغلبت الثانية فظعنت قيس بن عيلان الي نجد الا قبائل منها انحازت الى أطراف الغور من تهامة فنزلت هوازن ما بين غور تهامة الي ما والي بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذى المجاز وحنين وأوطاس

وكان بنو خندف يتألفون من قبيلتي طابخة ومدركة فنزلت طابخة بظواهر نجد والحجاز وأوت مزينة الي جبال رضوى وما والاها بالحجاز ورحلت تميم وضبة الي منازل بكر وتغلب . وهاجرت بنو سعد

الي يبرين وزنات طائفة الي عمان واخرى بين اطراف البحرين الي ما يلي البصرة وأقامت قبيلة مدركة بتهامة. وكانت لهذيل بنو فهم وعدوان من قيس عيلان. وأقام بنو النضر بن كنانة حول مكة أنزلهم قصي بن كلاب الحرم وهم قريش فكان بالحجاز من العرب اسد وعبس وغطفان وفزارة ومزينة وسليم وفهم وعدوان وهذيل وخثعم وسلول وهلال وكلاب وطيء وأسد وجهينة وغيرها

(خلاصة ماتقدم)

يستخلص مما مر ذكره ان العرب ثلاثة اقسام (اولها) العرب البائدة وهي قبائل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس واميم وجرهم وحضرموت ومن يتصل بهم وهذه بادت قبل الاسلام و يقال لهم العرب العاربة كان لهم ملوك امتدملكهم الي الشام ومصر . كان مقرها اولا بابل من آسيا الصغرى ثم هاجرت الي جزيرة العرب

والمؤرخون يقسمون العرب البائدة الي قسمين العماليق وهم من نسل لاوذ بن سام ، ومن عداهم فمن نسل ارم بن سام فلاولون يقال لهم ساميون والآخرون آراميون

العماليق ملكوا مصر مدة الفراعنة وأسسوا فيها اسرة ملوكية . وملكوا العراق وأسسوا بها دولة يقال لها دولة حمورابي في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد

ولما حدث سيل العرم وخربت بلاد اليمن هاجرت قبائل كثيرة منها الى العراق ومشارف الشام فأسسوا هنالك دول غسان ولخم وكندة، فمن جاور الرومان بالشام منها وقع تحت سيطرتهم كالغساسنة ومن جاور مملكة الفرس جهة العراق وقع تحت سلطانهم كدولة اللخميين

(ثانيها) العرب القحطانية وهم العرب الذين هاجروا من بلاد بابل حين انقراض دولة حمورابي بها ونزلوا اليمن فأسسوا عدة دول منها الدولة المعينية والدولة السبأية ودولة التبابعة و الدولة الحميرية

(ثالثها) العرب العدنانية و يقال لهم العرب المستعربة وهم من ذرية اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام الذين من ذريتهم خاتم المرسلين محمد صلي الله عليه

وسلم وكان مقامهم في تهامة والحجاز ونجد ومنها قبائل قضاعة وربيعة ومضر واياد وانمار وقريش وتميم الخ الخ

﴿ الحالة الاجتماعية للعرب ﴾

(قبل الاسلام)

حالة العرب الاجتماعية قبل الاسلام كانت تابعة لحالتهم الاقتصادية كما هو الشأن في كل أمة فما كان من قبائلهم في خفض من العيش وفي بيئة مناسبة للرقي العقلي والصناعي بلغ من المدنية شأواً الذى بلغته أرقي أمة في زمانهم . ومن كان في شظف منه بقي علي حالة البداوة يعاني أهوالها و يكابد تكاليفها . فقد بلغت عاد وثمود من المدنية شأواً بعيداً حتى ان ماورد عنهما في كتب العرب لا يكاد يعقل، وقد دلت الآثار علي انهما بلغا من المدنية الي ما كانت تسمح به وسائل الناس في ذلك العهد البعيد . واذا صح ان دولة حمورابي في بابل كانت عربية فان هذه الدولة كانت لا تقل في المدنية عن أرقي أمم الارض في زمانها

وقد ثبت ان العرب ملكوا مصر في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد وأسسوا فيها أسرة مالكة فلم يكونوا أحط من الاسر المصرية في شيء من مظاهر الرقي الصوري والمعنوى

ثم ان الدول المعينية والسبأية والحميرية التى قامت باليمن نالت من بسطة الحياة وفخامة المدنية حداً أدى معاصروهم من اليونانيين القدماء أن يسموا بلادهم ببلاد العرب السعيدة . ناهيك انهم وصلوا من المعارف الهندسية الي حد بنوا معه سد مأرب الذى يعد من أضخم وأبدع ماصنعه الانسان من الآثار الدالة علي بعد النظر وكمال المعرفة

واذا كان لا بد منا يراد شيء من تفصيلات أحوال العرب من الوجهة الاجتماعية والسياسية والصناعية فان ما أورده علماء الفرنج من نظام دولة حمورابي فيه بلال للصدى ونقع للغلة

قد قالوا ان الامة العربية في تلك الدولة كانت مؤلفة من طبقات مختلفة الامتيازات وكان يندر أن تختلط تلك الطبقات بالمصاهرات . وقد كانوا يعرفون الاسترقاق ويتخذ الرجال السرارى وكان للزواج عندهم عقد مكتوب . وكانت المحافظة علي حقوق الزواج مرعية . وكانوا يحرمون الزني و يعاقبون مرتكبه بالقتل

وكان من عادتهم انه اذا أسر زوج امرأة في بعض الحروب جاز لتلك المرأة أن تعيش مع رجل حتى يعود زوجها فتعود اليه . واذا نتج لها أولاد من ذلك الرجل تركتهم له يعولهم . واذا كان زوجها قد هرب من القتال ثم عاد فلا يجوز لتلك المرأة ان تعود اليه

وكان من شروط الزواج عندهم ان الرجل يحمل الى امرأته مهراً وتأتي هي من بيت أبيها بمال و يصبح كلاهما حقاً لها . وكان من حقوق البنات علي آبائهن أن يعطوهن مهورهن وان لم يتزوجن

وكان الطلاق معروفا لديهم ولكن للمرأة ان تتولى تربية أولادها بنفقة من مطلقها . وكان لها سهم من ميراث زوجها

وكان للمرأة ان تطلب الطلاق فاذا رأى القاضي انها محقة في طلبها طلقت والا كان جزاؤها ان تطرح في الماء

وكان كل من الزوجين مسئول عن وفاء دين صاحبه فاذا عجزت المرأة عن دفع دينها وعجز زوجها عن ادائه عنها حبس الدائن زوجها حتى يفيه حقه

وكان التسري محرما لديهم الا عند عقم الزوجة وكان للمرأة ان تشتغل بالاعمال الخارجية كالرجل ولها أيضاً أن تلي الوظائف الدينية

وكان الميراث يقسم علي التساوي بين الذكور والاناث

وكان للتجارة عندهم نظام راق لها عقود ووثائق وكان الدائن له الحق اذا عجز المدين عن الوفاء أن يحبس امرأته وأولاده عنده يخدمونه حتى يؤدى اليه دينه

وكان للحكومة الحق في تسعير عروض التجارة وتقدير أجور العملة وأصحاب الصناعات من كل نوع حتى الاطباء

وقد وجد الباحثون آثار مدرسة لتعليم الاطفال فيها حجارة عليها دروس للاطفال من حساب ولغة وخط

أما مدنية دولة الانباط العربية فقد رووا أنهم كانوا يحرمون الخمر وبناء المنازل ويعيشون في البوادي وكانوا يقتاتون بلحوم الابل والبانها والغنم وكانت لهم تجارة في الطيوب والمر وغيرها يحملونها الى مصر وشواطيء البحر الابيض المتوسط.وكانت لهم صهاريج يشربون منها في البوادي يحكمون صنعها و يسوقون اليها ماء المطر

و كان لهم سكة يتعاملون بها

اما مدنية مدينة تدمر فقد اطنبوا فيها فقيل انه كان فيها شوارع وتماثيل وهيا كل منها هيكل الشمس او هيكل بعل وهو مربع طول كل ضلع من اضلاعه ٧٤٠ قدما يحيط به سور ارتفاعه ٧٠ قدما وفيه من الاسطوانات شيء كثير بقي منها قائما الي الآن نحو مائة اسطوانة

ومنها الرواق الاعظم وقد كان قائما علي بعد نحو مائتي متر من هيكل الشمس وكان يتألف من شارع اوسط وشارعين عن الجانبين و يمتد علي طول المدينة وكان عدد اساطينه ٧٥٠ لا يزال قائما منها نحو ١٥٠ اسطوانة ارتفاع كل منها نحو ٥٧ قدما

ومن مباني تدمر العجيبة مدافنها وهي كالابراج المستطيلة يزيد عددها علي المائة

وكانت تدمر مركزاً لتجارة عظيمة يجتاز منها الذهب والجزع واليشب والصموغ والند الوارد من بلاد العرب ويحمل اليها من البحرين اللآليء ومن الهند أنواع المنسوجات والقرنفل والبهار والفولاذ والعاج

ولما كان الناس في تدمر طبقات وكان الوجهاء يقيمون في القصور الشاهقة، واما من عداهم فيقيم في بيوت صغيرة. وكان لتدمر سكة خاصة (اى نقود) عليها صور وكتابات

اما اهل اليمن فحدث عن تمدنهم ولا حرج فكان ملكهم مطلق التصرف له قصر بديع في مأرب وكانت الحكومة وراثية وكانت لهم سكة خاصة (نقود) نقشوا عليها صور ملوكهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينت برسوم اخرى رمزية

وكانوا يركبون الصافنات الجياد او المركبات تجرها الخيول او الفيلة . وكان ملوكهم يلبسون المآزر المحوكة بالذهب وعلي اذرعتهم اساور ثمينة

وكانت الأمة مكونة من طبقات اولها الجنود ثم الزارعون ثم الصناع ثم التجار وكان لكل طائفة منها حدود ورسوم

وكان من عادتهم ان يتزوج الاخوة امرأة واحدة فمن دخل اليها منهم ترك عصاه علي الباب وكان الليل خاصاً بكبيرهم قبل وكانوا يأتون امهاتهم

ومن قوانينهم ان من تزوج من غير أسرته قتل • وكانوا يأتون اخواتهم ايضا

وكان من صناعاتهم تحضير البخور والصموغ • وكانوا يزرعون علي السيول والامطار وكان من محصولات بلادهم المر والبخور والبلسم وجميع العطريات والبلح والعناب والتين والكمثرى والاجاص والبرقوق والتفاح والجوز واللوز والسفرجل

وكانوا يستخرجون الذهب والفضة والاحجار الكريمة والحديد وغير ذلك

•••

هذا ما كان من الصناعات وآثار العمران لدى العرب القحطانيين الذين مصروا الامصار وجاوروا الرومان والفرس

واما العرب العدنانيين الذين كانوا يسكنون الحجاز ونجد وتهامة فكانوا اهل بادية راجت فيهم الفروسية والفصاحة فكانوا يفتخرون بالشجاعة وحماية الجوار وشن الغارات • وكان من اخلاقهم الكرم والنجدة وحب الحرية • وكانوا كجميع امم البادية مجردين من العلم والصناعة الا ما لابد منه لقوام معيشتهم الساذجة

كانوا معددين للزوجات لا يورثون النساء، وكان الرجل يرث امرأة ابيه. وكان من عاداتهم وأد البنات. يأتي ذلك بعضهم انفة من العار و بعضهم خشية الفقر ولم يكن لديهم من آثار العمران الا مكة والمدينة والطائف

(مكة)

اختلف المؤرخون فيمن بنى مكة فذهب جمهور منهم ان اول من بناها العمالقة وخلفهم عليها بنو جرهم وهم طائفة من العرب القحطانية نزحت اليها من اليمن ثم جاء اسماعيل كما تقدم فكثرت بها ذريته ثم سكنها بنو الازد ثم بنو خزاعة فبنو كنانة ثم قريش فكانت تتوالي عليها هذه القبائل فيغلب عليها بعضها دون البعض الآخر. أقامت بها جرهم حتى وفد عليها اسماعيل ثم جاءت خزاعة وهي من القبائل اليمنية فأخرجت جرهما ودخلت محلها وكانت قد استعانت علي ذلك بكنانة ثم نازعتها وغلبتها واستقلت بأمر الكعبة وجعلت لكنانة اعمالا تتولاها في الحج

فتشعبت بطون كنانة وخزاعة وصاروا احياء و بيوتات متفرقين وصارت قريش فرقتين قريش البطاح وقريش الظواهر • وكانت خزاعة بادية لكنانة

فصارت كنانة بادية لقريش ثم صارت قريش الظواهر بادية لقريش البطاح والجميع بطون من مضر فتحضرت كنانة وقريش واستأثرتا بأمور الحج فصار لهما التقدم علي جميع مضر. وأمور الحج كانت لديهم تنحصر في السدانة والسقاية و الرفادة وهذه الخطط كانت تعتبر عندهم في الدرجة القصوى من الخطورة

فالسدانة هي حجابة الكعبة فكان صاحبها بيده مفاتيح الحرم وهذه الوظيفة كانت ارقي الوظائف عندهم

والسقاية هي وظيفة كان القائم عليها يتولي سقاية الحجاج فكان يصنع حياضاً من الجلد توضع في فناء الكعبة ينقل اليها الماء من الآبار ومازال هذا دأبهم حتى حفرت زمزم

والرفادة هي ما كانت تخرجه قريش من اموالها الى صاحب هذه الوظيفة لاطعام فقراء الحجاج

(وقعة الفيل)

كان العرب قبل البعثة المحمدية يؤرخون بعام الفيل وهو حادث جلل أصاب قريشاً منه هم كبير

ذلك أن أبرهة الحبشي بنى في اليمن كنيسة واراد ان يصرف الناس عن الكعبة اليها فحملت الغيرة احد العرب الي الذهاب الي تلك الكنيسة ليلا والتغوط فيها فغضب ابرهة لذلك واقسم ليهدمن الكعبة فجهز جيشا وركب هو علي فيل وراءه بضعة افيال وقصد مكة فلما وصلها أمر اهلها ان يخرجوا منها لأنه لم يأت لحربهم ولكن لهدم الكعبة ولم يكن لقريش ولا لمن جاورهم من القوة ما يحمون به بيتهم الحرام من الذى يقصده بالسوء . فأصابت جيش أبرهة مصيبة اضطرته الرجوع عن عزمه

وقد قص الله تعالي هذه الحادثة بقوله :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »

قال المفسرون في تفسير الطيور الأبابيل انها طيور خرجت من البحر رمت جيش ابرهة بأحجار صغيرة كانت في مناقيرها فهلكوا . ولكن يصح ان يحمل كلام الله علي غير ظاهره لكثرة الاستعارات والمجازات في كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم فيصح ان يقال ان المقصود الحادث الجلل الذى أصاب جيش أبرهة

من حيث لايحتسب بطيور أرسلت عليهم من السماء ترجمهم بالاحجار

وقعت هذه الحادثة في عهد عبد المطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم

(يثرب)

كانت هذه المدينة عامرة بالحجاز من عهد العمالقة ولا يعلم من بناها . أول من نزلها العمالقة ولعلهم هم الذين بنوها حين هاجروا الي تلك الجهة بعد سيل العرم . ثم نزلها اليهود قبل أتوها من ايام موسي عليه السلام اثناء حروبه مع الكنعانيين فاقتنى اليهود بها الأموال واشتغلوا بالتجارة حتى استأثروا بكل ثروة يثرب (المدينة) فلما ظهرت النصرانية واضطهد الرومان اليهود هاجر الي يثرب منهم جمهور كبير

ثم نزل يثرب الأوس والخزرج وهم بطون من الازد والعرب القحطانيين وكانوا اهل فاقة فلم يجدوا مع اليهود من وجه يرتزقون منه فاستعانوا ببعض العرب فأغاثوهم وقتل رؤساء اليهود فأصبح الأوس والخزرج زعماء يثرب

(مدينة الطائف)

كانت الطائف من مدن الحجاز وهي مدينة فيها حدائق وبساتين يسكنها بنو عدوان فكان منهم نحو سبعين الفاً ثم تغلبت عليها ثقيف وهم فرع من هوازن

(الحالة الاجتماعية لبلاد العرب)

قبيل البعثة المحمدية

لم يكن العرب قبيل البعثة المحمدية علي شيء من الاستعداد لاحداث انقلابات اجتماعية خطيرة كالتى حدثت علي يد النبي صلي الله عليه وسلم . بل كانوا علي الضد من ذلك قد فقدوا عوامل نهضتهم الأولي التى أسسوا بها الممالك في اليمن والبحرين وغيرهما . ويحسن بنا ان نستشهد علي صدق هذا القول بأقوال بحاثي الأوربيين فانهم ينزهون عن المحاباة في مثل هذه الشؤن . قال المسيو جول لابوم في المقدمة التى كتبها علي فهرست القرآن الكريم المترجم الي اللغة الفرنسية :

« لم يكن العرب احسن استعداداً من غيرهم لقبول اى دين من الاديان . قال المسيو (دوزى) في كتابه تاريخ عرب اسبانيا :

« كان يوجد علي عهد محمد في بلاد العرب ثلاث ديانات الموسوية والعيسوية

والوثنية . فكان اليهود من بين أتباع هذه الاديان أشد الناس تمسكا بدينهم وأكثرهم حقداً علي مخالفي ملتهم . نعم يندر ان تصادف اضطهادات دينية في تاريخ العرب الأقدمين ولكن ماوجد منها فمنسوب الى اليهود وحدهم . أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون . وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها الا معرفة سطحية . . . وكانت هذه الديانة تحتوى علي كثير من الخوارق والأسرار بحيث يتعذر أن تسود علي شعب حسي كثير الاستهزاء . أما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الاعظم من الأمة الذين كان لكل قبيلة بل أسرة منهم آلهة خاصة والذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالي و يعتبرون تلك الآلهة شفعاءهم لديه فقد كانوا يحترمون كهانهم وأصنامهم بعض الاحترام ولكنهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهان اذا لم تتحقق أخبارهم بالمغيبات . أو لو عولوا علي فضحهم عند الاصنام ان قربوا لها ظبية بعد أن نذروا لها نعجة . وكان من العرب من كان يعبد الكواكب وخصوصا الشمس فكنانة كانت تدين للقمر والدبران ، و بنو لخم وجرهم كانوا يسجدون المشترى . وكان الاطفال من بني عقد يدينون لعطارد . وبنو طي يدعون سهيلا وكان بنو قيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية . وكان علمهم بما وراء الطبيعة علي نسبة أفكارهم الدينية . قال (كوسان دو برسفال) في كتابه تاريخ العرب : كان من العرب من يعتقد بفناء الانسان اذا خلعته المنون من هذا العالم . وكان منهم من يعتقد بالنشوء في حياة بعد هذه الحياة . فكان هؤلاء الأخيرون اذا مات احد اقربائهم يذبحون علي قبره ناقة او يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين ان الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة او الصدى وهي نوع من البوم لاتبرح تطير بجانب قبر الميت نائحة ساجعة تأتيه بأخبار اولاده فاذا كان الفقيد قد مات قتيلا تصيح صداه قائلة (اسقوني) ولا تزال تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له أهله من قاتله بسفك دمه »

قال المسيو جول لابوم بعد ايراد هاتين الكلمتين عن الاستاذين السابقين

« وكانت طباع العرب وأخلاقهم لا تدل الناظر اليها الا علي انهم شعب لم يكادوا يجوزون العقبة الأولي من عقبات

الاجتماع لو لم تكن الأسرة عندهم بل والقبيلة أيضاً — وهذه نقطة تلفت النظر — تهتم اهتماما عظيما بحفظ سلسلة نسبها ، ولو لم يكن — وهو أمر أغرب من سابقه — ادراكهم لقوانين وسعة لغتهم من جهة أخرى داعيين الي الائتلاف بنوع أخص »

ثم قال المسيو جول لابوم :

« قال المؤلف المحقق الذى اقتبسنا منه أكثر هذه التفصيلات المتقدمة :

« كان العرب مغرمين بشرب الخمر . ويوجد من الشعر مايدل علي انهم كانوا يفخرون ويعجبون به وبلعب الميسر . وكان من عوائدهم ان الرجل له أن يتزوج من النساء بقدر ما تسمح له به وسائله المعيشية . وكان له أن يطلقهن متى شاء هواه . وكانت الارملة تعتبر من ضمن ميراث وجها ومن هنا نشأت تلك الارتباطات الزوجية بين أولاد الزوج ونساء الأب وقد حرم ذلك الاسلام وعده زواجا ممقوتاً . . . . . وكان هنالك عادة أقبح من كل مامر وأشد معارضة للطبيعة وهي وأد الاهل لبناتهم (أى دفنهم أحياء

« هذا كله لا يشير الي ان العرب لم يكن فيهم أى جرثومة خلقية صالحة يمكن تقويمها وتهذيبها فقد كانوا يحبون الحرية حباً جماً ويمارسون فضائل الكرم وبذل القرى

« الأفراد الذين كانوا تابعين لأمم أرقى من الأمة العربية والذين كانوا مبعثرين هنا وهناك من جزيرة العرب كانوا قليلي العدد جداً ولا يظهر انهم كلفوا أنفسهم بوظيفة الدعوة الى مللهم فاليهود الذين كانوا متشبعين بالاثرة الشعبية علي مثال الصينيين واليابانيين والمصريين لايرى منهم اليوم خاصية التأثير علي غيرهم الا باخضاع قوانين الامة التى يستظلون تحت ظل حمايتها بالأمور المالية . ولئن شوهد أنهم ادخلوا الي ملتهم بعض العرب فلم يكن ذلك الا نتيجة بسيطة لاشتراكهم في الاساطير التاريخية وهو اشتراك يدل علي قرابة قريبة بين الأمتين ، تلك القرابة يستدل عليها أيضاً بتساويهم في حب الكسب وتآزيهم في الاستعداد لعدم الانفة من سلوك أى طريق من الحيل والمكر لنيل كسب أو حطام ولا ينتظر أن يكون من

نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات أدنى ترق أدبي . اما المسيحيون فكانوا يفدون شيأ فشيأ الي بلاد العرب هربا من الاضطهادات الدينية التى كانت في مملكة الرومانيين ولكن لم يكن في حالهم نور يلفت البصر تألقه . وفي حالة مسيحي الحبشة اليوم نموذج لذلك . فانه لايمكن ان ينحلي الانسان بمدركات العقائد السامية من دون بمجرد التسليم بنص تلك العقائد

ثم ختم المسيو جول لابوم مقدمته بقوله :

« في عهد هذه الاحوال الحالكة وفي وسط هذا الجيل الشديد الوطأة ولد محمد بن عبد الله في ٢٩ اغسطس سنة ٥٧٠ » انتهى ماترجمناه

﴿ الانقلاب الذى احدثه الاسلام ﴾
(في أحوال العرب)

ليس في تاريخ البشر من جهة الانقلابات الاجتماعية ماهو أعجب من الانقلاب الاجتماعي للعرب الذى تم علي يد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد كانت الأمة العربية من الوجهة الاجتماعية علي مارأيته من كلام المسيو جول لابوم وهي حالة انحطاط وانحلال في جميع الروابط العمرانية . فلم تك لها وحدة قومية ، ولا جامعة سياسية ، ولا رابطة وطنية ، ولا أصل من الأصول التى ترتكز عليها الميول والعواطف الانسانية فتسمو بها الي الغايات الوجودية

ثم دلت الأمة العربية علي استعداد فطرى للترقي بما أوجدته من المدنيات السامية في بابل واليمن وأظهرت قبولا منها للأخذ بمدنيات الامم الناهضة بما اقتبسه الغساسنة والمناذرة بمشارف الشام والعراق من مدنيتي الرومان والفرس ولكن كل ذلك لم يتم الا في قرون عديدة وبعد أن حمل العرب نير تلك الامم الراقية شأن الجاهل ازاء العالم

فلما بعث النبى صلي الله عليه وسلم جمل من هؤلاء العرب المختلفي القبائل والنزعات ، المتنافرى الاغراض والغايات أمة موحدة الوجهة ، مشتركة الغاية ، ذات مقومات أدبية ، وروابط اجتماعية ، مودعاً فيها روحاً عالية تسمو بها الى الغايات البعيدة ، وجاعلا لها دستوراً يقيد حكومتها الرشيدة ، فبلغت هذه الدولة في ثمانين عاماً من بسطة الملك ، وانتشار السلطان ، مالم تبلغه دولة الرومان في ثمانية قرون ، فكان

هذا الانقلاب الاجتماعي في سرعة ادواره واستكمال أطواره ، أعجب انقلاب حدث في العالم الانساني الي اليوم . وانا تاركو الكلام في هذا الصدد لعلماء من الاوربيين ليكون البيان اوقع في الصدور ، وأبعد عن الظنن فنقول :

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) في النسخة الفرنسية ما ترجمته :

« بعد وفاة محمد ترجمت الي اللغة العربية أهم المؤلفات اليونانية . وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كالالياذة) و (الاوديسه) الى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشي منه علي عقائدهم . ولما ولى الخلافة ابوجعفر المنصور (من سنة ٧٥٣ الى ٧٧٥) نقل عاصمة الملك الي بغداد وجعلها عاصمة فخمة . فلم يأل جهداً في بذل الوسع في درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة . ولما جلس حفيده هرون الرشيد علي عرش الملك (٧٨٦) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة الي كل مسجد في جميع ارجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الاسيوية لم يشرق الا في خلافة المأمون الذى تولي الخلافة من سنة (٨١٣ الي ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمي وجمع اليها كتباً لاتحصي ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم

« هذا المركز الذى اكتسبه العرب وهذا الذوق السليم في العلم استمر لديهم حتى بعد ان انقسمت المملكة الي ثلاثة أقسام حتى ان العباسيين في آسيا والفاطميين في مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين علي الحكومة فقط بل كانوا كذلك علي الآداب والعلوم أيضاً »

« ذاق العرب في الفنون الادبية كل ما من شأنه ان يحد القريحة و يصقل الذهن وقد افتخروا فما بعد بأنهم انجبوا من الشعراء بقدر ما انجبت الامم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الاسلوب الذى توخوه في المباحث . وهو اسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاوربيين فانهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلي النظرى لايؤدى الي

التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة يجب ان يكون معقوداً بشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية ادوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة علي الميكانيكا والادروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها علي جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الي حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذى قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لجملة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضاً هو الذى جعلهم يستعملون في ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هي آلات لقياس ابعاد الكواكب) ، وهو أيضاً الذى بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا علي ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضاً الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للأجسام . والازياج الفلكية (هي جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند ، وهو أيضاً الذى أوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضاً الذى هداهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب ارسطو الاستدلالي علي مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا علي جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل ان يتوصلوا الى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل ان المأمون نقل الى بغداد مائة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر الثمينة الأخرى كتاب بطليموس علي الرياضيات السطوحية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطي . وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى ان مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف

وخمسمائة مجلد في الطب والعلوم الفلكية فقط . وكان من نظام هذه المكتبة انها تعير كتبها للطلبة الساكنين في القاهرة وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز . قيل ان الأولي صنعها بطليموس الفلكي نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد علي ستمائة ألف مجلد وكان جدول أسمائها وحده محويا في أربعة وأربعين جزءاً . وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة . ومما يحكي ان أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لايمكن نقلها الا علي أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد في كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة . وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد (سنة ٨٠٥) ترجم فيه كتباً لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ . أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة اساتذة هذه الجامعة ان يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التى تطلب منهم . وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر الي تلك الاقاصيص والحكايات التي هي مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنتشر بدون رقابة ولا حجر، وما يعلم من المراقبة علي الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت كتب العرب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة في العلوم كثيرة جداً في الجغرافية والاحصاآت والطب والتاريخ وقواميس اللغة . وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد ابو عبد الله . وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض ، وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها وتذهيبها علي صفات شتى

كان الملك الاسلامي العربي مملوءاً

بالمدارس والكليات، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة علي عدد عديد منها . وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيراً مرصد في سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد في الاندلس . وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التى بذلها المسلمون للعلوم ما يأتي) :

« كان أمراء المسلمين في الاقاليم يناظرون الملوك في حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التى بين سمرقند وبخارى الي فارس وقرطبة ويروى عن وزير لأحد السلاطين انه تبرع بمائتى الف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير علي السواء وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سداً لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء في جمع الكتب » انتهي كلام العلامة جيبون . ثم قال درابر :

« وكانت قيادة العقول مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت اما بيد النسطوريين أو اليهود لان المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا من اعماله ولقد دله الخليفة الكبير المأمون بفكره علي حقيقة العلماء فقال : ان صفوة خليقة الله، وأفضل عباده وأنفعهم هم الذين يفنون حياتهم علي تربية مواهبهم الطبيعية وان الذين يعلمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق في عماية الجهالة وغياهب البربرية »

ثم قال درابر :

« وقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب في القاهرة في اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائياً بحيث لا يستطيع احدهم ان يشتغل بمهنة التطبيب الا بهذا الشرط »

« وأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل في أوروبا هي المدرسة التى أسسها العرب في (سالرن) من ايطاليا ، وأول مرصد اقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في

اشبيلية باسبانيا »

« ولو أردنا أن نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمي لخرجنا عن حدود هذا الكتاب، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوماً أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف علي براعتهم في العلوم الرياضية وعلي التسهيلات التى أدخلوها عليها وعلي تفوقهم في حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما ألفوه فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم

ثم قال — :

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

« أما في عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء و بعضا من محلالتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو). استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . أما في علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . أما في الايدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها علي أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لأنواع الاوزان النوعية وكتبوا أبحاثاً علي الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء. أما في نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليوناني الذى مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئي وقالوا بعكس ذلك أى ان الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئي الي العين وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الاشعة وانكسارها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرا حقيقة في الافق وكذلك في الغروب نراهما قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع في عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد

وتربية الحيوانات وسن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن وكانوا يجرون في عملها علي ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقي والشعر وقد وهبوهما وقتا كبيراً وحبوهما مكانة من افئدتهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى في المجالات الزاهرة للأدبيات الفلسفية،فكان لديهم مؤلفات عالية جداً في تقلب الاحوال الانسانية وعلي نتائج عدم التدين ،وعلي زوال النعم ، وعلي أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحيانا حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس في مدارسهم، وقد كانوا وصلوا به الي أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه علي المواد الجامدة والمعدنية أيضاً. فالنظرية التى ابتنى عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هي زعمهم ان المعادن تكونت تكوناً تدريجياً . قال الخازني : «اذا سمع الجهال قول العلماء بأن الذهب تكون بالتدريج علي طرق الترقي يفهمون من هذا بأنه استحال أولا الى معادن أخرى بمعنى انه كان في مبدأه رصاصا ثم صار خارصينا ثم برنزاً ثم صار فضة ثم استحال الى ذهب. ولم يعلموا ان الفلاسفة يقولون عن الذهب كما يقولون عن الانسان اى انه ماصار انساناً الا من طريق الترقي التدريجي وهذا لايستلزم ان يكون قد استحال الي استحالات نهائية كأن كان أولا نوراً ثم صار حماراً ثم صار قردا ثم انتهي أخيراً بأن صار انساناً » انتهي ماقلناه عن درابر

وجاء في (كتاب تمدن العرب) للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومأ اليه ما نصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها علي الصنائع ، فقد اكسبت علومهم الصنائع جودة عالية جداً ، واننا وان كنا لم نزل نجهل

أ كبر الطرائق التى سلكوها في ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا انهم لحفروا المناجم واستخرجوا منهـا الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جداً في صناعة الصباغـة ، وانهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتى ان صفاح طليطلة اصدق البراهين علي ذلك ، ونعرف أيضاً انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة ، وانهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعـة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

« ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لايجمل بنا أن نسردها سرداً بل علينا أن نهبها شيئاً من التفصيل ... الي أن قال : «مما يتجلي للقارىء ان ديوان المكتشفات العربيـة في العلوم الطبيعية لايقل في الخطورة والقدر رغما لم منها في العلوم الرياضية والفلكية وما نسرد عليك هنا يبرهن لك علي تلك الخطورة . وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية خصوصاً في نظريات الضوء والابصار ، وقد حفظ عنهم اختراعهم لاجهزة ميكانيكيـة من أدق مايعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التى تعد من أعظم أركان علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النتريك وحمض الكبريتيك وقد سجلت لهم أكبر الاعمال الاساسية مثل التقطير مثلا ، وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة»

هذا بعض ما كتبه علماء أوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفية التى لها الفضل الاول علي مدنية أوروبا

أما عن أخلاق المسلمين وآدابهم في تلك المدنية فقد قال درابر صحيفة ١٠١

«كان خلفاء الاندلس مغمورين في الترف الذى تسمح به الحياة الشرقية . فكان لهم قصور شاهقة وحدائق غناء . ودور مملوءة بالجمال والبهجـة ، ولم تكن أوروبا العصرية بأعلي ذوقا ولا ارق مدنية ولا ألطف رونقـاً من عواصم الاندلس في عهد العرب . فقـد كانت شوارعهم مضاءة بالأنوار ومبلطـة أجمل تبليط والبيوت مفروشـة بالبسط وكانت تدفأ شتاء بالمواقد ، وتهوى صيفا بالنسمات المعطرة بواسطـة أمرار الهواء من تحت الارض من خلال أوعيـة مملوءة زهراً ،

وكان لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة وكانت المدن والخلوات ملأى بالاحتفالات التى كانوا يرقصون فيها علي آلات الطرب

« وكانوا بدلا من أن ينصرفوا للهم وادمان السكر في المآدب الليلية كجيرانهم الاوروبيين ، يحلون مآدبهم بالقناعة المعتدلة . فكانت الخمر محرمة عندهم وكانت غاية لذاتهم البدنية تنحصر في تمشيهم في الليالي القمرية في حدائقهم البالغة حد الجمال أو بجلوسهم حوالى أشجار البرتقال يسمعون قصة مسلية أو يتجادلون في موضوع فلسفي متعزين عن مصائب الدنيا وآلامها بقولهم انهـا لو كانت بلا آلام وأوصاب لنسـوا حياتهـم الآخرة وكانوا يوفقون بين جهادهم لهذه الحياة وبين آمالهـم في النعيم المقيم في الآخرة انتهي» كلام درابر

(هل كان قبل الاسلام)
آثار تدل علي قرب
نهضة العرب

ذهب المتكلمون من مؤرخي الاوروبيين في شؤن العرب من أمثـال العلامتـين دوزى ودبرسفال وغيرهما علي أن العرب قبل البعثة المحمدية كانوا كجميع الامم المتبدية في غفلة بتنازع البقاء عن كل نهضة اجتماعية تدل علي ذلك حروبهم الكثيرة التى كادت تفنى قبائل برمتها وكانت قريش عاكفة علي ماالفيهـا من الاصنام ومكتفية بما في يدها من مناسك الحج لم ينبغ فيهـا من أخـذ علي نفسه احداث ذلك الحدث الا كبر وهـو جمع قبائل العرب الى وحدة دينية أوسياسية

ولكن الفاضل جورجي بك زيدان مؤلف كتاب تاريخ التمـدن الاسلامي ذهب غير هـذا المذهب فقال في الجزء الأول من ذلك الكتاب

« اذا تدبرت تاريخ العرب قبـل الاسـلام علي غموضه وابهامـه تبين لك امور تدعو الي الاعتبار وأعمـال الفكرة منهـا ان العرب علي اختـلاف القبائل والبطون فلما نبغ فيهم شاعر أو خطيب أو حكيم أو كاهن الا بعد دخولهم في القرن الأول قبل الهجرة . ولا يعترض بضياع أخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ فقد حفظوا أخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة فلو نبغ منهم في القرون الاخيرة قبل الاسلام شاعر أو

خوليب لما ضاع ذكره ضياعاً تاماً

« فنبوغ الشعراء والخطباء والحكماء في القرن الاخير قبل الاسلام دفعة واحدة هو ما عبر عنه بالنهضة العربية أو الأدبية علي انها لم تكن تقتصر علي الادب والشعر ولكنها شملت الدين فقد كان هناك نهضة دينية اضطربت فيها الافكار واختلطت الاعتقادات فلم يكن اهل الجاهلية يعرفون لمن يصلون ولا الي من يتوسلون فقد يذبح أحدهم للصنم ويدعو الله وفيهم عبدة الحجارة وعبدة النار وعبدة الاصنام وفيهم الموحدون والمشركون وغير ذلك من أنواع العبادات المتضاربة وظهر في أثناء ذلك الاضطراب من حرم الخمر ورفض الاصنام وأصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة وكان ذلك حديث الناس في مجالسهم فادعي النبوة غير واحد من قبائل مختلفة وهم بعضهم بادعائها مما يدل علي تنبه الاذهان الي أمر الدين والافكار في عواقب الاعمال »

ثم علل المؤلف علة تلك النهضة فقال تحت عنوان (ماهو سبب تلك النهضة) .

« بينا في ماتقدم استعداد العرب العدنانية للنهوض وأهليتهم للتمدن لما فطروا عليه من صفاء الذهن وسرعة الخاطر ولكنهم لم يكونوا يستخدمون تلك القوى لانشغالهم بالغزو وقعودهم عن طلب العلي لبعدهم عن العالم المتمدن . والانسان قلما تظهر قواه الا بالعراك أو الضغط شأن القوى الطبيعية فالفرد لايسعي في طلب العلي غالباً الا اذا عضه الفقر فأحرجه طلب الرزق او نافسه منافس في أمر يبعث الى الاستئثار به

أما الامم فانما يدعوها الى طلب العلي الحروب الخارجية أو الثورات الداخلية والأولي أكثر تأثيراً لما يرافقها غالباً الاختلاط بالامم الاخرى وفي ذلك من الاحتكاك مايدعو الى الاقتباس والمنافسة وفي التاريخ شواهد كثيرة علي ذلك

ومن هذا القبيل ما أصاب العرب في القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة علي اليمن ثم علي الحجاز في أواسط القرن الاول قبل الهجرة لفتح مكة والاستيلاء علي الكعبة وكانت سدانتها يومئذ الي عبد المطلب النبي فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم وأهل مكة لم يتعودوا شيئاً من ذلك لما

للكعبة من المنزلة الرفيعة في أنفس القبائل وغيرهم فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الي الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور ومما يدل علي شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو ما يسمونه عام الفيل ولم يقتصر تأثير ذلك الاحتكاك علي تلك النهضة الادبية أو الدينية ولكنها انتجت رجالاً نبغوا في السياسة والقيادة والادارة وكانوا من أهم العوامل تأثيراً في سرعة نشر الاسلام كما أنتجت الثورة الفرنساوية بونابرت وقواده وسيأتي بيان ذلك

« علي ان عام الفيل لم يكن أول نهضتهم ولكنها بدأت بغزو الحبشة اليمن وتمت بقدومهم الى الحجاز ومهما يكن من السبب فان بلاد العرب كانت قبل الاسلام في نهضة أدبية دينية تمهيداً لقبول الدعوة الاسلامية والقيام بنصرتها ومثل هذه النهضة تتقدم الدعوات الدينية علي الغالب استعداداً لقبولها » انتهي

***

هذا ما كتبه مؤلف كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ومن يطلع عليه يخيل له ان العرب كانوا برمين مما هم فيه من الفرقة والاختباط في شؤونهم الاجتماعية وعقائدهم الدينية فكانوا ينتظرون ظهور من يأخذ بأيديهم الي طريق الكمال فما كادوا يسمعون بظهور محمد صلي الله عليه وسلم حتى مدوا بأيديهم اليه يبايعونه علي الدخول في دينه والائتمار بأمره فكان ما كان من شأن انتشار ملته وظهور دعوته ونهضة العرب علي بكرة أبيهم تلك النهضة التى أدهشت العالم وغيرت وجوه الممالك وهو خطأ كبير لا يجوز لنا اغفال التنبيه اليه خشية أن يجوز علي بعض قصار النظر من القارئين فتصغر في أعينهم وظيفة النبى صلي الله عليه وسلم و ينحط قدره عن اقدار اخوانه النبيين وربما ساغ لمن يعتقد صحة تلك النظرة التاريخية ان يظن برسوله الظنون فنحن دفعاً لمثل هذه النتائج نبادر بدفع تلك الشبهة فنقول :

يقول صاحب تاريخ التمدن الاسلامي :

« العرب علي اختلاف القبائل

والبطون قلما نبغ فيهم شاعر او خطيب او حكيم او كاهن الا بعد دخولهم في القرن الاول قبل الهجرة ولا يعترض بضياع أخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ فقد حفظوا أخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة فلو نبغ منهم في القرون الاخيرة قبل الاسلام شاعر أو خطيب لما ضاع ذكره ضياعا تاما »

نقول : ان هذا القول من الغرابة بمكان فان الأمة التى قامت منها الدول العظيمة كالمعينية والسبأية والحميرية فنبغ فيها الصناع والزراع والمهندسون الذين تمكنوا من بناء سد مأرب والقصور الشاهقة التى وصفناها هنا قبل الاسلام بعدة قرون لايتصور أن لا ينبغ فيها شاعر أو خطيب او حكيم او كاهن الا بعد دخولها في القرن الأول قبل الهجرة

ولا يمكن حمل قوله هذا علي العرب العدنانية فانه ذكر العرب علي الاطلاق بل جاء بما يؤخذ منه صراحة انه يقصد العرب كافة فقد قال : (ان العرب علي اختلاف القبائل والبطون قلما نبغ فيهم شاعر أو خطيب : الخ) راجع ما نقلناه عنه هنا

أما قوله : (ولا يعترض بضياع أخبار من ظهر منهم قبل ذلك التاريخ) فأعجب مما مر فانه قد ثبت أن العرب قد أضاعوا تاريخ دول برمتها منهم كدولة حمورابي ببابل والدولة المعينية باليمن ولا يخفي ان هذه الدول كانت من اعلي الأمم المعاصرة كعبا في المدنية ولا يمكن ان تخلو مثلها من الحكماء والعلماء والخطباء ورجال الحرب والسياسة فأحر بالعرب بعد اضاعتهم تاريخ دولهم أن يضيعوا تاريخ افرادهم

ثم اننا ننبه القراء هنا الي امر جدير بالنظر وهو ان رواة اخبار العرب وايامها انما وجهوا همتهم لحفظ اللغة واستجماع شواردها لا لحفظ تاريخ دولها وما كانوا يذكرونه عن العرب مما يختص بالتاريخ فانما كانوا يتلقفونه من رجال البادية تلقفا و ينقلونه علي سبيل التفكه والاغراب ليس الا ، فلا عجب ان اضاع العرب تاريخ الافراد المعدودين في الجاهلية

ولقد كان رواة اللغة الذين عاشروا العرب انفسهم يعترفون بأن ما ضاع من شعر العرب وحكمتها لايدخل تحت حصر فقد روى يونس بن حبيب عن ابي عمرو

ابن العلاء الراوية المشهور قوله :

« ما انتهي اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاء كم وافراً لجاء كم علم وشعر كثير »

والعلم والشعر لا يكونان الاعن علماء وشعراء فأين هم وما هي أسماؤهم ؟

وقد علل عمر رضي الله عنه هذا الضياع تعليلا معقولا وقد نقل عنه ابن سيرين انه قال كما جاء في المزهر للسيوطي قال :

« كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يأولوا الي ديوان معدود ، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير »

ان قيل أن قول عمر هذا لاينص الا علي ضياع كثير من الشعر وليس فيه ما يشير الى ان ذلك الشعر كان في القرون البعيدة عن عصر الاسلام .قلنا اذا ثبت ان العرب بتشاغلهم بالاسلام أضاعوا ما قرب منهم من الشعر فأحر بهم ان يضيعوا ما قبل ذلك

ثم قال صاحب تاريخ التمدن الاسلامي

« انها أى (هذه النهضة العربية) لم تكن تقتصر علي الأدب والشعر ولكنها شملت الدين فقد كان هناك نهضة دينية الي ان قال : وظهر في اثناء ذلك الاضطراب من حرم الخمر ورفض الاصنام وأصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة وكان ذلك حديث الناس في مجالسهم ، فادعي النبوة غير واحد من قبائل مختلفة وهم بعضهم بادعائها مما يدل علي تنبه الاذهان الى أمر الدين والأفكار في عواقب الاعمال »

نقول اما ادعاء ان العرب قبيل الاسلام كانوا في نهضة دينية فما لم يقل به أحد من الباحثين بل قالوا بضده فقد نقلنا عن المسيو جول لابوم قوله : لم يكن العرب بأكثر من سواهم استعداداً لقبول أى دين جديد

فاذا اغتر مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي ببعض من كره السجود

للاصنام من العرب أو بمن حرم الخمر منهم فذلك كان شاذاً نادراً ولا تخلو أمة من أمم المعمور في أحط أدوارها من أمثاله . فقد وجد في جاهلية اليونانيين والرومانيين وغيرهم مثل ذلك

وليس في تحريم الخمر والزنا وغيرهما من عجب فانهما يعتبران بذاتهما من الآثام عند كل أمة أو قبيلة لديها مسكة من الشعور الانساني . ونحن لا نقول ان من العرب من كان يحرمهما بل نقول ان العرب كافة كانوا يعتقدون حرمتهما ذوقا وشعوراً لسوء أثرهما في حالة المجتمع ، ووخامة عاقبتها على مقترفيهما

أما ادعاء النبوة فلم يحصل في بلاد العرب فيما نعلم وليس لدى المؤلف دليل عليه الا ما كان مما وضعه رواة اللغة على مثل أمية بن أبي الصلت الشاعر وغيره مما لا يتجاوز عدده نصف عدده أصابع الكف الواحدة

ومع ذلك فلو حصل في الامة العربية حتى في أبعد عصور تاريخها فليس بعجيب لأن العرب كانوا في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد مالكين لمملكة بابل باسم دولة حمورابي ومستولين على مصر باسم العرب الرعاة ثم أسسوا الدول المدينية والسبأية والحميرية باليمن واختلطوا قبل الاسلام بعدة قرون بالفرس والرومان وكانوا أهل أديان ولهم أنبياء ورسل وقديسون فلا عجب أن قام مدع يدعي النبوة في تلك العصور التي تبعد عن عصر الاسلام بعدة قرون

ومن التحكم أن يزعم المؤلف في كتاب تاريخ العرب بأن العرب كانوا أسبق الامم الى وضع النظامات الحكومية والشرائع الوضعية مستدلا بدولة حمورابي التي ظهرت قبل المسيح ثم يقرر بأنهم لم ينهضوا نهضة أدبية الا في القرن الأخير قبل الاسلام . فهل يستبعد على الأمة التي تسن شريعة حمورابي الذي زعم الاوربيون ان موسى عليه السلام نسج شريعته على منوالها ، وعلى الأمة التي تؤسس المدنية المعينية باليمن أن يقوم منها رجل يدعوى النبوة قبيل القرن الذي ظهر فيه الاسلام بل قبله بعشرة قرون ؟

ثم أخذ المؤلف بعد ذلك يعلل سبب تلك النهضة فقال .

« الانسان قلما تظهر قواه الا بالعراك أو الضغط شأن القوى الطبيعية . فالفرد

لا يسعى في طلب العلى غالباً الا اذا عضه الفقر فأحرجه الرزق او نافسه منافس في أمر يحبب الى الاستئثار به

« أما الامم فانما يدعوها الى طلب العلى الحروب الخارجية أو الثورات الداخلية والأولى أكثر تأثيراً لما يرافقها من الاختلاط بالامم الاخرى وفي ذلك من الاحتكاك ما يدعو الى الاقتباس والمنافسة وفي التاريخ شواهد كثيرة على ذلك

« ومن هذا القبيل ما أصاب العرب في القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة على اليمن ثم على الحجاز في أواسط القرن الأول قبل الهجرة لفتح مكة والاستيلاء على الكعبة . وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد النبي فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعددهم وأهل مكة لم يتعودوا شيئاً من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في أنفس القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت أذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون منه وهو ما يسمونه عام الفيل . ولم يقتصر تأثير ذلك الاحتكاك على تلك النهضة الادبية أو الدينية ولكنها انتجت رجالا نبغوا في السياسة والقيادة والادارة وكانوا من أهم العوامل تأثيراً في سرعة انتشار الاسلام كما أنتجت الثورة الفرنساوية بونابرت وقواده وسيأتي بيان ذلك »

نقول ان هذا الكلام يشبه التعليلات العلمية للحوادث الانسانية وليس منها في شيء . والمراد منه كما يتضح تعليل فوز النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته من طريق الاسباب الطبيعية لا من طريق التأييد الالهي ، وانا لنعذر صاحب كتاب تاريخ التمدن الاسلامي في تكلفه هذا لأنه لم يكن من المعتقدين بنبوة خاتم النبيين .

ولكننا نرى من واجبنا تفنيد هذه الآراء تفنيداً علمياً تأييداً للدعوة المحمدية وادلالا على انها كانت بتأييد الهي خاص لا بأسباب اجتماعية . ولسنا في حاجة الى التعسف والتخبط في هذا السبيل فالأمر ظاهر لا يحتاج الا الى لفت نظر القارئين للبداهة التاريخية

أصاب المؤلف في دعواه ان العرب

كانوا مستعدين للنهوض لما فطروا عليه من صفاء الذهن . ولكنا نخالفه في قوله (ولكنهم لم يكونوا يستخدمون تلك القوى لانشغالهم بالغزو وقعودهم عن طلب العلي يبعدهم عن العالم المتمدن) نخالفه في هذا القول لأنه لم يكن السبب الوحيد الذى منعهم علي استخدام قواهم فان الذى كان يمنعهم عن ذلك حقيقة هو وجودهم في بلاد قاحلة ، و بيئات ماحلة وهي العوامل الاقتصادية التى لها أكبر الآثار في انهاض الأمم ألا ترى كيف تمكن عرب اليمن من استخدام قواهم العقلية بسبب وجودهم في بلاد خصيبة فأنشأوا الدول القوية والمدنيات الجليلة وقعد سواهم من سكان السهوب الجادبة عن لحاق شأوهم في ذلك فبقوا علي الحالة البدوية واشتغلوا بمقاتلة بعضهم بعضا عشرات من القرون بسبب جدوبة أرضهم ، وطبيعة بيئتهم ومثل هذا شائع في كل امة من امم المعمور والأمثلة عليه لاتعد ولا تحصي وأقرب مثال له الأمة اليونانية فان الساكنين منهم في الجهات الشمالية من بلادهم تمكنوا في قدم عصورهم من انشاء مدنية راقية وجمهورية قوية باسم جمهورية اثينا فنبغ فيهم الفلاسفة والصناع والعلماء و بقي اخوانهم الساكنون في مقاطعة اسبارطا علي حالة وحشية قرونا متطاولة وهم أبناء أب واحد و يتكلمون بلغة واحدة . ولا سبب لذلك الا وجود الأولين في الجهة الثرية التربة ، ووجود الآخرين في البقعة الماحلة ، والسهوب الجدباء

وما صدق عن اليونانيين يصدق علي العرب من هذه الوجهة فلذى منع العرب المدنانية من التضام وتكوين دولة كالدولة المعينية والسبأية مثلا هو جدوبة أرضهم وصعوبة العيش لديهم ، فوقفوا في البداوة ولزمتهم حالاتها من الغزو وشن الغارات والوقوف عن الترقي آماداً طويلة

أما قوله : (والانسان قلما تظهر قواه الا بالعرك والضغط شأن القوى الطبيعية (الخ .) فهو صحيح ولكن أى عراك كان أشد من تعارك القبائل المدنانية وقد غصت الأسفار بذكر أيامهم وحروبهم قرونا متطاولة ؟ ألا كان في ذلك العراك في تلك القرون الطويلة مايكفي لأن يظهر قواهم ، ويستجيش مزاياهم فيرفعهم من حالة البداوة الي حالة الحضارة ؟

نعم كان يكفي بعض ذلك العراك والصراع

لاحداث هذه النتيجة ولكن ماالحيلة و بلادهم لاتصلح مجالا لتلك القوى العقلية والروحية كما صلحت اليمن مجالا لقوى اخوانهم القحطانيين فأخذت بأيديهم الى أرفع منصات المدنية

اما قوله ومن هذا القبيل ماأصاب العرب في القرنين الاخيرين قبل الاسلام من سطو الحبشة علي اليمن ثم علي الحجاز الخ) فهو من اعجب ماقرأناه من التعليلات العمرانية فان سطوة الحبشة علي اليمن لم تكن سبباً لتمدن عرب اليمن لانها جاءت بعد ان انقرضت الدولة المعينية والدولة السبأية وهما أرقي الأمم العربية مدنية بل جاءت والدولة في ادبارها في عهد التبابعة فلم تكن سبباً لنهضة عرب اليمن بل كانت علامة علي انحطاطهم وعدم قدرتهم علي طرد المغير علي بلادهم

وأما قوله : (فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يتهددهم من الخطر وأحسوا بافتقارهم الي الاتحاد لدفع الاجانب عنهم فدفعوا الاحباش وقد تنبهت اذهانهم وأخذت مواهبهم في الظهور الخ) فهو من عجائب التعليل فضلا عن انه يحوى من الخطأ التاريخي مالا يغفر . فقد قلنا ان الاحباش لم يغيروا علي اليمن الاابان انحطاط مدنيته ، وانحلال دولته فلم يشعر العرب بحاجتهم الي الاتحاد بعد غارة الحبشة بل انهم قد أحسوا بتلك الحاجة قبل ذلك بقرون فأنشأوا الدول العظيمة في بلادهم وخارجها . ثم ان عرب اليمن لم يطردوا الاحباش من بلادهم الا بمساعدة الفرس فقد استنصر ذى يزن بكسرى فأمده بجيش فتمكنت اليمن من طرد الاحباش ولكنها وقعت تحت سيطرة الفرس حتى أن المسلمين لما افتحوها أسلم عاملها الفارسي الذى كان معيناً عليها من قبل يزدجرد شاه الفرس

ومن أعجب العجائب ان صاحب تاريخ التمدن الاسلامي جعل الغارة الحبشية علي الكعبة فاتحة النهضة العربية التى هيأت ظهور الاسلام وأنتجت أقطاب السياسة والقيادة والادارة الذين ساعدوا النبى صلي الله عليه وسلم علي نشر دعوته كما أنتجت الثورة الفرنسية بونابرت وقواده

نعم اننا نعد هذا التعليل من أعجب العجائب فان غارة الحبشة علي الكعبة كان يجب أن تزيدهم اعتقاداً بأن للبيت رباً

بحميه دونهم، وانه في غنى عن الجيوش الجرارة والمقاتلة لان أبرهة لم يكد يصل الي مكة بقضه وقضيضه حتى أصاب جيشه حادث جلل اضطره للنكوص علي عقبيه ولم يرتكب مما تصدى له شيئاً . وقد علل العرب هذا الحادث تعليلات تتفق مع معتقداتهم الدينية حتى ان صاحب تاريخ التمدن الاسلامي قال في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام مانصه :

« وأما ابرهة فحدث في معسكره اضطراب واصيبوا بالوباء والعرب يقولون ان طيراً خرجت من البحر يقال لها ابابيل رمتهم بالحجارة فلم يصب احد بحجر الا هلك فتراجعوا عن مكة وزادت الكعبة بذلك كرامة وتقديساً »

نقول : ان قوماً يعتقدون ان لبيتهم الحرام قدرة سماوية لرد كل مغير عليهم وعليه ، لجديرون بأن يخلدوا الي السكينة مطمأنين وان يبقوا علي ماهم عليه لاهين ساهين . لا أن يتنبهوا للاتحاد لرد كل عادية ، ومقابلة كل مغير

نعم لو كانت غارة ابرهة قامت بما تصدت له فهدمت البيت الحرام، وطعنت قلوب العرب حوله بهذا العمل الخطير ، لكان لنا ان نقول ان هذا الحادث الجلل يكفي لأن يشعر من اصيبوا به بعاطفة الاتحاد و الالتئام لحماية الذمار، والذياد عن الديار، ولكنها لم تفشل بسبب عادى في نظرهم بل حماها الله بطير أبابيل رجمتهم بالاحجار فهلكوا فما أحرى ان يكون هذا الاعتقاد سبب قعودهم ، وعلة أخلادهم الي ماهم فيه

أما قوله ان شدة تأثير هذه الغارة جعلتهم يؤخون منها . فنوافقه علي ذلك التأثير ولكننا نخالفه في أثره . فهو تأثير مثبط كما ذكرنا . لا أنه باعث لاية حركة اجتماعية او انقلاب خطير

ولو كانت هذه الغارة باعثاً علي شيء لكنا سمعنا عنهم انهم بعد هذه الغارة جمعوا كبارهم ومشيختهم في دار الندوة واخذوا يتناجون في وجوه الدفاع عن حوزتهم ان طاف بخيال فاتح ان يغير عليهم أو لو كر ابرهة راجعاً اليهم

لم يحدث شيء من ذلك البتة ولو حدث لسمعنا به لقرب عهده بالبعثة المحمدية ولتعلق تاريخ الكعبة بتاريخ المناسك الاسلامية

أما قوله ان تلك النهضة انتجت رجالا نبغوا في السياسة والقيادة والادارة وكانوا من أهم العوامل تأثيراً في نشر الاسلام فمن أشد الأقوال بعداً عن الصواب

فقوله (السياسة) لاندرى ماأراد بهذه الكلمة . أأراد معناها العلمي أم معناها العرفي ؟ ان معناها العلمي ممتنع علي العرب لبعدهم عن مصادر أحط العلوم الكونية فضلا عن الاجتماعية . وأما العرفي فلا نعرف ان قوما يخلون من أهل البصر بالأمور في عصر من عصورهم فأى مرجح يرجح كثرة نبوغ السياسيين العرب في العصر الذى سبق عصر البعثة المحمدية وأين كان أولئك السياسيون حين كان القرشيون يردون دعوة النبى صلي الله عليه وسلم ويقاتلونه عليها بالسلاح ولم تك الا في مصلحتهم من كل وجه ؟ بل أين كان اولئك السياسيون وقد اضطروا النبى الي الهجرة الي المدينة واتخاذ انصاره منها ثم عودته الي الحرم فاتحا ولم يدخله فاتح قبله ؟

أما القيادة فقد كانت الوصف المميز للعرب من أول وجودهم لأنهم كانوا اكثر الامم حروباً ، وأشدها لأساليبها مراساً

وأما الادارة فهي تابعة للقيادة ولكنها كانت ادارة بدوية ثورية تناسب حالة العرب الساذجة . اما الادارة التى نتجت بعد دعوة النبى صلي الله عليه وسلم فكانت أثر الآداب الاسلامية لمخالفتها لما فطر عليه العرب من الخشونة وتحكيم القوة

أما قوله (كما أنتجت الثورة الفرنسية نابليون) فنرده بأنه لو كان كتب للعرب أن ينبغ منهم مثل نابليون لكان يجب ان يكون ذلك حين اشتعال بلادهم بنيران الحروب الداخلية . لا من جراء الغارة الحبشة علي الكعبة تلك الغارة الخائبة

أما قوله : (فان بلاد العرب كانت قبل الاسلام في نهضة أدبية دينية تمهيداً لقبول الدعوة الاسلامية والقيام بنصرتها) فهو قول بعيد عن الصواب بعد الباطل عن الحق . ولا نقول ان هذا القول قد دعا اليه ميل المؤلف لابطال النبوة المحمدية وتقليل خطورتها ، ولكنا نقول انه أخطأ في تعليله كما أخطأ في تعليلات كثيرة من كتابه ذلك

واننا نرد هذه الشبهة بقولنا ان العرب لم يكونوا قبل البعثة علي حالة تمهيدية لقبول الدعوة الاسلامية بدليل انهم نفروا منها غاية النفور وصارحوا الداعي

اليها بالعداوة ثلاث عشرة سنة حتى اضطروا العدد القليل الذى آمن معه الى الهجرة الى بلاد الحبشة فآثروا ان يتحملوا نير هذه الامة المتوحشة علي الصبر علي اضطهاد اخوانهم لهم

فلو كان ما يقوله مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي من ان العرب كانوا ينتظرون دعوة داع ليهبوا لنصرته صحيحا لما عارضوا دعوة رسولهم وهو من اعلي بيت فيهم ، هذه المعارضة العنيفة البالغة حد الوحشية

ثم لو كان العرب قد تأثروا من غزوة أبرهة ومالوا للانضمام والالتئام لرد العوادى عنهم كما يقول المؤلف المذكور . لكانت قريش أولي القبائل بذلك لان الاحباش انما قصدوا البيت الذى هي صاحبة السدانة عليه ، واليه ينتهي مجدها بين العرب ، وزعامتها علي القبائل . وانت ترى ان قريشاً ظلت معارضة لدعوة النبى صلي الله عليه وسلم حتى اخذها السيف وعضتها الحرب بأنيابها فخضعت مقهورة . وكان الذين قاموا بنصرته هم الأوس والخزرج من العرب القحطانية الذين لم يتأثروا بغارة الأحباش اذ كانوا بيثرب (المدينة) وهي بعيدة عن مكة بنحو اثنى عشر يوما والمعهود في الامم التى يكون قد حدث فيها تمهيد لقبول دعوة الدعاة ان تهب لنصرتهم عند أول اشارة من الداعي اليها كما حدث الوتر عند دعوته للبروتستانتية اذ لباه امراء الالمان وغيرهم ممن كانوا متأثرين من ثقل نير البابوية . وكما حدث لنابليون اذ لباه الفرنسيون لكراهتهم لحكومة لويز فيليب . والأمثلة علي هذه الظاهرة الاجتماعية لا تحصي

ثبت من هذا البيان ان العرب لم يكونوا علي شيء من الاستعداد لقبول دعوة النبي صلي الله عليه وسلم وثبت تبعاً لذلك ان نجاحه في دعوته كان بتأييد الهي ، وعون سماوى ، وهو ما أردنا التدليل عليه هنا والسلام

﴿ لغة عرب ﴾

لغة العرب من أرقى اللغات الانسانية ، وأكثرها انتشاراً بين الاسرة البشرية وهي احدى اللغات السامية أى التى كان يتكلمها بنو سام . وتلك اللغات هي العربية والسريانية والعبرية والفنيقية والآشورية والبابلية والحبشية ولا يعلم للآن أى هذه اللغات أصل لسائرها ،

والمرجح أنهن مشتقات جميعا من لغة أصلية انقرضت من عهد بعيد جداً

كانت اللغة العربية لهجات عديدة تختلف باختلاف القبائل والبطون كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وغيرها وقد كانت هذه اللهجات يتباعد بعضها عن بعض بنسبة اختلاط أهلها بالاجانب . ولذلك طرأ عليها من الالفاظ الاعجمية عدد كبير شأن كل لغة يختلط أهلها في معاملتهم مع أمم أخرى

فقد دخل في العربية ألفاظ فارسية ويونانية وحبشية وعبرية فتهذبت اللغة العربية بالاحتكاك بهذه اللغات وكانت أرقاها جميعا لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم . لأن القبائل كانت تتوارد الى مكة في موسم الحج وكان القرشيون يخالطون بها فيأخذون من لغاتهم ما رق وسهل ، ويتركون ما خشن وصعب ، فأصبحت لغتهم من أعذب اللهجات العربية ألفاظا وأشملها لجميع المعاني والتصورات

(أدوار تهذب اللغة العربية)

اللغات في أصل وضعها لا تكون كاملة من جميع الوجوه فلا بد لها من أدوار تدخل فيها فتتهذب وتصقل فتخرج منها أشمل لجميع الحاجات التعبيرية علي نسبة ترقي الامة التى تتكلمها . وقد طرأ علي اللغة العربية ثلاثة أدوار من التهذيب سنأتي عليها تفصيلا في هذا الباب ولكننا قبل أن نوردها نعطي القارىء خلاصة ما نقله العلماء عن اختلاف العرب ليتبين مبلغ تهذب لغة قريش ورقيها علي جميع تلك اللهجات

من اللهجات العربية لهجة ربيعة ومضر وقد كانوا يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فيقولون قابلتكش في قابلتك . وقد كان قسم منهم يحذف الكاف ويكتفي بالشين فيقول قابلتش في قابلتك

وكانوا يجعلون بعد الكاف أو مكانها في خطاب المذكر سينا فيقولون قابلتكس وقابلتس في قابلتك

وكان أهل اليمن يجعلون الكاف شينا حيثما وجدت فيقولون عليش به في عليك به

وكانت تميم وقيس يبدلون الهمزة من أول الكلمات عينا فيقولون عنك في أنك وعرنب في أرنب وهلم جرا

وكانت هذيل تبدل الحاء في الكلمات بعين فيقولون في (الحلم حلي كل حلاحل) مثلا (العلم علي كل علاعل) وهلم جرا

وكانت قضاعة تجعل الياء المشددة جيما فتقول في مصرى مصريج ، وفي لغوى لغويج

وكان أهل اليمن يجعلون مكان السين تاء في الالفاظ فيقولون الفرت بدل الفرس

وكانت ربيعة تكسر كاف الخطاب في الجمع فيقولون وطئكِم في وطئكم

وكانت سعد وهذيل والأزد وغيرهم يجعلون العين الساكنة نونا اذا جاورت الراء فيقولون في اعرابي انرابي

وكانت طيء تقطع اللفظ قبل تمامه فتقول جاء الحكا بدل جاء الحكام

وكان عرب الشحر يحذفون بعض الحروف اللينة فيقولون (مشا الله) في ماشاء الله

وكانت حمير يبدلون لام التعريف ميما فيقولون في السلام عليكم (امسلام عليكم)

وكان منهم من يبدل الميم باء والباء ميما فيقولون في بلد (ملد) وفي طبرية (طمرية)

وكان منهم من يبدل تاء الجمع هاء اذا وقفوا عليها فيقولون البناه في البنات

ومنهم من كان يقلب الياء الفا بعد ابدال الكسرة التى قبلها فتحة من كل ماض ثلاثي مكسور العين فيقولون في رضي (رضا)

ومنهم من كان يبدل الهمزة في بعض المواطن هاء فيقول (هن اجتهدت سدت) بدل إن اجتهدت سدت

ومنهم من كان يقول (مبيوع) بدل مبيع وما ماثله

ومنهم من كانوا يقلبون الالف في الوقف ياء فيقولون (النوى) في النوى و (الهدى) في الهدى

ومنهم من كان يقلبها همزة فيقول (النوأ والهدأ)

ومنهم من كان يقول (اولالك) في أولئك

ومنهم من كانوا يحذفون نون اللذين واللتين في حالة الرفع فيقولون (اللذا واللتا) بدل اللذان واللتان

ومنهم من كان يشددها فيقولون (اللذانّ واللتانّ) ومنهم من كان يقول في الذى (ذو) وفي التى (ذات) ولا

يغيرونها في أحوال الاعراب

ومنهم من كان يقف على الاسم المنون بالسكون في كل احوال الاعراب فيقول (اكلت تفاح)

ومنهم من كان يبدل التنوين في الوقف من جنس حركة آخر الكلمة فيقول (جاء محمدو ومررت بمحمدى)

ومنهم من كانوا يضعفون الحرف الأخير من الكلمة في حال الوقف فيقولون (جاء محمّد)

ومنهم من كانوا يقلبون الياء بعد الفتحة الفا فيقولون (لباك) في لبيك ، و (علاك) في عليك

ومنهم من كانوا يبدلون الحاء هاء فيقولون (لاتفره) في لاتفرح ، و (الارجه) في الارجح

ومنهم من كانوا يكسرون اول ما يجيء على وزن فعيل وفعيل اذا كان ثانيهما حرفا من حروف الحلق فيقولون في سخيف ونحيب (سِخيف ونِحيب) وفي فيهم (فِيهِم)

ومنهم من كان يكسر لام الجر مطلقاً مع الظاهر والضمير فيقولون : الفضل لِلّه ولِه

ومنهم من كان يضم هاء الغائب مطلقاً اذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو : اليهُ وعليهُ

ومنهم من كان يضم هاء التنبيه فيقول (يا ايهُ الرجل)

ومنهم من كان يسكن ضمير النصب المتصل كقول شاعرهم :

واشرب الماء ما بي نحوه عطش
الا لأن عيونهْ سال واديها

ومنهم من كان يبدل أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء كقولهم الثعالي في الثعالب ، والضفادى في الضفادع

وكان بعضهم يقلب بعض الحروف ياء كقولهم في سادس سادى وفي خامس خامي

ومنهم من كان يجعل الكاف جيما فيقول (الجعبة) بدل الكعبة

وبعضهم ينطق بالتاء طاء كقولهم (أفلطنى) في أفلتنى

وبعضهم كان يقول لأنّى في لعلني

وبعضهم يقول تلعزم في تلعثم . وبعضهم كان يقول هو وهي في هو وهي

وبعضهم يقول في نَعم نَعيم ونِعيم ونِحم

وبعضهم يبدل هاء التأنيث تاءاً في

الوقف فيقول هذه أمت . وسمع بعضهم يقول : يا أهل سورة البقرت . فأجابه مجيب بقوله : ما أحفظ منها آيت

وبعضهم يقول علاً يعني عليا وبعضهم يقول عليه وعليه بالامالة.

ومنهم من كانوا يشربون الشين المجزومة صوت الجيم فتنطق كحرف J الفرنجية

ومنهم من كانوا ينطقون الصاد متى كانت ساكنة زايا مفخمة غير خالصة فيقولون مصدر مزدر

وقد يضارعون بالصاد ايضا منطق الزاى اذا كانت الصاد متحركة فيقولون في صدق زدق . وربما ضارعوا بها وهي متحركة وبعيدة عن الدال نحو (الزراط) في الصراط

ومنهم من كانوا يضارعون الشين بالزاى اذا كان بعدها دال فيقولون (ازدق) في أشدق

وكان منهم من ينحي بالألف نحو الواو فينطقونها كحرف O الفرنجية كقولهم (الصلوة) في الصلاة و (الزكوة) في الزكاة . وقد كتبت هاتين الكلمتين في المصاحف على هذه اللغة

وكان منهم من ينطق لفظة (كافر) مثل جافر وهو حرف بين الجيم والكاف

ومنهم من كان ينطق الجيم كالكاف فيقول في رجل وجمل (ركل وكمل)

ومنهم من كان يقول في مثل اجتمعوا اشتمعوا وفي مثل أجدر (أشدر)

ومنهم من كان يقول في مثل اجتمعوا (اجدمعوا) بالدال

ومنهم من كان ينطق القاف كالكاف فيقول (الكوم) بدل القوم وهي لغة بعض الناس من اليوم في مصر

وقد قال الشاعر بهذه اللغة :

ولا اكول لكدر القوم قد نضجت
ولا اكول لباب الدار مكفول

ومراده أن يقول

ولا اقول لقدر القوم قد نضجت
ولا أقول لباب الدار مقفول

ومنهم من كان يقرب الصاد من السين فيقول في مثل صلب (سلب)

ومنهم من كان يعكس فيقول في سالم (صالم)

ومنهم من كانوا ينطقون بالطاء تاءمع تفخيم قليل فيقولون في سلطان (سلتان)

ومنهم من كانوا ينطقون الباء في

بعض الكلمات كحرف P الفرنجية. ومنهم من ينطقها كحرف V

ومنهم من كانوايشمون الياء صوت الواو فتخرج كحرف U الفرنسية في نحو (بيع وقيل)

ومنهم من كان ينطق الواو في نحو (مذعور) كحرف U الفرنسية

وقد استوعب اكثر هذه اللغات العلامة اللغوى مصطفى افندى صادق الرافعي في كتابه الجليل آداب العرب وقد نقلنا هذه الكلمات عنه

﴿ التهذيب الاول للغة ﴾

دخلت هذه اللغة في أدوار ثلاثة من التهذيب أوله يرجع الي عهد اسماعيل عليه السلام وكان المسلمون الاولون يعتبرون لهجات العرب ثلاثا القحطانية والحميرية والعربية الخالصة التى نزل بها القرآن الكريم وكانوا يعتقدون ان هذه العربية الخالصة وحي الهي أوحاها الله الي اسماعيل ولكن ذهب بعض الناظرين منهم الى انها ليست بوحي وانما اصطلح عليها اصطلاحا بين اسماعيل وجرهم بمكة وهو الصواب عندنا . فان اسماعيل عليه السلام كان يتكلم العبرية وهي اخت العربية

وكانت العبرية أوسع صدرا من العربية اذذاك فلما اضطر اسماعيل الي معاشرة العرب حدث اختلاط بين اللغتين فترقت العربية الي درجتها فكان في هذا الترقي تهذيب لها

﴿ التهذيب الثاني للعربية ﴾

يرجع دور هذا التهذيب الثاني للعربية الى عهد تشعب القبائل العدنانية من ذرية اسماعيل عليه السلام . فان هذه القبائل لما ضاقت بها ضواحي مكة تباعدت بحكم الطبيعة لطلب العيش فكثرت علاقاتها ، واتسعت دائرة معاملاتها وطاوعتهم اللغة بما فطرت عليه من قبولها للترقي ، وصلاحيتها للاتساع لحدثت فيها ألفاظ لم تكن فيها ، وتراكيب لم تكن تتسع لها فكان هذا هو الدور الثاني للتهذيب اللغوى

﴿ التهذيب الثالث للغة ﴾

اختصت قريش بتهذيب اللغة في دورها الثالث . فانها لما كانت قائمة علي سدانة الكعبة ، كانت مثابة لقبائل العربية كافة ، يقصدون مدينتها من أطراف بلادهم فكانوا يجتمعون في موسم الحج ويتعارفون ويتعاملون وكانت قريش تقوم فيهم مقام المضيف من ضيفانه فتسمع من لهجاتهم وطرائق تعبيراتهم ، مالم يتسن لقبيلة

سواها ، فكانت تأخذ مارق من جمهور تلك اللهجات ، وترفض ماخشن منها فترقت لغتها بما دخل عليها من منتخل الالفاظ ، ومنتخب التعبيرات

ثم انها كانت ترحل الي الشام واليمن وفارس والحبشة للاتجار وكان في ذلك من الاختلاط بأهل المدنية مايسمح لها بتحسين منطقها ودوام التهذيب لاسلوبها فيه فتم لها من تهذيب العربية مالم يتم لسواها

ومن العوامل التى أثرت في تهذيب اللغة في هذا الدور الاسواق التى كانت تقيمها العرب للتعامل والتفاخر وتناشد الاشعار كما كان يحصل في سوق عكاظ وهو أشهرها

أسست هذه السوق حوالي سنة ٥٤٩ ميلاية ونهبت سنة ١٢٥ من الهجرة نهبها الخوارج الحرورية تحت قيادة المختار بن عوف الذى ثار للمطالبة بدم الحسين بن علي عليه السلام

وعكاظ هذه هي واد بين نخلة والطائف كانت تؤمه القبائل كلها حين توجههم الى الحج فكانو يتعاملون فيه ويتناشدون الاشعار علي ملأ الناس .

فكان يقوم فيها الخطيب فيخلب الاسماع، ثم يتلوه الشاعر فيستهوى القلوب . فكانت لاتنبغ كلمة ، ولا يزهر تعبير ، ولا يجود لفظ ، في جميع انحاء البلاد العربية الا اعلن في هذه السوق فيلقفه الناس ويتناقلونه

وكانت قريش اجمع لذلك كله فبلغت لهجتها ذروة من الاتقان، استأهلت معه أن ينزل بها القرآن . فكانت حصتها من التهذيب الثالث للغة اوفر حصة فنسب اليها كما رأيت

﴿ كيف اتسعت اللغة العربية ؟ ﴾

اللغة وسيلة التعامل . وآلة التفاهم فكلما اتسعت دائرة التعامل ومست الحاجة الي زيادة التفاهم ، اضطرت الحاجة اهلها الى تكميل تلك الوسيلة وترقية تلك الآلة حتى تفي بتلك الحاجة والا وقفت حركة الحياة أو جمدت حيث هي وليس ذلك بالأمر السهل علي أمة أو قبيلة برمتها

هذا هو الطريق الذى تمشت عليه كل لغة حية في العالم ، فما هي السبل التى اتبعها العرب في توسيع دائرة لغتهم وجعلها صالحة لشمول جميع حاجاتهم من التفاهم الذى قضي به عليهم العمران ؟

كان أول تلك السبل (الارتجال)

وهو وضع الفاظ جديدة للدلالة علي المعاني الطارئة المراد التعبير عنها ، فكان العرب يضعون لكل معنى جديد لفظاً جديداً يدل عليه وقد ثبت عن العجاج ورؤبة ابنه الراجزين المشهورين أنهما كانا ممن يضعون الالفاظ الجديدة وكان الناس يأخذونها عنهما و يستعملونها في لهجتهم وقد سبقهما غيرهما ممن لا يحفظ التاريخ أسماءهم كما لايحفظ أسماء اول من اصطلح علي الالفاظ الاولى من العربية

وكانت ثانية تلك السبل (الاشتقاق) وهو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتقارب في اللفظ . أو يقال انه تحويل اللفظ الواحد الي صيغ مختلفة ليدل علي مالم يستدل عليه باللفظ الاصلي . مثاله كلمة (شرب) تتحول بالاشتقاق الي شرب يشرب وشراب ومشربة وهلم جرا . وهذا التحول او الاشتقاق انما يلحق الأصول الدالة علي الافعال لانها هي التى تتغير وتتحيل بتأثير العوارض عليها . فالشرب يختلف باختلاف زمن حدوثه

أما الاصول الدالة علي المواد والاعيان وهي ماتسمي بالاسماء الجامدة فلا تطرأ عليها هذه العوارض ولذلك لا يمكن الاشتقاق منها كأرض واسد و بيت .

ومع هذا فقد سمع من العرب ما يدل علي انهم اشتقوا منها فقالوا استنوق الجمل اشتقوه من ناقة وهي اسم جامد وسافه أى ضربه بالسيف اشتقوه من السيف وهو جامد

ثالثة السبل في توسيع اللغة(القلب) و يسمي بالاشتقاق الكبير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل (جبذ) اشتقوه من الجذب لا من الجبذ ولكن الحروف في كلتا الكلمتين واحدة ولم يختلف منها الا الترتيب والمعنى في كليهما متناسب

وقد كان العرب يجعلون الكلمة الاكثر شيوعا أصلا يشتقون منه

ومن أمثلة الابدال كلمة (أوشاب) أى اخلاط الناس أصلها من (الشوب) وهو الخلط . يقال شاب العسل بالسمن أى خلطه به . فقدموا الواو علي الشين فقالوا (وشب) ثم جمعوها فصارت أوشاب . ثم قلبوا (شوب) أيضاً فجعلوها (وبش) وجمعوها فصارت أوباش ومعناها اخلاط الناس ايضاً . وقالوا منها

(او بشت الارض) أنبتت واختلط نباتها . ثم قالوا (بوش) وهو مقلوب ما تقدم وجعلوا معناها القوم المختلطين من قبائل شتى . و (البوش) أيضاً أطلقوه علي طعام مختلط من حنطة وعدس . واشتقوا من هذا قولهم (تركناهم هوشا بوشا) أى مختلطين . و (بوشوا تبويشا) أى اختلطوا وهاجروا

بهذه السبيل تمكن العرب من توسيع دائرة لغتهم توسيعاً مناسباً لحاجتهم

رابعة السبل (الابدال) ويسمي الاشتقاق الأكبر وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المعنى والمخرج نحو نعق ونهق ومعناهما متقارب اذ يدلان علي الصوت المكروه والمستبشع وليس بينهما تناسب في اللفظ

يصعب علي الباحث أن يعرف أى هذين اللفظين أصلا للآخر

من امثلة الابدال قولهم نضخ وفدغ وفدخ وفضخ وأدحن ونأم وثاب وحمهم وحمحم وغمغم وطنطن ودندن

كل هذه الامثلة من الإبدال فيها بين بعض حروف المبدل والمبدل منه تناسب المخرج ولكن من علماء اللغة من رأى ان العرب تصرفت في الابدال غير مقيدة بتناسب المخارج كأخذهم صريف الباب والقلم من صرير البكرة ولا تناسب بين الفاء والراء كما ترى . واشتقوا الخرب وهو كل ثقب مستدير والخرت وهو ثقب الاذن من الخرق ولا تناسب كما ترى بين القاف والباء والتاء . وأخذوا هديل الحمام من هدير البعير. ولا تناسب بين اللام والراء

وقد توسعوا فأبدلوا الحرف الثاني من الفعل المضاعف بحرف آخر نحو أخذهم كدح من كد . ورصف من رص . ورجف من رج . وضمد من ضم . وردع من رد

وأبدلوا أيضاً الف الفعل الناقص حرفاً آخر نحو رسا ورسب وسما سمق . وزجا زجر . وهذى وهذر . ومحا ومحق . واحتفي واحتفل

وحولوا المضاعف الي ناقص نحو : رب وربا . وطم وطا . وتمطط وتمطي تظنن وتظني

وحولوا المضاعف أيضاً الي أجوف نحو : كع عن لقاء العدو وكاع أى نكص عنه

خامسة السبل التى اتبعها العرب في توسيع لغتهم (النحت) وهو نوع من أنواع الاشتقاق

والنحت هو أن تعمد الي كلمتين أو جملة كلمات فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة واحدة تدل علي ما كانت تدل عليه الجملة كلها . ولما كان هذا النزع يشبه النحت من الخشب أو الاحجار سمي نحتاً وهو في حقيقته من نوع الاشتقاق وان لم يكنه بالفعل

النحت أربعة أقسام : فعلي ووصفي واسمي ونسبي

فالفعلي ان تنحت من الجملة فعلا يدل علي النطق بها أو علي حدوث مضمونها كقولهم : (بأبأ) الصبي اذا قال له قائل بأبي أنت والهمزة الأخيرة في اللفظ بأبأ منحوتة من (انت) . ومثله (حمدل) أى قال الحمد لله و (حوقل) أى قال لاحول ولاقوة الا بالله (وسمعل) أى قال السلام عليكم ، و (فذلك العدد) أى قال ان ذلك العدد بلغ كذا ، و (لاشاه) أى جعله لاشيء

والنحت الوصفي أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل علي صفة بمعناها أو بأشد منه مثاله : (ضبطر) صفة الرجل الشديد منحوت من (ضبط وضبر) وفي ضبر معنى الشدة والصلابة ، يقال جمل مضبور أى مكتنز اللحم ومثله (الصلدم) منحوت من الصلد والصدم

والنحت الاسمي أن تنحت من كلمتين اسما مثل جلمود من (جلد وجمد)

والنحت النسبي أن تنسب شيئاً أو شخصاً الي بلد أو شخص مثل قولهم للمنسوب لطبرستان وخوارزم (طبرخزى) أى هو منسوب الى المدينتين كليهما ومثل قولهم للمنسوب الى أبي حنيفة والشافعي (شفعنتى) وللمنسوب الي أبي حنيفة والمعتزلة (حنفلتى)

سادسة تلك السبل (التعريب) وهو تحويل كلمة أعجمية الى عربية وقد جرى العرب في هذا السبيل شوطا بعيداً فعربوا كثيراً من الكلمات الحبشية واليونانية والفارسية والهندية وغيرها وفي القرآن الكريم نفسه من تلك الكلمات المعربة كثير فنيه من الفارسية أباريق وسجيل واستبرق ومن الرومية قسطاس وصراط وشيطان . ومن الحبشية أرائك وجبت ودرى وكفلين . ومن السريانية

سرادق وبم وطور وربانيون ومن الزنجية حصب وسرى ومن العبرانية فوم ومن التركية القديمة غساق ومن الهندية مشكاة ومن القبطية هيت لك وقد عدها السيوطي فبلغت نحو مائة كلمة

أما مايوجد في اللغة العربية كلها من الكلمات المعربة فلا يحصي كثرة فمن أسماء الحيوانات المعربة جاموس وسمرمر وبط وباشق وبرذون وهملاج وحرباء وبختى وسوذنيق

ومن المعربات النباتية باذنجان ولوبياء وتوت وخوخ وخيار وكمثرى وأجاص وأترج وأرز ونارنج وليمون وبندق وقصطل واستان ونارجيل وفلفل وجوز ولوز

ومن المعربات العقارية: قرفة وأهليلج وكرويا وقرمز

ومن المعربات الطعامية: كشك ونشا وسميذ وسكر وقند وكباب وجردق

ومن المعربات العطرية: مسك وعنبر وصندل

ومن المعربات اللباسية: قميص وسراويل وتكة وطيلسان

ومن المعربات المعدنية: توتياء ورصاص وزئبق وبورق

ومن المعربات الجوهرية: جوهر وألماس وبهرجان وزمرذ وياقوت

ومن المعربات الآلية: اسطرلاب وطرجهارة (هي آلة مائية وزيج وبركار ومنجنيق وموسيقي وقانون وناي وطست وطبق وقصعة ودورق وكوز وفنجان

ومن المعربات العلمية: أستاذ وجهبذ وتلميذ وكيمياء وهيولي وفلسفة وسفسطة وطلسم وتاريخ، وقد عدكثيراً منها الاستاذ المغربي في (الاشتقاق والتعريب)

(كيف دخل اللحن الى العربية)

لم يكن قبل الاسلام لحن وأول حدوثه كان علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم حين اجتمع العرب كلهم علي الاسلام فاختلط الناس بعضهم ببعض وفيهم الفارسي والزنجي والحبشي

ولقد كان الاعراب سجية في العرب تجرى به ألسنتهم بغير تكلف ولا روية وان كان بعض النحاة زعم ان العرب كانوا يترددون في كلامهم فيعطون كل كلمة حقها من الاعراب، وهو خطأ لان مثل هذا التكليف يقتضي أن يكون قد سبقه تعليم ولم يرو عن العرب انهم كانوا يتخذون لمثل هذا الأمر أقل حيطة

ثم لما فتحت مصر والشام وفارس واختلط العرب بأهل هذه البلاد فشا اللحن فيهم فكانوا يهجنون من يقع فيه. روى ان عمر أمير المؤمنين مر بقوم يرمون السهام فاستقبح رميهم فقال ما أسوأ رميكم فقالوا نحن قوم (متعلمين) فقال عمر لحنكم أشد علي من فساد رميكم

وروى ان كاتباً لابي موسي الاشعري كتب الي عمر فلحن فكتب عمر الي أبي موسي: عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا

ولكن لما نشأ الجيل الثاني انتشر اللحن انتشاراً مريعاً وصار لا يستطاع تجنبه لكثرة شيوعه وجريانه علي الألسنة

فأخذ أهل البيوتات الرفيعة يؤاخذون أبناءهم علي اللحن، حتى روى ان ابن عمر كان يضرب بنيه علي اللحن

وروى ان الخطيب المصقع خالد بن صفوان (المتوفي في أوائل القرن الثاني) كان يحدث بلال ابن أبي بردة فيلحن، فقال له بلال يوما: أتحدثني احاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت: فكان خالد بعد ذلك يذهب الي المسجد فيلتقي النحو علي معلميه

قال الجاحظ: أول لحن سمع بالبادية قول بعضهم: (هذه عصاتي) وكان الصواب أن يقول (هذه عصاى)

وقال ان أول لحن سمع بالعراق. (حي علي الفلاح) بكسر الياء وصوابه بالفتح

وكان اللحن في الدولة الاموية يعتبر من مسقطات الكرامة، روى انه استأذن رجل من وجهاء أهل الشام علي عبد الملك بن مروان وبين يديه قوم يلعبون بالشطرنج فقال ياغلام غطها، فلما دخل الرجل وتكلم لحن، فقال عبد الملك: ياغلام اكشف عنها الغطاء ليس للاحن حرمة

وكان من شدة استهجان خلفاء بني أمية للحن انهم كانوا يرسلون أولادهم الي البادية لينشأوا علي الاعراب

ولما وليت الأسرة العباسية الخلافة كان اللحن قد بلغ أشده فلم يستطع الناس ان يتحاموه الا بالتكلف

أما البادية فكان تأثرها باللحن بطيئاً حتى قيل انها بقيت علي عربيتها الخالصة الي آخر القرن الرابع. ثم أخذت ألسنتهم تضطرب بعد ذلك حتى صار بعضهم ينبه بعضاً الي الصواب

من أضر ما أحدثه اللحن في الامة الاسلامية اختلاف لهجات شعوبها فتكونت اللغات العامية على خلاف شديد بينها فأصبحت عامية العراق غير عامية مصر وهما غير عامية الشام وهلم جرا فلم تعد العربية رابطة لغوية قوية ، اللهم الا فيما بين الخاصة الذين يكتبون اللغة الفصحي وهم في المسلمين عدد محصور

وبما انه لاسبيل لتوحيد هذه اللغات العامية فالأولي الرجوع الى اللغة العربية الفصحي بنشر التعليم وتعميمه بين جميع الطبقات ولكننا نستبعد ان يكون من الممكن التكلم بالاعراب لما في ذلك من التكلف الشديد ولكن ترك الاعراب في الكلام لا يضر مادام المتكلمون يحرصون على الكلمات العربية ولكن لاسبيل في نظرنا لا بدال الالفاظ الجديدة كالتلفون والتلغراف والبسكليت بألفاظ عربية فان ذلك فوق الوسع وهو مع ذلك مخالف للسنن التي قامت عليها اللغات . فالاولي تعريبها أي تركها على ماهي عليه بعد صقلها صقلة عربية بحيث تتفق مع منحي اللسان العربي

كل هذا لا يمكن حدوثه الا بوجود جماعات لغوية تقوم على صيانة اللغة . وتهذيبها وتعريب مايجب تعريبه من الالفاظ الاعجمية ونشر ذلك بين الناس ليعتمده في كلامهم وكتاباتهم

(العرب وبلادهم في العصر الحاضر)

تنقسم بلاد العرب في العصر الحاضر الي ستة اقسام من الوجهة الادارية وهي : الحجاز واليمن ويتبعها عسير وحضرموت وعمان والبحرين ونجد ويتبعها الحسا

فالحجاز اقليم مستطيل يحده البحر الاحمر غربا ، والبادية الكبرى شرقا ، وبلاد عسير جنوبا ، وبادية بلاد الشام شمالا . طوله من الشمال الى الجنوب يبلغ ١٥٠٠ كيلو متر وعرضه من الغرب الي الشرق يبلغ ثلثمائة كيلو متر ، يقطعه من الشمال الي الجنوب جبال السراة التي يبلغ ارتفاعها نحو ثمانية آلاف قدم ، فيها مياه كثيرة وغابات وبساتين وقرى آهلة بالسكان من الاعراب ، منحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل الي البحر يسمي تهامة ، أرضه رملية ، وبعضها يصلح للزراعة

الحجاز ولاية عثمانية منذ سنة (٩٢٢) هجرية وكانت قبل ذلك تابعة في أكثر

أحوالها لحكومة مكة . فلما دخل الحجاز في حوزة الاتراك صاروا يرسلون اليه الولاة يديرون شؤنه ، ويجبون أمواله وجعلوا على مكة أميراً من الاشراف لينظر في أمور العرب

كان للحجاز مجلس ينظر في أموره الهامة يتألف من قاضي مكة والدفتردار ومدير الحرم وكاتب أسرار الولاية ويسميه الاتراك المكتوبجي ومن نقيب الأشراف ونائب الحرم وصاحب سدانة الكعبة ومفتي الحنفية وقائم مقام الشريف ومدير الصحة ونقيب الحسينية

وكان يوجد بمكة محكمة نظامية تنظر في الدعاوى المدنية والجنائية ويسميها الترك ديوان التمييز أحكامها تستأنف في محاكم الآستانة وتتألف هذه المحكمة من نائب الشرع وثلاثة أعضاء منتخبين من أهالي مكة وقائمقام الشريف

كان قاضي مكة يعين من قبل الدولة لمدة سنة واحدة أما النائب فكان يعين لسنتين

وكان لولاية الحجاز نواح يلقب حاكمها بقائمقام منها الطائف ورابغ . ولكل قائمقامية مجلس يتركب من القائم مقام ونائب الشرع ومأمور المالية ومن بعض الاهالي ينتخبهم شريف مكة

أما القبائل فلها مجالس عرفية تنظر في مخاصماتهم ابتداء واستئنافاً وتتألف من القاضي وبعض الشيوخ ورؤساء القبائل مع من يختاره الطرفان

لأصحاب القضايا حق رفض أحكام هذه المجالس العرفية واستئنافها عند شريف مكة فان بت فيها أو عدلها نفذ حكمه وللمتقاضين الحق في توكيل من يحامي عنهم أمام القضاء

يقدر أهل الحجاز بمليونين ونصف مليون من النسمات كلهم على حالة البداوة الا أهل مكة وجده . أهل الداخل يعيشون من مشيتهم وأما أهل السواحل فيعيشون من الصيد على الزوارق وكلهم شافعية وقد استقل الحجاز الآن وأصبح الشريف ملكا

﴿ ولاية اليمن ﴾

اليمن واقع في الجنوب الغربي من جزيرة العرب طوله من الشمال الي الجنوب نحو ٧٥٥ كيلومتراً ومن الغرب الي الشرق نحو ٤٠٠ كيلو متر ويقدر أهله بأربعة ملايين من النفوس كلهم مسلمون على مذهب الزيدية وفيهم عدد قليل من اليهود . أما أهل عسير فهم وهابيون أتباع

الشيخ عبد الوهاب الزعيم الديني الذي ظهر في القرن الحادي عشر الهجري وأراد ارجاع المسلمين الي دينهم القويم خالياً من البدع مثل اقامة القبور وادخالها في المساجد وايقاد السرج عليها وتعميمها بالإثم والطواف حولها وما شاكل ذلك وقد انتشر هنالك مذهبه وتبعه بعض أمراء العرب وكبر شأنهم حتى تغلبوا علي مكة والمدينة وجردوا الحرم النبوي من زخارفه وأخذوا منه الالمامة المسماة بالكوكب الدري فأمر السلطان العثماني والي مصر محمدعلي باشا فقاتلهم ورد ما كانوا أخذوه الى مكانه ولا يزال لهم دولة في بلاد عسير الي اليوم

اليمن ولاية عثمانية وهي تنقسم الى قسمين قسم السهول وتسمي تهامة وهي الي البحر وقسم الجبال وهي سلسلة من جبال السروات متصل بعضها ببعض من الشمال الى الجنوب أعلاها جبل كوكبان ويبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر

جميع هذه الجبال آهلة بالسكان وفيها عيون كثيرة تتكون منها انهار في وديان خصيبة فاليمن أقليم زراعي وكلما أمعن الانسان في الارتفاع فوق الجبال وجدها خضراء نضراء بما عليها من المزروعات المختلفة وفيها غابات من اشجار مثمرة وغير مثمرة

حاصلات اليمن اليوم الدخن وعليه مدار حياة أهله ، والقمح والشعير والعدس والسمسم والذرة والفول والقطن والنيلة والتبغ والنباتات الخضراء بانواعها والفواكه الكثيرة ومنها المانجو ويسمونها الامبا واللوز والبرقوق والتين الشوكي . ولكن أكبر حاصلات اليمن البن

كانت تنقسم اليمن في ادارتها الي أربع لواءات : لواء صنعاء ولواء تعز ولواء الحديدة ولواء عسير وفيها نحو ١٩٠٠ قرية

أسلم أهل اليمن في العام العاشر من الهجرة ووفدوا علي النبي صلي الله عليه وسلم فولي عليهم معاذ بن جبل . ولما توفي النبي صلي الله عليه وسلم تبع اليمن الخلافة الاسلامية الي سنة (٢٠٤) وفي هذه السنة استقل بها محمد بن زياد واليها من قبل العباسيين استقلالا وسميت الاسرة التي أسسها بالدولة الزيادية وبقي حكمها الي سنة (٤٠٩) ه

وفي تلك الاثناء قامت دولة اليعافرة في صنعاء من سنة (٢٤٧) الى (٣٨٧)

ثم قامت الدولة النجاحية في زبيد من سنة (٤١٢) الي سنة (٥٥٣) ثم قامت الدولة الصليحية في صنعاء من سنة (٤٢٩) الي سنة (٤٩٦) وكانت قامت في صعدة الدولة الرسية من سنة (٢٤٦) وبقيت الي سنة (٦٠٠) وكان امراؤها من الزيدية وينسبون الي الهادي يحيي حفيد قاسم الرسي أحد غلاة الشيعة في زمن المأمون

ثم قامت في عدن الدولة الزريعية من سنة (٤٧٦) الي سنة (٥٦٩) وفي هذه السنة دخلت اليمن برمتها في حكم الايوبيين الي سنة (٦٢٥) وفيها قامت الدولة الرسولية الي سنة (٨٥٠) وفي هذه السنة الاخيرة قامت الدولة الطاهرية الى سنة (٩٠٦) وفيها استولي عليها قانصوه الغوري ملك مصر

من ذلك العهد تبعت اليمن حكم المماليك حتى دخلت في حكم العثمانيين في عهد السلطان سليمان حوالى سنة (٩٥٠) ه ولكنهم انسحبوا منها سنة (١٤٣) ه لكثرة ثوراتها الداخلية فعادت حكومتها الي الأئمة

وحوالى سنة (١٢٦٠) زحف الامام محمد بن يحيي علي تهامة (اليمن) وكانت تحت سلطة شريف مكة فاستولى عليها ودخلت زبيد والحديدة تحت حكمه فبعث السلطان العثماني اذ ذاك حملة تحت قيادة توفيق باشا أحد قواده الي اليمن فتخلي الشريف له عنها واتفق توفيق باشا مع الامام علي اعتراف الامام بسيادة الدولة وان يرتب له ٣٧ الف ريال شهريا يأخذها من ايرادات اليمن والباقي يقسم مناصفة بينه وبين الدولة وأن تقيم في صنعاء قوة عثمانية مركبة من الف جندي

فلما علم أهل اليمن بفحوى هذا الصلح ثاروا وأبادوا الحامية العثمانية وجرح توفيق باشا في تلك الوقعة ومات من جراحه بالحديدة وبقيت سلطة العثمانيين في هذه البلاد علي الساحل الغربي لليمن نحواً من عشرين سنة . وبعدها جردت الدولة حملة علي صنعاء مدة السلطان عبد الحميد فاحتلها وحجرت الامام في صنعاء ورتبت له مرتبات شهرية ولما مات خلفه أحد أقاربه واسمه حميد الدين ثم تولي بعده ولده الامام يحيي الحالي وفي عهده حدثت عدة ثورات في اليمن كانت صنعاء تقع تحت يده تارة وتحت يد تركيا تارة اخرى

وبعد اعلان الدستور العثماني قامت باليمن ثورتان احداهما تحت قيادة الامام يحيى والأخرى تحت زعامة الادريسي بالعسير فسارت الجنود العثمانية من الحديدة الى صنعاء فاستولت عليها بعد حرب ضروس واعتصم الامام يحيى برجاله الي الجبال وأقام بها في مدينة اسمها شهار ثم حدث صلح مؤداه اعتراف الامام يحيى بسيادة الدولة وهو اليوم مستقل

أما ثورة عسير فقد تولي اطفاءها الشريف حسين باشا شريف مكة سنة (١٣٢٩) فلما وصل الي قنفذة أتته رؤس قبائل عسير مقدمة طاعتها للدولة الاقبيلة خرشان فانها ابت الاذعان فجرد عليها جيشاً تحت قيادة ابنه الشريف عبد الله بك فهزمها وأسر عدداً من وجوهها ثم سار الشريف مع جنود الدولة حتى دخل عاصمة عسير مدينة ابهاء

فلما رحلوا عنها عادت اليها الفتنة ثم سكنت الآن ولكنا لاندرى على أى وجه

أكبر ثغور اليمن اليوم الحديدة عدد سكانها ٤٠ الفاً من أجناس مختلفة فيهم الحبشي والسومالى والهندى والجاوى والفارسي والزنجي

أشهر البلاد التى في هذا الطريق مناخة وهي تبعد عن الحديدة بنحو ١٥٠ كيلو مترا و بنحو ١٠٠ كيلو متر عن صنعاء التى بها مركز الولاية

عدد أهل صنعاء ٢٥ الفاً منهم ٢٠ الفاً من العرب و ٣ آلاف من الاتراك والفان من الهنود

أكبر مواني اليمن عدن وهي في يد الانجليز من سنة ١٨٣٩ وهي الآن مركز للتجارة بين الشرق الاقصي والغرب. وتعتبر في موقعها من أحصن بلاد الدنيا في وسط جزيرة صخرية تتصل بالقارة بلسان من الرمل. حصنها الانجليز تحصيناً عظيما فترى الاساطيل الانجليزية محيطة بها وذاهبة منها أو آيبة اليها. وقد قدر عدد السفن التى رست بمينائها سنة ١٩٠٨ بنحو ١٨٠٠ سفينة و بلغت وارداتها في السنة المذكورة سبعة ملايين وسبعمائة الف ليرة وقد تتمم الكلام عليها

يبلغ عدد سكانها خمسين الف نسمة أكثرهم من الهنود السوماليين والاحباش واليهود وأما العرب فقليلون هناك

وقد حدث اتفاق بين العثمانيين

والانجليز سنة ١٩٠٤ علي أن تكون أملاك الانجليز في جنوب بلاد العرب ممتدة من بوغاز باب المندب الي نهر بانا وشرقا وهو مالا تقل مساحته عن ٢٢٠ كيلو متراً طولا علي ساحل المحيط الهندى وخمسين كيلو متراً في داخل البلاد

ومما يدخل في سلطة الانجليز بجنوب بلاد العرب واحة الشيخ عثمان المعروفة بسلطنة لحج (مركز سلطانها الحوطة) ثم جزيرة بريم الواقعة في مدخل بوغاز باب المندب ومساحتها ٨٠ ميلا مربعاً ثم جزائر كوريا موريا علي ساحل حضرموت

كل هذه الجهات تابعة في ادارتها لحكومة عدن. ثم ان للانجليز عدا هذا شبه سيادة علي الحكومات الصغيرة التى في سواحل حضرموت أهمها سلطنة المكلة وسلطنة مهرة، والشحر وتريم. وكلها علي الساحل الجنوبي لحضرموت الا تريم فانها تبعد عنه بنحو ٢٠ كيلو مترا

(عمان)

عمان واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب وكل ساحل عمان عامر بالبلاد والسكان وطوله من ثغر مربقي الي شبه جزيرة القطر نحو ٢٢٠٠ كيلو متراً وعرضه داخل البلاد الي الغرب نحو ٣٠٠ كيلو متر عاصمتها مسقط

تنقسم عمان الي البطنة (تهامة) ولا تمتد أكثر من أربعين كيلو متراً أكثرها مشغول بالنخيل المشهور بجودة بلحه، ثم الي قسم الجبال أعلاها الجبل الأخضر الذى يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر

يوجد بين هذه الجبال وديان خصبة كثيرة تسقي بواسطة مجار لها خزانات وسدود

من حاصلات عمان الحنطة والذرة والشعير والبرسيم والنيلة والنباتات الخضراء و كثير من صنوف الفواكه لاسيا الجوز الهندى والمانجو. ومن محصولاتها الخشب الند والصندل والصمغ والصبر والتنباك

وفي عمان كثير من المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح الجبلي. وعلي سواحلها مغاصات اللؤلؤ أشهرها في مدينة صحار ودمار ومسقط.

أهل سواحلها يشتغلون بصيد السمك ويصدرون مقادير وافرة الي بلاد العجم وغيرها و يجففون منه مقادير أخرى يبها

يبقي يغذون منه البقر و يسمدون به أراضيهم. عمان مشهورة بنخيلها و بقرها وغنمها

يبلغ أهل عمان مليونا وستمائة الف نسمة ومساحتها لا تقل عن ثمانين الف ميل مربع عاصمتها مسقط بها نحو ٢٥ الف نسمة بينها و بين مسكة أكثر من الفي كيلو متر ، لها ميناء صغيرة ترسو فيها السفن

ينقسم سكان عمان الي البدو وسكان الخيام وهم قوم رحل يتبعون المراعي ثم المتحضرون وهم خليط من الهنود والعجم وأهل بلوخستان والعرب والزنوج

العمانيون أباضيون ينتسبون الي عبد الله ابن أبي محمد المرى الذى استولي علي افريقيا الشمالية وادعي فيها الخلافة سنة ١٥٢

كانت عمان تابعة للتبابعة ثم أسلمت في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانت الخوارج تلجأ اليها هربا من خلفاء بني أمية والعباسيين وكان تجارها ينتقلون في جزر المحيط الهندى مثل جاوة وسومطرة وغيرها من سواحل افريقيا الشرقية فكثر الاسلام في تلك الجهات بدعوة العمانيين و كثر توارد العرب الي تلك الجهات واتصلوا بأهلها بالمصاهرات حتى صارت لهم هنالك السيادة

في سنة ١٥٠٧ استولي البرتغاليون علي سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لاعمالهم الحربية البحرية . ولكن في سنة ١٦٥٨ ثار أهل مسقط علي البرتغاليين فأجلوهم عن بلادهم . ثم استولى الهولانديون علي مسقط فطردهم أهلها

ثم أتي الفارسيون لفتحها فاستنجد العمانيون بأحمد بن سعيد حاكم الشحر فأنجدهم وطرد الفرس فولوه عليهم سنة ١١٦٧ هجرية فامتد ملكه الى جزيرة القطر وجزائر البحرين شمالا ، والي حضرموت وظفار جنوبا

فلما تولاها سعيد بن احمد من هذه الاسرة أنشأ أسطولا مركبا من ثلاثين سفينة حربية وسلحها بالمدافع واستولي علي جزيرة هرمز في الخليج الفارسي ثم استولي علي جزيرة سوقطرة وجزيرة زنجبار ثم وضع يده علي سواحل زنجبار ورأس غاردفوى فأصبح له الحكم المطلق علي خليج العجم والبحر الهندى

وكان الوهابيون قد وضعوا الاتاوة علي عمان فامتنع هذا السلطان من أدائها

فأغاروا عليه وأحرقوا كثيراً من بلاده ولم ينقذه منهم الا تحولهم الي محاربة محمد علي باشا والي مصر

ثم ان السلطان سعيد باع أسطوله وقسم ملكه بين أولاده الثلاثة فجعل زنجبار وما يليها من سواحل افريقيا وجزيرة سوقطرة الي ولده ماجد وجعل القسم الشمالي من مملكته وهو جزائر خليج البصرة وما يليه من الساحل الغربي لابنه الاكبر التويني وجعل القسم الجنوبي الي ابنه تركي

ولما توفي طلب التويني من أخيه ماجد أن يؤدى اليه خراجا سنويا فلم يقبل فقامت بينهما الحرب سنتين حتى أصلح الانجليز بينهما علي أن يستقل ماجد بزنجبار وأن يؤدى في نظير ذلك الي أخيه التويني كل سنة اربعين الف ريال

ثم نازع التويني أخاه تركيا في نصيبه فكره رجاله تعديه وانفضوا عنه و بايعوا أخاه تركيا وساعده الانجليز علي دخوله مسقط ، فهرب التويني الي فيصل الوهابي فأرسل معه جيشاً بقيادة ابنه عبد الله واستولي علي بلاد عمان وسلمها الي التويني فانفرد بالحكم فيها حتى توفي سنة ١٢٨٥ خلفه ابنه سالم فقبض علي عمه تركي وسجنه ثم أخلي سبيله بتوسط الانجليز فسافر الي بومبى . أما سالم فثار عليه قريب له اسمه عزان ونزع الملك من يده . فبلغ ذلك تركيا فأسرع الي بلاده وقتل عزان واستولي علي عمان سنة ١٢٨٧ وكان أخوه ماجد قد مات في زنجبار فعين أخاه برغشا سلطاناً عليها

ومن هذا الوقت دامت حكومة عمان موالية للانجليز ينقد سلطانها مرتبا شهريا في نظير عدم تنازله عن شيء من بلاده الي حكومة أجنبية

ثم ان الانجليز استولوا علي بعض أطراف هذه المملكة فبدأوا بجزائر كوريا موريا سنة (١٨٥٤) ثم ثنوا بجزائر خشم الواقعة في مضيق هرمز سنة (١٨٧٦) وفي هذه السنة أعلنت حمايتها علي جزيرة سوقطرة

وكان سلطان زنجبار تنازل لالمانيا سنة (١٨٩٠) عن قسم من بلاده يبتدىء من مصب نهر روفوما جنوبا و ينتهي الى ونغا شمالا في مقابل ٤ ملايين مارك فبادرت انجلترة فوضعت يدها علي مابقي لسلطنة زنجبار من السواحل ثم أعلنت

حمايتها علي جزيرة زنجبار نفسها

(جزائر البحرين)

أكبر هذه الجزائر جزيرة عوال ، فيها نحو ستين قرية صغيرة عاصمتها منامة يسكنها نحو ٢٥ الف نسمة والي جوارها جزيرة اراد

اصل سكان هذه الجزيرة من قبيلة طسم وجديس ثم استولى عليها الفرس واتبعت حكم المناذرة ملوك الحيرة ثم استولي عليها المسلمون في السنة السادسة للهجرة مدة حكم العلاء الحضرمي

ثم استولي عليها البرتغاليون ثم الايرانيون ثم سلطان مسقط ثم الدولة العثمانية . فنازعها عليها الانجليز وصورها كل منهما في خريطته بلون بلاده حاكمها اليوم يدعي عيسي بن علي تحت حماية حكومة الهند . أهم محصولاتها اللؤلؤ وقد بلغت صادراتها سنة ١٩١٠ مليونا ومائة وسبعين الف ليرة انجليزية

يقدر عدد سكان جزائر البحرين بمائة الف نسمة

(نجد)

نجد قسم فسيح الارجاء واقع في وسط بلاد العرب وفي منتصف المسافة بين المدينة و بغداد ومقسم الي قسمين الشمالي وهو الحائل و يسمونه نجد الحجاز والثاني العارض ويسمي نجد اليمن

في هذين القسمين جبال مشهورة بكثرة خيراتها منها جبل سلمي وجبال طويق وجبل أجأ . و يحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ومن الشرق لسان من الدهناء

(شمر)

شمر واقعة في منتصف المسافة بين مكة والبصرة وهي عبارة عن جبل شمر وجبل سلمي . والأودية التي بينهما صالحة للزراعة فيها كثير من الحدائق . تقدر مساحتها بأربعين كيلو متراً مربعاً . يديرها آل الرشيد ومركزهم مدينة الحائل يقطنها نحو عشرين الف نسمة

في شمر نحو أربعين قرية كبيرة تحيط بها غابات من النخل الا ان اكثر سكانه من ذوى الخيام و يقدر عددهم بنحو اربعمائة الف نسمة يعرفون بالسماحة والنخوة

بشمر اجمل خيول الدنيا وفيها حمير و بقر واغنام كثيرة و يوجد عندهم نعام وفهود وأبقار وحشية و ثعالب وذئاب

وغزلان وأرانب وغيرها

والي شرق جبل شمر بميل نحو الجنوب بلاد القيصم أكثر أرضها وديان خصبية تزرع فيها الحبوب والفواكه وفي وسطها غابات كثيفة يقدرون عدد أهل القصيم بثلاثمائة الف نسمة كلهم يسكنون الخيام الا القليل منهم فانهم يسكنون القرى التى لايزيد عددها عن الثلاثين أشهرها بريدة وعنيزة

هذه البلاد نصفها الشمالى تابع لامير شمر ونصفها الجنوبي تابع لأمير العارض

(العارض)

هي جبال نجد اليمن كما مر وهي المشهورة بنجد الآن فاذا أطلق هذا اللفظ فلا ينصرف الا اليها . بها عيون غزيرة وأودية كثيرة خصيبة تكثر فيها الزروع المختلفة

هذه البلاد وما والاها من بلاد القصيم في حكم آل سعود عاصمتها الرياض وهي أحسن مدن نجد . يكثر النخل والنخيل والابل والغنم أكثر أهلها بدو ويقدرون بخمسمائة الف نسمة كلهم وهابيون

امارتا العارض والحائل كانتا تابعتين لمتصرفية نجد التى تدخل في دائرة الحسا ومركزها مدينة الحسا وكلها كان تابعا لولاية البصرة

يشتغل أهل سواحل العارض بالتجارة وصيد اللؤلؤ والاسماك يجففونها و يصدرون مقادير عظيمة منها الي الخارج

أعمر بلاد الحسا قضاء القطيف ثم البلاد التى بجنوبها الي شبه جزيرة القطر وأكثرها صحاري رملية . تكثر المزارع فيها من جهة السواحل حيث يكثر فيها النخيل

بلاد الحسا مشهورة بالحمر الحساوية و يقال لها بمصر الحصاوية بالصاد خطأ .

و يكثر في فيافيها السباع والنعام وحمر الوحش

يصنع في هذه البلاد العباات المشهورة ومنسوجات أخرى وأدوات نحاسية

تنقسم هذه البلاد الي أربعة أقضية قضاء الحسا وقضاء القطيف وقضاء القطر وقضاء الحوف وهو أكبرها وأوسعها

عدد سكان الحسا يقدر بخمسة وثلاثين الف نسمة نصفهم حضريون

أرض هذه البلاد تسقي من الاحساء

وهي الجداول الطبيعية وقد تجتمع جملة جداول وتصب في بركة تكون بمثابة خزان مستديم لري الاراضي

(اخلاق العرب اليوم)

لايزال العرب كما كانوا اهل شجاعة وكرم وغيرة علي النساء وعزة وانفة ونجدة ومن اخلاقهم العزيزه عليهم حماية من استجار بهم فلو بني رجل علي آخر فطلب فقال انا في وجه فلان يعني رجلا من قبيلتهم ولو في غيبته كفوا عنه واحترموا حماية صاحبهم ودخل في دعواهمهم كأنه غريمهم

ثم ان العرب الي اليوم من أبعد الناس عن الرياء والنفاق وهم أبعد الناس عن التأنق في الملبس والمأكل ولكنهم مع هذا قد عادوا الى ما كانوا عليه ايام جاهليتهم من غزو بعضهم بعضاً فحروبهم الداخلية لاتنقطع ، ومطالباتهم بثاراتهم لاتقف عند حد ، فان الرجل مهما ضعف امره فلا يغفل عن المطالبة بثأره فتراه لايقر له قرار ولا يهدأ له بال حتى يثأر لنفسه ومن عاداتهم في الأخذ بالثار ان احدهم ان لم يظفر بغريمه انتقم من أحد أقربائه

وبعضهم يقنع بالدية للقتيل وقدرها ثمانمائة ريال في العبد والف ريال في الحر وعشرة آلاف في الرجل الشريف

واذا قتل أحدهم وقفوه في قبره حتى يأخذوا بثاره وعند ذاك ينبشون جدثه ويئيمونه فيه

ومن عوائدهم انه اذا قتل احدهم ذهب اهل القاتل الي اهل المقتول وسألوهم (المادة) أى تأجيل المطالبة بالقصاص الى اجل معين فيجابون الي طلبهم وينصرفون بدون ان يتعاطي احدهم طعاماً ولا شراباً من بيت خصومهم ويصبح القاتل حراً في تصرفاته في اثناء مدة التأجيل لايتعرض له احد بسوء حتى تنقضي المدة فاذا حدث في خلالها اتفاق تم الأمر بين الطرفين علي شروط مقررة واذا لم يتم عاد اهل المقتول للمطالبة العنيفة

واذا اتهم شخص منهم بتهمة وانكر أتي به الي (الملحس) وهو رجل خاص بالفصل في التهم فيأتي بحديدة محماة في النار ويدفعها للمتهم ويأمره بلحسها فان احرقت لسانه اعتبر جانياً والا اعتبر بريئا لاعتقادهم انه ان كان بريئاً فان النار لاتضره

وبعضهم يخط دائرة في الارض فيقف فيها المتهم ويحلفه فاذا كان كاذباً لم يمكنه الخروج منها في زعمهم

هذه جملة من اخلاق العرب ولا يشذ عنها منهم الا سكان المدن فانهم تخلقوا بأخلاق سواهم من جالية الشعوب في بلادهم فصاروا من شر خلق الله ولا يصح ان تتخذ أخلاقهم دليلا علي أخلاق العرب الخلص الذين ذكرناهم

هنا يحسن بنا ان نأتي علي جدول يبين القبائل الموجودة الآن نأتي عليه نقلا من كتاب الرحلة الحجازية للفاضل محمد لبيب بك البتنوني كما نقلنا عنه معلومات كثيرة عن نظام الولايات العربية تحت حكم الدولة العثمانية

(جدول بالقبائل الموجودة ببلاد العرب وما كنها وعدد سكانها)

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
(قبائل الحجاز)			
عنزة	الحسنة . حلاس (ومنهم الرولة والمخلف) وبشير ومنهم (ماجد وسلفي) راولاد علي (ومنهم المشارقة . المُشطا الحاميدة الجدالة وطلاح)	٣٥٠٠	شمال المدينة في شرق مدائن صالح الى خيبر
الحويطات	الجازاى . الريضات . عمران . بنى عطية . دبور . بدول. السابحة الترابين والبطحة	٧٠٠٠٠	من محطة العلاء الي معان والعقبة وغزوة
بلي	. . . .	٠٠٠٠	من العقبة الي جنوب الوجه
جهينة	بنى مالك (ويتفرغ منهم الصحية . العيابشة. عروة . كومة سنبات . الحصينات. الاوساورة	٥٠٠٠٠	شرق وشمال المدينة الي الوجه

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
	المسادى ، الرفاعة ، بنى كلب ، الحيادلة . الحمدة والمواليد) ثم بنى موسى و يتفرع منهم البرهمة ، الموال، البرادين، العلاوين زبيان، العوامرة، ثره ، والسمايحة)		
عبس (١) هيثم	مهيبزان ، ذوى الرشيد ، ذوى براك ، النوامسة ، الشرارات الهمان		وهو قبيلة صغيرة في شمال ينبع
حرب	بنى سالم ومنهم ميمون وتتفرع الى محامدة ، رلاوعة ، رحلة ، عمرو حيدر، احامدة ، صبح ثم المراوحة وهي الحوازم وتتفرع الي توامية . قراف طواهر ، جبول ، حنيطات ذرعات ، حجلة، مزينة ، رداددة جنائية) ثم بنى مسروح (وتتفرع منها عطور، مناشك ، بشر ، معبد البلادية ، حران، البدارين ، بنى جابر ، عوف زبيد.	٨٠٠٠	وهم يسكنون من الحمرة وشرقا وغربا الي غسفان
النخاولة (١)(١)	قبيلة حقيرة في ضواحي المدينة	١٢٠٠٠	

(١) عبس هذه هي التى كان لها في الجاهلية ذلك الجاه المنيع وكانت الي القرن الثامن الهجرى قوية فاعتدت علي جاراتها فنقم العرب عليها وأوقعوا بها فشتت شملها الي اليمن وغيره ومن ثم ضعف أمرها

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
	يستعملهم أهلها في خدمتهم وفي زراعة بساتينهم وحقولهم رافضة ولا يسمون أبناءهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ويسمون أولادهم المرون وهم يحللون نكاح المتعة وأهل المدينة لا يصاهرونهم		
مطير	درويش ، ميمون ، بنى عبدالله	٤٠٠٠	شرق المدينة شمالا الي نجد وجنوبا الي الصفينة
بنى سليم	. . . .	٢٠٠٠	شرق المدينة بجنوب الى حاذة
عتيبة	برقا و بريا (ويتفرع منها قبائل روسان ، الروقة ، الشيابين ، الدعاجين ، العصمة ، جذعان ، الخنانيس		
قريش	. . . .	٢٠٠٠	شمال عرفة والطائف
هذيل	والعلويين ، التدويين، بنى خالد	١٠٠٠٠	الجبال التى بين مكة
ثقيف	بنو سفيان ، بنو سعد ، ناصرة ربيعة ، عيلة	٣٠٠٠٠	جنوب وشرق الطائف
البقوم والبجوم	. . .	٢٠٠٠	شرق الطائف
عدوان	. . .	٢٠٠٠	« «
بني الحارث	. . .	٢٠٠٠	« «
بني سعد	. . .	٣٠٠٠	جنوب «

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
بنى لحيان		۱۵۰۰	بين مكة وجدة
الحجادلة			وادى يلم الى البحر
قبائل	بنى فهم ، بزيد بجالة ، منعان ، أشراف ذوى زيد ، بنى هلال ، بنى عفيف أشراف ذوى حسن ، بلاسود ، بلاعور ، بنى سليم ، بنى عمر ، بنى علي ، بنى زيدان	۱۰۰۰۰	جنوب مكة وعلي طرقها الى الليث
قبائل	رفاعة العبيه ات ، المجالجة ، بنى كبير ، اكلوب ، العبادلة ، البيشة	۶۰۰۰۰	شرق الطائف الى الجنوب في جنوب الطائف الى عسير
	بنى سعد ، بنى سعد ميمون ، بنى مالك ، زهران ، غامد ، شمران ، وبلعون ، بنى الاسمر ناصر ، بنى الاحمر ، وشهران		

﴿ قبائل عسير ﴾

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
قبائل قحطان	بنى علقم زفيرة بنى ربيعة المقيد	۱۰۰۰	شمال وجنوب العسير
	رفيف عبيدة شريف سحان وراعة	۱۰۰۰	جنوب العسير بشرق
يام	ذوى محمد وذوى حسين	۳۰۰۰۰	في وادى نجران

﴿ قبائل اليمن ﴾

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
بآيعر	بنى زيد بنى حرب بنى عبس وبنى سهيم	۶۰۰۰	شمال القنفذة
قبائل	بنى بحير وبنى الروحة	۵۰۰	في وادى ويبه قرب القنفذة
«	بلمنتشر بلعسران العوامر بلمكناني	۴۰۰	وادى حلي قرب وادى ويبه

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
قبائل	بنى سبيل ، بنى شبيل وجيران	۶۰۰	قرب العريش
«	بنى مروان ، حرض	۱۵۰۰	بين جيزان ولحية شمال الحديدة
«	بنى قصير ، بنى جامع ، بنى شبية بنى شاسع	۱۰۰۰	بجوار لحية
«	بنى ربن ، بنى راجح ، الفرانة بنى طهران و بنى هيجان	۷۰۰۰	وادى الواعظات شرق لحية
«	بنى حسن بنى عبس اسلم	۵۰۰	قرب وادى الواعظات
«	آل مرة الكرب الصير	۳۰۰۰۰	بين جبل برط والجوف
«	نهم أرحب		بلاد حاسد شمال صنعاء
«	عمران	۱۰۰۰	شمال الحديدة
«	همدان	۱۰۰۰	شمال صنعاء
«	بنى مطير	۳۰۰۰	شمال صنعاء
«	البروية	۱۰۰۰۰	قرب صنعاء غربا
«	الحضور	۴۰۰۰	جنوب صنعاء
«	بنى شداد خولان بنى جبير عبس فلاح ضبيان مجاهد قيس الاغماس	۶۰۰۰	شرق صنعاء

﴿ قبائل حضرموت ﴾

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
قبائل	آل عمورى المراشدة القشن الخامعة ونوح	۲۵۰۰	في وادى دغن جنوب شبام
«	الحالكة آل محفوظ آل بزيد آل بطاطي وآل كثير		في وادى لسير أحد شعاب وادى دغن
«	آل العوابة	۵۰۰	في وادى العين

اسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	ما كنهم
قبائل	باصليب باتيس بنى ماضي	١٥٠٠	وادى عمد
»	الجعدة الصقرة نهب وبنى مخاشن		
»	بنى حيدرة بنى الليث وشحاء		وادى رقية
»	آل بالعبيد الصيعر ونافع	٢٥٠٠	وادى دهر
»	آل كثير العوامرة آل بلجرى	٦٠٠٠	وادى ابن راشد
»	آل جابر وآل تميم		
»	يافع	٢٠٠٠٠	الجبال الواقعة شرق شمال عدن
»	العواليق آل ديب آل عبد الواحد	٦٠٠٠	بين عدن والمكلة
»	شيبان العكابرة وبنى حسن		
»	آل حموم	١٠٠٠	بجوار الشحر
»	بنى هود مناهل ومهرة	٢٠٠٠	بين قريتى هود وظفار
»	آل كثير	٥٠٠	ظفار وما حولها
»	قرا والشحرة	٣٠٠٠	الجبال المشرفة علي ظفار
»	السادات العلوية	٣٠٠	حضرموت
قبائل عمان	بنى شنعاب النقاريون		
قبائل الحسا	قبيلة المرة	٣٠٠٠	في أطراف القطيف
»	قبيلة بنو هاجر	٤٥٠٠	غرب القطيف
»	بنو خالد (ابن الوليد)	١٠٠٠٠	» الحسا
قبائل نجد	بنو سبيع	٦٠٠٠	بين الرياض والحسا
»	قبائل عنزة (بطن من التى بالحجاز) القديبى الفرم بنى سالم بنى تخيض	١٤٠٠	بين المدينة المنورة والقصيم
»	العجمان وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية	٦٠٠٠	شمال الرياض

قبائل	البطون المتفرعة منها	عدد	ما كنهم
»	قبائل قحطان (وهم غير قحطان اليمن)	٠٠٠٠	ينقسمون الى قسمين الاول بين الرياض ورينة والثاني بالحوطة
»	قبائل الضيفات ، الجعافر والرابعة ، بنى ضيغم	١٥٠٠٠	وادى الدواسر جنوب الرياض بغرب في القصيم
»	بنو سلجة ، بنو لحم ، بنو حنيم ، عرب الاخايل (ويقال انهم بقية من بنى هلال المشهورة)		

﴿ ابن الاعرابي ﴾ هو ابو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي الكوفي اللغوى المشهور

أصله من موالى بنى هاشم فهو مولي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان أبوه عبداً سندياً

وقيل انه من موالي بنى شيبان وقيل غير ذلك والأول أصح

اشتهر ابن الاعرابي برواية أشعار القبائل ومعرفة أنساب مشهورى العرب، وكان له المام كبير باللغة فهو من أئمتها المبرزين . يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواة البصريين منه . وهو ربيب المفضل ابن محمد الضبي صاحب المفضليات اللغوى المشهور كانت أمه تحته

أخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود (الذي ولاه المهدى القضاء) والكسائي

وأخذ عنه ابراهيم الحربي وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم .

ناقش ابن الاعرابي العلماء وناظر الادباء واستدرك عليهم أشياء وخطأ كثيراً من نقلة اللغة وكان رأساً في الكلام الغريب . وكان يزعم أن أبا عبيدة والاصمعي لا يحسنان شيئاً وكان يقول جائز في كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطيء من يجعل هذه في موضع تلك ثم ينشد :

الي الله اشكو من خليل اوده
ثلاث خلال كلها لي غائض
بالضاد بدل الظاء و يقوله كذا سمعته من فصحاء العرب

وعلي ذلك فلا يصح تخطئة الترك حين ينطقون قولهم في حضرتك « حظرتك » ولا قولهم في اريد بعضه « اريد بعظه »

كان يحضر مجلس ابن الاعرابي خلق كثير من المستفيدين فيملي عليهم غرر اللغة ونوادرها

قال ابو العباس ثعلب شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة انسان وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب . ولزمته بضع عشرة سنة مارأيت بيده كتابا قط . ولقد أملي علي الناس مايحمل علي اجمال . ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه

ورأى في مجلسه يوما رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما من انت ؟ فقال من اسبيجان . وقال للآخر من أين أنت ؟ فقال من الأندلس . فعجب من ذلك وانشد :

رفيقان شتى الف الدهر بيننا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ثم أملي علي من حضر بقية الأبيات وهي :

نزلنا علي قيسية يمنية
لها نسب في الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر بيننا
لاية أرض أم من الرجلان
فقلت لها أما رفيقي فقومه
تميم وأما أسرتي فيماني
رفيقان شتى الف الدهر بيننا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ومن اماليه مارواه أبو العباس ثعلب قال انشدنا ابن الاعرابي محمد بن زياد المذكور :

سقي الله حيا دون بطنان دارهم
و بورك في مرد هناك وشيب
واني وإياهم علي بعد دارهم
كخمر بماء في الزجاج مشوب

من تصانيفه كتاب النوادر وهو كبير . وكتاب الانواء . وكتاب صفة النخل . وكتاب صفة الزرع . وكتاب النبات . وكتاب الخيل . وكتاب تاريخ القبائل . وكتاب معاني الشعر . وكتاب تفسير الامثال . وكتاب الالفاظ وكتاب نسب الخيل . وكتاب نوادر الزبيريين

وكتاب نوادر بني فقعس . وكتاب الذباب وغير ذلك

قال ثعلب سمعت ابن الاعرابي يقول : ولدت في الليلة التي مات فيها الامام أبو حنيفة وذلك في رجب سنة (١٥٠) علي الصحيح . وتوفي سنة (٢٣١) بسر من رأى وقيل سنة (٢٣٠) والاول أصح . وصلي عليه القاضي احمد بن أبي دواد الايادي

➤ ابن العربي ➤ هو أبو بكر محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن احمد المعروف بابن العربي المعافرى الاندلسي الاشبيلي الحافظ المشهور

قال عنه ابن بشكوال هو الحافظ المستبحر ختام علماء الاندلس وآخر أئمتها وحفاظها لقيتة بمدينة اشبيلية ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة (٥١٦) فأخبرني انه رحل الي المشرق مع ابيه يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة (٤٨٥) وانه دخل الشام ولقي بها ابا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من اعيان مشايخها ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة (٤٨٩) ثم عاد الي بغداد وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ثم صدر عنهم ولقي بمصر والاسكندرية جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم ثم عاد الي الاندلس سنة (٤٩٣) وقدم الي اشبيلية بعلم كثير لم يدخل أحد بمثله ممن كانت له رحلة الي المشرق . وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ، مقدماً في المعارف كلها متكلما في أنواعها ، نافذاً في جميعها ، حريصاً علي أدائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها . ويجمع الى ذلك كله آدب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال وكرم النفس ، وحسن العهد وثبات الود

استقضي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة . ثم صرف عن القضاء ، وأقبل علي نشر العلم وبثه

قال ابن بشكوال وسألته عن مولده فقال ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة (٤٦٨)

توفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في

شهر ربيع الآخر سنة (٥٤٣)

له مصنفات عديدة منها كتاب (عارضة الأحوذى في شرح الترمذى) وغيره معنى العارضة القدرة على الكلام والأحوذى الخفيف في الشيء لحذقه

﴿ ابن العربي ﴾ هو محمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الاندلسي المعروف بابن العربي الصوفي الأشهر

ولد في شهر رمضان سنة (٥٦٠) بمرسية ذكر انه سمع بمرسية من ابن بشكوال وسمع ببغداد ومكة ودمشق وسكن بلاد الروم

زاره ملك الروم يوماً فلما عاد قال هذا رجل تذعر له الاسود . فسئل محيي الدين عن ذلك . فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لي يوماً :الله يذل لك أعز خلقه ، أوكما قال

وقيل ان ملك الروم أمر له بدار تساوى مائة الف درهم فلما كان يوما قال له بعض السؤال شيء لله فقال مالى غير هذه الدار خذها لك

كان محيي الدين علي مذهب داود الظاهرى في العبادات باطنى النظر في الاعتقادات ثم حج ولم يرجع الى بلده

برع في علم التصوف وله فيه مصنفات كثيرة . ولقي جماعة من العلماء والمتعبدين

قال الشيخ شمس الدين عنه: وله توسع في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق في التصوف وتآليف جمة في العرفان . ولولا شطحه في الكلام لم يكن به بأس. ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجي له الخير

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في ذيله علي المرآة وكان يقول أنا أعرف اسم الله الأعظم واعرف الكيمياء

قال محيي الدين بن العربي رأيت النبي صلي الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله ايما أفضل الملك او النبي ؟ فقال الملك . فقال يارسول الله أريد علي هذا برهان دليل اذا ذكرته عنك أصدق فيه فقال ماجاء عن الله تعالى انه قال من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه

عظمه الشيخ جمال الدين بن الزملكاني في مصنفه الذى عمله في الكلام علي الملك والنبي والصديق والشهيد فقال في الفصل الثاني في فصل الصديقية قال

الشيخ محيي الدين بن العربي البحر الزاخر في المعارف الالهية . وذكر من كلامه جملة . ثم قال في آخر الفصل انما نقلت كلامه وكلام من يجرى مجراه من أهل الطريق لأنهم أعرف بحقائق هذه المقامات وأبصر بها لدخولهم فيها وتحققهم بها ذوقاً والمخبر عن الشيء ذوقاً مخبر عن اليقين فاسئل به خبيراً . انتهي

من تصانيف محيي الدين بن العربي الفتوحات المكية يقع في عشرين مجلداً ، والتدبيرات الالهية ، والتنزلات الموصلية وفصوص الحكم. وقد عمل ابن سويدكين شرحاً عليها سماه نقش الفصوص . والاسرا الى المقام الأسرى . وشرح خلع النعلين . والاجوبة المسكتة عن سؤالات الحكيم الترمذى . وتاج الرسائل . ومنها الوسائل . وكتاب الا ظة . وكتاب السبعة وهو كتاب البيان . والحروف الثلاثة التى انعطف أواخرها علي أوائلها. والتجليات . ومفاتيح الغيب . وكتاب الحق . ومراتب علوم الوهب . والاعلام باشارات أهل الالهام . والعبادة والخلو . والمدخل الى معرفة الاسماء . وكنه مالا بد منه. والبقاء وحلية الابدال . والشروط فيما يلزم أهل طريق الله تعالي من الشروط . وأسرار الخلوة . وعقيدة أهل السنة . والمقنع في ايضاح السهل الممتنع. واشارات القولين . وكتاب الهو والأحدية . والاتحاد العشقي . والجلالة والازل . والقسم وعنقاء مغرب . وختم الاولياء . وشمس المغرب . والشواهد . ومناصحة النفس . واليقين . وتاج التراجم . والقطب . والامامين . ورسالة الانتصار والحجب . والانفاس العلوية في الكتابة . وترجمان الاشواق والذخائر والاعلاق في شرح ترجمان الاشواق. ومواقع النجوم . ومطالع أهلة الاسرة . والمواعظ الحسنة . والمبشرات. وخطبة ترتيب العالم . والجلال والجمال . ومشكاة الانوار فيما روى عن الله عزوجل من الاخبار . وشرح الالفاظ التى اصطلحت عليها الصوفية . ومحاضرات الابرار ومسامرات الاخيار خمس مجلدات وغير ذلك

كان محيي الدين بن العربي من الذين يصرحون بالمعارف الالهية التى يحظر علماء الشرع التصريح بها بحجة أنها معارف ذوقية لاتحسن العبارات تأديتها بالالفاظ الاصطلاحية. ولكن محيي الدين

ابن العربي ملأ الدنيا بهـا نثراً وشعراً فاعتبره الصوفية امامهم الاعظم حتى لقبوه بالشيخ الأكبر ومن اطلع علي كتبه وكان واقفا علي مرامي الفلسفة الروحانية العصرية تحقق انه سبق كل متكلم في هذه المعارف العالية ، فلا يقال الآن مهما علا وغلا الا ما هو مقتبس من كلامه، أو صدر ممن هو منته الي مثل ما انتهي اليه وقد روى ان محيي الدين بن العربي قال: خضت بحراً وقفت الانبياء علي ساحله

من شعره قوله :

اذا حل ذكركم خاطرى
فرشت خدودى مكان التراب
وأقعد في الذل علي بابكم
قعود الاسارى لضرب الرقاب

ومن شعره قوله :

نفسي الفداء لبيض خرّد عُرُب
لعبن بي عند لثم الركن والحجر
ما أستدل اذا ماتهت خلفهم
الا بريحهم من طيب الأثر
غازلت من غزلي فيهن واحدة
حسناء ليس لها أخت من البشر
ان أسفرت عن محياها اراتك سنى
مثل الغزالة اشراقا بلا غير
للشمس غرتها لليل طرتها
شمس وليل معا من احسن الصور

ومن قوله :

سلام علي سلمي ومن حل بالحمي
وحق لمثلي رقة ان يسلما
وماذا عليها أن ترد تحية
علينا ولكن لا احتكام علي الدمي
سروا وظلام الليل ارخي سدوله
فقلت لها صبا غريبا متيما
فأبدت ثناياها وأومض بارق
فلم أدر من شق الحنادس منهما
وقالت أما يكفيه اني بقلبه
يشاهدني في كل وقت أما أما

وقال أيضاً :

درست عهودهم وان هواهم
أبداً جديداً في الحشا مايدرس
هذى طلولهم وهذى الادمع
ولذكرهم أبداً تذوب الانفس
ناديت خلف ركابهم من حبهم
يامن غناه الحسن ها أنا مفلس
ياموقداً ناراً رويداً هذه
نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا

وقال أيضاً :

ناحت مطوقة فحن حزين
وشجاه ترجيع لها وحنين
جرت الدموع من العيون تفجعا
لحنينها فكأنهن عيون
طارحتها ثكلي بفقد وحيدها
والكل من فقد الوحيد يكون
بي لاعج من حب رملة عالج
حيث الخيام بها وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة
أجفانها لظبا اللحاظ تكون
مازلت أجرع دمعتي من علتي
اخفي الهوى عن عاذلي واصون
حتى اذا صاح الغراب ببينهم
فضح الفراق صبابة المحزون
وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم
تحت المحامل رنة وأنين
عاينت اسباب المنية عندما
أرخوا ازمتها وشد وضين
ان الفراق مع الغرام لقاتل
صعب الغرام مع اللقاء يهون
مالي عزول في هواها انها
معشوقة حسناء حيث تكون

ومن قوله ايضاً :

ليت شعرى هل دروا
أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى
أى شعب سلكوا
أتراهم سلموا
أم تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى
في الهوى وارتبكوا

ومن شعره قوله :

مرضي من مريضة الاجفان
عللاني بذكرها عللاني
شدت الورق في الرياض وناحت
شجو هذا الحمام مما شجاني
ياطلولا برامة دارسات
كم حوت من كواعب وحسان
بابي طفلة لعوب تهادى
من بنات الخدور بين الغوانى
طلعت في العيان شمسا فلما
أفلت أشرقت بأفق جناني
ياخليلي عرجا بعناني
لأرى رسم دارها بعياني
واذا مابلغتما الدار حطا
وبها صاحباى فلتبكيان

وقفا بي على الطول قليلا
تتباكي أو أبك مما دهاني
واذكرا لي حديث عند ولبنى
وسليمي وزينب وعنان
ثم زيدا من حاجر وزرود
خبرا عن مراتع الغزلان
طال شوقي لطفلة ذات نثر
ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس
من أجل البلاد من اصفهان
هي بنت العراق بنت امام
وأنا ضدها سهيل اليماني
هل رأيتم ياسادتي أو سمعتم
ان ضدين قط يجتمعان
لو ترونا برامة نتعاطي
أكؤسا للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً
طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم مايذهل العقل فيه
يمن والشآم معتنقان
كذب الشاعر الذى قال قبل
وبأحجار عقله قد رماني
أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استهلت
وسهيل اذا استهل يماني

كل أشعار محيي الدين بن العربي على هذا النسق يرمي بها الي أغراض علوية في قوالب غزلية ، على اسلوب الصوفية

ولد في شهر رمضان سنة (٥٦٠) بمرسية من الاندلس وتوفي في ربيع الآخر سنة (٦٣٨)

➤ عربد ➤ السكران ساء خلقه
(العربيد) الكثير العربدة
(العربد) الحية والارض الخشنة
(العربّد والعربدّ) الشديد من كل شيء، تقول: (غضب غضباً عربداً)

➤ العربس ➤ المتن المستوي من الارض
(العربيس) الداهية

➤ عربض ➤ العُرابض الغليظ
(العرباض والعربض) الغليظ الشديد من الناس ومن الابل . والاسد الثقيل العظيم
(العرابض) الغليظ

➤ عربن ➤ أعطاه العربون
(العربون والعُربون) هو ما عقد

به المبايعة من الثمن او هو ان يشترى الرجل شيئاً أو يستأجره ويعطي بعض الثمن او الاجرة ثم يقول ان تم العقد احتسبنا والا فهو لك ولا آخذه منك

➤ عرتب ➤ العرتبة الانف وقيل مالان منه. وقيل الدائرة تحته وسط الشفة أو طرف وترة الانف

➤ عرتم ➤ العرتمة مقدم الانف او مابين وترته والشفة أو الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا
يقال : (فعله على عرتمته) اى رغم أنفه

➤ عرته ➤ يعرته عرتاً انتزعه وقيل دلكه

➤ عرج ➤ الرجل في السلم يعرج عروجا ومعرجا ارتقى
(عُرج به) صعد به
(عرج في الشيء وعلي الشيء) يعرُج ويعرج عروجا رقي
(عرَج الرجل) أصابه شيء في رجله فخمع ومشي مشية العرجان وليس بخلقة فهو (عارج)
فاذا كان ذلك خلقة قيل (عرج يعرج عرجاً) أو عرُج يعرج عرجاً او عرج يعرُج فهو (أعرج وهي عرجاء) جمعه عُرج وعرجان
(عرجت الشمس) تعرج غابت أو انعرجت نحو الغرب
(عرج الرجل) دخل في وقت غيبوبة الشمس ووقف ولبث ومال من جانب الى جانب
(عرّج البناء) ميله
(عرّج على الشيء) أقام عليه
(عرّج عنه) عدل عنه
(أعرج فلان) حصل له عرج أى قطيع من الابل
(أعرجه) وهبه عرجاً من الابل
(العرج) القطيع من الابل نحو الثمانين او منها الي تسعين أو مائة وخمسون أو من خمسمائة الي الف . جمعه أعراج وعروج
(العرَج) ان تطول احدى الرجلين على الأخرى أو أن يصيبها شيء فيخمع صاحبها
(المعرج) النهر والوادى لانعراجهما
(المعرجان) مشية الاعرج
(المعرجة) مايعرج عليه أى يقام عليه ويقال له المعرُجة أيضاً

(أمر عَريج) أى لم يحكم
(العُرَيجاء) الهاجرة . وأن يأكل الانسان كل يوم مرة
(اعرنجج الرجل) جد في الامر
(تعوَّج البناء) مال . و (تعرَّج فلان على المنزل) حبس مطيته عليه وأقام
(تعارج) تكلف العرج وليس به
(انعرج) الشيء انعطف واعوج . و (انعوج القوم عن الطريق) مالوا عنه
و (انعوج الطريق) مال
(الأُعَيرج) حية صماء لا تقبل الرقية وتقفز كالافعي
(التَّعرُّج والتعريج) الاقامة
(منعرج الوادى) منعطفه يمنة ويسرة
(المِعراج والمِعرَج) السلم والمصعد جمعه معاريج ومعارج

﴿ المعراج ﴾ ليلة المعراج هي التى روى ان النبى صلي الله عليه وسلم عرج فيها الي السماء بعد الاسراء به الي بيت المقدس وقد ورد ما فسر به ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالي :

« والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحي ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلي ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدني ، فأوحي الى عبده ما أوحي ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه علي ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهي ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشي السدرة ما يغشي ما زاغ البصر وما طغي ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

ولقد كان هذا المعراج بعد ان أُسرى به صلي الله عليه وسلم من مكة الي بيت المقدس ليلا وقد ورد ما فسر به ذلك في قوله تعالي

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الأقصي الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »

جاء في السيرة النبوية والآثار المحمدية للعلامة السيد احمد زيني دحلان مفتى الشافعية بمكة قال :

« اعلم انه لاخلاف في الاسراء به صلي الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن علي سبيل الاجمال وجاء بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من النساء والرجال نحو

الثلاثين . ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث علي تعدد الاسراء وانه وقع له صلي الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات وأكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام . وكان صلي الله عليه وسلم لايرى شيئاً في اليقظة الا بعد أن يريه الله في المنام

« فبعض تلك الاسراآت التى كانت في المنام سابق علي الذى في اليقظة و بعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة . وقيل قبل الهجرة بسنة . قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان . وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس . وكان ليلة الاثنين كبقية اطواره صلي الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة . وقيل ليلة الجمعة . وكان الاسراء الي بيت المقدس ، والعروج به صلي الله عليه وسلم الي السموات ليطلع علي عجائب الملكوت ، كما قال تعالي لنريه من آياتنا . والا فالله تعالي لايحويه زمان ولا مكان . ورأى ربه تعالى تلك الليلة وأوحي الي عبده ما اوحي وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلي بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلي الله عليه وسلم من ليلته مكة . فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد ، فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد ابوابه باباً باباً فيطابق ماعندهم ، وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها . وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور في الكتب مسطور فلا حاجة لنا الي الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد افردت بالتأليف .

« وفي السيرة الحلبية ان صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام ان يربط البراق لانت له فعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها

« قال الامام أبو بكر بن العربي في شرح الموطئات : صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالي فانها صخرة قائمة في وسط المسجد الاقصي قد انقطعت من كل جهة لايمسكها الا الذى يمسك السماء أن تقع علي الارض الا باذنه ، في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبى صلي الله عليه وسلم ، حين صعد عليها ومن الجهة

الاخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط علي بسبب ذنوبي . ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب ، تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء ، و بعض الجهات أشد انفصالا من بعض . انتهى

« يروى أنه صلي الله عليه وسلم لما رجع الي مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانيء بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنه وعنها وانه يريد أن يخرج الى قومه يخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله ، وما هو دليل علي علو مقامه صلي الله عليه وسلم ، فتعلقت بردائه أم هانيء وقالت أنشدك الله ، أى أسألك به يا ابن عمي أن لا تحدث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك . وفي رواية اني أذكرك الله أن تأتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده علي ردائه فانتزعه منها . قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فاذا هو قد خرج ، قالت فقلت لجاريتي نبعة (وكانت حبشية وهي معدوده في الصحابة رضي الله عنها) اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت أخبرتني أن رسول الله صلي الله عليه وسلم انتهي الي نفر من قريش في الحطيم ، وهو ما بين الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذى انتهي اليهم فيهم المطعم بن عدى وابو جهل بن هشام وأخبرهم بمسراه . وفي رواية انه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ما هو دليل علي قدرة الله تعالي وما هو دليل علي علو مقامه صلي الله عليه وسلم الباعث علي اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلي الله عليه وسلم ، فقال كالمستهزىء هل كان من شيء ؟ قال نعم ، أسري بي الليلة . قال الى اين ؟ قال الى بيت المقدس ، قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم . فلم ير ان يكذبه مخافة أن يجحده (أى ينكره صلي الله عليه وسلم الحديث الذى حدث به ان دعا قومه اليه) . قال أرأيت ان دعوت قومك أن تحدثهم بما حدثتني ؟ قال نعم . قال يا معشر

بني كعب بن لؤى ؟ فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما . فقال حدث قومك بما حدثتني . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني اسري بي . قالوا الي أين ؟ قال الي بيت المقدس فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسي وعيسي عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم . قال أبو جهل كالمستهزىء صفهم لي . قال أما عيسي عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل ، يعلوه حمرة كأنما يتحادر عن لحيته الجمان . وفي رواية كأنما خرج من ديماس أى حمام . وأما موسي فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة . وأما ابراهيم فانه والله لأشبه الناس بي خلقا وخلقا ، وفي رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه . يعني نفسه صلي الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده علي رأسه تعجباً . وقال المطعم بن عدى كان أمرك قبل اليوم أمراً يسيراً غير قولك اليوم وهو يشهد أنك كاذب . نحن نضرب أكباد الابل الي بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً تزعم انك أتيته في ليلة واحدة . واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط

« فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك ، جبهته (أى استقبلته بالمكروه) وكذبته أنا اشهد انه صادق

« وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا . وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر ، الا أن يراد من ثبت علي الايمان ، وفي رواية فسعي رجال من المشركين الي أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الي صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الي بيت المقدس . قال وقد قال ذلك ؟ قالوا نعم . قال لأن قال ذلك لقد صدق . قال أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح ؟ قال نعم اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك . أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة . (أى لأنه يخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الي الارض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فمجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه) وقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك

اظهار كذبه . فعرف الصديق رضي الله عنه فصدقه وان رسول الله صلي الله عليه وسلم لايكذب قط . فقال ابو بكر رضي الله عنه صفه لي يارسول الله ، فاني قد جئته اراد بذلك اقامة البرهان علي قومه بظهور صدقه صلي الله عليه وسلم فجاء جبريل بصورته ومثله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في موضع كذا وأبو بكر رضي الله عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى أتي علي اوصافه

« وفي رواية عنه صلي الله عليه وسلم قال لما كذبني قريش وسألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها قالوا كم للمسجد من باب ؟ فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلا الله لي بيت المقدس

« وفي رواية فجيء بصورته وأنا انظر اليه فطفقت لخبرهم عن آياته اى علاماته وكانوا يعلمون انه صلي الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط ، فكان يخبرهم بما يعرفونه وابو بكر رضي الله عنه يصدقه علي كل مقالة يقولها ، فلما فرغ صلي الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطيء في شيء، قالوا صدق الوليد بن المغيرة (اى في قوله انه ساحر) فأنزل الله تعالي « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة »

« قالت نبعة جارية أم هانيء وسمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يومئذ ياابا بكر ان الله قد سماك الصديق . ومن ثم كان علي رضي الله عنه يحلف بالله تعالي ان الله تعالي أنزل اسم ابي بكر الصديق من السماء رضي الله عنه

« وفي رواية ان كفار قريش لما أخبرهم بالاسراء الي بيت المقدس ووصفه لهم ، قالوا ما آية ذلك يامحمد ؟ أى ماالعلامة الداله علي هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط ؟ أرأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده علي صدقك ؟ (أى لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه) قال آية ذلك اني مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفر عيرهم حس الدابة (يعنى البراق) فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الي الشام . ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم أناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت مافيه . ثم غطيت عليه

كما كان

« وفي رواية فنفرت الدابة (يعنى البراق) فقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه في القافلة (والمراد الوضوء اللغوى) ثم قال صلي الله عليه وسلم وانتهيت الي عير بنى فلان فنفرت منى الدابة (يعنى البراق) وبرك منها بعير احمر عليه جوالق مخطوط ببياض لاادرى أكسره البعير أم لا

« وفي رواية ثم انتهيت الي عير بنى فلان بمكان كذا كذا فيه جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر . واضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان بدلالتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق . فقالوا صدق الوليد (أى في قوله انه ساحر) ثم قالوا له صلي الله عليه وسلم متى تجيء عير بنى فلان فقال يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس ان تغرب أو دنت للغروب فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغرب حتى قدم العير كما وصف صلي الله عليه وسلم

« قال الامام السبكي :

وشمس الضحي طاعتك عندمغيبها
فما غربت بل وافقتك بوقفة

« فأما أهل الايمان الكامل كأبي بكر رضي عنه فازدادوا ايمانا الي ايمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا علي طغيانهم قال تعالي : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » ومع ذلك لم يخبرهم صلي الله عليه وسلم بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت . وقد افردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله :

فطوى الارض سائراً والسموا
ت العلي فوقها لها أسراء
فصف الليلة التى كان للمخ
تار فيها علي البراق استواء
وترقي بها الي قاب قوسيـ
ن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى
دونها ما وراءهن وراء

انتهي ما نقلناه من السيرة النبوية

لمؤلفها الشيخ احمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة علي مافيها من الروايات التي لاتحتمل النقد كوقفة الشمس وغيرها وليس المقام هنا مقام مناقشة في صحة هذه الروايات وانما غرضنا ان نثبت أولا ما قيل عن الاسراء والمعراج ثم نتبعه برأينا الخاص في هذه المسألة الخطيرة

اما المعراج وهو ماروى عن عروجه صلي الله عليه وسلم الى السماء فقد روى عنه حديث مشهور نثبته هنا بنصه :

روى عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان النبي صلي الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به فقال :

« بينما انا في الحطيم (وربما قال في الحجر) مضطجعاً اذا اتاني آت فشق ما بين هذه الي هذه يعني من ثغرة نحره الي شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطشت من ذهب مملوء ايماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد

وفي رواية ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء ايماناً وحكمة ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند أقصي طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتي السماء الدنيا فاستفتح ، قيل من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت فاذا فيها آدم . فقال هذا ابوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد علي السلام . ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتي السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد. قيل وقد ارسل اليه؟ قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح. فلما خلصت اذا يحيي وعيسي وهما ابنا خالة . قال هذا يحيي وعيسي فسلم عليهما . فسلمت فردا. ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعدا بي الي السماء الثالثة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت اذا يوسف . قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى اتي السماء الرابعة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح . فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتي السماء الخامسة . فاستفتح، قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فاذا هرون . قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد . ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتي السماء السادسة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك قال محمد. قيل وقد ارسل اليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا موسي . قال هذا موسي فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام . ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكي قيل مايبكيك ؟ قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته أكثر ممن يدخلها من امتي . ثم صعد بي الي السماء السابعة . فاستفتح جبريل قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا . فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فاذا ابراهيم . قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام . ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم رفعت الى سدرة المنتهي فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهي فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ما هذان ياجبريل . قال أما الباطنان ، فنهران في الجنه ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفعت الي البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل . فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وامتك . ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم . فرجعت فمررت علي موسي فقال بما أمرت ؟ قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك . فرجعت

فوضع عنى عشراً : فرجعت الى موسي فقال مثله . فرجعت فوضع عنى عشراً . فرجعت الي موسي فقال مثله . فرجعت فوضع عنى عشراً . فرجعت الي موسي فقال مثله . فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم وليلة . فرجعت الي موسي فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الي موسي فقال بما امرت ؟ قلت امرت بخمس صلوات كل يوم وليلة قال ان امتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم . واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل اشد المعالجة فارجع الي ربك فسله التخفيف لأمتك قال قلت سألت ربي حتى استحييت ولكنني ارضي واسلم . قال فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادى

وروى ثابت عن انس رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته في الحلقة التى يربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء لي جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة. ثم عرج بنا الى السماء وقال في السماء الثالثة واذا انا بيوسف اذاهو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لى بخير وقال في السماء السابعة فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره الي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه . ثم ذهب بي الي سدرة المنتهي فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال. فلما غشيها من امر الله ماغشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحي الله الي ماأوحي ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الي موسي . وقال : ولم ازل ارجع بين ربي وبين موسي حتى قال يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سيئة واحدة

عن ابن شهاب عن انس رضي الله عنه قال كان ابو ذر يحدث أن رسول الله

صلي الله عليه وسلم قال فرج عنى سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتليء حكمة وايمانا فأفرغه في صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بي الى السماء . فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد علي يمينه اسودة وعلي يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر جهة شماله بكي فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكي

وقال ابن شهاب رضي الله عنه فأخبرني ابن حزم ان ابن عباس رضي الله عنه وابا حبة الانصارى كانا يقولان قال النبى صلي الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام

وقال ابن حزم وأنس قال النبى صلي الله عليه وسلم ففرض الله علي أمتي خمسين صلاة فرجعت حتى مررت علي موسي فراجعني فوضع شطرها ، وقال في الآخر فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدى . فرجعت الى موسي فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي . ثم انطلق بي حتى انتهي بي الي سدرة المنتهي وغشيها ألوان لاأدرى ماهي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك

عن عبد الله قال : لما أسرى برسول الله صلي الله عليه وسلم انتهي به الي سدرة المنتهي وهي في السماء السابعة اليها ينتهي مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض منها قال (اذ يغشي السدرة مايغشي) قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا . المقحمات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبى صلي الله عليه وسلم لقد رأيتنى في الحجر وقريش تسألني عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله.

فرفعه الله تعالي لي انظر اليه ما يسألونني عن شي الا أنبأتهم ولقد رأيتني في جماعة من الانبياء ، فاذا موسي قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوأة واذا عيسي قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم ، يعني نفسه ، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه، فالتفت اليه فبدأني بالسلام

(اختلاف العلماء في الاسراء والمعراج)

نقلنا ما تقدم عن الاسراء والمعراج فيحسن بنا أن نورد اختلاف العلماء فيهما هل كانا بالجسد والروح أم بالروح وحدها ؟

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

« واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا علي انه أسري بجسده رسول الله صلي الله عليه وسلم ، والأقلون علي انه ما أسرى الا بروحه

« حكي محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكنه عرج بروحه، وحكي هذا القول عن عائشة أيضا

« وقد احتج علي هذا القول بوجوه منها : ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة الي هذا الحد غير معقولة ، ومنها ان صعوده الي السموات يوجب انخراق الفلك . ومنها انه لو صح ذلك لكان من أعظم معجزاته فوجب أن يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك علي صدقه . وما الفائدة في اسرائه ليلا علي حين غفلة من الناس ، ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من أول عمره الي آخره ، والاجزاء البدنية في التغير والانتقال ، والباقي مغاير للمتغير ، ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا عن جميع جوارحه وأعضائه ، ومنها قوله سبحانه وتعالي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ، وما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت فتنة الناس لأن كثيراً ممن آمن به حين سمعها ارتد وكفر به، ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل علي أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه بماء زمزم وركوبه البراق وايجاب خمسين

صلاة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء

« أجاب الاكثرون عن الاول بأن حركة الرسول صلي الله عليه وسلم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف قطر الفلك ونسبة نصف القطر الي نسبة الدور نسبة الواحد الي ثلاثة امثال وسبع وهي نصف حركة الفلك في يوم بليلته ، واذا كان الاكثر واقعا فالأول بالامكان اولي ، ولو كان القول بمعراج محمد صلي الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول جبريل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لأن الملائكة ايضا أجسام عند جمهور المسلمين . وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالي الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذى عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ، وكان عرش بلقيس في اقصي اليمن وسليمان في الشام وعلي قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع فانما ينتقل شعاع العين من البصر الي الكواكب الثابتة في آن واحد فيثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه واقصي ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة، ولكنه ليس مخصوصاً بهذه الصورة وانما ذلك أمر حاصل في جميع المعجزات ،وعن الثاني ان انخراق الافلاك عند حكماء الاسلام جائز ، وعن الثالث ان فائدة الاسراء قد عادت اليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسي وما فيها وعليها لحصل في قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت تعلقاته في الكونين ولم يبق مشغول القلب بشيء من أمور الدنيا والآخرة ، وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي غير حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية ، وعن السادس انه لا اعتراض علي الله تعالي في شيء من أفعاله وانه علي كل شيء قدير

« واعلم أنه ليس في الآية دلالة علي العروج من بيت المقدس الي السموات والي ما فوق العرش الا انه ورد في الحديث نه ، ومنهم من استدل علي ذلك بأول سورة النجم أو بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه »

هذا ما قاله العلامة نظام الدين

الحسن النيسابوري في تفسيره. أما تفسير سورة النجم فهو كما ورد في تفسير القاضي البيضاوي

(والنجم اذا هوى) أقسم بجنس النجوم أو الثريا فانه غلب فيه اذا غاب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فانه يقال هوى هوياً بالفتح اذا سقط وغرب وهو بالضم اذا علا وصعد، أو بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل أو النبات اذا سقط علي الارض أو اذا نما وارتفع علي قوله (ماضل صاحبكم) ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الصراط المستقيم (وما غوى) وما اعتقد باطلا، والخطاب لقريش والمراد ماينسبون اليه (وماينطق عن الهوى) وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى (ان هو) ما القرآن أو الذى ينطق به (الا وحي يوحي) الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له. وأجيب عنه اذا أوحي اليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحياً وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي (شديد القوى) ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق . روى انه قلع قرى قوم لوط رفعها الي السماء ثم قلبها

وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) حصافة في عقله ورأيه (فاستوى) فاستقام علي صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالي عليها . قيل مارآه أحد من الانبياء في صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى لقوته علي ماجعل له من الامر (وهو بالافق الاعلي) أفق السماء والضمير لجبرائيل (ثم دنى) من النبي (فتدلي) فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلي من الافق الاعلي فدنا من الرسول فيكون اشعاره بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريراً لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة يقال دلي رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق (فكان) جبريل كقولك هو مني معقد الازار أو المسافة بينهما (قاب) قوسين مقدارهما (أو أدني) علي تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي اليه بنفي البعد الملبس (فأوحي) جبريل (الى عبده) عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوماً كقوله علي ظهرها (ماأوحي) به جبريل وفيه تفخيم للوحي

به او الله اليه . وقيل الضمائر كلها لله تعالي وهو المعنى بشديد القوى . كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته ، وتدليه جذبه بشراشره الي جناب القدس (ما كذب الفؤاد مارأى) مارآه ببصره من صورة جبرائيل او الله تعالي أى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه الي البصر . او ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او مارآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا . و يدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك ؟ قال رأيته بفؤادى . وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك فيه (افتمارونه علي مايرى) افتجادلونه عليه ، من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي و يعقوب افتمرونه اى افتغلبونه في المراء ، من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلي تضمين الفعل معنى الغلبة فان المارى والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم (ولقد رآه نزلة اخرى)

مرة أخرى . فعلة من النزول ، أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعاراً بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو الكلام في المرئي ، والدنو ماسبق ، وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها علي المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة (عند سدرة المنتهي) التى ينتهي اليها علم الخلائق أو اعمالهم أو ماينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة (عندها جنة المأوى) الجنة التى يأوى اليها المتقون او أرواح الشهداء (اذ يغشي السدرة مايغشي) تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لايكتنهها نعت ولا يحصيها عد . وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها (مازاغ البصر) مامال بصر رسول الله صلي الله عليه وسلم عما رآه (وماطغى) وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ماعدا عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة

المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه أو من مزيدة »

(رأينا في هذه المسألة) أتينا في الفصلين المتقدمين علي جمهور ماقاله رجال العلم في مسألة الاسراء والمعراج وآن لنا أن نبدى رأينا الخاص في هذه المسألة الخطيرة فنقول :

الاسراء بالجسد والروح من مكة الي المدينة الى بيت المقدس ممكن غير مستحيل فقد ثبت من تجارب العلماء الاروربيين في المسائل الروحانية أن مايسمونه الارواح تأتيهم بالزهور الندية الغضة من أقصي البلاد كالصين والهند مثلا وتنثره عليهم وهم جلوس في الغرف الموصودة بل تأتيهم بالاشياء الثقيلة فتمرها من خلال الحوائط علي مرآى منهم

ثبت هذا الامر لجهور العلماء الذين امضو عشرات السنين في التجارب ودونوه في مؤلفاتهم ولا عبرة بالتكذيبات التى يبديها بعض الجامدين من الكتاب الذين لم يحضروا هذه التجارب ولاقرأوا فيها كتابا

فاذا ثبت هذا جاز ان ينتقل نبى مرسل من بلده الي بلد قاص بطريق الاعجاز فان الله أقدر مما يسمونه الارواح علي نقل الاجسام وان بعد ذلك عن متناول العقول ولا عبرة بعجزنا عن تعليل ذلك تعليلا علميا فقد عجز علماء اوربا أنفسهم عن تعليل نقل الازهار والاثاثات الثقيلة من الاماكن البعيدة الي غرف التجارب فانهم وان رأوا ذلك رأى العين الا انهم لايزالون حائرين في تعليله . وقد ذهب بعضهم الي ان الارواح قبل نقل تلك الاجسام تحيلها الي هيولاها الاصلية وهي علي غاية من اللطافة بحيث تتمكن ان تخترق بها الاهواء والحوائط علي تلك الصورة ثم تعيدها بقوتها الي سيرتها الاولي بعد ان تحضرها ، فهل يبعد بعد هذا أن يرق الجسد الانساني و يتلطف حتى يصير ألطف من الايتير نفسه فينتقل من بلد الي بلد ثم يعود الي ما كان عليه بخاصة فيه أو بقدرة الحق سبحانه وتعالي؟

المسئلة صعبة علي العقول ولكن الذين شاهدوا بأعينهم التجارب الروحية او قرأوا امهات كتبها مما وضعه المجربون أمثال الاساتذ وليم كروكس وألفرد روسل ولاس وباركس ولودج وزلنر وهيزلوب ومايس وهار وغيرهم من الانجليز والالمان والفرنسيين لايعد هذه المسألة من الصعوبة بمكان خطير وان أضاف الي هذا علمه بأن النواميس الطبيعة التى اكتشفناها ليست شيئاً يذكر بجانب ماهو مخبوء عنا يتحقق بأن هذا الأمر في ذاته لايستحق أن ينظر اليه بأ كثر مما ينظر الي الامور الصعبة التعليل ليس الا

نقول هذا وليس في القرآن مايدل علي ان الاسراء حصل جسداً وروحاً ولو كان فيه ذلك لما اختلف العلماء فيه بل ولما قال مثل حذيفة وعائشة وغيرهما بأنه كان مناماً لا يقظة

أما مسألة العروج الي السماء فانها مستحيلة لأنه ثبت اليوم علماً بأن السماء ليست سقفاً مادياً بل هي فضاء لا نهاية له تسبح فيه اجرام علوية ، منها ما يحترق كالشمس ومنها ماهو بارد وعليه عوالم كعالمنا . وما ورد في القرآن مما يوهم انها سقف او نحوه يجب تأويله عملا بالقاعدة الاسلامية التى مؤداها وجوب تأويل النص ان خالف العقل . وكون السماء سقفاً يخالف العقل والحس معاً كما ثبت من علم الفلك الحديث ولا يحسن بمسلم ان يتشبث بآراء القدماء في المسائل الفلكية ليدافع عن مسألة جعل الله له مندوحة من التورط فيها

ثم ان ماورد من شق الصدر واخراج القلب وركوب البراق وغير ذلك كله من الامور المستحيلة عقلا وحساً فمن كان يؤمن بالاسلام وجب عليه ان يرجع الي تحكيم العقل في هذه الامور لان الكتاب جعله القسطاس التى توزن به المعتقدات حتى انه قرر ان يؤول النص في كل مايخالفه، وقد خالف هذا الامر العقل فوجب تأويل تلك النصوص . وقد سهل لنا القائلون بأن المعراج كان مناما سبيل التخلص من هذه الورطة

اذا تقرر هذا فلا شبهة عندنا بأن الاسراء والمعراج اوأن المعراج وحده كان رؤيا رآها النبى صلي الله عليه وسلم بدليل قوله تعالي : « وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس »

﴿ العُرَّة ﴾ هوالرجل الذى يشين قومه

﴿ المُعْتَرّ ﴾ الفقير

﴿ عرس ﴾ القوم نزلوا في السفرفي

آخر الليل
(أعرس الرجل) اتخذ عرساً
(اليِمرّيس والِيمرّيسه) مأوى الاسد
(العِيرس) امرأة الرجل أو رجل المرأة
(العِرس والعُرس) طعام الوليمة
(العروس) الرجل والمرأة ماداما في أعراسها وجمع الذكر عرس وجمع الاناس عرائس

﴿ ابن عرس ﴾ هو دابة تسمي بالفارسية راسو وهي حيوان دقيق كما قال القزويني يعادى الفأر و يدخل جحره ويخرجه و يعادى التمساح أيضاً فان التمساح لايزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فيه و ينزل جوفه و يأكل احشاءه ويمزقها ويخرج . و يعادى الحية ايضاً و يقتلها

ولكنا لانعقل مايقوله القزويني من انه يدخل الى جوف التمساح فيأكل احشاءه فإن تلك الاحشاء خالية من الهواء فكيف يتسنى لابن عرس ان يبقى فيها . ثم هو معد للهضم وفيه من العصارات المذيبة الهاضمة مالا يقوى جسم ابن عرس علي تحملها فكيف لاينهضم فيها .

لانشك في أن هـذا القول من المبالغات التى تخلو منها كتب الحيوانات القديمة

يقال اذا مرض ابن عرس أكل بيض الدجاج فشفي

قال عبد اللطيف البغدادى : وأظنه الحيوان المسمي بالدلق وانما يختلف لونه ووبره بحسب البلاد وفي طبعه أنه يسرق ماوجده من الفضة والذهب كما يفعل الفأر وربما عادى الفأر فقتله . ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه .

قال وهو كثير الوجود في منازل أهل مصر

قال وقد حكي من فطنته أن رجلا صاد فرخاً منها وحبسه في قفص بحيث تراه أمه فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفي فمها دينار فألقته بين يديه كأنها تفتدى ولدها فلم يتركه لها فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمساً فلما رأت انه لايطلقه ذهبت وعادت بخرقة كأنها تشير الي فراغ حاصلها فلم يكترث بها فلما رأت ذلك منه عادت الى دينار منها لتأخذه فخشي الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها

نقول ان ماذكره عبد اللطيف

البغدادى لايعقل فان عمل ابن عرس هذا يقتضي أن يكون قد علم بقيمة الذهب عند بنى آدم وهو مما لايحسن التسليم به لاسباب لاتخفي علي المتأمل

قال الجاحظ هو نوع من الفأر وانشد قول أبي الشمقمق ثم قال :

نزل الفأران يبقى
رقة من بعد رقة
وابن عرس رأس يبقى
صاعداً في رأس طبقة

ثم قال يصفه :

صبغة أبصرت منها
في سواد العين زرقة
مثل هذا في ابن عرس
أغبش تعلوه بلقة

فوصفه يكون اغبش أبلق وانه من الفأر . وهو أنواع كثيرة

﴿ عرش ﴾ يعرش و يعرُش عرشا بنى بناء من خشب وهو كنصر وضرب

(عرش الكرم) رفع دواليه علي الخشب
(عرش البئر) طواها بالحجارة
(عرّش الكرم) بمعنى عرشه
(عرّش البيت) سقفه

(العَرْش) سرير الملك والعز

﴿ العرش ﴾ ذكر الله العرش في القرآن في غير آية فقال تعالي « وكان عرشه علي الماء » وقال . « وترى الملائكة حافين من حول العرش» وقال : «الرحمن علي العرش استوى » وغير ذلك فما هو هذا العرش ؟

قال بعض العلماء انه هو الكرسي المذكور في قوله تعالي « وسع كرسيه السموات والارض »

قال الحسن عن الكرسي انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لأن السرير قد يوصف بأنه عرش و بأنه كرسي لأن كل واحد منها يصح التمكن عليه

وقيل المراد من الكرسي ان السلطان والقدرة والملك لله لأن الالهية لاتحصل الا بهذه الصفات . والعرب تسمي أصل كل شيء الكرسي . او لأنه تسمية الشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابورى في تفسيره :

« وقيل المراد به العلم لأن موضع العلم

هو الكرسي . وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي الارض كما يقال هم اوتاد الارض

وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد . واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري . وتقريره انه يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا من ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم ، وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه . ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك وكذلك ماذكر في القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلي هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال علي العرش استوى ووصف عرشه فقال : (وكان عرشه علي الماء) ثم قال (وترى الملائكة حافين من حول العرش) ثم قال (ويحمل عرش ربك يومئذ فوقهم ثمانية) ثم أثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا ان المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي »

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « ثم استوى علي العرش» فحمل بعضهم الاستواء علي الاستقرار وقد زيف العلماء هذا التاول بوجوه عقلية ونقلية ذكرها العلامة نظام الدين النيسابوري في تفسيره قال :

« منها استقراره علي العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ماهو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لامحالة الي محدث مخصص فلا يكون واجبا

« ولقائل أن يقول لم لايكون الاله تعالي نورا غير متناه ويراد استقراره علي العرش بلا تناهيه احاطته من الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الملك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل علي نحو آخره تعوزه العبارة

« ومنها انه تعالى لوكان في مكان وجهة لكان اما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهياً من بعضها دون بعض ، وعلي الأول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشيء

الذي حمل السموات اما أن يكون عين الشيء الذي هو محل الارض أو غيره وعلي الأول يلزم أن يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان، وعلي الثاني يلزم التركيب والتجزئة في ذاته تعالى . وأما ما كان متناهياً من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة ، وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهراً فرداً لزم أن يكون واجب الوجود أحقر الاشياء، والا لزم التبعيض لان جهة الفرق منه تكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه ان كان متناهياً من بعض الجهات . ولو جاز أن يكون الشيء المحدود من جانب أو جوانب قديماً أوليا فاعلا للعالم ، فلم لايجوز أن يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر أو كوكب آخر، وأيضاً يصح علي الشيء المتناهي أن يكون غير متناه ، وعلي غير المتناهي أن يكون متناهياً، لأن الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ماصح علي واحد منها صح علي الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق علي ذاته تعالي فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما . ولقائل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم، ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقراً الي المحل ، وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لاأصل له عند الرجل البرهاني

« ومنها انه لوكان الباري تعالي أزلياً وان لم يكن موجوداً لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشاراً اليه بالحس وذلك باطل

« واعترض بأن ذلك أيضاً وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة ، وأجيب بأن مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح القاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض

« ولقائل أن يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا فيحقه محال لعدم تناهيه ، ولم لايجوز أن يكون المكان خلاء لزم في الاجساد أيضا بل لابعد هناك فلا يلزم تداخل البعدين ، ولو لزم هناك ولا امتداد، ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج

ومنها أنه لو امتنع وجود الباري تعالي بحيث لايكون مختصاً بالحيز والجهة

لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الي غير فيكون ممكنا . والجواب مامر من أن استصحاب المكان لايوجب الافتقار اليه

« ومنها أن الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض ولأن هذا المفهوم واحد فلاحياز بأسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولي بالحدوث فالواجب محدث . هذا خلف

« ولقائل أن يقول ما لا يتناهي لا يعقل له حيز معين ، ولو فرض لا تناهي الاحياز أيضاً فافتقاره اليها ممنوع ،وكيف يفتقر الشيء الي ماتأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك لاتفعر

« ومنها لوكان في الحيز والجهة لكان مشاراً اليه بالحس ، ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزىء والا لكان نقطة أو جوهراً فرداً ، فلا يبعد أن يقال له ان الله العالم جزء من الف جزء من رأس ابرة ملتصقة بذنب قملة أو نملة

« ولقائل أن يقول لا نسلم انه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشاراً اليه حساً ، فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لايستحق الجواب

« ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فلا بد أن يكون جانب يمينه مغايراً لجانب شماله فيكون منقسما ، وكل منقسم مفتقر ممكن . قالوا هذا الدليل مبنى علي نفي الجوهر الفرد

« ومنها لوكان في حيز لكان اما أعظم من العرش أو مساوياً أو أصغر منه والثالث باطل بالاجماع ، والأولان يستلزمان الانقسام لان المساوى للمنقسم منقسم ، وكذا الزائد عليه لان القدر الذى فضل مغاير لما سواه

« ولقائل أن يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير

« ومنها انه لو فرض كونه تعالي غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لاتناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد

« ولقائل أن يقول براهين تناهي الابعاد لاتسلم : ولو سلم فلا بعد فيما وراء

العالم الجسماني ولا امتداد

« ومنها انه سبحانه وتعالي لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما أن يمنع من حصول جسم آخر فيه أو لم يمنع،وعلي الأول كان تعالي متساوياً لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم تحصل بينه وبينها مخالفة عن سائر الوجوه كان مابه المشاركة مغايراً لما به المخالفة فيكون الواجب مركباً بل ممكناً . وأيضاً ان مابه المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد أما أن يكون محلا لما به المخالفة أو حالا فيه أولا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهراً قائما بنفسه والأمور التى بها حصلت المخالفة أعراضاًوصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهيةوكل مايصح علي بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح علي ذاته تعالي

« وان كان مابه المخالفة محلاوذوات وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضاً اختصاص بحيز وجهةفيجب افتقاره الي محل آخر لاالي نهاية والا كان موجوداً مجرداً فلا يكون بعداً وامتداداً . هذا خلف

« وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبياً مباينا فتكون ذات الله تعالى متساوية لتمام الاجسام في الماهية و يصح عليها.هذا محال .

« وعلي التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالي لايمنع من حصول جسم آخر في حيزه ان سريانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالي في حيز محال

« ولقائل أن يقول كون البارى تعالي مع الحيز مغاير لكون الجسم في الحيز فأين الاشتراك ؟ ولو سلم فالاشتراك في اللوازم لايوجب الاشتراك في الملزومات فمن أين يلزم التركيب ؟

« قوله فان كان محلا له كان البعد جوهراً قائما بنفسه ، قلنا كون البعد جوهراً قائما بنفسه حق ، ولكن الملازمة ممنوعة . وكذا قوله الامور التى بها حصلت المخالفة أعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة

« قوله والا كان موجوداً مجرداً فلا يكون بعداً ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا وجو به والكلام في سريانه

في الموجودات قد مر

« ومنها لو أنه كان في حيز فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا ، وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما يخلو عن المحدث أولي بأن يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز ، وذلك محال وأيضا لايبعد فرض اجسام اخرى مختصة بأحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن ثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون ، والكرامية يساعدون علي انه كفر

« ولقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الي احياز ، فأما النور المجرد فلاً يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والتحيز سلمنا وجوب اتصافه بأحدهما فلم لايجوز أنه لايمكنه التحرك الا بكونه زمنا مقعدا ، ولكن لأنه نور غير متناه لايصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لانها موقوفة علي شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النوراني الذى لانهاية لعمقه منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ؟

« ومنها انه لوكان مختصاً بحيز فان كان لطيفاً كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلباً كان الله العالم جبلا واقفا في الحيز العالي ، وان كان نوراً محضا جاز ان تفرض هذه الانوار التى تشرق علي الجدران الها ، وأيضا ان كان له طرف واحد ، فان كان ذا عمق ونحن كان باطنه غير ظاهره ، وان كان سطحا في غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منه الف الف مرة. قلت : ان أمثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لايفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشيء القائم بذاته والمفتقر الي غيره ، ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة، واذا جاز ان يكون في أنواع الاجسام أنواع لايمكن أن يتصف بهذين المتقابلين لأن ذلك الموضع أجل وأشرف من أن يتصف بأحدهما فلم لايجوز ان يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شيء لايتصف بهما

« ومنها لوكان العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه

او غير متناه ، وعلي الاول فان لم يكن له نخن فالماس مغاير لغير الماس و يلزم تركيبه وان كان مبايناً ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى اين ثانية و يعود الالزام المذكور . وان كان مبايناً ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهي محصوراً بين الحاصرين

« ولقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالي نور مجرد محض فلا عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه ذلك

« ومنها ان الاستقراء قد دل علي ان الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض اقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء ، وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة في العنصريات . ثم انه لا قوة اشد من قوة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت في الاستقراء نزاع انه صحيح تام اولا ؟ ولكن لانزاع في ان واجب الوجود تعالي شأنه بريء عن الحجمية والكثافة وعن كل شيء يقدح في قيومته وههنا حجج قد أوردت في سورة الانعام في قوله سبحانه (وهو القاهر فوق عباده) وقد عرفت ماعليها فهذه حجج عقلية سأل بها الامام فخر الدين الرازى رضي الله عنه في تفسيره الكبير وقد أوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لا اعتقاداً للتشبيه والتجسيم أو تقليداً لاولئك الاقوام بل تشحيذاً للذهن وتقريباً الي المعارف والحقائق ، وجذباً للضبع المتأمل في المضايق والمزالق فليختر المنصف ما أراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لايكشف المقال عنها غير الخيال والله أعلم بحقيقة الحال

ثم قال رضي الله عنه : وأما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالي « قل هو الله احد » والأحد مبالغة في كونه واحداً والذى يمتلىء منه العرش و يفضل العرش يكون مركباً من الاجزاء وذلك ينافي كونه احداً وأجيب بأنه ذات واحدة حصلت في كل الاحياز دفعة واحدة وزيف من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لايجوز ان يقال جميع الارض الى ماتحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا ان ذلك الجزء الذى لايتجزأ حصل في جملة الاحياز وظن انه اشياء كثيرة. قلت وهذه

مغالطة فان هـذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشيء الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته . وأيضا المتحيز الذى له مقدار ذراع لايشغل بالبديهية حيزين كل منهما ذراع في ذراع فلزم منه أن لايشغل ذينك الحيزين متحيز مقدار ضعف ذلك علي ان الحق ماعرفت مراراً ان نور الانوار قيوم في ذاته حاصل في جميع الاشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العروض الساري في الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام

« ومنها قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » و يلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع

« ومنها قوله (والله الغنى) فوجب أن يكون غير مفتقر الي المكان والجهة . والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار

« ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله في قوله (وما رب العالمين) ولم يزد موسي علي ذكر الاوصاف . وأما فرعون فقد طلب في السماء في قوله فأطلع الي اله موسي فعلمنا ان التنزيه دين موسي ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون . والجواب لا نزاع في ان حقيقة ذاته كما هي لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا بلوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لأنه تصور أن يكون الاله شخصاً مثله علي تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيرى

« ومنها هذه الآية لأنها تدل علي انه استقر علي العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا . والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ماخلق من عالم الاجسام والاختلاط بقي ماوراءه نوراً محضاً . ومنها قصة ابراهيم وتبرئه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا في أفق الامكان والجواب ان نور الانوار أجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع ما سواها أن يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول

« ومنها ان أول الآية أعني قوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) يدل علي قدرته وحكمته وكذا قوله (يغشي الليل النهار) الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار

كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق و بعوض صدق انه استقر علي العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بيراء الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها . والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه اول شيء علي المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا علي المدح

« ومنها انه سبحانه حكم في آيات كثيرة بأنه سماء لساكني العرش لان السماء عبارة عن كل ماعلا وسما ومن هذا قد يسمي السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ماسما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله (الله خالق كل شيء) هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الي الله والثاني الخوض في التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء اى الاستعلاء علي الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولي كقول الشاعر:

قد استوى بشر علي العراق
من غير سيف ودم مهراق

« وثالثها أن العرش في كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ، يقال استوى سرير ملكه اذا استقام له امره واطرد وفي ضده خلا عرشه اى انتقض ملكه وفسد ، فالله تعالي دل علي ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى الفوه عن ملوكهم ورؤسائهم ، استقرت عظمة الله تعالي في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه

فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالي لايخفي عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال خاصة

« واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات . ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة

والمدة والفكرة والروية وكذا القول كل من صفاته . واذا أخبر ان له بيتا يجب علي عباده حجه فهموا منه انهم يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانهم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه : واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى علي العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استوى علي عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لأن تأثير الفاعل لا يظهر الا في القابل . وقال مسلم العرش لغة هو البناء والعارش الباني قال تعالي : (من الشجر ومما يعرشون) فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الي تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموثقة» انتهي

نقول بعد ايراد هذه الاقوال ان من اضاعة الوقت سدى محاجة الخصوم بأمثال هذه البراهين المنطقية فليس وراءها الا توسيع نطاق الكلام الي غير نهاية وكل مجادل لا يعدم كلاما يدلي به الى خصمه والذى يثلج عليه الصدر و يرتاح له القلب هو ماقالوه من وجوب تشبيه العرش بالملك ، والاستواء بالاستعلاء اى انه استعلي علي الملك . او ان استوى بمعنى استولي ، فيكون المعنى انه تعالى استولي علي الملك . او يقال كما قيل ان العرش هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك فيكون معنى استوى علي العرش انه استقام له أمر الملك علي الكون وما فيه وكل ما يقال غير ذلك يفضي الى التشبيه الذى يتنزه عنه البارى سبحانه وتعالي

(حملة العرش) قال تعالي «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ (يوم القيامة) ثمانية»

قال العلامة نظام الدين الحسن النيسابورى في تفسيره : عن الحسن لا أدرى ثمانية اشخاص أو ثمانية آلاف أو ثمانية صفوف : وعن الضحاك ثمانية صفوف ولا يعلم عددهم الا الله

«قال المفسرون الحمل علي الاشخاص اولي لان هذا أقل مايصدق اللفظ عليه والزائد لا دليل عليه وكيف لا والمقام مقام تهويل وتعظيم فلو كان المراد ثمانية آلاف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل ويؤيده ماروى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى

«وروى ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون يسبحون وقيل بعضهم علي صورة الانسان و بعضهم علي صورة الاسد و بعضهم علي صورة الثور و بعضهم علي صورة النسر

«وروى ثمانية أملاك في خلق الاوعال ما بين أطراف ركبتها مسيرة سبعين عاما

«وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم و بحمدك لك الحمد علي عفوك بعد قدرتك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم و بحمدك لك الحمد علي حلمك بعد علمك . ولولا هذه الروايات لجاز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر .

«قالت المشبهة لو لم يكن الله علي العرش لم يكن لحملة فائدة كما شبههم

بقولهم يومئذ تعرضون المحاسبة والمسائلة فلو لم يكن الاله حاضراً لم يكن للعرض معنى وأجيب بأن الدليل علي حمل الاله محال ثابت فلا بد من التأويل وهو انه تعالي خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتاً تزورونه وليس ليسكن فيه ، وجعل في ذلك البيت حجراً هو يمينه في الارض ، اذا كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم بتقبيل ايمانهم ، وجعل علي العباد حفظة الا لأن النسيان يجوز عليه بل لأنه المتعارف ، فكذلك لما كان من شأن الملك اذا أراد محاسبة عماله أن يجلس لهم علي سرير و يقف الاعوان حواليه صور الله تعالي تلك الصورة المهيبة لا لأنه يقعد علي السرير . انتهي

﴿ العريش ﴾ مدينة بمصر صغيرة قديمة جداً علي بعد كيلو متر من ساحل البحر الابيض المتوسط وهي واقعة بين مصر والشام بها نخيل ورمان و بطيخ يبلغ عدد سكانها ١٧٠٠٠ نسمة

﴿ المَعْرَصة ﴾ ساحة الدار جمعها مَعْرَصَات ومعارص

﴿ عرَض ﴾ له كذا يعرض وعرض يعرض عرضا كفرح ظهر عليه و بباله

(عرّض عليه) أراه أياه
(عرّض له عارض) أصابه
(عارضه) غالبه في المعارضة
(عرُض الشيء) يعرُض عرَضا ضد طال
(عرّض الشيء) جعله عريضا
(أعرض عنه) أضرب عنه وصدعنه
(تعرض له) تصدّى له
(اعترض) مطاوع عرض
(العارض) السحاب المعترض في الأفق
(فلان خفيف العارضين) أى شعر العارضين
(العيرّض) النفس وجانب الرجل الذى يلزمه ان يصونه
(العرّض) المتاع وحطام الدنيا
(أحبه عرضا) اى عرض له فأحبه من غير قصد
يقال : (هو عُرضة الناس) أي مستهدف لهم يشتمونه

﴿ علم العروض ﴾ هو علم بأصول يعرف به صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها وما يطرأ عليها من الزحاف والعلل، وموضوعه الشعر من حيث وزنه بأوزان مخصوصة . وفائدته تمييز الشعر من غيره والامن من اختلاط بعض البحور ببعض وغير ذلك

وضعه أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدى استاذ سيبويه المتوفي سنة (١٧٠) أو (١٧٥) ه

عمد الخليل لضبط الشعر الى تقطيع الابيات بتفاعيل يوزن بها بعد أن قسمه الي أبحر معدودة كما سيجيء، وقسم أحرف التقطيع التى تتركب منها الاجزاء الي عشرة أحرف يجمعها قولك (لمعت سيوفنا) وتلك الاحرف قسمان بعضها متحرك و بعضها ساكن

فالساكن ماخلا عن الحركة وان كان أصله متحركا والمتحرك مالم يخل منها وان كان أصله ساكنا . ولما كانت الاجزاء لاتتركب من أحرف الا بواسطة الاسباب والاوتاد قدمها عليها

فالاسباب هي :
السبب الخفيف وهو كل متحرك بعده ساكن نحو قد
والسبب الثقيل كل متحركين متواليين نحو بك
. . والاوتاد هي . . . . . .

الوتد المجموع كل متحركين بعدهما ساكن نحو بكم
والوتد المفروق كل متحركين بينهما ساكن نحو قلم
اما الفواصل فهي :
كل ثلاث متحركات بعدها ساكن تسمي فاصلة صغرى نحو فعلت وهي مركبة من سببين ثقيل وخفيف
وكل اربع متحركات بعدها ساكن تسمي فاصلة كبرى نحو فعلتن وهي مركبة من سبب ثقيل فوتد مجموع ولذا استغنى بعضهم عن ذكرها
يجمع هذه الاسباب والاوتاد والفواصل قولك (لم أر علي ظهر جبل سمكة)
من الاسباب والاوتاد والفواصل تتركب التفاعيل وهي ثمانية لفظا عشرة حكما
لأن من بينها (مستفعلن) لها حالتان الجمع والفرق . وفاعلاتن كذلك فاللفظ واحد منها والحكم مختلف
تلك التفاعيل اثنان منها خماسيان وهما فعولن وفاعلن وثمانية سباعية ماعدا هذين اللفظين مما سيجيء، منها

وهذه التفاعيل تنقسم الي اصول وفروع فأصولها اربع وهي ما كان منها مبدوأ بوتد وهي : فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن
والفروع منها ماكان مبدوأ بسبب وهي ستة فاعلن ومستفعلن وفاعلاتن ومتفاعلن ومفعولات ومستفعلن
من هذه التفاعيل تتركب البحور المنظور اليه عند تقطيع الاشعار وهو مقابلة المتحرك بالمتحرك والساكن بالساكن بقطع النظر عن ذات الحركة والحرف كما ان المنظور فيه اللفظ دون الخط فبر مثلا حرفان خطا اربعة لفظا ، ويصور عند التقطيع هكذا برون ، لان المشدد بحرفين ساكن فمتحرك والتنوين حرف ساكن . ونحو قولك : (واكتبوا) هي سبعة خطا خمسة لفظا لسقوط همزة الوصل والالف الفارقة التى بعد واو الجمع

(بيان القاب الزحاف والعلل)

الزحاف هو تغيير مختص بثواني الاسباب لكثرة دورانه في الشعر بلا لزوم له ان ورد فقد يكون في بيت ولا يكون في بيت آخر وهو لايدخل الحرف الاول لانه ليس محلا للتغيير ، ولا الحرف الثالث لانه اما

ان يكون اول سبب او وتد اوثالث وتد . ولا الحرف السادس لانه اما ان يكون اول سبب او ثاني وتد

والزحاف نوعان مفرد ومزدوج . فالمفرد هو مايكون لمحل واحد من الجزء وهو ثمانية انواع وهي :

(١) الخبن — وهو حذف ثاني الجزء ساكنا كحذف السين من مستفعلن والالف من فاعلن وفاعلاتن مجموع الوتد والفاء من مفعولات

(٢) والاضمار — وهو اسكان ثاني الجزء حال كونه متحركا ولا يكون الا في مفاعلن

(٣) والوقص — حذف ثاني الجزء حال كونه متحركا ولا يكون الا في متفاعلن

(٤) والطي — حذف رابع الجزء ساكنا كحذف فاء مستفعلن مجموع الوتد والف متفاعلن المضمر وواو مفعولات

(٥) والقبض — حذف خامس الجزء ساكنا كحذف نون فعولن وياء مفاعيلن

(٦) والعصب — اسكان خامس الجزء حال كونه متحركا ولا تكون الا في مفاعلتن

(٧) والعقل — حذف خامس الجزء متحركا ولا يكون الا في مفاعلتن

(٨) والكف حذف سابع الجزء ساكنا كحذف نون مفاعيلن ومستفعلن وفاعلاتن

والزحاف المزدوج هو مايكون في موضعين من الجزء وهو اربعة انواع وهي :

(١) الطي مع الخبن ، كحذف سين وفاء مستفعلن مجموع الوتد ، وكحذف واو مفعولات ويسمي (الخبل) ولا يدخل في غير هذين الجزئين

(٢) والطي مع الاضمار ويسمي (الخزل) وهو ينحصر في اسكان تاء وحذف الف متفاعلن

(٣) والكف مع الخبن ويسمي (الشكل) وينحصر في حذف الف ونون فاعلاتن مجموع الوتد ، وسين ونون مس تفع لن مفروق الوتد

(٤) والكف مع العصب ويسمي (نقص) ويختص بمفاعلتن

اما العلل فهي نوعان نوع بالزيادة علي الجزء بسبب احرف وهي :

(اولها) زيادة سبب خفيف علي

أى جزء آخره وتد مجموع ويسمي ذلك (تذييلا)

(وثانيها) زيادة حرف ساكن علي أى جزء آخره سبب خفيف ويسمي ذلك (التسبيغ)

(رابعها) زيادة مادون خمسة أحرف أول الشطر الاول غالبا كالشد في قولك

اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت
اذا حل بواديك

والنوع الثاني من العلل بالنقص وهي نقص من الجزء بزيادة سبب أو حرف أو وتد وهي :

(أولها) ذهاب سبب خفيف أى سقوطه من آخر الجزء ويسمي ذلك (الحذف)

(ثانيها) الحذف مع العصب وهو خاص بالوافر فيصير مفاعلتن مفاعل (ويسمي القطف)

(ثالثها) حذف ساكن الوتد المجموع واسكان ماقبله ويسمي (القطع) ويختص بالبسيط والكامل والرجز فيصير فاعلن في الاول ومتفاعلن في الثاني ، ومتفاعل ومستفعلن في الثالث ومستفعل في الجميع

(رابعها) القطع مع الحذف ويسمي (البتر) ويدخل المتقارب والمديد فيصير فعولن في الاول (فع) و (فاعلاتن) في الثاني فاعل

(خامسها) حذف ساكن السبب واسكان متحركه الباقي ويسمي (القصر) ويدخل الرمل والمديد والخفيف والمتقارب فيصير فاعلاتن في الثلاثة فاعلات وفعولن في الرابع فعول

(سادسها) حذف وتد مجموع ويسمي (الحذذ) ويختص بالكامل فيصير متفاعلن متفا

(سابعها) حذف وتد مفروق يسمي (صلم) ويختص بالسريع فيصير مفعولات مفعو

(ثامنها) اسكان الحرف السابع المتحرك وهو تاء مفعولات ويسمي (الوقف) ويدخل السريع والمنسرح

(تاسعها) حذف السابع المتحرك ويسمي (الكف) ويدخل السريع والمنسرح فيصير مفعولات مفعولا

(عاشرها) سقوط أول الوتد المجموع في صدر المصراع الاول في المتقارب

والوافر والهزج والمضارع والطويل (حادى عشرها) حذف أول الوتد المجموع في الخفيف والمجتث والمتدارك لانهما جاريان مجرى الزحاف في عدم اللزوم

﴿ابحر الشعر﴾ الشعر اربعة عشر بحرا . وهي الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمتقارب

وقد رأينا ان نأتي على البحور منظومة ليسهل على طالب هذا العلم ان يجد لكل بحر أمثله من أرق الابيات فيسهل عليه حفظها . ننقل ذلك عن العقد الفريد .

﴿شطر الرمل﴾

هو مجزوءه كله له ثلاثة أعاريض وستة ضروب : فالعروض الاول منها مجزوءه وله ضرب مثله ، والعروض الثاني محذوف لازم الثاني ، له ثلاثة ضروب لازمة الثاني : ضرب مقصور لازم الثاني، وضرب محذوف لازم الثاني ، وضرب ابتر لازم الثاني . والعروض الثالث محذوف مخبون له ضربان : ضرب مثله وضرب ابتر لازم الثاني

﴿العروض المجزوء، والضرب المجزوء﴾

ياطويل الهجر لاتنس وصلي
واشتغالي بك عن كل شغل
ياهلالا فوق جيد غزال
وقضيبا تحته دعص رمل
لاسلت عاذلتى عنه نفسي
أكثرى في حبه أو اقلي
شادن يزهي بخد وجيد
مائس فتن حسن ودل
ومتى مايع منك كلاما
فتكلم فيجبك بعقل

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

﴿الضرب المحذوف اللازم الثاني﴾
(والضرب المقصور اللازم الثاني)

ياوميض البرق بين الغمام
لاعليها بل عليك السلام
ان في الاحداج مقصورة
وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالا لها
وترى الوصل عليها حرام
ماتأسيك لدار خلت
ولشعب شت بعد التئام

انما ذكرك ما قد مضي
ضلة مثل حديث المنام

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلن فاعلان

﴿الضرب المحذوف اللازم الثاني﴾

عاتب ظلت له عاتبا
رب مطلوب غدا طالبا
من يتب عن حب معشوقه
لست عن حبي له تائبا
فالهوى لي قدر غالب
كيف أعصي القدر الغالبا
ساكن القصر ومن حله
أصبح القلب بكم ذاهبا
اعلموا اني لكم حافظ
شاهدا ماعشت أو غائبا

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فاعلن
فاعلاتن فاعلن فاعلن

﴿الضرب الابتر﴾

اى تفاح ورمان
يجتني من خوط ريحان
اى ورد فوق خديدا
مستنير بين سوسان
وثن يعبد في روضة
صيغ من در ومرجان
انما الدنيا ياقوتة
أخرجت من كيس دهقان

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فعلن
فاعلاتن فاعلن فعلن

﴿الضرب الابتر اللازم الثاني﴾

زادني لومك اصرار
انلي في الحب انصارا
طار قلبي في هوى رشأ
لودنا للقلب ماطارا
خد بكفي لا أمت غرقا
ان بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي
ودموعي تطفئ النارا
رب نار بت أرمقها
تقضم الهندي والغارا

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلن فعلن
فاعلاتن فاعلن فعلن

يجوز في حشو المديد الخبن والكف والشكل . فالمخبون ماذهب ثانيه الساكن ، والمكفوف ماذهب سابعه الساكن ،

والمشكول ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان وهو لجتماع الخبن والكف في فاعلاتن ويدخله التعاقب في السببين المتقاربين بين النون في فاعلاتن والألف من فاعلن لايسقطان جميعاً ويثبتان فما عاقبه ما قبله فهو صدر وما عاقبه مابعده فهو عجز وما عاقبه ماقبله ومابعده فهو طرفان ، وما لم يعاقبه شيء فهو بريء .

والمقصود ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من السبب والابتر ما حذف ثم قطع

﴿ شطر البسيط ﴾

البسيط له ثلاثة أعاريض وستة أضرب فالعروض الاول مخبون تام له ضربان: ضرب مثله، وضرب مقطوع لازم الثاني والعروض الثاني مجزوم له ثلاثة اضرب : ضرب مذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع من الطي والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطي له ضرب مثله

﴿ العروض المخبون الضرب المخبون ﴾

بين الاهلة بدر مالله فلك
قلبي له سلم والوجه مشترك
إذا بدا انتهبت عيني محاسنه
فذل قلبي لعينيه فتهتك
ابتعت بالدين والدنيا مودته
فخانني فعلي من يرجع الدرك
كفوا بني حارث ألحاظ ريمكم
فكلها لفؤادي كله شرك
ياحار لا أرمين منكم بداهية
لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب المقطوع اللازم ﴾

ياليلة ليس في ظلمائها نور
الا وجوها تضاهيها الدنانير
حور سقتني كأس الموت أعينها
ماذا أسقتنيه تلك الاعين الحور
اذا ابتسمن فدر الثغر مبتسم
وان نطقن فدر اللفظ منثور
خل الصبا عنك واختم بالنهي عملا
فان خاتمة الاعمال تكفير
والخير والشر مقرونان في قرن
فالخير متبع والشر محذور

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

﴿ العرض المجزوء الضرب المذال ﴾

ياطالباً في الهوى مالا ينال
وسائلاً لم يعف ذل السؤال
ولت ليالي الصبا محمودة
لو أنها رجعت تلك الليال
وأعقبتها التي واه لها
بالهجر لما رأت شيب القذال
لاتلتمس وصلة من مخلف
ولا تكن طالباً ما لا ينال
ياصاح قد اخلت اسماء ما
كانت تمنيك من حسن الوصال

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلان

﴿ الضرب المجزوء ﴾

ظالمتي في الهوى لاتظلمي
وتصرمي حبل من لم يصرم
أهكذا باطلا عاقبتني
لايرحم الله من لم يرحم
قتلت نفسا بلانفس وما
ذنب بأعظم من سفك الدم
لمثل هذا بكت عيني ولا
للمنزل القفر لا للارسم

ماذا وقوفي علي رسم عفا
مخلولق دارس مستعجم

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن

﴿ الضرب المقطوع الممنوع من الطي ﴾

ما أقرب اليأس من رجائي
وأبعد الصبر من بكائي
يامذكي النار في جوانحي
أنت دوائي وأنت دائي
من لي بمخلفة في وعدها
تخلط لي اليأس بالرجاء
سألتها حاجة فلم تفه
فيها بنعم ولا ببلاء
قلت استجيبي فلما لم تجب
سالت دموعي علي ردائي

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلن فعولن

﴿ العروض المقطوع الممنوع من (الطي ضربه مثله) ﴾

كآبة الذل في كتابي
ونخوة العز في جوابي

قتلت نفسا بغير نفس
فكيف تنجو من العذاب
خلقت من بهجة وطيب
اذ خلق الناس من تراب
ولت حميا الشباب عنى
فلهف نفسي علي الشباب
أصبحت والشيب قدعلاني
يدعو حثيثا الي الخضاب

تقطيعه :

مستفعلن فاعلن فعولن
مستفعلن فاعلن فعولن

يجوز في حشو البسيط الخبن والطي والخبل . فالخبن ماذكرناه في المديد، والطي ماذهب رابعه الساكن، والمخبون ماذهب ثانيه ورابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والطي في مستفعلن. والخبن فيه حسن ، والطي فيه صالح ، والخبل فيه قبيح ، والمقطوع ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد . والمزاد مازاد علي اعتداله حرف ساكن تمت الدائرة الاولي

﴿ شطر الوافر عروضان وثلاثة ﴾
(اضرب)

فالعروض الاول مقطوف له ضرب مثله والعروض الثاني مجزوء ممنوع من العقل ، له ضربان : ضرب سالم وضرب معصوب

﴿العروض المقطوف الضرب المقطوف﴾

تجافي النوم بعدك عن جفوني
ولكن ليس يجفوها الدموع
يذكرني تبسمك الاقاحي
ويحكي لي توردك الربيع
يطير اليك من شوق فؤادى
ولكن ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبت غابت
فليس لها علي الدنيا طلوع
فمالي عن تذكرك امتناع
ودون لقائك الحصن المنيع
اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الي ما تستطيع

تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

﴿ العروض المجزوء الممنوع من العقل ﴾
(الضرب السالم)

غزال زانه الحور
وساعد طرفه القدر

يريك اذا بدا وجها
حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور
فلا جن ولا بشر
فذاك الهم لا اطلال
وقفت عليه تعتبر
أهاجك منزل اقوى
وغير آيه الغير

تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن

﴿ الضرب المعصوب ﴾

وبدر غير ممحوق
من العقيان مخلوق
اذا اسقيت فضلته
مزجت بريقه ريقي
فيالك عاشقا يسقي
بقية كأس معشوق
بكيت لنأيه عنى
ولا ابكي بتشهيق
لمنزلة بها الافلا
ك امثال المهاريق

تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعيلن

يجوز في حشو الوافر العصب والعقل والنقص . فالعصب فيه حسن والنقص فيه صالح ، والعقل فيه قبيح ، ويدخله الخرم في الابتداء فيسقط حركة من اول البيت فيسمي أعضب فاذا دخله العصب مع الخرم قيل له أعقم ، فاذا دخله النقص مع الخرم قيل له أعقص . فاذا دخله العقل مع الخرم قيل له أجم . والمعصوب ماسكن خامسه المتحرك . والمنقوص ماسكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن والمقطوف الذى ذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر مابقي . ولا يدخل القطف الا في العروض . والضرب من تمام الوافر

﴿ شطر الكامل ﴾

الكامل له ثلاثة أعاريض وتسعة ضروب . فالعروض الاول تام له ثلاثة ضروب : ضرب تام مثله، وضرب مقطوع ممنوع الا من سلامة الثاني واضماره ، وضرب احذ مضمر . والعروض الثاني احذ له ضربان . ضرب مثله وضرب مضمر

والعروض الثالث مجزوء له اربعة
ضروب : ضرب مرفل وضرب مذال ،
وضرب مجزوء وضرب مقطوع ممنوع الامن
سلامة الثاني وأضماره

(العروض التام الضرب التام)

ياوجه معتدل ومقلة ظالم
كم من دم ظلما سفكت بلادم
أوجدت وصلي في الكتاب محرما
ووجدت قتلي فيه غير محرم
كم جنة لك قد سكنت ظلالها
متفكها في لذة وتنعم
وشربت من خمر العيون تسللا
فاذا انتشيت اجود جود المرزم
واذا اصحوت فما أقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن متفاعلن

(الضرب المقطوع الممنوع الامن)
(الاضمار والسلامة)

حال الزمان فبدل الآمالا
وكسي المشيب مفارقا وقذالا
عنيت غواني الحي عنك وربما
طلعت اليك أهلة وجمالا
أضحي عليك حلالهن محرما
ولقد يكون حرامهن حلالا
ان الكواكب ان رأينك طاويا
وصل الشباب طوين عنك وصالا
واذا دعونك عمهن فانه
نسب يزيدك عندهن خبالا

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن فعلاتن

(الضرب الاحذ المضمر)

يوم المحب لطوله شهر
والشهر يحسب انه دهر
بأبي وامي غادة في خدها
سحر وبين جفونها سحر
الشمس تحسب انها شمس الضحي
والبدر يحسب انها البدر
فسل الهوى عنها يجبك وان تأت
فسل القفار يجبك القفر
لمن الديار برامتين فعاقل
درست وغير آيها القطر

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

(العروض الاحذ الثالث)
(ضربه مثله)

أما الخليط فشد ماذهبوا
بانوا ولم يقضوا الذي يجب
فالدار بعدهم كوشم يد
يادار فيك وفيهم العجب
أين التي صيغت محاسنها
من فضة شيبت بماذهب
ولى الشباب فقلت أندبه
لا مثل ما قالوا ولا ندبوا
دمن عفت ومحا معالمها
هطل اجش وبارح ترب

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن فعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

(الضرب الاحذ المضمر)

عيني كيف غررتما قلبي
وأبحتماه لوعة الحب
يانظرة أذكت علي كبدي
ناراً قضيت بحرها نحبي
خلوا جوى قلبي أكابده
حسبي مكابدة الجوى حسبي
عيني جنت من شؤم نظرتها
مالا دواء له علي قلبي
جانبك من يجني عليك وقد
تعدى الصحاح مبارك الجرب

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن فعلن
متفاعلن متفاعلن فعلن

(العروض المجزوء ، الضرب)
(المجزوء المرفل)

هتك الحجاب عن الضمائر
طرف به تبلي السرائر
يرنو فيمتحن القلو
ب كأنه في القلب ناظر
ياساحراً ما كنت أعر
ف قبله في الناس ساحر
أقصيتني من بعد ما
أدنيتني فالقلب طائر
وغررتني وزعمت أ
نك لابن بالصيف تامر

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلاتن

(الضرب المذال)

يامقلة الرشأ الغرير
وشقة القمر المنير

مارنقت عيناك لي
بين الاكلفوا الستور
الاوضعت يدي على
قلبي مخافة أن يطير
هبني كبعض حمام مكة
واستمع قول النذير
أبني لاتظلم بمكة
لاالصغير ولاالكبير

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلان

(الضرب المجزوء)

قل ما بدالك وافعل
واقطع حبالك أوصل
هذا الربيع نحيه
وانزل يا كرم منزل
وصل الذي هو واصل
فاذا كرهت فبدل
واذا نبا بك منزل
أو مسكن فتحول
واذا افتقرت فلاتكن
متجشماً وتجمل

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن متفاعلن

(الضرب المقطوع الممنوع الامن)
(سلامة الثاني واضماره)

يادهر مالي أطيبا
لثوا نت غير موات
جرعتني غصصاً بها
كدرت صفو حياتي
أين الذين تسابقوا
في المجد للغايات
قوم بهم روح الحيا
ة ترد في الاموات
فذاهم ذكروا الاسا
ءة اكثروا الحسنات

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن
متفاعلن فاعلاتن

يجوز في الكامل الزحاف الاضمار والوقص والخزل . فالاضمار فيه حسن • والوقص فيه صالح والخزل فيه قبيح • فالمضمر ماسكن ثانيه المتحرك، والموقوص ماذهب ثانيه المتحرك ، والمخزول ماسكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن ويدخله من العلل القطع والحذف فالمقطوع

ماتقدم ذكره والاحذ ماذهب من آخر الجزء وتد مجموع

➤ شطر الهزج ➤

الهزج له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض وضربان : ضرب سالم وضرب محذوف

(العروض المجزوء الممنوع من)
(القبض ،ضرب به مثله)

أيا من لام في الحب
ولم يعلم جوى قلبي
ملام الصب يغويه
ولا اغوى من القلب
فاني لمت في هند
محبا صادق الحب
وما يلقي لها شبه
بشرق لا ولا غرب
الي هند صبا قلبي
وهند مثلها يصبي

تقطيعه :

مفاعيلن مفاعيلن
مفاعيلن مفاعيلن

(الضروب المجزوء المحذوف)

متى أشفي غليلي
بنيل من بخيل

غزال ليس لي منه
سوى الحزن الطويل
جميل الوجه أخلاني
من الصبر الجميل
حملت الضيم فيه من
حسود أو عزول
وماصدري لباغي الضيـ
م بالظهر الذلول

تقطيعه :

مفاعيلن مفاعيلن
مفاعيلن فعولن

يجوز في الهزج من الزحاف القبض والكف . فالكف فيه حسن والقبض فيه قبيح .وقد فسرنا المقبوض والمقبوض في الطويل ايضا . ويدخله الخرم في الابتداء فيكون أخرم . فاذا دخله الكف مع الخرم قيل له أخرب . فاذا دخله القبض مع الخرم ، قيل له اشتر ،والخرم كله قبيح

➤ شطر الرجز ➤

الرجز له اربعة أعاريض وخمسة ضروب ، فالعروض الاول تام له ضربان ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقطوع ممنوع من الطي . والعروض الثاني مجزوء

له ضرب مثله مجزوء ، والعروض الثالث مشطور له ضرب مثله ، والعروض الرابع منهوك له ضرب مثله

(العروض التام ، الضرب التام)

لم أدرجنى سباني أم بشر
أم شمس ظهر أشرقت لي أم قمر
أم ناظر يهدى المنايا طرفه
حتى كأن الموت منه في النظر
يحيي قتيلا ماله من قاتل
الاسهام الطرف ريشت بالحور
مابال رسم الوصل أضحى داثراً
حتى لقد أذكرتني مما دثر
دار لسلمى اذ سليمى جارة
قفرى ترى آياتها مثل الزبر

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(الضرب المقطوع الممنوع من الطي)

قلب بلوعات الهوى معمود
حتى سقتنيه الظباء الغيد
من ذا يداوى القلب من داء الهوى
اذ لادواء للهوى موجود
أم كيف أسلو غادة ماحبها
الا قضاء ماله مردود

القلب منها مستريح سالم
والقلب مني جاهد مجهود

تقطيعه

مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن مستفعل

(العرض المجزوء ، الضرب المجزوء)

أعطيته ماسألا * حكمته لو عدلا
وهبته روحي فما * أدرى به مافعلا
أسلمته في يده * عيشه أم قتلا
قلبي به في شغل * لامل ذاك الشغلا
قيده الحب كما * قيد راع جملا

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن

(العروض المشطور ، الضرب المشطور)

ياأيها المشغوف بالحب التعب
كم أنت في تقريب، الايقترب
دع رد لايرعوى اذاغضب
ومن اذا عاتبته يوما عتب
انك لاتجنى من الشوك العنب

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

(العروض المنهوك الضرب المنهوك)

بياض شيب قد نصع
رقعه فما ارتقع
اذا رأى البيض انقمع
من بين يأس وطمع
لله أيام النخع
ياليتنى فيها جذع
أخب فيها وأضع

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن

و يجوز في حشو الرجز الخبن والطي والخبل ، فالخبن فيه حسن والطي فيه صالح والخبل فيه قبيح. وقد مضي تفسير الطي والخبن والخبل في البسيط . و يدخله من العلل القطع ، وقد ذكرناه ، ويكون مجزوءاً ، والمجزوء ماذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء. و يأتي مشطوراً والمشطور ماذهب شطره و يأتي منهوكا ، والمنهوك ماذهب من شطره جزآن و بقي علي جزء.

➤ شطر الرمل ➤

الرمل له عروضان وستة ضروب: الاولى محذوف له ثلاثة ضروب : ضرب متمم، وضرب مقصور جائز فيه الخبن ، وضرب محذوف مثل عروضه . والعروض الثاني مجزوء له ثلاثة ضروب : ضرب مسبغ ، وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن ، وضرب محذوف جائز فيه الخبن

(العروض المحذوف الجائز فيه)

(الخبن ،الضرب المتمم)

أنا في اللذات مخلوع العذار
هائم في حب ظبي ذي احورار
صفرة في حمرة في خده
جمعت روضة ورد و بهار
بأبي طاقة آس أقبلت
تتثنى بين حجل وسوار
قادني قلبي وطرفي في الهوى
كيف من طرفي ومن قلبي حذار
لو بنير الماء حلقي شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصاري

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

(الضرب المقصور)

يامدير الصدغ في الخد الاسيل
ومحيل السحر بالطرف الكحيل

هل لمحزون كئيب قبلة
منك يشفي برد هاجر الغليل
وقليل ذاك الا انه
ليس من مثلك عندي بالقليل
يابي أحور غني موهناً
بغناء قصر الليل الطويل
يابنى الصيداء ردوا فرسي
انما يفعل هذا بالذليل

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلان

(الضرب المحذوف)

شادن يسحب أذيال الطرب
يتثنى بين لهو ولعب
بجبين مفرغ من فضة
فوق خد مشرب لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده
للهوى والشوق علي ما كتب
ما لجهلي ما أراه ذاهباً
وسواد الرأس مني قد ذهب
قالت الخنساء لما جئتها
شاب بعدي رأس هذا واشتهب

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

(العروض المجزوء ، الضرب المسبغ)

ياهلالا في تجنيه
وقضيباً في تثنيه
والذى لست أسميه
ه ولكنى أكنيه
شادن «ا تقدر العيـ
ن تراه من تلاليه
كلما قابله شخـ
ص رأى صورته فيه
لان حتى لو مشي الذ
ر عليه كاد يدميه

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتان

(الضرب المجزوء)

ياهلالا قد تجلي
في ثياب من حرير
وأميراً بهواه
قهراً كل أمير
ما لخديك استعارا
حمرة الورد النضير
ورسوم الوصل قد ا
بمقتها ثوب دثور

مقفرات دارسات
مثل آيات الزبور

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتن

(الضرب المجذوء ، المحذوف الجائز)

(فيه الخبن)

ياقتيلا من يده * ميتا من كمده
قدحت للشعر ناراً * عينه في كبده
هائم يبكي عليه * رحمة ذو حسده
كل يوم هو فيه * مستعيذ من غده
قلبه عند الثريا * بائن عن جسده

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلن

يجوز في الرمل من الزحاف الخبن والكف والشكل ، فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح وقد فسرنا المكفوف والمخبون . فأما المشكول فهو ماذهب ثانيه وسابعه الساكنان ويدخله التعاقب في السببين المتقابلين علي حسب مايدخل في المديد. ويدخله من العلل الحذف والقصر والاسباغ وقد فسرنا المحذوف والمقصور. وأما المسبغ فهو مازاد علي اعتدال جزئه حرف ساكن مما يكون في آخره سبب خفيف وذلك فاعلاتن يزاد عليها حرف ساكن فيكون فاعلاتان

﴿ شطر السريع ﴾

السريع أربعة اعاريض وسبعة أضرب: فالعروض الاول مكشوف مطوى لازم الثاني . له ثلاثة ضروب : ضرب موقوف مطوى لازم الثاني ، وضرب مكشوف مطوى لازم الثاني مثل عروضه، وضرب اصلم سالم . والعروض الثاني مخبول مكشوف له ضربان : ضرب مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم ، والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطي ، ضربه مثله ، والعروض الرابع مشطور مكشوف ممنوع من الطي ضربه مثله

(العروض المكشوف المطوى اللازم)

(الثاني، الضرب الموقوف المطوى)

(اللازم الثاني)

بكيت حتى لم أدع عبرة
اذ حملوا الهودج فوق القلوص
بكاء يعقوب علي يوسف
حتى شفي علته بالقميص
لاتأسف الدهر علي مامضي
والق الذى مادونه من محيص

قد يكون المبطيء من حظه الـ
خير وقد تسبق جهد الحريص

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلات

(الضرب المكشوف المطوى)
(اللازم الثاني)

لله در البين ما يفعل
يغل من شاء ولا يقتل
باتوا بمن اهواه في ليلة
رد علي آخرها الاول
ياطول ليلي المبتلي بالهوى
وصحبه من ليله اطول
فالدار قد ذكرني رسمها
ما كدت عن تذكاره اذهل
هاج الهوى رسم بذاك الغضي
مخلولق مستعجم محول

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فاعلن

(الضرب الاصلم السالم)

قلبي رهين بين اضلاعي
من بين ايناس واطماع
من حيث يدعوه داعي الهوى
اجابه لبيك من داعي
من لسقيم ماله عائد
وميت ليس له ناعي
لما رأت عاذلتي مارأت
وكان لي من سمعها واعي
قالت ولم تقصد لقيل الخنى
مهلا لقد أبلغت اسماعي

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن مستفعلن فعلن

(العروض المخبول المكشوف الضرب)
(المخبول المكشوف)

شمس تجلت تحت ثوب ظلم
سقيمة الطرف بغير سقم
ضاقت علي الارض مذ صرمت
حبلي فما فيها من مكان قدم
النشر مسك والوجوه دنا
نير واطراف الاكف عنم

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ الضرب الاصلم السالم ﴾

أنت بما في نفسه أعلم
فاحكم بما احببت ان تحكم
الحاظه في الحب قد هتكت
مكتومه والحب لا يكتم
يامقلة وحشية قتلت
نفسي بلا نفس ولم تظلم
قالت تسليت فقلت لها
مابال قلبي هائم مغرم

تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن فعلن
مستفعلن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المشطور الموقوف الممنوع ﴾
(من الطي ضربه مثله)

خليت قلبي في يدي ذات الخال
مصفدا مقيدا في الاغلال
قد قلت للباكي رسوم الاطلال
صاح ماهاجك من ربع خال

تقطيعه :

مستفعلن مستفعلن مفعولان

﴿ العروض المشطور المكشوف ﴾
(الممنوع من الطي ، ضربه مثله)

يحيى قتيلا ماله من عقل
بشادن يهتز مثل النصل
مكحل ماسه من كحل
لاتعذلاني انني في شغل
ياصاحبي رحلي أقلا عذلي

تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن مفعولان

يجوز في السريع من الزحاف الخبن والطي والخبل ، فالخبن فيه حسن والطي صالح والخبل فيه قبيح . ويدخله من العلل الكشف والوقف والصلم فالمكشوف ماذهب سابعه المتحرك، والموقوف ماسكن سابعه ، والاصلم ماذهب من آخره وتد مفروق ، والمشطور شطره

﴿ شطر المنسرح ﴾

للمنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب : فالعروض الاول ممنوع من الخبل له ضرب مطوى ، والعروض الثاني منهوك موقوف ممنوع من الطي له ضرب مثله ، والعروض الثالث منهوك مكشوف ممنوع من الطي له ضرب مثله

﴿ العروض الممنوع من الخبل ﴾
(الضرب المطوى)

بيضاء مضمومة مقرطقة
ينقد عن نهدها قراطقها

دعني أمت من هوى مخمرة
تعلق نفسي بها علاقتها
من لم يمت عبطة يمت هرما
الموت كأس والمرء ذائقها

تقطيعه :

مستفعلن مفعولات مستفعلن
مستفعلن مفعولات مفتعلن

﴿ العروض المنهوك الموقوف الممنوع ﴾
(من الطي ، ضربه مثله)

اقصرت بعض الاقصار
عن شادن نائي الدار
صبرني لما صار
ولم أكن بالصبار
وقل لي باستعبار
صبرا بني عبد الدار

تقطيعه :

مستفعلن مفعولات

﴿ العروض المنهوك المكشوف الممنوع ﴾
(من الطي ضربه مثله)

عاضت بوصل صدا
تريد قتلي عمدا
لما رأتني فردا
ابكي والقي جهداً

قالت وأبدت وردا
ويلم سعد سعدا

تقطيعه :

مستفعلن مفعولن

يجوز في المنسرح من الزحاف الخبن والطي والخبل ، فالخبل فيه حسن والطي فيه صالح والخبل قبيح . و يدخله من العلل الوقف والكشف ، وقد فسرناهما في السريع ، والمنهوك ماذهب شطره ثم ذهب منه شطر بعد الشطر

﴿ شطر الخفيف ﴾

الخفيف له ثلاثة أعاريض وخمسة ضروب . فالعروض الاول منه تام له ضربان : ضرب يجوز فيه التشعيث وضرب محذوف يجوز فيه الخبن ، والعروض الثاني له ضرب مثله مجزوء يجوز فيه الخبن ، والعروض الثالث مجزوء له ضربان : ضرب مثله مجزوء وضرب مجزوء مقصور مخبون

﴿ العروض التام ، الضرب التام ﴾
(الجائز فيه التشعيث)

أنت دائي وفي يديك دوائي
ياشفائي من الجوى وبلائي

ان قلبي يحب من لا أسمي
في عناء أعظم به من عناء
كيف لا كيف أن ألذ بعيش
مات صبري به ومات عزائي
أيها اللائمون ماذا عليكم
أن تعيشوا وأن أموت بدائي
ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فاعلاتن مستفعلن مفعولن

﴿ الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن ﴾

ذات دل رشاحها قلق
من ضمور وحجلها شرق
برزت الشمس نورها وضياها
لحظ عينيه شادن خرق
ذهب خدها يذوب حياء
وسوى ذاك كله ورق
ان أمت ميتة المحبين وجدا
وفؤادي من الهوى حرق
فلمنايا من بين غاد وسار
كل حي برهنها غلق

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

(الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن)
(عروضه مثله محذوف مجزوء)
(فيه الخبن)

ياغليلا كالنار في كبدي
واغتراب الفؤاد عن جسدي
وجفونا تذرى الدموع أسى
وتبيع الرقاد بالسهد
ليس من شفني هواه رأى
زفرات الهوى على كبدي
غادة نازح محلتها
وكتني بلوعة الكمد
رب خرق من دونها قذف
مابه غير الجن من أحد

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلن
فاعلاتن مستفعلن فعلن

﴿ العروض المجزوء ، الضرب ﴾

ما لليالي تبدلت
بعدنا ود غيرنا
أرهقتنا ملامة
بعد ايضاح عذرنا

فسلونا عن ذكرها
وتسلت عن ذكرنا
لم قل اذ تحرمت
واستهلت بهجونا
ليت شعري ماذا ترى
ام عمرو في أمرنا

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن مستفعلن

﴿ الضرب المجزوء المقصور ﴾

أشرقت لي بدور
في ظلام تنير
طار قلبي بحبها
من لقب يطير
يا بدورا انا بها الد
هر عان اسير
ان رضيتم بأن أمو
ت فموتي حقير
كل خطب ان لم تكو
نوا غضبتم يسير

تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن
فاعلات فعولن

يجوز في الخفيف من الزحاف الخبن والكف والشكل ، فالخبن فيه حسن والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح . و يدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفعلن وفاعلاتن لا يسقطان معاً وقد يثبتان وذلك ان وتد (مستفع لن) في الخفيف والمجتث كله مفروق في وسط الجزء وقد بينا التعاقب في المديد . و يدخله من العلل التشعيث والحذف والقصر . وقد بينا المحذوف والمقصور . وأما التشعيث فهو دخول القطع في الوتد من فاعلاتن التي من الضرب الاول من الخفيف تعود مفعولن

﴿ شطر المضارع ﴾

المضارع عروضه واحد مجزوء ممنوع من القبض ، وضرب مجزوء ممنوع من القبض مثل عروضه وهو :

أرى للصبا وداعا
وما يذكر اجتماعا
كأن لم يكن جديراً
بحفظ الذى أضاعا
لم يصبنا سروراً
ولم يلهنا سماعا
لجديد وصال حِب
متى تمصه أطاعا
وان تدن منه شبرا
يقربك منه باعا

تقطيعه :

مفاعيلن فاعلاتن
مفاعيلن فاعلاتن

يجوز في حشو المضارع من الزحاف القبض والكف في مفاعيلن ولا يجتمعان فيه لعلة التراقب ولا يخلو من واحد منهما وقد فسرنا التراقب مع التعاقب و يدخله في فاعلاتن الكف . فأما القبض فهو ممنوع منه وتد (فاع لاتن) في المضارع لانه مفروق وهو (فاع) والتراقب في المضارع بين السببين من مفاعيلن في الياء النون ولا يثبتان معا ولا يسقطان معا . وهو في المقتضب بين الفاء والواو من مفعولات

﴿ شطر المقتضب ﴾

المقتضب له عروض واحد مجزوء مطوى وضرب مثل عروضه وهو:

يامليحة الدعج
هل لديك من فرج
أم تراك قاتلتي
بالدلال والغنج
من لحسن وجهك من
سوء فعلك السمج
عاذلي حسبكما
قد غرقت في لجج
هل علي ويحكما
ان لموت من حرج

تقطيعه :

فاعلاتن مفتعلن
فاعلاتن مفتعلن

يدخل التراقب في اول البيت في السببين المتقابلين علي حسب ماذكرناه في المضارع

﴿ شطر المجتث له عروض واحد ﴾
(مجزوء ضربه مثله)

وشادن ذى دلال
معصب بالجمال
يضن ان يحتويه
معي ظلام الليالي
أو يلتقي في منامي
خياله مع خيالي
غصن ما فوق دعص
يختال كل اختيال
البطن منها خميص
والوجه مثل الهلال

تقطيعه :

مستفع لن فاعلاتن

مستفع لن فاعلاتن

يجوز في المجتث من الزحاف الخبن والكف والشكل : فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من مستفع لن وفاعلاتن على حسب ما يدخل الخفيف وذلك لان وتد مستفع لن في المجتث مفروق ، كما هو في الخفيف مفروق وذلك (نفع)

﴿ شطر المتقارب ﴾

المتقارب له عروضان وخمسة أضرب فالعروض الاول منها تام يجوز فيه الحذف والقصر له أربعة ضروب : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقصور ، وضرب محذوف معتمد وضرب أبتر ، والعروض الثاني مجزوء محذوف معتمد له ضرب مثله معتمد

(العروض التام، الجائز فيه الحذف)

(والقصر ، الضرب التام)

أحال عن العهد لما أحالا

وزال الأحبة عنه فزالا

محل تحل عراها السحاب

وتحكي الجنوب عليها الشمالا

فيا صاح هذا مقام المحب

وربع الحبيب محط الرحالا

سل الربع عن ساكنيه فاني

خرست فما أستطيع السؤالا

ولا تعجلن هداك المليك

فان لكل مقام مقالا

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعول

فعولن فعولن فعولن فعول

﴿ الضرب المقصور ﴾

فؤادي رميت وعقلي سبيت

ودمعي مريت ونومي نفيت

يصد اصطباري اذا ما صددت

ويناى عزائي اذا ما نأيت

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعول

فعولن فعولن فعولن فعول

﴿ الضرب المحذوف المعتمد ﴾

أيا ويح نفسي وويل أمها

لما لقيت من جوى همها

فديت التي قتلت مهجتي

ولم تتق الله في دمها

أغض الجفون اذا مابدت

وأكني اذا قيل لي سمها

أداري العيون وأخشي الرقيب

وارصد غفلة قيمها

سبتني بجيد وخد ونحر

غداة رمتني بأسهمها

تقطيعه :

فعولن فعولن فعولن فعل

فعولن فعولن فعولن فعل

﴿ الضرب الابتر ﴾

لاتبك ليلي ولا ميه

ولا تندبن راكبا نيه

وابك الصبا اذ طوى ثوبه

فلا أحد ناشر طيه

ولا القلب ناس لماقد مضي

ولا تارك أبدا غيه

ودع عنك يأسا علي أرسم

فليس الرسوم بمبكية

خليلي عوجا علي رسم دار

خلت من سليمي ومن مية

تقطيعه:

فعولن فعولن فعولن فعولن

فعولن فعولن فعولن فع

﴿ العروض المجزوء المحذوف المعتمد ﴾

(ضربه مثله)

أأحرم منك الرضا

وتذكر ماقد مضي

وتعرض عن هائم

أبي عنك أن يعرضا

قضي الله بالحب لي

فصبرا علي ماقد مضي

رميت فؤادي فما

تركت به منهضا

فقوسك شريانه

ونبلك جمر الغضا

تقطيعه :

فعولن فعولن فعل

فعولن فعولن فعل

يجوز في المتقارب من الزحاف القبض وهو فيه حسن ، ويدخله الخرم في الابتداء علي حسب مايدخله الطويل

﴿ عرفة ﴾ يعرفه عرفة ومعرفة وعرفانا

(تعارفوا) عرف بعضهم بعضا

(اعترف) ذل وانقاد

(العارفة) العطية

(العرافة) عمل العراف

(العرّاف) هو المنجم والكاهن والطبيب

(المُعرف) المعروف وضد المنكر

(المُعرف) هوما اجتمعت العقلاء علي الرضاء به من الامور

عرفة جبال عرفة هي جبال علي بعد تسعة اميال من مكة

(عرفات) موقف الحجاج علي بعد اثني عشر ميلا من مكة

الوقوف بعرفة هو من مناسك الحج ولا نرى مصدراً ننقل عنه صفة هذا الوقوف أوثق من كتاب الرحلة الحجازية للفاضل الالمعي محمد لبيب بك البتانوني فانه يرويه عن مشاهدة ويصف جبل عرفة عن علم . قال في صحيفة ١٨٤ من كتابه المذكور :

« في السابع والثامن من شهر ذى الحجة تبتدىء الناس في الخروج من مكة الي عرفة علي جمالهم أوحميرهم أو أقدامهم ويتجهون الي طريق الشرق مارين بالملي ثم يسيرون نحو الشرق بميل خفيف الي الجنوب بين جبلين في واد عرضه يختلف من مائة متر الي خمسمائة ، وحركة الناس فيه لاتنقطع في هذين اليومين وفي نهاية مكة من هذه الجهة « البياضية » وفيها قصر الشريف عبد المطلب علي يمين السالك الي عرفة ، يحيط به بستان أغلب أشجاره من أشجار السدر وبعد نحو ثلاثة كيلو مترات منه نجد جبل النور علي يسارك ، وقمته عالية جدا قد اجتمعت عليها قبة بيضاء ضاربة بنورها الي السماء: وكان هذا المكان يتعبد الناس فيه قبل الاسلام ، وتعبد به النبي صلي الله عليه وسلم قبل بعثته وابتدأ نزول الوحي عليه فيه ثم تنعطف قليلا نحو الجنوب وبعد نحو خمسة كيلو مترات تصل الي منى. فترى في مبدأ دخولها في طريقها العمومي علي اليسار جمرة العقبة وهي حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار في عرض نحو مترين ، قد اقيم علي قطعة من صخرة مرتفعة علي الارض بنحو متر ونصف . ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء و يسقط اليه حجارة الرجم (الجمار) الذى يقوم الحجاج بعمليته عند الافاضة من عرفة . ولقد كانت منى (١) مكانا مقدسا

(١ لايبعد أن يكون العرب قد أخذوا هذا الاسم من جزيرة منا التى بها هيكل بوذ اقرب جزيرة سيلان

عند عرب الجاهلية ، وكان بها لهم بيت لأصنامهم وهي الآن مكان متسع طوله من الغرب الي الشرق ، قد أقيمت فيه بيوت أغلبها لاشراف مكة وأغنيائهم ، يسكن فيها الحجاج بالاجرة عند ذهابهم الي عرفة أو عودتهم منها، وأماغالب الحجيج فانه يكون مخيما بالفضاء الذى يحيط بها ، وفي غيرالموسم لايكون فيها أحد في الغالب وفي هذه المدينة شارعان متوازيان علي طول الوادى وفي شارعها العمومي ترى الجمرتين الاخريين في وسط الطريق واحدة بعد الاخرى .

و بعد هذه المساكن الي الشرق ترى الوادى يتسع من الجنوب علي مسافة اثنين كيلو متر ، وتشاهد بها علي يمينك مسجد الخيف ، ثم المصطبة التى تنصب بها خيم الشريف والوالي مدة اقامتهما في منى زمن الحج . ومن ثم يضيق الوادى ويسمي وادى محسر ، حتى اذا وصل الي المزدلفة وهي علي مسافة ساعتين من منى أخذ في الاتساع مرة أخرى ، وهنالك ترى علي يمينك المشعر الحرام الذى يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة ، وفي هذه الجهة (١) مسجد علي جبل قزح عمره السلطان قيتباى ، ومن هناك يضيق الوادى ثانياً و يسمي بوادى عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (و يسمي مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم) انفتحت أرجاؤه الي الشمال والجنوب وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي في جهاته الاربع من داخله ، وعمره قيتباى عمارة تشكر . ونصفه الغربي (الذى الي مكة) في الحرم والنصف الآخر في الحل ، وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين ز بيدة . وفي شمال هذا المسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين ، وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضها ، بارتفاع نحو خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيما في فضاء الوادى للدلالة علي حدود عرفة من الغرب ، وهنالك تجد الجبل قد حلق علي الوادى وقفله أمامك من الشرق بشكل قوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلي طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الي الطائف علي كرا . وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الي

(١) الموجود من هذا المسجد الحائط الغربي (الذى هو جهة القبلة فقط)

الغرب يسمونه جبل الرحمة ، وسفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال ، وفيه صخرة عالية كان يقف عليها الرسول صلوات الله عليه في حجه ليخطب في قومه . وهي مكان وقوف الخطيب الي الآن . وفي أعلي جبل الرحمة منارة يعلق فيها ليلة عرفة مصابيح لارشاد السالكين اليه. وفي أسفله مصلي يسمي مسجد الصخرات لأن في أرضيته صخور كبيرة الي جانب بعضها يقال ان النبي صلي الله عليه وسلم صلي فيها ، وبجوارها ترى مجرى عين زبيدة الذى سيرته الي مكة

﴿الوقوف بعرفة﴾

عند وصول الحجاج الي هذا الوادى ينزل ركب المحملين بخيامهم قريباً من جبل الرحمة يليهما مضارب الحجاج علي اختلاف أجناسهم . وعلي سفح عرفة من عاليه الي جبل الرحمة ترى حجيج الاعراب محتشدين الي جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالحجر المرصوص أما باقي الحجيج فانه ينصب الخيام في بطن الوادى الذى يزدحم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف او قاعد ، وجمالهم وحميرهم مربوطة بجوارهم وترى الكل في صعيد واحد ، حتى يتعذر علي الانسان السير الي أى جهة أراد ولو لضرورة في نفسه . ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادى عرفة الي أحذية أفقية يقسمها شارع رأسي ويختص كل حذاء لسكنى جماعة الحجيج ، وجمالهم من ورائهم وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجمالة في ربط جمالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، لكان له شكر الله والملائكة والناس أجمعين .وفي سعة الواد ما يضمن لدولته اقامة الكل علي الراحة التامة لأن هذا التزاحم انما سببه التقرب من الماء ومن السوق الذى تراه بجوار مسجد الصخرات (و يباع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان لتزاحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من سعة هذا الرحاب عون علي النهب والسلب . أو بسبب هذا التزاحم يضل الناس عن أمكنتهم اذا تركوها لأمر ما،ولذلك تراهم ينادون علي بعض اما بأسمائهم او بألفاظ اصطلح عليها أهل كل جهة ، حتى اذا سمعها واحد منها أجابه بصوت عال ، وقصد مصدر الصوت : وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الاقامة بعرفة

ويجدر بدولة مولانا الشريف اصدار امره الكريم بالنيابة التامة بملاحظة فتحات مجرى عين زبيدة ، وتعيين خدمة مخصوصين لها لا يدعون احدا من الحجاج يعبث بها أو يغتسل فيها ، خصوصا أولئك المجذومين الذين يغتسلون في الحوض الذى يسمونه بحوض المجذومين زاعمين ان فيه شفاءهم ، وهم بعملهم هذا انما يضرون لاخوانهم المسلمين بنقل العدوى اليهم ولا يعزب عن فكره السامي ان علماء البكتريولوجيا ذهبوا الي أن الماء هو اكبر موصل للعدوى وخصوصا في وباء الكوليرا نسأل الله تعالى لعباده

ويوم الوقوف هو التاسع من ذى الحجة مع قليل من ليلة العاشر باتفاق المسلمين فاذا ثبت هذا اليوم عند القاضي ذو الصفة الشرعية وقف جميع المسلمين علي اختلافهم في الجنسيات والمذاهب من غير ان يكون للشك تأثير عليهم ، الا الشيعة من الاعجام فانهم لو حصل عندهم ادني شك في رؤية هلال ذى الحجة، بمعنى انه ان لم يشاهده منهم الجم الغفير، وقفوا يوم التاسع والعاشر احتياطا . وفي عرفة ترى الناس مشتغلين كل بشأنه ، وهم وان انفصلوا في هياكلهم ، فان قلوبهم مرتبطة ارتباط ذرات الجسم الواحد ببعضها ببعضها صلاة العصر يتحرك المحملان بحرسهما الي منحدر جبل الرحمة وينهض خطيب عرفة (وهو في الغالب قاضي مكة الذى يتعين من قبل السلطان) فيصعد بناقته علي طريق حلزوني الى صخرة في صدر هذا الجبل ويخطب نيابة عن خليفة رسول الله خطبة يعلم الناس فيها مناسك الحج ويكثر فيها من الدعاء والتلبية ومن دونه مليون بأيديهم منادين يشيرون بها في كل تلبية الى الواقفين دون الصخرة فيقول الكل «لبيك اللهم لبيك» بصوت يكاد يصعد بالاحشاء الى عنان السماء فيالها من ساعة ترى الناس فيها قد تجردوا بالمرة عن انفسهم ، فلا يكادون يشعرون بما يحيط بهم من عوالم الحياة . وقد تغلب وجدانهم علي وجودهم وظهرت روحانيتهم علي جسمانيتهم حتى كأنهم في لباسهم الابيض الطاهر النقي ملائكة لله في هذا الوادى الذى يردد اصواتهم وابتهالاتهم الي واجب الوجود ، الي المالك المعبود، الي

الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا تراجع اليهم صدى هذا الصوت احدث في نفوسهم هزة تدق لها قلوبهم وتضطرب لها افئدتهم خشية من رب الارباب ومالك الرقاب ، هنالك تسوخ النفوس في ظروفها وتنكمش الجسوم علي هياكلها من رهبوت هذا الملكوت وحشاشات القلوب تنصبب من آماق عيونهم اسفا علي مااقترفوه من ذنوب وعيوب تتلاحق الارواح الي التلمق بأستار رحموت رحماتها تائبة مستغفرة ضارعة اليه تعالي بقبولها في ساحة غفرانه ، ومؤملة في عظم كرمه واحسانه ولا تلبث أن تتراجع وهي علي يقين من قبولها في ساحة الرحمن الرحيم . وقد وقر في نفوس ذويها حب الفضيلة . و بغض الرذيلة . وحسب انسان من فضيلة الحج هذه الحسنة الجميلة . و يستمر الناس علي هذه الحال حتى اذا غابت الشمس في الافق اطلق صارخ من قبل الخاطيب اعلانا بتمام هذا الموقف . عندها تتحرك المحامل بين ضرب المدافع وعزف الموسيقات ، واصوات الابتهالات وكرات الدعوات ، وانفعال العبرات ، ويكون كل حاج قبل ذلك قد حمل حموله واستعد للافاضة ، فتنفر الناس مرة واحدة من عرفات مسرورين هاتفين بهتاف الفرح والحبور حتى اذا وصلوا الي ذينك العلمين خرجوا من بينهما ، وهناك ترى الزحام لايوصف والناس في حركة هائلة الي المزدلفة ، فاذا وصلوها نزلوا بها الحنفية الي مابعد صلاة الصبح والشافعية الي ما بعد نصف الليل ، اما المالكية فحسبهم من الاقامة بها قدر ساعة يجمعون فيها جمارهم من الحصي الموجود في ارضية واديها : وهي تسع وار بعون حصاة في قدر الفولة يتناولها الحجاج من رمال تلك الصحراء الواسعة ليرجموا بها في منى التى ينزل اليها من ليلته . واغلب الحجاج يقلدون مالكا و يسرعون في النزول اليها حتى يجدوا لهم فيها مكانا يقيمون به علي راحتهم وفي صباح النحر وهو يوم العيد الاكبر يكون عموم الحجاج وصلوا الي منى ويخيم المحمل المصرى في شمال المصطبة التى فيها يخيم الشريف والمحمل الشامي الي جوار مسجد الخيف وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع يحيط به سور متسع ، والي حائطه الغربي رواق علي

طوله ، قام سقفه علي أعمدة من البناء ، وباب هذا المسجد الي الشمال ،وفي وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت علي مكان يصلي الناس فيه وهو المكان الذى صلي فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وبجوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباى سنة (٨٨٤) ه و بقى بجانب هذا المسجد دارا كان ينزل اليها أمير الحاج المصرى فاندثرت ، ولكن المسجد باق علي حاله ، الا انه يحتاج من داخل سوره وخارجه الي عناية ذوى الشان حتى يكون نظيفا بعيداً عن عبث العابثين ، ان لم يكن لموجبات الدين فلموجبات الصحة العمومية ، وخصوصاً في منى التى تكتب فيها صحيفة الحجاج وتساق الي أجنحة البرق الي جميع اقطار المسكونة

« و بمجرد وصول الحجاج الي منى يقصدون من فورهم جمرة العقبة فيرمونها و ينحرون ويحلقون ويقصرون ثم يلبسون ملابسهم ، وعندها يحل لهم كل شيء ماعدا النساء والطيب

« وذبائح العربان تذبح في شرقي منى وتلقى في حفر تحفر هنالك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بجثث القرابين ردمت وحفرت غيرها وهكذا ، و يكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً . ولو كانت الحكومة تعتنى بجميع مايتراكم فيها من العظام مع ما يتخلف من حول مكة ، وتبيعه لاحدى الشركات بجدة ، وتصرف ثمنه في تحسين طرق الحجاز ونظافة شوارع مكة لكان فيه فائدة كبيرة وقد طلبت شركات كثيرة التزام ذلك من الحكومة السابقة فلم يقبل طلبها. أما الحكومة الحالية فأظن انها لاترى مانعاً في ذلك ما دام في مصلحة البلاد

ويقيم الحجاج بمنى الي عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ثم ينزلون الي مكة لأداء الركن الباقي من أركان الحج وهو طواف الافاضة والسعي لمن لم يكونوا سعوا بعد طواف القدوم ، ومن الناس من ينزل الي مكة أول يوم بعد رمي جمرة العقبة لاستكمال جميع مناسك الحج ، ثم يرجعون من يومهم الي منى فيقيمون فيها مع اخوانهم ثاني وثالث أيام التشريق ، و يرجمون في كل يوم منها الجمرات الثلاث ، وفي عصر اليوم الثالث ينزلون الي مكة »

اهل الاعراف قال الله تعالى: « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً ؟ قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ، واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون »

ورد في هذه الآيات ذكر الاعراف وأهل الاعراف فما هي الاعراف ومن هم أهله ؟

الاعراف لغة جمع عرف وهو الرمل المرتفع وعرف الفرس وعرف الديك، وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير عرف مما انخفض. ونه

والاعراف في الآية يفسر بالمكان تارة و بغيره أخرى . اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعلي علي السور المضروب بين الجنة والنار . ويروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف الصراط ، وعلي هذا التفسير فالذين هم علي الاعراف من هم ؟ فيه قولان : احدهما انهم أقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب . وثانيهما انهم في الدرجة النازلة . وعلي الاول فيه وجوه وقال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة وأهل النار

فقيل له يقول الله تعالى : وعلي الاعراف رجال . وانت تقول انهم ملائكة ؟ فقال ملائكة ذكور لا اناث

ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق علي مايصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق علي الذكور من بنى آدم

وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالي علي ذلك المكان العالي اظهاراً لشرفهم ، وليكونون مشرفين علي الفريقين مطلعين علي أحوالهم ، ومقادير ثوابهم وعقابهم

وقيل انهم الشهداء وعلي القول

الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيآتهم وقفهم الله علي هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤول عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل . قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء

وخصصه بعضهم فقال : هم قوم خرجوا الي الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر

وقال عبد الله بن الحارث انهم مساكين أهل الجنة

وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم و يسكنهم الاعراف . وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلي معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة

قال الحسن والله لاأدري أول بعضهم الا معناه (نقلناه من تفسير العلامة نظام الدين الحسن النيسابورى)

معروف الكرخي هو أبو معروف بن فيروز . وقيل الفيرروزان . وقيل علي الكرخي الصالح المشهور هو من موالي علي بن موسي الرضي من آل البيت. وكان أبواه نصرانيين فأسلم هو علي يد ابن علي موسي الرضا ورجع الي أبويه فدق الباب . فقيل له من بالباب ؟ قال معروف فقيل له علي أى دين؟ فقال علي الاسلام . فأسلم أبواه

كان معروف مشهوراً باجابة الدعوة و كان أهل بغداد يستسقون بقبره و يقولون قبر معروف ترياق مجرب

كان سرى السقطي الصوفي المشهور تلميذاً له فقال له يوماً اذا كانت لك حاجة الي الله تعالي فأقسم عليه بي

وقال سرى السقطي رأيت معروفا الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والبارى جلت قدرته يقول في ملائكته من هذا ؟ وهم يقولون أنت تعلم ياربنا . فقال هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي

وقال معروف قال لي بعض أصحاب داود الطائي اياك أن تترك العمل فان ذلك الذى يقربك الى رضي مولاك . قلت وما ذاك العمل ، قال دوام الطاعة لمولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم

وقال محمد بن الحسن سمعت أبي يقول رأيت معروفا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى . فقلت بزهدك وورعك ؟ فقال لا بل بقول موعظة ابن السماك ولزومي الفقر ومحبتي للفقراء

وكانت موعظة ابن السماك فيما رواه معروف قال : كنت مارا بالكوفة فوقفت علي رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه من اعرض عن الله بكليته اعرض عنه الله جملة ، ومن اقبل علي الله تعالي بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه ، وأقبل بوجوه الخلق اليه . ومن كان مرة ومرة فالله تعالي يرحمه وقتاما

فوقع كلامه في قلبي وأقبلت علي الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه الا خدمة مولاى علي بن موسي الرضي وذكرت هذا الكلام لمولاى . فقال تكفيك هذه موعظة ان اتعظت

وقيل لمعروف في مرض موته أوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي فاني اريد ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا

ومر معروف بسقاء وهو يقول : رحم الله من يشرب . فتقدم وشرب وكان صائما . فقيل له ألم تك صائما ؟ فقال : بلي ولكن رجوت دعاءه . وأخبار معروف ومحاسنه اكثر من أن تعد

توفي سنة (٢٠٠) وقيل (٢٠١) وقيل (٢٠٤) ببغداد

﴿ ابن العريف ﴾ هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسي بن عطاء الله الصنهاجي الاندلسي المرى المعروف بابن العريف

كان من كبار الصالحين كثير المناقب طيب السيرة له كتاب في التصوف اسمه المجالس وله كتب اخرى كلها صوفية وله شعر حسن في طريق القوم منه قوله:

شدوا المطي وقد نالوا المنى بمنى
وكلهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تبدى روائحها
طيبا بما طاب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفي لهم
روح اذا شربوا من ذكره راحا
ياواصلين الي المختار من مضر
زرتم جسوما وزرنا نحن ارواحا

انا أقمنا علي عذر وعن قدر
ومن أقام علي عذر كمن راحا

كان بينه و بين القاضي عياض بن موسي اليحصبي مكاتبات حسنة وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلوم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها

وكان الا باد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته

حكي بعض الفضلاء انه رأى بخطه فصلا في حق أبي محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهرى الاندلسي قال فيه كان لسان ابن حزم المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين . وانما قال ذلك لان ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين لم يكد يسلم منه أحد ولد سنة (٤٨١) وتوفي سنة (٥٣١) بمراكش

﴿ عرق ﴾ العظم يعرقه عرقا أكل ماعليه من اللحم

(عرق الرجل) يعرق عرقا ترشح جلده فهو عرقان

(أعرق فلان) أتي العراق

(تعرق العظم) أخذ ماعليه من اللحم

(اليعرق) الاصل

(العريق) الأصيل

﴿ العرق ﴾ هو افراز جلدى ينتج من زيادة كمية الدم في الاوعية الجلدية وقد يكون سبب تعب الاعصاب وحرارة الهواء والبخار الجوى وسرعة المشي وتعاطي الاشربة الحارة وهو يخرج من مسام الجلد الذى يختلف عددها علي حسب الاعضاء المختلفة من الجسد . فالبوصة المربعة في القفا لاتحتوى الا علي نحو ٤٢٠ من تلك المسام وتلك المساحة في الصدر تحتوى منها علي نحو ١١٢٥ ولكن راحة اليد وقدم الرجل تحتوى البوصة منها علي نحو ٢٧٤٠ الي ٢٧٨٠ من تلك المسام . أما الجسم كله فيحتوى من تلك المسام علي نحو ٢٤٠٠٠٠٠

ولا يجوز للانسان أن ينام في الغرف المقفلة النوافذ التي لا يتجدد بها الهواء فان ذلك يسبب له عرقا كثيرا . ولا يجوز له أيضاً أن يضع علي جسمه الاغطية الثقيلة تحاشياً من احداث عرق لا موجب له

(عرق الايدى والارجل) من الناس

من يهملون العناية بصحتهم الجلدية فلا يجد العرق منفذاً يخرج منه الا الايدى والارجل وهي الجهات التى تكثر فيها المسام الجلدية فترى أيديهم وأرجلهم مبتلة دائما ، الامر الذى يسبب لهم حرجا في كثير من الاحيان ويكون ذلك دالا . علي ان افرازهم الجلدى ليس علي ما يرام من سيره الطبيعي

(علاجه) لا علاج لهذه العوارض الا العناية بالجلد فيجب أخذ حمام فتر كل يوم أو أربع مرات في الاسبوع او يجب دلك الجسم بالماء الفاتر يوميا . ويحسن أيضاً أن يغسل الجسم بالصابون حيناً بعد حين لتخليص فوهات المسام مما يكون قد سدها من المواد الدهنية

و ينصح الاطباء الطبيعيون المصابين بهذا العرض بأن يتمشوا حفاة في الصيف في وقت من أوقات فراغهم . وعليهم أن لا يلبسوا الا الاحذية الواسعة التى تسمح للهواء أن يتخلل أرجلهم ولا يجوز انتظار الشفاء من هذا العرض الا تدريجا

وقد رأى بعض الاطباء ان المصابين بعرق الايدى يحسن بهم ان يدلكوا أيديهم من آن لآخر بمسحوق عجينة اللوز

وأما الارجل فتغسل كل يوم بالماء الفاتر مرتين

ولكن اذا كان العرق في الاطراف دليلا علي سوء تصريف المسام الجلدية كما رأيت فيكون حذفه من التصرف من تلك الاطراف ضاراً بالبنية فالاولي الرجوع الي قول الاطباء الطبيعيين والعناية بالجلد عناية خاصة حتى تصبح مسامه أهلا لتصريف السوائل الزائدة في الجسم

(عرق الابطين) من الناس من ينصرف العرق عندهم من جهة الابطين فيتلفوا ملابسهم من لبسة واحدة وقد نصح بعض الاطباء أن يغسل المصابون بهذا العارض آباطهم يومياً بالماء الفاتر وأن يجففوها جيدا

﴿ عرق الحلاوة ﴾ هو نبات جذره معمر تخرج منه سوق كثيرة قائمة متفرغة أوراقه متقابلة خالية من الزغب أزهاره كبيرة وردية منتقمة علي هيئة باقة انتهائية

(صفاته الكيماوية) يحتوى هذا النبات سواء في ذلك جذوره وأوراقه علي الصابونين وعلي مقدار يسير من راتينج رخو ومادة خلاصية ومادة صمغية وزلال

وصمغ تحتوى الاوراق وحدها خلاف ذلك علي كلورفيل . واثبت بعض الكيماويين ان جذره الذى قبل تزهر النبات ينتج بالتبخير مادة مبلورة مرة غير حمضية ولا قلوية اى متكافئة

مطبوخ هذا النبات يحصل منه ماء برغي كالصابون بواسطة ما فيه من المادة الخلاصية المخصوصة ذات الطعم الحريف اللذاع الذى يبقي زمنا طويلا وهو الصابونين ولذلك سمي عرق الحلاوة بالحشيشة الصابونية

ومطبوخ النبات الرطب ينتج مثل ذلك بدرجة اوضح من مطبوخ النبات الجاف والماء المتجمع من قواعده يستعمل لتنظيف الخرق الوسخة في ازالة نكت الزيت والشحم منها مع انه ليس بينه و بين الصابون مشابهة في التركيب وليس فيه قلوية تستطيع التقاط المادة الشحمية والوساخة الموجودتين في الاقمشة باتحاده معها اتحادا كيماويا

(استعماله الدوائي) اعتبر أئمة العلاج هذا النبات محللا منظفا ومنقيا ومدرا للبول ومفتحا ومعرقا ومزيلا للسدد ومقويا . المستحضرات المحضرة منه لها تأثير مقو علي الاعضاء الحيه فتعطي زيادة فاعلية في الوظائف الهضمية . ومتى دخل منها شيء في المجموع الحيواني أو في الاعضاء الرديئة التغذية أو المنسوجات الآلية التى نقص حجمها الاعتيادى أو حصل فيها لين مرضي أو نحو ذلك كان نفعها أعظم . فلذا يستعمل مغليها وخلاصتها وعصارتها المنقاة في علاج اليرقان وقد حصل منها نجاح باهر ولكن قد يحدث ان لا ينجح هذا العلاج في الصفراء بسبب اختلاف سببها المولد لها لان اليرقان في نفسه عرض لمرض رئيسي لا مرض قائم بنفسه

ومدح الاطباء نفعه في الزهرى والاوجاع الروماتيزمية وأوجاع المفاصل والنقرس

وأما خاصة كونه منقيا فمتعلقة بخاصة التغذية ، فالتنقية ناتجة من حدوث التقوية علي الجهاز الهضمي والمجموع الجلدى والبنية كلها اذ لا يخفي فاعلية القوة اذا أرجعت سلامة الوظائف التى بها يعوض الدم في المنسوجات العضوية التى كابدت أعضاؤها فسادا مرضيا . و بعد استعمال هذا الدواء زمنا تعرض للجسم

اندفاعات جلدية ورشح صديدى واستفراغات نافعه وعرق وبول متحمل لرواسب ونحو ذلك مما يدل علي حركة باطنة وتجديد حصل الآن في مجموع البنية الحية

وقد اوصي الاطباء باستعمال هذا العلاج أثناء استعمال العلاجات المضادة للزهرى ليبن علي التدريق فقد ثبت من المشاهدات ان تأثيره المقوى يصير واسطة مساعدة للزئبق في هذه الامراض اذا كان هناك فساد في وظائف التغذية وامتقاع في اللون كبير أو نقص في القوى وفساد في الدم وفي المنسوجات العضوية

كثيرا ماتستعمل عرق الحلاوة في تلك الاحوال مشروبا ولكن لايفيد ولا يدفع هذا الدواء سبب الآفات الزهرية وانما يصلح الضرر الذى ينشأ عن طول مكث هذه الامراض في البنية

وقد عد العلماء عرق الحلاوة دواء جيداً في علاج الآفات الجلدية كالقوبا النخالية والقشرية واستعمل أيضا في احتقان الاحشاء البطنية ولا سيما احتقانات المعدة والامعاء والكبد وفي آفات العقد اللمفاوية ، وكان القدماء يستعملونه لتنظيف الاقمشة المعدة للصبغ

(كيفية استعماله) يستعمل هذا الجوهر عادة علي شكل شاى تغلي أوراقه وجذوره فتقطع الاوراق وتكسر الجذور وتعالج بالنقع فيؤخذ غرامان من الاوراق أو ٢٠ غراما من الجذور الجافة للتر من الماء فيخرج الصابونين في السائل وربما كان هو مسببا للخواص الدوائية التى في النبات

مقدار التعاطي من الخلاصة الكحولية للجذور من غرام واحد الي خمسة غرامات (المادة الطبية)

➤ عرق الذهب المقيء ➤ يسمي هذا النبات بالفرنجية أيبكاكوانا. أول من تكلم عنه مركوغراف وبيزون في نحو منتصف القرن السابع عشر في تاريخهما الطبيعي للبرزيل . فذكر أن أهل البرزيل يستعملون جذور هذا النبات ضد كثير من الامراض مع النجاح . ولكن لم يعلم جنس النبات ولا نوعه وبقي الناس في أوروبا علي هذه الحال مدة بسبب اخفاء أهل البرزيل لسر هذا النبات . ثم جاء النباتي البرتغالي بروزيرو فشرح هذا النبات وصوره فزال عنه اللبس وكان

ذلك في اوائل القرن التاسع عشر

الموجود منه في المتجر نوعان الايبكاكوانا المحززة والايبكاكوانا العقدية وهما المستعملان كثيراً ويوجد منها أنواع اخرى اقل خاصية

وهي مقيئة ومضادة للدوسنطاريا

(صفاته النباتية) هي شجيرة صغيرة تعلو نحو قدم ولها ساق افقية ارضية وقائمة في الهواء في جزئها العلوى. يتألف جزؤها السفلي من شبه درنات ليفية كثيرة متضامة باستطالة ومتفرعة وفيها آثار حلقية متقاربة تكاد تكون خشبية . تحمل خمسة أزواج من الاوراق او ستة متقابلة قصيرة الذنيب بيضية منتهية بطرف دقيق وكاملة في الجزء العلوى من الساق والاذينات كبيرة متقابلة زغبية مقطعة تقطيعا عميقا الي ٥ أقدام أو ٦ خيطية

ازهارها صغيرة بيضاء تتضام حتى تصير بهيئة رأس انتهائي

(صفاتها الطبيعية) هذه الجذور الحلقية توجد في المتجر طولها من ٣ قراريط الى أربعة وهي ممتدة ملتفة علي نفسها بدون انتظام و بسيطة او متفرعة . وفيها حلقات صغيرة بارزة غير مستوية متقاربة جدا ومنفصلة عن بعضها بانخفاضات قليلة العروض. طعمها حشيشي وفيه مرارة وحرافة وتقشية . ولكن جزؤها الخشبي عادم الطعم ورائحتها ضعيفة ولكنها مغثية وخصوصا مسحوقها . وهي لاتكون ضعيفة الرائحة الا اذا كانت قليلة المقدار ويمكن ان تكون رائحتها مؤذية اذا كانت كبيرة الجرم ومجتمعة في محل مغلق فتحدث ربوا أو تقلصا أو نحو ذلك

ثم هي بحسب تكونها الظاهرى تتنوع الى ثلاثة اصناف ناشئة من السن ومن الارض النابت فيها النبات الصنف الاول الايبكاكوانا السنجابية المسودة لكون بشرتها سنجابية مسودة ، وهذه يقوم منها ثلاثة ارباع الايبكاكوانا المتجرية . و بسبب ذلك سماها بعضهم الايبكاكوانا السمراء . مكسر هذا النوع شديد الراتينجية ، وجزؤها القشرى أسمك من المحور ولذا كانت أثقل أو مفضلة علي غيرها من الانواع

والصنف الثاني الايبكاكوانا السنجابية الحمراء ويقوم منها الثلث الباقي مما يوجد في المتجر ولا تختلف عن الصنف السابق الا بلونها المحمر لقشرتها الظاهرة

وهي راتينجية المكسر وهو يكون ابيض ورديا وفي طعمها مرارة اوضح . محورها خشبي يشبه محور الصنف السابق

والصنف الثالث السنجابية البيضاء حلقاتها أقل وضوحا وانتظاما ولونها الظاهرى سنجابي ابيض وهذا الصنف اغلظ وأقوى . و يظهر ان ذلك من تقدمه في السن وهو نادر الوجود بالمتجر

(الايبكا كوانا المحززة) وتسمي بالغير الحلقية والسوداء وغير ذلك وهي تؤخذ من شجيرة صغيرة تشبه في قوامها النوع السابق وجذرها يقرب للاقفية ويرتفع منه ساق طولها قدم او قدم ونصف اسطوانية ناعمة الزغب والاوراق متقابلة سهمية حادة والازهار صغيرة بيضاء يتكون منها شبه عناقيد صغيرة قصيرة في ابط كل ورقة ، والثمر بيضي متوج بأسنان الكأس ويحتوى علي نواتين

(تحليلها الكيماوى) اشتهرت الايبكا كوانا في عالم العلاج شهرة كبيرة فاهتم بمعرفة تركيبها الكيماويون فحللها بولدوك وهنرى وغيرهما من كبار الكيماويين ولكن اتم تحليلها ماجندى وبلتييه فوجدا في الايبكا كوانا صمغا ونشا وجوهرا خلاه يا غير مقيء يقرب من الخلاصات الاعتيادية ومادة دسمة فيها حرافة رائحتها نفاذة تقرب من رائحة الدهن الطيار للفجل البرى وتصير غير مطاقة اذا تصاعدت بالحرارة وتلك المادة تؤثر بشدة في الحلق ووجدا فيها جوهراً خاصا جعلاه قاعدة نباتية قريبة جديدة وسمياه ايمتين اى مقيء لانه هو الموجد لخاصة القيء في الايبكا كوانا وظن بتلييه في أول عمله الذى حلله هو جذور النوعين

(خواص الايبكا كوانا الدوائية)

ذكروا ان خاصة الايبكا كوانا التقييء والاسهال والقبض وزاد عليها بعضهم انها مقطعة اذا استعملت بمقادير يسيرة وهي اقل تقييئا من الطرطير المقيء ولذا تعطي للاطفال . وزعموا ان لها فعلا مباشرا علي الاغشية المخاطية . ولخاصيتها في التقطيع تستعمل بمقادير يسيرة في التلبكات الشعبية والفيضانات الكثيرة الرؤية واسترخاء منسوج الرئتين وترشحاتهما المصلبة فتحدث تنخما اكثر وأسهل

وهي تستعمل أيضا في النزلات المخاطية العتيقة التى تصيب الشيوخ ، وفي الربو المصاحب للاحتقان في طرق التنفس وفي تلبكات المزمار والحنجرة والفم الخلفي

وكثيراً ماتستعمل في السعال التشنجي واستعملت في الالتهاب البريتوني الولادى ونالوا من ذلك نجاحا

ثم أهمل استعمال الايبكا كوانا الي نحو منتصف القرن التاسع عشر ثم تجدد استعمالها لأنها بتأثيرها علي المعدة والصدر في آن واحد تتسلط علي المجلس المزدوج لهذا الداء ولكن نفعها يكون بعد نقص شدة أعراض الالتهاب بالافصاد ومع هذا فلا يتحصل منها علي النتائج التى بالغوافي ذكرها

وكانوا قديماً يستعملونها دواء عاما مع ان التجربة لم تحقق ذلك. فكانوا ينسبون لها خاصة التعريق مع ان المعرقات كلها تعرق مدة عملها فتكون أهلا لطرد المواد السمية . من البدن وابعاد الطاعون

وكانوا يعالجون بها دودة القرع والحميات المنقطعة مع ان ذلك قد يشاهد أيضاً في مقيئات أخر

وقد ذكروا لها منافع في الامراض العصبية لمضاداتها للتشنج قالوا ولعل ذلك منسوب للمادة الدسمة الحريفة القوية الرائحة المحوية فيها . وقالوا انها تبرىء القولنجات ايضاً . ولكن هجر الاطباء استعمالها الآن في هذه الامراض . وهي لاتستعمل الآن الا في علاجات الاطفال وأمراض الصدر. أما خاصة التقييء فيفضل عليها الطرطير المقيء الا في الآفات المعدية المعوية وان خالف بعضهم في ذلك

المقدار الذى يؤخذ عادة للقيء من الايبكا كوانا هو ٢٥ سنتى غرام . ولكن اذا أريد احداث قيء خفيف بغير ازعاج استعمل مقدار من ٢ سنتى غرام الي ٢٠ سنتى غرام علي حسب السن (انظر المادة الطبية)

➤ عرق المسهل ➤ هو نبات له أنواع عديدة نافعة في التداوى والتغذية له ساق حشيشية ترتفع عن الارض من ٤ الي ٥ أقدام أسطوانية فيها قنوات واضحة جداً. اوراقه السفلي مستطيلة سهمية حادة والعليا بيضية مستطيلة كبيرة الحجم منتهية بنقط ومحمولة علي ذنيب طويل غشائي قنوى من قاعدته . وأزهاره مخضرة يتكون فيها شبه عناقيد في الاجزاء العليا من فروع الساق والكاس كمثرى منقسم الي خمسة أقدام وثماره مثلثة ملتصقة الغلاف. وهذا النبات معمر و يظهر في الصيف و يكثر وجوده في البرارى اليابسة والمحال غير

المنزوعة المستعمل منه في الطب جذوره وأحيانا اوراقه

(صفاته النباتية) جذره طويل ليفي سميك مغزلي ضارب للسمرة من الخارج ومصفر من الباطن ويكاد يكون عادم الرائحة طعمه يكون اولا تفها ثم مرا حريفا قليل القبض. واذا مضغ صير اللعاب اصفر . وأوراق هذا النبات حمضية

(صفاته الكيماوية) يحتوى هذا الجذر علي قواعد خلاصية تذوب في الماء ولذا لايستعمل الي مغلي . ووجد فيه ايضا كبريت ويحتوى هذا الجذر أيضا علي نشا. والخلاصة التي تؤخذ منه تحتوي علي نشا وكبريت وزلال نباتي وأوكسالات الكلس

وقد حلله ريبجيل فوجده يحتوي علي راتينج وروميين وكبريت ومادة خلاصية شبيهة بالمادة التنينية ونشا وزلال واملاح

(استعمالاته الدوائية) هو من المغليات الكثيرة الاستعمال في المستشفيات لون هذا المغلي احمر ومرارته ليست كريهة ويشاهد فله المقوى في الطرق الهضمية فيستعمل مع النجاح في ضعف المعدة والامعاء فيفتح الشهية ويجعل الهضم أسهل وأنظم . وشوهد ان متعاطي هذا المغلي يفرز عرقا غزيراً فهو كغيره من المغليات يعين علي التنفيس الجلدى بتقوية الفعل الحيوى في المجموع الجلدى

ونسبوا لهذا المغلي نتيجة ادرار البول ولكن ذلك ايضا ناشيء من نفوذ السائل الحامل لقواعده الفعالة في الدم ويمكن أن يحصل الادرار أحياناً من تأثير تلك العناصر في الاعضاء المفرزة للبول

وكثيراً ماشوهد انطلاق البطن من استعمال مغلي هذا النبات بمقدار كبير في مرة واحدة وهو كالراوند يبقي فضلات ولكنها منه اكثر ومع ذلك فالراوند احسن فلا منه لاجتماع خاصة الاسهال والتقوية فيه

اشتهر هذا الجذر في علاج أمراض الجلد فيؤمر بمغليه عادة في الآفات القوبائية والجربية وغيرها . فقواعده الدوائية التي يقبلها الجسم من استعمال هذا الدواء مدة طويلة تكون كثيرة تؤثر بخواصها المقوية علي المجموع الجلدى فيحصل النفع من ذلك . فاذا كانت الآفة الجلدية مصحوبة بحرارة واحمرار وتهييج وحمي فان هذا الاستعمال يكون

مضراً

وقد ذكروا أيضا لهذا الجذر نفعا في تلبكات الاحشاء أى سددها ولكن من المعلوم أن تلك الآفات مختلفة جدا وغير جيدة البيان

وذكروا نفعه أيضاً في بعض اليرقانات ولكن يلزم أن تعين آفات الكبد التي يصح أن تترجه لها خاصة تقوية هذا الجذر لان صفرة الجلد قد تحصل من أسباب كثيرة مختلفة . فاذا تيسر مقاومة شيء منها بهذا الداء تعسر مقاومة شيء آخر منها لكونه يشتد أو يثقل منه

(المقدار وكيفية الاستعمال) لايستعمل في الغالب الا مغلي الجذور فيؤخذ نحو أوقية من الجذور الجافة المكسرة أو أوقيتين من الجذور الرطبة وتغلي في نحو رطلين من الماء فغليه الحار يكون نحينا لتعلق النشاء به (انظر المادة الطبية)

عرق السوس هو نبت معمر اذا تشبث بمكان عسرت ازالته منه يمتد في الارض نحوا من عشرة أذرع ويغلظ حتى يصير كفخذ الرجل ولا يطول أكثر من شبرين ويزهر بين حمرة وزرقة والمنتفع به أصله وأجوده الهش الرزين الصادق الحلاوة

أجود المجلوب من الوجه القبلي بمصر ثم يليه العراقي فالشامي وأرداه الاسود وتبقي قوته عشر سنين

(خواصه الطبية) يجلو البياض كحلا وينفع سائر امراض الصدر والسعال ويخرج البلغم ولكنه ضعيف التأثير في الرطوبات الغليظة

وهو يحل الربو وأوجاع الكبد والطحال والحرقة واللهيب ويدر الطمث ويصلح البواسير وينقي الفضلات كلها

وهو يجلو البصر ويقطع الشقيقة والصداع المزمن وربه أجود فيما ذكر

وقيل ان فيه اضرارا بالكلي وتصلحه الكثيراء، وبالبطن ويصلحه العناب

عرق النسا هو نوع من وجع المفاصل ويبتدىء من مفاصل الورك وينزل الي خلف علي الفخذ ويمتد الي الركبة فيحدث في هذه الجهات ألم شديد يصحبه وجع في الكليتين وقد يتأثر المصاب بهذا الداء من ملامسة خفيفة للركبة أو لمسها فيحدث له من جراء ذلك ألم يمكث عدة دقائق أو عدة ساعات أو عدة أيام

بدون انقطاع او بانقطاع خفيف . وقد يشتدهذا الالمحتى يمنع المصاب من المشي

(أسباب هذا الداء) البرد والجراح والضغط علي الاورام والعروق المتنفخة اللاصقة بالاعصاب وامتلاء الامعاء الغليظة بكتل كبيرة من المواد الفضلية الجامدة ووقوف الدموالحمي التيفودية والتدرن الخ

(علاجه من الطب الطبيعي) يؤخذ كل يوم حمام بخاري في السرير وهو يكون باحاطة الجسم بزجاجات مملوءة ماء غاليا وملفوفةفيخرق مبتلة يظل المريض محاطا بهذه الزجاجات حتى يعرق عرقا خفيفا ثم يدلك جسمه بالماء الفاتر ويجب في هذه الحالة غسل جهات الكليتين وما دونهما بماء اكثر سخونة . فاذا حدث تحسن وجب تقليل حرارة الماء الذي يغسل فيه جهات الكليتين تدريجا .ثم يجب تدليك عرق النسا بلطف مع زيادة الشدة تدريجا

ثم يجب علي المريض أن يأخذ حماما جلوسيا حارا نحواً من عشرين دقيقة

فاذا كانت آلام شديدة فتوضع وفادات حارة جداً علي محلات الالم والأفضل اخذ حمام جلوسي حار جدا

الحمام الجلوسي هو ان يجلس المصاب في الماء في احواض خاصة بذلك

أما الاغذية فيجب ان تكون غير مهيجة ومتنوعة ويجب استنشاق هواءنقي فاذا حدثامساكوجبت محاربته بالحقن الشرجية

قال الدكتور (ورتر) « مرض عرق النسا من اكثر الامراض شهرة وقد يتحصل من الدلك علي نتائج مدهشة فيه حتى ولوكان المرض يصعد تاريخه الى عدة سنين »

اذا كان سبب مرض عرق النسا البرد كان من طبيعة روماتيزمية فيكفي غالبا دلك قوى علي طول هذا العرق باضافته الى تمويج خاص

وقديكون سبب هذه الآلام الشديدة فساد حصل في اعصاب تلك الاعضاء او التهابات فيا يجاورها . فيكفي والحالة هذه ان تدلك تلك الاعضاء فتنصرف منها تلك المتحصلات الالتهابية ويزول الالم

وقد يكون سبب هذه الآلام ترشح حادث من الحوض الي تلك الاعضاء وفي

هذه الحالة يحدث الشفاء من ذلك الحوض

نقول هنا أن للدلك قواعد واصول وهو جدير بأن تكون له نتائج مدهشة ان تولاه من يحسنه من مهرة المدلكين

﴿ العراق العربي ﴾ هوقطركان من أقطار المملكة العثمانية بآسيا علي المجرى السفلي لنهرى الدجلة والفرات وقدكان به دولتا البابليين والكلدانيين القديمتان يبلغ طوله ٧٥٠ كيلو متراً وعرضه ٣٠٠ كيلو متر أشهر محصولاته البلح واكبر مدائنه البصرة و بغداد

يحده شمالا الكردستان والجزيرة وشرقا بلاد العجم وغربا الصحراءوجنوبا الخليج الفارسي والصحراء

وهو سهل متسع خصب التربةوجوه شديد الحرارة صيفا وشديد البرد شتاء لانخفاض أرضه وكثرة رطوبتها

معظم سكانه من العرب وكثيرمنهم رحالة . وكان عبارة عن ولاية واحدة هي ولاية البصرة سكانها نحو ٢٥٠ الفاً عاصمتها البصرة علي شط العرب وهي كثيرة النخل ومن المراكز التجارية الهامة بين الهند والعراق وفارس والاناضول و بلادالعرب

من مدن هذه المملكةالمنتفك

(تاريخ العراق) قلنا ان العراق كان عبارة عن مملكتي البابليين والكلدانيين في القدم ثم استولي عليه الاسكندر المقدوني سنة (٣٣١) قبل الميلاد ثم بنوساسان من ملوك الفرس سنة (٣٠٢)قبل الميلاد أيضا ثم زال حكم الفرس ثم عاد اليه سنة (١٤٠) قبل الميلاد أيضاً

ثم استولي عليه العرب في صدر الاسلام وعرف عندهمباسم العراق العربي فكان ذا شأن كبير في تاريخ الدولة الاسلامية بني المسلمين فيه البصرة سنة (٦٣٦) الميلاد ثم بغداد سنة (٧٦٢) وقد بثت الدولتان العثمانية والفارسية تتنازعان السلطة عليه حتى فازت الاولى بعظمة سنة (١٦٣٨) الميلادوقد استقل بعد الحرب العامة سنة ١٩١٨

﴿ العراق العجمي ﴾ هو ولاية في وسط بلاد العجم تبلغ مساحتها (٣٥٧٠٠٠) كيلو متر مربع فهو قلب بلاد الفرس وفيه عواصمها الكبيرة همذان وطهران وأصبهان

﴿ العراقي ﴾ هو ابو اسحاق ابراهيم ابن منصور بن المسلم الفقيه الشافعي

المصرى المعروف العراقي الخطيب بجامع مصر

كان من فضلاء الفقهاء ولم يكن من العراق وانما سار الي بغداد واشتهر بها مدة فنسب اليها

قرأ الفقه ببغداد علي أبي بكر محمد ابن الحسين الارموى وكان من اصحاب الشيخ ابي اسحق الشيرازى وعلي ابي الحسن محمد بن المبارك بن الخل البغدادى وتفقه ببلده علي القاضي ابي المعالي مجلي ابن جميع

وكان في بغداد يعرف بالمصرى فلما رجع الي مصر قيل له العراقي

وقد روى عن الخطيب أبي اسحق المذكور انه كان يقول انشدني شيخنا ابن الخل المذكور ببغداد ولم يسمه قائلا :

في زخرف القول تزيين لباطله
والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه
وان ذممت فقل قيء الزنابير

مدحا وذمأ وما جاوزت وصفهما
حسن البيان يرى الظلماء كالنور

ولي الخطابة بجامع مصر بعد وفاة والده وكانت له خطب جيدة وشعر رقيق فمن شعره في العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر وكان قد وقع فانكسرت يده قوله :

ان العماد بن جبريل أخي علم
له يد أصبحت مذمومة الاثر

تأخر القطع عنها وهي سارقة
فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقيل ان هذين البيتين منسوبان لجعفر بن شمس الخلافة

ومن شعر ولده عبد الحكم المذكور في رجل وجب عليه القتل فرماه المستوفي للقصاص بسهم فأصاب كبده فقتله فقال

أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت
تحن والأم قد تحنو علي الولد

ومادرت انه لما رميت به
ماسار من كبد الا الي كبد

ومن شعره قوله :

قامت تطالبنى بلؤلؤ نحرها
لما رأت عيني تجود بدرها

وتبسمت عجبا فقلت لصاحبي
هـذا الذى اتهمت به ثغرها

وهذا معنى جميل اتفق مثله لابن الزقاق الاندلسي البلنسي في قوله :

وشادن طاف بالكؤس ضحي
لخثها والصباح قد وضحا

والروض يبدى لنا شقائقه
وآسه العنبرى قد نفحا

قلت وأين الاقاح قال لنا
أودعته ثغر من سقي القدحا

فظل ساقي المدام يجحد ما
قال فلما تبسم افتضحا

وكان الوزير صفي الدين ابو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر وزير الملك العادل بن ايوب بمصر قد عزل عبد الحكم المذكور عن خطابة جامع مصر فكتب اليه :

فلأى باب غير بابك أرجع
وبأى جود غير جودك اطمع

سدت علي مذاهبي ومسالكي
الا اليك فدلنى ما اصنع

فكأنما الابواب بابك وحده
وكأنما انت الخليقة اجمع

ولعبد الحكم المذكور يستجلي زوجته سترت وجهها بكف عليه

شبك النقش وهي تجلي عروسا
قلت لم يخز عنك سترك شيئا

ومتي غطت الشباك الشموسا

وله ايضا :

ومأدبة بتنا بها في لذاذة
يخيل لي انا علي الماء نوم

فمن فوقنا الافلاك والفلك تحتنا
ففي تلك أقمار وفي تيك أنجم

وله ايضا :

علي مهل ففي الاحوال ريث
أتخشي ان تضام وانت ليث

بمصر ان اقمت فأنت نيل
وان سرت الشآم فأنت غيث

ولد العراقي سنة (٥٦٣) وتوفي سنة (٦١٣) بمصر

❮ العُرقوب ❯ عصب غليظ موتر فوق عقب الانسان . وعرقوب كان رجلا مشهوراً بالكذب

❮ تَعرقل ❯ الرجل جار عن القصد

(عَرقل عليه كلامه) عوجه

(عَرقل الامرَ) صعبه

(تعرقل) تعوج

❮ عرك ❯ الاديم يعرُكه عركا دلكه

(عرك يعرك عَرَكا) كان شديد العلاج والبطش

(عارَكه) قاتله

(اعترك الرجال) تعاركوا
(العَريكة) النفس
(لين العريكة) سلس الاخلاق
(المعركة) موضع القتال

عَرِمَ الرجل يعرِم ويعرُم عُراما اشتد وجاوز الحد
(عرَم الشيء) خلطه
(رجل عارم) شرس
(العَرِم) المؤذي الشرس
(العُرْمة) الكدس من الطعام يداس ثم يذرى

سيل العَرِم قال تعالى: « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما صبروا وهل نجازي الا الكفور . وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

ذكر الله سيل العرم في هذه الآيات على أسلوبه في ايراد العبر واختلف العلماء فيمن بنى ذلك السد وفي تاريخه . فقال بعضهم ان بانيه سبأ بن يشجب . وقال غيرهم بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ وجعل له ثلاثين منقبا ، وجعل بناءه بالصخر والقار يحبس سيول العيون والامطار ثم يصرفونها من خروق في ذلك السد بمقدار مايحتاجون لزروعهم وشربهم قالوا ومكث على هذه الحال أيام دولة حمير فلما اختل أمرها واضطرب حبلها أنذرتهم بخرابه كاهنة اسمها طريفة على عهد عمرو ابن مزيقياء ملكهم

واختلف مؤلفو المسلمين في وقت حدوث ذلك السيل فقال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل الاسلام باربعمائة سنة وقال ياقوت انه وقع في عهد الملك حسان ملك اليمن في القرن الخامس للميلاد وقال ابن خلدون مثل ذلك وقال غيره أقوالا أخرى والله أعلم

العرم في اللغة السيل فيكون سيل العرم من اضافة الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظين

العَرَمْرَم الشديد والجيش الكثيف

العِرْنين الانف كله أو ماصلب من عظمه جمعه العرانين
(عرانين كل شيء) اوله
(العَرِين) مأوى الاسد

عراه يعروه عَرْوا ألم به وأتاه طالبا معروفه
(عراه) اصابه
(اعتراه) اصابه . وجاءه قاصداً معروفه
(العُروة) من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب اخت زره . وكل مايوثق به ويعول عليه

عروة بن الزبير هو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الصحابي احد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو ابن صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم . وام عروة بن الزبير اسماء بنت أبي بكر . وهو شقيق عبد الله بن الزبير الذي تولى الخلافة بمكة في عهد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان

رويت عن عروة رواية في حروف القرآن . وسمع الحديث من خالته عائشة أم المؤمنين وروى عنه ابن شهاب الزهري وغيره ، وكان عالما صالحا دينا يقوم ليله ويقرأ في يومه ربع القرآن نظراً في المصحف وما ترك قيام الليل الا ليلة قطعت رجله لمرض أصابها

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ولده محمد بن عروة فدخل ولده الى اصطبل الدواب ليستعرضها فضربته دابة فخر ميتاً فكان هذا أول ما اصاب عروة في رحلته هذه ثم وقعت في رجله الأكلة فأشار عليه الوليد بقطعها والا أفسدت سائر جسده ، فعزم على قطعها فلما أحضروا الجراح ليقطعها قال له نسقيك الخمر حتى لاتجد لها ألما . فقال لا أستعين بحرم الله على ما ارجو من عافية قال فنسقيك المرقد وهو البنج . فقال ما أحب ان أسلب عضواً من أعضائي وانا لاأجد ألم ذلك فاحتسبه

ثم دخل عليه قوم أنكرهم فقال ما هؤلاء ؟ قالوا يمسكونك فان الألم ربما عزب معه الصبر قال أرجو ان اكفيكم ذلك من نفسي . وكان اذ ذاك شيخا مسنا فتولى الجراح العمل فقطع الكعب حتى اذا بلغ العظمة وضع عليها المنشار

فقطعت وهو يهلل و يكبر . ثم انه أغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسم به فغشي عليه ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ولما رآى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها في يده ثم قال : أما والذى حملني عليك ما مشيت بك الي حرام . اوقال معصية

واتفق ان قدم علي الوليد قوم من بنى عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه . فقال ياأمير المؤمنين بت ليلة في بطن واد ولا أعلم عبسيا يزيد ماله علي مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لى من اهل وولد ومال غير بعير وصبي مولود. وكان البعير صعبا فوضعت الصبي واتبعت البعير فلم اجاوز الا قليلا حتى سمعت صيحة ابنى ورأسه في فم الذئب وهو يأكله فلحقت البعير لأحبسه فنفحنى برجله علي رأسي فحطمه فذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر

فقال الوليد انطلقوا به الي عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم منه بلاء.

وكان احسن من عزى عروة ابراهيم ابن محمد بن طلحة فقال له : والله مابك حاجة الي المشي ، ولا ارب في السعي ، وقد تقدمك عضو من اعضائك وابن من ابنائك الي الجنة ، والكل تبع للبعض ، ان شاء الله تعالي . وقد أبقي الله لنا منك ماكنا اليه فقراء ، وعنه غير اغنياء من علمك ورأيك ، نفعك الله وايانا به ، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك

ولما رجع عروة الي المدينة قال : اللهم انه كان لي أطراف اربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد وايم الله لئن أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لطالما عافيت . وعاش بعد قطع رجله أربع سنين

هذه الروح العالية التى ظهر بها عروة أمام هذه النازلة الفاجعة وذلك الثبات الذى تحلي به حيال الآلام والاوجاع من اخص مايكسبه الدين الحق لاهله فان فيه عزاء في المصيبة وتسلية في النازلة حتى ان صاحبه ليرى نفسه قد ارتفعت عن عالم الطبيعة واستوى علي مستوى سمابها عن الاهتمام بأحوال هذا العالم الفاني وأوصابه وسبحت في سبحات النور الروحاني في غبطة وسرور معنويين لا يتصورهما خيال شاعر مهما سرى في السرائر وجسد خطرات الخواطر

اين هؤلاء من اولئك الذين ألمت بهم الرعونات البشرية فتراهم ان شاكت

أحدهم شوكة بات من أجلها قلقا هلعا يحسب لها الف حساب خشية أن تستدعي من الاوصاب الجسدية مايودى بحياته فيرحل عن هذا العالم الذى أنس به غاية الانس علي مابه من كدر ووصب ولم يبيء نفسه لادراك ماوراءه مما أعد للانسان وكتب له

الانسان بانصرافه عن الله وعن الانس به يعيش معيشة البهائم ولكنه لم يعط جهالة البهيمية حتى يتسنى له ان يعيش مثلها بين عوارض الطبيعة وجوائحها علي اهله وولده فاقد الشعور غليظ الكبد ، بل تراه يحس بالألم المعنوى و يتوجه لما يتوهمه توهما فضلا عما يشعر به شعوراً ، فيقضي حياته كلها بين الخوف والهلع في حالة لا تليق بسمو طبيعته منتظراً اليوم الذى ينتهي فيه أجله بحالة من الخوف لا تصور بصورة وكان يكفيه هذا الهلع كله ان لا ينسي مصدر حياته فيجعل بينه و بينه اتصالا بالعبادة له والانقياد لمحابه حتى ينفحه من روحه بما يطمئن له ويهدأ عنده جيشات صدره فتزايله رعونات البشرية و يستوى بشراً سويا عالما انه سينتهي الي نهايات طبيعية فلا يجزع من ورودها لعرفانه بحدودها واطمئنانا الى عناية مبدعه متى انتهي اليه . قال تعالي : «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» وقال تعالى . «ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين»

﴿ عروة بن أذينة الليثي ﴾ هو الشاعر المشهور سمع الحديث عن ابن عمر وروى عنه مالك في الموطأ وكان من فحول الشعراء من شعره :

لقد علمت وما الاسراف من خلقي
ان الذى هو رزقي سوف يأتيني
أسعي اليه فيعيني تطلبه
وان قعدت أتاني لا يعنيني
فان حظ امرىء غير سيبلغه
لابد لابد ان يحتازه دوني
لاخير في طمع يدني لمنقصة
وعفة من كفاف العيش تكفيني
كم من فقير غنى النفس نعرفه
ومن غنى فقير النفس مسكين
ومن عدو رماني لو قصدت به
لم آخذ النصف منه حين يرميني
ومن اخ لي طوى كشحا فقلت له
ان انطواءك عني سوف يطويني

اني لانظر فيما كان من أدبي
وا كثر الصمت فيما ليس يعنيني
لاابتغي وصل من يبغي مقاطعتي
ولا الـبين لمن لايبتغي لبني

فاتفق ان عروة وفد هو وجماعة من الشعراء علي هشام بن عبد الملك فتيهم فلما عرفه قال له ألست القائل :

لقدعلمت وماالاسراف من خلقي
ان الذى هو رزقي سوف يأتيني

قال عروة: نعم . قال فهلا قعدت في بيتك حتى يأتيك ؟

وغفل هشام فخرج عروة من وقته وركب راحلته ومضي منصرفا ففقده هشام فلم يره وسأل عنه فقيل له راح الي الحجاز . فأتبعه بجائزة . وقال للرسول قل له اردت ان تكذبنا وتصدق نفسك. فلحقه وأبلغه الرسالة ودفع اليه الجائزة

فقال للرسول أبلغ امير المؤمنين مني السلام وقل له صدقني الله وكذبك

توفي في حدود الثلاثين ومئة

﴿ عروة بن حزام العذرى ﴾ هو واحد عشاق العرب المشهورين من الذين قتلهم الغرام

كان يهوى امرأة يقال لها عفراء وكانت تربا له يلعبان معا وهما صغيران فألف كل واحد منهما صاحبه وكان عمه عقال يقول لعروة أبشر فان عفراء امرأتك ان شاء الله تعالي . فلم يزالا الي ان التحق عروة بالرجال وعفراء بالنساء . وكان عروة قد رحل الي عم له باليمن ليطلب منه ما يمهر به عفراء لأن امها استامته كثيرا في مهرها . فنزل بالحي رجل ذو يسار ومال من بني امية فرأى عفراء فأعجبته فبذل كثيرا من المال فلم تزل أمها بأبيها الي ان زوجها منه فلما اهديت اليه قالت :

ياعروان الحي قد نقضوا
عهد الاله وحالفوا الغدرا

وارتحل الاموى بعفراء الي الشام وعمد ابو عفراء الي قبر فجدده وسواه وسأل الحي كتمان أمرها . ثم وفد عروة بعد ايام فنعاها أبوها اليه وذهب به الي ذلك القبر وبقي مدة يختلف اليه فأتته جارية من الحي فأخبرته بالقصة فرحل الي الشام وقصد الرجل وانتسب له في عدنان فأكرمه وبقي عنده مدة أيام فقال لجارية عفراء هل لك في يد تولينيها . فقالت وما هي ؟ قال هذا الخاتم تدفعينه الي مولاتك . فأبت عليه فعرفها وقال اطرحي هذا الخاتم في صبوحها

فان أنكرته فقولي ان ضيفك اصطبح قبلك ووقع من يده . فلما فعلت الجارية ذلك عرفت عفراء الخبر . فقالت لزوجها ان ضيفك ابن عمي فجمع بينهما وخرج وتركهما وأوقف من يسمع ما يقولانه فتشاكيا وتباكيا طويلا ثم أتته بشراب وسألته شربة . فقال مادخل جوفي حرام قط ولا ارتكبته وأنت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت منك ولا أعيش بعدك ، وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأنا مستحي منه ولا أقيم بمكانه بعد علمه بي واني لأعلم اني أرحل الى منيتي ثم بكي وبكت . وسأل زوجها فأخبره الخادم بما جرى بينهما . فقال ياعفراء امنعي ابن عمك عن الرحيل . فقال لا يمتنع فدعاه وقال اتق الله في نفسك وقد عرفت خبرك وان رحلت تلفت ووالله ما أمنعك من الاجتماع بها أبداً وان شئت فارقتها فجزاه خيراً وقال كان الطمع فيها شاقني والآن قد صبرت نفسي ويئست منها ويئست مني واليأس سيسلي ولى أمور ولا بد من الرجوع اليها ، فان وجدت بي قوة لذلك والا عدت اليكم وزرتكم حتى يقضي الله في أمري ما يشاء ، فزودوه وأكرموه واعطته عفراء خماراً لها . فلما سار عنها نكس بعد صلاحه وأصابه غشي وخفقان وكان كلما اغمي عليه القي عليه علامة ذلك الخمار فيفيق فلقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة فجلس عنده وسأله عما به وهل هو خبل أم جنون ؟ فقال له عروة ألك علم بالاوجاع ؟ قال نعم فأنشأ عروة يقول :

أقول لعراف اليمامة داوني
فانك ان داويتني لطبيب
فوا كبدى امست رفاتا كأنما
يلذعها بالموقدات لهيب
عشية لاعفراء منك قريبة
فتسلو ولا السلوان منك قريب
فوالله ما أنساك ما هبت الصبا
وما أعقبتها في الرياح جنوب
عشية لاخلفي مكر ولا الهوى
امامي ولا يهوى هواى غريب
واني لتغشاني لذكرك فترة
كأن لها بين الضلوع دبيب

قال الاخباريون انه مات في سفرته تلك قبل ان يصل الي أحيه بثلاث ليال وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعا شديداً وقالت ترثيه :

ألا أيها الركب المجدون ويحكم
أحقاً نعيتم عروة بن حزام
فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة
ولا رجعوا من غيبة بسلام

ولم تزل تنشد الاشعار وتندبه وتبكيه الي أن ماتت بعده بأيام قلائل

وعن أبي صالح قال كنت مع ابن عباس بعرفة فأتاه فتيان يحملان فتى فلم يبق الا خياله فقالوا يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم ادع الله تعالي له . قال وما به ؟ فقام الفتى ينشد شعراً :

بنا من جوى الاحزان في الصدر لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقي حشاشة معول
علي ما به عود هناك صليب

قال ثم خفت في أيديهم فاذا هو قد مات ، فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالي في عشيته الا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى . قال وسألت عنه فقيل له هو عروة ابن حزام

ومن شعره قوله :

خليلي من عليا هلال بن عامر
بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الاجر عندي وأجملا
فانكما بي اليوم مبتليان
ألما علي عفراء انكما غداً
بوشك النوى والبين معترفان
فياواشيي عفراء ويحكما بمن
ومن والي من جئتما تشيان
بمن لو أراه عانياً لفديته
ومن لو رآني عانياً لفداني
متى تكشفا عني القميص تبينا
بي السقم من عفراء يافتيان
فقد تركتني لا أعي لمحدث
حديثاً وان ناجيته ونداني
وحملت زفرات الضحي فأطقتها
ومالي بزفرات العشي يدان
جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجدان هما شفياني
فما تركا من حيلة يعملانها
ولا شربة الا وقد سقياني
ورشا علي وجهي من الماء ساعة
وقاما مع العواد يبتدران
وقالا شفاك الله والله مالنا
بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويل علي عفراء ويل كأنه
علي الصدر والاحشاء حد سنان

احب ابنة العفراء حباً وان نأت
ودانيت منها حينما تريان
اذا رام قلبي هجرها حال دونه
شفيعان من قلبي لها جدلان
اذا قلت لا قالا بلي ثم اصبحا
جميعا علي الرأي الذي يريان
تحملت من عفراء ماليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
فيارب انت المستعان علي الذي
تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علقت بجناحها
علي كبدي من شدة الخفقان

▶ ابو العلاء المعري ◀ هو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي من أهل معرة النعمان حكيم الشعراء ، وشاعر الحكماء ، لم ينبغ في الاسلام شاعر أعلي منه همة ولا أكرم منه نفسا ، واجدر بنا ان نحشره في زمرة الحكماء والعلماء من ان نحشره في طائفة الشعراء . لانه ماقال الشعر كاسبا ، ولا مدح احداً راغبا ، وهو مع علو كعبه في الشعر كان ملما باللغة متبحراً في فنونها

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة (٣٦٣) فحدث له جدري في سنته الثالثة ذهب ببصره فكان يقول لا اعرف من الالوان الا الاحمر لاني ألبست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر لا أعرف غيره

كان يقول انا احمد الله علي العمي
كما يحمده غيري علي البصر

وهو من بيت علم وفضل ورياسة . تولي قوم من أقاربه القضاء وكان منهم العلماء الاعلام والشعراء المطبوعون

قال الشعر وهو ابن احدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة ورحل الي بغداد ثم رحل الي المعرة . أقام ببغداد سنة وسبعة اشهر . فلما كان بها دخل علي امير المؤمنين المرتضي فعثر برجل فقال من هذا الكلب ؟ فأجابه ابو العلاء علي الفور : الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسما . فأدناه المرتضي واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه واكرم مثواه

ولما رجع المعري الي بلده سمي نفسه (رهين المحبسين) يعني حبس نفسه في منزله وحبس بصره بالعمي

عن ابي غريب الايادي قال انه دخل مع عمه علي ابي العلاء يزوره فوجده قاعداً علي سجادة لبد وهو شيخ فان فدعا له ومسح علي رأسه . قال وكأني انظر اليه

الساعة والي عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا. وهو مجدور الوجه نحيف الجسم

وعن المصيصي الشاعر قال : لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب ، رأيت أعمي شاعرا ظريفاً يلعب بالشطرنج والنردم ويدخل في كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول انا احمد الله علي العمي كما يحمده غيرى علي البصر

كان ابو العلاء عجيبا في الذكاء المفرط والحافظة، ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزى انه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدى ابي العلاء يقرأ شيئا من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدى فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلاء أى شي ، أصابك ؟ فحكيت له اني رايت جارا لي بعد ان لم الق احدا من اهل بلدى سنين فقال لي قم فكلمه . فقلت حتى اتمم النسق . فقال لي قم وانا انتظرك . فقمت وكلمته بلسان الاذربيجانية شيئاً كثيراً الى ان سألت عن كل ماأردت فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لى أى لسان هذا ؟ قلت له هذا لسان اذربيجان فقال لي ماعرفت اللسان ولا فهمته غير اني حفظت ماقلتما ، ثم أعاد علي اللفظ بعينه من غير ان ينقص منه أو يزيد عليه بل جميع ماقلت وماقال جاري فتعجبت غاية العجب من حفظ مالم يفهمه

كان أبو العلاء قد رحل الي طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ماأخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه واخذ عنه

الناس في حيرة من أمر أبي العلاء من جهة اعتقاده فقد أورد له الرازى في الاربعين قوله :

قلتم لنا صانع قديم
قلنا صدقتم كذا نقول
ثم زعمتم بلا مكان
ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء
معناه ليست لنا عقول

ثم قال الرازى كان المعرى متهما في دينه يرى رأى البراهمة لا يرى افساد الصورة ولا يأكل لحما ولا يؤمن بالرسل ولا البعث ولا النشور

وروى ابو زكريا الرازي قال قال لي

المعرى يوماً ماالذى تعتقد؟ فقلت في نفسي سيتبين لي اعتقاده ، فقلت ماأنا الاشاك فقال لي هكذا شيخك

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول عنه هو في حيرة

قال صلاح الدين الصفدى وهو أحسن مايقال في أمره لانه قال :

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونها للنفاد
انما ينقلون من دار أعما
ل الي دار شقوة أورشاد

ثم قال : .

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا
زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ثم قال صلاح الدين الصفدى أما الموضوع علي لسانه فلعله لا يخفي علي ذى لب . وأما الاشياء التى دونها وقالها في (لزوم مالا يلزم) وفي(استغفر واستغفرى) فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ويحتمل انه ارعوى وتاب بعد ذلك كله

قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزوينى قال المعرى : لم أهج أحداً قط . قلت صدقت الا الانبياء عليهم السلام فتغير لونه أوقال وجهه

ودخل القاضي المنازى فذكر له مايسمعه عن الناس من الطعن عليه . ثم قال مالي وللناس وقد تركت دنياهم . فقال القاضي وأخراهم ، فقال ياقاضي وأخراهم وجعل يكررها

هذا وقد رويت أشياء تدل علي تدينه وصحة عقيدته، من ذلك ماحدث به الحافظ الخطيب حامد بن بختيار النميرى قال سمعت القاضي أبا المهذب عبد المنعم بن احمد السروجي يقول سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول دخلت علي أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد عليه وأقرأ عليه فسمعته ينشد من قبله :

كم بودرت غادة كعوب
وعمرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا
والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطيء المنايا
والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوه مرات وتلا « ان في ذلك

لآية لمن يخاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد .

ثم صاح وبكي بكاء شديداً وطرح وجهه علي الارض زماناً ثم رفع رأسه : ومسح وجهه ، وقال سبحان من تكلم بهذا في القدم . سبحان من هذا كلامه .

فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد علي . وقال متى أتيت ؟ فقلت الساعة ، ثم قلت يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى

فتحققت صحة دينه وقوة يقينه

عن ابي اليسر المعري ان أبا العلاء كان يرمي من أهل الحسد له بالتعطيل و يعمل تلامذته وغيرهم علي لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملاحدة قصد اهلاكه ، وايثاراً لاتلاف نفسه . وفي ذلك يقول :

حاول اهواني قوم فما

أجبتهم الا بهوان

يحرشوني بسعاياتهم

فغيروا نية اخواني

لو استطاعوا لوشوا بي الي ال

مريخ والشهب وكيوان

الحق ان أبا العلاء كان يتسامح في شعره كثيراً فيتناول ذكر الشرائع والنبوات والبعث بما لا يحسن من القول ويبعد أن يكون كل ذلك موضوعا عليه ، لان جملة شعره تشير اليه ، ولكنا لا ننسب ذلك لفساد عقيدته ، بل لقلة مبالاته بتبعات القول ، ولو كان ملحداً لجاهر بالحاده لما يعرف عنه من الجرأة علي التصريح بما يعتقد ولما قال مايشعر عنه بأنه مؤمن صادق الايمان كقوله :

والذى حارت البرية فيه

حيوان مستحدث من جماد

فاللبيب اللبيب من ليس يغتر

بكون مصيره للفساد

وكقوله :

خلق الناس البقاء فضلت

أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما

ل الي دار شقوة أو رشاد

وما روى عنه في نفي الصانع وأوردناه

هنا ربما كان موضوعا عليه لأننا لم نطلع عليه في لزومياته

كان أبو العلاء المعري حكيما قولا وعملا فانه كان من التقشف والزهد بحيث لا يلحقه فيهما الا العباد المتبتلون فلم يتزوج خشية أن يجني علي أولاده ما يسيء اليهم طول حياتهم وقد قال في ذلك :

هذا جناه أبي علي

وما جنيت علي أحد

وكان أكله العدس وحلاوته التين ولباسه القطن وفراشه اللباد وحصيره برديه وفي هذا دلالة علي سمو روحه ، وكبر فؤاده . ولو كان يريد الاثراء لبلغ بشعره اكبر شأو فيه

امتنع ابو العلاء المعري عن اكل اللحم مدة خمس واربعين سنة زهادة ورحمة بالارواح الحيوانية والي ذلك اشار علي ابن همام حين رثاه قال من قصيدة طويلة :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة

فلقد ارقت اليوم من عيني دما

قيل لقي ابا العلاء رجل فقال له لم لم تأكل اللحم ؟ فقال أرحم الحيوان . قال فما تقول في السباع التى لاطعام لها الا لحوم الحيوان ، فان كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن .

قيل فسكت أبو العلاء

نقول نرجح ان أبا العلاء لم يسكت عجزاً عن الجواب ان صحت هذه الرواية لأنه كان يستطيع أن يقول له ان تشبيه الانسان بالعجماوات المفترسة ليس من الصواب في شيء . فان تلك لم تعط من الشعور مايرفعها عن مستوى البهيمية قيد أنملة ، ولكن الانسان قد بني أمره علي دوام الترقي في الشعور والتدرج في مراقي الكمال ، فهو ان اضطر الي افتراس الحيوان في عهد من عهوده لسد حاجته الجسدية حفظا لبقائه ، فليس بعجيب أن يقلع عن ذلك الافتراس وازهاق روح الحيوانات في عهد آخر حين تكفيه الارض حاجته الغذائية ، وقد أباح الخالق للانسان افتراس الحيوانات الباحة ولم يوجب عليه أكل اللحم ايجابا ، وفرق كبير بين الاباحة والايجاب فلكل انسان أن يكف نفسه عن أكل اللحم ولا حرج عليه ويكون له أجر الصالحين ان كان كفه عن ذلك رحمة منه بالحيوان وابقاء عليه

وكل ماورد في الدين من الامر بذبح

الحيوانات لم يقصد منه الذبح لذاته قال تعالى : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم » اى قصد ما يستتبع ذبحها من التوسعة علي الفقراء ، وعندى ان الانسان لو وسع علي الفقراء من الاغذية النباتية كانت النتيجة واحدة و يفضل الامر الثاني الامر الاول ان قصد فاعله مع ذلك الرحمة بالحيوان فان الله رحيم يحب الرحماء.

يثور أكثر الناس علي مثل هذا الكلام لأنه يرمي الي حرمانهم من لذة يعتبرونها أكبر اللذات ولو تأملوا قليلا ونظروا الى انفسهم وهم يلوكون في افواههم تلك الاشلاء الحيوانية المقطعة التى كانت قبل ان يموهوها بالنار تقطر دما عبيطا وتنز سوائل جسدية لربأوا بأنفسهم عن هذه الغمة التى لم يجعلها لذة غير العادة والألف

هذا فضلا عما ثبت من ان اكل اللحم يورث الامراض القلبية والروماتيزمية والنقطة وتصلب الشرايين وامراض الكليتين وغير ذلك مما لايحصي كثرة وان الاكتفاء بالنباتات والفواكه والالبان فضلا عما فيه من اللذة الحقيقية فهو أليق الاغذية ببدن الانسان لايورث مرضاً ولا يستتبع ألما (أنظر كلمتى غذاء ولحم من هذا الكتاب)

المعرى شعر لا يدرك له غور في بعد النظر فهو أحكم ماوقفنا عليه من الشعر العربي ، وفي كثير منه من الأصول والمذاهب مالم يدر في خلد البشر الا في القرن التاسع عشر . ولولا ان المعرى كان من المتعمقين في اللغة لجاءت أشعاره أعلي من متناول الطبقة الوسطي لكانت قصائده اليوم أغاني أهل هذا العصر وأنشودتهم في خلواتهم . وانا لعارضون للقارىء احسن ماقاله في سقط الزند ثم متبعوه بما قاله في (لزوم مايلزم) فيكون للقارىء منه جملة تقف به علي حقيقة مركزه من صناعة الشعر وملكة الحكمة

قال في الغزل :

ياساهر البرق أيقظ راقد السَّمُر
لعل بالجزع أعوانا علي السهر
وان بخلت عن الاحياء كلهم
فاسق المواطر حيا من بنى مطر
ويا أسيرة حجليها أرى سفها
حمل الحلي لمن اعيا عن النظر

ماسرت الاوطيف منك يصحبني
سرى أمامي وتأويباً علي أثرى
لو حط رحلي فوق النجم رافعه
وجدت ثم خيالا منك منتظري
يود أن ظلام الليل دام له
وزيد فيه سواد القلب والبصر
لو اختصرتم من الاحسان زرتكم
والعذب يهجر للافراط في الخصر
أبعد حول تناجي الشوق ناجية
هلا ونحن علي عشر من العشر
كم بات حولك من ريم وجازية
يستجديانك حسن الدل والحور
فما وهبت الذى يعرفن من خلق
لكن سمحت بما ينكرن من درر
وما تركت بذات الضال عاطلة
من الظباء ولا عار من البقر
قلدت كل مهاة عقد غانية
وفزت بالشكر في الارام والعفر
ورب ساحب وشي من جآذرها
وكان يرفل في ثوب من الوبر
حسنت نظم كلام توصفين به
ومنزلا بك معموراً من الخفر
فالحسن يظهر في شيئين رونقه
بيت من الشعر أوبيت من الشَّعَر
أقول والوحش ترميني بأعينها
والطير تعجب مني كيف لم أطر
لمشمعلّين كالسيفين تحتهما
مثل القناتين من أين ومن ضُمر
في بلدة مثل ظهر الظبي بت بها
كأنني فوق روق الظبي من حذر
لا تطويا السر عنى يوم نائبة
فان ذلك ذنب غير مغتفر
والخل كالماء يبدى لي ضمائره
مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
ياروع الله سوطي كم أروع به
فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

ثم تخلص من هذا الغزل الي مدح الفصيصي فقال:

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها
لولا الفصيصي كان المجد في مضر
وقد تبين قدرى أن معرفتى
من تعلمين سترضيني عن القدر
القائل الخل اذ تبدو السماء لنا
كأنها من نجيع الجدب في أزر
وقاسم الجود في عال ومنخفض
كقسمة الغيث بين النجم والشجر
ولو تقدم في عصر مضي نزلت
في وصفه معجزات الآي والسور

يبين بالبشر عن احسان مصطنع — كالسيف دل علي التأثير بالاثر

فلا يغرنك بشر من سواه بدا — ولو انار فكم نور بلا ثمر

يا ابن الاولي غير زجر الخيل ماعرفوا — اذ تعرف العرب زجر الشاء والعكر

والقائديها مع الاضياف تتبعها — الافها والوف اللام والبدر

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم — بعد الممات جمال الكتب والسير

وافقتهم في اختلاف من زمانكم — والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

الموقدون بنجد نار بادية — لايحضرون وفقد العز في الحضر

اذا همي القطر شبتها عبيدهم — تحت الغمام للسارين بالقطر

من كل أزهر لم تأشر ضمائره — لثم خد ولا تقبيل ذي اشر

لكن تقبل فوه سامعي فرس — مقابل الخلق بين الشمس والقمر

كأن اذنيه اعطت قلبه خبرا — عن السماء بما يلقي من الغير

تحس وطء الرزايا وهي نازلة — فينهب الجرى نفس الحادث المكر

من الجياد اللواتي كان عودها — بنو الفصيص لقاء الطعن بالثغر

تغني عن الوردان سلوا صوارمهم — أمامها لاشتباه البيض بالغدر

أعاذ مجدك عبد الله خالقه — من اعين الشهب لامن اعين البشر

فكم فريسه ضرغام ظفرت بها — نحرتها وهي بين الناب والظفر

ماجت نمير فهاجت منك ذا لبد — والليث أفتك أفعالا من النمر

هموا فأموا فلما شارفوا وقفوا — كوقفة العير بين الورد والصدر

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم — بالسمهرية دون الوخز بالابر

تلقي الا واني حفيظ الدر من جزع — عنها وتلقي الرجال السرد من خور

فكم دلاص علي البطحاء ساقطة — وكم جمان مع الحصباء منتثر

دع اليراع لقوم يفخرون به — وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت — مجدا اتت بمداد من دم هدر

وهي طويلة انتصرنا منها علي ماسر

وكان الشريف ابراهيم موسي بن اسحاق

أرسل اليه قصيدة يمدحه بها أولها :

بعادك أسهر الجفن القريحا — ودارك لاتني الا نزوحا

فأجابه ابو العلاء بقوله :

ألاح وقد رأى برقا مليحا — سرى فأتى الحمى نضوا طليحا

كما اغفي الفتى ليذوق غمضا — فصادف جفنه جفنا قريحا

اذا ما اهتاج احمر مستطيرا — حسبت الليل زنجيا جريحا

أقول لصاحبي اذ هام وجدا — ببرق ليس يشبته نزوحا

وهاجته الجنوب لوصل حي — أقم ويمموا دارا طروحا

سقاه لوعة النجدي لما — تنسم من جبال الشام ريحا

وغي لمح عينك شطر نجد — اذا ما آنست برقا لموحا

وامراض المواعد أعلمتني — بأن وراءها سقما صحيحا

متى نصبح وقد فتنا الاعادي — نقم حتى تزول الشمس روحا

بأرض للحمامة أن تغني — بها ولمن تأسف أن ينوحا

رأينك واحدا أبرحت عزما — ومثلك من رأى الرأي النجيحا

فلم تنزر علي مهر فصيلا — ولم تختر علي حجر لقوحا

ركبت الليل في كيد الاعادي — وأعددت الصباح له صبوحا

وأعظم حادث فرس كريم — يكون مليكه رجلا شحيحا

تريك له سماء فوق أرض — فروج قوائم يعددن لوحا

أصيل الجد سابقه تراه — علي الأين المكرم مستريحا

كأن غبوقه من فرط ري — أباه جسمه فغدا مسيحا

كأن الركض أبدى المحض منه — فمج لبانه لبنا صريحا

وأرباب الجياد بنو علي — مزيروها القوابل والصفيحا

وغير الخيل ماركبوا الجنب — غرابا والنعامة والجموحا

وأحمي العالمين ذمار مجد — بنو اسحق ان مجد أبيحا

ومعرفة ابن احمد منتقى
فما الخشي الحقيب ولا النطيحا
اذا استبقت خنول المجد يوما
جر بن بوارحا وجرى سنيحا
ولو كتب اسمه ملك هزيم
على راياته والي الفتوحا
فيا ابن محمد والمجد رزق
بقدرك سدت لاقدر اتيحا
وما فقد الحسين ولا عليا
ولي هدى رآك له نصيحا
اليك ابن الرسول حنن شوقا
ولم يحذين من عجل سريحا
همهن بدجلة وخشين جنحا
فبتنا فوق ارحلها جنوحا
أشحن وقد اقن على وقاز
ثلاث حنادس يرعين شيحا
دجي تتشابه الأشباح فيه
فيجهل جنسها حتى يصيحا
فر العام لم تطرق انيسا
بدارهم ولم تسمع نبوحا
ولا عبثت بعشب في ربيع
ولا وردت على ظمأ نضيحا
فأقسم ماطيور الجو سحا
كهن ولا نعام الدو روحا

ودون لقائك الهضبات شما
تفوت الطرف والفلوات فيحا
لجاءك كلها بالروح فرداً
وقد سرنا به جسداً وروحا
تبوح بفضلك الدنيا لتحفلي
بذاك وانت تكره ان تبوحا
وما الملك في أن فاح حظ
ولكن حظنا في ان يفوحا
وقد بلغ الضراح وساكنيه
ثناك وزار من سكن الضريحا
يفيض اليك غور الماء شوقا
ويظهر نفسه حتى يسيحا
ولو مرت بخيلك هجن خيل
وهبن لعجمها نسبا فصيحا
ولو رفعت سروجك في ظلام
على بهم جعلن لها وضوحا
ولو سمعت كلامك بزل شول
لعاد هديرها لها فحيحا
وقد شرفتني ورفعت اسمي
به وأنلتني الحظ الربيحا
اجل ولو ان علم الغيب عندى
لقلت أفدتني اجلا فسيحا
و كون جوابه في الوزن ذنب
ولكن لم تزل مولي صفوحا

وذلك ان شعرك طال شعرى
فما نلت النسيب ولا المديحا
ومن لم يستطع أعلام رضوى
ليتزل بعضها نزل السفوحا
شققت البحر من أدب وفهم
وغرق فكرك الفكر الطموحا
لعبت بسحرنا والشعر سحر
فتبنا منه توبتنا النصوحا
فلو صح التناسخ كنت موسي
وكان أبوك اسحق الذبيحا
ويوشع رد يوحي بعض يوم
وأنت متى سفرت رددت يوحي
فنال محبك الدارين فوزا
وذاق عدوك الموت المريحا
ومن لم يأت دارك مستفيداً
أتاها في عفاتك مستميحا
فكن في الملك ياخير البرايا
سليمانا وكن في العمر نوحا
هاتان القصيدتان تبينان مبلغ قدرة
أبي العلاء المعرى في النسيب والمديح
فنجتزىء بهما ونعرض على القارىء نموذجا
من شعره في الحماسة والفخر قال :
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
عفاف واقدام وحزم ونائل

أعندى وقد مارست كل خفية
يصدق واش أو يخيب سائل
أقل صدودى انني لك مبغض
وأيسر هجرى انني عنك راحل
اذا هبت النكباء بيني وبينكم
فأهون شيء ما تقول العواذل
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
ولا ذنب لي الا العلى والفضائل
كأني اذا طلت الزمان وأهله
رجعت وعندى للانام طوائل
وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم
بإخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالي بعض ما أنا مضمر
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
واني وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
وأغدو ولو ان الصباح صوارم
وأسرى ولو أن الظلام جحافل
واني جواد لم يحل لجامه
ونضو يمان أغفلته الصياقل
وان كان في لبس الفتى شرف له
فما السيف الا غمده والحمائل
ولي منطق لم يرض لي كنه منزل
على انني بين السماكين نازل

لدى موطن يشتاقه كل سيد
ويقصر عن ادراكه المتناول
ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظن اني جاهل
فواعجباً كم يدعي الفضل ناقص
ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها
وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي في أمسي تشرفا
وتحسد اسحاري علي الأصائل
وطال اعترافي بالزمان وصرفه
فلست أبالي من تغول الغوائل
فلو بان عضدي ما تأسف منكبي
ولو مات زندي ما بكته الانامل
اذا وصف الطائي بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهي للشمس انت خفية
وقال الدجي ياصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة
وفاخرت الشهب الحصي والجنادل
فياموت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدي ان دهرك هازل
وقد اغتدي والليل يبكي تأسفا
علي نفسه والنجم في الغرب مائل

بريح أعيرت حافراً من زبرجد
لها التبر جسم واللجين خلاخل
كأن الصبا ألقت الي عنانها
تخب بسرجي مرة وتناقل
اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت
عن الماء فاشتاقت اليها المناهل
وليلان حال بالكواكب جوزه
وآخر من حلي الكواكب عاطل
كأن دجاه الهجر والصبح موعد
بوصل وضوء الفجر حب مماطل
وقال في الرثاء يرثي جعفر بن علي بن
المهذب :
أحسن بالواجد من وجده
صبر يعيد النار في زنده
ومن أبي في الرزء غير الأسي
كان بكاه منتهي جهده
فليذرف الجفن علي جعفر
اذا كان لم يفتح علي نده
والشيء لا يكثر مداحه
الا اذا قيس الي ضده
لولا غضي نجد وقلامه
لم يثن بالعايب علي نده
ليس الذي يبكي علي وصله
مثل الذي يبكي علي صده

والطرف يرتاح الي غمضه
وليس يرتاح الي سهده
كان الاسي فرضاً لو ان الردى
قال لنا أفدوه فلم نفده
هل هو الا طالع للهدى
سار من الترب الي سعده
فبات أدني من يد بيننا
كأنه الكوكب في بعده
يا دهر يا منجز ايعاده
ومخلف المأمول من وعده
أى جديد لك لم تبله
واى اقرانك لم ترده
تستأسر العقبان في جوها
وتنزل الأعصم من فنده
ارى ذوى الفضل واضدادهم
يجمعهم سيلك في مده
ان لم يكن رشد الفتى نافعاً
فغيه أنفع من رشده
تجربة الدنيا وافعالها
حثت اخا الزهد علي زهده
والقلب من اهوائه عابد
ما يعبد الكافر من بده
ان زماني برزاياه لي
صيرني أمرح في قده

كأننا في كفه ماله
ينفق ما يختار من نقده
لو عرف الانسان مقداره
لم يفخر المولي علي عبده
أمس الذى مر علي قربه
يعجز أهل الارض عن رده
أضحي الذى أجل في سنه
مثل الذى عوجل في مهده
ولا يبالي الميت في قبره
بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد في حتفه
كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكي لآبائه
كحالة الباكي علي ولده
ما رغبة الحي بأبنائه
عما جني الموت علي جده
ومجده أفعاله لا الذى
من قبله كان ولا بعده
لولا سجاياه وأخلاقه
لكان كالمعدوم في وجده
تشتاق أيار نفوس الورى
وانما الشوق الي ورده
تدعو بطول العمر أفواهنا
لمن تناهي القلب في وده

يسر ان مديقاء له
وكل ما يكره في مده
أفضل مافي النفس يغتالها
فنستعيذ الله من جنده
وآفة العاشق من طرفه
وآفة الصارم من حده
كم صان عن قبلة خده
سلطت الارض علي خده
وحامل ثقل الثرى جيده
وكان يشكو الضعف من عقده
ورب ظمآن الي مورد
والموت لو يعلم في ورده
ومرسل الغارة مبثوثة
من أدهم الليل ومن ورده
يخوض بحراً نقعه ماؤه
يحمله السابح في لبده
أشجع من قلب خطية
علي طويل الباع ممتده
يرى وقوع الزرق في درعه
مثل وقوع الزرق في جلده
لا يصل الرمح الى طرفه
ولا الي المحكم من سرده
يلقي عليه الطعن القاتل
حب علي المسرع في عقده
بلحظة منه فما دونها
يردغرب الجيش عن قصده
أمهله الدهر فأودى به
مبيضه يحدى بمسوده

ومن قوله في الحكمة :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ
ـس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ
ـت علي غصنها المياد
خفف الوطء ما أظن أديم الا
ارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ
ـد هوان الآباء والاجداد
سر ان أسطعت في الهواء رويداً
لا اختيالا علي رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً
ضاحكا من تزاحم الاضداد
ودفين علي بقايا دفين
في طويل الازمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا
من قبيل وآنسا من بلاد

كم أقاما علي زوال نهار
وانارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ
ـجب الا من راغب في ازدياد
ان حزناً في ساعة الموت أضعا
ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسـ
ـم فيها والعيش مثل السهاد
أبنات الهديل اسعدن اوعد
ن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فأنتـ
ـن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الاوان الـ
ـخالي اودى من قبل هلك اياد
بيد اني لا ارتضي ما فعلتـ
ـن واطواقكن في الاجياد
فتسلبن واستعرن جميعا
من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ
ـن بشجو مع الغواني الخراد

هذا ولأبي العلاء المعرى ديوان يقع في مجلدين سماه لزوم مالا يلزم أى انه لزم في مالا يلزم الشاعر من جعل القوافي في قصائده متحدة في حرفين اثنين بدل حرف واحد مثال ذلك انه افتتح قصيدة بقوله :

تفرد الله بسلطانه
فماله في كل حال كفاء

فالتزم في جميع القصيدة ان تكون قوافيها منتهية بفاء ممدودة وهمزة مثل خفاء وعفاء وصفاء . وكان يكفيه ان يضع بدل خفاء خباء وبدل عفاء بلاء وبدل صفاء هناء . فدل ذلك علي تبحره في اللغة وانقياد الفاظها له

هذا الكتاب يحتوى علي أبيات بعيدة الغور في الحكمة ولكن يشوبها أبيات تسامح فيها أبو العلاء تسامحا يغتفر لمثله دلت اما علي حيرته في عقيدته كما يقول بعض الناقدين وأما علي عدم مبالاته بمواقع القول . فمن شعره فيه :

تقول زاد فاعتقد انه
افضل ما أودعته في السقاء
آه غدا من عرق نازل
ومهجة مولعة بارتقاء

نوبي محتاج الي غاسل
وليت قلبي مثله في النقاء
موت يسير معه رحمة
خير من اليسر وطول البقاء

وقال أيضا :

حياة عناء وموت عناء
فليت بعيداً حمام دنا
يد صغرت ولهاة ذوت
ونفس تمنت وطرف رنا
وموقد نيرانه في الدجي
يروم سناه برفع السنى
يحاول من عاش ستر القميص
وملء الخميص وبره الضنا
ومن ضمه جدث لم يبل
علي ما أفاد ولا ما اقتنى
يصير ترابا سواء عليه
مس الحرير وطعن القنا
وشرب الفناء بخصر الفرند
كأن علي آسهن الفنا
ولا يزدهي غضب حلمه
القبه ذا كرم كنى
تهنأ بالخير من ناله
وليس الهناء علي ماهنا
وأقرب لمن كان في غبطة
بلقيا المنى من لقاء المنا
أعائبة جسدي روحه
وما زال يخدم حتى ونى
وقد كلفته أعاجيبها
فطوراً فرادى وطوراثنا
ينافي ابن آدم حال الغصون
فهاتيك أجنت وهذا جنى
تغير حين تأوه شيبه
فهل غير الظهر لما انحنى
اذا هو لم يخش دهر عليه
جاء الفرى وقال الخنا
وسيان من أمه حرة
حصان ومن أمه فرتنا
ولي مورد باناء المنون
ولكن ميقاته ما أني
زمان يخاطب أبناءه
جهارا وقد جهلوا ما عنى
يبدل باليسر اعدامه
وتهدم احداثه ما بنى
لقد فزت ان كنت تعطي الجنان
بمكة اذ زرتها أو منى

وقال أيضاً :

بقيت وما أدرى بما هو غائب
لعل الذى يمضي الى الله اقرب
نود البقاء النفس من خيفة الردى
وطول بقاء النفس سم مجرب
علي الموت يجتاز المعاشر كلهم
مقيم بأهليه ومن يتغرب
وما الارض الا مثلنا الرزق تبتغي
فتأكل من هذا الانام وتشرب
وقد كذبوا حتى علي الشمس انها
تهان اذا حان الشروق وتضرب
كأن هلالا لاح للطعن فيهم
حناه الردى وهو السنان المجرب
كأن ضياء الفجر سيف يسله
عليهم صباح بالمنايا مذرب

وقال أيضاً :

نفوس للقيامة تشرأب
وغي في البطالة منلشب
تأبي ان تجيء الخير يوما
وأنت ليوم غفران تنب
فلا يغررك بشر من صديق
فان ضميره احن وخب
وان الناس طفل او كبير
يشب علي الغواية او يشب
تحب حياتك الدنيا سفاها
وما جادت عليك بما تحب
وانك منذ كون النفس عنسا
لتوضع في الضلالة أو تخب
وان طال الرقاد من البرايا
فان الراقدين لهم مهب
غرامك بالفتاة ضنى وغم
وليس بسر من يشتاق غب
لو ان سواد كيوان خضاب
بكفك والسهي في الاذن حب
لما نجاك من غير الليالي
سناء قارع وغنى مرب
وما يحميك عز أن تسبى
ولا أن الظلام عليك سب
أرى جنح الدجي أو في جناحا
ومات غرابه الجون المرب
فما للنسر ليس يطير فيه
وعقربه المضيبة لا تدب
ايجلو الشمس للرائي نهار
فقد شرقت ومشرقها مضب
ولم يدفع ردى سقراط لفظ
ولا بقراط حامي عنه طب
اذا آسيتني بشفا صريعا
فدعني كل ذى أمل يتب

ولا تذبب هناك الطير عني
ولا تبلل يداك فما يذب

وقال ايضا :

الكون في جملة العوافي
لا الكون من جملة العفاة
لبن الثرى للجسوم خير
من صحبة العالم الجفاة
قد خفت القوم فاستراحوا
آه من الصمت والخفات
لم يبق للظاعنين عين
نبكي علي الاعظم الرفات
ارى انكفائي الي المنايا
أغنى عن الاسرة الكفاة
اثبت لي خالقا حكيما
ولست من معشر نفاة
خبطت في حدس مقيم
وأعجزت علي شفاني
فمن تراب الي تراب
ومن سفاة الي سفاة
نعوذ بالله من غوان
يكن بالقلب مصفات
ومن صفات النساء قدما
ان ليس في الود منصفات

وما يبين الوفاء الا
في زمن العقد والوفاة
كم ودع الناس من خليل
سار فما هم بالتفات

وقال ايضاً :

وجدت الناس في هرج ومرج
غواة بين معتزل ومرج
فشأن ملوكهم عزف ونزف
واصحاب الأمور جباة خرج
وهم زعيمهم انهاب مال
حرام النهب أو احلال فرج
وان شرارة وقعت بواد
لتحرق وحدها سموا بشرج
ركوب النعش أسرع لابن دهر
بريد الطير من قتب وسرج
غدا العصفو للبازى اميرا
وأصبح ثعلبا ضرغام ترج
أفي الدنيا لحاها الله حق
فيطلب من حنادسها بسرج

وقال يمدح مذهبه :

أنا للضرورة في الحياة مقارن
مازلت أسبح في البحار الموَّج
وصرورة في سيمتين لأنني
مذ كنت لم احجج ولم أتزوج

من مذهبي ان لا أشد بفضة
قدحي ولا اصغي لشرب معوج
لكن اقفي مدتي بتقنع
يغني وافرح باليسير الأروج
هذا ولست أود اني قائم
بالملك في ثوبي اغر متوج

وقال أيضاً :

اصاح هي الدنيا تشابه ميتة
ونحن حواليها الكلاب النوابح
فمن ظل منها آكلا فهو خاسر
ومن عاد منها ساغباً فهو رابح
ومن لم تبيته الخطوب فانه
سيصبحه من حادث الدهر صابح

وقال ايضاً :

قد علموا ان سيخطف الشبح
فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ماحفظوا جارة ولا فعلوا
خيراً ولا في مكارم ربحوا
غالوا بأثوابهم فما حسنوا
في ذهبي اللباس بل قبحوا
دعوا الي الله كي يجيبهم
سيان هم والخوامي النبح
كم قتلوا عاقاً وكم جرحوا
دنا وكم فأر تاجر ذبحوا

لاانغبط القوم في ضلالتهم
وان رُؤا في النعيم قد سبحوا

وقال أيضاً :

عجباً للطبيب يلحد في الخا
لق من بعد درسه التشريحا
وقد علم المنجم مابو
جب الدين أن يكون صريحاً
من نجوم نارية ونجوم
ناسبت تربة وماء وريحا
فطن الحاضرين من يفهم التعر
يض حتى بظنه تصريحا
رب روح كطائر القفص المسج
ون ترجو بموتها التسريحا
فرحوكم بباطل شيمة الخ
ر فهلا لا أوثر التفريحا
كيف لي ان اكون في دارى الاخ
رى معافي من شقوة مستريحا
ذا اقتناع كما أنا اليوم فيه
أو أخلي فما أريم الضريحا
عجباً لي أعصي من الجهل عقلي
ويظل السليم عندى جريحا
مثل قيس غداة فارق لبنى
عاد يشكو فيها جناه ذريحا

يتكنى أبا الوفاء رجال
ماوجدنا الوفاء الا طريحا
وأبو جمدة ذؤالة من جعـ
ـدة لازال حاملا تبريحا
وابن عرس عرفت وابن بريح
ثم عرسا جهلته وبريحا
ومن اليمن للفتى أن يجيء الـ
ـموت يسعى اليه سعيا سريحا
لم يمارس من السقام طويلا
ومغي لم يكابد التبريحا

هـذا نموذج من شعر أبي العلاء المعري وهو يدل القارئ على ما كان عليه هذا الحكيم من صدق النظر في أحوال الحياة وبعد الغور في تقدير التكاليف الدنيوية ، والمقدرة التامة على المعاني العالية والالفاظ الجزالة

توفي سنة (٤٤٩) بالمعرة

﴿ عزَب ﴾ الرجل يعزُب عُزُوبة وعُزوبة لم يكن له زوج

(عزِب الشيء يعزب) بعد وغاب

(العزَب) من لازوج له من النساء والرجال . ويقال للمرأة (عَزَبة) أيضا

(الأعزب) من لازوج له

﴿ العزوبة ﴾ يمدح بعض أهل العصر العزوبة مدعين أنها أروح لبالهم ، وأهدأ لنفوسهم وهم مخطئون من وجوه بعضها طبيعية و بعضها اجتماعية و بعضها أدبية و بعضها صحية

فمن الوجوه الطبيعية ان العزوبة عصيان لنواميس الطبيعة ، وخروج على نظامها ، فان الخالق الحكيم خلق الرجل والمرأة محتاج أحدهما للآخر احتياجا يؤثر على كل كل منهما فكيف تكون العزوبة ممدوحة مع هذه الحال ؟

ومن الوجوه الاجتماعية ان العزوبة محللة لروابط الاسر ، مقللة بل معدمة للنسل فكيف تكون ممدوحة وغايتها ملاشاة النوع البشري واجلاؤه عن سطح الارض

ومن الوجوه الادبية ان أنصار العزوبة قد لا يعنون بها الا الامتناع عن اتخاذ زوجة خاصة ، ولكنهم يندفعون وراء شهواتهم البهيمية فيكونون من أكبر العوامل على نشر الفسوق على اختلاف صنوفه ، وكفى بهذا حطا من آداب الامم عاملا على اهلاكها

ومن الوجوه الصحية ان العزوبة لا تتفق مع الراحة البينية التى يحتاج اليها كل

عامل في هذه الحياة . فالأعزب لا يجد في بيته من معدات الراحة ما يسمح باستعاضته ما فقد من قواه بمكابدة الاعمال ثم انه ان صدق في عزوبته ولم يكن الجأ قسرا عاد عليه امتناعه عن أداء الوظيفة التناسلية بالضرر على قول بعض الاطباء

فالعزوبة من الشرور الشديدة التأثير في حياة الامم وان ما يشكوه الناس في بلادنا من شيوع الفحشاء في هذه السنين ليس سببه الا شيوع العزوبة بين الشبان ولكنها عزوبة وقتية . فترى الرجل هنا يمتنع عن الزواج وهو في سن الزواج متربصاً اصطياد زوجة ثرية ليبتزها مالها ويحشر نفسه في زمرة السراة على حسابها فيظل أعزب بالاسم حتى يجاوز الاربعين فيضطر الى انفاق عشرين سنة من أحسن عمره في اغواء الغاديات الرائحات ، وافساد آداب المحصنات

﴿ عزَره ﴾ يعزِره عَزراً . لامه

(عَزَره) أعانه

(عزّره) لامه وأدبه وعظمه وعاقبه

﴿ عُزَير ﴾ هو نبي من أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام . قال الله تعالى : « وقالت اليهود عزير بن الله » ليس معنى هذه الآية ان اليهود قالوا في عزير ما قاله النصارى في عيسى بل الداعي لنزول هذه الآية أن بعض اليهود غلوا في دينهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا له أو قبله فقالوا هذه المقالة

وفي رأينا ان اطلاق الله الكلام واتيانه بما يشعر بالتعميم هو من باب تبكيت اليهود الذين سمعوا من اخوانهم ذلك الافتراء على الله فلم يردعوهم بعقاب زاجر

أما الآن فقد انقرض أولئك الاشخاص المغالون وليس في اليهود اليوم من يقول مثل هذا القول

﴿ عَزرائيل ﴾ هو اسم ملك الموت

﴿ التعزير ﴾ في الشرع يراد به العقوبة وهو مشروع لكل معصية لاحد فيها ولا كفارة

هل هو حق واجب لله عز وجل أم لا ؟ قال الشافعي لا يجب بل هو مشروع

وقال أبو حنيفة ومالك اذا غلب على ظنه انه لا يصلحه الا الضرب وجب ، وان غلب على ظنه صلاحه بغيره لم يجب

وقال احمد اذا استحق بفعله التعزير
وجب

﴿ عزه ﴾ يعزه عزاً قواه وغلبه في المعازة أي في الاحتجاج

(عز الرجل) يعز عزة وعزا صار عزيزاً

(عززيد) ضعف وقوى وهو ضد

(عز عليه ذلك) يعز صعب

(عززه) جعله عزيزاً

(عازه) عارضه في العزة

(أعزه) جعله عزيزا

(تعزز بفلان) تشرف به

(اعتز بفلان) عد نفسه عزيزاً به

(العزى) اسم صنم كان لقريش وقيل العزى شجرة كانت لغطفان يعبدونها وبنوا عليها بيتاً

(العزة) الغلبة والكبر

(العزيز) الشريف والقوى والنار

﴿ ابن المعتز ﴾ هو عبد الله بن جعفر ابن محمد بن هرون بن العباس بن المعتز ابن المتوكل بن الرشيد بن المهدى بن المنصور الخليفة الأديب صاحب الشعر البديع والنثر البليغ

أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي حتى بلغ منهما أبعد شأو بلغه أديب في زمنه

ثارت ثورة في زمنه أفضت الي اسناد الخلافة اليه فقال للثائرين علي شرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضي بالله

ولكن لم يتم له الامر فتغلب انصار المقتدر علي انصاره فخلع وقتل . وقيل مات حتف أنفه وليس هذا بصحيح بل خنقه مؤنس الخادم وسلمه لأهله ملفوفا في كساء ودفن بخرابة بازاء بيته

كان شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد وله تصانيف ممتعة . قال فيه ابن بسام صاحب الذخيرة :

لله درك من ميت بمضيعة
ناهيك في العلم والآداب والحسب

ما فيه لو ولا ليت فتنقصه
وانما أدركته حرفة الادب

وقال فيه بعض الادباء :

لا يبعد الله عبد الله من ملك
سام الي المجد والعلياء مذ خلقا

قد كان زين بني العباس كلهم
بل كان زين بني الدنيا حيي وتقي

أشعاره زينت بالشعر أجمعه
فكل شعر سواها بهرج ولقا

قال بعض من كان يخدمه انه خرج يوماً يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد وبستان الندى وكان آخر أيامه فأخذ خزنة وكتب بالحصي :

سقياً لظل زماني * وعيشي المحمود
ولي كليلة وصل * قدام يوم صدودى

قال وضرب الدهر ضرباته ثم عدت فوجدت خطه خفيا وتحته مكتوب:

أف لظل زماني * وعيشي المنكود
فارقت أهلي وألفي * وصاحبي وودودى
ومن هويت جفاني * مطاوعاً لحسودى
يارب موتا والا * فراحة من صدود

وقال يفتخر باسرته العباسية ويصرح بأن عشيرته أحق بالخلافة من أسرة علي ابن أبي طالب :

ألا من لعين وتسكابها
تشكي القذاة وتكابها

نهيت بني رحمي لو وعوا
بنصحة بر بانسابها

ورلموا قريشاً اسود الشرى
وقد نشبت بين أنيابها

قتلنا أمية في دارها
فكنا أحق باسلابها

وكم عصبة قد سقت منكم الـ
خلافة صابا بأكوابها

اذا ما دنوا ثم يلقونكم
ربونا قرت بحلابها

ولما أبي الله أن تملكوا
دعينا اليها فقمنا بها

وما رد حجابها وافداً
لنا اذ وقفنا بأبوابها

كقطب الرحي وافقت أختها
دعونا بها وعملنا بها

ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها

لكم رحم يا بني بنته
ولكن أرى العم أولي بها

به نصر الله أهل الحجاز
وأبرأها بعد أوصابها

ويوم حنين قد اعينكم
وقد أبدت الحرب عن نابها

فهلا بني عمنا انها
عطية رب حبانا بها

وأقسم انكم تعلمو
ن انا لها خير اربابها

فأجابه صفي الدين الحلي الشاعر المتوفي سنة (٧٥٠) من قصيدة يدافع بها عن آل بيت النبي صلي الله عليه وسلم :

ألا قل لشر عباد الاله
وطاغي قريش وكذابها
وباغي العباد وباغي العناد
وهاجي الكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها فضل أحسابها
بكم باهل المصطفي أم بهم
فرد العداة بأوصابها
أعنكم نفي الرجس أم عنهم
كطهر النفوس وألبابها
أم الرجس والخمر من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
وقلتم ورثتم ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
وعندك لا تورث الأنبياء
فكيف حظيتم بأثوابها
فكذبت نفسك في الحالتين
ولم تعلم الشهد من صابها
أجدك يرضي بما قلته
وما كان يوماً بمرتابها
وكان بصفين في حربهم
كحزب الطغاة وأحزابها
وقد شمر الموت عن ساقه
وكشرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعو الي حيدر
بإرعابها وبإذهابها
أومل أن يرتضيه الانام
من الحكمين لاشهابها
ليعطي الخلافة أهلا لها
فلم يرتضوه لانجابها
وصلي مع الناس طول الحياة
وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم
اذا كان اذ ذاك أحرى بها
واذ جعل الأمر شورى لهم
فهل كان من بعض أربابها
أخامسهم كان أم سادساً
وقد جليت بين خطابها
وقولك أنتم بنو بنته
ولكن بنو العم أولي بها
بنو البنت أيضاً بنو عمه
وذلك أدني لانسابها
فدع في الخلافة فضل الخلاف
فليست ذلولا لركابها

وما أنت والفحص عن شأنها
وما قمصوك بأثوابها
وما شاورتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لأسبابها
وكيف يخصوك يوماً بها
ولم تتأدب بآدابها
وقلت بأنكم القاتلون
لأسد أمية في غابها
عديت وأسرفت فيما ادعيت
ولم تنه نفسك عن عابها
فكم حاولتها سراة لكم
فردت علي نكص أعقابها
ولولا سيوف أبي مسلم
لعزت علي جهد طلابها
وذلك عبد لهم لا لكم
رعي فيكم قرب انسابها
وكنتم أساري بطون الحبوس
وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها
وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزاء
لطغوى النفوس واعجابها
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف
وجاؤا الخلافة من بابها
هم الزاهدون هم العابدون
هم العاملون بآدابها
هم الصائمون هم القائمون
هم الساجدون بمحرابها
هم قطب مكة دين الاله
ودور الرحاء بأقطابها
عليك بلهوك بالغانيات
وخل المعالي لأصحابها
ووصف العذارى وذات الخمار
ونعت العقار بألقابها
وشعرك في مدح ترك الصلاة
وسقي السقاة بأكوابها
فذلك شأنك لا شأنهم
وجرى الجياد بأحسابها

حدث المعافي بن زكريا الجريرى قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا علي شيخنا محمد بن جرير رحمه الله فقال ما الخبر ؟ فقيل له بويع ابن المعتز . قال فمن رشح للوزارة ؟ فقيل محمد بن داود . قال فمن ذكر للقضاء ؟ قيل الحسن بن المثنى . فأطرق ثم قال هذا الامر لا يتم . قيل وكيف ؟ قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه علي الرتبة ، والدنيا مولية والزمان مدبر ، وما أرى هذا الا لاضمحلال ،

ما أرى لمدته طول

تقول وهذا يدل علي فضل ابن المعتز وعلي كال لياقته للخلافة حتى استبعد الاستاذ ابن جرير أن يتم له الامر والدنيا مولية والزمان مدبر ، و يكذب الشاعر صفي الدين الحلي في قوله القصيدة السابقة :

وما شاورتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لأسبابها
وكيف يخصوك يوما بها
ولم تتأدب بآدابها

والحقيقة ان تولية ابن المعتز كانت في زمن هياج وثورة وتلاعب من الرؤساء الاتراك بالخلافة فلم يستتب له الأمر لهذا السبب

يقال انه لما سلم الي مؤنس الخادم ليقتله أنشد :

يانفس صبراً لعل الخير عقباك
خانتك من بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها
طوباك ياليتني اياك طوباك
ان كان قصدك شوقاً بالسلام علي
شاطي الفرات ابلغي ان كان مثواك
من موثق بالمنايا لا فكاك لها
يبكي الدماء علي الف له باكي

الى أن قال :

أظنه آخر الأيام من عمرى
وأوشك اليوم أن يبكي له الباكي

ابن المعتز هو واضع علم البديع وله شعر غاية في الرقة ، وقد اشتهر بالتشبيهات البالغة حد الاتقان . ومن شعره قوله :

واني لمعذور علي طول حبها
لأن لها وجهاً يدل علي عذرى
اذا ما بدت والبدر ليلة تمه
رأيت لها فضلا مبينا علي البدر
وتهتز من تحت الثياب كأنها
قضيب من الريحان في الورق الخضر
أبي الله الا أن أموت صبابة
بساحرة العينين طيبة النشر

ومنه قوله :

من لي بقلب صيغ من صخرة
في جسد من لؤلؤ رطب
جرحت خديه بلحظي فما
برحت حتى اقتص من قلبي

ومنه يفتخر بالكرم :

ياطارقي في الدجي والليل منبسط
علي البلاد بهيم ثابت الدعم
طرقت باب غنى طابت موارده
ونائلا كانهمال العارض السجم

حكم الضيوف بهذا الربع انفذ من
حكم الخلائف آبائي علي الامم
فكل ما فيه مبذول لطارقه
ولا زمام له الا علي الحرم

ومن شعره في الهلال والثريا:

قد انقضت دولة الصيام وقد
بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره
يفتح فاه لأكل عنقود

ومن شعره أيضاً :

اهلا بفطر قد اتاك هلاله
الآن فاغد علي المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة
قد اثقلته حمولة من عنبر

توفي ابن المعتز مقتولا سنة (٢٩٦) ه

﴿ المعز لدين الله ﴾ هو ابو تميم معد ابن المنصور بن القائم بن المهدى عبد الله صاحب مصر والمغرب

كان في مبدأ امره ملكا علي افريقية وهي تونس ورثها عن آبائه ثم ارسل قائده جوهراً ليمهد له البلاد المغربية وافتتح له مصر علي الاخشيديين سنة (٣٥٨) ثم اختار بتحريض قائده ان يجعلها مقر ملكه فأسس القاهرة وهو اول خليفة من خلفاء الفاطميين في مصر توفي سنة (٣٦٥) ه

﴿ عزف ﴾ صوت . و(العزف) عند العرب صوت الجن و (عزف الرياح) صوتها . و (العزيف) صوت الجن أيضاً و(المعازف) الملاهي

﴿ عزق ﴾ الارض يعزقها عزقا شقها

﴿ عزل ﴾ الشيء يعزله عزلا نحاه عنه يقال (عزله فعزل) أي نحاه فتنحي

(اعتزل الشيء) تنحي عنه

(العزل) عدم السلاح و (الأعزل) من لا سلاح له

(العزلة) الاعتزال

﴿ المعتزلة ﴾ هم طائفة من علماء المسلمين رأوا في الدين آراء غير الآراء المتفق عليها ، وانما سموا المعتزلة لأنهم اعتزلوا أهل السنة

قال الامام ابن حزم الظاهرى في كتابه (الفصل) :

قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه ان جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في اقوالهم وافعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل . ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون

الله تعالى . وقالت طائفة هي أفعال وجودية لا خالق لها أصلا . وقالت طائفة هي أفعال الطبيعة . وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف

وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن المعتمر البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به للكافر حتى يؤمن ايماناً يستحق به الجنة . والله جل وعز ليس في قوته أحسن مما فعل بنا . وان هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على أكثر

قال ابن حزم : هـذا تعجيز مجرد للبارى تعالى ووصف له بالنقص . وكلهم لا نحاشي أحداً يقول انه لا يقدر على المحال ولا على أن يجعل الجسم ساكناً متحركا معاً في حال واحدة . ولا على أن يجعل انساناً واحداً في مكانين معاً

قال ابن حزم : وهـذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك . وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصري أحد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخراً ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلا ، ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا على احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيئاً أصلا

قال ابن حزم : وزعم أبو الهـذيل أيضاً ان أهل الجنـة تفنى حركاتهم حتى يصيروا جماداً لا يقدرون على تحريك شيء من أعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحالة متلذذون ومتألمون الا انهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يطأون بعد هذه الدار . وكان يزعم أيضاً ان لما يعلمه عز وجل آخراً ونهاية وكلا لا يعلم الله شيئاً سواه . وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذه الطوام الثلاث

وذكر عن أبي الهذيل أيضاً انه قال ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه . والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الا خلاف أو مثل أو ضد ، فاذا بطل أن يكون خلافا أو ضداً فهو مثل ولا بد، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً

وكان أبو الهذيل يقول : ان الله لم يزل عليما وكان ينكر أن يقال ان الله لم يزل سميعاً بصيراً

وكان ابراهيم بن سيار النظام وأبو

اسحق البصري مولى بني بحير بن الحارث ابن عباد الضبعي أكبر شيوخ المعتزلة ومقدمي علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم أحد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك . وانه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن ان يفعله ، وانه قد فعله

ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على أصلح مما عمل . ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة

وأبو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولى بني سليم احد شيوخهم وأئمتهم فكان يقول بأن في العالم اشياء موجودة لانهاية لها ولا يحصيها البارى تعالى ولا احد ايضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد . وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان أخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضا . وتوافقه الدهرية في قولهم بوجود اشياء لانهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم السيد بن شاهك بو

وكان معمر ايضاً يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئاً من الالوان ولا طولا ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاسا ولا حسنا ولا قبحا ولا صوتا ولا قوة ولا ضعفا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا مرضا ولا صحة ولا عافية ولا سقما ولا عمى ولا بكما ولا بصراً ولا سمعا ولا فصاحة ولا فساداً للثمار ولا صلاحا لها ، وان كل ذلك فعل الاجسام متى وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها

وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عز وجل عالما بنفسه وذلك لأن العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولا عرضا ولا هي في مكان اصلا ولا تماس شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

ومنهم من كان يقول بقدم النفس وانها الخالقة للانسان

وكان معمر يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات اوان يعلمها أو ان يجهلها

وقال أبو العباس عبد الله بن محمد

الانبارى المعروف بالناشيء ولقبه شرسير في كتابه في المقالات ان الله تعالي لايقدر علي ان يسوى بنان الانسان بعدان سبق في علمه انه لايسويها

قال ابن حزم ورأيت الجاحظ في كتابه البرهان لو أن سائلا سأله وقال أيقدر الله علي ان يخلق قبل الدنيا دنيا لخرى ؟ فجوابه نعم . بمعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

وأما ضرار ابن عمر فانه كان يقول ان ممكنا ان يكون جميع من في الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم في باطن أمرهم لان كل ذلك جائز علي كل واحد منهم في ذاته

وكان يقول ان الاجسام انما هي أعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في العروق دم وان كل ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط

وأما ابو عثمان عمر بن الجاحظ القصرى الكناني صليبه وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام وأحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالي لايقدر علي افناء الاجسام البتة الا ان يرققها ويفرق أجزاءها فقط ، وأما اعدامها فلا يقدر علي ذلك اصلا

وأما أبو معمر وثمامة بن أشرس النميرى صليبه بصرى أحد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه أنه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطباعه . وكان يقول ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لايدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد في العبادة مصراً علي كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الا مرة في الدهر فانه مخلد بين أطباق النيران أبداً

وكان ثمامة يقول ان ابراهيم بن رسول الله صلي الله عليه وسلم وجميع أولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لايدخلون الجنة أبداً ولكن يصيرون ترابا

وأما هشام بن عمر الفوطي أحد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالي شيئا فانه لايقدر علي ان يخلق مثل ذلك الشيء أبداً لكن يقدر علي أن يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين. وكان لايجوز لاحد ان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا ان يعذب الكفار بالنار ، ولا ان يحيي الارض بالمطر . ويرى هذا القول والقول بأن الله تعالي يضل من يشاء ضلالا والحادا

وكان لايجيز القول بأن الله ألف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عمي علي الكافرين . وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الا ان في علم الله انه يموت كافراً فانه الآن عند الله كافر . وان كان الآن كافراً مجوسياً او نصرانياً او دهريا أو زنديقا الا ان في علم الله عز وجل انه يموت مؤمنا فانه الآن عند الله مؤمن

واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالي لايقدر علي غير مافعل من الصلاح ولا يجوز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ، ولا انه خلق الكافرين ، ولكن يقال خلق الناس وذلك لأن المؤمنين عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر ، وان الله تعالي انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر

وكان يقول ان الله تعالي لا يقدر علي أن يخلق غير ماخلق ، وانه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط

كلهم يزعمون ان الله تعالي لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا في حال كفرهم ولا نهي المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لايقدر أحد علي الجمع بين الفعلين المتضادين

وكان بشر بن المعتمر أيضاً يقول ان الله تعالي لم يخلق قط لونا ولا طعما ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عمي ولا بصراً ولا سمعاً ولا صمما ولا جبناً ولا شجاعة ولا كشفا ولا حجزاً ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط

وأما جعفر القصبي بائع القصب والأشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو في المصاحف انما في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

وكان علي الأسوارى البصرى أحد شيوخ المعتزلة يقول ان الله عز وجل لا يقدر علي غير مافعل، وان من علم الله تعالي انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر علي أن يميته قبل ذلك ولا ان يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالي من

مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان الله تعالى لا يقدر علي ان يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا علي ان يزيد في مرضه طرفة عين فما فوقها ، وان الناس يقدرون كل حين علي امانة من علم الله انه لا يموت الاوقت كذا . وان الله لا يقدر علي ذلك

واما ابو غفار احد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

واما احمد بن خابط والفضل الحربي البصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو الله تعالي والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسي بن مريم التى بها خلق العالم. وكانا يطعنان علي النبي صلي الله عليه وسلم بالتزويج وان ابا ذر كان أزهد منه

وكان أحمد بن خابط يزعم ان الذى يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفا صفا في ظلل من الغمام انما هو المسيح عيسي بن مريم عليه السلام ، وان المسيح هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة . وكان يقول ان في كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان انبياء أرسلهم الله اليهم

وكان يقول بالتناسخ والكرور . وان الله ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم أمرهم ونهاهم فمن عصي منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالعنال يبتلي بالربح كالغنم والأبل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل مايقتل في الأغلب ، وان من كان منهم في فسقه وقتله للناس عنيفا كوفيء بالقوة علي السفاد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك . ومن كان زانياً او زانية كوفئا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات . ومن كان جبارا كوفيء بالمهانة كالدود والقمل ولا يزل كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصي منهم كرر ايضا كذلك هكذا ابداً حتى يطيع طاعة لامعصية معها فينتقل الي الجنة من وقته او يعصي معصية لا طاعة معها فينتقل الي جهنم من وقته .

وانما حمله علي القول بكل هذا لزومه أصل المعتزلة في العدل وطرده اياه ومشيه معه

وكان يقول ان للثواب دارين

احداهما لا اكل فيها ولا شرب وهي ارفع قدراً من الثانية. والثانية فيها اكل وشرب

وكان لاحمد بن خابط المذكور تلميذاً اسمه احمد ابن سابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعي النبوة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد

نقول ان صح عن أحمد بن خابط ماعزى اليه فلا يصح حشره مع المسلمين بل مع الكفرة ولا ندرى كيف غفل ابن حزم عن هذا الامر

ثم قال ابن حزم : وكان محمد بن عبد الله بن مرة بن نجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان الله تعالي علمين احدهما أحدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزاء ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وايمان عمرو ونحو ذلك فانه لا يعلم الله من ذلك شيئاً حتى يكون

كان من أصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل مايكون قبل ان يكون. وكان من أصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل بن عبد الله الرعيني متأخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وادركته الا اني لم القه ثم أحدث أقوالا سبعة فبرىء منه سائر المرية وكفروه الا من اتبعه منهم

فما أحدث قوله ان الاجساد لا تبعث أبداً وانما تبعث الارواح . وذكر عنه انه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقي روحه الحساب ويصير أما الي الجنة أو الى النار . وانه كان لا يقر بالبعث الا علي هذا الوجه . وانه كان يقول ان العالم لا يفنى أبداً بل هكذا يكون الامر بلا نهاية

وحدثنى الفقيه أبو أحمد المعارفي الطليطلي صاحبنا أحسن الله ذكره قال أخبرني يحيي بن احمد الطبيب وهو ابن ابنه اسماعيل الرعينى المذكور قال ان جدى كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالي أجل من أن يوصف بفعل شيء أصلا. وكان ينسب هذا القول الي محمد ابن عبد الله بن مسرة ويحتج بألفاظ في كتبه ليس فيها لعمرى دليل علي هذا القول . وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضاً

علي هذا القول

وكان احمد الطيب صهره ممن برىء منه وثبتت ابنته علي هذه الاقوال متبعة لأبيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة . ووافقت أبا هرون بن اسماعيل الرعيني علي هذا القول فأنكره وبرىء من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن أبيه . وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصا أصلا . وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مسرة ويستدل علي ذلك بألفاظ كثيرة في كتبه هي لعمري لتشير الى ذلك . ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم

ورأيت انا من اصحاب اسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبأنه كان ينذر بأشياء قبل ان تكون

واما الذي لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة أموالهم وكان يذهب الي ان الحرام قد عم الارض وانه لافرق بين مايكتسبه المرء من صناعة أو تجارة أو ميراث و بين ما يكتسبه من الرفاق. وان الذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ماأخذه هذا أمر صحيح عندنا عنه يقينا

وأخبرنا عنه بعض من عرف باطن أمورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم وأموالهم الا اصحابه فقط

وصح عنده انه كان يقول بنكاح المتعة. وهذا لايقدح في ايمانه ولافي عدالته لو قاله مجتهداً ولم تقم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وانما ذكرنا عنه ماجرى لنا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم ولقلة القائلين به من الناس

ورأيت لأبي هاشم عبد السلام بن عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بأن لله تعالى احوالا مختصة به وهذه عظيمة جداً اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك . ورأيت له القطع في كتبه كثيراً بردد القول بأنه يجب علي الله ان يزيح علي العباد في كل ماأمرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجباً علي الله

قال ابن حزم وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن

ثم قال : ورأيت لبعض المعتزلة سؤالا سأل عنه ابا هاشم المذكور يقول فيه ما بال كل من بعثه النبي صلي الله عليه وسلم داعياً الي الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الي مثل ذلك الي يوم البعث لا يسمي رسول الله كما سمي محمد عليه السلام اذ أمره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الي الاسلام والامر واحد والعمل سواء ؟

قال ابن حزم ورأيت لأبي هاشم كلاما رد فيه بزعمه علي من يقول انه ليس لأحد ان يسمي الله عز وجل الا بما سمي به نفسه فقال لو صح هذا لكان غير جائز لله ان يسمي نفسه باسم حتى يسميه به غيره

وكان ابو هاشم أيضاً يقول : لو طال عمر المسلم لجاز ان يعمل من الحسنات والخيرات اكثر مما عمل النبي عليه السلام

وكان يقول ان الله لايقبل توبة أحد من ذنب عمله أي ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

وجميع المعتزلة الاهشام بن عمرو الفوطي يزعمون ان المعدومات أشياء علي الحقيقة وانها لم تزل وانها لانهاية لها

وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد كان يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل أجساما بلا نهاية لها لافي عدد ولا في زمان غير مخلوقة

وقال ابو محمد الاسكافي احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالي لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

وقال المعتزلة كلهم حاشا ضرارا أو بشراً ان الله لم يمت رسولا ولا نبياً ولا صاحب نبي ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيراً ولكن أمات كل من أمات منهم اذ علم انه لو أبقاه طرفة عين لكفر أو فسق

وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول : اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدي ومدبره وفاعله لافاعل له غيري وانما يقال ان الله خلقه مجازا لا حقيقة فأخذ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الطرف الثاني من الكفر فقال ان الله تعالي خلق الحبل والموت وكل من فعل شيئاً فهو منسوب اليه فان الله تعالي هو محبل النساء وهو أحبل مريم بنت عمران

وقال ابو عمرو واحمد بن موسي بن احمد بن صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة في بعض رسائله التي جرت بينه

ويرى القاضي منذر بن سعيد رحمه الله
ان الله عاقل وأطلق عليه هذا الاسم

وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصي الله عز وجل طبع علي قلبه فيصير غير مأمور ولا منهي

وقال ابو الهذيل العلاف من سرق خمسة دراهم أو قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد ابداً في النيران الا ان يتوب

وقال بشر بن المعتمر من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فمن سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام وواجب عليه الخلود الا ان يتوب

وقال النظام ان سرق مائتي درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق مائتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا أن يتوب

وقال ابو بكر احمد بن علي بن احور ابن الأخشيد وهو احد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة علي مذاهبهم — والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبد الله بن محمد ابن محمود البلخي المعروف بالكعبي. وكان والد احمد بن علي المذكور احد قواد الفراعنة وولي الثغور المعتضد والمكتفي فكان من قول احمد المذكور أن من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا أبداً متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فما دونه الا انه ندم أثر فعله فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابداً . وهكذا ابداً متى عاد لذلك الذنب أو لغيره

وقال عبد الرحمن تلميذ أبي الهذيل ان الحجة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا اعرفه بعينه . وعن كل واحد من اولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا ابداً

وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند أو انه قتل أو انه أى شيء رأى فانه حق يقين كما لو كان رأى ذلك في اليقظة

وقال عباد بن سليمان: الحواس سبع

وقال النظام : الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد

وكان النظام يقول: لا نعرف الأجسام بالأخبار أصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئي انسانا أو غير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي . ثم كل من أخبره ذلك

الرائي عن ذلك الجسم فان المخبر أيضاً أخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا أبداً

وكان يزعم انه لا سكون في شيء من العالم أصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك

وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون

وكان عباد ابن سليمان يقول : ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الي امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام

وكان أبو الهذيل يقول: ان الانسان لا يفعل شيئاً في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها . فألزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعاً وأما اذا كان مستطيعاً فلا . وان الميت يفعل كل فعل في العالم

***

هذا ماجمعه العلامة ابن حزم الظاهري في كتابه (الفصل) من مزاعم المعتزلة ونحن مع اجلالنا لمقام هذا الاستاذ لا نستطيع ان نجعل هذه الأقوال المقتضبة دليلا علي ان المعتزلة قوم مجردون عن الفهم والعقل ، لا نستطيع ذلك وفيهم أمثال الجبائي والجاحظ وأبو الهذيل العلاف والزمخشري وغيرهم من كبار حكماء الاسلام ولو أراد خصوم أهل السنة أن يجمعوا من كتب بعض المؤلفين منهم مثل هذا لأمكن وانا لا اقول ذلك لاننا نرى رأى المعتزلة ولكن لأن الحق يقضي علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم وأن لا نجعل مخالفتنا لهم في بعض المسائل مبررة لان نجردهم من كل الصفات الطيبة

◄ عزم ► الامرَ وعزمَ عليه يعزم عزماً نوى فعله

(عزَم الرجل) جد في أمره

(عزَّم عليه) أقسم عليه

(عزَّم الراقي) بمعنى عزم

(اعتزم الأمر) عزمه

(العزيمة) الارادة

(عزائم الله) فرائضه التي أوجبها علي عباده

◄ عزا ► الرجلُ يعزو عزواً صبر

(عزاه الي أبيه) نسبه اليه

(تعزى اليه) انتسب اليه

(العزوة) النسبة

﴿ عزاه ﴾ سلاه . و (تعزّى عنه) تسلى عنه . و (تعازى القوم) عزى بعضهم بعضاً و (العزاء) الصبر

﴿ التعزية ﴾ اتفق الأئمة على استحباب التعزية واختلفوا في وقتها . فقال أبو حنيفة هي سنة قبل الدفن لا بعده وقال الشافعي واحمد تسن قبله و بعده ثلاثة أيام

أما الجلوس للتعزية فهو مكروه عند مالك والشافعي واحمد

﴿ العسيب ﴾ عظم الذنب وجريدة طويلة تحت خوصها جمعه عُسُب (اليعسوب) أمير النحل . والرئيس الكبير

﴿ العسجد ﴾ الذهب وقيل الجوهر كله

﴿ عسر ﴾ عليه يعسر عُسراً اشتد . (عسر الرجل يعسر) كان أعسر . والأعسر الذى يعمله بشماله (عسُر يعسُر عسرا) ضد يسر فهو (عسير وعسِر)

(عسّره) جعله عسيراً . و (عاسره) عامله بالعسرة و (أعسر الرجل) افتقر . و (العسر) الفقر (ويوم عسير) صعب .

و (العسرى) مؤنث الأعسر نقيض اليسرى

﴿ عس ﴾ الرجل يعس عساً طاف بالليل يحرس الناس

﴿ عسعس ﴾ الليل أظلم

﴿ عسف ﴾ عن الطريق يعسف عسفاً مال عنه

(عسف الحاكم) ظلم . و (تعسّف عن الطريق) مال عنه . ومثله (اعتسف عن الطريق)

﴿ عسقلان ﴾ هي مدينة بالشام . قال ياقوت الحموى هي من فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين يقال لها عروس الشام وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها

تقول وهي واقعة في الجنوب الغربي من مدينة يافا على مسافة خمسين كيلو متراً منها

﴿ العسقلاني ﴾ هو شافع بن علي بن عباس بن اسماعيل بن عساكر الكناني العسقلاني المصرى سبط القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر الامام الاديب ناصر الدين كان أديباً باشر الانشاء بعمر زماناً الي أن كف بصره بسهم أصابه في حمص

الكبرى سنة (٦٨٠) في صدغه وبقي ملازما بيته الي ان توفي

روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان والشيخ علم الدين البرزالي وغيرهما . وله نثر كثير ونظم جم وكان جماعاً للكتب خلف ثمان عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة أدبية وكانت زوجته تعرف ثمن كل كتاب . وكان هو لما كف بصره اذا لمس الكتاب وجسه قال هذا الكتاب الفلاني ملكته في الوقت الفلاني . وكان اذا أراد اى مجلد قام الي خزانته وتناوله كأنه وضعه بيده في وقته

من غرر شعره :

قال لي من رأى صباح مشيبي
عن شمالي من لمتي و يميني

أى شيء هذا قلت مجيبا
ليل شك محاه صبح يقيني

وقال ايضاً :

تعجبت من أمر القرافة اذ غدت
علي وحشة الموتى لها قلبنا يصبو

فألفيتها مأوى الاحبة كلهم
ومستوطن الاحباب يصبو له القلب

وقال ايضاً :

شكا لي صديق حب سوداء أغربت
بمص لسان لا تمل له وردا

فقلت له دعها تلازم مصه
فماء لسان الثور يصلح للسودا

لسان الثور نبات معروف له منافع جمة ومما يصلح له داء السوداء وهو داء معروف

وقال أيضاً :

لقد فاز بالاموال قوم تحكموا
وكان لهم مأمورها وأميرها

تقاسمهم اكياسها شر قسمة
ففينا غواشيها وفيهم صدورها

وقال في سجادة خضراء :

عجبوا اذ رأوا بديع اخضرار
ضمن سجادة بظل مديد

ثم قالوا من أى ماء تروى
قلت ماء الوجوه عند السجود

وقال في ممسحة قلم :

وممسحة تناهي الحسن فيها
فأضحت في الملاحة لا تبارى

ولا نكر على القلم الموافي
اذا في ضمها خلع العذارا

وكتب اليه السراج الوراق يستشفع به عند فتح الدين بن عبد الظاهر :

أيا ناصر الدين انتصر لي وطالما
ظفرت بنص منك في الجاه والمال
وكن شافعي فالله سماك شافعا
وطابقت أسماء بأحسن أفعال
وقدرك لم نجهله عند محمد
لأن ابن عباس من الصحب والآل

وقال أيضا في لمغنى .

سيدى اليوم انت ضيف كريم
فق معنى في وجوده بعمان
لو رأى الشيخ سؤدد الفتح هذا
ما انتمى بعده الي خاقان
أو رأى الفتح المعارب حلي
بحلاه قلائد العقيان
وكأني أراكما في بحار
للمعاني بحرين يلتقيان
وتطارحتما مذاكرة يف
تن منها أزاهر الافنان
فاذا مر للصنائع ذكر
فاجعلاني من بعض من تذكران

ولد سنة (٦٤٩) وتوفي سنة (٧٣٣) ه

﴿عسكر﴾ القوم تجمعوا و(العسكر) الجمع والجيش والمعسكر) موضع التجمع

﴿العسكرى﴾ هو ابو احمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري كان أحد الأئمة في الادب والحفظ .

وكان راوية للاخبار والنوادر متوسعاً في ذلك . وله تصانيف مفيدة منها كتاب التصحيف الذى جمع فأوعي

وكان الصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا. فقال لأميره مؤيد الدولة بن بويه ان معسكر مكرم قد اختلت أحوالها واحتاج الي كشفها بنفسي فأذن له في ذلك فلما اتاها توقع ان يزوره أبو احمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب اليه :

ولما أبيتم ان تزوروا وقلتم
ضعفنا فلم نقدر علي الوخدان
أتيناكم من بعد ارض نزوركم
وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم
بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر فجاوبه أبو احمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الابيات بالبيت المشهور :

أهم بأمر الحزم لو استطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب علي الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله لو علمت

انه يقع له هذا البيت لما كتبت اليه علي هذا الروى

هذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد اخي الخنساء وهو من جملة أبيات . فقد كان صخر هذا حضر محاربة بنى أسد فطعنه ربيعة بن ثور الاسدى فأدخل بعض الدرع في جنبه وبقي مدة حول في أشد مايكون من المرض وأمه وزوجته سليمى تمرضانه فضجرت زوجته منه فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت ماهو حي فيرجي ، ولاميت فينسي ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أم صخر لاتمل عيادتي
وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت اخشي ان اكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما
واسمعت من كانت له اذنان
وأى امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش الا في شقي وهوان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان
فالموت خير من حياة كأنها
معرس يعسوب برأس سنان

أخذ العسكرى عن أبي بكر بن دريد ومن تصانيفه كتاب المختلف والمؤتلف وكتاب علم المنطق وكتاب الحكم والامثال وكتاب الزواجر

ولد سنة (٢٩٣) وتوفي سنة (٣٨٢)

والعسكرى منسوب الي مدينة عسكر مكرم وهي مدينة من كور الاهواز ومكرم الذى تنسب اليه هو مكرم الباهلي أول من اختطها

﴿العسكرى﴾ هو أبو الحسن علي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم

هو أحد الائمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية سعي به الي المتوكل وادعي عليه بأن في بيته سلاحا وكتبا من شيعته واوهموه بأنه يطلب الخلافة لنفسه فوجه اليه المتوكل بعدة من الجنود الاتراك فكبسوا بيته ليلا علي حين غرة منه فوجدوه وحده في غرفة مغلقة وعليه مدرعة من شعر وعلي رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه و بين الارض من بساط الا الرمل

والحصا فأخذ علي الصورة التى هو عليها وحمل الى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يتعاطي الشراب وفي يده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه الى جانبه ولم يكن في داره شيء مما قيل عنه ولاحجة يتعلل عليه بها فناوله المتوكل الكاس التى بيده فقال يا امير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه فأعفاه . وقال له انشدني شعراً أستحسنه . فقال اني لقليل الرواية للشعر ، قال المتوكل لابد ان تنشدني فأنشده :

باتوا علي قلل الاجبال تحرسهم
غُلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم
فأودعوا حفراً يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من بعد ماقبروا
اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهراً وماشربوا
فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

قال فأشفق من حضر على علي وظن ان بادرة تبدر اليه . فبكي المتوكل بكاء كثيراً حتى بلت دموعه لحيته وبكي من حضره. ثم أمر برفع الشراب . ثم قال يا أبا الحسن اعليك دين ؟ قال نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها اليه ورده الى داره مكرما

ولد سنة (٢١٤) أو (٢١٣) ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة وكان مولده بها واقره بسر من رأى وهي تدعي بالعسكر فنسب اليها وأقام بها عشرين سنة . وتوفي بها سنة (٢٥٤)

﴿ العسكرى والد المنتظر ﴾ هو ابو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

هو احد الائمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية وهو والد المنتظر صاحب السرداب (انظر امامية) ويعرف بالعسكرى وابوه علي يعرف أيضا بهذه النسبة

ولد سنة (٢٣١) وتوفي سنة (٢٦٦) بسر من رأى ودفن بجنب قبر ابيه

والعسكرى نسبة الي سر من رأى فانها سميت بالعسكر حين انتقل اليها

المعتصم بعسكره. وانما نسب الحسن المذكور اليها لان المتوكل أشخص أباه علياً اليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو ووالده اليها

﴿ العسكرى ﴾ هو أبو القاسم محمد ابن الحسن العسكرى بن علي الهادى بن محمد الجواد بن علي الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

هو ثاني عشر الأئمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية المعروف بالحجة وهو الذى تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدى وهو صاحب السرداب عندهم . أقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى . فهم يدعون انه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج بعد اليها وذلك في سنة (٢٦٥) وعمره اذ ذاك تسع سنين .وقيل بل كان عمره حين دخل السرداب اربع سنين وقيل خمس سنين وقيل سبع عشرة سنة أى سنة (٢٧٥)

﴿ ابن عساكر ﴾ هو عبد الصمد الشهير بابن عساكر (انظر ترجمته في عبد الصمد) حرف العين

﴿ عسل ﴾ الشيء صار كالعسل و (عسّل الطعام) خلطه بالعسل . و (الرمح العسّال) الذى يهتز لينا

﴿ العسل ﴾ العسل من الأغذية المعروفة أصله مادة سكرية تفرز في باطن الازهار من الغدد العسلية فيها فتأتي النحل عند افرازها فتمتصها وتنوع في معدتها تنوعا كبيراً لأنها تفقد جزءاً من عطريتها ومن مادتها اللزجة القابلة للتخمر ثم ترسبها في أثناء خلاياها التى بنتها من الشمع لتغذى به أولادها ونفسها في الفصول غير الصحية

ويوجد في تويجات بعض النباتات سوائل سكرية تشبه العسل كثيراً وتكثر بحيث تجنى منها كما في الازهار المسماة ربو ياسلونس في بلاد شيلي من أمريكا الجنوبية فيجنيه الناس منها

ويوجد عندنا في أزهار البرسيم مواد عسلية تمتصها الاطفال

يجنى العسل في الربيع وما يبقى منه مدة الصيف في الخلايا يكتسب حموضة ولونا أسمر . ولاجل اجتنائه تفصل أشعة الخلية وتفتح الاسناخ وتعرض للشمس أو

لحرارة لطيفة علي مشنات من أغصان الصفصاف أو الحناء فيسيل العسل بذته نقيا ، هذا هو العسل البكر أو الابيض المستعمل طبا يدخر في أوربا ببراميل من الخشب الجديد تملأ منه باحكام وتسد جيداً فيبقي زمناً بعيداً عن التغير . واذا كسرت فطائر الخلية وعرضت لحرارة قوية شال منها العسل الاصفر . واذا عصرت الفضلة بقوة ثم أذيبت وصفيت بعد أن تترك ساكنة خرج منها العسل العام الذى هو أحمر مسمر غير نقي

تختلف صفات العسل باختلاف البلاد الآتي هو منها والفصول ونوع النحل الذى يجنى منه والنباتات التى يؤخذ منها فالنقي منه سائل صفاف ومنه مايكون اصفر أو احمر ضاربا للسمرة ويختلف نحته ايضا . النقي طعمه حلو مقبول ورائحته عطرية وأما الأسمر فيكون في طعمه حرافة ورائحته غير مقبولة . واجوده للأكل الابيض الصافي أو الازرق الصافي الخالي من الحدة والحرافة وكراهة الرائحة . وأما المر الاحمر الثخين المتقطع والاسود واليابس فردىء كالعتيق الذى مضي عليه عدة سنين واجوده الربيعي ثم الصيفي وأردأه الشتوى

(تحليل العسل) حلل العالم (بوست) العسل المجنى في مدريد فوجده مكونا من سكر قابل للتبلور لايذوب في الكحول المطلق ويشبه سكر العنب ويكثر كلما كان العسل أجمد ومن سكر غير قابل للتبلور يذوب في الكحول المطلق ويشبه الدبس ووجد أيضاً أجزاء يسيرة من شمع وجوهرا خلاصياً وحوامض نباتية ومانيت ونحوه مما يجعله قابلا للتخمر العفن ولذا كانت رائحته قوية وغالباً كريهة وطعمه حريفا قليلا أو كثيرا

ووجد الكيماوى جلبير في العسل الملون الشديد الصلابة جزءاً من خمسة عشر جزءاً من مادة بيضاء دقيقية قليلة السكرية لاتذوب في الكحول وتذوب في الماء وتسهل بمقدار درهمين وهذا هو المانيت الآتي من ابتداء التخمر

العسل القديم المتخمر المتغير من الهواء يكون أسمر حمضياً شديد الحموضة مبذوراً فيه أحيانا بلورات صغيرة متجمعة الي كتل مستديرة مغموسة فيه . ويحتوى علي مقدار يسير من السكر غير القابل للتبلور وكثير من حمض الكربون . وكلما كان العسل أكثر سائلية بالطبيعة كان

أكثر تعرضاً لتلك التغيرات في الهواء واذا غلي العسل العام او المتغير بالفحم الحيواني او النباتي المخلوط بالطباشير او مسحوق قشور القوقع أو الجبس مضافا اليه يسير من حمض التريك ثم كرر ببياض البيض انفصلت منه المواد الغريبة وزالت حمضيته وذهب تلونه ولكنه مع ذلك يخلو من رائحته وطعمه الخاصين به فيتحول الي سائل شرابي شبيه بشراب السكر . واذا عرض هذا الشراب للبرودة رسب فيه كما قال (برمنتيير) مادة مخاطية واكتسب زيادة صفاء

وقد يغشون العسل بأوربا وخصوصا الذى في الرتبة الثانية او الثالثة اما بالدقيق المحمص الذى يبينه الكحول الضعيف حيث لا يرسب فيه ، واما بلب القسطل او النشا أو الدقيق غير المحمص فيزيل منه خاصة سيولته بالحرارة وعدم ذوبانه في الماء البارد ويكتسب اللون الازرق بمماسة اليود وبذلك نعرف هذا الغش

واحيانا يقتصر علي تقطير العسل بأن يصب علي اكليل الجبل فتبقي فيه بقايا من تلك النباتات بها ينكشف غشه

ثم ان العسل ماعدا اختلاف انواعه علي حسب درجة نقائها تتنوع اصنافه بتنوع المحال والفصول ونوع النحل الذى يجنى منه وخصوصا النباتات المجهزة له فيتنوع بذلك قوامها ولونها ورائحتها وطعمها وتغيراتها ونحو ذلك

ومدح القدماء ماء عسل جملة اماكن من بلاد الروم والي الآن لم يزل الحال كذلك كعسل كندية من جزيرة كريد وسيسليا وغير ذلك مما هو زائد العطرية ونسب ذلك لعطرية النبات الذى اغلبه من الفصيلة الشفوية ويرعاه النحل حتى ذكر بعض من ساح في تلك الاقاليم ان عسل جزيرة كريد يكون شفافا كالبلور لذيذ المأكل فيه عطرية الازهار بحيث يلذ الذوق والشم . ومن المشاهد ان العسل يكون أعظم كلما كان اقليمه اكثر حرارة والفصل اعظم تساويا وأعدل النباتات العطرية اكثر وجوداً وانتشاراً . ولذا كان عسل بلاد الروم اعظم من عسل مصر لكثرة النباتات العطرية هنالك والاماكن التى تكثر فيها الازهار المرة يكون عسلها كذلك كعسل سردينيا فان نحله يجنى الافسنتين كما قال ديسقوريدس

ويستنبت في بريطانيا بكثرة نباتات الحنطة السوداء المسماة سرازين فيرعاه النحل فيخرج عسله اسود في الغالب وكريه الطعم • وعسل جزيرة مدغشقر يكون مخضراً شرابي القوام أعلي من العسل الاوروبي

ويوجد في سورنام نوعان من العسل أحدهما مرمرى اللون سائل كالزيت حلو قابل للتخمر جداً ويحصل من نحل اسود وثانيهما محمر شديد السيولة مقبول جدا وقابل للتغير بحيث يضطر لطبخه لاجل حفظه

ويوجد في جزيرة جوادلوب نحل صغير يعطي عسلا سائلا وشمعاً اسود وبالجملة لانهاية لذلك التنوع كما قلنا

والتنويع المعظم الاعتبار القابل له العسل هو اكتسابه صفة سامة من رعي النحل نباتات سامة خطرة الاستعمال كالتي من نحو الفصيلة الدفلية وذلك أمر عارض دائما وقد ذكره ارسطو وديسقوريدس ويعرض ذلك غالباً في الازمنة الرطبة وقالوا ان العسل فيما حول هرقلية يجنيه النحل من ايقولطون وهو نبات لم يزل غير معين وضعه في فصيلة الي الآن فيحصل من استعمال هذا العسل جنون ويسبب عرقا غزيراً • وقالوا ان هذا العسل حريف معطس مزيل للنكت النمشية • واذا سحق مع القشطة فانه يسبب برازاً من طبيعة سامة وغير ذلك • وذكروا ان جيشا من الجنود وصلوا في سيرهم الي قولشيد فأكلوا من العسل الموجود في القرى التي هناك فحصل لهم هذيان مهول مصحوب بنوع هيضة ولكنهم برئوا في عدة أيام

وأكد ترنفور وغيره ان ازهار اظاليا بنطيكا وأزهار رودود ندرون بنطيكوم هي التي تعطي لعسل منفر يلي خواصه المهلكة

وقد سم أشخاص بعسل اجتنى من نحل يرعي أنواعا من اقونيطون • والعسل الذى يجنيه نحل بنسلوانيا وقرولين الجنوبية والجرج من قوليا انجستفوليا ولاطيفوليا وهرسوتا ومن اندروميد امريانا كثيراً ما يسبب وجعاً في المعدة ودواراً وهذيانا

وذكر في رحلة لأمريكا الجنوبية ان عسل نوعي الزنابير الموجودة في براغيه يسبب سكراً وتشنجات وأوجاعا شديدة وبالجملة هناك مشاهدات كثيرة تدل علي

تسمم اشخاص بأنواع من العسل بحيث سبب لهم هذيانا مع تعاقب ضعف وتنبه وضحك تشنجي وتلك الاعراض تذهب سريعاً بالقيء المحرض بجملة أكواب من الماء الحار

ويقرب للعقل ان العسل المذكور لايكون مهلكا الا اذا كان مجنيا من بعض نباتات الفصيلة الدفلية وقد ذكر ذلك اطباؤنا قديما

قال صاحب كتاب مالا يسع : والعسل منه درى يورث اكله ذهاب عقل أو حياة بسبب الازهار الرديئة التى يراها النحل ويجنى عسلها . ومثل هؤلاء ينفعهم السمك المالح أو الشراب المسمي أوناملي وهو شراب وعسل فيواتر شرب ذلك حتى تنظف المعدة منه ثم يأخذ بعده عصارات الفواكه الحامضة والمطيبة والمقوية كالسفرجل والرمان والتفاح والكمثرى وعلامة مثل هذا العسل ان يكون حاد الرائحة حريفا يحرك العطاس عند شمه

(خواص العسل الدوائية) من المعلوم استعمال العسل غذاء ويدخل في مركبات غذائية كثيرة كالمربات والشرابات وغير ذلك فهو غذاء سليم العاقبة مقبول وكان عند القدماء بمنزلة السكر فكان قاعدة لشرابهم ويذكر انه الغذاء الرئيسي لبعض بلاد الحبشة ويصنع منه شراب يسمي شراب العسل يقوم مقام السكر في أكثر الاستعمالات . والهنود يحضرون منه بعد التخمير سائلا روحياً

واذا حل عسل بلادنا أو غيره في مقدار وزنه خمس مرات من ماء وترك للتخمير حصل منه مايسمي بالعسل المائي النبيذى وهو مشروب منبه يقوم في بعض البلاد مقام النبيذ والفقاع

وأما تأثيره الصحي فانه اذا استعمل أوقيتان من جوهره أو من محلوله في يسير من الماء فانه في الغالب يكمد الحركات الطبيعية للقناة الغذائية وينتج استفراغات ثفلية تكون اكثر اذا استعمل عسل حريف . ولكن يحصل في السطح المعوى حينئذ تأثير غريب عن فعل الملينات ، ومن اللازم لاحداث ذلك الاستفراغ من الأسفل ان تقبل الأعضاء الهضمية منه مقداراً مناسباً في مرة واحدة فلا تظهر نتيجة التليين اذا كان العسل ممدوداً بمقدار كبير من الماء او كان استعماله لايصال طعمه المقبول لجواهر غذائية لأن مقداره

حينئذ قليل وقد مزج بالحامل وسيما المائي و يستعمل في بيوت الأدوية أيضا لتحلية المغليات بحيث يجعل لكل لتر منها ستون غراما منه ولكن يغلي وتقشط رغوته اذا لم يكن في الدرجة الاولى من النقاء أو يقتصر علي حل المقدار المذكور في الماء ليتكون من ذلك ماء العسل البسيط ويكون قاعدة لمركبات عسلية من اعظمها شراب العسل الذى ذكرناه ومعاجين ومربيات حيث يكون فيها أحسن من السكر فيمنعها عن ان تتخمر وتتسكر و يستعمل العسل مسوغا لعمل الحبوب والبلوع المسهلة وليحيط بمساحيق كالكالوميلاس والشيح الخراساني ونحو ذلك ولستر الطعم والرائحة الكريهين لبعض الادوية ككبريتور البوتاسا وخصوصاً في مسهلات الاطفال و يضم احيانا بمثل وزنه من الزبد الطرى ليتكون من ذلك نوع لعوق يستعمل لتسهيل النفث . ويضم مع ربع وزنه أو سدس وزنه شمعا ليحصل من ذلك العسل الشمعي معدود منها خفيفا للقروح الضعيفة ومع ربع وزنه أو ثمن وزنه من ملح الطعام لتعمل من ذلك فتيلة تستعمل في الامساك وتلك حالة كثيراً مايستعمل فيها الحقن التى يدخل فيها بعض أواق من العسل العام أو العسل الزئبقي

وكانوا سابقا يقطرون العسل مع الرمل فماء العسل المتحصل من ذلك يستعمل بمقدار ٢٤ الي ٣٦ كمدر للبول ومعرق ومفتح

و بالجملة يستعمل العسل في الطب كملين خفيف بمقدار بعض أواق وخصوصاً للاطفال

فأما استعماله كرهل أومدبل أومرطب أو مرخ أو ملطف فيكون بمقدار يسير محلولا في الماء حيث يسمي بالماء المعسل البسيط أو في مغليات مناسبة ويستعمل ذلك في الامراض الحادة عموما ولاسيما في الامراض الالتهابية والصفراوية وآفات الصدر بصفة كونه مسهلا للنفث وفي الخناقات ونحو ذلك

من المرضي من يشمئز من استعماله ويستعمل أيضا من الظاهر نقيا أو ممدوداً بالماء كملطف علي الجروح ولاسيما الملتحمة الملتهبة ونحو ذلك . وكثيراً ما يدخل في الغراغر والمضامض الملطفة مجتمعاً في العادة مع ماء الشعير ولكن تلك المحلولات يسهل تخمرها فتكتسب حينئذ خواص

أخر وسيما في الفصول الحارة

وقد اطنب أطباؤنا في ذكر خواصه تبعا لديسقوريدس وجالينوس وغيرهما فذكروا ان اجوده للتداوى أحمر اللون الناصع الطيب الرائحة الصافي الشفاف الذى في مذاقته حرافة مع لذاذة ظاهرة واذا رفع منه بالاصبع سال الي الارض ولم ينقطع وأما أجوده للاكل فالابيض الصافي أو الازرق الصافي الي آخر ما ذكرنا سابقاً وأما المر الاحمر الثخين المنقطع أو الاسود اليابس فردى، كالعتيق أيضاً الذى مضي عليه جملة سنين

وقالوا هو منضج جلاء مفتح لافواه العروق، واذا طبخ صار قليل الحدة والجلاء، فقبل الطبخ نافع في الانضاج والجلاء ، وبعد الطبخ صالح لالصاق اللحم المتشقق. واذا طبخ مع الشبث واطخت به القوابي أبرأها . ومع الملح العادى المعدني اذا قطر في الاذن فتراً أبرأ آلامها وكذا يبرىء آثار الضرب الباذنجانية . واذا لطخ به قتل القمل والصيبان واذا تحنك به وتغرغر أبرأ ورم اللسان والحنك واللوزتين والخناق ونقي جروحها المتفجرة

وقالوا انه ينفع السعال اذا شرب مسخنه بدهن الورد . والعسل غير المطبوخ يحدث نفخا ويحرك السعال و يسهل البطن ولذلك لا يستعمل الا بعد نزع رغوته وهو سريع الاستحالة الي الصفراء مذهب للبلغم يستأصله خصوصاً من المعدة و يكون صالحاً للمشايخ المبرودين والمبلغمين والمرطوبين ورديئا لذوى الامزجة الحارة كالصفراويين وفي الصيف الحار

والعسل الذى فيه بعض مرارة يدل علي ان نحله رعي الافسنتين وما أشبهه فيكون صالحاً للكبد والمعدة وفتح السدد . فان رعي نحله الصغير كان رديئاً للمحرورين فان رعي الحاشا كان قابضاً مراً نافعاً للسدود والتفتيح

والعسل غير المطبوخ صالح للمعدة الباردة وللامعاء الورمة ووجع المعدة البلغمي و يغذى غذاء جيداً

وأما العسل المطبوخ فصالح للقئ ومليّن الطبيعة يقيء به من شرب أدوية قتالة مع دهن السمسم

وقال في الحاوى هو احد ما تعالج به اللثة والاسنان . وذلك انه قد جمع مع التنقية والجلاء لها وصقلها ان ينبت لحمها وظن قوم انه يرخيها لحلاوته وما علموا ان الحلو لا

ترخي الا اذا كان في طبعه رطوبة والعسل عندهم يابس وانما ترخي الحلاوة اذا كانت متفردة لا حرافة معها كما في العسل بحيث لم يكن معه حرافة ولا قبض كان مرخيا . ويدل علي يبس العسل بعده عن العفونة وحفظ اجسام الموتي به . انتهي مع تصرف

وقال في محل آخر العسل يحفظ علي الاسنان صحتها اذا خلط بالخل وتمضمض به في الشهر اياما . واذا استن به علي الاصبع صقل اللثة والاسنان وبيضها وامسك عليها صحتها

قال الشريف اذا خلط العسل بدهن ورد ولطخ به علي القروح الشهدية والابرية وسائر القروح البلغمية المالحة ابرأها مجربا

واذا احتقنت القروح والجراحات الغائرة به مع لسان الحمل وفعل ذلك ٣ أيام نقاها وغسلها ولحمها

واذا جعل مع الادوية الجلاءة أحد البصر وقواه . واذا عجن بدقيق الحواري فتح الاورام النضيجة وامتص ما فيها من المدة ، وان كانت غير نضيجة نضجها ولينها واذا عجن به الروائد الطويل أنبت اللحم في الجراحات العتيقة. ومع الانزروت يكون دواء جاليا للقروح ملحما للحمها الزائد . واذا أضيف اليه اللوز المر ولب حب المحلب ودقيق الشعر وما أشبهها وطلي به البدن در العرق واذا شرب بالماء نقي الصدر المحتاج الي فضل تنقيه واذا شرب بالماء عند العطش كان أنفع ما يشرب به المفلوجون والمخدرون. ونقي قروح الرئة وهيأها للادوية واذا خالط الحقن قوى أساسها

(مقدار استعماله) استعماله كلين يكون من أوقية الى اوقيتين في ماء أو لبن . مقدار شرابه كذلك لأجل تحلية المشروبات . والعسل المائي يصنع بجزء من العسل الأبيض و١٦ جزءا من الماء الفاتر و يستعمل بالطاسات (أنظر المادة الطبية)

﴿عشب﴾ المكان يعشب عشبا نبت عشبه

(عشبت الارض) تعشب نبت عشبها

(اعشوشبت الارض) كثر عشبها

﴿العشبة﴾ هي شجرة متسلقة تعلق بما حواليها جذرها مركب من الياف كثيرة . ساقها مفصلية وفيها شوك منحن أوراقها متعاقبة ذنيبية جلدية قلبية الشكل

حادة كاملة عادمة الزغب وأزهارها ضمية صغيرة بسيطة محولة علي حامل ام اطول من ذنيبات الاوراق وهي مخضرة ثنائية المسكن . وثمارها عنبات صغيرة كرية محمرة تحتوى علي بزرة أو أكثر الي ٣ بزرات

جذورها طويلة تنبت علي سطح الارض بحيث يمكن قلعها بدون تكسر وترتبط بخوارة خشبية لينة يختلف عظمها. تلك الجذور ليفية طولها بعض أقدام وغلظها كغلظ ريش الاوز وأدق أو أغلظ ومكونة من جزء قشرى هو الذى فيه القواعد الفعالة وجزء نخاعي خشبي لونها سنجابي أحمر قليلا أو كثيرا أو أشقر من الخارج أو أبيض أو وردى قليلا من الباطن وفيها قنوات دقيقة طويلة عميقة آتية من جفاف القشر . طعم الجزء القشرى لعابي واضح المرارة وطعم الجزء الخشبي تفه دقيق . و يوجد في العشبة الشقراء ما عدا المرارة اليسيرة طعم عذب كأنه سكرى قليلا . والجذر كله لا رائحة له او له رائحة ترابية مخصوصة تظهر بالغلي في الماء وفي بعض الانواع النادرة الوجود . وقد تكون رائحة القشرة حمضية

(أنواع العشبة الموجودة بالمتجر) أنواعها كثيرة يمكن أن تنسب لنباتات مختلفة من هذا النوع و يصح أن تميز علي حسب لونها من الظاهر الي سنجابية ومحمرة الانواع الاول وهي أولا عشبة هندراس ويقال لها عشبة المكسيك وثانيا عشبة كراك وتسمي عندنا خشبة خيزران .

وأما الانواع الحمر فأولا العشبة الحمراء الجمائيكية وتسمي عندنا بمصر بالعشبة المغربية لأنها ينقل منها كل سنة مقدار كبير الى قرطاجة من بلاد المغرب

وثانيا عشبة البرتغال التى تأتي أوربا من البريزيل ولا يرغب في هذا النوع

وقد عد العالم (بوشارداه) العشبة ستة أنواع أولها عشبة المكسيك وتسمي عشبة هندراس وتأتي في طرود من قماش وطول تلك الجذور الي متر ونصف وتكاد تكون خالية من الشروش الدقيقة التى في خواراتها. والخوارات سنجابية من الخارج ومبيضة من الباطن وبين عقدها تراب أسود يابس . والسوق مصفرة عقدية منثنية علي نفسها وتقرب للاسطوانية . وفيها ميل للتثليث و يوجد في محال منها شوك خشبي . ولون الجذور من الخارج

مـــود بسبب التراب المغطي لها وفيها قنوات دقيقة بالطول عميقـة غير منتظمة ناشئة من جفاف الجزء القشري الذى يكون من البـاطن ابيض ورديا والقلب الخشبي تفه دقيق ، وطعم الجزء القشري لعابي واضـح المرارة ورائحة الجـذر كله أرضية أى ترابية مخصـوصة تظهر بالغلي في الماء

وثانيهما العشبة الحمـراء أى عشبة جمايك وتنبت في المكسيك كالسـابقة وخواراتها أقل تراكما وأميل للاستطالة وفي ســوقها شـوك متفرق كثير وطول الجذور من مترين الي مترين ونصف ولون البشرة من السنجابي الحمر أو المبيض الى الأحمر البرتقالي

وثالثها عشبة كراك وهما صنفان انزل من النوعين السابقين لأنهما أقل طعما . فالصنف الاول حزم جميلة خاليـة من الخوارات والصنف الثـاني حزم طولهـا نصف متر جذورها قصيرة متعرجة

ورابعها العشبة الخشبية وهذا النوع نادر الوجود

وخامسها عشبة البرزيل وتسمى عشبة البرتغال وهي حزم اسطوانية خالية من الخوارات ولا تزيد في الغـلظ عن ريش الاوز الدقيق . لونها أحمر معتم من الظاهر وابيض من الباطن

وسادسها العشبة الشقراء لونها أشقر زاه وجذورها مضلعة طويلة اكبر في الحجم يسيرا من الانواع الأخر

يختار من هذه الانواع ما كان منها أرطب ثقيلا جيد التغذية غير منشق بل غـير مقطع لانه اذا لم يكن كذلك كان جافا فاقداً لخواصه ، فلا تقطع العشبة عند الحاجة وتطرح الجذور العتيقة واذا كسرت انتشر منها غبار

(تحليلها) حلل العشبة كثيرون فوجدت محتوية على دهن طيار وسلسبرين أى عشبين ورانينج حريف ومن مادة خلاصية ونشا وزلال ومقدار النشا كبير والدهن الطيار يسير جـدا ، يظهر ان العشـبين هو القاعدة المهمة وهو جسم صلب عادم اللون والرائحة قابل للتبـلور تنقسم بلوراته الى صرر متشعمة وهـو متعادل ولا يتحد بالحوامض ولا بالقلويات

(الخواص الدوائية بالعشـبة) اذا استعملت العشبة والمقدار المناسب قوت المعدة وساعدت علي الهضم وحسنت لون

الوجه وصيرت التغذية أقوى فاعلية في الدم والمنسوجات الآلية ، وأجمع الاطباء أن مطبوخها فيه خاصة التعريق ولاسيما اذا استعمل بدرجة حرارة مرتفعة حال كون المستعمل لها في سريره متدثرا

فالعشبة تستعمل في الامراض التى تستدعي التعريق كالآفات الزهرية والاوجاع الروماتيزميـة والنقرسيـة والاجزيمات الجلدية وآفات المجموع العقدى والسدد ونحو ذلك . فتستعمل كمحلل وملطف بسبب عظم المقدار الذى فيها من الدقيق ولكن تلطيفها أقل من تلطيف الجواهر المرخيـة . وكـذلك تستعمل لاعادة القوى وذلك كله مؤسس علي كثرة الدقيق فيها

وبالجملة خواصها الدوائيـة معروفة الآن جيداً وهي تعد في المعرقات القوية بل هي أكثر المعرقات استعمالا واشتهر صيتهـا في ذلك ولا سيما في الامراض الزهرية العتيقة التى استعصت علي العلاج الزئبقي الذى يجمع في الغالب استعماله مع استعمالها وما علمت منفعتها الا من مدة قرنين وحصل منهـا نجاح جليـل اذا استعملت بمقدار مناسب وفي أحوال ملائمة

وقد ذكر ان منافعهـا مؤكدة في الامراض الزهرية فان لم تفد فذلك يكون دليلا علي سوء نوعها أو سوء استعمالها . وكثيرا ما يحصل الشفاء بها بدون تعريق واذذاك يكون فعلها الباطن كفعل الادوية المغيرة فتأثيرها في الغالب يحصل في الجسم بفائدتين أولا ليخرج بتعريقها من الجسم المادة المعـدية الزهرية وثانياً ليخرج بها أجزاء المستحضرات الزئبقية التى أدخلها الامتصاص في البنية

الاجسام التى لاتتفق معهـا منقوع العفص وماء الكلس وتترات الزئبق وخلات الرصاص

(تحضير علاج العشبة) قال بوشرداه لأجل تهيئة العشبة لعمل المذيبات يلزم تكسيرها في طاحونة وكان المتقدمون يشقونها وقبل شقها كانت توضع في مطمور لتنتفخ قليلا وتيسير شقها بالطول بواسطة سكين ثم تقطع قطعاً صغيرة وتجفف اذا أريد حفظها علي تلك الحالة ولا بأس عند استعمال هذه ان ترض بمستحق من خشب ليسهل نفوذ الماء للجسم الخشبي المحتوى علي العشبين . وأدويتها الموثوق بها هي نفس

جوهرها أو مغليها وخلاصتها الكحولية وشرابها المصنوع من تلك الخلاصة

فمن مستحضرات جوهرها لايعرف غير مسحوقها ويحضر بالتقسيم بأى كيفية كانت أى تكسر ثم تجفف في محل دفيء ثم تدق في هاون من حديد بدون ابقاء فضلة ولكن استعمالها كذلك قليل وانما جروشتها أو دقها يسهل بتسليط الحوامل علي قواعدها · وعوام بلادنا يستعملون ذلك المسحوق و يجدون منه نفعا والمقدار منه من نصف درهم الى درهم

وقد اختلف العلماء في أمر مستحضراتها بواسطة الماء هل الأفضل نقعها أوطبخها أو هضمها او تعطينها ولايزال الخلاف في ذلك باقيا . والذى تأكده المجربون هو ان منقوعها أكثر طعما ورائحة من مطبوخها ولكن بالطبخ يذوب كثيرمن النشا فيخفي الطعم . و يعلم أيضاً ان المشبين يكون أكثر اذابة في الماء الحار من البارد وكذا القاعدة الرابنجية التى لاتخلو عن فاعلية و يوجد أيضاً في الطبخ منفعة جلية وهو امكان تركيز السوائل ، ولكن المظنون ان الهضم في ٦٠ درجة مفضل علي الكيفيات الأخر وانه هو الأحسن يقهر كمية العشبة علي تخليص مافيها من تركيزها بالتبخير الذى لايخلو عن تغيير مستنتجاتها

وقال سو بيران اذا عولجت العشبة بالماء لزم مراعاة تقسيم الجذر ودرجة حرارة الحامل فاذا كسرت في طاحون أو دقت ثم عولجت بماء درجة حرارته في المقياس المئيني ٤٠ فانه ينزح منها جميع قواعدها القابلة للذوبان ولأجل تحصيل ذلك يلزم أن يستعمل مقدار كبير من الماء . فاذا لم تكن الجذور مكسرة عسر نفوذ الماء فيها. و بعد معالجات بهذا الماء الذى في ٤٠ درجة يبقي في العشبة مواد قابلة للذوبان فرت من الماء ولا ينبغي نقع مسحوقها في ماء درجته ١٠٠ لأنه يذيب مقداراً كبيرا من النشا . ومن ذلك تعلم أن العشبة اذا لم تقسم جيدا يعطي منقوعها مستنتجا أكثر مما يعطيه التعطين لأن الماء الحار ينفذ بسهولة في الجذور و يوجد دائما في هذه الحالة جزء من النشا يذوب فيه . وان طبخ العشبة في الماء اذا كانت مقسمة جيدا ليس فيه نفع . فان النشا يذوب كله بذلك ولايكون الناتج الاسائلا لزجاً غير مقبول الاستعمال

ثم ان من الاطباء من فضل مطبوخ

الجذر المشقوق المرضوض علي غيره لانه مستحضر متقارب الاجزاء فهو الاقوى فاعلية ولو استعمل غير المطبوخ لزم ان تستعمل المرضي مقداراً كبيراً جداً متعباً لمعدهم حتى تحصل منه النتيجة

وكان القدماء يصنعون من العشبة نقوعات أى تعطينات طويلة المدة ثم يركزونها و يستعملونها كنقوع حار . وشوهد انهذه الكيفية أقوى فاعلية في الزهرى القديم ونحوه وعلي ذلك أسس تركيب شرابات العشبة

وظن بتكبيران ٢٤ ساعة للنقوع مساوية لربع ساعة للمطبوخ وهما أحسن من الغلي الطويل المدة . بل ذكروا ان الغلي الطويل للعشبة يعطل النتائج الجيدة المرادة منها . والذى جزم به سو بيران ان المنقوع الذى هو مريح ذو طعم يفقد رائحته وطعمه اذا غلي بعض لحظات وذلك قد يقدح في نفع الطبخ . بل من المعلوم ايضا ان الاجزاء الليفية اذا عولجت بالطبخ قل جدا اعطاؤها المواد القابلة للذوبان في الماء . واذا انضم الي ذلك ان الشبة ينزح كل مافيها بالماء الحار لم يشاهد زيادة نفع الطبخ علي غيره من الكيفيات نعم ان بعض المرضي ولايتحمل المنقوع و يستحسن المطبوخ لخفاء المادة الحريفة فيه بالنشا . ولا عسر في نزح مافي العشبة اذا تيسر بدون خطر أن يستعمل مقداراً كبيراً من الماء كما في تحضير مغليها

فاذا أريد تحصيل محلولات مائية مركزة لم يكن هناك فرق في استعمال الكيفيات فاذا عولجت بالماء يقرب سريعاً من اجزائها الخلاصية فاذا تكونت السوائل حكم بانتزاح ما في الجذور ولكن تتجهز فيهذا الزمن محلولات شديدة الصابونية لانها تصير محتوية علي العشبين الذى لا يسهل ذو بانه كسهولة ذوبان القواعد الأخر فنشأ من ذلك أن يضطر لأجل انتزاحه في العشبة لاستعمال مقادير كبيرة من هذا السائل وبالنظر لذلك تكون طريقة العمل القلوى في علاج العشبة خالية من المنافع

فاذا أريد تحصيل محلولات مركزة لزم الانتجاء للماء الحار الذى اذابته للمشبين أكثر من اذابة الماء البارد له وفي هذه الحالة اختار سو بيران رأى جيبور وهو علاج الجذر بالهضم في حمام مارية

وكيفية عمل النقع الحار المسمي بالمغلي

الحار ان يؤخذ من العشبة من ٦٠ غرام الى ٨٠ غرام ومن الماء ١٠٠ غرام فتشق العشبة وتهرس ثم يصب عليها الماء المغلي وينقع ذلك من مدة اربع ساعات الى خمس فاذا ظهر فيها هيئة ترغية لزم ان يصب الماء الفاتر على الجذر ثم يصفى السائل بعد بقع ساعات . ولا ينبغي في الصيف اطالة مماسة الجذر للماء بسبب وجود النشا في الجذر ومع ذلك يسهل ان يأخذ الماء من العشبة المقسمة قواعدها القابلة للذوبان

وقد يستعمل للطبخ ولكن الناتج يكون كما قلنا مخالفاً لما ذكر

وذكر برال تركيباً وهو ان يؤخذ من الخلاصة الكحولية للعشبة ٤ غرامات ومن الماء ١٠٠ غرام يذاب ذلك ويرشح واربعة غرامات من الخلاصة تعادل ٣٠ غراما من الجذر . وطعم هذا السائل أكثر حرافة وكراهية من طعم منقوع العشبة

والمغلي المعرق يصنع بأخذ ٦٤ غراما من مبشور خشب الانبياء و ٣٢ من جذور العشبة و ٨ من الساسفراس و ١٢ من جذور السوس ومقدار كاف من الماء يغلي خشب الانبياء والعشبة مدة ساعة بحيث لا يبقى الانحو ثلثا السائل ثم يضاف له الساسفراس وجذر السوس ويترك ذلك منقوعا ثم يصفى ويترك ليرسب منه راسب ويصفى السائل بالاناء فاذا اكتفي بنقع العشبة فان المغلي يكون أكثر طعما بل ربما كان شديداً غير محتمل وذلك هو السبب في اتباع الطريقة المتقدمة للتحضير

والمغلي المحرق الملين يصنع بأخذ ٥٠٠ غرام من المغلي المعرق السابق و ١٦ غراما من السنا ينقع ذلك ويستعمل هذا المنقوع في علاج القولنج الرصاصي

والصبغة الكحولية دواء جيد اذا لم يستر الكحول خواص العشبة فتحضر بجزء من العشبة و ٤ أو ٥ أجزاء من الكحول المذكور ينقع ذلك مدة ١٥ يوماً ثم يصفى مع العصر الشديد ويرشح

وأما نبيذ العشبة فنادر الاستعمال

وأما الخلاصة الكحولية للعشبة فهي كيفية جليلة مع انها قليلة الاستعمال وتحضر بنزح مافي العشبة بالكحول الذى في ٢١ درجة من مقياس كرتيير فيؤخذ غرام من العشبة ومقدار كاف من الكحول فيندى الجذر بنصف وزنه من الكحول ثم يكبس باطف في جهاز العمل القلوي

و يعمل ذلك العمل بثلاث غرامات من الكحول ثم يبدل جزء عظيم منه بالماء وتقطر السوائل الكحولية وتبخر فضالة التقطير حتى تصير في قوام الخلاصة

وأما شراب العشبة فهو دواء مشهور جداً مع انه في الحقيقة ليس أهلا لتلك الشهرة كما قال بو شرداه

قال و يدخل في تركيبه ٤٠٠٠ غرام من السكر و ١٥٠٠ غرام من العشبة التى ينزح مافيها بمقدار ١٨٠٠٠ غرام من الماء الذى يقسم ثلاثة أجزاء و يهضم كل منها مدة ٦ ساعات في حرارة ٨٠ درجة ثم يصفى ويبخر السائل حتى يصير ٥٠٠٠ غرام ويترك ليبرد ثم يصفى من خرقه صوف ويضاف له السكر ويذاب ثم يصفى ويبخر حتى يكون مناسب القوام

(غش العشبة) قد تغش العشبة بجذور نباتات قريبة لها في الهيئة بل قد تكون من فصائل غريبة عن فصيلتها فمنها جذور نباتات من جنس أجاف وهو من الفصيلة القشطية أومن الفصيلة الزنبقية وكلها بأمريكا الجنوبية بالاقاليم الحارة . وهي نباتات شحمية أوراقها ثخينة ولها منسوج ليفي وقابلة لان تعطي بالتعطين في الماء نوعا من التيل يصح ان تعمل منه منسوجات تستعمل في بعض الاقاليم

وتغش العشبة أيضاً بنوع آخر يقال له العشبة التماوية ويسمي بالعشبة الكاذبة وتسهل معرفة هذا الجنس بأزهاره الوحيدة النوع المهيأة بهيأة سنبلية زهرية أى كذنب الهر كثرية بيضية اسطوانية مستطيلة . وتارة تكون وحيدة النوع أى مذكرة أو مؤنثة وتارة تكون مجتمعة معاً أى مركبة من أزهار مذكرة نحو القمة وأزهار مؤنثة في القاعدة وهي تنبت في الأماكن الآجامية وشواطيء المستنقعات والغدران والقنوات . ومنها مايوجد في المحال الجافة الرملية ومنها مايعلو الى ارتفاع عظيم

المستعمل في الطب سوقه التى في جوف الارض وقد مدح الطبيب (مرز) خواص هذا النبات في علاج الامراض الزهرية

وبالجملة فأنواع هذا النبات التى تكون جذورها زائدة الحجم يعلم أنها معرقة ومحللة بحيث تشبه العشبة ومنها نوعنا المذكور الذى أوصي باستعماله في الداء الزهري وفي الآفات الروماتيزمية فكما يستعمل نوعنا

المذكور في ذلك يستعمل أيضاً كذلك جذور تلك الانواع مثل كركس دستاشيا وغيرها

وذكر لينوس ان اللابونيين يغطون سوقهم وايديهم بأوراق هذه النباتات فمع البرد الشديد الذى في تلك البلاد لايحصل لهم فيها شقوق (انظر المادة الطبية)

﴿ عشر ﴾ القوم يعشُرهم عَشراً وعُشوراً أخذعشر اموالهم ومثله عشّرهم

(عشّرت الناقة) صارت عشراء

(عاشره) خالطة وصاحبه

و (العِشرة) المخالطة

(العاشوراء) عاشر المحرم

(العشّار) آخذالعشرو (العَشير) العُشر والقبيلة والقريب المعاشر

(عَشيرة الرجل) بنوابيه الادنون أو قبيله

(المِعشار) جزء من عشرة

(المَعْشَر) أهل الرجل . والجماعة

﴿ أبو معشر ﴾ هو جعفر بن محمد ابن عم البلخي المنجم المشهور

كان امام زمانه في علم النجامة وله تصانيف مفيدة فيه منها المدخل والزيج والالوف وغيرذلك . ويروى انه كانت له اصابات عجيبة في الاخبار بالمستقبل

روى انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طالب رجلا من اتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفي . ولكنه علم أن أبا معشر يدل عليه بالطرق التى يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد ان يعمل شيئاً لايهتدى اليه و يبعد عنه حسه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد علي الهاون أياماً . وتطلب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلب . فلما عجز عنه أحضر ابا معشر وقال له تعرفني موضعه بما جرت عادتك به فعمل المسألة التى تستخرج بها وسكت زماناً حائراً . قال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك ؟ قال أرى شيئاً عجيباً . فقال وماهو ؟ قال أرى الرجل المطلوب علي جبل من ذهب؛ والجبل في بحر من دم . ولا أعلم في العالم موضعاً من البلاد علي هذه الصفة

فقال الملك أعد نظرك وغير المسألة وجود أخذ الطالع ، فعمل. ثم قال ما أراه الا كما ذكرت. وهذا شيء ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضاً نادى في البلد بالامان للرجل ولمن أخفاه وأظهر من ذلك ماوثق به . فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فأخبره بما اعتمده فأعجبه حسن احتياله في اخفاء نفسه ولطافة ابي معشر في أستخراجه . وله غير ذلك من الاصابات

كانت وفاته سنة « ٢٧٢ » « انظر وفيات الاعيان

﴿ العُش ﴾ موضع الطائر

﴿ عشِقه ﴾ يعشَقه عشقا تعلق به قلبه

(تعشّق) تكلف العشق

﴿ العشق ﴾ عاطفة مشهورة وقد حار علماء النفس في تحديدها تحديداً قاطعاً مانعاً فقال « لبنتز » : العشق هو السرور بسعادة الغير، اى اعتبار سعادة الغير سعادة ذاتية للنفس »

وهو في رأى هربرت سبنسر العالم الانجليزى اشد العواطف تركبا لذلك كان اشدها تأثيراً علي النفس وقد حلله فوجد انه يتركب من سبعة أو ثمانية عناصر بعضها عواطف وشعورات من طبيعة حب الذات لاينطبق عليها وحدها اسم العشق و بعضها من طبيعة حب الغير بها استحق العشق ان يسمي عشقا بمعناه الصحيح

قال هذا العالم الكبير يجب ان نضيف علي عناصر العشق المادية المندرجة في شهوة اجتماع الجنسين التأثيرات الشديدة التى ينتجها جمال شخص علي شخص آخر، وهي تأثير ينضم اليها عدد عديد من افكار لذيذة هي وان لم تكن العشق نفسه الا انها ذات علاقة عضوية به . ثم ينضم اليها العاطفة الشديدة التركب التى نسميها الميل وهي يمكن أن توجد بين اشخاص من جنس واحد ولذلك يجب اعتبارها كعاطفة مستقلة الا انها بين المتحابين تبلغ شدتها ، ثم تأتي بعد ذلك عواطف الاعجاب والاحترام والاجلال القوية جدا بذاتها والتى تكتسب مع العشق قوة فوق قوتها الذاتية ثم ينضاف الي هذه العواصف مايسميه علماء الفراسة عشق المصادقة فان هذه العاطفة ترتاح جداً لما يجدها صاحبها نفسه مفضلا علي من عداه اذا صدر ذلك التفضيل من شخص معروف بتفوقه علي سواه ولا سيما اذا كان تفوقه مشهوداً له من الذين لايأبهون باقدار الناس

ويرتبط بهذه العاطفة عاطفة احترام

لهامن هنا أراني طبعت علي ثلاث خصائص احداها تتجه بي الى الله ، والثانية الي ذاتي، والثالثة الي العالم . وهي العقل والضمير والادراك

٭٭٭

وقد أكثر الفلاسفة من ذكر العشق وتحليله كل علي قدر شعوره به ولا نرى فائدة من سرد تلك الاقوال ونرى فيما أوردناه كفاية

وقد اتحد الجميع علي ان عاطفة العشق أشد العواطف قوة ، وأكثرها تسلطا علي الذات الانسانية ويؤيد أقوالهم مايشاهد في العالم الغربي كل يوم حيث يختلط الرجال بالنساء من حوادث الانتحار ما لايكاد يدخل تحت حصر . هذا غير ما ينتجه العشق من الجرائم المختلفة كالاغتيال والمبارزات والخروج علي النظامات المقررة

وقد ذهب جمهور فلاسفة الغرب ان العشق لايدوم بعد الزواج فمتى هام شخص في حب امرأة وذهب العشق به كل مذهب ثم انتهى أمره بزواجها انطفأت حرارة عشقه وأخذ يبحث عن سواها

قال الفيلسوف (تولستوى) الروسي المشهور (١)

« ان دوام الحب بين الزوجين رابع المستحيلات . انه قد يكون حب ولكن الي وقت قصير جداً ثم لا يدوم الا في الروايات فقط . وأما بين الناس فعديم الاستقرار في قلبين . وكل رجل متزوج كان أو غير متزوج اذا اجتازت به غادة فتانة فأكثر مايكون منه أن يوجه التفاته وقد يبذل بعضهم كل مرتخص وغال بعد ذلك في سبيل الوصول اليها . والمرأة من هذا القبيل كالرجل فانها تجتهد للاتصال بأكثر من واحد دائما . وما دام يمكنها هذا الاتصال فهي نائلة أربها لامحالة

« اذا قلنا انه يمكن المرأة أن تحب زوجها طول الحياة فمثلنا في ذلك الا مثل من يوقد شمعة وهو يعتقد انها تدوم مضيئة طول الدهر

« ان الزواج أمبح في عصرنا هذا بيننا محض خداع وغش ولكنه لايزال يوجد عند أولئك الذين يرون فيه سراً من أسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود . أمانحن فلانرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية

(١) هذه ترجمة سليم افندى قبعين عن اللغة الروسية في كتابه حكم النبي محمد

الذات فان نجاح الشخص في ايحائه الي الغير التعلق به والهيام فيه يعتبر دليلا لديه علي سموه وعلو قدره

ثم تأتي بعد هذا عاطفة لذة الامتلاك التى بها يعتبر كل من المتعاشقين نفسه مالكا لصاحبه ومستوليا عليه دون سواه . أضف الى هذا عاطفة حرية العمل التى تقتضيها عاطفة العشق . فان سيرتنا حيال مخالطينا تكون بالضرورة محتاطا فيها ، لأن كلا منهم محاط بمقتضيات دقيقة لايمكن تعديها بوجه من الوجوه اذ لكل منهم شخصية خاصة به . ولكن في العشق تزول هذه المقتضيات المحددة و يكون كل من المتعاشقين حراً في استخدام شخصية الآخر استخدامًا لاحد له

و يلحق بهذا كله لذة الجاذبية الشديدة فتتضاعف اللذة الشخصية باشتراكها مع لذة الغير وتنضم لذات ذلك الغير الي لذاتنا . فمجموع هذه العواطف التى اثيرت الي آخر مانصل اليه من القوة تنعكس قواها علي سواها فتتكون الحالة النفسية المركبة التى نسميها بالعشق ولما كانت كل عاطفة من التى ذكرناها هي في ذاتها شديدة التركب فنستطيع ان نقول بأن العشق يكون من جميع الشعورات اصلية التى في طبيعتها مجموعة واحدة كبيرة جدا ينتج منها قوة العشق التى لاتقاوم

هذا ماقرره العالم الانجليزى في تحليله للعشق وهو يحتمل النقد في بعض جهاته وقد عنى علماء النفس باظهار مواطن تلك الجهات الا أن ذلك لايقدح في انه أحسن ماقيل في هذا الباب

وقال الفيلسوف جول سيمون الفرنسي :

ينقسم الشعور الانساني الي ثلاثة اقسام : حب الذات وحب الانسانية وحب الخالق . فكل عواطفنا وكل خصائصنا العقلية لاغرض لها الا الذات والمخلوقات والخالق . فانه مغروز في طبيعة كل انسان باعتباره كائناً ناقصاً :

(أولا) ان يحفظ ذاته

(ثانيا) ان يجعل بينه وبين خالقه وبين الكائنات التى تشاطره الوجود علاقة

فأنا مخلوق لأميل الي الله ، مثلي في ذلك مثل جميع الكائنات ولأعين الكائنات الي التوجه للاغراض التى خلقت

« الزوجان يخدعان الناس بأنهما يعيشان معاً في ارتباط حقيقي بالزواج فيظهر كذلك امرهما في الخارج لكل من رآهما وانهما يبقيان في تمام الوفاق مادامت الحياة ، والحقيقة انهما يعيشان علي قاعدة تعدد الزوجات ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ قد يتفقان زمنا • وعلي الأكثر ان كليهما في الشهر الثاني يهدد صاحبه بالطلاق وقبلما يتمكنان من وسائله.وعن ذلك تصدر الافكار الخبيثة الجهنمية التى ينجم عنها اطلاق الرصاص انتحاراً او قتلا او دس سم وما اشبه »

ثم قال في وسائل الاستغواء التى يستعملها نساء الغرب بسفورهن للرجال:

« اننا لو امعنا النظر في معيشة نساء الطبقات العليا كما هي من قلة الحياء والخلاعة لا نجد ثم فرقا بين البيت الذى يضمهن ونادى مومسات مختلط

« ولكن الناس لا يوافقوني علي كلامي هذا فانا اذن أقيم لهم برهانا حسيا

« هم يقولون ان نساء هيئتنا الاجتماعية يعشن بحالة تخالف معيشة المومسات . وانا أخالفهم في ذلك واقول اذا كانت النساء تختلف في حالة المعيشة الداخلية فمن الحقائق المقررة انما يكون خارجا منهن أثر المعيشة في الداخل وهذا يلزم ان تخالف معيشة المومسات من كل وجه ولكن انا لا أرى فرقا بين معيشة الفريقين في الخارج فابلوا ابها الناس بين المومسات وبين نساء الطبقة العليا تجدوهن متفقات في الهيئات والازياء والروائح العطرية واعراء السواعد والمناكب والصدور ووضع الوسادة خلف الظهر أينما جلسن وإيثاركبن وفي اقتناء انفس الجواهر والحجارة اللامعة وفي المراقص والغناء

« وكما ان المومسات يستعملن كل الوسائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهن كل راء كذلك نساء الطبقات العالية يفعلن في وسطهن »

وقال في المراقص المعروفة بالبالو وهي من الوسائل التى تسهل الغواية علي الجنسين قال :

« يجرى بيننا وتحت نظرنا من الامور السافلة مالا طاقة لذى ناموس وشرف علي احتماله • يزور نا رجل لا نجهل من سيرته شيأ فنستقبله احسن استقبال وعندما يدخل قاعة الضيوف يجالس اختي او ابنتي او قريبتي حيث يتركني وشأني او اتركه

وشأنه وربما أعرف من سلوكه وتصرفاته ما أعرف فكان يلزم والحالة هذه ان اتقدم اليه عند قدومه وانتحي به جانبا واقول له همساً . اني ياصاح أعرف احوالك واين تصرف لياليك ومع من فليس عندنا مكان فان فتياتنا طاهرات

« هذا كان ينبغي ان يفعل كل واحد منا ولكننا نجرى علي العكس مما تقدم فاذا اجتمعنا مع هذا الرجل في ليلة راقصة كان له ان يرقص مع اختي أو بنتي ويعانقها ويخاصرها . نراه بأعيننا ونشاهد حركاتهما مما غدواً ورواحاً مثلا واهتزازا ولا تشمئز منه نفوسنا بل نتساءل اذا كان خلوا التسمي في تزويجه بأحدى بناتنا ولو كان اثر المرض باديا عليه »

هذا بعض ماقاله الفيلسوف الروسي الكبير ومنه يعلم ان العشق في أوربا لا يبقى بعد الزواج ، بل انه يزول ويأخذ كل من المتعاشقين السابقين في البحث عن معشوق جديد وهلم جرا

وأنا اقول بأن السبب في تلاشي العشق بعد الزواج عند الاوربيين هو اختلاط الرجال بالنساء علي الاسلوب الذى بينه الفيلسوف تولوستوى فلو كان الجنسان ممنوعين من الاختلاط علي النحو الحاصل عندنا في الشرق لبقي العشق بين الزوجين ما بقيا حيين لانحصار ميول كل منهما في صاحبه وعدم توزعها بالمسولات المتكررة من الخارج . فياليت الذين يشيرون علي المسلمات بخلع الحجاب يدركون ذلك فلا يعملون علي ملاشاة كرامة الزوجية ولذاتها مع العاملين ولكن هيهات أن يرعووا وما في اولئك الدعاة الا العزاب الذين لا يبالون في سبيل أشباع شهواتهم بما هتكوا من اعراض وهدموا من أصول، والذين يستثقلون زوجاتهم فلا يرون بأسا من عرضهن علي انظار الرجال اذا كان لهم من وراء ذلك حظ المتاع بالنظر الي زوجات الغير

هذا هو الميل الحيواني القح الذى يحدو ببعض الناس عندنا الى العمل علي اخراج النساء المسلمات من خدورهن

الا ان هؤلاء الدعاة الهوائيين يسلكون لنيل أغراضهم مسالك تخفي علي غير الالباء ، ذلك انهم يصبغون دعوتهم بصبغة حب المصلحة العامة فينصحون برفع الحجاب ليرى كل من طالبي الزواج صاحبه قبل الاقتران ولتبلغ المرأة بمعاشرة الرجال والاختلاط بهم

غاية ماقدر لها من الكمال . . . فينخدع بعض الناس بهذا الهذيان ويوافقهم علي بعض مايقولون والحقيقة انهم يخدعون مجتمعهم بهذه الطامات الشنعاء ولاسائق لهم اليها الا قوارص الشهوات ، ولواذع الغوايات

لو كان رفع الحجاب وتعارف الطالبين للزواج يغنى شيئاً في سعادة الزوجين لأنتج هذه النتيجة في أوروبا نفسها ولما جأر فلاسفتها وحكماؤها الي الله من سوء مغبة الحال هناك . فقد انتشر البغاء وشاعت العزوبة ، وذاع الطلاق بين جميع الطبقات حتى أخذ بعض مفكريهم يقترح ابطال سنة الزواج وترك الناس كالسوائم من أمر ذلك الارتباط

قال الفيلسوف تولستوى في هذا الصدد (١)

« ان السبب في مسألة الطلاق التى تشغل الآن الرأى العام في اوروبا هو التمدن الذى لم يقتبس الانسان منه سوى الحمق والخلاعة . هذا هو السبب الحقيقي في ازدياد الطلاق نموا كل يوم . فلا يمضي علي زواج امرأة برجل ردح من الزمن حتى تقول له حاذر ان اتركك وامضي الي حال سبيلي . سرى ذلك من الربوع العالية في المدن الي اكواخ الفلاحين فالفلاحة لأقل شيء تقول لزوجها خذ قمصانك وسراويلك لاني تاركة لك وذاهبة مع حبيبى يوسف الذى يفوقك حسنا وبهاء

« هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الزوج وخرجت من دائرة الخضوع له تلك الواجبات التى ينبغي ان تبقى عليها حتى انقضاء الاجل

« علي الرجل أن يكد ويشتغل وما علي المرأة الا ان تقيم في البيت لانها زوجة أو بعبارة أخرى لانها أناء لطيف سريع الانثلام والانكسار

«علي الرجل ان يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها العنان بل يحجبها في البيت والبيت دائرة واسعة للمرأة »

ثم ختم الفيلسوف هذه السطور بمثل روسي وهو : « لاتركن الي العرس في الغيط واركن الي المرأة في البيت »

هذا رأى فيلسوف من كبار الفلاسفة الاورو بيين المعاصرين لنا . ولكن الدعاة

(١) من كتاب حكم النبى محمد ترجمة سليم افندى قبعين

منا الي السفور يجهلون مايجرى في العالم المتمدن وجلهم من النشء غير المتعلم أو الذى تعلم تعلما مدرسياً ناقصاً ولم يأخذ من العلم الاجتماعي بأقل حظ ، فتراهما يكتبون ولا يدركون مبلغ كتاباتهم من الصواب ، والقراء هنا يقرأون فمن كان منهم غير متزوج راقت له هذه الكتابات لأنه لايهمه شيء الا أن يتزوج علي احسن مايريد ، وربما خيل لبعض القراء من الكهول ان مايقوله اولئك السطحيين من الكاتبين صحيح من جهة كثرة الطلاق وشيوع العزوبة . ويبعد عليهم جدا ان يطلعوا علي مثل ما كتبه تولستوى وامثاله مما عنينا بجمعه في كتابنا المرأة المسلمة التى رددنا فيه علي المرحوم قاسم بك امين حين دعا لخلع الحجاب

يقول فلاسفة اورو با ان سبب شيوع العزوبة والطلاق عندهم اختلاط الرجال بالنساء وخروج هؤلاء عن دائرة التصون والآداب . ولكن كتابنا الناشئين يقولون ان سبب العزوبة وكثرة الطلاق احتجاب النساء . فأى الفريقين أولى بالصواب . ألذين خبروا الامور قبلنا وعجموها بأنياب التجارب ، ام الذين تسوقهم الاهواء لاحداث حدث جديد ليبلوا به أوامهم الشهواني البحت ؟

يقول فلاسفة أوروبا أو اقتصاديوها يجب علي المرأة أن تبقى مرأة وان تلازم بيتها وأن لاتشتغل بأعمال الرجال لانها اناء لطيف سريع الانثلام والانكسار ، ويقول كتابنا لالا يجب علي المرأة ان تشارك الرجال في الاعمال وأن تزاحمه بالمناكب في الاسواق والمصانع . . .

بخ بخ . اذا كانت هذه الامة تربي نشئها في البلاد الغربية ليؤبوا اليها بمثل هذه الخبرة الواسعة . . . والاطلاع البعيد المدى . . . فلأجدر بها ان تربأ بنفسها عن ايراد افلاذ اكبادها هذه الموارد العادية علي وجودها ، المضيعة لكرامتها وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ عشا ﴾ الرجل يعشو عَشواً ساء بصره بالليل والنهار او بالليل فقط

(عشا الي النار) رآها ليلا فقصدها

(عشا فلانا) عشّاه

(عشِيَ الرجل) يعشَى عشا ساء بصره ليلا ونهاراً وقيل ليلا فقط فهو (عَشيان)

(تعشّي الرجل) اكل العشاء

و (العشاء) طعام العشي

(العِشاء) اول الظلام وقيل من المغرب الي العتمة وقيل من زوال الشمس الى طلوع الفجر

(العَشاوة) سوء البصر ليلا ونهاراً وقيل ليلا فقط ومثله (العشا)

تقول: (فلان يخبط خبط العَشواء) أى يخطئ ويصيب كالناقة التى بعينها سوء اذا خبطت بيدها

(العَشيّ) آخر النهار. وقيل من صلاة المغرب الي العتمة

(الأعشي) ذو العَشاوة

﴿الأعشي الأكبر﴾ هو ميمون ابن قيس بن جندل بن شراحيل ينتهي نسبه لنزار · وكان يقال لابيه قتيل الجوع سمي بذلك لأنه دخل غاراً ليستظل فيه من الحر فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا وفيه يقول جهنام واسمه عمرو وكان يتهاجي هو والاعشي :

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل
وخالك عبد من جماعة راضع

كان الأعشي يكنى ابابصير وهو احد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها

سئل يونس النحوى يوماً من أشعر الناس؟ فقال لاأومي الي رجل بعينه ولكنى اقول: امرؤ القيس اذا ركب، والنابغة اذا رهب، وزهير اذا رغب، والاعشي اذا طرب

وقال ابو عبيدة: من قدم الاعشي احتج بكثرة طواله الجياد، وتصرفه في المدح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره

وقال: هو اول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد وكان يغنى بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب

حدث يحيي بن سليم الكاتب قال: بعثنى ابو جعفر المنصور بالكوفة الي حماد الراوية اسأله عن أشعر الناس قال فأتيت حماداً فاستأذنت وقلت ياغلام فأجابنى انسان من اقصي بيت في الدار فقال من انت؟ فقلت يحيي بن سليم رسول امير المؤمنين فقال ادخل رحمك الله فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت علي باب البيت فاذا حماد عريان وعلي سوأتيه شاهشنرم وهو الريحان، فقلت له ان امير المؤمنين يسألك عن اشعر الناس قال نعم ذلك الأعشي صناجتها

وحدث رجل من أهل البصرة انه حج فقال اني لأسير في ليلة اضحيانة اذ نظرت الي رجل شاب راكب علي جمل عظام قد زمه وخطمه وهو يذهب عليه ويجيء وهو مع ذلك يرتجز ويقول:

هل يبلغنيهم الي الصباح
هقل كأن رأسه جماح

فعلمت انه ليس بانسي فاستوحشت منه، فتردد علي ذاهبا وراجعا حتى أنست به فقلت من أشعر الناس؟ قال الذى يقول:

وما ذرفت عيناك الا لتضربي
بسهميك في أعشار قلب مُقتّل

فقلت ومن هو؟ قال امرؤ القيس.

قلت ومن الثاني؟ قال الذى يقول:

نطار القر بحر صاخن
وعقيق القيظ ان جاء بقر

قلت ومن هو؟ قال الاعشي ثم ذهب

قال الشعبي: الأعشي أغزل الناس في بيت واحد، وأخنث الناس في بيت واحد، وأشجع الناس في بيت واحد، فأما أغزل بيت فقوله:

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

واما أخنث بيت فقوله:

قالت هريرة لما جئت زائرها
ويلي عليك وويلي منك يارجل

وأما أشجع بيت فقوله:

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا
أو تنزلون فانا معشر نُزُل

وهذه الابيات من قصيدة للأعشي طنانة مطلعها:

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل

قيل قدم الاخطل الكوفة فأتاه الشعبي يسمع من شعره قال فوجدته يتندى فدعاني الي الغداء، فأبيت. فقال ماحاجتك؟ فقلت أحب ان أسمع من شعرك فأنشدني:

صرمت امامة حبلها ورعوم

فلما انتهي الي قوله:

واذا تعاورت الأكف ختامها
نفحت فنال رياحها المزكوم

قال لى ياشعبي لقد بززت الشعراء بهذا البيت. فقلت الأعشي في هذا أشعر منك. قال وكيف؟ قلت لأنه قال:

من خمر عانة قد أني لختامه
حول تسل غمامة المزكوم

فقال الأعشي وضرب بالكأس

الارض والمسيح هو اشعر الشعراء الا انا
(يقسم بالمسيح لانه كان نصرانيا)
وحدث هشام بن القسم العزى وكان
علامة بأمر الأعشي انه وفد الي النبي صلي
الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي أولها

الم تكتحل عيناك ليلة ارمدا
وعادك ماعاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما
تناسيت قبل اليوم خلة مهددا

وفيها أيضاً يقول لناقته :

فآليت لا ارثي لها من كلالة
ولا من حفي حتى تزور محمداً
نبي يرى مالا ترون وذكره
اغار لعمري في البلاد وانجدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم
تراحي وتلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشا فرصدوه علي طريقه وقالوا هذا صناجة العرب مامدح احداً قط الا رفع من قدره. فلما وردعليهم قالوا اين أردت ياأبا بصير ؟ قال أردت صاحبكم هذا لأسلم علي يديه . قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ، ولك موافق . قال وماهن ؟ قال ابوسفيان ابن حرب: الزنا . قال الاعشي لقد تركني الزنا وماتركته. قال ثم ماذا ؟ قال القمار. قال لعلي ان لقيته اصبت منه عوضاً عن القمار قال ثم ماذا؟ قال الربا. قال الأعشي ما دنت وما ادنت قط . قال ثم ماذا ؟ قال الخمر . قال أوه أرجع الي صبابة بقيت لي في المهراس فأشربها . فقال له ابوسفيان فهل لك في شيء خير لك مما هممت به؟ قال وماهو ؟ قال ابو سفيان نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الي بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه امرنا. فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ، وان ظهر علينا أتيته . قال الأعشي ما اكره ذلك

فقال ابو سفيان يامعشر قريش هذا الأعشي فوالله لأن اتي محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الي بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله

كان الأعشي يفد علي ملوك فارس ولذلك كثرت الفارسية في شعره قال :

وتمهد شربت ثمانيا وثمانياً
وثمان عشرة واثنتين وأربعا
من قهوة باتت بفارس صفوة
تدع الفتى ملكا يميل مصرعا
بالجلسان وطيب اردانه
بالون يضرب لي يكر الاصبعا
والناى نرم وبربط ذو بحة
والصنج يبكي شجوه ان يوضعا

وسمعه كسرى يوما يتغنى بقوله :

ارقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بي من سقم وما بي تعشق

فقال مايقول هذا العربي قالوا يتغنى بالعربية قال فسروا قوله . قالوا زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق . قال هذا اذن لص

وكان الأعشي يفد علي ملوك الحيرة ويمدح الأسود بن المنذر أخا النعمان وفيه يقول :

أنت خير من ألف ألف من النا
س اذا ما كبت وجوه الرجال

وقال له النعمان لعلك تستعين علي شعرك . فقال له احبسنى في بيت حتى أقول . فحبسه في بيت فقال القصيدة التي أولها :

أأزمعت من آل ليلي ابتكارا
وشطت علي ذي هوى ان تزارا

وفيها يقول :

وقيدني الشعر في بيته
كما قيد الآسرات الحمارا

قال حماد الراوية حدثني سماك عن عبيد رواية عن الاعشي انه قال اتيت النعمان فأنشدته :

اليك أبيت اللعن كان كلالها
تروح مع الليل التمام وتغتدى

حتى أتيت علي آخرها فخرج الي ظهر النجف فرآه قد اعتم بنباته من بين احمر واصفر وأخضر واذا فيه من هذه الشقائق مالم ير أحسن منه . فقال ماأحسن هذا احمره . فسمي شقائق النعمان

ولما قال الأعشي في علقمة بن علاثة

علقم ماأنت الي عامر النا
قض الاوتار والواتر

نذر دمه فخرج الأعشي يريد وجها فأخطأ به الدليل فألقاه في ديار عامر فأخذه رهط بني علقمة فأتوا به فقال:

علقمة قد صيرتني الامو
ر اليك وماأنت لي منقص
فهب لي ذنبي فدتك النفو
س ولا زلت تنمو ولا تنقص

فعفا عنه فقال الاعشي:

علقم ياخير بنى عامر
للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همه
والغافر العثرة للعاثر
قال أبو عبيدة أسر رجل من كلب الاعشي فكتمه نفسه وحضر عنه الكلبي شرب فيهم شريح بن عمرو فعرف الاعشي فقال للكلبي ما ترجو بهذا الشيخ ولا فداء له ، فهبه لي . فوهبه له فأخذه شريح فأطعمه وسقاه فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي فأراد استرجاعه فقال الاعشي :
شريح لاتتركني بعد ماعلقت
كفي حبالك بعد القد اظفارى
كن بالسموأل اذ طاف الهمام به
في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله
حصن حصين وجار غير غدار
خيّره خطتى خسف فقال له
اعرضهما هكذا اسمعكما حار
فقال غدر وثكل أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل اسيرك اني مانع جارى
وسوف يعقبنيه ان ظفرت به
رب كريم وبيض ذات اطهار
فاختار ادراعه أن لايسب بها
ولم يكن عهده فيها بختار
يذكره وفاء السموأل بن عاديا حين أودعه امرؤ القيس أدراعه وكراعه
قال أبو عبيدة : الأعشي هو رابع الشعراء المعدودين وهو يقدم علي طرفة وكان أكثر عدد طوال جياد ، وأوصف للخمر والحمر ، وأمدح وأهجي وأماطرفة فانه يوضع مع الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل في الاسلام
ومما سبق اليه فأخذ منه قوله :
كأن نعام الدوّ باض عليهم
اذا ريع يوما للصريخ المنذر
قال سلامة بن جندل :
كأن نعام الدو باض عليهم
بنهي القذاف أو بنهي مخفق
نهي قذاف ونهي مخفق موضعان
وقال زيد الخيل :
كأن نعام الدو باض عليهم
وأعينهم تحت الحديد خوازر
خوازر من الخزر وهو اقبال العينين علي الانف

ويعاب الاعشي بقوله :
ويأمر لليحموم كل عشية
بقت وتعليق فقد كاد يسنق
القت الفصفصة وهي الرطبة من علف الدواب . و يسنق اى يتخم والسنق التخمة . قالوا هذا مالايمدح به رجل من خساس الجند لأنه ليس من احدله دابة الا وهو يعلفها قتا ويقضمها شعيراً وهذا مدح كالهجاء
و يستحسن له في الخمر قوله :
تريك القذى من دونها وهي دونه
اذا ذاقها من ذاقها يتمطق
اراد انها من صفائها تريك القذاة عالية عليها في اسفلها . فأخذه الأخطل فقال :
ولقد تباكرني علي لذاتها
صهباء عالية القذى خرطوم
ولم تختلف الرواة في الفاظ بيت كاختلافهم في بيت له وهو :
اني لعمر الذى خطت مناسمها
تهدى وسيق اليها الباقر العتل
الباقر جماعة البقر مع رعاتها والعتل الكثير من كل شيء . ورواه بعضهم خطت اى اعتمدت في السير ، و بعضهم العتل
اى الكبيرة ، و بعضهم الغيل اى السمان و بعضهم الباقر العجل
الأعشي كان ممن آمن بالملكين الكاتبين . قال يمدح النعمان :
فلا تحسبنى كافراً لك نعمة
علي شاهدىّ ياشاهد الله فاشهد
وكان هذا من ايمان العرب بالملكين بقية من دين اسماعيل
ويستحسن قوله في سكران :
فراح مكيثاً كأن الدبي
يدب علي كل عضو دبيبا
المكيث الرزين والمقيم الثابت ، والدبي اصغر مايكون من الجراد والنمل
وفي الاعشي يقول ابن كلبة وفي الاصم ابن معبد من ولد الحارث بن عبادة
قبحتما عرى حي ذوى نسب
وحز أنفا كما حزا بمنشار
أعنى الاصم وأعشانا اذ ابتدرا
الا استمانا علي سمع و ابصار
قال واحسن ماقيل في الرياض قوله :
ماروضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

للاعشي معلقة اولها :

ما بكاء الكبير في الاطلال
وسؤالي وما ترد سؤالي

ديوان الاعشي موجود في المكتبة الملكية بخط اليد

توفي الاعشي سنة (٦٢٩) ميلادية وكان علي دين النصرانية

﴿ أعشي بنى تغلب ﴾ هو النعمان ابن يحيي بن معاوية احد بنى معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب ابن وائل

كان من شعراء الدولة الأموية وساكني الشام اذا حضر ، واذا بدا نزل في ديار قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة وكان نصرانياً

قال ابو عمرو الشيباني كان اعشي بنى تغلب منادم الحر بن الحكم فشربا يوما في بستان له بالموصل فسكر الاعشي فنام في البستان ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبة واستيقظ الاعشي فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم ودافعهم حتى كاد ان يهجم علي الحر مع جواريه فلطمه خصي منهم فخرج الي قومه فقال لهم لطمنى الحر فوثب معه رجل من بنى تغلب يقال له أدعج وهو شهاب بن همام فاقتحما الحائط وهجما علي الحر حتى لطمه الاعشي ثم خرجا فقال الاعشي:

كأني وابن دعج اذ دخلنا
علي قرشيك الورع الجبان
هزبرا غابة وقصا حمارا
فظلا حوله يتناهشان
أنا الجشمي من جشم بن بكر
عشية رعت طرفك بالبنان
فما يستطيع ذو ملك عقابي
اذا اجترمت يدي وجنى لساني
عشية غاب عنك بنو هشام
وعثمان استها وبنو ابان
تروح الي منازلنا قريش
وأنت مخيم بالزرقان

الزرقان قرية بسنجار كانت للحر

قال ابن حبيب مدح الاعشي مدرك ابن عبد الله الكناني فأساء ثوابه فقال الاعشي:

لعمرك اني يوم امدح مدركا
لكالمبتنى حوضاً علي غير منهل
أمر الهوى دوني وقيل مدحتي
ولو لكريم قلتها لم تخيل

قال أبو عمرو كان الوليد بن عبد الملك محسناً الي أعشي بنى تغلب . فلما ولي عمر ابن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه فلم يعطه شيئاً . وقال ماأرى للشعراء في بيت المال حقا . ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لأنك امرؤ نصراني فانصرف الأعشي وهو يقول :

امرى لقد عاش الوليد حياته
امام هدى لامستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته
جلاميد لاتندى وان بلها القطر

قال أبو عمرو كانت بين بنى شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مسمع بنى شيبان في بعضها ثم قعد عنهم فقال أعشي بنى تغلب في ذلك :

بنى امنا مهلا فان نفوسنا
تميت عليكم عتبها ومصالها
وترعي بلا جهل قرابة بيننا
وبينكم لما قطعتم وصالها
جزى الله شيبانا وتيما ملامة
جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مسمع من تنكر الحق نفسه
وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها
أأوقدت نار الحرب حتى اذا بدا
لنفسك ما تجنى الحروب فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظر
قبيح مهين حيث ألقت حلالها
ألسنا اذا ما الحرب شب سعيرها
وكان سفيح المشرفي صلالها
اجارتنا حل لكم ان تنازلوا
محارمها وان تميزوا حلالها
كذبتم بيمين الله حتى تعاوروا
صدور العوالي بيننا ونصالها
وحتى ترى عين الذى كان شامتا
مزاحف عقرى بيننا ومجالها

﴿ أعشي همدان ﴾ هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحرث يكنى أبا المصبح

كان من فصحاء الشعراء في الدولة الاموية وكان زوجا لاخت الشعبي الفقيه والشعبي زوجا لاخته

كان في مبدأ امره من الفقهاء القراء ثم ترك ذلك وقال الشعر . ثم خرج علي عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن الأشعث فقبض عليه وقتله صبراً

كان قد بعثه الحجاج بن يوسف مرة لحرب الديلم فوقع أسيراً فهويته بنت الديلمي الذى أسره فخلصته من الاسر

وهر بت معه . فقال الاعشي في أسره ذلك :

لمن الظعائن سيرهن ترجّف
عوم السفين اذا تقاعس مجدف
موت بذي خشب كأن حمولها
نخل بيثرب طلعه متعصف
عولين ديباجا وفاخر سندس
وبخزّ كسية العراق تحفف
وغدت بهم يوم الفراق عرامس
فتق المرافق بالهوادج دلف
بان الخليط وفاتني برحيله
خود اذا ذكرت لقلبك يشغف
تجلو بمسواك الاراك منظّما
عذبا اذا ضحكت تهلل ينطف
وكأن ريقتها علي علل الكرى
عسل مصفي في القلال وقرقف
وكأنما نظرت بعيني ظبية
تحنو علي خشف لها وتعطف
واذا تنوء الي القيام تدافعت
مثل النزيف ينوء ثمت يضعف
ثقلت روادفها ومال بخصرها
كفل كما مال النقا المتقصف
ولها ذراعا بكرة رحبية
ولها بنان بالخضاب مطرف
وعوارض مصقولة وترائب
بيض و بطن كالسبيكة مخطف
ولها بهاء في النساء و بهجة
و بها تحل الشمس حين تشرف
تلك التي كانت هواي وحاجتي
لو ان داراً بالاحبة تسعف
واذا تصبك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل مصيبة ستكشف
ولئن بكيت من الفراق صبابة
ان الكبير اذا بكي سيعنف
عجباً من الايام كيف تصرفت
والدار تدنو مرة وتقذف
أصبحت رهنا للعداة مكبلا
أمسي واصبح في الاداهم ارسف
بين القليسم فالقبول لحمن
فالهرمزين ومضجعي متكلف

هذه اسماء مواضع من بلاد الديلم تكنفته الهموم بها

لجبال وية ماتزال منيفة
ياليت ان جبال وية تنسف
ولقد اراني قبل ذلك ناعماً
جذلان آبي ان اضام وآنف
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي
وأنا امرؤ بادي الاشاجم اعجف

ولقد تفرسني الحروب وانني
ألفي بكل مخافة أتعسف
أتسربل الليل البهيم واشتدي
في الخب اذ لا يشتدون وأوجف
ما ان أزال مقنعاً أو حاسراً
سلف الكتيبة والكتيبة توقف
فأصابني قوم فكيف أصيبهم
فالآن أصبر للزمان وأعرف
اني لطلاب التراث مطلب
و بكل أسباب المنية أشرف
باق علي الحدثان غير مكذب
لا كاسف بالي ولا متأسف
ان نلت لم أفرح بشيء نلته
واذا سبقت به فلا أتلهف
اني لاحمي في المضيق فوارسي
واكر خلف المستضاف وأعطف
وأشد اذ يكبو الجواد واصطلي
حر الاسنة والاسنة ترعف

قال الاصمعي لما ولي خالد بن عتاب ابن ورقاء اصبهان خرج اليه اعشي همدان وكان صديقه وجاره بالكوفة فلم يجد عنده مايحب وأعطي خالد الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عطارد فبلغه انه ذمه فحبسه مدة ثم أطلقه فقال يهجوه :

وما كنت ممن ألجأته خصاصة
اليك ولا ممن تغر المواعد
ولكنها الاطماع وهي مذلة
دنت بي وأنت النازح المتباعد
أتحبسني في غير شيء وتارة
تلاحظني شزراً وأنفك عاقد
فأنك لا كابني فزارة فاعلمن
خلقت ولم يشبههما لك والد
ولا مدركاً ماقد خلا من نداهما
أبوك ولا حوضيهما أنت وارد
وانك لو ساميت آل عطارد
لبذتك اعناق لهم وسواعد
ومأثرة عادية لن تنالها
و بيت رفيع لم تخنه القواعد
وهل انت الا ثعلب في ديارهم
تشل فتعساً أو يقودك قائد
أرى خالداً يختال مشياً كأنه
من الكبر بابن مهشل أو عطارد
وما كان يربوع شبيهاً لدارم
وما عدلت شمس النهار الفراقد

ولما خرج ابن الاشعث علي الحجاج ابن يوسف حشد معه أهل الكوفة فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له نباهة الاخرج معه لثقل وطأة الحجاج عليهم فكان

عامر الشعبي والاعشي ممن خرج، معه وخرج
احمد النصيبي ابو اسامة الهمداني المغنى
مع الاعشي لالفته اياه وجعل الأعشي
يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه ولا
يحرض اهل الكوفة بأشعاره علي القتال
وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه :

يأبي الأله وعزة ابن محمد
وجدود ملك قبل آل ثمود
ان تأنسوا بمذمين عروقهم
في الناس اذ نسبوا عروق عبيد
كم من اب لك كان يعقد تاجه
بجبين ابلج مقول صنديد
واذا سألت المجد أين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشج وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود
ماقصرت بك ان تنال مدى العلي
اخلاق مكرمة وارث جدود
قرم اذا سامي القروم ترى له
اعراق مجد طارف وتليد
واذا دعا لعظيمة حشدت له
همدان تحت لوائه المعقود
يمشون في حلق الحديد كأنهم
اسد الأباء سمعن زأر اسود
واذا دعوت بآل كندة اجفلوا
بكهول صدق سيد ومسود
وشباب مأسدة فلن سيوفهم
في كل ملحمة بروق رعود
ما ان ترى قيساً يقارب قيسكم
في المكرمات ولا ترى كسعيد

قال حماد الراوية كانت لأعشي همدان مع الاشعث مواقف محمودة وبلاء حسن وآثار مشهورة، وكان الأعشي من أخواله لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني قال فلما صار ابن الأشعث ألي سجستان جنى مالا كثيراً فسأله اعشي همدان ان يعطيه منه زيادة علي عطائه فنعه، فقال الاعشي في ذلك :

هل تعرف الدار عفا رسمها
بالحضر فالروضة من آمد
دار لخود طفلة رودة
بانت فأمسي حبلها عامدى
بيضاء مثل الشمس رقراقة
تبسم عن ذى أشر بارد
لم يخط قلبي سهمها اذ رمت
ياعجبا من سهمها القاصد

ياأيها القرم الهجان الذى
يبطش بطش الاسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذى
ينمي الي الغائب والشاهد
كم قد أسدي لك من مدحة
تروى مع الصادر والوارد
وكم أجبنا لك من دعوة
فاعرف مع العارف كالجاحد
نحن حميناك وما نحتمي
في الروع من مثني ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد
ويوم أجبناك من خالد
ووقعة الرى التى نلتها
بجحفل من جمعنا عاقد
وكم لقينا لك من وائر
يصرف نابي حنق حارد
ثم وطئناه بأقدامنا
وكان مثل الحية الراصد
الي بلاء حسن قد مضي
وأنت في ذلك كالزاهد
فاذكر أيادينا وآلاءنا
بعودة من حلمك الراشد
ويوم الاهواز فلا تنسه
ليس الثنا والقول بالبائد
انا لنرجوك كما نرتجي
صوب الغمام المبرق الراعد
فالفح بكفيك وما ضمتا
وافعل فعال السيد الماجد
مالك لاتعطي وأنت امرؤ
مثر من الطارف والتالد
تجبى سجستان وما حولها
متكئاً في عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه
وتجرد الارض مع الجارد
ان يك مكروه تهجنا له
وأنت في المعروف كالراقد
ثم ترى انا سنرضي بذا
كلا ورب الراكع الساجد
وحرمة البيت وأستاره
ومن به من ناسك عابد
تلك لكم أمنية باطل
وغفوة من حلم الراقد
ماأنا من هاجك من بعدها
هيج بآتيك ولا كابد
ولا اذا ناطوك في حلقة
بحامل عنك ولا ناقد

قيل خرج اعشي همدان الي الشام في ولاية مروان بن الحكم فلم ينل فيها

حقاً فجاء الي النعمان بن بشير وهو عامل علي حمص فشكا اليه حاله فكلم عنه النعمان بن بشير اليمانية وقال لهم هذا شاعر اليمن ولسانها واستماحهم له . فقال نعم يعطيه كل رجل منا ديناراً من عطائه قال لا بل اعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك معجلا فقالوا أعطها اياه من بيت المال واحتسبها علي كل رجل من عطائه. ففعل النعمان وكانوا عشرين الفاً فأعطاه عشرين الف دينار وارتجعها منهم . فقال الاعشي يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها
كنعمان نعمان الندى بن بشير
اذا قال أو في بما يقول ولم يكن
كمدل الي الاقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لم الف شاكراً
وما خير من لا يقتدي بشكور
فلولا أخو الانصار كنت كنازل
ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير

روى انه لما أتي الحجاج بن يوسف بأعشي همدان أسيراً قال له الحمد لله الذى أمكن منك ألست القائل :

لما سمونا للكفور الفتان
بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالقطا من قحطان
ومن معه قد أتي ابن عدنان
أمكن ربي من ثقيف همدان
يوماً الي الليل يسلي ما كان
ان ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان

أو لست القائل :

ياابن الاشج قريع كنـ
ـدة لا أبالي فيك عتبا
أنت الرئيس بن الرئيـ
ـس وأنت أعلي الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو
سف خر من زلق فتبا
فانهض فديت لعله
يجلو بك الرحمن كربا
وابعث عطية في الخيو
ل يكبهن عليه كبا

كلا ياعدو الله بل عبد الرحمن بن الاشعث هو الذى خر من زلق فتب ، وحار وانكب. ومالقي ما أحب. ورفع الحجاج بها صوته وأربد وجهه ، واهتز منكباه فلم يبق أحد في المجلس الا أهمته نفسه ، وارتعدت فرائصه .

فقال له الاعشي بل أنا القائل أيها الامير

أبي الله الا ان يتمم نوره
و يطفيء نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلا بالعراق وأهله
كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان سل سيفه
علينا فولي جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته
حساما ملقي للحروب معردا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
ومزقهم عرض البلاد وشردا
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة
اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة
من القول لم تصعد الى الله مصعدا
ولما دلفنا لابن يوسف ضلة
وابرق منا العارضان وارعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما
قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فصادمنا الحجاج دون صفوفنا
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجند امير المؤمنين وخيله
وسلطانه امسي معاناً مؤيدا
ليهنيء أمير المؤمنين ظهوره
علي لمة كانوا بغاة وحسدا
وجدنا بني مروان خير أئمة
وأعظم هذا الخلق حلما وسؤددا
وخير قريش في قريش أرومة
وأكرمهم الا النبي محمداً
اذا ماتدبرنا عواقب امرنا
وجدنا أمير المؤمنين المسددا
سيغلب قوم غالبوا الله جهلة
وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه
ضعيفا ومن والي النفاق وألحدا
فقد تركوا الاموال والأهل خلفهم
وبيضاً عليهن الجلابيب خردا
يناديهم مستعبرات اليهم
ويذرين دمعاً في الخدود وانمدا
والا تناولهن منك برحمة
يكن سبايا والبعولة اعبدا
تعطف أمير المؤمنين عليهم
فقد تركوا أمر السفاهة والردى
لعلهم أن يحدثوا العام توبة
وتعرف نصحاً منهم وتوددا
لقد شعب ابن الاشعث العام مصرنا
فظلوا وما لاقوا من الطير اسعدا
كما شاءم الله النجير وأهله
بجدك من قد كان اشقي وانكدا

قال اتظنون انه أراد المدح ؟ لا والله ولكنه قال هذا أسفا لغلبتكم اياه وأراد به ان يحرض اصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : اظننت ياعدو الله انك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تجو ؟ ألست القائل ويحك :

واذا سألت المجد اين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغر وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده والمولود

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أولست القائل :

وأصابني قوم وكنت أصيبهم
فاليوم أصبر للزمان واعرف

كذبت والله ما كنت صبوراً ولا عروفا ثم قلت بعده :

واذا تصبك من الحوادث نكبة
فاصبر فكل غيابة ستكشف

أما والله لتكونن نكبة لاتنكشف غيابتها عنك أبداً ، ياحرسي اضرب عنقه

ذكر مؤرج السدوسي ان الأعشى كان شديد التحريض على الحجاج في تلك الحروب فجال أهل العراق جولة ثم عادوا فنزل عن سرجه ونزع عن فرسه ونزع درعه فوضعها فوق السرج ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه . ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلكم أنكرتم ماصنعت؟ قالوا وليس هذا موضع نكير؟ قال لا كلكم قد سلح في سرجه ودرعه خوفا وفرقا ولكنكم سترتموه واظهرته . فحمي القوم وقاتلوا أشد قتال يومهم الي الليل وشاعت فيهم الجرحي والقتلي وانهزم اهل الشام يومئذ ثم عاودوهم من غدوجاء مدد لاهل الشام فباكروهم القتال فكانت الهزيمة وقتل ابن الاشعث

وقد حكيت هذه الحكاية عن ابن حلزة اليشكري

﴿ عَصَبَ ﴾ الشيء يعصبه عَصْبا طواه ولواه وشده

(عصَّبه) شده بالعصابة . و (تعصَّب) شد العصابة

(تعصَّب فلان) اي بالعصبية . و (تعصَّب لفلان) مال اليه

(اعتصب القوم) صاروا عصبة

(العِصابة) ماعصب به من منديل ونحوه . والجماعة

(العَصَبية) التعصب

(يوم عصيب) أي شديد

﴿ عصب ﴾ الجهاز العصبي في الانسان ينقسم الي قسمين : الأول يسمي جهاز المخالطة وهو الذى ينتقل به الانسان من محل الي آخر ويدرك به الاشياء المحيطة ويحس بها . والقسم الثاني الذى بعمله يتنفس الانسان وتنهضم أغذيته ويخفق قلبه وتحصل افرازاته وتتم تغذية جميع خلايا جسمه وجميع أعمال هذا القسم غير ارادية والجهاز العصبي المتسلط عليها يسمي جهاز الحياة العضوية أو الجهاز السمباتوى ولكنه ليس مستقلا بل متعلقا بجهاز المخالطة

(جهاز المخالطة) يتألف هذا الجهاز من جزء منتفخ هو المخ المحفوظ في الجمجمة يتلوه حبل عصبي مار في قناة السلسلة الظهرية وهذا الحبل العصبي يسمي بالنخاع الفقري أو النخاع الشوكي

فالمخ ذو شكل بيضي وزنه عند الرجل ١٢٥٠ غراماً وعند المرأة ١٢٣٠ في الحالة الوسطي وهو يتألف من نصفي كرة منفصل أحدهما عن الآخر في جزءيهما العلوى بالشق العظيم بين النصفين الكريين ومتضامان من الامام والوسط

ويتركب كل نصف من هذين النصفين من نسيج سنجابي دائرى يسمي بالقشرة المخية السنجابية ومن كتلة من نسيج أبيض مركزى أليافه آتية من القشرة المخية وهو موجود بين الطبقة السنجابية القشرية والنويات السنجابية المركزية وتوجد أسفل منه المخفظة الانسية ثم يليها الافخاذ المخية فالحدبة المخية فالبصلة الشوكية فالنخاع . ويوجد في باطن كل نصف كرة من هذين النصفين تجاويف تسمي بطينات

فالقشرة السنجابية تكوّن لكل نصف من هذين النصفين الكريين المكونين للمخ ثنيات بارزة معرجة تسمي التلافيف لكل منها تركيب خاص ووظيفة خاصة . وتجتمع جملة من هذه الثنيات فتؤلف فصوصا . وبذلك ينقسم النصف الكروى المخي الى ستة فصوص

أما باطن المخ فهو مؤلف من نسيج أبيض شامل في وسطه الغدد السنجابية أو الباطنية للمخ

أما النسيج الابيض للمخ فيتكون من ألياف مختلفة الانجاه

أما النخاع الشوكي فهو الجزء المحصور في السلسلة الظهرية وهو يمتد من عنق البصلة الشوكية الكائنة في الميزاب القاعدي

الموجودة في العظم المؤخرى من الرأس في محاذاة الفقرة المحورية العنقية الي نقطة اجتماع الفقرة الثانية و يكون ممتداً عند الطفل الي العجز وعند الجنين الي العصعص

(الاعصاب الدائرية الدماغية) عدد الاعصاب الدماغية اثنى عشر زوجاً لكل من نصفي المخ اثنى عشر فرداً منها . وهي تنقسم باعتبار وظائفها الي ثلاثة اقسام حساسة ومحركة ومشتركة وهي تعد من الامام الي الخلف كما يأتي :

(الزوج الاول) العصب الشمي (عصب حساس)

(الزوج الثاني) العصب البصرى وهو حساس ايضاً

(الزوج الثالث) العصب العام العينى (عصب محرك)

(الزوج الرابع) العصب الاشتياقي (عصب محرك)

(الزوج الخامس) العصب التوأمي الثلاثي (عصب محرك) ای حساس ومحرك وفروعه الثلاثة هي العصب العيني والعصب الفكي العلوى والعصب الفكي السفلي

(الزوج السادس) العصب المحرك الوحشي للعين (محرك للعضلة المستقيمة الوحشية للمقلة)

(الزوج السابع) العصب الوجهي (محرك لعضل الوجه)

(الزوج الثامن) العصب السمعي (حساس خاص بالسمع)

(الزوج التاسع) العصب اللساني البلعومي وهو عصب مشترك أى حساس ومحرك

(الزوج العاشر) العصب الرئوى المعدى وهو عصب مشترك أى حساس ومحرك غير ارادى

(الزوج الحادى عشر) العصب الشوكي أو العصب الراجح وهو مشترك أى محرك وحساس

(الزوج الثاني عشر) العصب المظلم تحت اللسان وهو محرك

فالعصب الشمي يتوزع في الغشاء النخامي للحفر الانفية

والعصب البصرى خاص بالبصر

والعصب العام العينى يوصل الحركة الي عدة عضلات مرتبطة بالعين وهو يخدم في رفع الجفنين وتحريك المقلة وقبض وبسط الحدقة

والعصب الاشتياقي يتوزع في العضلة الكبيرة المنحرفة للمقلة وينتج من شلله انجاه المقلة الي الأعلي

والعصب التوأمي الثلاثي يتوزع في الفكين والجبهة وجلد الجفن والغشاء المخاطي الملتحمي والقرنية والقزحية والشبكية والعظم الوجنى وسمحاقه والغدة الدمعية و يعطي للحدقة خيوطها الباسطة لها

وأما الفرع الفكي العلوى فهو حساس يعطي الاحساس الى جلد الخد وجلد جناح الانف والجفن السفلي والغشاء المخاطي للشفة العليا ولقبة الفم وللحفر الأنفية وللحلق ولأسنان الفك العلوى ويحفظ استمرار الافراز الطبيعي لهذه الاجزاء

وأما الفرع الفكي السفلي فهو حساس ومحرك ويعطي الخيوط الحساسة المتوزعة في جلد قسم الاذن والصدغ والشفة السفلي والذقن وأسفل الفم والشدق واللثة واللسان والاسنان السفلي ويؤثر علي افراز اللعاب بواسطة حبل الطبلة ويعطي خاصة الاحساس بالذوق لطرف اللسان وحوافيه والخيوط المحركة للفرع الفكي السفلي تتوزع في عضلات المضغ

والعصب المحرك الوحشي العيني يتوزع في العضلة المستقيمة الوحشية للمقلة

والعصب الوجهي يتوزع بعض فروعه في العضلة المحيطة الجفنية وبعضها في عضل الخد والشفتين والذقن والعنق

والعصب السمعي يتوزع في أعضاء السمع

والعصب اللساني البلعومي يعطي الاحساس للسان والذوق والاحساس العام للغشاء المخاطي البلعومي ولقوائم اللهاة ولصندوق الطبلة ولقناة استاش . وتتوزع خيوطه المحركة في العضلة العاصرة العليا للبلعوم وفي عضل اللهاة . وقد يسمي هذا العصب بعصب التهوع

والعصب الرئوى المعدى ينقسم الى ثلاثة فروع فرع يتوزع في القسم العنقي وفرع في القسم الصدرى وفرع في القسم البطني

فأما فرع القسم العنقي فتتفرع منه فروع ثانوية تذهب الى البلعوم والاوداج والعضلة العاصرة العليا والوسطي البلعوميتين والغشاء المخاطي لقاعدة اللسان والغشاء المخاطي الحنجرى والعصب الحنجرى الوحشي وخيوط الحنجرة وللعاصرة السفلي للبلعوم وللعضلة الحلقية الدرقية ، ومنها خيوط تتوزع في الضفيرة القلبية (الفرع

القلبي العلوي) وأما خيوطه المحركة فهي آتية اليه من العصب الشوكي اي النخاعي

واما فرع القسم الصدري فانه يعطي فروعا تتوزع كذلك في الضفيرة القلبية و يعطي خيوطاً للعصب الحنجري السفلي أو الراجع الذي هو فرع من العصب الشوكي وتتوزع خيوطه في العضلة العاصرة السفلي للبلعوم وفي جميع عضلات الحنجرة ماعدا الحلقية الدرقية

و يعطي أيضاً خيوطاً لقصبة الهوائية والمريء والرئة وللضفيرة الخلفية والمقدمة الرئتين . وهاتان الضفيرتان يعطيان خيوطاً للمريء وللقلب وللقصبة والشعب ويعطي ايضاً خيوطاً للضفيرة المريئية وهي تعطي خيوطاً للغشاء المخاطي للمريء ولعضله

وأما القسم البطني فانه يعطي خيوطا محركة وخيوطاً حساسة للمعدة والأمعاء وخيوط تعين على تكوين الضفيرة الكبدية والضفيرة الشمسية والكلوية

و بالاجمال فان العصب الرئوي المعدي يعطي اعصاب الجهاز التنفسي والقلبي والجهاز الهضمي وتوابعه كالكبد وغيره والجهاز البولي و يتميز العصب الرئوي المعدي بتمتعه بخاصة الاحساس الكامل (أي احساس دائري ومركزي) و بذلك يفسر استمرار الحركة الانعكاسية (كعمل التنفس والدورة والهضم وافراز البول) واذا نبه العصب الرئوي المعدي تناقص عدد ضربات القلب . واذا قطع ازدادت ضربات القلب بسرعة فيزداد عدد النبض بفعل العظيم السمباتوي وحده

والعصب الشوكي هو عصب حساس ومحرك وهو يتفرع الي فرعين أحدهما انسي يختلط بالعصب الرئوي المعدي ويكون العصب الراجع ويعطي أغلب الخيوط المولدة للحركة الارادية ولعضلات الحنجرة والثاني وحشي يتوزع في العضل القصي الترقوي والوتدي والعضلة المثنية

وأما العصب المظلم تحت اللسان فهو العصب المحرك للسان ينشأ من الجزء السفلي لأرضية البطين الرابع من النخاع الشوكي ويعطي خيوطاً جانبية للعضل الموجود تحت العظم اللامي وخيوطاً نهائية لعضلات اللسان ولذا كان هذا العصب هو المحرك للسان . فمتى حصل شلل فيه في جهة مال اللسان للجهة السليمة

الاعصاب النخاعية الفقرية

(الدائرية)

عدد الاعصاب النخاعية الفقرية واحد وثلاثون زوجا منها ثمانية أزواج عنقية واثنى عشر زوجا ظهرية وخمسة أزواج قطنية وستة عجزية . ولكل عصب نخاعي جذران : مقدم محرك ينشأ من القرن الخلفي من الحبل المقدم للنخاع ثم يتقارب الجذران أحدهما من الآخر حتى يصلا الي ثقب التصريف وهناك يتلاصقان ويتكون عنهما العصب النخاعي الحقيقي المركب من عصب محرك وعصب حساس

ويوجد في الجذر الخلفي قبل التصاقه بالجذر المقدم انتفاخ عصبي يسمي بالغدة الشوكية أو الغدة بين الفقرات وهي مركز تغذية الجذر الخلفي المذكور ويوجد في الغدة الشوكية المذكورة خلايا عصبية تخدم كمركز معد لقبول الاحساسات الدائرية الشوكية المذكورة خلايا عصبية تخدم لعكسها عن هيئة حركة بدون ارادة

ثم ان كل عصب مختلط ينقسم بعد خروجه من ثقب من ثقوب التصاريف الفقرية الي فرعين مقدم وخلفي . فالمقدم محرك واكثر غلظا من الخلفي ولكن طول النخاع أقصر من طول العمود الفقري تكون جذور الاعصاب النخاعية اكثر طولا وانحرافا كلما كانت ناشئة من قرب الطرف السفلي للنخاع و بذلك تكون الاعصاب السفلي ذيل الفرس من ابتداء الفقرة الثانية القطنية و بذلك لاتكون نقطة خروج العصب من النخاع مقابلة لنقطة خروجه من ثقب التصريف

القسم الثاني من الجهاز العصبي جهاز الحياة العضوية المسمي بالعصب العظيم السمباتوي وهو يمتد من الرأس الي العصعص وهو موضوع بطول العمود الفقري و يتركب من جذوع وجذور وفروع

فيكون في الجذع جذع العصب العظيم السمباتوي في كل جهة من الجهتين الجانبيتين للعمود الفقري حبلا مرصعاً بانتفاخات أو غدد متباعدة بعضها عن بعض بمسافات قصيرة . وعدد هذه الغدد في القسم العنقي من اثنين الى ثلاثة ، وعددها في القسم الظهري نحو خمسة عشر . وفي القسم القطني خمسة وفي القسم العجزي نحو ستة

جذور العظيم السمباتوي خيوط عصبية آتية من جميع الاعصاب النخاعية تنشأ منها في محاذاة ثقوب التصاريف فانه ينشأ من كل عصب نخاعي جذران : تبقان

أحدهما يصعد الي فوق و يتصل بالغدة السمباتوية الموجودة فوق العصب الناشيء هو منه ، والثاني ينزل الى تحت و يتصل بالغدة السمباتوية الموجودة تحت العصب الناشيء هو منه

(ثالثا) فروع العظيم السمباتوى وهي خيوط تنشأ من الغدد الموجودة علي طول جذعه فتتجه اتجاهات مختلفة فبعضها يدخل الي الجمجمة و بعضها يدخل الي الاحشاء الصدرية والبطنية والحوضية وجميع هذه الفروع تتبع سير الاوعية الدموية وتكون في محاذاة الاعضاء التي تتوزع فيها ضفائر عديدة تسمي بأسماء الاعضاء المذكورة أو بأسماء الشرايين التابعة لسيرها كالضفائر الكبدية والقلبية والمعدية وغيرها

(وظائف الجهاز العصبى) علمنا مما تقدم ان المجموع العصبى مكون من عنصرين هما الخلايا العصبية منضم أحدهما للآخر بنسيج خلوى . وعلمنا أيضا ان النسيج الابيض للمراكز العصبية لايحتوى علي ألياف . وأما النسيج السنجابي للمراكز المذكورة فانه يحتوى علي خلايا عصبية وعلي ألياف أيضاً . ولاجل حدوث ظاهرة عصبية فيزيولوجية يجب ان يكون العنصران العصبيان والجهاز الدورى والليمفاوى سليمة. فتتولد أولا القوة العصبية في الخلية ثم تنتقل منها بواسطة الالياف المتصلة بها الى الاعضاء المختلفة

فالمجموع العصبى والحالة هذه مؤلف من خلية عصبية متصلة بخيطين من الألياف العصبية . أحدهما يولد للخلية المركزية التنبيه المولد لفعلها . والثاني يوصل القوة العصبية المتولدة في الخلية الي الدائر

شكل كل خلية عصبية يشبه نجمة أى ان لها جسما مركزيا وزوائد فتتصل هذه الزوائد اما بألياف عصبية طولية واما بزوائد خلية مجاورة والبعض بألياف عصبية طولية

الخلايا العصبية للقشرة الدماغية مجتمعة ومكوّنة لتلافيف وهذه التلافيف تشتمل علي المراكز المخية وهذه المراكز محدودة ومنقسمة الي قسمين : قسم محرك ووظيفته وظيفة مخية محركة ، وهي وظيفة ارادية . وقسم حساس يكون خاصا بادراك الاحساسات الدائرية لمسية كانت أو سمعية أو بصرية

فالمراكز القشرية المخية المحركة ستة وهي :

(١) المركز المحرك للرأس والعنق (٢) والمركز المحرك للوجه (٣) والمركز المحرك للحنجرة ولتكوين مخارج الحروف (٤) والمركز المحرك للاطراف العليا (٥) والمركز المحرك للاطراف السفلي (٦) والمركز المحرك للمقلة

وأما المراكز المخية للاحساسات فهي ثلاثة معدة لقبول الاحساسات الدائرية في المخ وهي :

(١) مركز سمع الاصوات أو مركز ادراك التأثيرات السمعية فاذا تغير هذا المحرك او تلف نجم عنه صمم الكلام اى ان المريض لايفهم الكلام الملقي علي سمعه تماما

(٢) مركز الاحساس البصرى

(٣) مركز قبول الاحساس العام

اما وظائف الالياف العصبية الناقلة فبعضها خاص بايصال المراكز المحركة بعضها ببعض، والبعض خاص بنقل اراداتها الي الدائر والبعض ينقل التنبيهات الدائرية الى المراكز المعدة للادراك والبعض خاص بايصال خلايا ادراك الاحساس بالخلايا المولدة للحركة

هذه الخيوط علي اختلاف وظائفها يستطيع كل منها ان يكون ناقلا للحركة وناقلا للاحساس

(أمراض المجموع العصبى) يوجد في المجموع العصبى استعداد خاص لنقل الامراض بالوراثة فينتقل المرض من أحد الآباء الي الأبناء او الاحفاد وقد يتنوع في المنتقل اليه

وهناك اسباب مولدة للامراض العصبية كالمشروبات الكحولية والمخدرات والافراط في التدخين وتعاطي القهوة والشاى والغلو في اشباع الشهوة والاستمناء والامراض العفنة الحادة والامراض المزمنة كالزهرى والتسمم الرصاصي

وقد يكون المرض العصبي خلقيا وناجما من وقوف نمو احد أجزاء الجهاز العصبى المركزى بسبب ما أثناء التكون الجنيني أو مكتسبا بعد التكون أثناء الولادة من الدماغ بجفت التوليد

تنحصر الظواهر المرضية لتغيرات المجموع العصبي في ستة وهي : (١) اضطراب العقل (٢) واضطراب الحركة الارادية (٣) واضطراب الحركة المنعكسة (٤) واضطراب الاحساس العام (٥) واضطراب التغذية (٦) واضطراب الافرازات

(في اضطراب العقل) قد يكون العقل سليما ولكن هذه السلامة لاتمنع من وجود تغير مرضي في اجزاء المخ وقد ثبت ذلك اشريحيا اذ وجدت في مخ بعض الناس نقط زرقية واخرى لينة ولكن لم يكن لها تأثير علي العقل في أثناء الحياة

تنحصر اضطرابات العقل في تناقص قوته أو تنبه قوته فوق الحالة العادية أو ضياعه

فيعرف نقص قوته بخمود حواسه وعدم فهمه الشيء و بطء أجوبته اذا سئل و بعدم اتساق افكاره و بضعف أو فقد حافظته

قد يكون هذا الاضطراب خلقيا وقد يكون عارضا من نزيف أو لين مخيين أو من التهاب مخي حاد أو اضطراب في دورة المخ أو في تغذيته

وقد يفقد المصاب معرفة صور الكلام المسموع فيقال لهذا الداء صمم الكلام . وقد يفقد تمييز صور الكلام المكتوب

ثم ان الاضطراب المخي قد يكون قاصرا علي مراكز الادراك المخي التعقلي أي يحصل اضطراب القوى المدركة للاحساسات والافعال متى بها يزن الانسان أفكاره وأعماله أثناء التيقظ فتنجم عن ذلك الامراض العقلية الجزئية التي هي الهذيان والتخيلات والغشي. واما في الجنون فيكون الادراك مفقودا فقدا كليا

من الاضطرابات المخية الهذيان وهو ظاهرة تنتج عن اضطراب العقل اضطرابا مرضيا وله أنواع عديدة . أولها الهذيان الحاد . ثانيها الهذيان الهومي . ثالثها الماليخوليا . ورابعها الهذيان الذى يسميه الاطباء الافرنج ميستيانيز . خامسها الهذيان الذى يسمونه ميستيك . سادسها هذيان الاضطهاد

في الدور الاول من هذا النوع الاخير يصير الشخص المصاب مضطربا مشغول الفكر قلقا و يصير عقله في تعب مرضي لايعجبه شيء ويسيء الظن بكل شخص ولو كان من أقاربه وكل مايفعله أحدهم يظنه موجها ضده. وفي الدور الثاني يتوهم انه يسمع الناس يتذاكرون لمناكدته والايقاع به واتهامه بأعمال جنائية . وفي الدور الثالث يهرب المريض و يتجنب العالم لانه يتوهم ان شخصا يتبعه

ليقتله ويمتنع عن الاكل لانه يتوهم أن بعضهم سيضع له السم فيه . و بعد هذا الدور يأخذ في تدبير طريقة يهلك بها نفسه لأنه يرى ان ذلك أخف عليه من أن يهلكه غيره

كل هذه الاعراض تدل علي تغير القشرة السنجابية للمخ وأعظمه الالتهاب المنتشر للنسيج الخلوى للقشرة المذكورة

(أسباب الهذيان) ينجم أولا عن الامراض العفنة كما في الحمي التيفودية أو التيفوسية . ثانياً يحدث من الدرن الدخني ذى الشكل التيفودى . ثالثاً ينتج عن الالتهاب الرئوى الحاد . رابعاً يحصل من الالتهاب الرئوى الذى يصيب المدمنين علي تعاطي المشروبات الكحولية. خامسا . يحدث من التهاب سحائي مصاحب للالتهاب الرئوى ويكون من طبيعة واحدة . سادساً . يطرأ الهذيان عن التسممات كالتسمم البولى عند المصابين بمرض البول الزلالي . سابعاً . قد يكون الهذيان من اليرقان الخطير بسبب تأثير عناصر الصفراء علي الجهاز العصبي. ثامناً . قد يجيء الهذيان من تعاطي جزء كبير من بعض الأدوية كالدجيتالا والبلادونا تاسعاً قد يأتي الهذيان من التسمم الرصاصي المزمن عند المشتغلين بالمركبات الرصاصية. عاشراً. قد يصيب الهذيان أصحاب التسمم الكحولي حادى عشر . قد يتبع الهذيان الاحتقان المخي . ثاني عشر . والانيميا المخية. ثالث عشر . والامراض الحمية العادية الحادثة عند ارتفاع درجة الحرارة. رابع عشر . والالتهاب السحائي الدرني. سادس عشر . والالتهاب المخي الحاد . سابع عشر . الالتهاب المخي المزمن الأول أو التبعي. ثامن عشر . والدور الاول للشلل الضمورى

النوع الثاني من التغيرات العقلية التخيلات وهي اضطراب يحدث في وظائف المخ الخاصة مع اضطراب قوة الادراك وبذلك يتكون عند المريض أفكار كاذبة أو يرى خيالات وهمية أو يشعر باحساسات باطلة ويعتقدها حقيقية

النوع الثالث من التغيرات العقلية عدم التمييز وهو اضطراب القوى العقلية الخاصة بالتمييز العقلي فالمصاب به يدرك الاشياء ولكن بدون تمييز فيخيل له ان ابنه أبوه، وان بنته زوجته . وان الاحلام حقائق

(في اضطراب الحركة الارادية أي الشلل) قد يحدث أن تكون قوة

الانقباض الارادى للعضلات ضعيفة أو مفقودة فيحدث للمصاب شلل عام . وقد علمنا ان ارادة الحركة تصدر من بعض المراكز المخية وان الارادة الصادرة من أحد هذه المراكز أو جميعها تصل الي العضل للالياف الناشئة من المراكز المذكورة فمتى حصل تغيير أو تلف في بعض هذه المراكز أو حصل تغير الالياف الموصلة المذكورة في نقطة ما منها أو حصل تغير في نفس العضل نتج عن ذلك شلل العضل المذكور

فاذا كان التغير قاصراً علي مركز مخي واحد سمي الشلل المنفرد وحينئذ يكون شاملا للطرف بتمامه

وأما اذا كان التغير قاصراً علي جزء قشرة الجزء الدنلي للفيف الصاعد ولاسيما الجبهي كان الشكل علي الطرف العلوى للجهة المضادة لجهة التغير المخي وهو نادر

وقد يكون التغير قاصراً علي جزء القشرة السنجابية الجزء الدنلي المقدم للفيف الصاعد الجبهي فيكون الشلل حينئذ علي عضلات الوجه

وأما اذا كان التغير القشرى عاما المراكز المحركة المخية لاحد النصفين الكرويين للمخ فينجم عنه شلل عام للجهة الجانبية للجسم المضادة لجهة التغير القشرى ويسمي هذا الشلل بالفالج

(الشلل الجزئي) قد يكون تغيير القشرة السنجابية المخية قاصراً علي عصب واحد أو علي بعض خيوطه فينتج من ذلك شلل جزئي وهو أنواع منها الشلل المقلي الذى يقتصر علي العضلة المستقيمة الوحشية للمقلة . وقد يكون التغير قاصراً علي العصب المحرك العام للمقلة فيحصل حول مقلي وحشي

وقد يكون التغير قاصراً علي الفرع العلوى للعصب المحرك العام للمقلة المتوزع في العضلة الرافعة للجفن العلوى فيصير الجفن مرتخياً لا يمكن رفعه بالارادة

وقد يكون التغير قاصراً علي خيوط الفرع العلوى المتوزعة في الحدقة فتصير الحدقة مشلولة ولا تنقبض بالضوء ولا بتغير المساحة بين العين والجسم المرئي

أسباب التغيرات التي تحدث في العصب العيني أولا الزهرى الثلاثي بانضغاطه بورم سمحاقي أو عظمي أو صمغي محله المحجاج ، ثانياً الروماتيزم . ثالثاً البرد . رابعاً تغير في بعض المراكز

المخية وحينئذ فيكون مصحوبا بشلل نصفي جانبي للجسم

(أسباب الشلل الوجهي الدائرى)

أولا ضغط العصب الوجهي بورم . ثانياً البرد . ثالثا المرض المعروف بالتابس

(الشلل الكحولي) يشاهد عند النساء المدمنات علي تعاطي الخلاصات مثل الابسنت وغيره . يسبقه دور يحس المريض فيه بتنمل وتقلص في أطرافه السفلي يتزايد بحرارة الفراش و يحصل في هذا الدور للمريض أحلام مزعجة . وتحصل له اضطرابات معدية كالقيء الحاطي عند القيام من النوم وغير ذلك

(التوتر العضلي) هو حالة بها يصير معها العضل غير المشلول منقبضا صلبا مرنا متوترا توترا غير ارادى ومستمرا ثم يزول هذا التوتر بالتنويم الكلوروفورمي . أما سببه فقد يكون وجود تغير مجاور كتغير مفصل مجاور ولاسيما التغير الدرني للمفصل الحرقفي الفخذى

ويشاهد تصلب العنق في الالتهاب السحائي المخي النخاعي و يصحب ذلك اثناء الركبتين أثناء جلوس المريض وتعسر بسط أطرافه السفلي

وقد يشاهد التوتر العضلي الجزئي عند النساء المصابات بالهستريا

والتخشب المسمي كتالبسي هو توتر عضلي يزول معه الانقباض الارادى للعضل ويكتسب خاصة حفظ الاوضاع التي يوضع فيها ، أى ان الطبيب يمكنه ان يفعل في الاطراف ما يفعله في قطعة من الشمع

ومن الادواء العصبية اضطراب الحركة والارتعاش وقد يكون عاما أو جزئيا وخفيفا حتى ان المريض يعسر عليه فعل جميع الحركات ويكون عدد الاهتزازات في الثانية من ٤ الى ٥ أو ٦ الى ٧ أو من ٨ الي ١٢ يكون ذلك تارة مستمراً وتارة لا يحصل الا عند الحركة الارادية . وأنواع الارتعاش هي الآتية :

أولا : الارتعاش الشيخوخي وهو يشاهد في الشيخوخة و يظهر أولا في عضلات العنق فتهتز الرأس علي الدوام ثم يمتد الارتعاش الي الشفتين ثم الي جميع عضلات الجسم

ثانياً : الارتعاش الاهتزازى المسمي بمرض باركينسون ويكون فيه الاهتزاز منتظما ومستمراً . يبتدىء من اليد اليمنى

ثم يمتد الى الساعدين فالساقين فالجذع ولا يحصل هذا الاهتزاز في ابتداء المرض الا اثناء الراحة و يقل أو يقف أثناء الحركة الارادية ولكنه يزداد في أثنائها اذا لاحظ المريض ان أحدا يبصره

ثالثا : الارتعاش الجحوظي ويكون عاما في الجسم ولكن لا يبتدىء واضحا الا في الاصابع متى كانت متباعدة ومع ذلك اذا وقف المريض ووضع الطبيب يديه على كتفيه ادرك اهتزاز جسمه

رابعا : الارتعاش البصلي أى الشلل الشفوى اللساني الحنجرى البلعومي فيحصل للمصاب ارتعاش في الشفتين وفي اللسان اثناء النطق و بذلك يعسر عليه الكلام وقد يمتد الي عضلات الوجه و يكون واضحا في الايدى عند امتداد الذراعين امتدادا أفقيا وتباعد أصابع اليدين مدة ما و يكون ظاهرا اذا أخرج المريض لسانه من فمه

خامسا : الارتعاش الشللي يعقب الشلل النصفي الجانبي ارتعاش يسبق بالتوتر العضلي

سادسا : الارتعاش الانتباهي وهو يحصل للمريض عند عمل حركة فقط فيصير الرأس والعنق والجذع في حركة الي الامام ثم الي الخلف بمجرد مايريد المريض المشي . وترتعش الاطراف العليا عند مايريد المريض توجيه الماء أو الغذاء الي فمه . و يوجد في هذا المرض دائما صعوبة في التكلم بسبب ارتعاش اللسان والشفتين

سابعا : الارتعاش الكحولي ويشاهد في الاطراف العليا وفي اللسان والشفتين ولأجل رؤيته يأمر الطبيب المريض بمد ذراعيه أفقيا مع جعل أصابع يديه متباعدة وممدودة مدة دقائق فيحصل عقبها ارتعاش في اليدين

ثامنا : الارتعاش الهستيرى ويكون مثل الارتعاش الكحولي

تاسعا : الارتعاش الحزني والغضبي ويشاهد عند حدوث غضب أو انفعال نفساني

عاشرا : ارتعاش التسمم ويشاهد في الاطراف من جراء التسمم الزئبقي ويكون مصحوبا بانتفاخ اللثة وتزايد سيلان اللعاب

ومن اضطرابات الحركة التشنج وهو انقباض عضلي يحصل فجأة بدون ارادة وعلي هيئة نوب

والفواق المسمي عندنا بالزغطة هي تشنج يحدث في الحجاب الحاجز وهي قد تكون عصبية ولكن متى ظهرت في نهاية الامراض العفنة الحمية دلت علي قرب الموت

وللتشنج انواع وهي :

تشنج الاطفال ذوى الاستعداد العصبي الوراثي الذين عمرهم أقل من سنتين فيحدث لهم بأقل سبب ويحدث في ابتداء الحميات الطفحية وفي الالتهاب الشعبي الرئوى وفي التسنين وفي عسر الهضم المعدى والمعوى وفي الاسهال أو الامساك عند ضغط الملابس عليهم

وقد يشاهد عند هؤلاء الاطفال أيضا تشنج المزمار المسمي عند العوام بالقرينة وهو مميت متى تكررت نوبته

ثانيا التشنج النفاسي وهو يكون أولا ظواهر تنبيه يعقبها زلال في البول فيجب أمر الوالدة بالحمية فاذا لم يزل الزلال بها حصلت ظواهر أخرى تسبق حصول النوبة التشنجية مثل ألم فجائي في القسم الكبدى يشع نحو القسم المعدى أو ألم دماغي جبهي وقيء صفراوى أو عسر في التنفس أو اضطرابات عقلية أو بصرية ثم تحصل النوبة التشنجية وهي كنوبة الصرع لكنها لا تستمر أكثر من دقيقتين ثم يحدث غشيان يزول بعد بضع ساعات ولكن لا تعود الحافظة ابدا قبل مضي ٢٤ أو ٣٦ ساعة

وقد يمكن أن يحدث عن التشنج الاجهاض فيعقب ذلك وقوف النوبة ولذا يجب علي الطبيب اخراج الجنين ان لم تقف النوبة خشية موت المرأة

ثالثا التشنج في الصرع فيسبقها بثوان قليلة ظاهرة احساس أو حركة . فظاهرة الاحساس تكون أكثر حصولا وتبتدىء من طرف الاصابع وهي عبارة عن احساس بتيار يصعد نحو الجذع . و بعض المرضي يمكنهم تجنب حصول النوبة بربط رسغ اليد المصابة ربطا قويا بمجرد ابتداء الاحساس في طرف أصابعها . واما ظاهرة الحركة فهي انقباض جزئي في أحد الاصابع وعلي كل حال فالمريض عند ابتداء النوبة الصرعية يبهت وجهه ويصيح صيحة واحدة ثم يسقط فاقد الادراك والاحساس فيحصل له أولا تشنج توترى لجسمه يستمر عدة ثوان ثم يصير التشنج توترا وانثناء متواليين يستمر مدة دقيقة أو دقيقتين يحصل أثناءه

عض اللسان وخروج رغاو مدممة من الفم واحيانا يحصل تبرز وتبول غير ارادبين . ثم يحصل دور وقوف يستمر من دقيقتين الي ثلاث دقائق . ثم تحصل الافاقة . ولكن من تعب المريض من التشنج يحدث له نوم لاتعلق له بالمرض . في أثناء النوبة الصرعية ترتفع درجة الحرارة وقد تصل الي ٤٠

وقد تكون النوبة الصرعية غير تامة فمنها نوب لايحصل فيها صياح ولا عض اللسان أو يكون التشنج فيها قاصرا علي طرف واحد لاعاما . ولكن فقد الاحساس يحصل دائما علي أى حال

وقد يحصل غيبوبة صرعية فيفقد المريض الادراك برهة صغيرة مع تغير في لونه ثم يعود الشخص للكلام ان كانت تلك الغيبوبة حصلت أثناء التكلم

رابعاً توجد نوب تشبه النوب الصرعية يقال لها النوب ذات الشكل الصرعي وهي غير الصرع المعروف . فلا يصحب التشنج فيها فقد الادراك . واذا حصل فيكون عند انتهاء النوبة

وقد يكون التشنج قاصرا علي طرف علوى أو سفلي ويسمي المرض المذكور حينئذ بمرض برافيز ين . وعلي أى حال فان النوبة التشنجية عرض لمرض كحصول التهاب محدود في جزء من السحايا أو وجود ورم مخي محدود

خامسا تشاهد النوبة التشنجية العامة في الهستريا وتسبق غالبا بظواهر أولية يقال لها (اورا) تعرفها المصابة وهي ألم في المبيض يتزايد وينتشر صاعدا الي فوق ككرة علي استقامة القصبة الهوائية ويحدث احساس باختناق ثم يتبع بحدوث ضربات شريانية صدغية وطنين في الأذن . ثم بحصول فقد للادراك

سادسا تحدث النوبة التشنجية من تسمم الدم باملاح البول أو البلادونا أو الرصاص أو الجويدار أو الاستركنين أو حمض الكربونيك أو خلاصة الابسنت

سابعا الكوريا وهي حركات غير ارادية ولكنها تشبه الحركات الارادية واكثر ما تشاهد عند الاطفال من السنة السادسة الي الحادية عشر وتبتدى في أكثر الاحوال بعضلات الوجه ثم بعضلات الذراع ثم تنتشر فيشاهد ان الجبهة تتغضن وتنفرد علي التوالي والاجفان ترتفع وتنخفض والشفاه تمتد وتنكمش وترتفع وتنخفض

والمقلة تدور الي جميع الجهات واللسان يقرع في الفم ويخرج ويدخل فيجعل النطق صعبا وقد يعضه المريض . والصوت يكون اصم او صياحيا تبعاً لدرجة تمدد الحبال الصوتية والساعد ينثنى و ينفرد و يفعل جميع الحركات التى يمكن فعلها

وبما ان بعض الامراض ينجم عنها اضطراب في نوع المشية فلنتكلم عنها فنقول :

يشاهد اضطراب المشي في المرض المسمي (اتا كسي لوكوموتر يس) العام التقدمي . فيكون هذا الاضطراب عبارة عن عدم اتحاد الانقباض العضلي المحرك بدون فقد القوة العضلية للعضل المذكور . فالمشي يبتدىء بانقباض فجائي في العضل المحرك للاطراف السفلي فيرتفع القدم فجأة من الارض اكثر مما يجب و يندفع الطرف المذكور الي فوق وامام متباعداً عن الطرف الساكن متوتراً مهتزاً ثم يسقط القدم علي الارض فجأة وبقوة قارعا الارض بالعقب ويزداد هذا الاضطراب علي توالي الايام حتى لا يستطيع المريض المشيء الا متوكئا علي غيره

ويساعد اضطراب المشي في التسمم الكحول وفيه ترتفع الاقدام كثيراً اثناء المشي ويسقط القدم علي الارض اولا بأصابعه ثم بالعقب

ويشاهد ايضاً اضطراب المشي في مرض الهستريا وقد لا يشاهد هذا الاضطراب الا اذا مشي المريض مغمضا عينيه

ويرى هذا الاضطراب عند المصابين بالنوراستانيا اى ضعف الأعصاب ويكون اضطرابا كاذبا ى لاسبب له ويصحبه دوار

اما المصاب بتغير في المخيخ فيتطوح اثناء المشي

(في اضطراب الاحساس) يوجد احساس عام واحساس خاص . فالاول محله الجلد و يدركه المخ ويشمل الاحساس بالألم والاحساس بالحرارة والضغط . واما الاحساس الخاص فيشمل حاسة البصر والسمع والشم

اما اسباب هذا الاضطراب الاحساسي فهي اولا تغير في الجلد ثانياً تغير مرضي في الخيوط العصبية الناشئة من الجلد. ثالثا تغير ذات ادراك الاحساس الدائرى

فاذا كان فقد الاحساس في جزء من الجلد سبق اصابته بمرض جلدى كالحمرة

أو غيرها. وإذا كان فقد احساس الملامسة عاما لقسم الجلد المتوزع فيه جميع فروع عصب من الاعصاب الحساسة كان محل التغير هو نفس جذع العصب المتوزعة فروعه في القسم المذكور

وإذا كان فقد الاحساس عاما ومصحوبا بشلل عام الجسم دل على ضغط واقع على المخ سواء كان ورماً أو ناتجاً من التهاب سحائي

وقد يشاهد الفقد التام للاحساس عند المصابات بالهستريا وذلك نادر

وأما اذا كان فقده قاصراً على الجزء الجانبي للجسم بدون شلل فيكون محل التغير اما في مركز ادراك الاحساس الدائري أو في القسم الخلفي لتاج المشع أو في الجزء الخلفي للقسم الخلفي من المحفظة الانسية

ويحصل فقد الاحساس عقب التسمم بغاز حمض الكربونيك وبغاز اوكسيد الكربون وبأبخرة الايتير والكلوروفورم والاميلين وبتعاطي الكحول والفوسفور والبلادونا والافيون وجميع المخدرات وبالتسمم الرصاصي

ويحصل اضطراب الاحساس في الهستريا بدون تغير مادي لا في المخ ولا في النخاع ولا في نفس الاعصاب بل يكون فقط اضطرابا عصبياً وظيفياً أى اضطراب حاصل في تأدية الاعصاب الحساسة وظيفة نقل الاحساس

هذا الاضطراب الهستيري قد يكون عاماً لجميع أنواع الاحساسات أى اللمس والضغط والحرارة والالم وقد يكون حاصلا في احداها فقط . كفقد حساسية الالم مثلا بحيث يمكن ادخال دبوس في جلد المريضة بدون أن تدرك أقل ألم . ويندر أن يكون فقد الاحساس المؤلم عاما لجميع سطح الجسم بل الغالب ان يكون قاصراً على النصف الجانبي لسطح الجسم أى لجلد هذه الجهة وحواسها . أى فقد احساس جلد جهة وفقد رؤية المرئيات بعين هذه الجهة وفقد الشم من منخر تلك الجهة وفقد الذوق في نصف اللسان لتلك الجهة الي غير ذلك

وقد يوجد تزايد في الاحساس الطبيعي عند الهستريات ويكون شاغلا لمناطق محدودة مقابلة للمناطق المسماة انيروجين فمثلا في النفرالجيا المفصلية أى الألم العصبي المفصلي يكون محل تزايد الاحساس في الجلد المغطي للمفصل المتألم . والحال التي اذا ضغط عليها ضغطاً خفيفاً ولدت نوبة

هستيرية يصحبها عدم راحة وخفقان وضربات شريانيه صدغية متزايدة العدد والقوة تبعا لضربات القلب. وإذا كانت النوبة الهستيرية موجودة وضغط على هذه النقطة وقفت النوبة في الحال

وقد تشاهد اضطرابات كثيرة عند الهستيريات (الاول) اضطرابات بصرية كتناقص ميدان النظر ويكون قاصراً على بعين الجهة الفاقدة للاحساس النصفي الجانبي للجسم أو عاما في العينين معا . وقد يكون تناقصه عاما لجميع أنواع الالوان فتفقد المصابة أولا رؤية اللون البنفسجي ثم الازرق ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الاحمر

وقد يكون اضطراب البصر الهستيري ازدواج المرئيات أو مضاعفتها بعين واحدة متى كان المرئي بعيداً عن النظر بمسافة تختلف بين ١٥ و ٢٠ سنتي متراً

وقد يكون اضطراب البصر عند الهستيريات عبارة عن رؤية المرئيات أصغر حجما مما هي في الحقيقة

ومن الاضطرابات الهستيرية حاسة تأثر الشم فقد يكون الشم عندهن مفقودا في الجهة الفاقدة الاحساس الجلدى النصفي الجانبي للجسم فقط . وأحيانا يكون الشم في المنخرين الانفيين معا . وأحيانا يصاحب فقد الاحساس المعكس فلا يحصل للمرأة عطاس مها تنبه الغشاء المخاطي الانفي لكون الغشاء المخاطي الانفي فاقد الاحساس في الجهة الجانبية للجسم المفقودة الاحساس

ومن الاضطرابات الهستيرية تأثر حاسة الذوق وفيه يفقد احساس اللمس في نصف اللسان فقط في جهة فقد الاحساس الجلدى الجانبي وقد يفقد الذوق في اجزاء اللسان كلها وقد يفقد البلعوم احساسه فلا يحصل تهوع

من الاضطرابات الهستيرية تأثر حاسة السمع وفيه قد يوجد فقد الاحساس اللمسي للقناة السمعية الظاهرة وقد يوجد نصف صمم أو صمم لبعض الاصوات مع سلامة مركز السمع وسلامة العصب نفسه

وقد تضطرب تغذية الخلايا عند الهستيريات ويعرف ذلك ببحث البول عقب نوبة الهستيريات فيوجد في البول كثير من الفوسفات الارضية زيادة عن العادة وقليل من البولين عنها

وتضطرب عند الهستيريات الوظائف

المخية وتتغير منها حالة أخلاقهن فتكون كاخلاق الطفل ويحدث لهن تغير فجائي لافكارهن وعدم تناسب مايقلنه وتأثرهن بأقل سبب حتى ان أقل عارض قد يسبب لهن تشنجات واحساسا بصعود كرة من المعدة نحو الحلق تحدث مضايقة في العنق

وبالاجمال فالظواهر المميزة لوجود الهستيريا هي :

(أولا) فقد الاحساس الجلدى الجزئي الذي يشغل أجزاء مختلفة علي هيئة لطخ غير متناسبة ويكون شاغلا للنصف الجانبي للجسم ويندر أن يكون عاما

(ثانيا) تناقص مجال البصر كما مر تفصيلا

(ثالثا) فقد الشم

(رابعاً) فقد الذوق وفقد الانعكاس للتهوع وفقد انعكاس العطاس

(خامسا) اضطراب الافكار والتكلم بدون مناسبة

(سادسا) الاضطرابات المخية والاحساس بكرة تصعد من المعدة نحو الحلق

(تزايد الاحساس الجلدى والمخاطي)

قد يكون تزايد الاحساس الجلدى ناجما عن تنبه في الجوهر السنجابي المخي وهذا ما يشاهد في ابتداء بعض الامراض كالالتهاب السحائي المخي والالتهاب النخاعي والالتهاب السحائي المخي والنخاعي معاً . وفي هذه الامراض كثيراً مايصحب التزايد تشنجات أو انقباضات عضلية توترية ثم ينتهي تزايد الاحساس الجلدى المذكور بفقده كما ان التوتر العضلي ينتهي بالشلل العضلي

وقد ينجم عن تزايد الاحساس ألم شديد وأكثر ما يكون في الدماغ ويكون الالم شديداً في ابتداء الالتهاب السحائي الحاد البسيط والدرني ويكون أقل شدة في اللين المخي وفي الانيميا المخية والاحتقان المخي والاورام المخية ويتزايد ليلا متى كان من طبيعة زهرية

وقد يكون الالم عصبيا فيتزايد بالضغط علي العصب المريض في النقطة التي يكون فيها سطحياً

وهو يأتي علي نوب ويشغل محل سير العصب المصاب فيكون محدودا وتارة يكون منتشراً في جهات مختلفة . وفي فترات النوب يكون من خدر أو ألم خفيف قد يتزايد ويصير شديدا

تصطحب آلام الدماغ ببعض

اضطرابات في الاحساس وفي الأوعية وفي الافرازات وفي الحركة

(أسباب الآلام العصبية الدماغية)

أولا تغير مرضي في جزء من جذع العصب أو في منشأة أو انتهائه لأن اصابة أدق خيط عصبي نهائي لفرع ما بلوخز أو عند الفصد قد يكون كافيا لحصول آلام شديدة مستعصية . ثانيا انضغاط جذع العصب أثناء سيره بورم او بانضغاطه بالاوردة الدوالية وقد يؤدى ذلك الضغط الي التهاب العصب فيتكون الالتهاب العصبي . ثالثا قد تحدث الآلام العصبية من تأثير الهواء البارد أو الرطوبة علي العصب . رابعا قد يكون سببها داخليا وحينئذ تحصل فجأة وتسير بسرعة حتى يظنها المريض آلاما روماتيزمية . خامساً قد تحصل من أسباب عامة كالانيميا والامراض التعفنية وغيرها

أنواع الآلام الدماغية كثيرة منها الآلام الوجهية وهذا النوع عند الكهول والنساء قد تكون شديدة جداً حتى انه ينجم عنها انقباض عضلي ارتجاجي جزئي في بعض عضل الوجه . وتأتي علي نوب فالنوبة تستمر عدة دقائق الى ساعة . وعلي وجه عام يكون الوجه أثناء النوبة محمراً والدماغ كثيرة أو يكون الوجه شاحبا

وقد تحدث عن الآلام الدماغية اضطرابات غذائية في المحل المصاب

لأجل معرفة أسباب الآلام الوجهية يجب البحث عن سابقاتها وعن الاسباب الموضعية كوجود سوس في الاسنان أو تغيرات في الأنف أو في تجاويفه أو في الاذن ، وعن تعرض الشخص لبرد أو رطوبة لانهما يحدثان الورم العصبي وبذلك يصير مضغوطا في قناته العظيمة فيحصل منه الألم

من أنواع الآلام العصبية آلام الاضلاع وهي عبارة عن ألم مستمر محله بين الاضلاع فتحصل منها مضايقات في النفس . تشاهد هذه الآلام عند الشابات المصابات بالخلوروز (فساد تركيب الدم) وعند المصابين بتغيرات معدية

وقد يكون الألم بين الاضلاع علامة للتدرن الرئوى

من الآلام العصبية الألم العصبي الوركي المسمي بعرق النسا والنقط الأكثر تألما في هذا النوع عديدة أولها النقط العجزية الحرقفية الكائنة في المفصل الحرقفي العجزى . ثانيا النقط الاليية أو

الوركية الكائنة في قمة الشرم الوركي ٠
ثالثاً النقطة الخلفية المدورية الكائنة بين المدور الكبير الوركي والحدبة الوركية ويكون العصب هنا مختفياً أسفل كتلة العضل الاليي
العلامة الهامة لمعرفه وجود هذا المرض هي ان يبسط الطبيب ساق المريض وفخذه ثم يثني الفخذ وحده علي الحوض فاذا كان هذا المرض موجوداً فلا يمكن فعل ذلك بدون حدوث ألم شديد . وأما اذا ثني الساق علي الفخذ ثم ثني الفخذ علي الحوض فلا يحصل الألم لأن العصب في هذه الحالة لا يكون متوتراً كما في الحالة الاُولي

ومن علاماته ان الوضع الجلوسي يكون مؤلماً للمريض ويكون نومه في فراشه علي الجهة السليمة مثنياً فخذ الطرف المريض نصف انثناء ومشيه يكون صعباً بسبب الالم فيثني جذعه وركبته نصف انثناء في كل تقدم لهذه الجهة

والمصاب بهذا المرض يحني جذعه الي الامام وهو يتقدم ماشياً كأنه يسلم بانحناء رأسه علي أحد

تنحصر أسباب مرض عرق النسا العضوى أولا في تغير نخاعي او سحائي نخاعي

ثانيا في ضغط نخاعي بورم أو بتغير في الفقرات كما في مرض بوت وفي جميع هذه الانواع يكون الالم في الجهتين و يمتد الي اخمص القدمين ويكون أقل شدة

وأما مرض عرق النسا الناجم عن أمراض عامة للبنية فيحدث :

أولا عن البول السكري

ثانياً عن الزهري

ثالثاً عن النقرس

رابعاً عن الروماتيزم البسيط أو الروماتيزم البلونوراجي

خامساً عن التسممات

ويكون له أسباب أخرى وفي جميعها يكون في الجهتين مستعصياً

وقد ينجم مرض عرق النسا من انضغاط العصب بورم في الحوض الصغير. وقد يكون حادثاً عن كسر رأس عظم الشظية . وقد يكون من بعض ظواهر مرض الهستيريا.

وقد يحدث من البرد

أما الألم الدماغي فينتج عن جملة أمراض منها :

أولا الامراض الحمية العامة وخصوصاً الحمي التيفودية والتيفوسية المصرية ويكون اول عرض لها ولا يزول الا قرب الشفاء

بزمن قليل

ثانيا يسبق النزيف المخي بايام ثقل في الرأس ويكون خفيفا

ثالثا ينتج عن الالتهاب السحائي الدماغي فيكون أعراضه الثلاثة المميزة له التي هي ألم وامساك وقيء

رابعا يحصل عن الزهرى في دوره الثاني والثالث ألم دماغي غائر مستمر يحصل فيه تزايد ليلا

خامساً يحدث من التسممات الحادة والمزمنة في أغلب الأحيان و يشاهد في التسمم البولي (أوريميا) وفي التسمم المعوى عند المصابين بفساد الهضم والامساك

سادسا يكون الألم الدماغي عصبيا في المرض المسمي بالنوراستانيا و يكون محله الجبهة أو القفا وتكون أحيانا عبارة عن ثقل كرصاص موضوع علي المخ وأكثر حصوله صباحا، ويكون عند الهستيريات شديدا كالاحساس بدخول مسامير في قمة الرأس

(في الاحساس بالحرارة) هو احساس ذاتي لا حقيقة له يدركه المريض فيحس ببرد أو حر أو ان جزءا من جسمه بارد او حار ٠ ويشاهد ذلك في مرض

النوراستانيا أى الضعف العصبى وفي الهستيريا

(في اضطراب البصر) هو تناقص حدة البصر التى تعرف بقراءة الحروف المختلفة الحجم ٠ وقد تضعف قوة البصر بتغير العصب البصرى أو بتغير الحلمة البصرية ٠ وقد يحصل الضعف البصرى او فقده بدون أن يرى بالمنظار تغير ما في باطن العين

والعشا أو العمي الليلي هو ضعف البصر أو فقده بزوال الضوء وينجم تغير دائرى محلة باطن العين

وقد يجود النظر في الغروب دون النهار وهو يحدث عن تغير في وسط الشبكية أو عن كتركتا مركزية

(في تغير السمع) مركز حاسة السمع في المخ وقد يقل السمع لأمراض عصبية بل يفقد تماما ٠ وقد يؤلم المصاب السماع

(في تغير حاسة الشم) وقد تضعف حاسة الشم بل تفقد ويكون سببه الامراض العصبية أيضا

(في تغير حاسة الذوق) قد تضعف هذه الحاسة أو تفقد تبعا للاحوال ٠ وقد يكون فقدها قاصرا علي بعض جهات من

اللسان كما يشاهد ذلك عند المصابات بالهستيريا

وقد يفقد الذوق عند المدمنين علي الاشربة الكحولية

(في اضطراب التغذية) متى حصل تغير في أحد المراكز العصبية المنظمة لتغذية الانسجة المختلفة للجسم حدث عنه اضطراب تغذية النسيج المتغذى منه ومحل الاضطراب الغذائي المذكور قد يكون في الجلد ومتعلقاته أو في النسيج الخلوى تحته أو في العظام او المفاصل أو في العضل أو في جميع أنسجة الجسم معا تبعا لمراكز التغذيه المتغيرة

(اضطراب تغذية الجلد ومتعلقاته) بما ان محل تغذية الجلد ومتعلقاته والنسيج الخلوى تحته هو في العقد العصبية الشوكية وفي خلايا القرون الخلفية للنخاع الشوكي فمتى تلفت هذه الاعضاء أو تلفت الخيوط العصبية الموصلة لها بالجلد ومتعلقاته اضطربت تغذية الجلد ومتعلقاته في المنطقة التى تغيرت خلاياها المغذية أو خلايا القرون الخلفية المغذية لهذه المنطقة من الجلد ومتعلقاته أو الاعصاب الموصلة لها بالجلد

فمن الاضطرابات الجلدية الناتجة عن تغير الاعصاب السطحية الزونا الهربسية وهي اجتماع طفح حويصلي هربسي جلدى يمتد علي طول الفرع العصبي المريض

ومنها الزونا الطاخية الهربسية للالتهاب العصبي وهي تشاهد في الالتهاب العصبي المركزى وتشاهد أيضا في الالتهاب العصبي الدائرى

وقد يفقد لون الجلد وهو ناشيء من اضطراب غذائي ويشاهد في الامراض العصبية كالهستيريا وقد يصحب فقدان لون الجلد فقدان لون الشعر عند مريض واحد

ومن اضطرابات التغذية العصبية القرحة الثاقبة ووجودها يدل علي تغير في القرون الخلفية للنخاع في الجزء الجلدى المصاب بها فيثخن الجلد وييبس بحيث يعسر انزلاقه علي النسيج الخلوى تحته ويشاهد هذا الاضطراب في الوجه والعنق والاطراف العليا ثم يزول هذا اليبس ويبقي الجلد رقيقا ملتصقا بالنسيج الخلوى الذى تحته وهو يشاهد في أطراف الاصابع المصابة بهذا المرض

والغنغرينا تحصل من اضطراب تغذية بعض اجزاء وهي تحصل عقب التهاب في القناة الشوكية

والغنغرينا السيمترية للاطراف وهي تحدث من اضطراب دورة الاوعية الدموية للاطراف المذكورة عقب اضطراب يحصل في اعصابها لا عن اضطراب تغذية الجلد ومحلها اصابع اليدين او الرجلين وذلك من عدم وصول الدم اليها

وقد يتغير لون المادة الملونة الموجودة في الادمة الجلدية فيتكون عن ذلك بقع فاقدة للونها الاصلي فتكون مبيضة شاحبة

وقد يتغير الظفر فتظهر فيه ميازيب او يصير جافا او محززا او ضامرا او ضخما او يسقط سقوطا ذاتيا

وقد يتغير الشعر فيصير غليظا او يسقط وتزول بصيلاته ولا ينبت بدله او يفقد الشعر لونه فيصير ابيض

وقد تضطرب تغذية العظام فينجم منه هشاشة فيها فتتكسر لاقل سبب • ويحدث الكسر غالبا في عظم الفخذ او الساق بدون ألم • وقد يحصل قصر في الطرف المصاب ويستمر لعدم تحركه

وقد تضطرب التغذية في العضل فيضمر ويشوه

هذه زبدة مباحث علمية في الامراض العصبية علمة اعتمدنا في ابرادها علي كتاب المعاينة والعلامات التشخيصية للعلامة الدكتور عيسي باشا حمدى

(النوراستانيا او ضعف الاعصاب) ينشأ هذا المرض عادة من جراء فقر الدم المسبب عن سوء التغذية او نقصها، او كثرتها وتعاطي الاشربة الحارة والاغذية الساخنة وحسو الراح وشرب القهوة الشديدة والشاي واعتياد التوابل واكل اللحم والمرق الخ والمداولة بين الحار والبارد من الاطعمة واضطراب التغذية ، والوقوع في امراض خطيرة ويكون نتيجة للاصابة بالروماتزم المفصلي المزمن والافراط في الاعمال العقلية والجسدية والاغراق في اشباع الشهوات والاستمناء، ولبس الملابس الدفئة وادمان المطالعة وامراض المعدة والامعاء الي غير ذلك وقد يكون سببه وراثيا

(اعراضها) سهولة التأثر لاقل سبب وحساسية مفرطة وشعور بضعف شديد واستعداد المصاب للشكوى من اقل شيء حتى انه ليظهر من الأمور التافهة من الشكوى مالا يناسبها . ويحس بخوف

ووسوسة وقلق واضطراب • ويحدث له خفقان وأرق ودوار وعرق وسوء خلق وسرعة في الاقوال والاعمال وآلام مختلفة وتشنجات في مواضع متعددة وألم في الدماغ واضطرابات هضمية واعراض اخرى لا تحصى تتنوع تنوعاً غريباً حتى يظن المصاب بأنه قد صار لا يرجى شفاؤه فيدخله يأس مستحكم ويفقد ثقته بنفسه وبمن حوله ويتحول فكره كله على ذاته فلا يعود يفكر في سواها فيظل ليله ونهاره مشغولا بنفسه متأملا في أقل العوارض التي تصيبه حاسباً لاصغرها حساباً كبيراً ويصبح كريشة تهب الريح طائرة من القلق والانزعاج والهلع

اعتاد الاطباء ان يصفوا للمصاب بالنوراستانيا المذكورة أنواع البرمورات والفاليريانات والفوسفات وغير ذلك من العقاقير كالاستركنين والزرنيخ واليود وما لا يحصى من جواهر اخرى وكلها لا تنتج عنده اقل نتيجة بل تزيده ضعفاً وحساسية حتى ان الذين يستشفون في اوروبا من هذا الداء يجدون اكبر علماء الطب العصبي مصابين بها يشكون من الارق وشدة الحساسية وضعف الذاكرة والانحطاط الجسماني مثل ما يشكو منه مرضاهم

ألا ان الاطباء الطبيعيين يؤكدون بأن هذا المرض يزول ولا يبقى له أثر لو سار المريض على حسب ارشاداتهم واتبع طريقتهم بكل أمانة واخلاص. يقولون انهم شفوا منه ألوفاً مؤلفة من المصابين به في مستشفياتهم التي أقاموها في المانيا وفرنسا وسويسرة وغيرها من الممالك الاوروبية

من ارشاداتهم في ذلك ان يلتفت المريض لغذائه فيمتنع عن اكل اللحوم بأنواعها ويصبح نباتيا فلا يقرب من المواد الحيوانية لغير اللبن وما يعمل منه كالجبن الغض ويمتنع عن أكل البقول أيضاً ويعتمد في امر غذائه على النباتات الخضراء والفاكهة

ثم يعمد الى الرياضة فيسكن الجهات الخلوية او يوجد فيها وقتا طويلا من اليوم ممضياً ساعاته في الاعمال الرياضية المعتدلة ليستنشق اكثر ما يستطيع من الهواء الطلق المفيد للصحة • ثم لا ينام في حجرة مقفلة النوافذ قط بل يكون احد نوافذها مفتوحا حتى يتجدد هواؤها في كل لحظة لان مدار اعادة القوى العصبية المنحطة على تهوية الدم وهي لا تكون الا بواسطة الهواء النقي

ويجب ان يعنى المريض بأن يكون

فكره خاليا من الشواغل وان يكون نومه هادئا عميقا . وأن يعتنى بصحة جلده بدلكه يوميا بالماء الفاتر بواسطة خرقة خشنة وأن ينغمس في حمام فاتر من ٢٠ الى ٣٠ دقيقة يوميا قبل الاكل بساعة أو بعده بأربع ساعات وان يمشي حافي الاقدام على الاعشاب المبتلة . وأن لا يدع للامساك عليه سبيلا فلا بد أن يخرج الفضلات يوميا بالمذوب على ذلك بطنه دلكا خفيفا فان لم يفد فباستعمال الحقنة الشرجية بالماء الفاتر

ولا يجوز للمريض بالنوراستانيا أن يعود الى عمله الا بعد أن ينال شفاءه تماما

يقول الاطباء الطبيعيون ان المصابين بالنوراستانيا لو اعتنوا بهذه الارشادات وقاموا بها باخلاص نجوا لامحالة من شر هذه الآفة التي استعصت على كل علاج من العلاجات المعروفة

ليس هذا المرض بالامر الخطير ولكنه مقلق مزعج لا يدع للمصاب به راحة فليدأب المصاب به على اتباع اشارة الاطباء الطبيعيين ليخلص من شره ويحيا حياة طبيعية غير منغصة والا بقي طول حياته عرضة للهلع والانزعاج

من الناس من يستصعب السير على هذا النظام الطبيعي فيزعم انه ان لم يأكل لحما يضعف ولا يستطيع العمل ويدعي ان غيره من الناس قضى زمانا طويلا في الرياضات البدنية ولم يستفد شيأ الى غير ذلك من التعللات • والحقيقة أن أكل اللحم ليس بضروري للحياة كما ثبت ذلك علمياً بل الذي ثبت ان أكله يسبب هياجا للاعصاب وتسمما للاعضاء الرئيسية . وقد دلت المشاهدات ان آكلي اللحم أقل قوة ونشاطا واقصر حياة من الممتنعين عن أكله وقد عمل المجربون تجارب أثبتوا بها هذه الحقائق بالحس أنظرها في كلمة (غذاء ولحم) من هذا الكتاب

أما زعمهم عدم فائدة الرياضات فمنقوض أيضاً واستدلالهم بعدم استفادة الذين قضوا زمانا فيها تحكم لا مبرر له . فان فائدة الهواء النقي لا تنكر ولا يصح ان يتردد فيها عاقل ، وما يعود على الدورة الدموية من الرياضات المعتدلة أمر قد ثبت ثبوتا حسيا فلا سبيل للتشكك فيه . فهل يريد المصاب بالنوراستانيا ان ينزل عليه الشفاء من السماء وهو محبوس بين جدران غرفته ويخلي بينه و بين هواجسه وهو محروم

من الهواء الطلق ، والضوء المنعش والتلهي المعتدل ؟

أو هل يرجي ان يخلص من دائه وهو دائب علي أعماله يكد و يكدح فيها فان وجد فراغا من عمله شغله بأعمال أخرى ؟ ان رجا ذلك كان كمن يطلب المحال فالاولى بمن هو مصاب بهذا الضعف العصبي ان يخضع لاشارة العلماء و يثق بالله في ايتائه الشفاء مع الدؤوب اعلي ما ثبت نفعه ثبوتا لا يصح التردد فيه

ومن الامور الواجب التوصية بها في هـذا المرض مكافحة المصاب لافكاره السوداء مكافحة استبسال فان تلك الافكار تلازم النوراستاني ملازمة الظل للشبح فتفقده الثقة بذاته و بكل وسيلة علاجية وتصور له انه صار حرضا لاشفاء له . وقد ثبت ان هذا وهم في وهم وان الارادة القوية كافية وحدها لشفاء هذا المرض وبلا أقل لتوجيهه نحو الشفاء فعلي المصاب ان يقوى ارادته ، وان يزيد ثقته بنفسه مهما كلفه هذا المجهود من الصبر والثبات وقوة العزيمة

(أطباء مدرسة نانسي والنوراستانيا) نانسي مدينة مشهورة في فرنسا بها جامعة طبية جليلة يتخرج منها جلة العلماء وكبار أصحاب الآراء الطبية . وقد عنى بعض كبار أساتذتها أمثال ريبو وليبولت وديلاغراف وليبجوا وليفي وبرنهيم وغيرهم بدراسة النور استانيا وغيرها من مظاهر الاضطرابات العصبية فوافقوا بعض العلماء المصريين في قولهم بأن النوراستانيا مرض وهمي لاعصبي . فقالوا كما ان ضلال الفكر وسقم الارادة يؤثران علي الانسان تأثيرا مرضيا ظاهرا حتى يوقعانه في تلك الحالة المزعجة المسماة بالنوراستانيا فني استطاعة صحة الفكر وقوة الارادة أن تعيدا الي الانسان صحته فيصبح خالصا من تلك الشرور العصبية التى استعصت علي كل علاج . فقرروا بعد البحث ان تنويم المصاب (علي شرط صحة قلبه وخلوه من الامراض) واقناعه بأن ليس لديه مرض أحسن وسيلة لشفائه من النوراستانيا

ثم رأى الدكتور ليفي وغيره ان الأفضل من تنويم المصاب أن يقنع هو نفسه بأنه غير مصاب بعمل ارادى مستمر فلا يحتاج بهذه الوسيلة للنوم الصناعي

وقد قرر الدكتور ليفي ان السير علي طريقته يؤثر تأثيراً صادقا سواء اعتقد المريض في تأثيرها أم لم يعتقد

وتعليل حدوث الشفاء بطريقته ان المخ أصل جميع الاعصاب المنبثة في الاعضاء، وان تلك الاعصاب هي العوامل التى تدفع تلك الاعضاء لاداء وظيفتها فاذا تكدر المخ وأصابه مايزعجه تكدرت تلك الاعضاء وانزعجت واذا اطمأن واعتدل تبعته في ذلك . ولما كانت اضطرابات الاعضاء في الامراض العصبية تابعة لاضطرابات المخ كان كل هدوء يحدث له ويتنزل منه يؤثر علي مجموع الاعصاب تأثيرا يكون له أعظم النتائج المحسوسة

قال الدكتور ليفي نفسه :

« كل فكرة يقبلها المخ تميل لأن تنقلب الي عمل محسوس . وكل خلية مخية تتأثر بفكرة تؤثر علي الالياف العصبية التى يجب أن تحققها » بهذا أيد الدكتور ليفي ماقاله قبله الدكتور بيرنهيم وهو « ان الفكرة تنقلب في الجسم احساسا وحركة »

فاذا كان أحدنا يشكو من ألم في رأسه ونوم نوما مغناطيسيا ولقن بأنه لا يشعر بألم فيه ثم ايقظ شفي من ذلك الألم هـذا أمر مثبت بألوف من التجارب . وعند الدكتور ليفي ان النوم ليس بضرورى فاذا لقن الانسان نفسه بنفسه انه لايشكو من ألم في رأسه شفي منه كما لو نومه منوم ولقنه ذلك

وبما ان الامراض العصبية أكبر أسبابها تركيز الانتباه علي الافكار المهيجة المؤثرة أو الخيفة المزعجة ودوام القلق والخوف والاهتمام بأمر الحياة الخ كان لتهديء المخ وتلقينه هذا الهدوء والسكون للاعصاب اثراً كبر في ازالة هذه الامراض العصبية المؤلمة

(كيف نحصل علي تهديء المخ وكيف نجعله يلقن ذلك الاعصاب)

رأى الدكتوران ليبولت وليفي ان أحسن وسيلة لذلك تضمن حصول الهدوء المطلوب الذى له أكبر النتائج علي صحة الاعصاب هي أن يجلس الانسان أو يستلقي علي سريره في غرفة بعيدة عن اللغط فيقفل عينيه ويخلي فكره من جميع الشواغل ويرخي جميع عضلاته ويستمر علي هذه الحالة زمنا حتى يصير كمن هو علي وشك النوم فاذا شعر جسمه براحة تامة وعقله بهدوء عظيم كان ذلك وقت العمل . فاذا كان يريد ان يستشفي من ألم في الدماغ أو من خوف

يعتريه أحياناً أو من وسوسة تقلقه كثيراً فليقل في نفسه مثلا « أنا لا أشعر بألم في الرأس مطلقاً » أو « أنا ثابت الجأش رابط الجنان لا أشعر بخوف وهمي » أو « أنا صحيح العقل لا أتوسوس ولا أتردد في الامور » الخ

فاذا قالها في نفسه مرتين بينهما هدوء مدة ثلاث ثوان فليسكن ثلاث ثوان اخرى ثم ليقلها بصوت خافت بحيث تسمعه أذناه ربع مرات ، بين كل مرة وأخرى ثلاث ثوان . فاذا تم ذلك فليقلها ثلاث مرات أخرى بصوت أعلى بين كل مرة ومرة ثلاث ثوان . ثم ليقلها مرتين اخريين بصوت جهوري صريح ثم ليقم بدون ان يفكر فيما قال

قال الدكتور ليفي فيكون نتيجة ذلك كأن أحداً أنامه نوماً مغناطيسياً ولقنه هذه الاوامر فيزول عنه الصداع أو يقوى جأشه ولا يعود يخاف على جاري عادته أو تزايله الوسوسة التي كانت تقلقه

ولا بد من تكرار هذا العمل حتى ينتج نتيجة ثابتة مستمرة

يقول أصحاب هذه المعالجة النفسية في تعليلها ان هذه الاوامر التي تصدر من المخ وهو المتسلط على جميع الاعضاء تسرى منه الي الاعصاب فتنطبع فيها انطباعاً غريباً وتحدث عين النتائج التي تحدث فيها لو نوم الشخص تنويماً مغناطيسياً ولقنها تلقيناً استهوائياً . وقد ذكروا لها حوادث شفاء كثيرة وانفي سعة علم الدكتور بن ليبولت وليفي وبعدهما عن السفاسف ما يضمن صدق ماذهبا اليه وقد شاعت طريقتهما في أوروبا وظهرت فيها مؤلفات عديدة

﴿ عصر ﴾ الشيء يعصره عصراً استخرج ماءه . و (عصره) عصره . و (عاصره) كان في عصره . و (أعصر الرجل) دخل في العصر . و (انعصر) خرج مافيه من الماء . و (اعتصر الثوب) عصره . و (العُصار والعُصارة) ماتحلب من الشيء المعصور . و (العَصْر) الدهر واليوم • والليلة • والعشي الي احرار الشمس واسم الصلاة • . و (المعصار والمِعْصَر والمِعْصَرة) آلة العصر . (وقت صلاة العصر) تبتدىء آخر وقت الظهر (انظر ظهر)

﴿ العُصْعُص ﴾ والعَصْعَص عَجْب الذنب

﴿ عصفت ﴾ الريح تعصف عَصْفاً

وعُصوفاً اشتدت فهي (عاصف وعاصفة) و (العَصْف) ورق الزرع . و بقل الزرع قال تعالي (جعلهم كعصف مأكول) اى كورق أكلته البهائم او ورق اخذ مافيه من الحب

(العَصوف) الريح الشديدة

﴿ العصفر ﴾ هوزهر القرطم ويسمي البهرمان والزرد . تسقط قوته بعد ثلاث سنين . من خواصه الطبية انه يجلو سائر الآثار كالبهق والكلف والحكة والقوبا خصوصاً ويحل المدة ويذيب كل جامد من الدم مطلقاً ويقوى الكبد ويطيب الرائحة والاطعمة ويسرع باستوائها . وهو يضر الطحال و يصلحه العسل . و يشرب الي مثقال

﴿ العصفور ﴾ طائر يطلق علي مادون الحمام من الطير قاطبة جمعه عصافير

﴿ ابن عصفور ﴾ هو علي بن مؤمن ابن محمد بن علي العلامة ابن عصفور الحضرمي الاشبيلي حامل لواء العربية بالاندلس أخذ عن ابي الحسن الرباح ثم عن ابي علي الشلوبين • وتصدى للاشتغال مدة ولازم الشلوبين عشر سنين الي ان ختم عليه كتاب سيبويه . وكان أصبر الناس على المطالعة . درّس للناس باشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية

قال ابن الأثير لم يكن عند ابن عصفور مايؤخذ عنه سوى العربية ولا تأهل لغير ذلك . قال وكان يخدم الامير عبد الله محمد ابن أبي بكر الهنتاتي

ولد سنة (٥٩٧) وتوفي سنة (٦٦٩) بتونس

من مؤلفاته : كتاب الممتع وكتاب المفتاح وكتاب الهلال وكتاب الازهار وكتاب انارة الدياجي ومختصر الغرة . ومختصر المحتسب . والسالف والعذار وشرح الجمل والمقرب في النحو ويقال ان حدوده كلها مأخوذة من الجزولية . والبديع وشرح الجزولية وشرح المتنبي . وسرقات الشعراء . وشرح الاشعار الستة . وشرح المقرب . وشرح الحماسة . وهذه الشروح لم يكملها

كان له شعر حسن منه قوله :

لما تدنست بالتخليط في كبرى
وصرت مغرى برشف الراح واللعس
رأيت انخضاب الشيب استرلى
ان البياض قليل الحمل للدنس

﴿ عصم ﴾ الشيء يعصمه حفظه و (اعتصم بالله) امتنع برحمته عن المعصية.

و (اعتصم بفلان) التجأ اليه و(استعصم) تحرى مايعصمه. و (العاصمة) لقب المدينة وقد أطلقت اليوم علي قاعدة الملك جمعها عواصم

يقال : (كن عِصامياً) أى معتمداً علي نفسك لاغير. و عِصام رجل من العرب قال مرة :

نفس عِصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما

فضرب به وببيته هذا المثل

(المِعصَمة) القلادة جمعها عِصَم. و (المِعصَمة) ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها . و (المِعصَم) موضع السوار من الساعد

عاصم القارىء هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بهدلة مولي بنى خذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن اسد

كان أحد القراء السبعة والمشار اليه في القراءات أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيس . وأخذ عنه أبو بكر عياش وأبو عمر البزاز واختلفوا اختلافاً كثيراً في حروف كثيرة

توفي عاصم سنة (١٢٧) بالكوفة

المستعصم هو آخر الخلفاء العباسيين (انظر تاريخه في كلمة عباسيون)

المعتصم بن صمادح هو أبو يحيي محمد بن معن بن محمد بن احمد صمادح المنعوت بالمعتصم التجيبى صاحب المرية وبجاية والصمادحية من بلاد الاندلس

كان جده محمد بن احمد بن صمادح صاحب مدينة (وشقة) وأعمالها في عهد المؤيد هشام بن الحكم الأموى فحاربه ابن عمه منذر بن يحيي فعجز محمد عن دفعه فترك له مدينة وشقة وفر وكان صاحب رأى ودهاء ولسان وعارضة ولم يكن في رجال الحرب من يعدله في هذه المزايا وكان ولده معن والد المعتصم مصاهراً لعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بالنسية فلما قتل زهير مولي أبيه وكان صاحب المرية وثب عبد العزيز علي المرية فملكها فحسده علي ذلك مجاهد بن عبد الله العامرى المكنى أبا الجيش صاحب دانية فخرج قاصداً بلاد عبد العزيز وهو بالمرية مشتغل بتركة زهير . فلما سمع بخروج مجاهد خرج من المرية واستخلف بها صهره ووزيره معن ابن صمادح والد المعتصم فخانه في الامانة وغدر به وطرده عن الامارة فلم يبق في ملوك الطوائف بالاندلس أحد الا ذمه علي هذه الفعلة . ولما مات انتقل الملك الى المعتصم ابنه وتسمى بأسماء الخلفاء

كان المعتصم رحب الفناء جزيل العطاء حليما طافت به الآمال وأحدقت به الشعراء ولزمه جماعة من فحولهم كأبي عبد الله بن الحداد وغيره وله هو نفسه أشعار حسنة . فمن ذلك ما كتبه الى ابي بكر بن عمار يعاتبه :

وزهدني في الناس معرفتى بهم
وطول اختبارى صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني
مباديه الا ساءني في العواقب
ولا صرت ارجوه لدفع ملمة
من الدهر الا كان احدى النوائب

فكتب اليه ابن عمار جوابها وهي أبيات كثيرة . ومن شعر المعتصم :

يامن بجسمي لبعده سقم
ما منه غير الدنو يبريني
بين جفوني والنوم معترك
تصغر منه حروب صفين
ان كان صرف الزمان أبعدني
عنك فطيف الخيال يدنيني

ولأبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ابن ابراهيم الحداد الشاعر في مدحه قصائد بديعة منها قصيدته التى أولها :

لعلك بالوادى المقدس شاطيء
فكالعنبر الهندى ما أنا واطيء
ولي من رياك واجد ريحهم
فروح الهوى بين الجوانح ناشيء
ولي في السرى من نارهم ومنارهم
حداة هداة والنجوم طوافيء
لذلك ماحنت ركابي وحمحمت
عرابي واوحي سيرها المتباطيء
فهل هاجها ما هاجنى ولعلها
الى الوجه من نيران قلبى لواجيء
رويداً فذاواد للبنى وانه
لورد لباناتي واني لظاميء
و ياحبذا من آل لبنى مواطن
و ياحبذا من أرض لبنى مواطيء
ميادين تهيامي ومسرح خاطرى
فللشوق غايات بها ومبادىء
ولا تحسبوا غيداً حوتها مقاصر
فتلك قلوب ضمنتها جآجيء
وفي الكلة الزرقاء مكلوء عزة
تحف به زرق العوالي الكواليء
محامله السلوان مبعث حسنه
فكل الي دين الصبابة صابيء

ومنها :

تمنى مدى قرطيه عفر توالع
وتهوى ضيا عينيه عين جوازيء
وفي ملعب الصدغين أبيض ناصع
تخلله للحسن أحمر قانيء
أفاتكة الألحاظ ناسكة الهوى
ورعت ولكن لحظ عينك خاطيء
وآل الهوى جرحي ولكن دماؤهم
دموع هوام والجروح مآقيء
وكيف أعاني كلم طرفك في الحشا
ولكن لتمزيق المهند راقيء
ومن أين أرجو برء نفسي من الجوى
وما كل ذي سقم من السقم بارىء

ثم خرج من هذا الي المدح وهي قصيدة عصماء طويلة

وقصده أيضاً من شعراء الاندلس أبو القاسم الأسعد بن بليطة وهو من فحول شعرائهم ومدحه بقصيدته الطائية التي أولها :

برامة ريم زارني بعد ما شطّا
فقنصته بالحلم في الشط فاشتطا
رعي من أناس في الحشا ثمر الهوى
ولم يدع السوار فيها ولا الخطا

ومنها .

وقد ذاب كحل العين في دمع نحره
الي أن تبدى الصبح كلامة الشمطا
كأن الدجي جيش من الزنج نافر
وقد أرسل الاصباح في أثره القبطا

ومنها في صفة الديك :

كأنّ أنو شروان أعلاه تاجه
وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه
ولم يكفه حتى سبي المشية البطا

ومنها :

توهم عطف الصدغ نوناً بخدها
فبانت بمسك الخال تنقطه نقطا
غلامية جادت وقد جمل الدجي
خاتم فيها فص غالية خطا
غدت تنقع المسواك في برد ثغرها
وقد ضمخت مسكا غدائرها المشطا
فقلت أحاجيها بماء جفونها
ومافي الشفاه اللعس من حسنها المعطا
مفترة الألحاظ من غير سكرة
متى شربت ألحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك في حمرة اللحي
وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسي قزح قبلته فأخاله
علي الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ومنها في المديح قوله :

كأن ابا يحيي بن معن أجادها
فدلها من كفه الوكف والبسطا
ألف من در وشزر بحاره
فجادت به العليا لي جيدها سمطا
اذا سار سار المجد تحت لوائه
فليس يحط المجد الا اذا حطا
رفيع عماد النار في الليل للسرى
فما يخبط العشواء طارقه خبطا
أقول لركب يمموا مسقط الندى
وقد جاوز الركبان من دونك السقطا
أفي المجد تبغي لابن مجد مناقضا
ومن يوقد المصباح في الشمس قد أخطا

وهي طويلة جداً

وكان المعتصم قد اختص بمؤانسة الأمير يوسف بن تاشفين عند عبوره الي الالس لاعانة أهلها علي الفرنج كما بسطناه في ترجمة المعتمد بن عباد (حرف العين) فلما تغيرت نية الامير يوسف المذكور علي المعتمد وجاهره الاخير بالعداء شاركه في ذلك المعتصم فلما قصده يوسف بن تاشفين الاندلس لفتحها عزم علي خلعها

قال ابن بسام في كتابه الذخيرة وكان بينه و بين المعتصم و بين الله سريرة أسلفت له عند الامام يد مشكورة فات وليس بينه وبين حلول الناقرة به الا ايام يسيرة، في سلطانه وبلده، و بين أهله وولده. حدثني من لا أرد خبره عن أروى بعض حظايا أبيه قالت : اني لعنده وهو يوصي بشأنه، وقد غلب علي أكثر يده وسلطانه ومعسكره أمير المسلمين ، تمنى يوسف بن تاشفين ، يومئذ بحيث امدخيامه ونسمع اختلاط أصواتهم ، اذ سمع وجبة من وجباتهم ، فقال لا اله الا الله نغص علينا كل شيء حتى الموت. فقالت أروى فدمعت عيني ، فلا أنسي طرفا اليّ يرفعه، وانشاده لي بصوت لا اكاد اسمعه :

ترفق بدمعك لا تفنه
فبين يديك بكاء طويل

انتهي كلام ابن بسام .ومات المعتصم في اثر ذلك عند طلوع الفجر سنة (٤٨٤) بالمرية

﴿ العواصم ﴾ قال ياقوت الحموي هي حصون موانع وولايات تحيط بها بين حلب وانطاكية أكبرها في الجبال وربما دخل في هذه الثغور مصيصة وطرسوس وليست حلب منها وجعل أبو زيد مدينتها منبج

﴿ عصاه ﴾ يعصوه عصوا ضربه

بالعصا . و (العصا والعصاة) بمعنى واحد و (عصاه) يعصيه عصيا خرج عن طاعته و (تعصّى عليه) عصاه ومثله استعصى عليه

عضبه يعضبه عضبا قطعه . و (عضب الكبش) يعضب عضبا صار أعضب أى مشقوق الاذن . و (الأعضب) أيضا من ليس له أخ

عضده يعضده عضدا أعانه ونصره . و (عاضده) ساعده و(اعتضد الشيء) جعله في عضده واحتضنه و (العضد) الساعد وهو من المرفق الي الكتف

عضه يعضه عضا معروف . و (أعضه الشيء) جعله يعضه . و (العضوض) الكثير العض . (الملك العضوض) الملك الجائر

عضل عليه يعضل عضلا ضيق عليه وحبسه . و (عضل) الرجل يعضل عضلا صار كثير العضل و(عضل المرأة) عن الزواج يعضلها و يعضلها عضلا منعها عنه . و (عضّل المرأة) عضلها . و (أعضل الامر) أشكل واشتد . و (تعضّل الداء) غلب . و (المعضلة) الداهية جمعها معضل و (العضلة) كل عصبة معها لحم عظيم مكتنز و (العضال) الشديد و (المعضلات) المشكلات جمعه معضلة

المزاج العضلي صاحبه يكون قوى البنية عظيم العضل بحيث تكون عضلاته ظاهرة مرتفعة تحت الجلد ويكون قصيرا متوسط السمن متوسط حجم الرأس له ميل للاعمال الجسدية ولا ميل له للاشغال العقلية و يكون ضعيف الاحساس قوى الهضم وتكون أمراضه منتظمة السير قصيرة المدة سليمة العاقبة غالبا

العضاه كل شجر يعظم وله شوك الواحدة عضاهة وعضة و(التعضيهة) الافك والبهتان

العضو كل عظم وافر من الجسد بلحمه . و (العضة) الفرقة والقطعة من الشيء جمعها عضون

المادة العضوية هي المادة التى يدخل في تركيبها الكربون وسميت عضوية لانها آتية من اعضاء حيوانية او من نباتات

عطب الرجل يعطب عطبا هلك . و (أعطبه) اهلكه و (العطب) الهلاك

عطر الرجل يعطر عطرا تطيب فهو (عطر) و (تعطّر) تطيب و (البيطارة) حرفة العطار . و (العيطر) اسم جامع للطيب . و (العطّار) بائع العطر . و (المعطار) الذى عادته التعطر

العطار هو عبد الله بن محمد الازدى المغربي المعروف بالعطار

قال ابن رشيق في الانموذج هو شاعر حاذق نقي اللفظ جيد لطيف الاشارات ، مليح العبارات ، صحيح الاستعارات ، علي شعره ديباجة ورونق يمازج النفس ، و يملك الحس ، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة ولم أر عطارديا مثله لاترى عنه شيئا الا صنعته يده . وكان الامير حسين بن ثقة الدولة قد أراده للكتابة فأبى وكانت له عند عبد الله بن حسين بمدينة طرابلس الغرب حال شريفة وجراية ووظيفة الى أن نازعته نفسه الي الوطن وكانت وفاته بعد السمائة

ومن شعره قوله :

شكوت اليه جفونه ... ومن خاف الصدود شكا
فاجرى في العقيق الدر ... وامتبقاه فامسكا
فقلت مخاطبا نفسي ... أرق للوعى فبكا
فقالت مابكت عينا ... ه لكن خده ضحكا

ومن شعره أيضا :

مهفهف القامة ممشوقها ... مستملح الخطرة معشوقها
في طرفه من سحر أجفانه ... دعوى وفي جسمي تحقيقها

وقال أيضا :

أودعت صبرى عين الشوق مختبرا ... مامحنها وخبأت النوم في الأرق
لله وجنته ياما أميلحها ... كم بت مشتملا منها علي حرق
حتى اذا زال صبح الخد عنه بدا ... ليل تزين في أعلاه بالشفق
كدوحة الورد رواها الحيا فبدا ... نوارها وتوارى الشوك بالورق

عطارد كوكب من المجموعة الشمسية (أنظر فلك وكوكب)

عطس الرجل يعطس ويعطس عطسا وعطاسا . معروف و (العاطوس) مايعطس منه . و (المعطس) الانف جمعه معاطس

﴿ عطش ﴾ الرجل يعطش عطشا معروف . و (تعطّش) تكلف العطش و (العطش) الظمأ . و (العطشان) ذو العطش

﴿ عطف ﴾ اليه يعطف عطفا وعطوفا مال . و (تعطّف عليه) اشفق عليه ورق . و (تعاطفوا) عطف بعضهم علي بعض . و (انعطف الشيء) انثنى . و (استعطفه) سأله أن يعطف عليه . و (المعطف) الابط . و (عطف كل شيء) جانبه

﴿ العطف ﴾ في علم النحو هو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد هذه الاحرف وهي : الواو والفاء وثم وأم و بل ولكن ولا وحتى . نحو : جاء محمد وعمر الخ . الواو لمطلق الجمع والفاء للترتيب مع التعقيب . وثم للترتيب مع التراخي وأو لأحد الشيئين وأم للمعادلة ولكن للاستدراك ولا للنفي و بل للاضراب وحتى للغاية

لايحسن العطف علي الضمير المستتر أو ضمير الرفع المتصل الا بعد الفصل نحو قوله تعالى : «أسكن أنت وزوجك الجنة» ويعطف الفعل علي الفعل نحو قوله تعالي : « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولايسألكم أموالكم »

(عطف البيان) زاد أكثر النحاة تابعا خامسا سموه عطف البيان وعرفوه بأنه تابع يشبه الصفة في توضيح متبوعه كاللقب بعد الاسم في نحو قولك علي زين العابدين . والاسم بعد الكنية نحو أبو حفص عمر . والظاهر بعد الاشارة في نحو هذا الكتاب والموصوف بعد الصفة في نحو الكليم موسي . والتفسير بعد المفسر في نحو العسجد اى الذهب . ومن لم يثبت عطف البيان من النحاة جعله من البدل المطابق

﴿ العطف ﴾ قرية مصرية تابعة لمركز رشيد من مديرية البحيرة يسكنها نحو ١٥٠٠ نسمة و بينها و بين مركزها نحو ست ساعات ونصف

﴿ عطل ﴾ الامر يعطل عطالة بطل يبطل بطالة و (عطل من المال) يعطل عطلا خلا فهو (عُطل وعُطُل) و (عَطِلت المرأة) تعطل وعطلت تعطل خلت من الحلي فهي عاطل . و (عطّل فلانا) أخلاه وفرغه . و (المعطلة) البقاء بلا عمل . و (التعطيل) في الاصطلاح الديني هو انكار صفات الخالق سبحانه وتعالي . و (المُعطِّلة) أصحاب مذهب التعطيل

﴿ العطن ﴾ مناخ الابل حول موردها . ومربضها حول الماء لتشرب . يقال (فلان واسع العطن) أى كثير المال و (عطن الجلد) يعطن عطنا وضع في الدباغ وترك مافسد وأنتن

﴿ عطا ﴾ الشيء يعطوه عطوا تناوله و (عاطاه) ناوله و (تعاطاه) تناوله و (استعطي) سأله العطاء . و (العطا والعطاء) النوال جمعه (أعطية) وجمع الجمع عطيات و (العطية) مايعطي جمعه عطايا . و (المعطاء) الكثير العطاء جمعه معاط ومعاطي

﴿ عطاء بن أبي رباح ﴾ هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم وقيل سالم ابن صفوان مولي بنى فهر أو جمح المكي . وقيل انه مولي أبي ميسرة الفهرى من مولدى الجند

كان من أعيان الفقهاء وتابعي مكة وزهادها . سمع جابر بن عبد الله الانصارى وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير وخلقا كثيرا من الصحابة وروى عنه عمرو بن دينار والزهرى وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والاوزاعي وخلق كثير . واليه والي مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما

قال قتادة أعلم الناس بالمناسك عطاء

وقال ابراهيم بن عمرو بن كيسان : أذكرهم في زمان بنى أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح لايفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح واياه عنى الشاعر بقوله :

سل المفتي المكي هل في تزاور
وضمة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب التقي
تلاصق أكباد بهن جراح

فلما بلغه البيتان قال والله ماقلت شيئا من هذا

كان عطاء أسود اللون فاقد احدى عينيه أفطس أشل أعرج ثم عمي مفلفل الشعر

قال سليمان بن وكيع دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون علي رجل فاطلعت فاذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب اسود

وحكي وكيع قال قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت أخطأت في خمسة أبواب

من المناسك بمكة فعلمنيها حجام . وذلك اني أردت أن أحلق رأسي فقال لى اعرابي أنت ؟ قال نعم . وكنت قد قلت له بكم تحلق رأسي . فقال النسك لايشارط فيه . اجلس فجلست منحرفا عن القبلة . فأومأ الى باستقبال القبلة . وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر . فقال أدر شقك الأيمن من رأسك فأدرته . وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت فقال لي كبر . فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب . فقال أين تريد ؟ قلت رحلي . فقال صل ركعتين ثم امض . فقلت ماينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام الا ومعه علم . فقلت من أين لك ما رأيتك أمرتني به ؟ فقال رأيت عطاء ابن أبي رباح يفعل هذا

وحكي عن خليفة بن سلام عن يونس قال سمعت الحسن البصرى ذات يوم في مجلسه يقول اعتبروا من المنافق بثلاث ان حدث كذب وان ائتمن خان وان وعد اخلف . فبلغ ذلك عطاء . فقال قد كانت هذه الخلال الثلاث في ولد يعقوب حدثوه فكذبوه وائتمنهم فخانوه ووعدوه فأخلفوه فأعقبهم الله النبوة . فبلغ الحسن فقال وفوق كل ذى علم عليم .

توفي سنة خمس عشرة ومائة وقيل أربع عشرة ومائة وعمره ثمان وثمانون سنة وقال ابن أبي ليلي حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة

﴿ عظم ﴾ الشيء يعظم عظما كبر فهو عظيم . و (أعظم الشيء) عظمه . و (تعظم وتعاظم) تكبر . و (تعاظمه الامر) عظم عليه . و (العظم) قصب الحيوان الذى عليه اللحم . ومجموع عظام الانسان تسمي الهيكل العظمي . وقد تكلمنا عليه في كلمة تشريح مادة شرح . و (العظمة) الكبر و (معظم الشيء) أكثره

﴿ عفره ﴾ في التراب يعفره عفراً مرغه ودلكه أو دسه فيه و (عفر الظبي) يعفر عفراً كان أعفر أى أشبه لونه لون العفر و (عفره) بمعنى عفره . و (انعفر في التراب) تمرغ فيه . و (انعفر الشيء) ترب . و (العفر) ظاهر التراب . و (الأعفر) من الظباء مايعلو بياضه حمرة و (العفريت) النافذ في الامر المبالغ فيه مع دهاء

يقال (هو عفريت نفريت) أى شديد الخبث ونفريت اتباع لعفريت . و (عفريت من الجن) أى شديد خبيث

منهم (انظر جن وابليس) . و (تعفرت الرجل) صار عفريتا

﴿ المعافرى ﴾ هو أبو طالب عبد الجبار محمد بن علي بن محمد بن المعافرى المغربي

كان اماما في اللغة وفنون الادب جاب البلاد وانتهي الي بغداد وقرأ بها واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ودخل مصر سنة (٥٥١) وقرأ عليه ابو محمد عبد الله بن برى وكتب بخطه كثيرا واكثر ما كتب في الادب وقد اتقن ضبطه غاية الاتقان . وقد كتب بخطه علي بعض ما نقله

اقسم بالله علي كل من
أبصر خطي حينما ابصره
ان يدعو الرحمن لي مخلصا
بالعفو والتوبة والمغفرة

توفي سنة (٤٦٦) وهو عائد الي المغرب من الديار المصرية

﴿ عفش ﴾ الشيء يعفشه عفشاً جمعه . والعفاشة من لاخير فيه من الناس

﴿ عفص ﴾ الثوب صبغه بالعفص و (العفص) حمل شجرة البلوط واحدته عفصة . و (العفوصة) المرارة والقبض اللذان يعسر معها الابتلاع

﴿ العفص ﴾ شجر جبلي يقارب البلوط له ثمر أجوده الصغير البالغ الأخضر الرزين المتكرج وارده الاملس الخفيف ويبقي قوته ثلاث سنين

من خواصه الطبية انه يحلل الاورام ويحبس الدم والاسهال ويصلح المقعدة والرحم من سائر أمراضها ويجفف القروح ويمنع سعي النملة والآكلة شربا وطلاء خصوصا ان طبخ بالخل أو الشراب ويشد اللثة والاسنان ويمنع تآكلها ويقع في أكحال الدمعة كالسلاق والجرب ويحبس العرق ويقطع الرائحة الكريهة وهو اعظم عناصر صبغ الشعر والحبر . ويزيل القلاع والقوابي واللحم الزائد . وهو يضر الصدر وتصلحه الكثيراء وشربته الي مثقال وبدله قشر الرمان في غير البثق

﴿ عف ﴾ الرجل يعف عفا وعفافا وعفة كف عما يحرم ويقبح فهو عف وعفيف . و (تعفف) عنه . و (العفة) الاعتدال في أداء مطالب الشهوة

﴿ عفن ﴾ اللحم يعفن عفنا تغير ريحه و (عفن الشيء) يعفن عفونة فسد ومثله تعفن

﴿ التعفن ﴾ كما برهن عليه الدكتور العلامة باستور الفرنسي نتيجة تأثير حيوانات ميكروسكوبية ينقل الهواء أصولها للمواد القابلة للتعفن ومن ذلك اذا وضعت قطعة من الخبز في قليل من الماء أو عطنت نباتات في الماء أياما فانه يرى بالميكروسكوب في السائل المتعفن عدد لا يحصي من كائنات صغيرة حية سماها الميكروبات (انظر هذه الكلمة)

﴿ عفا ﴾ عنه يعفو عفوا صفح عنه و (عَفَت الريح المكان) درسته ومحته. و (عفا الاثر) امحي . و (عفا الشعر) كثر وطال . و (عافاه الله معافاة وعافية) أعطاه العافية . و (أعفاه الله من المكاره) بمعنى عافاه . و (تَعَفَّي الشيء تَعَفِّيا) درس واضمحل . (تعافي الرجل) نال العافية . و (اعتفي فلانا) جاءه لطلب معروفه . و (العافي) القاصد لطلب المعروف . و (العفاء) التراب والدروس والهلاك . و (العفو) احل المال وأطيبه وخيار الشيء . والعفو من المال مايفضل عن النفقة . و (عَفْوة الشيء) صفوته. و (العَفُوّ) الكثير العفو

﴿ عفا ﴾ الشعرَ يعفيه عفيا تركه حتى يكثر ويطول

﴿ عقب ﴾ فلان فلانا في أهله يَعقُبه عَقْبا خلفه فيهم. و (عَقَبه) جاءه بعقبه وأتي بشيء بعده . و (عاقبه) جاء بعقبه . (عاقبه) في الراحلة ركب هو مرة وركب الآخر مرة . و (عاقبه بذنبه) أخذه به . و (أعقبه في وظيفته) خلفه فيها و (تعاقبوا) عقب بعضهم بعضا و (العاقبة) آخر كل شيء

﴿ العقاب ﴾ طائر من الجوارح يجمع علي أَعْقب والكثير عُقبان وعقابات وقد عرف العرب هذا الطائر واشتهر لديهم في الشعر فضربوا به المثل في العز والمنعة فقالوا أمنع من عقاب الجو . وقد كنوه بأبي الأشيم وابي الحجاج وابي حسان وابي الدهر وابي الهيثم . وكنوا الانثي بام الحوار وام الشمر وام طلبة وام لوح وام الهيثم

والعرب تسمي العقاب الكاسر ويقال لها الخدارية للونها وهي مؤنثة اللفظ وقيل العقاب يقع علي الذكر والانثي والتمييز باسم الاشارة

قال في الكامل : العقاب الطيور والنسر عريقها

وهي نوعان عقاب وزمج فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسنع والابيض والاشقر ومنها ما يأوى الجبال وما يأوى حول المدن . ويقال ان ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوى شيئاً (عن الدميرى)

يقال ان العقاب جميعها أنثي وان الذى يسافده طير آخر من غير جنسه . قال ابن عنين الشاعر في ذلك يهجو رجلا :

ما أنت الا كالعقاب فأمه
معروفة وله أب مجهول

العقاب تبيض ثلاث بيضات غالباً تحضنها عشرين يوما . فاذا خرجت فراخ العقاب ألقت واحداً منها لانه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها . والفرخ الذى تلقيه يعطف عليه طائر آخر يقال له كاسر العظام ويسمي المكلفة فيربيه . ومن عادة هذا الطائر ان يزق كل فرخ ضائع . والعقاب اذا صادت شيئا لا تحمله علي الفور الي مكانها بل تنقله من موضع الي موضع . وهي لا تقعد الا علي الأماكن المرتفعة . واذا صادت الارانب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار

وهي أشد الجوارح حرارة واقواها حركة وأيبسها مزاجا وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغذى بالعراق وتتمشي باليمن وريشها الذى عليها فروتها في الشتاء وحليتها في الصيف ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ علي ظهرها ونقلتها من مكان الي مكان فعند ذلك تلتمس لها عينا صافية بأرض الهند علي رأس فتغمسها فيها ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ثم تغوص في تلك العين فاذا هي عادت شابة كما كانت

هذا ما قاله مؤلفو العرب وهو مما لا يحتمل النقد بل هو من الاوهام التى لا تستند علي علم

قالوا وهي تأكل الحيات الا رؤسها والطيور الا قلوبها كما قال امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قول طرفة بن العبد:

كأن قلوب الطير في قعر عشها
نوى القسب ملقي عند بعض المآدب

قيل لبشار بن برد الشاعر لو خيرك الله ان تكون حيوانا ماذا كنت تختار ؟ قال العقاب لانها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير ولا تعاني الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذى

صيد صيده
ومن شأنها ان جناحها لايزال يخفق
قال عروة بن حزام :
لقد تركت عفراء قلبي كأنه
جناح عُقاب دائم الخفقان
ضرب العرب المثل بالعقاب فقالوا.
امنع من عُقاب الجو قاله عمرو بن عدى لقصير
ابن سعد في قصة الزباء المشهورة . وفي
ذلك يقول ابن دريد في مقصورته :
واخترم الوضاح من دون التي
أملها سيف الحمام المنتضي
وقد سما عمرو الي أوتاره
فاحتط منها كل عالى المنتهي
فاستنزل الزباء قسرا وهي من
عُقاب لوح الجو أعلي منتهي
جعلها بامتناعها بمنزلة لوح الجو .
واللُوح الهواء بين السماء والارض والجو
أيضا وما بينهما

﴿ العَقِب ﴾ كالعَقِيب هو مؤخر القدم والولد وولد الولد جمعه أعقاب . و (العُقب والعُقُب) العاقبة . و (جاء في عَقِبه) أي بعده تاليا له . و (العَقَبة) مرقى صعب من الجبل جمعها عقاب و عَقَبات و (العُقْبة) النوبة والبدل

﴿ العَقَبة ﴾ ثغر علي خليج العقبة من البحر الاحمر في شبه جزيرة الطور لتركيا

﴿ العقابيل ﴾ الشدائد

﴿ عقد ﴾ الحبل والبيع يعقده عقدا أحكمه وشده . و (عقِد الرجل) يعقَد كان في لسانه عقدة . و (عقَد العسل) أغلاه حتى غلظ . و (عقَد الكلام) عماه . و (عاقده) عاهده . و (تعقّد العسل) غلظ و (تعقّد الامر) أشكل . و (اعتقد كذا) صدقه وعقد عليه ضميره و (اعتقد مالا) جمعه . و (العُقود) من الاعداد أولها العشرة وآخرها التسعون . و (العِقد) القلادة . و (رجل عَقِد) في لسانه عقدة . و (العَقَد) ما تعقد من الرمل . و (المُعقدة) موضع العقد وما عقد عليه . و (المَعقِدة) ما عقد عليه القلب . و (المَعاقد) المعاهد و (المُعتقَد) مصدر ميمي بمعنى الاعتقاد وما يعتقده الانسان من أمور الدين

﴿ عقَره ﴾ يعقِره عقرا جرحه . و (عقَرت الناقة) نحرها عقرا . و عقُرت صارت عاقرا . و (عَقُرت المرأة تعقُر عُقرا) صارت عاقرا . و (عاقره) هاجاه وسابّه . و (عاقر الشيء) لازمه . و

(العَقار) المنزل والضيعة والارض . و (العُقار) الخمر . و (العُقْر) عدم الحمل . و (عُقر الدار) وسطها وأصلها و (العَقّار) الدواء أو أصول الادوية جمعه عقاقير . و (المَعقور) الذى يعقر من الحيوان . و (العَقيرة) صوت المغنى أو الباكي والقارى.

﴿ العقرب ﴾ دويبة مفصلية تكثر في البلاد الحارة جملة أنواع منها تسكن بلاد الجزائر وجنوب فرنسا ومصر وخصوصا صعيدها والسودان وغيره . وهي تمكث عادة تحت الاحجار والاخشاب والخزانات الرطبة وتخرج لتبحث عن غذائها من الحشرات والعناكب . وهي تبيض من خمسين الي ٦٠ بيضة داخل جسمها ثم تخرج صغارها منها أحياء . ذنب العقرب طويل معقد محلي في آخره بجهاز سمي وسمها مؤثر علي المجموع العصبي . وقد وصفنا الجهاز السمي للعقرب في كلمة ابرة العقرب فانظره هناك

وجاء في كتب العرب ان العقرب دويبة من الهوام تكون للذكر والانثي بلفظ واحد . واحدة العقارب . وقد يقال للانثي عقربة وعقرباء . ويصغر علي

عُقَيرِب كانصغر زينب علي زينيب والذكر عُقرُبان وهو دابة له ارجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب

كنيتها ام عريط وأم ساهرة . منها السود والخضر والصفر وهي قواتل وأشدها بلاء الخضر . وهي مائية الطباع كثيرة الولد تشبه السمك والضب . وعامة هذا النوع اذا حملت الانثي منه يكون حتفها في ولادتها لأن أولادها اذا استوى خلقها تأكل بطنها وتخرج فتموت الأم وأنشد قول الشاعر:

وحاملة لايحمل الدهر حملها
تموت و ينمي حملها حين تعطب

والجاحظ لم يعجبه هذا القول فقال قد أخبرني من أثق به انه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل أولادها علي ظهرها وهي علي قدر القمل كثيرة العدد

العقرب أشد مايكون اذا كانت حاملا ولها ثمانية أرجل وعيناها في ظهرها . من عجيب أمرها انها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك بشيء من بدنه فانها عند ذلك تضر به وهي تأوى الى الخنافس وتسالمها وربما لسعت الافعي فتموت وهي تلسع بعضها بعضا فتموت

قال القزويني ان العقرب اذا لسعت الحية فان أدركتها وأكلتها برئت والا ماتت . وقد أشار الي ذلك الفقيه عمارة اليمني في أبياته بقوله :

اذا لم يسالمك الزمان فحارب
وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد
وخرب فار قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز
عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك
يكر علينا جيشه بالعجائب

من طبائع العقرب انها اذا لسعت انسانا فرت فرار مسيء يخشي العقاب

قال الجاحظ ومن عجيب أمرها انها لا تسبح ولا تتحرك اذا القيت في الماء سواء كان الماء ساكنا او جاريا

قال والعقارب تخرج من بيوتها الجراد لانها حريصة علي اكله . وطريق صيدها ان تشبك الجرادة في عود ثم تدخل في جحرها فاذا عاينتها العقرب تعلقت فيها . ومتى أدخل الكراث في جحرها وأخرج فانها تتبعه أيضا . وربما ضربت الحجر والمدر ومن أحسن ما قيل في ذلك:

رأيت علي صخرة عقربا
وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها انها صخرة
وطبعك من طبعها أليذ
فقالت صدقت ولكنني
أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون في موضعين بشهرزور وبعسكر مكرم وهي جرارات تلسع فتقتل وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخي حتى لا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة اعدائه

ومن لطيف أمرها انها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها

ومن نوع العقارب الطيارة . قال القزويني والجاحظ وهذا النوع يقتل غالبا

روى الجاحظ ابو نعيم في تاريخ اصفهان والمستغفري في الدعوات والبيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه قال لدغت النبي صلي الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة . فلما فرغ من صلاته قال لعن الله العقرب ماتدع مصليا ولا غيره

ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها به . ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (انتهي ما نقلناه عن الدميري)

﴿ عقص ﴾ شعره يعقصه عقصا ضفره . و (العقاص) خيط يشد به أطراف الضفائر . و (العقيصة) الضفيرة جمعها عقائص

﴿ عقف ﴾ الشيء يعقفه عقفا عطفه وعوجه و (انعقف) تعوج . و (الأعقف) الأعوج

﴿ عق ﴾ الولد والده يعقه عصاه فهو (عاق) و (العقوق) عدم البر بالوالدين

﴿ العقيق ﴾ حجر احمر يوجد باليمن وسواحل بحر رومية تعمل منه الفصوص للخواتم

قال داود الانطاكي في تذكرته هو حجر معروف يتكون بين اليمن والشجر ليكون مرجانا فيمنعه اليبس والبرد وهو أنواع أجوده الأحمر فالاصفر فالابيض وغيرها ردئ وهي أصلية لا منتقلة بالطبخ كالطين

ثم ذكر له خواص فقال : أن التختم به يدفع الهم والخفقان . وأما شربه فيذهب الطحال ويفتح السدد ويفتح الحصي ورماده يشد الاسنان واللثة وقيل المشطب منه أجود وهو يضر الكلي ويصلحه الصمغ وشربته الي نصف درهم . انتهي

نقول اننا ننقل هذا الكلام علي علاته ولا يسعنا الا اظهار ارتيابنا منه فاننا لا نعلم أية علاقة بين الهم والخفقان وبين العقيق حتى يكون التختم به مذهبا لهما . ولا نعلم ان شربه يفيد في الامراض ومع هذا فلا نستطيع ان نحكم ببطلان هذا الكلام فان اسرار الكائنات لا تحصي

﴿ عقل ﴾ الشيء يعقله عقلا فهمه و (عقل الدواء بطنه) أمسكه و (عقل البعير) قيده بالعقال . و (تعقل) تكلف العقل . و (تعاقل الرجل) أرى من نفسه العقل . و (اعتقل البعير) قيده و (العاقول نبت ترعاه الابل . و (العقال) حبل يشد به البعير جمعه عقل و (العقال) أيضا ما يشد به العرب رؤسهم

(العقيلة) الكريمة المخدرة و (عقيلة كل شيء أكرمه و (المعتقل) الملجأ

﴿ العاقول ﴾ هو شوك الجمال وهو نبت كثير الشوك حديده له زهر ابيض واصفر في وسطه كالشعر وحبه كأنه القرطم

الا انه مستدير

قال داود الانطاكي في تذكرته انه يخلص من السموم ويفتح السدد وسائر اجزاء نباته تبرىء البواسير شربا وبخورا وطلاء ولو برمادها . وعصارته تمنع الساعية قيل وتضرب به الحرة فلا تعظم : وهو يضر الكلي وتصلحه الكثيراء

العقل — هو القوة المدركة في الانسان وهو مظهر من مظاهر الروح محله المخ كما ان الابصار خاصة من خصائص الروح آلته البصر

الماديون ينكرون ذلك ويعدون العقل نتيجة الشعور الموجود في الانسان وعندهم ان الروح نتيجة التركيب الانساني على مثال روح الحيوان . ولكنها أرقي من روح الحيوان لقبول الانسان الرقي دون الحيوان . ولكن جاء علم التنويم المغناطيسي وفن استحضار الارواح فأثبتا ان للانسان روحا متمتعة بخصائص عالية يحجبها هذا الجسد عن الظهور (اقرأ ما كتبناه في كلمة روح)

قال فلاسفة العرب :

بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسن والقبيح وهو قسمان : غريزي ومكتسب . قال الدقي : العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل ، وعقل يستفيده المرء به وهو الفرع . فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة ولذلك قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

قال الماوردى : العقل الغريزى هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف لايجاوزه الي زيادة ولا يقصر الي نقصان وبه يمتاز الانسان عن سائر الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الي حد الكمال

واختلف الناس في حد العقل وفي صفته علي مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين الحقائق والمعلومات وهذا القول في العقل بأنه جوهر لطيف فاسد من وجهين (احدهما) ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها مالا

يوجب سائرها، ولو أوجب سائرها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله

و (الثاني) ان الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهراً لجاز ان يكون عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون العقل جوهراً

وقال آخرون العقل هو المدرك للاشياء علي ماهي عليه من حقائق المعنى . وهذا القول وان كان أقرب مما قبله لبعيد من وجه واحد ، وهو ان الادراك من صفات الحي والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون متلذذاً او آلماً او مشتهياً

وقال آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية . وهذا الحد غير محصور لما تضمنه من الاجمال ، ويتأوله من الاحتمال . والحد انما هو بيان المحدود بما ينفي عنه الاجمال والاحتمال

ثم قال الماوردى :

وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل هو العلم بالمدركات الضرورية . وذلك نوعان : احدهما ماوقع عن درك الحواس والثاني ما كان مبتدأً في النفوس

فأما ما كان واقعاً عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر والأصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس . فاذا كان الانسان ممن لو أدرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم لأن خروجه في حال تغميض عينيه من ان يدرك بهما و يعلم لا يخرجه من أن يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو أدرك لعلم

وأما ما كان مبتدأً من النفوس فكالعلم بأن الشيء لايخلو من وجود أو عدم ، وان الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم . وأن من المحال اجتماع الضدين، وان الواحد أقل من الاثنين . وهذا النوع من العلم لايجوز ان ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله . فاذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل

ثم قال الماوردى بعد هذا : ان العقل المكتسب هو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكر وليس لهذا حد لانه ينمي ان استعمل وينقص ان اهمل . ونماؤه يكون بأحد وجهين

الوجه الاول بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضامانع من هوى ولا صادمن شهوة كالذى يحصل لذوى الاسنان من الحنكة وصحة الروية لكثرة التجارب ،وممارسة الامور ولذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم : المشايخ أشجار الوقار ، ومناجع الاخبار ، لايطيش لهم سهم، ولا يسقط لهم وهم ، ان رأوك في قبيح صدوك وان أبصروك علي جميل أمدوك

وقيل عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت علي عيونهم وجوه العبر ، وتصدت لاسماعهم آثار الغير

وأما الوجه الثاني فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس في زمان غير مهمل للحدس • فاذا امتزج بالعقل الغريزى صارت نتيجتهما نمو العقل المكتسب • كالذى يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة الرأى حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة : عليكم بالحديث السن الحديد الذهن • ولعل هرماً أراد أن يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قاله • لكن لم ينكرا قوله اذعاناً للحق فصاراالي أبي جهل لحداثة سنه وحدة ذهنه فأبي ان يحكم بينهما فرجعا الي هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد :

يا هرم بن الاكرمين منصبا

انك قد أوتيت حكما معجبا

انتهي ماأخذناه عن الماوردى

وقد قسم العلامة القزوينى القوى العقلية الي أربعة أقسام مرجعها الي هذين القسمين وهما العقل الغريزى والعقل المكتسب فقال :

القوى العقلية أربعة أقسام (الاول) القوة التى يفارق الانسان بها البهائم وهى التى بها أستعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة الغريزية التى بها يستعد الانسان لادراك العلوم النظرية، فكما ان الحياة هى الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية، فكذلك هذه القوة الغريزية تهيىء الانسان للعلوم النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الهيولاني وهى مجرد الاستعداد الذى هو موجود في الطفل وغير موجود في ولد البهيمة

(الثاني) القوة التى تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين

أ كثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة . والحكماء يسموه العقل بالملكة

و (الثالث) قوة يعقل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الاحوال فمن اتصف بها يقال انه عاقل في العاده ومن لم يتصف بها يقال انه غبى غمر فيقال لها معان مجتمعة في الذهن من مقدمات تستنبط بها المصالح في الاعراض

و (الرابع) قوة بهـا تعرف حقائق الامور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتحتمل المكروه العاجل لسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمي صاحبها عاقلا حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة . والاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب . انتهي كلام القزوينى

قلنا ان عضو التعقل هو المخ وقد عنى الباحثون في وظائفه بتحديد خواص كل جهة فيه ولا يعنينا هنا البحث في هذا الامر لأنه لايزال ظنيا وانما الذى يعنينا أن نبين أدوار ترقي العقل في الحياة فنقول للعقل ثلاثة أطوار لكل طور منها أحوال خاصة

الطور الاول يبتدىء من السنة الاولي الى السنة السابعة من سن الطفل فيكون عرضه لتأثير المؤثرات عليه فتنطبع فيه الصور كما تنطبع في المرآة الصقيلة فيحفظها فيه

والطور الثاني من السنة السابعة الي الرابعة عشر . في هذا الطور يرتقي العقل من حالة القبول والانفعال الى دور الفكر والنظر في العلل والمعلولات . وتحيا في هذا الطور القوة الحافظة . أما قوة التخيل المحض فتأخذ في الضعف لأن القوه المفكرة تدفع العقل في هذا الدور الي النظر في الاشياء فلذلك يضعف تأثير تلك الاشياء في النفس فلا تهيج لها بسرعة

الطور الثالث من الرابعة عشرة الي الحادية والعشرين وفي هذا الطور يستكمل العقل سلطانه فيصير آمراً بعد ان كان مأموراً وتضعف الحافظة

الحافظة والذاكرة قوتان في النفس مثل سائر القوى العقلية وظيفة الأولي كالخزانة لما تدركه النفس وجميع مايردعلي العقل سواء كان من الجزئيات أو من

الكليات فيحفظ في النفس بتلك القوة

أما الذاكرة فهي القوة التى يمكن بها استحضار ما كان كامنا في الحافظة

أما التخيل فهي قوة في النفس تستطيع بها ان تستورد من الشيء الواحد جميع ما يلابسه من المضار والمنافع والمحاب والمكاره فمتى أريد تقوية هذه القوة وجب ان تكون الحافظة قد احتوت علي المقدار الكافي من الصور الجزئية وان تكون الذاكرة مستعدة للقيام بوظيفتها فعند ذلك يكون عمل الخيال سريع التلبية لنداء ارادة التخيل

فعلي صحة الذكر والفكر والخيال تقوم صحة العقل فمن صحت ذاكرته فاختزنت أنواع العلوم ، وصح فكره فأحسن الجولان في مناحي المعارف المكتسبة، وصح خياله فقوى علي استنباط كل ما يمكن استنباطه واكتشافه من وجوه المنافع ، كمل عقله وأوصله الي غايات الرقي الذى يتوق اليه الانسان

(الأمراض العقلية) أقرأها في كلمة عصب وكلمة جنون ومالیخوليا ووسوسة

﴿ عقمت ﴾ الرحم تعقم عقما وعُقما كانت عقيما و (عقمها) يعقمها عقما جعلها عقيما . و (عقيمت الرحم) تعقم . و (عقمت) تعقم عقما كانت عقيما . و (الداء العقام والعقام) الذى لا يرجي برؤه

﴿ العقم ﴾ في الرجال سببه عدم وجود الاحياء المنوية في السائل الملقح لسبب من الاسباب المرضية ، وأما سببه في النساء فانسداد الرحم وأعوجاجه أو علل أخرى لاتحصي . وقد قدر الاحصائيون ان العقم في الرجال يكون بنسبة ٢٠ في المائة وفي النساء بنسبة ٣٠ في المائة

هذا وقد اطلعنا علي مبحث طبي جليل في أسباب عقم النساء كتبه الجراح المشهور الدكتور فورونوف ننشره هنا وهو بتعريب مجلة (طبيب العائلة) قال حضرته :

« شغلت مسألة عقم المرأة العلماء وخصوصا الاطباء في كل زمان ومكان لأهميتها في بقاء النوع البشرى ولرغبة النساء في الحبل . وقد يصادف هؤلاء العلماء أحيانا بعضا من النساء لا يكترثن بالحبل الا انهن من جهة أخرى يشاهدون عددا كبيرا من المتزوجات لاهم لهن الا الوصول اليه فلا تستطعن الي ذلك سبيلا وقد

تشتد هذه الرغبة أحياناً حتى تصير همهن الوحيد فتشغل أفكار المرأة عن كل شيء غيرها فتصبح فيها نوعا من الخبل أو اذا شئت فقل مساً من الجنون ، علي ان عقم المرأة قلما يبقى مستعصياً ولا بد أن يزول اذا اتبعت المصابة به علاجا قانونيا دقيقا . ونجاح العلاج يتوقف علي معرفة الاسباب الحقيقية للعقم في كل حال من الاحوال وهي متعددة ومتنوعة لكل سبب منها علاج خاص به وقبل النظر في هذه نذكر كيفية حدوث الحبل بالاختصار

« الاصل في حدوث الحبل مادتان هما الحيوينات المنوية في الرجل والبويضات في المرأة ، فالحبل يتم بتقابل هاتين المادتين في الرحم وبملامستهما يحدث العلوق فتتكون بيضة الجنين . ويشترط لحصول الحبل أن تكون المادتان المذكورتان حيتين في الرجل والمرأة وأن تتقابلا في الرحم ولا يتم ذلك الا متى كان الطريق الذى تسيران فيه خالياً من العوائق التى تقف في سبيله ، فالقناة التى تنزل منها بويضات المرأة الى الرحم يجب ان تكون مفتوحة وكذلك فتحة الرحم التى توصل الحيوينات الي البويضات وأن تبقى تلك الحيوينات حية الي وصولها الي الرحم لأن الافرازات التى يفرزها الجهاز التناسلي تكون أحيانا كثيرة الحموضة فعند وصول الحيوينات اليها تموت ولا تبقى صالحة لتلقيح البويضة فاذا اجتمعت كل هذه الشروط لابد للجنين من التكون والالتصاق بغشاء الرحم ، ومن الضرورى بقاء البيضة ملتصقة لانها ان انفصلت عن غشاء الرحم سقطت منه وخرجت مع افرازات الجهاز ولالتصاق الجنين يلزم أن يكون غشاء الرحم سليما غير مقرح كما يحدث عند اصابة الرحم ببعض الامراض ، هذه هي الشروط التى لابد من استكمالها لحصول الحبل ، فلننظر الآن فى الاسباب التى تمنعه وتجعل المرأة عقيما

« قلنا انه من الضرورى أن تكون المادتان المحدثتان للحبل حيتين فاذا اعترى الرجل مرض من الامراض التناسلية كالزهرى أو الزنقة مع التهاب الخصيتين ماتت الحيوينات المنوية وأصبح الرجل عقيما مع مقدرته علي الجماع ولكن السائل المنوى ينزل حينئذ شفافا خالياً من الحيوينات فلا يصلح للحبل وأحسن علاج لاحياء الحيوينات واعادة القوة

الحيوية اليها يودور البوتاسيوم والزئبق وذلك في حالة الاصابة بالزهرى . أما في أحوال الزنقة مع التهاب الخصيتين فالعلاج يكون بالفرك باليود واستعمال الحمامات وتعليق الدود فتحيا الحيوينات من جديد

« هذا فيما يختص بالرجل اما فيما يتعلق بالمرأة فبعض الاصابات تميت البويضات كالعدوى من الرجل اذا كان مصابا بالزنقة على ان أكثر الرجال الذين يصابون بهذا المرض في شبوبيتهم يتوهمون انهم نالوا الشفاء اذا زالت الآلام عند التبول وبقي نزول السائل خصوصاً النقطة البيضاء التي تظهر في الصباح عند القيام من النوم فان هذه النقطة التي تميت البويضات في المرأة وتسبب لها الالتهابات الرحمية والتقرحات الصغيرة وكم رأينا في باريس وفي مصر نساء أصبحن عقيمات بسبب هذه النقطة من غير ان يعلم الرجل انه كان السبب فيها فعسى ان تنبه هذه السطور الازواج المصابين بها وتقنعهم باتباع علاج مناسب يخلصهم منها الا ان أكثرهم يظن ان لا أهمية لها مع انها سببت أمراضا كثيرة لنسائهم . ومتى أصاب المرأة شيء بسبب هذه النقطة يلزم معالجتها في الحال حتى لا تصل الاصابة الي الرحم ثم الي البويضات

« ومن الضرورى الالتفات الي عدم اجراء عملية للمرأة وهي في هذه الحالة خصوصاً ما يسمي بعملية التقحيط لأنها تفتح الاوعية وتخرج الاغشية فتمتص جزءاً كبيراً من الجراثيم العفنة الناشئة عن الاصابة بالزنقة والسيلان وتصبح مريضة اشد مما كانت والعلاج في هذه الحالة يكون طبياً غير جراحي أى باستعمال حقن برمنجانات البوتاسا السخنة والتحاميل بالجليسرين والابكتيول او مسحوق اليودوفورم والتنين الخ واذا وصل الالتهاب الى البويضات يلزم المرأة الراحة التامة ووضع الدود والحراقات على جهات البطن السفلي والفرك بالمراهم الزئبقية الي غير ذلك

« ومما تجب معرفته ان كل التهاب او اصابة في المبيض تضعف قوة توليد البويضات وهذه الاصابات تكون مسببة اما عن قرحة او تقلص في المبيض او عن اصابات تنتج عن سقط لم تعالج بعده المرأة جيداً و يضطر الامر في مثل هذه الاحوال الي اجراء العمليات واستئصال القرحة واستئصال الجهة المصابة لشفاء

المريض أو ايقاف سيره وهذه العملية تعيد غالبا للمبيض قوة توليده للبويضات

« ولما كنا في باريس عالجنا في شهر فبراير سنة ٩٤ سيدة بقيت عقيمة الي أن بلغت الثانية والثلاثين من عمرها لوجود تقلص في المبيض فأجرينا لها عملية فنجحت ورزقت ولدين بعدها . هذا وتقدم الجراحة في مدة الخمس والعشرين سنة الاخيرة تسمح لنا باستئصال الجزء المصاب فقط من المبيض مع بقاء الجزء السليم الذى يسترجع قوة التوليد اذا عولج علاجا مناسباً »

ثم كتب الدكتور فورونوف في مقالته الثانية واليكها كما ترجمتها مجلة طبيب العائلة:

« بحثنا في المقالة السابقة عن الاحوال التى تتلاشي فيها المواد الاولية للحمل وينشأ عنها العقم الا ان تلك الاسباب لا يكثر وقوعها ولا هي أصل العقم عادة في الرجل والمرأة وقل ما نشاهد نساء فقدت بويضاتهن قوة التوليد تماما أو رجالا أصيبوا في الخصيتين بأمراض أبطلت قوة توليد السائل المنوى فيهما وقد قلنا في الجزء الماضي ان من ضمن أسباب العقم عدم تقابل السائل المنوى مع البويضات في الرحم ويكفي لذلك ان تكون فتحة الرحم مسدودة أو ضيقة لسبب ما حتى تمنع وصول السائل الي داخل الرحم وتحول دون تقابله مع البويضات

« وقد يتفق ان كثيراً من النساء اللواتي يتمتعن بصحة جيدة عمومية و يأملن وضع أولاد كثيرين يبقين عقيمات بدون أولاد أما لكون فتحة الرحم مقفولة تماماً أو لأنها ضيقة لا تحمل سبيلا الي السائل المنوى للدخول الي الرحم . وقد يعترض علي هذا القول بأنه اذا كان سد أو ضيق فتحة الرحم يمنع السائل المنوى من الدخول اليه فلماذا يخرج الحيض من الرحم مادامت فتحته مسدودة أو ضيقة مع ان السائل المنوى صغير جدا لا يصعب عليه الدخول مهما ضاقت فتحة الرحم . والجواب علي ذلك ان الحيض يأتي الي الرحم مدفوعا بقوة ضاغطة شديدة فيترشح من خلال الفتحة ويخرج من الرحم كما اذا وضعت قليلا من الماء فوق قطعة سميكة من القماش وضغطت عليه فيترشح من خلاله و ينقط من الجهة المقابلة . أما السائل المنوى فيسير نحو الرحم بدون ضغط ولا يستطيع الدخول اليه مالم يكن مفتوحاً

فتحة مناسبة . وفي مثل هذه الاحوال تشعر المرأة بآلام قبل مجيء الحيض بيوم أو يومين . وقد يكون ضيق فتحة الرحم طبيعيا منذ الولادة و ينشأ أحيانا عن التهاب في الرحم عند بلوغ الفتاة سن الادراك أو بعد اول وضع أو سقط لم يعن بمعالجته كما يجب ولذلك رأينا نساء اصبحن عقيمات بعد اول ولادة أو بعد سقط

« وهناك سبب آخر للعقم كثير الحدوث وهو كي الرحم وملامسته بأقلام كاوية يركبها القابلات أو أطباء غير ماهرين وكم رأينا من نساء أصبن بالتهاب خفيف في الرحم لم يحسن الطبيب معالجته فانسدت فتحة الرحم سدا تاما. وعلي أي حال يحسن بكل امرأة لاتحبل ان يفحصها طبيب ماهر مدرب علي امراض النساء ليرى اذا كان عقمها مسببا عن سد فتحة الرحم او عن ضيقه . فاذا كان ذلك هو السبب وجب معالجتها في الحال لتوسيع الفتحة او ايجادها اذا كان الرحم مسدودا بواسطة اقلام خصوصية لذلك توضع فيه فتتمدد وتضخم بتأثير الحرارة والرطوبة او باجراء عملية صغيرة تقوم بقطع النسيج المتصلب الذى يسد فتحة الرحم . وقد يتوصل الطبيب بواسطة هذا العلاج الذى يستلزم كل دقة الى ازالة العقم وتسهيل الحبل واحياء آمال الزوجات بوضع البنين

« ومن أسباب العقم الكثيرة الوقوع أيضا انحناء الرحم فلا يخفي انه لدخول السائل المنوى للرحم يلزم أن يكون وضع الرحم في محله اى لايكون منحنيا الى الامام ولا الى الوراء. فاذا كان شديد الانحناء الى الامام لامس المثانة واذا كان منحنيا الي الوراء لامس المستقيم وفي كلتا الحالتين يتغير وضعه الطبيعي ويتعذر علي السائل المنوى الدخول اليه وقد ينشأ تغيير وضع الرحم عن التهابات في اسفل البطن او التهاب في الرحم اوعن اجهاد المرأة وتعبها أو عن اهمال معالجتها بعد أول وضع ويكون العلاج في مثل هذه الظروف بحسب الحالة وأهمية تغيير الوضع وجهة انحناء الفتحة فقد تكفي نصيحة من الطبيب بشأن كيفية سلوك المرأة مع زوجها ليزول العقم ويمكن وضع حلقة من الكاوتشوك علي عنق الرحم لتقويمه أو يستعمل الدلك بصفة خصوصية وقد يضطر الحال أحيانا الي اجراء عملية لوضع الرحم في محله

« وفضلا عن الاسباب التى ذكرناها هناك سبب مهم جداً وهو التهاب الرحم فانه عضو سريع الالتهاب يلتهب عادة وهو في حالته الطبيعية عند مجيء الحيض أو في الجماع فاذا أجهدت المرأة نفسها أو أفرطت في الجماع حدث لها التهاب شديد في الرحم ينشأ عنه آلام ونزول سائل أبيض حمضي يميت السائل المنوى الذى لا يعيش في الحوامض مطلقا

« هذه هي احدى نتائج الالتهاب الرحمي وهي ليست بالوحيدة لأنه اذا طال أمرها ارتخي غشاء الرحم من تأثير الالتهاب ولم يعد الجنين يلتصق به فيمنع الحبل . وعلاج الالتهاب الرحمي يختلف باختلاف السبب ودرجة الالتهاب وقدمه وأهمية الاصابات التى نتجت عنه وبحسب الحالة يستعمل له حقن سخنة مطهرة أو تحاميل الجليسرين والتنين أو تعمل عملية صغيرة ينزع فيها الغشاء المرتخي ليتجدد غشاء آخر مكانه ، ويندر أن امرأة عقيم لا تشفي من عقمها اذا تولي معالجتها طبيب ماهر عارف بمعالجة أمراض النساء . والضرر كل الضرر ناشيء عن حياء السيدات من أخبار الطبيب المشتغل بهذه الامراض عن مرضهن فيستسلمن الى القابلات فيزدن الطين بلة لجهلهن العلاج وقد يتوهم الجمهور ان القابلات عالمات بأمراض النساء مع ان الامر بخلاف ما يتوهمون فهن لا يتعلمن في المدارس الا طريقة توليد المرأة الاعتيادية ولا يعتد بكلمة «حكيمة» التى يضعنها تحت أسمائهن علي باب المنزل لانهن لايتعلمن شيئاً من أمراض النساء المختلفة ولا طرق العلاج اللازمة لها لان كل هذا يتعلق بالطبيب دون غيره . ولا يمكن لكل طبيب معالجة الامراض النسائية بل يلزم لمن يتفرغ لذلك أن يدرس هذه الامراض درساً جيداً ويعرف طرق العلاج التى يعطينا اياها علم الطب اليوم . واذا لم تنجع كافة الوسائل الدوائية لاعادة الحبل فهناك طريقة أخرى مثل الحبل الاصطناعي والذى سنتكلم عنه في الجزء التالي ان شاء الله »

ثم نشر الدكتور فورنوف تتمة مقالته في الجزء التالي من مجلة (طبيب العائلة) ونحن ننشرها كما ترجمتها هي قال :

« انتهينا في المقالتين السابقتين من الكلام عن أسباب عقم المرأة والطرق

المؤدية لازالته وبقي علينا أن نبحث فيما يمكن عمله لو بقيت الطرق العلاجية والدوائية عقيمة بغير نتيجة فهل تقطع الامال من شفاء العقم وهل يستسلم العلم للطبيعة و يتركها تقلب عليه ؟ كلا . ان لم تنجح الادوية والعمليات فهناك واسطة اخرى كثيرة النجاح وهي التلقيح الصناعي وهو عبارة عن استعمال حقنة صغيرة لتقابل المادتين المكونتين للجنين واتحادهما معا

« وهذه الطريقة تستعمل خصوصاً لفريق من النساء امتاز جهازهن التناسلي بانقباضات تشنجية في اوقات غير الاوقات التي تحدث فيها الانقباضات عادة . وقد جربت اولا علي السمك في سنة ١٧٦٤ فأعطت نتائج ثابتة حقيقية ثم جربها الاب سبالانزوني من مدينة جنيفا سنة ١٧٧٠ علي حيوانات الطبقة الدنيا فحبس كلبة في غرفة وابقاها ٢٣ يوما ثم استعمل لها الطريقة التي ذكرناها آنفا فبعد مدة كبر بطنها ولم تتم الشهر بن حتى وضعت ثلاثة اجراء ذكران وانثى عليها ملامح ابيها وامها . وقد جرب بعد ذلك الاطباء هذه الطريقة علي النساء فنجحت نجاحا عظيما

ولا حاجة بنا الي ذكر كيفية استعمال التلقيح الصناعي في مثل هذه المجلة لان ذلك مما يتعلق بالطبيب الذى يجرى العملية فهو يعرف الاحتياطات التي يجب عليه اتخاذها في مثل هذه الاحوال

« أما الزمن الذى يعمل فيه التلقيح الصناعي بنجاح فلا يمكن تحديده لكن بما ان أسباب الحيض تنزل عادة بويضة من المبيض الى الرحم فالأفضل اجراء العملية في آخر الحيض

« ويجب علي الزوجة أن لا تيأس ان لم تنجح العملية لاول مرة بل عليها ان تعيدها أولا وثانيا وثالثا وأكثر من ذلك مع تغيير وقت اجرائها فتعملها تارة قبل الحيض ببضعة أيام وتارة أثناء الحيض أو في آخره

« وقد شاهدوا نساء حملن بهذه الطريقة بعد انقطاع الحيض عنهن بعدة فينتج اذاً مما تقدم ان العائلات التي ترغب في البنين يمكنها التمتع بهم اذا استعملت كافة الطرق المزيلة للعقم ومن ضمنها الحمل الصناعي لان المولى سبحانه وتعالي خلق المرأة وجعل الزواج للتناسل و بقاء الهيئة الاجتماعية فيندر أن يأتي عارض أصلي يقاومها مقاومة كلية و يمنعها

من تأدية وظيفتها الطبيعية

« فعلي الطبيب اذاً أن يكشف حقيقة السبب الذى يمنع الحبل ولا بد أن تزيله وتكلل أعماله بالنجاح اذا اعتصمت المرأة بالصبر ولم تمل من المعالجة

وقد عرفنا نساء بقين عقيمات مدة ١٠ أو ١٤ سنة ثم حبلن بمعونة الله واستعمال العلاج المناسب لهن »

﴿ المَعْقَنْقَل ﴾ الوادى العظيم المتسع

﴿ العِقْيَان ﴾ الذهب الخالص

﴿ عُكْبَرى ﴾ بلد والقصر قرية علي نهر دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ

﴿ العُكْبرى ﴾ الضرير هو ابو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى الاصل البغدادى المولد والدار الحاسب الفرضي النحوى الملقب محب الدين

أخذ النحو عن ابي محمد بن الخشاب وعن غيره وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد المعروف بابن البطي ومن ابي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرهما ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه : كان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الايضاح لابي علي الفارسي وديوان المتنبى وله كتاب اعراب القرآن الكريم في مجلدين . وكتاب اعراب الحديث لطيف . وكتاب شرح اللمع لابن جنى . وكتاب اللباب في علل النحو . وكتاب اعراب شعر الحماسة . وشرح المفصل للزمخشرى شرحا مستوفي وشرح الخطب النباتية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به واشتهر اسمه وهو حي وذاع في البلاد

ولد سنة (٥٣٨) وتوفي (٦١٦) ببغداد

﴿ عَكِر ﴾ الماء يعكر عكرا كدر فهو (عَكِر) و (عكّره) جعله عكراً . و (اعتكر الظلام) اختلط و (المَعْكر) ما فرق الخمسمائة من الابل

﴿ عِكْرِمَة ﴾ هو ابو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

أصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الحر العنبرى فوهبه لابن عباس حين ولى البصرة لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين واجتهد ابن عباس في

تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب

حدّث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن ابن علي وعائشة وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها وكان ينتقل من بلد الي بلد

وروى ان ابن عباس قال له انطلق فأفت الناس

وقيل لسعيد بن جبير هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال عكرمة

وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأى الخوارج

وممن روى عنه الحديث الزهرى وعمرو ابن دينار والشعبي وأبو اسحق السبيعي وغيرهم

ومات مولاه ابن عباس وعكرمة علي الرق لم يعتقه فباعه ولده علي بن عبد الله ابن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار . فأتي عكرمة مولاه عليا فقال ماخير لك ، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله فأقاله فأعتقه

وقال عبد الله بن أبي الحرث دخلت علي علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق علي باب كنيف ؟ فقلت أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال ان هذا يكذب علي أبي

توفي عكرمة سنة (١٠٨) وقيل سنة (١٠٦) وقيل (١١٥) وعمره ثمانون وقيل أربع وثمانون سنة

روى محمد بن سعد عن الواقدى عن خالد بن القاسم البياضي قال مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد سنة (١٠٥) فرأيتهما جميعا صلي عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر فقال الناس مات أفقه الناس وأشعر الناس وكان موتهما بالمدينة . وقيل ان عكرمة مات بالقيروان والاول أصح

كان عكرمة كثير الطواف والجولان في البلاد دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرها

معنى كلمة (عِكْرِمة) الحمامة الانثى فسمي به الانسان

— عَكَز — علي عكازة يعكز . وتعكّز عليها اتكأ و(العُكّاز والعُكّازة) بمعنى واحد

— عَكَس — الشيء يعكسه عكسا قلبه . و(عاكسه) أخذ كل منهم بناصية صاحبه . و(تعكس الشيء وانعكس) انقلب

— عكاشة — بن عبد الصمد القمي

كان من فحول الشعراء وكان يهوى جارية لبعض الهاشميين بأرض نعمان وكان لايراها الا في الاحيان وربما اجتمع بها مع صديقه حميد بن سعيد الى ان قدم قادم من بغداد فاشتراها من مولاها ورحل بها من البصرة الى بغداد فعظم اسف عكاشة وجزعه عليها واستهام بها طول عمره واستحالت صورته وطبعه وكان ينوح عليها شعرا ويبكي . من شعره قوله :

ايا ليت شعرى هل يعودن مامضي
وهل راجع مافات من صلة الحبل
وهل اجلسن في مثل مجلسنا الذى
نعمنا به يوم السعادة بالوصل
عشية صبت لذة الوصل طيبها
علينا فأجنى في الحياة جنى النحل
وقد زار ساقينا بكأس روية
ترحل احزان الكئيب مع العقل
وشجت شمول بالمزاج فطيرت
كألسنة الحيات خافت من القتل
فبتنا وعين الكأس سح دموعها
بكل قنا يهتز الجد كالنصل
وقيننا كالظبي تجنح للهوى
و بنت تباريح الغرام علي رسل
اذا ما حكت بالعود رجع لسانها
رأيت لسان العود من كفها يملي
فلم أر كالذى لمطرت الهوى
ولامثل يومي ذاك صادفه مثلي

ومن شعره :

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقي
وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة
ولو صدقوا قالوا بها اعين الأنس

لم نقف لهذا الشاعر علي تاريخ وفاة

— عُكاظ — اشهر اسواق العرب في الجاهلية واعظمها اتخذت سوقا بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة اى سنة (٥٤٠) للميلاد ثم بقيت في الاسلام الي ان نهبها الخوارج الحرورية حين خرجوا بمكة مع المختار بن عوف سنة (١٢٩) للهجرة

عكاظ نخل بقرب الطائف فكانت قبائل العرب تقصدها لأنها في طريقها الى الحج فيجتمعون منه في مكان يقال له الابتداء فتعمر اسواقهم بالناس فيتهز الشعراء هذه الفرصة فيعرضون ما قالوه من نخب قصائدهم علي قمة القريض هنالك و يكون لذلك احتفال حافل يشهده

الجماهير فتشيع قصائدهم شيوعا تاما ويترنم بها الركبان في كل صقع وفي ذلك غاية مايتمناه شاعر لشعره . ولقد كان لهذه السوق العظيمة وغيرها من أسواق العرب تأثير كبير في تهذيب اللغة العربية فان كل شاعر وخطيب كان يقفي بأحسن ما فتح به الله عليه من المعاني العالية في العبارات الجزلة المنتخبة فيتلقفها السامعون ويدخلونها الي كلامهم ويلفظوا ماسواها من وحشي الكلمات ومتنافر التراكيب وفي ذلك من أثر التهذيب اللغوي مالا يستهان به . وكانت قريش تقر بها من تلك السوق أسبق القبائل لالتقاط كل معنى حسن ولفظ جزل وعبارة شاردة فتنسب اليها التهذيب الأخير للغة واستأهلت الشرف العظيم بنزول القرآن الكريم بلغتها واعتبرت لهجتها اخلص لهجات العرب من التعقيد والتنافر

﴿عكَفه﴾ علي الشيء يعكُفه ويعكِفه عكفا حبسه عليه . و (عكَف عليه) لزمه وواظب عليه . و (اعتكف بالمسجد) لبث فيه للعبادة

﴿العَوْكل﴾ الرجل القصير

﴿عكَم﴾ المتاع يعكِمه عكما شده بثوب . و (العِكام) ما عُكم به أي ماشد به من ثوب أو حبل جمعه (عُكُم)

﴿ابن عُكيم﴾ هو عبد الله بن عكيم من علماء الحديث توفي في عصر الحجاج أي في الربع الاخير من القرن الاول

﴿العكوَّك﴾ هو أبو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بالعكوك الشاعر المشهور كان أحد فحول الشعراء المبرزين .

قال في حقه الجاحظ :

كان أحسن خلق الله انشادا ما رأيت مثله بدويا ولا حضريا وكان من الموالي ولد اعمي وكان اسود أبرص . من مشهور شعره قوله :

بابي من زارني مكتتما
خائفا من كل شيء جزعا
زائرا نم عليه حسنه
كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الغفلة حتى امكنت
ورعي السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته
ثم ماسلم حتى ودعا

ومن قوله في الحسن بن سهل :

اعطيتنى ياولي الحق مبتدئا
عطية كافأت شعري ولم ترني

ماشمت برقك الا نلت ريقه
كأنما كنت بالجدوى تبادرني

وله في ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غرر المدائح فمن قصائده الجليلة في ابي دلف القاسم ابن عيسي العجلي القصيدة التى اولها:

زاد ورد الغي عن صدره
فارعوى واللهو من وطره

وقال في المديح منها :

انما الدنيا ابو دلف
بين مغداه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف
ولت الدنيا علي اثره
كل من في الارض من عرب
بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة
يكتسيها يوم مفتخره

وقد سئل شرف الدين بن عنين الشاعر وكان من أخبر الناس بنقد الشعر عن هذه القصيدة وقصيدة ابي نواس الموازية لها التى اولها :

ايها المنتاب من عفره
لست من ليل ولا سمره

وهي من نوادر الشعر ايضا فلم يفضل احداهما علي الاخرى وقال مايصلح ان يفاضل بين هاتين القصدتين الا شخص يكون في درجة هذين الشاعرين

وقد ذكر المبرد قصيدة أبي نواس المذكورة فقال ماأظن شاعراً جاهلياً ولا اسلامياً يبلغ هذا المبلغ فضلا ان يزيد عليه جزالة وفخامة

ويحكي ان العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لابي دلف بهذه القصيدة فقال له حميد ما عسي ان تقول فينا وما ابقيت لنا بعد قولك في ابي دلف (انما الدنيا ابو دلف) وانشد البيتين فقال اصلح الله الامير قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا. قال وما هو ؟ فأنشد:

انما الدنيا حميد * وأياديه الجسام
فاذا ولى حميد * فعلي الدنيا السلام

قال فتبسم ولم يحر جوابا . فأجمع من حضر المجلس من اهل المعرفة والعلم بالشعر ان هذا احسن مما قاله في ابي دلف فأعطاه واحسن جائزته

وحكي انه مدح المأمون بقصيدة اجاد فيها وتوسل بحميد الطوسي في ايصالها اليه فقال له المأمون خيره بين ان نجمع بين قوله هذا وقوله فيك وفي ابي دلف فان

وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف والا ضربناه مائة سوط فخيره حميد فاختار الاعفاء

وقال ابن المعتز في طبقات الشعراء

ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب غضباً شديداً وقال اطلبوه حيثما كان وائتوني به فطلبوه فلم يقدروا عليه لانه كان مقيما بالجبل ، فلما اتصل به الخبر هرب الى الجزيرة الفراتية . وقد كانوا كتبوا الى الآفاق ان يؤخذ حيث كان ، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً الى المأمون فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى (كل من في الارض من عرب) وأنشد البيتين ، جعلتنا من يستعير المكارم منه والافتخار به ؟ قال يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكا عظيما وانما ذهبت في قولي الى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس

فقال المأمون والله ما أبقيت أحداً ولقد أدخلتنا في الكل وما أستحل دمك بكلمتك هذه ولكني استحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه ملكا قادراً وهو قولك :

أنت الذى تنزل الايام منزلها
وتنقل الدهر من حال الى حال
وما مددت مدى طرف الى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك الله عز وجل يفعله أخرجوا لسانه من قفاه فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك في سنة (٢١٣) ببغداد ومولده سنة (١٦٠)

ومن مدائحه لحميد الطوسي قوله :

تكفل ساكني الدنيا حميد
فقد أضحوا له فيها عيالا
كأن أباه آدم كان أوصى
اليه أن يعولهم فعالا

وقوله فيه أيضاً :

دجلة تسقي وأبو غانم
يطعم من تسقي من الناس
فالناس جسم وامام الهدى
رأس وأنت العين في الراس

ولما مات حميد سنة (١٢٠) رثاه العكوك بقصيدة من جملتها :

فأدبنا ما أدب الناس قبلنا
ولكنه لم يبق للصبر موضع

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما ذراك فواسع
وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره
اذا كان فيه جسمه يتهدم

﴿العِلباء﴾ عصبة صفراء في صفحة العنق

﴿علج﴾ الرجل يعلَج عَلَجا اشتد . و (عالجه) معالجة وعلاجا زاوله وداواه . و (تعالج) تعاطي العلاج . و (اعتلج) القوم تصارعوا. و (العِلج) العير والحمار والرجل القوى الضخم جمعه علوج

﴿العلاج﴾ اقرأ فيه كلاما في كلمتى دواء وطب

﴿العَلَنْدَى﴾ الغليظ من كل شيء

﴿علف﴾ الرجل يعلف علفا شرب كثيرا . و (علَف الدابة) أطعمها و (أعلفت الدابة) اكلت. و (العلاّف) بائع العلف . و (العلاّفة) ما تأكله الدابة و (المَعْلَف) موضع العلف

﴿العلاف﴾ هو ابو الهذيل محمد بن الهذيل قابل بن عبدالله بن مكحول العبدى المعروف بالعلاف المتكلم المشهور كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن اجلاء علمائهم وهو صاحب المباحث العالية في مذهبهم وله مع خصومهم مجالس ومناظرات وكان حسن الجدال قوى الحجة كثير الاستعمال للادلة والالزامات

حكي انه لقي صالح ابن عبدالقدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل لا اعرف لجزعك عليه وجها اذ كان الانسان عندك كالزرع . قال صالح يا ابا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك . فقال له كتاب الشكوك ما هو يا صالح ؟ قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان . فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات . وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

لابي الهذيل كتاب يعرف بميلاس وكان ميلاس رجلا مجوسيا فأسلم وكان سبب اسلامه انه جمع بين أبي الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل الى أن أفحمهم فأسلم ميلاس عند ذلك

وكان قد اجتمع عند يحيي بن خالد البرمكي جماعة من ارباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان أبو الهذيل المذكور في جملتهم . فقال : أيها الوزير العشق يختم علي النواظر و يطبع علي الافئدة ، مرتعه في الاجسام ومشرعه في الاكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الاوهام ، لايصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ،وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل . غير أنه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشمائل وصاحبه جواد لا يصغي الي داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل

وكان المتكلمون في ذلك المجلس ثلاثة عشر شخصا وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم

وبهذه المناسبة نذكر ان اعرابية وصفت العشق فقالت :

خفي عن أن يرى ، وجل عن أن يخفي ، فهو كامن ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى ، وان تركته توارى ، وان لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة السحر

ولد أبو الهذيل سنة (١٣١) أو (١٣٤) أو (٣٥) وتوفي سنة (٢٣٥) بسر من رأى . وقيل توفي سنة (٢٢٦) او (٢٢٧) وكان قد كف بصره وخرف في آخر عمره الا انه كان لايذهب عليه شيء من الاصول لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين ومحاجة المخالفين

﴿ ابن العلاف ﴾ هو أبو بكر الحسن بن علي بن احمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني الشاعر المشهور كان من الشعراء المجيدين وحدث عن ابي عمر الدوري المقرى وحميد بن مسعدة البصري وغيرهما وكان ينادم الامام المعتضد بالله

حكي قال : نمت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلا فقال أمير المؤمنين يقول أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

ولما انتهينا للخيال الذى سرى
اذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد أرتج علي تمامه فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة قال فأرتج علي الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي
لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم ثم عاد فقال قال أمير المؤمنين يقول قد أحسنت وقد أمر لك بجائزة

وكان لابي بكر المذكور هر يأنس به وكان يدخل أبراج الحمام التى لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه فأمسكه أربابها فذبحوه فرثاه بهذه القصيدة الآتية

وقيل انه رثي بها عبد الله بن المعتز وخشي من الامام المقتدر ان يتظاهر بها لأنه هو الذى قتله فنسبها الي الهر وعرض به في أبيات منها.وكانت بينهما صحبة أكيدة

ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني في تاريخه الصغير الذى سماه المعارف المتأخرة في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله : قال الصاحب أبو القاسم بن عباد أنشدني ابن ابي بكر العلاف وهو الاكول المقدم في الاكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبية في الهر . وقال انما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه.وهي من أبدع الشعر وأحسنه عدد أبياتها خمسة وستون ثبتت منها محاسنها قال في مطلعها

ياهر فارقتنا ولم تعد
وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد
تطرد عنا الأذى وتحرسنا
بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها
مابين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مدد
وأنت تلقاهم بلا مدد
لاعدد كان منك منفلتا
منهم ولا واحد من العدد
لاترهب الصيف عند هاجرة
ولاتهاب الشتاء في الجمد
وكان يجرى ولا سداد لهم
امرك في بيتنا علي سدد
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا
ولم تكن للأذى بمعتقد
وحمت حول الردى بظلمهم
ومن يحم حول حوضه يرد
وكان قلبي عليك مرتعدا
وأنت تنساب غير مرتعد
تدخل برج الحمام متئدا
وتبلع الفرخ غير متئد

وتطرح الريش في الطريق لهم
وتبلع اللحم بلع مزدرد
أطعمك الغي لحمها فرأى
قتلك أربابها من الرشد
حتى اذا داوموك واجتهدوا
وساعد النصر كيد مجتهد
كادوك دهراً فما وقعت وكم
افلت من كيدهم ولم تكد
فحين اخفرت وانهمكت وكا
شفت واسرفت غير مقتصد
صادوك غيظا عليك وانتقموا
منك وزادوا ومن يَصِد يُصد
ثم شفوا بالحديد أنفسهم
منك ولم يرعوا علي أحد

ومنها :

فلم تزل للحمام مرتصدا
حتى سُقيت الحمام بالرصد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما
لم ترث منها لصوتها الغرد
اذاقك الموت ربهن كما
اذقت افراخه يدا بيد
كأن حبلا حوى بجودته
جيدك للخنق كان من مسد
كأن عيني تراك مضطربا
فيه وفي فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم
تقدر علي حيلة ولم تجد
فجدت بالنفس والبخيل بها
أنت ومن لم يجد بها يجد
فما سمعنا بمثل موتك اذ
مت ولامثل عيشك النكد
عشت حريصا يقوده طمع
ومت ذا قاتل بلا قوَد
يامن لذيذ الفراخ اوقعه
ويحك هلا قنعت بالغدد
ألم تخف وثبة الزمان كما
وثبت في البرج وثبة الاسد
عاقبة الظلم لاتنام وان
تأخرت مدة من المدد
اردت ان تأكل الفراخ ولا
يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما
أعزه في الدنو والبعد
لابارك الله في الطعام اذا
كان هلاك النفوس في المعد
كم دخلت لقمة حشاشره
فأخرجت روحه من الجسد

ما كان اغناك عن تصعدك الا
برج ولو كان جنة الخلد

ومنها :

وقد كنت في نعمة وفي دعة
من العزيز المهيمن الصمد
تأكل من فأر بيتنا رغدا
وأين بالشاكرين للرغد
وكنت بددت شملهم زمنا
فاجتمعوا بعد ذلك البدد
فلم يبقوا لنا علي سبد
في جوف أبياتنا ولا لبد
وفتتوا الخبز في السلال فكم
تفتتت للعيال من كبد
وفرغوا قعرها وما تركوا
ما علقته يد علي وتد
ومزقوا من ثيابنا جدداً
فكلنا في المصائب الجدد

توفي سنة (٣١٨) و (٣١٩) وعمره مائة سنة

﴿ علقه ﴾ وعلق به عُلوقا وعَلَقا وعَلاقة هويه واحبه و (علّق الشيء بالشيء) ناطه به وجعله معلقا و (تعلق الشيء) علقه . و (العَلاقة) ما تعلق به الرجل من صناعة وغيرها . والصداقة . و (العلاقة) للقدر والسوط مايعلق منه. و (العِلْق) النفيس من كل شيء . و (العَلَق) الدم وقيل الدم الجامد . ودويبة تشبه الدود واحدتها عَلَقة . و (العَليق) ماتُعلَّقه الدابة من شعير ونحوه

﴿ المعلقات ﴾ هي القصائد السبع الطوال التى سمتها العرب السموط لانها محتزن حكمتهم ، ومستقر بلاغتهم ، وغاية ما وصل اليه الخيال من شاعريتهم . ولقد قال بعض الرواة انهم من فرط شغفهم بهذه القصائد وشدة اكبارهم لها كتبوها بماء الذهب علي القباطي وعلقوها علي الكعبة

قال ابن عبد ربه الاديب الاندلسي المشهور المتوفي سنة (٣٢٨) في كتاب العقد الفريد عن المعلقات :

« وقد بلغ من كلف العرب به (أى بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت الي سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير والمذهبات سبع وقد يقال لها المعلقات »

هذا ماقاله ابن عبد ربه وقال به جماعة من علماء الادب ، ولكن ذهب جماعة

آخرون وفي مقدمتهم ابن خلدون على أن قصائد هؤلاء الشعراء لم تعلق بالكعبة قال :

« واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ و يتناشدون الاشعار فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها وأثبتوها في خزائني فاما قول من قال انها علقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة »

وعندنا ان رأى ابن خلدون أوجه فما دام لا يعرف أحد من رواة الشعر أن هذه القصائد علقت بالكعبة ولم يذكره فيما نقله من أخبار العرب ومفاخرها فلا وجه لان ندعي علم مالم يعلموا وهم كانوا أحرص الناس على كل غريب من أحوال العرب

ونحن هنا سنجمل كلاما على كل من تلك القصائد فنقول :

(معلقة امرىء القيس) هي أشهر المعلقات السبع عدد أبياتها تسعة وثمانون على رواية الجهرة واثنتان وثمانون على رواية التبريزى وسبعة وسبعون على أشهر الروايات وقد شرحها كثيرون من الادباء كأبي بكر البطليوسي المتوفي سنة (١٩٤) ه وأبي جعفر بن النحاس المتوفي سنة (٣٣٨) وأبي على القالي المتوفي سنة (٣٥٦) ه وأبي زكريا بن الخطيب التبريزى المتوفي سنة (٥٠٢) وابن الانبارى والدميرى والزوزني وأبي العلاء المعرى وغيرهم

نظمها امرؤ القيس أيام شبيبته وقبل مقتل أبيه ولذلك جاءت خلواً من ذكر تلك الايام السود التى دفعته لطلب الثأر والتنقل لاستجاع المعونة من قادة العرب ففيها من الغزل وذكر اللهو مالا يصدر الا من قلب فارغ من المنغصات . وهي تدل في جملتها على ان امرأ القيس كان لاهياً مستهتراً لا تقف نزوات الشهوة عنده عند حد ولهذا أبغضه أبوه الى حد ان أمر بقتله ثم ندم فاسترد امره واقصاه عنه فأقام بالبادية ماضياً في لهوه ومرحه يتغزل ويتبذل ويلعب مع شبان من بنى طيء وكلب وبكر بن وائل فاذا صادفوا ماء او روضة اقام واقام معه اخوانه فأكلوا وشربوا وطربوا ولم يزل كذلك حتى نعي اليه أبوه فقام لأخذ الثأر وشمر لذلك عن ساعد الجد حتى مات

وانا لم نثبت معلقته عند ذكرنا ترجمته ولذلك نثبتها هنا الا أبياتاً منها صرح فيها بكلمات لا يصح ان تثبت في كتاب مثل هذا قال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل (١)

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل (٢)

ترى بعر الآرام في عرصاتها ... وقيعانها كأنه حب فلفل (٣)

كأن غداة البين يوم تحملوا ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفاً بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل (٥)

(١) السقط منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . واللوى رمل يعوج و يلتوى . والدخول وحومل موضعان (٢) توضح والمقراة موضعان أيضا وسقط اللوى بين هذه المواضع الاربعة . وجنوب وشمأل من أسماء الرياح

(٣) الآرام الظباء البيض الخالصة البياض واحدتها رئم . والعرصات ساحات الديار والقيعان جمع قاع وهو المستوى من الارض . وبعضهم يقول انها جمع قاعة

(٤) الغداة الضحوة . وتحملوا ارتحلوا وسمرات جمع سمرة من شجر الطلح . والحي القبيلة . وناقف الحنظل شقه عن الهبيد وهو الحب (٥) صحبي جمع صاحب

وان شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول (٦)

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل (٧)

اذا قامتا تضوع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل (٨)

ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل (٩)

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فياعجبا من كورها المتحمل (١٠)

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل (١١)

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت لك الويلات انك مرجلي (١٢)

(٦) المهراق المصبوب . والمعول المبكي من أعول اذا بكى رافعا صوته وهو بمعنى المتكل عليه ايضا (٧) الدأب العادة ومأسل اسم جبل (٨) تضوع فاح . بريا بريح : (٩) دارة جلجل اسم موضع (١٠) الكور رحل الناقة (١١) الهداب ماتدلى من الشيء والدمقس الابريسم الابيض

(١٢) الخدر الهودج ويستعار للستر والحجلة ومرجلي أى جاعلي راجلة لعقرك بعيرى

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل (١٣)
فقلت لها سيري وارخي زمامه
ولا تبعديني عن جناك المعلل (١٤)
هنا رأينا أن نحذف بيتين قد أفحش فيهما امرؤ القيس وصرح بما لا يجوز أن يصرح به ثم قال :
ويوما علي ظهر الكثيب تعذرت
علي وآلت حلفة لم تحلل (١٥)
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمي فأجمل ١٦
اغرك مني ان حبك قاتلي
وانك مهما تأمري القلب يفعل
وان تك قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي عن ثيابك تنسل ١٧

«١٣» الغبيط نوع من الرحل . «١٤» جناك أى ثمرك جعل محبوبته بمنزلة الثمر والمعلل أى الملهي من قولك علت الغلام بفاكهة اى الهيته بها «١٥» الكثيب رمل كثير تعذرت اى تشددت والتوت وآلت اى حلفت . لم تحلل اى ليس فيها تحليل . «١٦» ازمعت اى عزمت . وصرمي هجرى . فأجملي اى فأحسني . «١٧» من الناس من جعل

وما ذرفت عيناك الا لتضربي
بسهميك في اعشار قلب مقتل (١٨)
وبيضة خدر لايرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل (١٩)
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا
علي حراصا لو يسرون مقتلي (٢٠)
اذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض اثنا الوشاح المفصل (٢١)
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الا لبسة المتفضل ٢٢

الثياب في هذا البيت بمعنى القلب ويكون المعنى ان ساءتك مني أخلاق فردى علي قلبي افارقك اى استخرجي قلبي من قلبك « ١٨ » ذرفت عيناك اى دمعت اعشار قلب من قولهم برمة اعشار اذا كانت قطعا . والمقتل المذلل «١٩» وبيضة خدر اى ورب بيضة خدر والنساء عندهم يشبهن بالبيض لسلامتهن من العبث بعفافهن . والخباء البيت اذا كان من قطن أو وبر او صوف او شعر «٢٠» الحراس جمع حريص ويسرون ينوون . «٢١» الاثناء النواحي والاوساط واحدها ثنى . الوشاح ماتضعه المرأة علي عاتقها مارا بخصرها كالطوق «٢٢» نضت اى خلعت المتفضل اللابس

فقالت يمين الله مالك حيلة
وما ان أرى عنك الغواية تنجلي (٢٣)
خرجت بها أمشي تجر وراءنا
علي أثرينا ذيل مرط مرحل (٢٤)
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحي
بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل (٢٥)
هصرت بفودى رأسها فتمايلت
علي هضيم الكشح ريا المخلخل (٢٦)
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل (٢٧)

ثوبا واحدا للنوم (٢٣) الغواية الضلالة (٢٤) المرط عند العرب كساء من خز اوصوف . وتسمي الملاءة مرطا أيضا . والمرحل المنقش بنقوش تشبه رحال الابل (٢٥) اجزنا قطعنا . وانتحي الانتحاء الاعتماد علي شيء . والبطن مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة . والخبت أرض مطمئنة . والحقاف جمع حقف وهو رمل مشرف معوج . والعقنقل الرمل المتلبد . (٢٦) هصرت جذبت . والفودان جانبا الرأس هضيم الكشح ضامرة الكشح . والكشح منقطع الاضلاع . وريا المخلخل أى سمينة موضع الخلاخيل . (٢٧) المهفهفة لطيفة الخصر . والمفاضة العظيمة البطن والترائب

كبكر المقاناة البياض بصفرة
غذاها نمير الماء غير المحلل (٢٨)
تصد وتبدى عن اسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل (٢٩)
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
اذا هي نصته ولا بمعطل (٣٠)
وفرع يزين المتن أسود فاحم
اثيث كقنو النخلة المتعثكل (٣١)
غدائره مستشزرات الي العلي
يضل العقاص في مثنى ومرسل (٣٢)

عظام أعلي الصدر . السجنجل المرآة . (٢٨) البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله والمقاناة الخلط والمراد كبكر البيض التي خولط بياضها بصفرة . والنمير العذب . غير المحلل أى لم يكثر حلول الناس عليه (٢٩) الأسيل الخد الممتد في طول . بناظرة أى بعين ناظرة . ووجرة مكان فيه وحوش . والمطفل التى لها طفل (٣٠) الرئم الظبي الابيض والنص الدفع ومنه النص في السير وهو حمل البعير علي سير شديد (٣١) الفرع الشعر التام . والفاحم الشديد السواد . والاثيث الكثيف والقنو عنقود البلح . والمتعثكل الذى أخرج عثا كيله أى قنوانه (٣٢) غدائره ضفائره ومستشزرات مرتفعات . والعقاص الضفائر

وكشح لطيف كالجديل مُخصَّر
وساق كأنبوب السقيّ المذلل (٣٣)
وتضحي فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحي لم تنتطق عن تفضّل (٣٤)
وتعطو برخص غير شَثْن كأنه
أساريع ظبي أو مساويك اسحل (٣٥)
تضيء الظلام بالعشاء كأنها
منارة مُمْسَي راهب متبتل (٣٦)

الي مثلها يرنو الحليم صبابة
اذا ما اسبكرّت بين درع ومجول (٣٧)
الا رب خصم فيك ألوى رددته
نصيح علي تعذاله غير مؤتل (٣٨)
وليل كموج البحر أرخي سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي (٣٩)
فقلت له لما تمطي بصلبه
وأردف اعجازا وناء بكلكل (٤٠)
ألا أيها الليل الطويل الا انجل
بصبح وما الاصباح فيك بأمثل (٤١)
فيالك من ليل كأن نجومه
بأمراس كتان الي صُم جندل (٤٢)

مثنى ومرسل أى بعض ضفائرها مثنى و بعضها مرسل (٣٣) الكشح مابين الضلع الى الخاصرة . والجديل خطام يتخذ من الجلد. والمخصر دقيق الوسط . والانبوب ما بين العقدتين من القصب. والسقي بمعنى المسقي (٣٤) لم تنتطق أى لم تشد وسطها بنطاق عن تفضل أى بعد تفضل . والتفضل لبس الفضلة قال وهي كثيرة النوم في وقت الضحي لا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب الخدمة (٣٥) تعطو اى تتناول . والرخص الناعم غير شثن اى غير غليظ . أساريع ظبي ، الاساريع دود تشبه به أصابع النساء عند العرب . ظبي اسم لمكان . ولمساويك جمع مسواك . والاسحل شجر تشبه باغصانها الاصابع . (٣٦) الممسي بمعنى الامساء والمساء . والمتبتل المنقطع للعبادة

(٣٧) يرنو ينظر . اسبكرت اى امتدت. والدرع قميص المرأة . والمجول ثوب تلبسه الجارية الصغيرة . (٣٨) خصم ألوى شديد الخصومة . والتعذال اللوم . غير مؤتل أى غير مقصر (٣٩) السدول الستور. ليبتلي ليختبر (٤٠) تمطي أى تمدد . والصلب الظهر . والاعجاز المآخير . وناء بعُد . بكلكل الكلكل الصدر (٤١) الانجلاء الانكشاف . والأمثل الأفضل (٤٢) الامراس جمع مَرَس وهي الحبال جمع مرسة وهو الحبل . الصم الصلب . والجندل الصخرة

وقربة أقوام جعلت عصامها
علي كاهل مني ذلول مُرحَّل (٤٣)
وواد كجوف العير قفر قطعته
به الذئب يعوي كالخليع المعيَّل (٤٤)
فقلت له لما عوى ان شأننا
قليل الغنى ان كنت لما تمول (٤٥)
كلانا اذا ما نال شيئاً أفاته
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٤٦)
وقد اغتدي والطير في وُكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل (٤٧)

مِكَرّ مفرّ مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل (٤٨)
كُميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل (٤٩)
علي الذبل جياش كأن اهتزامه
اذا جاش فيه حميه غلي مرجل (٥٠)
مسح اذا ما السابحات علي الوني

(٤٣ العصام وكاء القربة . والكاهل اعلي الظهر . والترحيل مبالغة الرحل يقال رحلته اذا كورت رحله . نسب جمهور الائمة هذا البيت والثلاثة التى بعده الي الشاعر تأبط شراً واذا تأملت بعين النقد رأيت ان مثل امرىء القيس وهو ابن ملك لا يحمل القربة علي عاتقه . (٤٤) العير الحمار وجمعه أعيار . والخليع الذى قد خلعه أهله لخبثه . وقيل معناه هنا المقامر . والمعيل الكثير العيال . والعواء صوت الذئب (٤٥) تمول الرجل صار ذا مال . (٤٦) أفاته بمعنى فوته . ويحترث من الاحتراث وهو الحرث وأصل معناه اصلاح الارض والقاء البذر فيها ثم أستعير للسعي والكسب (٤٧)

اغتدى بمعنى اغدو اى اذهب وقت الغداة. وكناتها جمع وكنة اى اوكارها. والمنجرد الفرس الماضي في السير . قيد الاوابد اى انه يقيد الوحوش عن الهرب. وهيكل اى عظيم الجرم (٤٨) مكر من الكر يقال كر فرسه علي عدوه اى عطفه عليه . ومكر معناه مبالغ في الكر. ومفر مثله من فر يفر . الجلمود الحجر الجامد. ومن عل اى من فوق (٤٩) الكميت صفة لفرسه اى هو كميت اللون . يزل اى يسقط . ولبد الفرس ما يوضع علي ظهره . والصفواء الحجر الصلب الأملس . والمتنزل المقصود به المطر . (٥٠) الذبل بمعنى الذبول . جياش اى مضطرب . والاهتزام التكسر . والحمي حرارة الغيظ وغيره . والمرجل القدر . أى ان هذا الفرس تغلي فيه حرارة النشاط علي ذبوله وضمور بطنه وكأن تكسر صهيله في

اثرن الغبار بالكديد المركل (٥١)
يزل الغلام الخف عن صهواته
ويلوى بأثواب العنيف المثقل (٥٢)
دَرير كخذروف الوليد أمره
تتابع كفيه بخيط موصل (٥٣)
له أيطلا ظبى وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل (٥٤)

صدره غليان قدر (٥١) مبالغة من السح اى الصب : والسابحات الخيول التى كأنها تسبح في مشيتها · والوني الفتور · الكديد الارض الصلبة المطمئنة. والمركل من الركل وهو الدفع بالرجل (٥٢) يزل يسقط · والخف الخفيف · والصهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس · ويلوى يرمي، والعنيف ضد الرفيق · يريد ان هذا الفرس يزلق من علي ظهره الغلام الخفيف ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل (٥٣) الدرير من دَرت الناقة اللبن ويجوز ان يكون بمعنى الدار ويجوز ان يكون بمعنى المدر من الادرار وهو جعل الشيء دارا والخذروف حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطا فيديرها الصبى علي رأسه شبه سرعة هذا الفرس بسرعة دوران الحصاة علي رأس الوليد وهو الصبي (٥٤) الايطل والاطل

ضليع اذا استدبرته سد فرجه
بضاف فويق الارض ليس بأعزل (٥٥)
كأن علي المتنين منه اذا انتحي
مداك عروس أو صلاية حنظل (٥٦)
كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حناء بشيب مرجل (٥٧)
فعن لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل (٥٨)

الخاصرة · والارخاء ضرب من عدو الذئب والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين في العدو ، والتتفل ولد الثعلب (٥٥) الضليع العظيم الاضلاع · والفرج الفضاء بين اليدين والرجلين. وبضاف أى بذنب ضاف أى سابغ · الاعزل الذى يميل عظم ذنبه الي أحد الشقين (٥٦) المتنان هما ماعن يمين الفقار وشماله · والانتحاء الاعتماد. والمداك الحجر الذى يسحق عليه شيء كالطيب وهو حب الحنظل (٥٧) الهاديات المتقدمات والاوائل · والمرجل الشعر المسرح · يقول كأن دماء أوائل الصيد علي نحر هذا الفرس عصارة حناء خضب بها الشيب المسرح (٥٨) عن أى عرض · والسرب القطيع من الظباء او النساء والدوار حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله بدل

فأدبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم في العشيرة مخول (٥٩)
فألحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها في صرة لم تزيل (٦٠)
فعادى عداء بين ثور ونعجة
دراكا ولم ينضح بماء فيغسل (٦١)
فظل طهاة اللحم من بين منضج
صفيف شواء اوقدير معجل (٦٢)

الكعبة اذا بعدوا عنها · والملاء جمع ملاءة. والمذيل الذى اطال ذيله وارخي (٥٩) الجزع الخرز اليماني والجيد العنق والمعم المخول الكريم الاعمام والاخوال · يقول فأدبرت النعاج كالخرز اليماني الذى فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبى كرم اعمامه واخواله (٦٠) الهاديات الاوائل المتقدمات والجواحر المتخلفات · والصرة الجماعة او الصيحة والتزيل التفريق · يقول فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش وجاوز بنا متخلفاته فهي دونه في جماعة لم تتفرق (٦١) فعادى اى فوالى · ودراكا اى متتابعا يقول فوالي بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طلق واحد ولم يعرق عرقا مفرطا (٦٢) الصفيف المصفوف علي الحجارة لينضج · والقدير اللحم المطبوخ في القدر · يقول

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه
متى ما ترق العين فيه تسفل (٦٣)
فبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعيني قائما غير مرسل (٦٤)
أصاح ترى برقا أريك وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل (٦٥)
يضيء سناه أو مصابيح راهب
أمال السليط بالذبال المفتل (٦٦)

فظل المنضجون للحم وهم صنفان صنف يعملون منه شواء مصفوفا علي الحجارة في النار وصنف يطبخون اللحم في القدر (٦٣) متى ماترق اى متى ماترتقي · أى أمسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه واستقصاء محاسن خلقه ومتى ترقت العين في اعالي خلقه نظرت الى قوائمه رغبة منها في المتاع بنظر مجموعه (٦٤) اى بات مسرجا قائما بين يدى غير مرسل الي المرعي (٦٥) الوميض اللمعان · ولمع اليدين تحريكهما والحبى السحاب المتراكم · يقول ياصاحبى هل ترى برقا أريك لمعانه في سحاب متراكم صار اعلاه كالاكاليل لاسفله او في سحاب متبسم بالبرق يشبه برقه تحريك اليدين (٦٦) السناء الضوء · السليط الزيت · والذبال جمع ذبالة وهي

قعدت له وصحبتي بين ضارج
وبين العذيب بعد ما متأملي (٦٧)
علي قطن بالشيم أيمن صوبه
وأيسره علي الستار فيذبل (٦٨)
فأضحي يسح الماء حول كتيفة
يكب علي الاذقان دوح الكنهبل (٦٩)
ومر علي القنان من نفيانه

القنيلة (٦٧) ضارج والعذيب موضعان وبعد ما أصله بعد ما الخففه. وما زائدة يقول قعدت وأصحابي للنظر اي السحاب بين هذين الموضعين فبعد متأملي المنظور اليه وهو السحاب أى انه نظره من مكان بعيد فتعجب من بعد نظر من مكان بعيد وهو تعجب من بعد نظره (٦٨) قطن اسم جبل. وكذلك الستار ويذبل. والصوب المطر. والشيم النظر الي البرق مع ترقب المطر. يقول أيمن هذا السحاب علي قطن وأيسره علي الستار و يذبل بصف عظمه وغزارته. وقوله بالشيم أراد اني انما أحكم به حدسا وتقديراً لانه لايرى ستار ولا يذبل ولا قطنا معا (٦٩) الكب القاء الشيء علي وجهه. والدوح الاشجار العظيمة. والكنهبل ضرب من شجر البادية. يقول فأضحي هذا الغيث أو السحاب يصب

فأنزل منه العصم من كل منزل (٧٠)
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة
ولا أطما الا مشيدا بجندل (٧١)
كأن ثبيرا في عرانين وبله
كبير اناس في بجاد مزمل (٧٢)

الماء فوق هذا الموضع المسمى بكتيفة ويلقي الاشجار العظام من هذا الضرب الذى يسمى كنهبلا علي رؤوسها (٧٠) القنان اسم جبل. والنفيان مايتطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطء. والعصم جمع أعصم وهو الذى في احدى يديه بياض من الاوعال وغيرها. يقول ومر علي هذا الجبل مما تطاير وانتشر وتناثر من رشاش هذا الغيث فأنزل الاوعال العصم من كل موضع في هذا الجبل (٧١) تيماء قرية في بلاد العرب. والاطم القصر. والجندل الصخر. يقول ان هذا الغيث لم يترك شيئا من جذوع النخل بتيماء ولا شيئا من القصور الا ما كان منها مشيداً بالصخور أو مجصصا (٧٢) ثبيرا اسم جبل. والعرانين الانف وقد استعارها لاوائل المطر لان الانوف تتقدم الوجوه. والبجاد كساء مخطط. ومزمل أى ملتف بالثياب. يقول كأن ثبيراً في أوائل مطر هذا السحاب كبير قوم قد

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة
من السيل والغثاء فلكة مغزل (٧٣)
والقي بصحراء الغبيط بعاعه
نزول اليماني ذى العياب المحمل (٧٤)
كأن مكاكي الجواء غدية
صبحن سلافا من رحيق مفلفل (٧٥)

تلفف بكساء مخطط. شبه تغطيه بالغثاء بتغطي هذا الرجل بالكساء (٧٣) الذرى الاعالى والمجيمر اسم أكمة. والغثاء مايجيء به السيل من الحشيش والاقذار والمغزل آلة الغزل. وفلكة المغزل قطعة مستديرة في اعلاه. يقول كأن هذه الاكمة مما احاط بها من الغثاء فلكة المغزل (٧٤) الغبيط هنا اكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها وسميت غبيطا تشبيها بغبيط البعير. والبعاع الثقل. والعياب جمع عيبة وهي الاوعية التى توضع فيها الثياب والمعنى: القي هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الازهار فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليمانى صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها علي الناس (٧٥) المكاء ضرب من الطير والجمع المكاكي. والجواء الوادى والجمع الجوء. وغدية تصغير غدوة وغداة. والصبوح سقي

كأن السباع فيه غرقي عشية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٧٦)

الصبوح الاصطباح. والسلاف أجود الخمر والمفلفل الذى ألقي فيه الفلفل (٧٦) بأرجائه بأنحائه واحده رجا. والقصوى تأنيث الاقصي اى الأبعد والانابيش أصول النبت ينبش عنها واحدنها انبوشة والعنصل البصل البرى. يقول كأن السباع حين غرقت في سيول هذا المطر عشياً أصل البصل البرى. شبه تلطخها بالطين والماء الكدر بأصل البصل البرى لانها متلطخة بالطين والتراب

(معلقة الحارث بن حلزة) هي أربعة وثمانون بيتاً ذكر فيها محبوبته أسماء واستطرد الي ذكر الناقة التى يستعين بها علي كده وكدحه فأجاد في وصفها. ثم ألم بذكر الاراقم وهم أحياء من بني تغلب وبكر بن وائل وقال انهم اخوة ونصحهم بعدم التخاذل وأطال في عتابهم ونهي الوشاة الذين أوقعوا بينهم العداوة وبين عمرو وساق الكلام الي ايام بكر ثم مدح المنذر بن ماء السماء وذكر تغلب وبكر بن وائل بحلف ذى المجاز وبأنه لايجوز نقضه وبين انه من الظلم ان يتحملوا ديات الذين قتلوا.

لأنهم براء من دمائهم . ثم عرج من ذلك علي مدح عمرو بن هند فوصفه بالعدل في الحكم وما زال يعدد مفاخر قومه ويذكر رجالاتهم الذين أبلوا أحسن البلاء في الامور الجسام و يستلين تارة بني تغلب وتارة قومه ويشيد بذكر عمرو بن هند ومجده و يشير الي ربطهم بأواخي القرابة حتى حكم له وفاز علي عمرو بن كلثوم وكان ذلك سبباً لعداوة عمرو لعمرو بن هند وانتهي امرهما ان قتل الاول الثاني

اما القصيدة فهي بدوية مرتجلة يبدو عليها روح الحلم والأناة وهي :

آذنتنا ببينها اسماء
رب ثاو يُمل منه الثواء (١)
بعد عهد لنا ببُرقة شما
ء فأدني ديارها الخلصاء (٢)
فالمحياة فالصفاح فأعنا
ق فتاق فعاذب فالوفاء (٣)

(١) الايذان الاعلام والثواء الاقامة. يقول أعلمتنا اسماء بمفارقتها ايانا ثم قال رب مقيم تمل اقامته وليست اسماء منهم (٢) العهد اللقاء يقول عزمت علي فراقنا بعد ان لقينا ببرقة شماء وخلصاء التي هي اقرب ديارها النا . (٣) و (٤) هذه كلها

فرياض القطا فأودية الشُر
بب فالشعبتان فالأ بلاء (٤)
لا ارى من عهدت فيها فأبكي ال
يوم دلهاً وما يحير البكاء (٥)
وبعينيك أوقدت هند النا
ر أخيراً تلوي بها العلياء (٦)
فتنورت نارها من بعيد
بخزازى هيهات منك الصلاء (٧)

مواضع عهدها بها . يقول قد عزمت علي مفارقتنا بعد طول العهد (٥) يحير اي يرد. يقول لا أري في هذه المواضع من عهدت فيها ، يريد أسماء ، فأنا أبكي اليوم دلها أي ذاهب العقل وأي شيء يرده البكاء علي صاحبه أي لا يرد البكاء علي صاحبه فائتاً ولا يجدي عليه شيئاً (٦) تلوي بالشيء أشار به والعلياء البقعة العالية يخاطب نفسه يقول انما أوقدت هذه النار بمرآك وكانت تشير اليه من البقعة العالية التي أوقدتها بها يريد انها ظهرت له أتم ظهور (٧) التنور النظر الي النار ، وخزازى اسم بقعة ، وصلاء مصدر صلي النار اذا احترق بها يقول ولقد نظرت الي نار هند بهذه البقعة علي بعد لأصلاها ثم قال ما أبعد الاصطلاء بها اي عاقته العوائق عنها

أوقدتها بين العقيق فشخصيـ
ـن بعود كما يلوح الضياء (٨)
غير اني قد أستعين علي الهم
اذا خف بالثوي النجاء (٩)
بزفوف كأنها هقلة
أمُ رئال دوية سقفاء (١٠)
آنست نبأة وأفزعها القنـ
ـاص عصراً وقد دنا الامساء (١١)
فترى خلفها من الرجع والوقـ
ـع منيناً كأنه أهباء (١٢)

(٨) أوقدت هند هذه النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء (٩) غير اني بريد ولكني . انتقل من النسيب الي ذكر حاله في طلب المجد . والثوى والثاوي المقيم في السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف (١٠) بزفوف اي بمسرعة والهقلة النعامة والظليم هقل . والرئال أولاد النعامة والدوية منسوبة الي الدو وهي المفازة وسقفاء اي طويلة مع انحناء (١١) النبأة الصوت الخفي . والقناص جمع قانص وهو الصائد يقول أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشياً (١٢) المنين الغبار الرقيق والأهباء جمع هباء . يقول فترى أنت خلف هذه الناقة غباراً كأنه هباء منبث

وطراقاً من خلفهن طراق
ساقطات ألوت بها الصحراء (١٣)
أتلهى بها الهواجر اذ
كل ابن هم بلية عمياء (١٤)
وأتانا من الحوادث والأنـ
ـباء خطب نعنى به ونساء (١٥)
ان اخواننا الاراقم يغلو
ن علينا في قيلهم احفاء (١٦)
يخلطون البريء منا بذي الذ
نب ولا ينفع الخلي الخلاء (١٧)

(١٣) الطراق يريد بها أطباق نعلها. وألوى بالشيء افناه وأبطله . يقول وترى خلفها أطباق نعلها في أماكن مختلفة وقد قطعها قطع الصحراء (١٤) يقول أتلهى بها في أشد ما يكون من الحر اذا تحير كل صاحب هم كحيرة الناقة البلية العمياء، أي انه لا يعوقه الحر عن مرامه (١٥) يقول ولقد أتانا من الحوادث والاخبار أمر عظيم نحن معنيون أي محزونون لأجله (١٦) الاراقم بطون من تغلب . والغلو مجاوزة الحد . والاحفاء الالحاح ثم فسر ذلك الخطب فقال هو تعدى اخواننا من الاراقم علينا وغلوهم في عدوانهم في مقالتهم (١) يريد بالخلي البريء من الذنب يقول انهم يخلطون

زعموا ان كل من ضرب العيـ
ـر موال لنا وانا الولاء (١٨)
أجمعوا أمرهم عشاء فلما
أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء (١٩)
من مناد ومن مجيب ومن تصـ
ـهال خيل خلال ذاك رغاء (٢٠)
أيها الناطق المرقش عنا
عند عمرو وهل لذاك بقاء (٢١)
لاتخلنا على غراتك انا
قبل ماقد وشي بنا الاعداء (٢٢)

برآء نا بمذنبينا فلا تنفع البرىء براءة ساحته من الذنب (١٨) العير هنا السيد وقوله وانا الولاء . أى أصحاب ولائهم . والمعنى زعم الاراقم ان كل من يرضى بقتل كليب وائل بنو أعمامنا وأنا أصحاب ولائهم نلحقنا جرائرهم (١٩) يقول أجمعوا أمرهم على قتالنا عشاء فلما أصبحوا جلبوا وصاحوا (٢٠) يقول اختلطت أصوات الداعين والمجيبين والخيل والابل . يريد بذلك انهم تجمعوا وتأهبوا (٢١) يقول أيها الناطق عند الملك عمرو بما يريبه عنا و يشككه فينا هل لذلك التبليغ بقاء وهو كذب وافتراء ؟ (٢٢) يقول لاتظننا متذللين متخاشعين لاغرائك الملك بنا وقد وشي بنا الى الملوك أعداؤنا

فبقينا على الشناءة تنميـ
ـنا حصون وعزة قعساء (٢٣)
قبل ماالیوم بيضت بعيون الـ
ـناس فيها تغيظ وإباء (٢٤)
وكأن المنون تردى بنا أر
عن جونا ينجاب عنه العماء (٢٥)
مكفهر على الحوادث لاتر
توه للدهر مؤيد صماء (٢٦)

قبلك · أى ان وشايتك بنا لاتقدح فينا (٢٣) الشناءة البغض . تنمينا ترفعنا . يقول فبقينا على بغض الناس ايانا واغرائهم الملوك بنا ترفع شأننا حصون منيعة وعزة ثابتة (٢٤) الباء في بعيون زائدة اى بيضت عيون الناس . وتبييض العين كناية عن الاعماء . يقول قد أعمت عزتنا قبل يومنا الذى نحن فيه عيون أعدائنا من الناس (٢٥) الردى الرمي . الأرعن الجبل . والجون الوسود والأبيض جميعا والجمع جون والانجياب الانكشاف والانشقاق والعماء السحاب يقول وكأن الدهر يرميه ايانا بمصائبه يرمي جبلا أرعن اسود ينشق عنه السحاب اى يحيط به ولا يبلغ أعلاه (٢٦) الاكفهرار شدة العبوس . والرتو الشد والارخاء جميعا وهو هنا بمعنى الارخاء

أرمي بمثله جالت الخيـ
ـل فآبت لخصمها الاجلاء (٢٧)
ملك مقسط وافضل من يمـ
ـشي ومن دون ماالديه الثناء (٢٨)
أيما خطة أردتم فأدو
ها الينا تشفى بها الاملاء (٢٩)

والمؤيد الداهية العظيمة مشتقة من الأيد وهو القوة الصماء الشديدة من الصمم الذى هو الشدة والصلابة . يقول يشتد ثباته على انتياب الحوادث فلا ترخيه ولا تضعفه داهية قوية (٢٧) ارم جد عاد يقول هو ارمي من الحسب قديم الشرف بمثله ينبغي ان تجول الخيل وان تأبي لخصمها ان يجلي صاحبها عن أوطانه (٢٨) يقول هو ملك عادل وهو أفضل ماش على الارض (٢٩) الخطة الامر العظيم الذى يحتاج الى المخلص منه أدوها اى فوضوها . والأملاء الجماعات من الاشراف . يقول فوضوا الى آرائنا كل خصومة أردتم تشفي بها جماعات الاشراف والرؤساء بالتخلص منها . يريد انهم أولو حزم يسهل عليهم مايتعذر على غيرهم من فصل الخصومات والقضاء في المشكلات

ان نبشتم مابين ملحة فالصا
قب فيه الاموات والاحياء (٣٠)
أو نقشتم فالنقش يجشمه النا
س وفيه الاسقام والابراء (٣١)
أو سكتم عنا فكنا كمن أغـ
ـمض عينا في جفنها الاقذاء (٣٢)
أو منعتم ماتسألون فمن حد
ثتموه له علينا العلاء (٣٣)

(٣٠) يقول ان بحثتم عن الحروب التى كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلي قد ثئر بها وقتلي لم يثأر بها فسمي الذين لم يثأر بهم أمواتا والذين ثئر بهم أحياء (٣١) النقش الاستقصاء ومنه قيل لاستخراج الشوك من البدن نقش . يقول ان استقصيتم في ذكر ماجرى بيننا من جدال وقتال فهو شيء قد يتكلفه الناس ويتبين فيه المذنب من البرىء . كني بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة (٣٢) يقول ان أعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع اضمارنا الحقد عليكم كمن أغضي الجفون على القذى (٣٣) يقول وان منعتم ماسألناكم من المهادنة فمن الذى حدثتم عنه انه عزنا وعلانا ؟ اى فأى قوم أخبرتم عنهم انهم فضلونا ؟ يريد لاقوم أشرف منا فلا تعجز

هل علمتم أيام ينتهب النا
س غوارا لكل حي عواء (٣٤)
اذ رفعنا الجمال من سعف البحـ
رين سيرا حتى نهاها الحساء (٣٥)
ثم ملنا علي تميم فأحرم
نا وفينا بنات قوم اماء (٣٦)

عن متابعتكم بمثل صنيعكم (٣٤) الغوار الغارة . يقول قد علمتم غناءنا في الحروب وحمايتنا أيام اغارة الناس بعضهم علي بعض وضجيجهم وصياحهم مما ألم بهم من الغارات وهل في هذا البيت بمعنى قد (٣٥) السعف اغصان النخلة الواحدة سعفة. قوله سيرا أى فسارت سيرا فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه والحسي رملة تحتها ماء والحسي رملة تحتها ماء. والحسي ايضا البئر القريبة الماء والجمع الأحساء . والحساء اسم موضع . يقول حين رفعنا جمالنا علي أشد السير حتى سارت من البحرين سيراً شديداً الي ان بلغت هذا الموضع الذى يعرف بالحساء . أى طوينا مابين هذين الموضعين سيرا واغارة علي القبائل فلم يكفنا شيء عن امرنا حتى انتهينا الي الحساء (٣٦) أحرمنا أى دخلنا في الشهر الحرام يقول ثم ملنا فأغرنا علي بني تميم ثم دخل الشهر الحرام وعندنا سبايا

لايقيم العزيز بالبلد السهـ
ل ولا ينفع الذليل النجاء (٣٧)
ليس ينجو موائلا من حذار
رأس طود وحرة رجلاء (٣٨)
ملك أضرع البرية لايو
جد فيها لما لديه كفاء (٣٩)
كتكاليف قومنا اذ غزا المنـ
ـذر هل نحن لابن هند رعاء (٤٠)

القبائل فبنات الذين أغرنا عليهم كن اماء لنا (٣٧) النجاء الاسراع في السير. يقول وحين كان الاحياء الاعزة يتحصنون بالجبال ولا يقيمون بالبلاد السهلة والاذلاء لا ينفعهم اسراعهم في الفرار . يريد ان الشر كان شاملا لم يسلم منه عزيز ولا ذليل (٣٨) موائل أى هارب وفازع . والرجلاء الغليظة الشديدة يقول لم ينج الهارب منها تحصنه بالجبل ولا بالحرة الغليظة الشديدة (٣٩) أضرع ذلل وقهر . والكفاء المكافيء يقول هو ملك ذلل الخلق فما يوجد فيهم من يساويه (٤٠) التكاليف المشاق والشدائد يقول هل قاسيتم من الشدائد ماقاسى قومنا حين غزا المنذر أعداؤه وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم أنتم رعاء له ؟

ماأصابوا من تغلبي فمطلو
ل عليه اذا أصيب العفاء (٤١)
اذا أحل العلياء قبة ميسو
ن فأدنى ديارها العوصاء (٤٢)
فتأوت له قراضبة من
كل حي كأنهم ألقاء (٤٣)
فهداهم بالاسودين وأمر الله
بلغ تشقى به الاشقياء (٤٤)

(٤١) طل دمه وأطل أهدر والعفاء الدروس أو التراب الذى يغطي الاثر . يقول ماقتلوا من بنى تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب . يريد ان دماء بنى تغلب تهدر ودماؤهم هم لاتهدر (٤٢) ميسون اسم امرأة . يقول: وانما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التى هي أقرب ديارها الى الملك (٤٣) القراضبة اللصوص واحدها قرضاب والتأوي التجمع والألقاء جمع لقوة وهي العقاب . يقول تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم (٤٤) الاسودان الماء والتمر . هداهم أى تقدمهم . يقول وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر . وقد يكون هدى بمعنى قاد . والمعنى فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ثم قال وأمر الله

اذ تمنونهم غروراً فساقتـ
ـهم اليكم أمنية أشراء (٤٥)
لم يغروكم غروراً ولكن
رفع الآل شخصهم والضحاء (٤٦)
أيها الناطق المبلغ عنا
عند عمرو وهل لذاك انتهاء (٤٧)
من لنا عنده من الآيا
ت ثلاث في كلهن القضاء (٤٨)
آية شارق الشقيقة اذ جا
ءت معد لكل حي لواء (٤٩)

بالغ مبلغه يشقي به الاشقياء في حكمه وقضائه . (٤٥) الاشراء البطرة . يقول حين تمنيتم قتالهم اياكم ومصيرهم اليكم اغتراراً بشوكتكم وعدتكم فساقتهم اليكم أمنيتكم التى كانت مع البطر (٤٦) الآل مايرى كالسراب في طرفي النهار. والضحاء بعد الضحي يقول ولم يأتوكم مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم لكم (٤٧) يقول أيها الواشي بنا عند عمرو بن هند ألا تنتهي عن تبليغ الاخبار الكاذبة (٤٨) يقول هو الذى لنا عنده ثلاث دلائل من دلائل غنائنا وحسن بلائنا في الحروب تقضي لنا علي خصومنا (٤٩) الشقيقة

حول قيس مستلئمين بكبش
قرظي كأنه عبلاء (٥٠)
وصتيت من العواتك لاتنـ
ـهاه الا مبيضة رعلاء (٥١)

ارض صلبة بين رملتين. والشروق الطلوع والاضاءة. يقول احداها شارق الشقيقة حين جاءت معد بألويتها وراياتها. واراد بشارق الشقيقة الحرب التى قامت بها (٥٠) اراد قيس بن معدى كرب من ملوك حمير والاستلئام لبس اللأمة وهي الدرع والقرظ شجر يدبغ به الأديم. والكبش السيد مستعار له بمنزلة القرم. والعبلاء هضبة بيضاء. يقول جاءت معد راياتها حول قيس متحصنين بسيده من بلاد القرظ وهي اليمن كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب. يريد انهم كفوا عادية قيس وجيشه عن عمرو بن هند (٥١) الصتيت الجماعة. والعواتك الشواب الحرائر من النساء. والرعلاء الطويلة الممتدة. يقول والثانية جماعة من اولاد الحرائر الكرائم السواب لا يمنعها عن مرامها الا كتيبة مبيضة بياض دروعها عظيمة ممتدة. وقيل بل معناه الا سيوف بيضاء طوال. وقوله من العواتك اى من اولاد العواتك

فرددناهم بطعن كما يخـ
ـرج من خربة المزاد الماء (٥٢)
وحملناهم على حزم ثهلا
ن شلالا ودمي الأنساء (٥٣)
وجبهناهم بطعن كما تنـ
ـهز في جمة الطوى الدلاء (٥٤)
وفعلنا بهم كما علم الله
وما ان للحائنين دماء (٥٥)

(٥٢) خربة المزاد ثقبها والمزاد جمع مزادة وهي زق الماء. يقول رددنا هؤلاء القوم بطعن خرج الدم من جراحه خروج الماء من أفواه القرب وثقوبها (٥٣) الحزم أغلظ من الحزن. وثهلان اسم جبل والشلال الطراد والأنساء جمع النسا وهو عرق معروف في الفخذ والدمى والادماء الملطخ بالدم. يقول ألجأناهم الى التحصن بمناعة هذا الجبل والالتجاء اليه في مطاردتنا اياهم وأدمينا الحاذهم بالطعن والضرب (٥٤) الجبه اعنف الردع. والجمة الماء الكثير المجتمع. والطوى البئر التى طويت بالحجارة. يقول منعناهم اشد منع فتحركت رماحنا في اجسادهم كما تحركت الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة (٥٥) الحائنين للهالكين. يقول وفعلنا بهم فعلا بليغاً

ثم حجرا عنى ابن ام قطام
وله فارسية خضراء (٥٦)
اسد في اللقاء ورد هموس
وربيع ان شمرت غبراء (٥٧)
وفككنا غل امرىء القيس عنه
بعد ما طال حبسه والعناء (٤٨)

لا يحيط به علما الا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك أو الهالكين لم يطلب بثارهم ودمائهم (٥٦) يقول ثم قاتلنا بعد ذلك حجر بن ام قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدأ. وقيل بل أراد وله دروس فارسية خضراء لصداها (٥٧) الورد الذى يضرب لونه الى الحمرة. والهمس صوت القدم وجعل الاسد هموسا لانه يسمع من رجليه في مشيه صوت. وشمرت استعدت. والغبراء السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها. يقول كان حجراً اسداً في الحرب بهذه الصفة وكان للناس بمنزلة الربيع اذا تهيأت واستعدت السنة الشديدة للشر. يريد انه كان ليث الحرب غيث الجدب (٥٨) يقول وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعد ما طال عليه

ومع الجون جون آل بنى الاو
س عنود كأنها دفواء (٥٩)
ما جزعنا تحت العجاجة اذ و
لوا شلالا واذ تلظى الصلاء (٦٠)
وأقدناه رب غسان بالمنـ
ـذر كرها اذ لا تكال الدماء (٦١)
وأتيناهم بتسعة أملا
ك كرام اسلابهم اغلاء (٦٢)

(٥٩) يقول وكانت مع الجون كتيبة عنيدة كأنها هضبة دفئة (٦٠) العجاجة الغبار. وتلظي تلهب. والصلاء والصلي مصدر صليت بالنار اذا نالك حرها. يقول ماجزعنا تحت غبار الحرب حين تولوا في حال الطراد ولا حين اشتعال نار الحرب (٦١) أقدته أعطيته القود. يقول وأعطيناه ملك غسان قوداً بالمنذر حين عجز الناس عن الاقتصاص والثأر. وجعل كيل الدماء مستعاراً للقصاص وهذه هي الآية الثالثة (٦٣) يقول واتيناهم بتسعة من الملوك وقد اسرناهم وكانت اسلابهم عالية الثمن الي عظم اخطارهم وجلالة اقدارهم. والاسلاب جمع سلب وهو السلاح والثياب والفرس

أم علينا تجرّى أياد كما نيـ
ط بجوز المحمل الاعباء (٧١)
ليس منا المُضَرَّبون ولاقيـ
س ولاجندل ولا الحدّاء (٧٢)
أم جنايا بنى عتيق فمن يغـ
در فانا من حربهم برآء (٧٣)
وثمانون من تميم بأيديـ
هم رماح صدورهن القضاء (٧٤)
تركوهم مُلَحَّبين وآبوا
بنهاب يصم منها الحُداء (٧٥)

غازيهم منكم، ومنا يكون جزاء ذلك (٧١) الجراء والجرى الجناية. والنوط التعليق، والجوز الوسط والجمع الاجواز. والعب. الثقل. يقول أم علينا جناية اياد. ثم قال ألزمتمونا ذلك كما تعلق الاثقال علي وسط البعير المحمل (٧٢) يقول هؤلاء المضربون ليسوا منا، عيرهم بأنهم منهم (٧٣) يقول أم علينا جنايا بنى عتيق ثم قال ان تقضتم فانا براء منكم (٧٤) القضاء القتل. يقول وغزا كم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل (٧٥) التلحيب التقطيع يقول تركت بنو تميم هؤلاء القوم مقطمين بالسيوف، قد رجعوا الي بلادهم بغنائم صم حداء حداتها أذان السامعين

أم علينا جرّى حنيفة أم ما
جمّعت من محارب غبراء (٧٦)
أم علينا جرّى قضاعة أم ليـ
س علينا فيما جنوا انداء (٧٧)
ثم جاؤا يسترجعون فلم تر
جع لهم شامة ولا زهراء (٧٨)
لم يحلوا بنى رزاح ببرقا
ء نطاع لهم عليهم دعاء (٧٩)
ثم فاؤا منهم بقاصمة الظهـ
ر ولا يبرد الغليل الماء (٨٠)

(٧٦) يقول أم علينا جناية بنى حنيفة، أو جناية ماجمعت الارض أو السنة الغبراء من محارب (٧٧) يقول أم علينا جناية قضاعة بل ليس علينا في جناياتهم جناح أى لا تلحقنا تلك الجناية (٧٨) يقول ثم جاؤا يسترجعون الغنائم فلم ترد عليهم شاة زهراء أى بيضاء ولا ذات شامة (٧٩) أحلته جعلته حلالا. يقول ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم منهم وما كان منهم دعاء علي قومنا يعيرهم بأنهم أحلوا محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم (٨٠) الفيء الرجوع. يقول انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم وغليل أجواف لا يسكنه شرب الماء لانه حرارة حقد لا عطش •

زولدنا عمرو بن ام اياس
من قريب لما اتانا الحباء (٦٣)
مثلها يخرج النصيحة للقو
م فلاء من دونها أفلاء (٦٤)
فاتركوا الطيخ والتعاشي واما
تتعاشوا ففي التعاشي الداء (٦٥)
واذكروا حلف ذى المجاز وماقد
م فيه العهود والكفلاء (٦٦)

(٦٣) يقول وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لما اتانا الحباء أى زوجنا امه من ابيه لما اتانا مهرها. يريد أنا اخوال هذا الملك (٦٤) يقول مثل هذه القرابة تستخرج النصيحة للقوم الاقارب قرب ارحام يتصل بعضها ببعض. والفلاة تجمع علي الفلا ثم تجمع الفلا علي الافلاء. وتحرير المعنى ان مثل هذه القرابة التى بيننا وبين الملك توجب النصيحة له اذ هي ارحام مشتبكة (٦٥) الطيخ التكبر. والتعاشي التعامي وهما تكلف العشي والعمي ممن ليس به عشي وعمي؟ وكذلك التفاعل اذا كان بمعنى التكلف. يقول فاتركوا التكبر واظهار التجبر والجهل وان لزمتم ذلك ففيه الداء يعنى افضي بكم الى شر عظيم (٦٦) ذو المجاز موضع جمع فيه عمر بن هند بكراً

حذر الجور والتعدى وهل ينـ
قض مافي المهارق الاهواء (٦٧)
واعلموا اننا واياكم فيـ
ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء (٦٨)
عَنَنًا باطلا وظلما كما تعـ
تر عن حجرة الربيض الظباء (٦٩)
أعلينا جناح كندة ان يغـ
نم غازيهم ومنا الجزاء (٧٠)

وتغلب وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون. يقول واذكروا العهد الذى كان منا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه (٦٧) المهارق الصحائف يقول واننا عاقدنا لك حذر الجور والتعدى من احدى القبيلتين فلا تنقض ما كتب في المهارق الاهواء الباطلة (٦٨) يقول واعلموا اننا واياكم في تلك الشرائط التى اوثقناها يوم تعاقدنا مستوون (٦٩) العنن الاعتراض من عن أى ظهر. والعتر ذبح العتيرة وهى ذبيحة كانت تضحي للاصنام فى رجب. والحجرة الناحية وقد كان الرجل ينذر ان بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للاصنام ثم يعاضن فأخذ ظبيا وذبحه مكان الشاة. يقول الزمتمونا ذنب غيرنا عننا باطلا كما يذبح الظبى لحق وجب في الغنم. الجناح الاثم. يقول أعلينا ذنب كندة ان يغنم

ثم خيل من بعد ذاك مع الـ
فلاق لا رأفة ولا ابقاء (٨١)

وهو الرب والشهيد علي يو
م الحيارين والبلاء بلاء (٨٢)

يريد انهم قتوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم (٨١) يقول ثم جاءتكم خيل مع الفلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم ولم تبق عليكم (٨٢) يقول وهو الملك والشاهد علي حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء أى قد بلغ عناؤهم الغاية ويريد بالشاهد عمرو بن هند فانه شهد عناءهم

***

(معلقة زهير بن أبي سلمى) عددها أربعة وستون بيتا وهي على صغرها تزيد على أمثالها في فن المدح فقد ورد فيها ذكر هرم بن سنان والحارث بن عوف لاصلاحهما بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلي وفيها حكم بالغة وأمثال بارعة وروحها الحث على حقن الدماء وترك الشرور والدعوة الي المعروف

وفيها غزل ولكنه دون غزل سابقيه وعبارة زهير ظاهر فيها أثر الصنعة وهي محلاة بمعان دقيقة وكنايات وتمثيلات ليست لغيرها . وقد قالتان ان نذكرها في ترجمته فأتي عليها هنا وهي :

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم (١)

ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم في نواشر معصم (٢)

بها العين والآرام يمشين خلفة
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم (٣)

(١) الدمنة ما اسود من آثار الدار . وحومانة الدراج والمتثلم موضعان . يقول أمن منازل الحبيبة المكنية بأم أوفي دمنة لاتجيب سؤالها بهذين الموضعين ؟ (٢) الرقمتان حرتان احداهما قريبة من البصرة والاخرى قريبة من المدينة . والحرة هي أرض بها حجارة سوداء . والمراجيع جمع مرجوع من قولهم رجعه رجعاً أراد الوشم المجدد . ونواشر المعصم عروقه الواحد ناشر . والمعصم موضع السوار . يقول أمن منازلها بالرقمتين يريد انها تحل الموضعين عند طلب الكلأ فقط لبعد أحدهما عن الآخر . ثم شبه رسوم دارها بها بوشم في المعصم قد ردد وجدد بعد انمحائه شبه رسوم الدار عند تجديد السيول اياها بكشف التراب عنها بتجديد الوشم (٣) العين أى البقر العين والعين الواسعات

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأياً عرفت الدار بعد توهم (٤)

أثافي سفعا في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم (٥)

العيون . والآرام جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض . وقوله خلفة أى يخلف بعضها بعضا اذا مضي قطيع منها جاء قطيع آخر . والاطلاء جمع الطلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية و يستعار لولد الانسان ويكون هذا الاسم للولد من حين يولد الى شهر أو أكثر منه . والجثوم للناس والطير والوحوش بمنزلة البروك للبعير . يقول بهذه الدار بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها خالفات بعضها بعضا وأولادها ينهضن من مرابضها لترضعها أمهاتها (٤) الحجة السنة . واللأى الجهد والمشقة . يقول وقفت بدار أم أوفي بعد مضي عشرين سنة من بينها وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، يريد انه لم يثبتها الا بعد جهد ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها (٥) الاثافي جمع أثفية وهي حجارة توضع القدر عليها ثم ان كان من الحديد سمي منصبا والسفع جمع أسفع وهو الاسود والمعرس

فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا انعم صباحا ايها الربع واسلم (٦)

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم (٨)

المنزل من التعريس وهو النزول في وقت السحر ثم استعير للمكان الذى تنصب فيه القدر . والمرجل القدر . والنؤى نهير يحفر حول البيت ينزل فيه الماء الذى ينصب من البيت عند المطر ولا يدخل اليه . والجذم الاصل . يقول عرفت حجارة سوداء تنصب عليها القدر وعرفت نهيراً كان حول البيت ام اوفي بقي غير متثلم كأنه اصل حوض . نصب اثافي علي البدل من الدار من قوله عرفت الدار . يريد ان هذه الاشياء دلته علي انها دار أم اوفي (٦) انعم صباحا اى نعمت صباحا يقول وقفت بدار أم اوفي فقلت لدارها محييا اياها وداعيا لها طاب عيشك في صباحك وسلمت (٧) الظعائن جمع ظعينة مشتقة من الظعن وهو الارتحال . بالعلياء اى بالارض العلياء وجرثم اسم ماء . يقول قلت لخليلي انظر هل ترى بالارض العالية من فوق هذا الماء نساء في هوادج علي الابل . يريد أن الوجد برح به حتى ظن المحال لفرط

جعلن القنان عن يمين وحزنه
وكم بالقنان من محل ومحرم (٨)
علون بأنماط عتاق وكلة
وراد حواشيها مشاكهة الدم (٩)
ووركن في السوبان يعلون متنه
عليهن دل الناعم المتنعم (١٠)

ولمه لان كونهن بحيث براهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال (٨) القنان جبل لبني أسد عن يمين يريد الظعائن وا لحزن ما غلظ من الارض وكان مرتفعا. ومن محل ومحرم يقال حل الرجل من احرامه وأحل وقيل يريد دخل في أشهر الحل ودخل في أشهر الحرم (٩) انماط جمع نمط وهو ما يبسط من صنوف الثياب . والعتاق الكرام. والكلة الستر الرقيق. والوراد جمع ورد وهو الاحمر. والمشاكهة المشابهة . يقول وأعلين انماطا كراما اى القينها علي الهوادج وغشينها بها ثم وصف تلك الثياب بأنها حمر الحواشي يشبه الوانها الدم في شدة الحمرة (١٠) السوبان الارض المرتفعة اسم علم والتوريك ركوب وراك الدواب . يقول وركبت هذه النسوة اوراك ركابهن في حال علوهن من السوبان وعليهن دلال الانسان الطيب العيش المتنعم

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة
فهن ووادى الرس كاليد للفم (١١)
وفيهن ملهى للطيف ومنظر
أنيق لعين الناظر المتوسم (٢١)
كأن فتات العهن في كل منزل
نزلن به حب الفنا لم يحطم (٣١)

(١١) بكرن اى سرن بكرة واستحرن أى سرن سحراً . ووادى الرس وادمعروف . يقول ابتدأن السير وسرن سحراً . وهن قاصدات لوادى الرس لايخطئنه كاليد القاصدة للفم لاتخطئه (٢١) الملهى اللهو وموضعه . واللطيف المتأنق الحسن المنظر. والانيق المعجب والمتوسم المتفرس. يقول وفي هؤلاء النسوة لهو وموضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر . المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن (١٣) الفتات اسم لما انفت من الشيء أى تقطع وتفرق وأصله من الفت وهو التقطيع. والفنا عنب الثعلب. والتحطم التكسر والحطم الكسر . والعهن الصوف المصبوغ الذي زينت به الهوادج في كل منزل نزله هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب في حال كونه غير محطم لانه اذا حطم زايله لونه. شبه الصوف الاحمر بحب عنب

فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصي الحاضر المتخيم (١٤)
وظهرن في السوبان ثم جزعنه
علي كل قيني قشيب ومفأم (١٥)
فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم (١٦)

الثعلب قبل حطمه (١٤) الزرق شدة الصفاء. يقال نصل ازرق اذا اشتد صفاؤه وجمعه زرق . والجمام جم الماء وجمته وهو ما اجتمع منه في البئر والحوض ووضع العصي كناية عن الاقامة. والتخيم بناء الخيمة . يقول فلما وردت هؤلاء الظعائن الماء وقد اشتد صفاء ماجمع منه فى الآبار والحياض عزمن الاقامة كالحاضر المبتنى الخيمة (١٥) الجزع قطع الوادى والقين كل صانع عند العرب قين. والقشيب الجديد والمفأم الموسع يقول علون من وادى السوبان ثم قطعنه مرة أخرى لانه اعترض لهن في طريقهن مرتين وهن علي كل رحل قيني جديد موسع (١٦) يقول حلفت بالكعبة التى طاف حولها من بناها من القبيلتين جرهم قبيلة قديمة تزوج منهم اسماعيل عليه السلام فغلبوا علي الكعبة والحرم بعدوفاته وضعف اولاده . ثم استولي عليه خزاعة

يمينا لنعم السيدان وجدتما
علي كل حال من سحيل ومبرم (١٧)
تداركتما عبسا وذبيان بعد ما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (١٨)

ثم قريش (١٧) السحيل المفتول علي قوة واحدة . والمبرم المفتول علي قوتين أو أكثر ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوى. يقول حلفت يمينا أى حلفت حلفا نعم السيدان وجدتما علي كل حال من حال ضعف وحال قوة لقد وجدتماهما كاملين مستوفيين خلال الشرف في حال يحتاج فيها الى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها الي معاناة النوائب . وأراد بالسيدين هرم ابن سنان والحارث بن عوف مدحهما لاتمامها الصلح بين عبس وذبيان وتحملها أعباء ديات القتلي (١٨) التدارك التلافي اى تداركتما امرهما والتفاني التشارك في الفناء ومنشم قيل انه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منهم عطراً منها وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الايدى في ذلك العطر فقاتلوا عدوهم فقتلوا عن آخرهم فضرب به المثل . وقيل منشم كان عطاراً يشترى منه مايحنط به الموتي فسار المثل بعطره يقول لاقينا أمر هاتين القبيلتين بعد ما أفنى

وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً
بمال ومعروف من القوم نسلم (١١)
فأصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومأثم (٢٠)
عظيمين في عليا معد هديتما
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم (٢١)
تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت
ينجمها من ليس فيها بمجرم (١٢)

رجالها وبعد دقهم عطر هذه المرأة اى بعد اتيان القتال علي آخرهم (١٩) يقول وقد قلتم ان ادركنا الصلح واسعاً اى ان اتفق لنا اتمام الصلح بين القبيلتين سلمنا من تفاني العشائر (٢٠) يقول فأصبحتما علي خير موطن من الصلح بعيدين في اتمامه من عقوق الاقارب والاثم بقطيعة الرحم (٢١) الاستباحة وجود الشيء مباحاً أو جعله مباحاً . وهي ايضاً الاستئصال . يقول ظفرتما بالصلح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معد وحسبها . ثم دعا لها فقال هديتما الى طريق الصلاح . ثم قال ومن وجد كنزاً من المجد مباحاً واستأصله عظم امره بين الكرام (٢٢) الكلوم جمع كلم وهو الجرح . والتعفية التمحية . يقول تمحي وتزال الجراح بالمئين من الابل

ينجمها قوم لقوم غرامة
ولم يهريقوا بينهم ملء محجم (٢٣)
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم
مغانم شتى من افال مزنم (٢٤)
الا ابلغ الاحلاف عني رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم (٢٥)

فأصبحت الابل يعطيها نجوماً اى قطعاً من هو بريء الساحة في هذه الحرب (٢٣) يقول ينجم الابل قوم غرامة لقوم وهؤلاء الذين ينجمون الديات لم يريقوا مقدار ما يملأ محجماً من دم (٢٤) التلاد والتليد المال القديم الموروث . والافال جمع افيل وهو الصغير السن من الابل والمزنم المعلم بزنمة . يقول فأصبح يجرى في أولياء المقتولين من نفائس اموالكم الموروثة غنائم متفرقة من ابل صغار معلمة وخص الصغار لأن الديات كانت تعطي منها (٢٥) الاحلاف والحلفاء الجيران جمع حليف . اقسم اى حلف . وتقاسم القوم اى تحالفوا والمقسم الحلف . يقول ابلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم قد حلفتم علي ابرام حبل الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث وتجنبوا

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم (٢٦)
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب أو يعجل فينقم (٢٧)
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم (٢٨)
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم (٢٩)

(٢٦) يقول لا تخفوا من الله ما تضمرون من الغدر ونقض العهد فمهما يكتم من الله شيء يعلمه (٢٧) أى يؤخر عقابه ويرقم في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير الي الآخرة فينتقم من صاحبه . يريد أن لا مخلص من عقاب الذنب آجلا أو عاجلا (٢٨) الحديث المرجم الذى يرجم فيه بالظنون يقول ليست الحرب الا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها وما هذا القول بحديث مرجم عن الحرب أى هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة وليس من أحكام الظنون (٢٩) الضرى شدة الحرص وكذلك الضراوة والفعل ضرى يضرى . وضريتموها أى حملتموها علي الضراوة . يقول متى تبعثوا الحرب تبعثوها

فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم (٣٠)
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم (٣١)

مذمومة أى انكم اذا أوقدتم نار الحرب ذممتم ومتى أثرتموها ثارت . يحثهم علي التمسك بالصلح ويعلمهم سوء ايقاد نار الحرب (٣٠) ثفال الرحى خرقة أو جلدة تبسط تحتها ليسقط عليها الطحين. واللقح حمل الولد والقاح الناقة حملها كذلك . والكشاف أن تلقح النعجة في السنة مرتين وأتنجت الناقة اذا ولدت . والاتئام ان تلد الانثى توأمين . يقول وتعرككم الحرب عرك الرحا الحب مع ثفالها . ثم قال وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين . وبالغ في وصفها باستتباع الشر شيئين أحدهما جعله اياها لاقحة كشافاً والآخر توأمين (٣١) الشؤم ضد اليمن والاشأم أفعل من مشئوم . وأراد بأحمر عاد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة يقول فتولد لكم أبناء في أثناء تلك الحروب كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة ثم ترضعهم الحروب وتفطمهم فيصبحون مشائيم علي آبائهم

فتُغلِل لكم مالا تغل لاهلها
قرى بالعراق من قفيز ودرهم (٣٢)
لعمرى لنعم الحي جر عليهم
بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم (٣٣)
وكان طوى كشحاً علي مستكنة
فلا هو أبداها ولم يتقدم (٣٤)

(٣٢) أغلّت الارض تغل اذا كانت لها غلة . فيقول فتغل لكم الحروب حينئذ ضروبا من الغائلات لاتكون تلك الغلات لقرى من التى تغل الدراهم بالقفيزات والمعنى ان المضار المتولدة من هذه الحروب تربي علي لمنافع المتولدة من هذه القرى كل هذا حث منه اياهم علي الاعتصام بحبل الصلح وزجر عن الغدر بايقاد نار الحرب (٣٣) جر عليهم جنى عليهم . يؤاتيهم يوافقهم. قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم قبل هذا الصلح فلما اصطلحت القبيلتان عبس وذبيان استتر حصين بن ضمضم لئلا يطالب بالدخول فى الصلح وكان ينتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس فقتله بأخيه فاستقر الامر بين القبيلتين علي دفع دية القتيل . يقول الحصين بن ضمضم وان لم يوافقوه عليه قسم بحياتي لنعمت القبيلة جنى عليهم

وقال سأقضي حاجتى ثم أتقي
عدوى بألف من ورائي مُلجَم (٣٥)
فشد ولم يفزع بيوتاً كثيرة
لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم (٣٦)
لدى اسدشا كي السلاح مقذف
له لبد أظفاره لم تُقَلَّم (٣٧)

اضمار الغدر (٣٤) الكشح منقطع الاضلاع والاستكنان طلب الكن والاستتار يقول وكان حصين أضمر في صدره حقداً وطوى كشحه علي نية مستتره فيه ولم يظهرها لأحد ولم يقدم عليها قبل امكان الفرصة (٣٥) يقول وقال حصين في نفسه سأقضي حاجتى من قاتل أخي أو اقتل كفؤا له ثم اجعل بيني و بين عدوى الف فارس ملجم فرسه او الفامن الخيل ملجمة (٣٦) الشدة الحملة وقد شد عليه يشد شدا . والافزاع الاخافة وام قشعم كنية الموت . يقول فحمل حصين علي الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتاً كثيرة اى لم يتعرض لغيره عند ملقي رحل المنية . وملقي الرحل المنزل لأن المسافر يلقي برحله. اراد عند منزل المنية وجعله منزل المنية لحلولها قتل حصين (٣٧) شاكي السلاح وشائك السلاح كله من الشوكة وهي الحدة والقوة.

جرىء متى يُظلم يعاقب بظلمه
سريعاً والا يُبد بالظلم يظلم (٨٣)
رعوا ظمأهم حتى اذا تم اوردوا
غماراً تفرّى بالسلاح وبالدم (٣٩)

مقذف اى يقذف به كثيراً الي الوقائع . واللبد جمع لبدة الاسد وهي ما تلبد من شعره علي منكبيه . يقول عند اسد تام السلاح يصلح لان يرمي به الي الحروب والوقائع يشبه اسداً له لبدتان لم تقلم براثنه. والبيت كله من صفة حصين (٨٣) يقول هو شجاع متى ظُلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً وان لم يظلم احد ظلم الناس اظهاراً لغنائه وحسن بلائه والبث من صفة اسد في الذى قبله وعني به حصينا. ثم اضرب عن قصته ورجع الي تقبيح صورة الحرب والحث علي الاعتصام بالصلح (٣٩) الظمأ ما بين الوردين والغمار جمع غمر وهو بالماء الكثير والتفرى التشقق · يقول ارعوا ابلهم الكلا حتى اذا تم الظمأ اوردوها مياه كثيرة. والمعنى انهم كفوا عن القتال مدة معلومة كما ترعي الابل مدة معلومة ثم عادوا الي الوقائع كما يعود الابل بعد الرعي فالحروب بمنزلة الغمار والكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا
الى كلأ مستوبل متوخَّم (٤٠)
لعمرك ماجرت عليهم رماحهم
دم ابن نهيك أو قتيل المُثلَّم (٤١)
ولا شاركت في الموت في دم نوفل
ولا وهب منهم ولا ابن المخزم (٤٢)
فكلا اراهم اصبحوا يعقلونه
صحيحات مال طالعات بمخزم (٤٣)

(٤٠) قضيت الشيء احكمته واتممته . اصدر ضد اورد . واستوبل الشيء وجده وبيلا . واستوخمه وجده وخيما . يقول فأحكموا وتمموا منايا بينهم اى قتل كل واحد من الحيين صنفا من الآخر فكأنهم تمموا منايا قتلاهم ثم اصدروا ابلهم الي كلا وبيل وخيم . اى أقلعوا عن القتال واشتغلوا بالاستعداد له ثانيا كما تصدر الابل فترعى الى ان تورد ثانياً . ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين يعقلون القتلي ويدونها (٤١) يقول لعمرك ان رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسمين (٤٢) اى ولا شاركت رماحهم في قتل نوفل ولا وهب ولا ابن المخزم (٤٣) عقل القتيل ادى دينه . وطلع الثنية واطّلعها علاها . والمخرم منقطع انف الجبل والطرق فيه .

لحي حلان يعصم الناس أمرهم
اذا طرقت احدى الليالي بمعظم (٤٤)
كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله
ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم (٤٥)
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم (٤٦)
واعلم ما في اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم (٤٧)

يقول وكل واحد من القتلى ارى العاقلين يعقلونه بصحيحات ابل تعلو في طرق الجبال عند سوقها الى اولياء المقتولين (٤٤) حلال جمع حال . يعصم اى يمنع . والطروق ليلا وأعظم الامر ى صار الي حال المعظم أى هم يعقلون القتلي لاجل حي نازلين يعصم امرهم جيرانهم وحلفاؤهم اذا اتت احدى الليالي بأمر فظيع . اى اذا نابتهم نائبة عصموهم ومنعوهم (٤٥) الضغن الضغينة . والتبل الحقد والجارم الجاني يقول لحي كرام لا يدرك ذو الوتر وتره عندهم ولا يقدر علي الانتقام منهم من ظلموه بل يخذلونه بنصره (٤٦) يقول ملت مشاق الحياة وشدائدها ومن عاش ثمانين سنة ملها لا محالة (٤٧) يقول قد يحيط علمي بما مضي وما حضر ولكني عمي القلب عن الاحاطة بما هو

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم (٤٨)
ومن لم يصانع في امور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم (٤٩)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لم يتق الشتم يشتم (٥٠)

منتظر ومتوقع (٤٨) الخبط الضرب باليد والعشواء تأنيث الاعشي اى التى لا تبصر ليلا ويقال في المثل خابط عشواء أى راكب رأسه في الضلالة كالناقة التى لا تبصر ليلا فتخبط بيديها علي عمى . يقول رأيت المنايا تصيب الناس علي غير نسق وترتيب كما ان هذه الناقة تطأ علي غير بصيرة . وقد اخطأ زهير في هذا فان لكل أجل كتابا . ثم قال من اصابته المنايا اهلكته ومن اخطأته ابقته فعمر (٤٩) يقول من لم يدار الناس في كثير من الامور قهروه واذلوه وربما قتلوه كالذى يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم والتضريس العض علي الشيء بالضرس والمنسم للبعير بمنزلة السنبك للفرس (٥٠) يقول ومن يجعل معروفه مانعا ذم الرجال لعرضه وجعل احسانه واقيا له وفر مكارمه . ومن لا يتق شتم الناس اياه شتموه

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
علي قومه يستغن عنه ويذمم (٥١)
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه
الي مطمئن البر لا يتجمجم (٥٢)
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وان يرق اسباب السماء بسلم (٥٣)
ومن يجعل المعروف في غير اهله
يكن حمده ذما عليه ويندم (٥٤)
ومن يعص اطراف الزجاج فانه
يطيع العوالي ركبت كل لهذم (٥٥)

يريد أن من بذل معروفه صان عرضه . ومن يبخل بمعروفه عرض عرضه للذم والشتم . يقال وفرت الشيء اوفره وفرا كثرته ووفرته فوفر وفورا (٥١) يقول ومن يك ذا مال فيبخل علي قومه به استغنوا عنه وذموه (٥٢) يقول ومن اوفي بعهده لم يلحقه ذم ومن يهد قلبه الى بر لا يتردد في ايتائه (٥٣) يقول من خاف اسباب المنايا نالته ولو رام الصعود الى السماء فرارا (٥٤) يقول ومن وضع نعمة في غير أهلها ذم ولم يحمد فندم (٥٥) الزجاج جمع زج وهو حديدة الرمح المركبة في اسفله واللهذم السنان الطويل . يقول ومن عصي اطراف الزجاج اطاع عوالي الرماح وهي ضد سافلاتها التى

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم (٥٦)
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم (٥٧)
ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفي علي الناس تعلم (٥٨)
وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلم (٥٩)
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم (٦٠)

ركبت كل سنان طويل (٥٦) يذد أى يردع يقول ومن لا يردع أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه ومن كف عن ظلم الناس ظلموه (٥٧) يقول ومن اغترب حسب عداه أصدقاءه لانه يجربهم فتفقه التجارب علي ضمائر صدورهم ومن لا يكرم نفسه لا يكرمه الناس (٥٨) يقول ومهما كان للانسان من خلق فأخفاه اطلع عليه الناس (٥٩) وكائن أى وكم يقول وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وانما تظهر زيادته أو نقصانه عند تكلمه (٦٠) هذا كقول العرب المرء بأصغريه قلبه ولسانه

وان سفاه الشيخ لا حلم بعده
وان الفتى بعد السفاهة يحلم (٦١)
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم
ومن أكثر التسآل يوماً سيحرم (٦٢)

(٦١) يقول اذا كان الشيخ سفيهاً لم يرج حلمه لانه لا حال بعد الشيب الا الموت والفتى وان كان نزقاً سفيهاً أكسبه شيبه حلماً ووقاراً (٦٢) يقول سألناكم رفدكم ومعروفكم فجدتم بهما فعدنا الي السؤال وعدتم الي النوال ومن اكثر السؤال حرم يوماً لا محالة

***

(معلقة اعشى بكر) المعلقات المشهورة سبع هي لامرىء القيس وزهير ابن ابي سلمي والحرث بن حلزة وطرفة ابن العبد ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة ولكن بعض الرواة نسب للنابغة الذبياني والاعشي معلقتين فترى اتماماً للفائدة أن نأتي علي معلقة الاعشي هنا لاننا لم نثبتها في ترجمته في مادة (عشو). أما معلقات النابغة وعنترة ولبيد وعمرو بن كلثوم فنأتي عليها عند ترجمتهم

قال الاعشي .

ما بكاء الكبير بالاطلال
وسؤالي وما ترد سؤالي

دمنة قفرة تعاورها الصيـ
ـف بريحين من صبا وشمال (١)
لاتأتي ذكرى جبيرة أم من
جاء منها بطائف الاهوال (٢)
حل أهلي وسط الغميس فبادو
لي وحلت علوية بالسخال (٣)
ترتقي السفح فالكثيب فذي قا
ر فروض الغضي فذات الرئال (٤)
رب خرق من دونها يخرس السفـ
ـر وميل يفضي الي اميال (٥)
وسقاء يوكي علي تأق المـلـ
ـء وسير ومستقي أوشال (٦)
وأدلاج بعد المنام وتهجيـ
ـر وقف وسبسب ورمال (٧)

(١) الدمنة آثار الدار . تعاورها الصيف تداولها (٢) تأتي تحين . جبيرة اسم امرأة . ويروى قبيلة (٣) الغميس فبادولي والسخال أسماء مواضع منسوبة الي العالية بأعلي نجد (٤) كل هذه أسماء مواضع (٥) الخرق الواسعة التى تخرق فيها الريح . يخرس يعجم. الميل الطريق. يفضي يخرج (٦) يوكي يربط. التأق الامتلاء والاوشال الماء القليل (٧) الادلاج سير آخر الليل بعد الهدو وهو النوم والادلاج

وقليب آجن كأن من الريـ
ـش بأرجائه سقوط النصال (٨)
فلئن شط في المزار فقد أضـ
ـحي قليل الهموم ناعم بال (٩)
اذ هي الهم والحديث واذ تعـ
ـصي الي الامير ذو الاقوال
ظبية من ظباء وجرة ادما
ء تسف الكباث تحت الهدال (١٠)
حرة طفلة الانامل ترتـ
ـب سخاماً تكفه بخلال (١١)
وكأن السموط عاكفة السلـ
ـك بعطفي وشاح أم غزال (١٢)

سير أوله . والتهجير السير في نصف النهار. وقف الارض الغليظ منها في ارتفاع . والسبسب الواسع منها (٨) القليب البئر الآجن المتغير ، يقول كأن الريش الصغار علي جوانب الماء نصال سقطن من السهام (٩) شط بعد (١٠) الظبية الادماء أى البيضاء الخالصة البياض . تسف الكباث تأكله وهو النضيج من ثمر الاراك · الهدال ما تعطف من الشجر · (١١) حرة كريمة . طفلة الانامل لينتها · والسخام الاسود يعني شعر قصتها · تكفه يعني تمتلئ وتمسكه بخلال (١٢) السموط

وكأن الخمر العتيق من الاسفنـ
ـط ممزوجة بماء زلال (١٣)
باكرتها الاغراب في سنة النو
م فتجري خلال شوك السيال (١٤)
اذهبي ما اليك أدركني الحلـ
ـم عداني من هيجكم أشغالي (١٥)
وعسير ادماء حادرة العيـ
ـن خنوف عيرانة شملال (١٦)
من سراة الهجان صلبها العـ
ـض ورعي الحمي وطول الحيال (١٧)
لم تعطف علي حوار ولم يقـ
ـطع عبيد عروقها من خال (١٨)

القلائد (١٣) الاسفنط من الخمر ما لم يعصر وترك يسيل سيلا (١٤) الاغراب هنا اقداح الخمر والسيال شجر له شوك (١٥) هيجكم أي إهاجتكم. وعداني أى صرفني (١٦) العير التى لم ترض . ادماء بيضاء . حادرة غليظة . خنوف تضرب برأسها من النشاط . عيرانة مشبهة بحمار الوحش . شملال خفيفة (١٧) سراة خيار ، الهجان الابل البيض · والحيال الاقامة خالية من القاح . والعض نوى التمر (١٨) الحوار ولد الناقة . وعبيد رجل عارف بأدواء الابل . والخال داء يصيب الابل في

قد تملتها على تكظ المي
ط وقد خب لامعات الآل (١٩)
فرق ديمومة تخيل للسفـ
ر قفارا الامن الآجال (٢٠)
واذا ما الظلال خيفت وكان الشر
ب خمساً يرجونه عن ليال (٢١)
واستحث المغيرون من الركـ
ـب وكان النطاف ماء في العزالي (٢٢)
مرحت حرة كقنطرة الرو
مي تفرى الهجير بالارقال (٢٣)

اكتانها فتطامن منه (١٩) تملتها أخذت علالتها وهي النشاط . التكظ الشدة . المبط البعد . خب بمعنى ارتفع . الآل هو في أول النهار بمنزلة السراب في آخره (٢٠) الديمومة المفازة تخيل للسفر من وحشتها أي تكثر الخيالات . والسفر جمع سافر (٢١) يقول من شدة الخوف اذا رأى الانسان ظل شخصه خاف منه يظنه انساناً . والشرب خمساً الذي يورد ابله بعد خمس ليال (٢٢) استحث أسرع . والمغير الذي اذا ضعف بعيره ركب آخر . النطاف الماء . والعزالي جمع عزلاء ، وهي مصب الماء من المزادة . (٢٣) مرحت أي نشطت حرة كريمة . القنطرة الجسر . الرومي أي

تقطع الامعز المكوكب وخدا
بنواج سريعة الايغال (٢٤)
عنتريس تعدو اذا حرك السو
ط كعدو المصلصل الجوال (٢٥)
لاحه الصيف والطراد واشفا
ق على صعدة كقوس الضال (٢٦)
ملمع واله الفؤاد الي جحـ
ش فلاه عنها فبئس الفالي (٢٧)
ذو اذاة على الخليط خبيث النفـ
س يرمي عدوه بالنسال (٢٨)
غادر الوحش في القفار وعادا
ها حثيثاً لصوة الاوحال (٢٩)

كبناء الرومي لقوة بنائهم . الارقال نوع من السير (٢٤) الامعز الارض التى فيها حصى وحجارة . المكوكب الذى تلمع حجارته . النواجي قوائمها (٢٥) العنتريس كثيرة اللحم شديدته . المصلصل الحمار رفيع الصوت . الجوال الكثير الجولان (٢٦) لاحه الصيف أى أضمره والطراد المطاردة صعدة أى قناة . الضال السدر البرى (٢٧) الملمع بذنبها اذا رفعته للفحل لتريه أنها لاقح . واله حزينة . فلاه فطمه والفالي الفاطم (٢٨) أذاة أذى . الخليط المخالط . يقول من شدة تجربه يجافي حوافره وينسل (٢٩)

ذالت شيبت وناقتي عن يمين الرحا
عن بعد الكلال والاعمال (٣٠)
وتراها تشكو الي وقد صا
رت طليحاً تحذى صدور النعال (٣١)
نقب أنافه السرى فترى الانـ
ساع من حل ساعة وارتحال (٣٢)
أنرت في جآجي كأران الـ
ميت عولين فوق عوج رسال (٣٣)
لا تشكي الي من ألم النسـ
ع ولا من حفي ولا من كلال (٣٤)
لا تشكي الي وانتجي الا
ود أهل الندى وأهل الفعال (٣٥)

عاداها عدا عليها . حثيثاً سريعاً . الصورة العلم . الادحال جمع دحل وهو خرق يكون فيه الماء يضيق أعلاه ويتسع أسفله (٣٠) الرعن أنف الجبل . والكلال الاعياء . والاعمال شدة السير (٣١) الطليح المضنى تحذى صدور النعال أى تشبها من هزالها (٣٢) نقب انافه تنفط للسرى أى من أجل السرى (٣٣) الجآجي جمع جؤجؤ وهو عظام الصدر . والاران النعش عولين أى جعل بعضها فوق بعض رسال أى مسترسلة (٣٤) لا تشكي أى لا تشتكي (٣٥) انتجي أى اقصدى

فرع نبع يهتز في غصن المجـ
د غزير الندى شديد المحال (٣٦)
عنده البر والتقى وأسى الشـ
ق وحمل لمضلعات الثقال (٣٧)
وصلات الارحام قد علم النا
س وفك الأسرى من الاغلال (٣٨)
وهوان النفس الكريمة للذكـ
ر اذا ما التقت صدور العوالي (٣٩)
أنت خير من ألف ألف من القو
م اذا ما كبت وجوه الرجال (٤٠)
ووفاء اذا أجرت فما غر
ت حبال وصلتها بحبال (٤١)
وعطاء اذا سئلت اذا العيذ
رة كانت عطية البخال (٤٢)

(٣٦) الفرع أعلى الشيء . النبع نوع من الشجر (٣٧) أسى الشق التامه ومنه أطلق الآسي على الطبيب (٣٨) صلات الارحام اتصالها . الاغلال جمع غل وهو قيد العنق (٣٩) الهوان الاهانة . العوالي المراد بها الرماح (٤٠) كبت سقطت وتغيرت أى أنت خير الناس اذا ما تغيرت وجوه الرجال من المخازى أى انك سليم من مخازى الناس (٤١) غرت أى خدعت . والحبال العهود (٤٢) العيذرة لاسم من الاعتذار . البخال

أربجي تَمِلْت تظل له القو
م ركوداً قيامهم للهلال (٤٣)
أن يعاتب يكن غراماً وان يعـ
ط جزيلا فانه لا يبالى (٤٤)

يهب الجلة الجراجر كالبسـ
تان تحنو لدردق اطفال (٤٥)
والبغايا يركضن اكسية الاضـ
ريج والشرعبي ذى الاذيال (٤٦)

والمكاكيك والصحاف من الفضـ
ـة والضامرات تحت الرحال (٤٧)
ودروعاً من نسج داود في الحر
ب وسوقاً يحملن فوق الجمال (٤٨)

مبالغة في البخيـل (٤٣) الاربجي الذى يرتاح للندى صلت أى قاطع (٤٤) الغرام الموجع الاليم (٤٥) الجلة جمع جليـل . والجراجر جمع جرجوروهي مائة من الابل تحنو . تعطف . دردق أطفال أولاد الابل (٤٦) البغايا الجوارى جمع بَغِي. الاضريج اكسية تتخذمن المرعزى وهوصوف ابيض. والشرعبي نوع من البرودمنسوب لشرعب بلد باليمن (٤٧) المكاكيك آنية الخمر . والضامر الساكت لايرغو وذلك يحمد في الابل (٤٨) الوسوق الاحمال

مشعرات مع الرماد من الكرْ
ـدون الندى ودون الطلال (٤٩)
لم يُنَشِّزن للصديق ولكن
لقتال العدو يوم القتال (٥٠)
كل يوم يسوق خيلا الي خيـ
ـل دراكا غداة غب الصيال (٥١)
لامرىء يجمع الاديب لريب الدهـ
ـر لا مسنداً ولا زِمّال (٥٢)
هودان الرباب اذ كرهوا الد
ين دراكا بغزوة واحتيال (٥٣)
لخمة يرجع المضاف اليها
ورِعال موصولة برعال (٥٤)
تخرج الشيخ عن بنيه وتُلوى
بسوام المعزابة المِحلال (٥٥)

(٤٩) مشعرات أى ملبسات الكرة البعر الطلال جمع طلي (٥٠) لم ينشز للصديق . أى لم يستوفز له (٥١) دراكاً متتابعة. والصيال الاسم من صال . غب الصيال أى يوماً يصول ويوماً لا (٥٢) المسند الذى يسند الامر الي غيره . والزمال الضعيف (٥٣) دان أخضع · الرباب خمس قبائل معروفة (٥٤) رعال قطعة من الخيل (٥٥) تلوى تذهب. يقال ألوت به عنقاء مغرب أى أهلكته . والسوام المال والمعزابة الذى

ثم دانت بعدُ الرِّبابُ وكانت
كعذاب عقوبة الاقوال (٥٦)
عن يمين وطول حبس وتجميـ
ـع شتات ورحلة واحتمال (٥٧)
من نواصي دودان اذحضر البا
س وذبيان والهجان الموالى (٥٨)
ثم واصلت غزوة بربيع
حين صرفت حاله من حالي
رب رفد هرقتـه ذلك اليـو
م واسرى من معشر ضلال (٥٩)
وشيوخ حربي بشطي أريك
ونساء كأنهن السعالي (٦٠)

يعزب بابله في المرعي (٥٦) دانت ذلت . الاقوال جمع قَيـل وهم الملوك (٥٧) قوله عن يمين وطول حبس وتجميع شتات الخ يعنى ان فعله هذا عن قدرة وطول حبس يريد ان ذلك كان مرابطة للقتال (٥٨) نواصي خيار . دودان وذبيان قبيلتان من غطفان وهما من قيس عيلان (٥٩) الرفد القدح الذى يحلب فيه . ضلال جمع ضال ويروى من معشر اقتال. والاقتال الاعداء (٦٠) حربي جمع حريب وهو المأخوذ ماله والشط الجانب . واريك اسم واد

وشريكين في كثير من الما
ل وكانا محالفي اقلال (٦١)
قسما التالد الطريف من الغنـ
ـم فآبا كلاهما ذو مال
رب حي سقيتهم جرع المو
ت وحي سقيتهم بسجال
ولقد شنت الحروب فلما غمر
ت فيها اذ قلصت عن حيال (٦٢)
هؤلاء وهـؤلاء أعطيـ
ـت نعالا محذوة بمثال
وأرى من عصاك اصبح محرو
با وكعب الذى يطيعك عال
وبمثل الذى جمعت من العُد
ة تنفي حكومة الجهال
جندك التالد الطريف من الغا
رات اهل الهبات والأكال (٦٣)
غير ميل ولا عواوير في الهيـ
ـجا ولا عُزَّل ولا اكفال (٦٤)
للمدى عندك البراز ومن وا
ليت لم يعثر عقده باغتيـال

(٦١) محالفي أى ملازمي (٦٢) غمرت نسبت الي الغارة وهي ضعف الرأى (٦٣) الأكال جمع أكل وهو الحظ . والطارف ما كسبته من مال . والتالد ماورثته (٦٤) ميل جمع

لن يزالوا كذلكم ثم لازلـ
ت لهم خالدا خلود الجبـال
فلئن لاح في المفارق شيب
يا ل بكروا انكرتني الفوالي (٦٥)
فلقد كنت في الشباب المارى
حين اعدومن الطماح ظلالي (٦٦)
أبغض الخائن الكذوب وادني
وصل حبل العميثل الوصال (٦٧)
ولقد استبي الفتاة فتعصى
كل واش يريد صرم حبالي
لم تكن قبل ذاك تلهو بغيري
لا ولا لهوها حديث الرجال
ثم اذهلت عقلها ربما يذ
هل عقل الفتاة شبه الهلال
ولقد اغتدى اذا صقع لدي
لك بمهر مشذب جوال (٦٨)

أميل وهو الذى لاسلاح معه . والاكفال الذين لايثبتون على الخيل (٦٥) الفوالي جمع فالية وهي التي تفلي الرأس . (٦٦) أبارى أعارض والطماح النشاط (٦٧) العميثل الذى يطيل ثيابه في مشيته والوصال كثير المواصلة . ويقال العميثل الفرس الجواد والاسد (٦٨) صقع صاح . مشذب ضامر

اعوجي تنميه عوذ صفايا
ومع العوذ قلة الاغفال (٦٩)
مدمج سابغ الضلوع طويل الشخـ
ص عبل الشوى ممر الاعالي (٧٠)
وقيامي عليه غير مضيع
قائما بالغدو والآصال
لجلا الصون والمضامير عن سيـ
ـد جرى بين صفصف ورمال (٧١)
يملأ العين عاديا ومقودا
ومعرى وصافنا في الجلال
فغدونا بمهرنا اذ غدونا
قارنيه ببازل ذيال (٧٢)
مستخفا على القياد ذفيفا
ثم حسنا فصار كالتمثال
فاذا نحن بالوحوش تراعي
صوت غيث مجلجل هطال
لحملنا غلامنا ثم قلنا
هاجر الصوت غير امرا حتيال

(٦٩) العوذ حديثات النتاج (٧٠) مدمج محكم . سابغ طويل . عبل غليظ ممر محكم . (٧١) الصون الصيانة . والمضامير الضمر بكثرة الجرى . والسيد الذئب . والصفصف الارض المستوية الصلبة . (٧٢) البازل البعير المسن . ذيال طويل الذيل (٧٣) الظليم ذكر النعام . ابهت صحت

لجرى بالغلام شبه حريق
في يبيس تذروه ريح الشمال
بين عير وملمع ونحوص
ونعام يردن حول الرئال
لم يكن غير لمحة الطرف حتى
كب تسعاً يعتامها كالمغالي
وظليمين ثم أبهت بالمهـ
ر انادى فداك عمي وخالي (٧٣)
وظللنا مابين شاو وذى قد
ر وساق ومسمع مختال
في شباب يسقون من ماء كرم
عاقدين البرود فوق العوالي
ذاك عيش شهدته ثم ولي
كل عيش مصيره للزوال

﴿ علقم ﴾ الشيء صار مراً . و (العلقم) الحنظل وكل شيء مر

﴿ العلقمي ﴾ هو محمد بن محمد بن علي أبو طالب الوزير مؤيد الدين بن العلقمي البغدادى وزير المستعصم آخر خلفاء العباسيين

ولي الوزارة اربع عشرة مرة وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك ولم يزل ناصحاً لاصحابه ومولاه حتى وقع بينه وبين الدوادار عداء لانه كان متغاليا في نصرة السنة وكان ابن العلقمي يميل لمذهب الرافضة . وعضد ابن الخليفة الدوادار تعضيداً أحقد الوزير فأصر على الانتقام لبني ملته من الخلافة العباسية وكان الدوادار قد أوغل في تقصده حتى سلبه حقوق وظيفته فأصبح لاعمل له . فأنشأ ابن العلقمي في ذلك شعراً :

وزير له من بأسه وانتقامه
بطي رقاع حشوها النظم والنثر
كما تسجع الورقاء وهي حمامة
وليس لها نهي يطاع ولا امر

ثم أخذ يكاتب التتار في الاغارة على الخلافة العباسية حتى جرأ هولاكو ملكهم على ذلك فأغار عليها وملكها وقرر أموراً ما كان يتوقعها ابن العلقمي فندم على مافعل وأنشأ في ذلك شعراً لانه عومل بأنواع الاهانة

حكي انه كان جالساً بالديوان فدخل عليه بعض التتار ممن ليس له وجاهة راكباً فرسه فسار الى أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد وبال الفرس على البساط وأصاب الرشاش ثياب الوزير وهو

صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وانه بلغ مراده

وقال له بعض أهل بغداد يامولانا أنت فعلت هذا جميعه حمية وحميت الشيعة. وقد قتل من الاشراف الفاطميين خلقاً لا تحصي وارتكبت الفواحش مع نسائهم . فقال بعد ان قتل الدوادار ومن كان علي رأيه لامبالاة بذلك.

ولم تطل مدته حتى مات غماً وغيظاً في أوائل سنة (٦٥٧) ه

كان ابي العلقمي من بلغاء الكتاب بعث اليه الخليفة المستعصم يوماً بأقلام فكتب اليه :

«قبل المملوك الارض شكراً للانعام عليه بأقلام قلمت أظفار الحدثان ، وقامت له في حرب الزمان مقام عوالي المران ، وأجتنه ثمار الاوطار من أغصانها ، وحازت له قصبات المفاخر بيوم رهانها ، فيالله كم عقد ذمام في عقدها ، وكم بحر سعادة أصبح جارياً من مدادها ومددها ، وكم سنان خط استقام بمثقفاتها ، وكم صوارم فل مضاربها مطرور مرهفاتها

لم يبق لى أمل الا وقد بلغت
نفسي اقصيه برابي وانعاما
لأمتحن بها والله يقدر لي
مصاعباً أعجزت من قبل بهراما
تعطي الاقاليم من لم يبده مسألة
له فلاعجب ان تعط أقلاما

وكان قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرف شاه وقال في آخر كلامه . وهو مدبر . فوقع المستعصم له :

ولا تساعد أبداً مدبراً
وكن مع الله علي المدبر

فكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب منها :

يامالكا أرجو بحبي له
نيل المنى والفوز في المحشر
أرشدتني لازلت لي مرشداً
وهادياً من رأيك الأنور
انبت لي بيت مني قلته
عن شرف من بيتك الأطهر
فضلك فضل ماله منكر
ليس لضوء الشمس من منكر
ان يجمع العالم في واحد
ليس علي الله بمستنكر

كان ابن العلقمي قد سمع الحديث واشتغل علي أبي البقاء العكبري

﴿ علَّ ﴾ الرجل يعُل ويعِل علا وعللا وتعلة، شرب شربة ثانية أو شرب بعد الشرب تباعا

(علّ فلاناً) سقاه ثانية او تباعا . و (عُل فلان) مرض

(عالّ الشيء) بين علته واثبته بالدليل . و (اعتله) سقاه ثانية و (أعله الله) اصابه بعلة

(تعالّ الرجل) ابدى الحاجة وتمسك بها . و (اعتلّ الرجل) مرض . و (اعتلت الكلمة) كان بها حرف علة و (العُلالة) مايتعلل به . و (العَلَل) الشرب الثاني و (العلة) المرض او الحادث الذى يشغل صاحبه عن امره لاول

(حروف العلة) الالف والواو والياء

(العلية) الفرقة جمعها العلالي

يقال: (هومن علية قومهو عليتهم) اى من اشرافهم

(التعلة) مايتعلل به من طعام وغيره

و (التعليل) تبيين علة الشيء .

﴿ الاعلال ﴾ في النحو هو تغيير حرف العلة بالقلب والتسكين او الحذف بالاول كقلب حرف العلة في نحو عجوز وقلادة وصحيفة همزة في الجمع

والثاني كتسكين العين فى نحو يقوم ويبيع. واللام في نحو يدعي ويرمي لاستثقال الضمة والكسرة علي الواو والياء والاصل كينصر ويضرب

والثالث كحذف فاء المثال في نحو يعد ويزن ، وعد وزن

﴿ علمه ﴾ يعلمه يعلمه علما وسمه . و (علم شفته) يعلمها شقها . و (علمه يعلمه علما) تيقنه وعرفه . و (علم يعلم علما) انشقت شفته العليا فهو أعلم . و (علّمه العلم) جعله يتعلمه و (أعلمه الخبر) اخبره به

(تعلّم الامر) اتقنه . و (تعلّم) اى اعلم . و (العالَم) الخلق كله . وكل صنف من صنوف الخلق جمعه عالمون وعوالم . و (علام) اى علي ما ، اى علي اى شيء و (العلامة) السمة . و (العلام والعلامة) الكثير العلم . و (العليم) المتصف بالعلم . و (العيلم) البحر والبئر . و (المعلم) مايستدل به علي الطريق من اثر جمعه معالم

﴿ العلم ﴾ كلمة العلم من اشبع الكلمات المستعملة قديما وحديثا وهي في كل دور من ادوارها تطلق علي مايضاد

الجهل علي الاطلاق وكثيرا ما لحق بهما التخصيص في احوال معينة فصارت تعني ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف فلنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلا في حال جاهليتهم فقد كانت تطلق علي ما ينافي الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة والانساب فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهي الكتاب والسنة واخبار الملاحم . ولما ازدادت معارف العرب صارت تطلق علي ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو . ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق فيما هو بسبيله فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة

ولكنها اليوم تعني في اوروبا مجموع المعارف الانسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التي اكتشفت لتعلل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا علي تلك النواميس الثابتة . ولا تستعمل الا مفردة ومع هذا فقد تطلق علي مجموع معارف في فرع خاص من المعارف الانسانية وفي هذه الحالة يلحق بها التخصيص فيقال علم الكيمياء وعلم الفلك مثلا . وقد يعتريها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية

وقد كابد العلم تخصيصا معنويا في هذه القرون المتأخرة فصار لا يطلق الا علي المعارف التي تقع تحت أحكام المشاعر وتخضع لامتحانها فاذا قال قائل « العلم قرر ذلك » ، خرج منه علم الدين لأن مدار الدين علي المسائل الاعتقادية ومعتمده التسليم بمقررات لا تخضع للامتحان والتجربة . ومن هذا نشأت مسألة المناقضة بين العلم والدين . فالعلم لا يعترف بمسألة الا اذا قبلها العقل وأيدها الحس وقبلت الخضوع لأسلوبه من الاختبار والتمحيص ولكن الدين يفرض التسليم بأمور غيبية يسندها الي الوحي ، و يعزوها الي الله تعالى او يعلن سموها عن كل جدال

وقد اتخذ الماديون في اوروبا هذا الامر سلاحا لمقاتلة الدينيين ، والنعي عليهم فلم يجيء القرن التاسع عشر حتى كان انصار الدين في ضعف مطلق امام خصومهم ، وظهرت المبادىء المادية ظهورا لا مزيد عليه . وتذرعوا بهذا السلاح لنكران الخالق

والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص العلم . ومازال الماديون ظاهرين علي خصومهم حتى ظهرت المباحث الروحانية في سنة (١٨٤٦) بأمريكا اولا ثم انتقلت منها الى اوروبا وتناولها فيهما رجال العلم من كل المذاهب فثبت منها (بالاختبار والتجربة) وهما من مميزات العلم الطبيعي ان الحياة تقوم بغير المادة وان ماوراء هذه الطبيعة المحسوسة طبيعة روحانية ارقي منها سماها بعضهم عالم الارواح وتوقف بعضهم عن تسميتها فأصبح علم الدين في اوروبا الآن مؤسساً علي نفس الاسس التي تأسس عليها العلم الطبيعي . ومرادنا بالدين الدين المطلق لادينا خاصاً فصارت العقائد الاولية العامة لجميع الاديان مثل الروح والخلود وعلم الملأ الاعلي مما يدخل في دائرة اختصاص العلم

نعم يوجد من رجال العلم في هذا العصر من ينكر علي المئات بل الالوف من العلماء الذين قاموا بهذه المباحث ماوصلوا اليه من المعارف الروحانية الجديدة ولكن عدد هؤلاء المنكرين يقل يوما بعد يوم بما يقوم بين ايديهم من الادلة علي صحة مايذهب اليه خصومهم المثبتين

وقد تغيرت لهجة العلماء فبعد ان كان عليتهم في مقدمة القرن التاسع عشر يفخرون بأنهم ماديون لا يصدقون بشيء ، وما كان يجسر أحد بأن يلفظ أمامهم كلمة عن الروح والخلود والملأ الاعلي حتى يقابلوه بالازراء والسخرية ، أصبح اقطابهم اليوم يخطبون في دور العلم الطبيعي لافتين نظر اخوانهم الي الحقائق الجديدة . من ذلك خطبة بديعة خطبها العلامة الطبيعي الأشهر السير او ليفرلودج في مجمع من العلماء الانجليز وقد نقلتها مجلة المجلات الانجليزية في هذه السنة (١٩١٥) وعربتها مجلة المقتطف في جزئها الصادر في فبراير من هذه السنة (١٩١٥) نقتطف منها ما يأتي ادلالا علي تغير لهجة رجال العلم الطبيعي في اوروبا ودخول المباحث الروحية في دور علمي جديد وقبوله للامتحان والتمحيص علي طريقة الفلسفة الحسية قال الاستاذ أوليفر لودج :

« كان الناس اذا اطلع أحدهم علي الحقائق الدينية اعتزل العالم وانزوى في صومعة يفكر فيما اطلع عليه لتزيد معرفته بالامور الروحية . لا ان القدماء اهملوا امور الدنيا لان المدنية لم تكن قد تمكنت

اسبابها بعد وكانت الحروب كثيرة بين الناس وحبذا لو مكنني ان اقول ابنافتنا طور الحروب. ومن الطبيعي لمن يريد التفكر في امور الله ان يطلب السلام بابتعاده عن الناس ولكن ليس علينا اذا اردنا ذلك ان نعتزل الناس كما كان النساك يفعلون بل كل مايطلب منه هو ان نفكر في الامور العظيمة مرة في الاسبوع او مرة في اليوم وهذه الامور اما ان تكون موجودة علي الدوام واما ان تكون غير موجودة علي الاطلاق فان كانت غير موجودة علي الاطلاق فنحن أتعس مما نظن

« ان ماهو صحيح في هذا العالم صحيح في غيره . ولا يبطله جهلنا له ولا يوجده قولنا به اهل العلم يبحثون عن الحقائق ولا يحاولون خدع الآخرين. يظن البعض ان من العلماء من يقول بصحة ما يرغب فيه ولو كان غير صحيح . وهذا امر يتنزه عنه العلماء فانهم لا يوجدون الحقائق بل يبحثون عنها حتى اذا وقفوا علي شيء منها أطلعوا غيرهم عليه

« وقد يكون في الحضور من يعتقد ان الانسان ارفع الكائنات وليس في الكون أعلي منه وانه نشأ علي هذا السيار اي الارض واذا مات اضمحل. وان ليس في الوجود من يعنيه ولا من يفهم أسرار الكون أكثر منه وانه أرفع الكائنات طراً لانه أرقي ماوصل اليه النشوء علي هذه البسيطة في هذا العصر

« مثل هذا الاعتقاد لا يليق بأهل هذا العصر بل يليق بأهل العصور الغابرة الذين كانوا يعدون الارض مركز الكون ويحسبون ان أرفع شيء فيها يجب أن يكون ارفع شيء في الكون كله وان الشمس والنجوم وكل ما في الكون انما هي من ملحقات الارض ولا أهمية لها فقد أبطل العلم هذه الاعتقادات وبين فساد القول بأن الانسان هو ارفع ما علي هذه الارض فضلا عن القول بأنه أرفع ما في الكون . وقد عرف الآن ان في الكون أرض غير ارضنا هذه وقد يكون فيها مايقابل الانسان من الكائنات ولكن أليس في الكون كائنات تختلف عنا ؟ وهل يجوز ان نعتقد ان كل كائن مدرك يجب ان يكون له جسم مادي مثل اجسامنا؟ ان اعتقاداً مثل ذلك لا مسوغ له ولا قام دليل عليه

« قد اظهر العلم ما في الكون من الانتظام وان فيه عوالم كثيرة لا عالما واحداً . ولنا في الاجرام الفلكية مثال

علي انه قد يكون في الكون كائنات كثيرة عظيمة لا ندرى بها اذ لو كان الهواء الجوى غير شفاف لما رأينا من الاجرام السماوية شيئاً ولا علمنا بوجودها وليس احتجاب الاجرام الفلكية عن بصرنا أمرا يعز حدوثه فان الضباب والغيم يحجبانها عنا أوقاتا كثيرة ولكن اتفق لنا أن يكون في امكاننا رؤية ماوراء الهواء فرأينا شيأ عن عظمة الكائنات وانها غير متناهية ولست سارداً عليكم ماعرف من الحقائق الفلكية ولكنكم تعرفونها وهي كثيرة غير محدودة . وان عقولكم لتقصر دون تصور حقيقة هذا الكون المؤلف من عالم وراء عالم وراء عالم الي ما لا نهاية له . وجميع هذه العوالم خاضعة لنواميس واحدة لان عناصر النجوم مثل عناصر الارض وخصائصها في النجوم مثل خصائصها هنا . فهل الانسان هو سيد هذا الكون العظيم كله ؟ ان الانسان حديث العهد بالوجود علي الارض فما كان حال الكون قبل وجوده ؟ ليس الانسان سيد الكائنات بل هو درجة من الدرجات في النشوء

« وما هو النشوء ؟ هو ارتقاء أو ظهور كظهور الزهرة من البرعم وظهور الشجرة من البلوطة . وكل شيء خاضع لنوع من النشوء والارتقاء فترقي القوى الكامنة فيه وتظهر . وذلك يصح في السيار الذى نحن عليه أي الارض فانها قد نشأت طبقا لنواميس النشوء العمومية التى يبحث فيها العلماء . وكل ما يثبتونه للارض صحيح. نبحث في الاشياء المادية ونكتشف الاكتشافات فيها ولا نلبث أن نألف الاشياء المادية فيتصور بعضنا ان ليس في الكون سواها — وسبب ذلك هو اننا لم نبحث عن شيء آخر ولا اهتممنا به . علي ان عدم اهتمامنا لأمر من الامور وعدم بحثنا عنه لا يترتب عليهما انه معدوم

« ان الانسان لا يسود الكون ولا يفهم أسراره ولكنه يتلمس فيه الحقائق تلمسا . وقد اكتشف حديثا الراديوم والارغون وأشعة رونتجن و بعض طبائع الكهربائية وقد بدأ الآن يعرف شيئاً عن بناء الجواهر الفردة وتظهر هذه الامور كأنها وجدت جديداً وهي غير جديدة بل كانت موجودة قبل أن نكتشفها ولو لم نكتشفها لكانت موجودة أيضاً ونحن لا نعرفها وفي الطبيعة ايضاً أمور كثيرة لم نكتشفها حتى الآن .

«ولكن كم عمر العلم ليس عمره الا قرونا قليلة بل قرنا واحداً لأنه لم يتقدم تقدما يذكر الا في القرن التاسع عشر. وقد عرفنا شيئاً من حقائق الكون الا ان ماعرفناه جزء من كل فلا يجوز لنا ان ننفي وجود الكل. لنا أن نبحث عن الحقائق والموجود موجود سواء عرفنا وجوده أو لم نعرف واعتقادنا بوجود شيء أو عدم وجوده لايؤثر في الكون ولكنه يؤثر فينا. نحن لانعرف تركيب الجواهر الفردة ولكننا قد بدأنا نعرف شيئا عنه فكل جوهر يشبه النظام الشمسي في تركيبه وله نواة تقابل الشمس والكترونات تدور حولها مثل السيارات حول الشمس وهذه الالكترونات خاضعة في دورانها لنواميس مثل النواميس التي تخضع لها السيارات. وكل كواكب السماء تتألف منها في دورانها منها الارض ولا نعلم كل النواميس الجارية عليها حتى الآن ولكننا سائرون في السبيل الموصل الي ذلك

«ليس منكم الا من رأى النمل يخرج من قريته و يعود اليها ولا نعرف كثيرا عن أمور النمل في ذهابه وايابه وأنا أظنه يدرك مايعمله بعض الادراك وهو يدب بين أقدام الناس الذين مداركهم فوق مداركه بكثير. وماذا يعرف النمل عن اعتقادات الناس وآرائهم واعمالهم ومداركهم؛ ان لنا عبرة في الحيوانات الدنيا مثل النمل تعيش بيننا ولا تعرف شيئاً عنا ان حواسنا تعيننا علي التوصل الى ادراك بعض الامور ولكنها قاصرة جداً ولذلك نقويها بذرائع عديدة كالتلسكوب والميكرسكوب. ورغما عن ذلك لانعرف عن الكون الا القليل ولم يزل حولنا أمور كثيرة لاندركها ولكننا ندرك بعضها عن غير طريق الحواس ولنذكر في هذا المقام اننا لسنا أجساماً فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلا عن الجسم، يتصل الانسان بهذه الكائنات العليا المدركة و يناجيها بغير حواسه البدنية و يرتاح الى الاتصال بها أكثر مما يرتاح الي اتصاله بهذا العالم المادى الذى قضي عليه ان يعيش فيه الي حين

«كل العظام الذين قاموا كانوا يرتاحون الي مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون الى الامور الدنيوية ولم يزل كثيرون منا يطلعون علي شيء من أمور هذه المدركات العليا من وقت الي آخر

واذا عملنا علي تقوية مداركنا وقوانا اطلعنا علي أكثر من ذلك ومكننا الوحى من معرفة امور لاندركها بغيره. ان طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث. ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان الى الآن يرون رؤى ويطلعون علي حقائق وتظهر منهم بدائه يحاولون تدوينها لينتفع بها غيرهم. وبمثل ذلك يكون البحث عن بعض الحقائق وهو طريقة رجال الدين. ولا اقول اني سرت عليه انا في بحثي اذ يظهر اني محروم من ذلك ولكني قد وصلت الى نتائج لاتختلف عن النتائج التي وصلوا اليها ببحثي علي طرق علمية مألوفة.

الي أن قال:

«من اعتقد اعتقاداً حقاً كان اقوى ممن اعتقد اعتقاداً باطلا بكثير لأن الحق يشدد ويقوى. ولذلك كان قوى الخير اقوى من قوى الشر ولسنا نحن الوسيلة الوحيدة التي يستعملها الله في هذا الكون بل له وسائل من مخلوقات غيرنا كما اشرت وعلينا أن نعمل في جانب قوى الخير ضد قوى الشر التي هي موجودة فعلا لأن المخلوقات اعطيت حرية الارادة فاستطاعت ان تختار الخير أو الشر. و يجب ان نشعر بمسؤليتنا في هذا الامر ولنعلم أن لنا مزية هي ان مساعدتنا لانطلب منا لاجل ترويض نفوسنا فقط بل لأنه اذا ضننا بها قد تسوء امور العالم. وقد فوض الينا كثير من امور هذه الارض فاذا لم نقم بها لم تتم. مثال ذلك الاعتناء بالجرحي فالجريح الملقى في الطريق لايشفي الا أخذته الي مستشفي وضمدت جراحه. ان هذا الامر وكل الينا وعلينا ان نقوم به. وليس الدماغ كل عدة رجال العلم كما يظن الذين يقولون ان العقل هو الدماغ لأنه اذا تلف دماغ الانسان ذهب عقله حسب الظاهر ولكن العقل لايضمحل بل يظل موجوداً وانما تتعطل آلته فلا يقدر ان يظهر

«وليس من العقل ان يقال ان النفس تضمحل اذا تلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء اعمارنا القصيرة علي هذه الارض. اقول ذلك مستنداً الي ادلة علمية — اقول لاني تحققت أن بعض اصدقائي الذين ماتوا لايزالون موجودين اذ اني قد ناجيتهم ومناجاة الموتي ممكنة ولكن يجب ان يسار علي نواميسها وان تعرف شروطها وهي ليست من الامور الهينة. ولقد حدثت اصدقائي الموتي كما

احادث واحداً من الحضور وقد كانوا في حياتهم من أهل العلم الذين برهنوا لي ببراهين قاطعة نشر بعضها وسينشر البعض الآخر في حينه انهم هم انفسهم كانوا يحادثونني واني لست واهما • ان ذلك حقيقة وانا مقتنع بصحته بكل ما فيّ من قوة الاقتناع • اني مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت وأن الموتي يهتمون بأمور هذا العالم و يساعدوننا و يعرفون اكثر مما نعرف بكثير ويقدرون علي مناجاتنا احيانا

ان هذه النتيجة التى وصلت اليها عظيمة لا تعرفون انتم ولا اعرف انا مقدار عظمتها وتعلمون أن بين رجال العلم غيرى ممن يعتقد بذلك مثلي وان منهم كثيرون ايضاً لا يعتقدون به • ومن رجال العلم كثيرون لم يبحثوا في هذا الموضوع • وليس لكل احد أن يبحث في كل شيء ولكن من يقضي ثلاثين سنة او اربعين يبحث في امر من الامور يحق له ان يبدى رأيه في النتيجة التى وصل اليها • ولا بد لكم من امثلة تختص بهذا الامر لكي تبحثوا فيها • ومثل هذه الامثلة كثير في مجلدات الجمعية العلمية وسيزداد كثيراً • علي أن هذه الامثلة يجب ان يهتم بالنظر فيها لأجل بناء الاحكام عليها وقد لا تتفق احكامكم في أول الامر مع آرائي التى ابديتها ولكنها ستتفق معها اخيرا بعد سنوات ولا بأس في التمهل

« غير أن الباحثين الذين اهتموا بهذا الامر مدة سنين قد اتفقوا الآن علي أن الادلة عليه تكاد تكون قاطعة وانا لا اشك في أن الموتي يناجوننا مع اني قضيت سنين كثيرة احاول تعليل ما ينسب الي مناجاة الارواح بعلل اخرى • ولكني رأيت فساد تعاليلي الواحد بعد الآخر وليس لي طريقة الآن اعلل بها ما ينسب الي مناجاة الارواح غير القول بأن الارواح موجودة فعلا وتناجينا غير اني لا اقول أن الميت يكون موجوداً كل مرة يقال انه ناجي فيها . وعلي الباحث أن يكون يقظا يستعمل كل ما لديه من طرق التمحيص ولا يترك فرصة للبحث تسنح له لأن هذه الفرص نادرة جدا وحقيقة البقاء بعد الموت قد تثبت بالطرق العلمية وهي مساعد يساعدنا علي ادراك الاتصال بين جميع حالات الوجود وذلك ما يبعثني علي القول ان الانسان ليس منفرداً بل تحيط به مدركات اخرى

واذا عرفتم ان فوق الانسان مدركا يفوقه هان عليكم أن تتصوروا درجات أخرى من المدركات ارقي فأرقي الى ان تصلوا الي المدرك الاعلي نفسه اى الي الله

وعالم هذه المدركات ليس عالماً غريباً عن عالمنا فان الكون واحد. ان مداركنا ونحن هنا علي الارض محدودة فلا نرى كثيراً من الامور التى تجرى ولكن تحيط بنا كائنات تعمل معنا وتساعدنا وقد عرفها قليل من الناس بعض المعرفة من الرؤى التى رأوها . وعندى ان كل ما تقول به الاديان من ان الملائكة والقديسين معنا وان الله نفسه يساعدنا صحيح علي وجه من غير تأويل » انتهي

نقول اننا لم ننشر هذه الخطبة برمتها الا لنبين للقراء مقدار التعديل الذى دخل علي مذهب الفلسفة العصرية والفرق الكبير بين لهجة علماء الطبيعة في مقدمة القرن التاسع عشر و بين لهجتهم اليوم علي النحو الذى اوردناه ولا نظن انه يمضي نصف قرن آخر حتى يعتدل مزاج العلم الطبيعى ويكون علما آخذاً من كل من العالمين بحظ وافر كما هي حقيقة وظيفته

(تاريخ العلم) يختلط تاريخ العلم بتاريخ العقل الانساني وتدرجه نحو الكمال ويبتدىء مع ظهور الانسان نفسه علي سطح الارض • قال العلامة الفرنسي (كوندرسيه) : « يولد الانسان متمتعاً بخاصة قبول الشعورات وملاحظة وتمييز البسائط المؤلفة منها ، وحفظها ومعرفتها ومزج بعضها ببعض والمقارنة بين هذه الممتزجات ، وأخذ ما هو مشترك بينها ، والحاق علامات بكل منها ليعرفها علي أحسن وجه وليسهل تمييزه لممتزجات اخرى جديدة

« ولقد نمت فيه هذه الخاصة بفعل المؤثرات الخارجية عليه أى بوجود شعورات مركبة نباتها في تشابهها وفي نواميس تغيراتها مستقل عنه كل الاستقلال . ثم ان هذه الخاصية فيه تزداد نمواً بالوسائط الصناعية التى يصل اليها الانسان بتلك الوسائل الاولية

« شعورات الانسان يصحبها ألم ولذة وللانسان في مقابل ذلك خاصة تحويل هذه التأثيرات الوقتية الي شعورات عند مواجهته أو تذكره للذات أو آلام كائنات اخرى شاعرة. وباتحاد هذه الخاصة بخاصة تكوينه وتأليفه أفكاراً جديدة تتولد بينه

و بين أمثاله علاقات تؤدى الى حقوق وواجبات ناطت الطبيعة بها الشق الاعم من سعادتنا والجانب الاوجع من آلامنا» انتهى

هذا غاية مايقال عن قبول الانسان للاجتماع وهو الدافع الاول لاكتناه العلوم والجرى وراء المعارف . فالعلوم نشأت عن الصنائع المفيدة . وهذه الصنائع ماكانت لتوجد لولا تضامن الاقوام الاولين في حياتهم واستعانة بعضهم ببعض . وان العلاقات الاجتماعية ضرورية لتحقق لتكوين أبسط نظرية علمية

اول ماعرف من آثار العلم نشأ في آسيا الغربية وهي آثار ضئيلة في حقيقتها ولكنها كانت جرثومة العلم العظيم الشأن الذى بلغ نموه الآن في اوروبا . فنشأت اول نظريات علم الفلك في بلاد الكلدانيين فقد كانوا يدرسونها هناك لا مل بها . فقد كان كهنة ذلك الشعب يعتقدون ان لسير الكواكب تأثيراً على الحياة الانسانية الارضية ولذلك كان اهتمامهم بدرس حركاتها واقلاباتها عظيما جداً ليدركوا حوادث المستقبل من وراء ذلك

وقد نشأت صناعة البناء والملاحة عند الاقوام المحصورين في الاراضي الجافة المحرقة معرضين لجميع أنواع التقلبات الجوية ومجاورين للبحر مع جواذبه غير المتناهية فظهرت النظريات الاولية في علم الهندسة والميكانيكا

وقد دفعت الحاجة الى الادوات والاسلحة للدفاع عن الذات لصناعة استخراج المعادن من بطن الارض

ولما ساح المؤرخ اليوناني هيردوت في مصر وجد أن المصريين يعرفون ان السنة الشمسية عدد أيامها ثلاثمائة وخمسة وستون

أما في بلاد الآشوريين فكانوا يعرضون المرضى للمارة في الطرقات ليدلهم من يكون قد أصيب بمثل دائهم على العلاج الذى شفى هو به . وكان المريض الذى يشفى من دائه يذهب الى هيكل اله الطب فيكتب داءه والعلاج الذى نال به الشفاء وقد رووا ان ابقراط استفاد علما جماً من هذه الكتابات في هيكل (كوس)

وقد روى المؤرخ (ديودوردوسيسيل) ان المصريين القدماء كانوا يعرفون المقيئات والمسهلات وفوائد الحمية في ازالة الامراض وكانوا يعرفون من تصبير الموتى مالا يعرفه

أحد الآن

وقد نقل المؤرخ القديم (هيرودوت) انه كان لدى المصريين طبيب خاص لكل نوع من أنواع الامراض

ليس لنا أن نكثر من أمثال هذه الاقوال عن بدايات العلوم ويكفينا ان نقول ان العلم لم ينشأ الا من الصنائع النافعة وان الحاجة كانت السائق الاكبر للانسان الى الجرى وراء المعلومات المختلفة

ثم ان الصنائع ذاتها لم تنشأ الا رويداً رويداً ولم تتكمل الا في أدوار متعاقبة ادرك الانسان في خلالها نقصها وحملته الحاجة الى تكميلها . وفي أثناء تطوراته هذه نشأت النظريات الاولية على مواد وأدوات تلك الصنائع ومن هنا نشأت الجرثومة الاولية للعلم

ولا شبهة في أن الحاجة للحساب والملاحة والسكنى نشأت منها العلوم الحسابية والميكانيكية والهندسية . والحاجة لشفاء الامراض نتجت عنها النظريات الاولى لعلم الطب والمباحث السطحية لعلم التشريح . ثم أن البحث عن المعادن لاستخدامها لعمل الادوات والاسلحة أدى بلا مشاحة الى مبادىء علم الكيمياء

ولكن كانت في بلاد الشرق عقبة من أكبر العقبات منعت العلم عن بلوغ غاية كماله فيه ، وهي ان العلم كان محتكرا لطبقة ممتازة من الامة لايحوم حول حياضه سواها فكانت هي المستأثرة بكل نور عرفاني والقائمة على كل نظرية فنية . وكانت هذه الطائفة تكره ان ينتشر العلم بين الطبقات فكانت تحفظه كسر من الاسرار التى لايجوز الاطلاع عليها

ولقد كان الدين مستأثرا بالعلم في الازمنة القديمة فكانت كل نظريات العلم وأصول الحكمة تنسب اليه ، احتكرها القائمون عليه وكسوها من مصطلحاتهم بحلة رمزية لاينفذ اليها فهم العامه . فكان ذلك من أكبر الحواجز امام تقدم العلم لانه في حجة الى تضافر العقول لاكتناه أسراره وتضامن المفكرين لدعم أصوله فمتى حصر على هذه الصورة بين عدد محدود من الناس ذوى صبغة خاصة حرم من أخص عوامل ارتقائه فلبث حيث هو لايتقدم الا على نسب محدودة وبمقتضيات قد لاتلائم المصلحة العامة

فلما نقل اليونان العلم عن المصريين كسروا عنه أصفاده الدينية وأشاعوه بين

الناس فدخل في طور جديد وتناولته العقول بالبحث والتمحيص ولكنه ظل ملحقاً بالدين الي أمد مديد

في هذا العهد كانت المعارف الانسانية كلها مندمج بعضها ببعض يطلق عليها اسم الفلسفة . فكان علي العالم في هذا الدور أن يحيط بكل المعارف الانسانية جملة لاعتقاد العلماء وهم الفلاسفة اذ ذاك ان الكل شيء واحد ، وهذا من المدركات العالية الا ان قصور عقل الفرد عن ادراك الكل علي درجة مرضية أصاب العلم بالقصور المطلق وأسر العقل الانساني مدة طويلة هذه الحال أوجبت علي كبار الفلاسفة ان يقسموا العلم تقسيماً يناسب المباحث المختلفة فكان هذا دور جديد للعلم خرج منه من أسر الحدود الاولى وارتقى علي يد الاختصاصيين الي منصات عالية وحصل كل فرع منه علي استقلال ذاتي كان له أ كبر الآثار في جملة المعارف الانسانية

فكابدت الفلسفة في هذا الدور تجزأ في دائرتها المعروفة فاقسمت الي علم النفس وعلم ماوراء الطبيعة وهذا العلم الاخير قد حاولت الفلسفة الحسية أن تحذفه من دائرة المباحث العلمية

ثم حدث حادث لم يسمع بمثله في تاريخ المعارف الانسانية وهو التنازع بين العلم والفلسفة علي نحو التنازع الذي كان بين الفلسفة والدين فاقتصر العلم علي المباحث التجريبية المؤيدة بالمشاهدات والملاحظات الدقيقة وأخذ ينازع الفلسفة حقها من السيطرة علي العقول مبينا لها اخطاءها المعيبة وأساليبها الناقصة

العصر الذي كانت فيه الفلسفة هي مجموع المعارف البشرية كان علي عهد الفيلسوفين (طاليس) *Thalès* وفيثاغورس *Pythagore* وكانا قد نقلاها عن مصر وبابل

كان فيثاغورس هذا تلميذ لطاليس وأنا كريما ندر فترك بلاد اليونان ورحل الي بلاد اشورية ثم رحل منها الي مصر ولازم كهنتها سنين طويلة وأخذ عنهم أسرار الفلسفة وأصول العلم ثم عاد الي بلاد اليونان فرفع عن وجه الحقائق العرفانية كثيراً من الحجب التي اسدلتها عليها الوساوس الكهنوتية ودعم العلم علي دعائم وان كانت قليلة المتانة الا انها أخرجته من حالته الطلسمية الى الباحات الجلية فاعتبر فيثاغورس وطاليس مؤسسا لعلم الذي

اثمر ونفع الانسانية ولا يزال ينفعها الى اليوم فاتبع العلم خطة الترقي من ذلك العهد ولما حدث تقسيمه الي فروع كما قدمنا أخذ حظه من الرقي فكان هذا العهد الاخير عهد ظهور العلم الصحيح المجرد عن الاوهام والاهواء وهو الدور الذي ليس وراءه مرمي

وقد لاحظ العلامة جورج كوفييه ان العلم دخل في ثلاثة ادوار (اولها) كان العلم فيه دينياً محضاً فكان فيه سرياً رمزياً محاطاً بالرموز و المعميات وكان محتكراً في يد عدد قليل من الناس يتوارثونه في بيوتات معدودة . وقد بدأ هذا الدور وانتهي في بلاد الشرق . و (الدور الثاني) كان فلسفياً ونشأ في بلاد الغرب وكان العلم فيه منفصلا عن الدين ولكن كانت العلاقة بينهما أكيدة فلم يكن الا علم واحد وهو الفلسفة التي تحاول درس وحدة الاشياء . وكان الفلاسفة في هذا الدور لا يحيطون المعلومات بالرموز الدينية بل كانوا يسمحون بها الكل من طلبها منهم . و (الدور الثالث) كان دور انفصال الفلسفة عن العلم واستقلال كل منهما بنفسه وترقيه في دائرته الخاصة ترقياً سريعاً مطرداً . فما علينا الآن الا ان نأتي

علي تاريخ ترقي العلوم المختلفة منفردة ليستطيع القارىء أن يتتبع أدوار كل منها علي حدة

يرجح ان العلوم الرياضية لم تترق علي يد طاليس وفيثاغورس عما كانت عليه في دور الكهنة الشرقيين ، ولم يبدأ ارتقاؤها الا علي عهد افلاطون حيث أخذت حظها من التقدم

وجاء انا كزاغور فأبدى رأيه في الجواهر الفردة وهو الرأى الذي عاش الى القرن التاسع عشر

ونبغ ديموكريت فأخذ يقرر بعض الاصول التشريحية أخذها من تركيب بعض الحيوانات التي كان يشرحها

ثم ظهر أبقراط أشهر طبيب في الأقدمين فأخذ يتوسع في درس تأثير الاحوال الخارجية علي الانسان فبدأ بعهد علم قانون الصحة . وارتأى وجوب درس احوال المرض درساً علمياً ولفظ تعليل الامراض بتأثير القوى الروحانية . وقد ترك لنا هذا الطبيب جملة صالحة من المعلومات علي سير الامراض وعلي الاوعية والشرايين والعظام

فلما اتي ارسطو وهو الملقب بأمير

الفلسفة طبع استقلال العلوم المختلفة بطابع نهائي و بين ان لكل علم دائرة ذاتية ووسائل خاصة به، يترقي بها ترقياً مطرداً. وقد وضع علي كل منها تأليفاً خاصاً وقرر لكل منها قواعد لم يستطع الأخلاف ان ينقضوا منها شيئاً . وقد أتي في كتاب تاريخ الحيوانات علي ترتيب لها كان له شهرة فائقة في عصره . أما كتاباه في الطبيعة والحوادث الجوية فقد بقيا منهلين عذبين لهذين العلمين لجميع علماء الارض مدة الف سنة . وقد جرى علي قاعدة التجارب العلمية بدون ان يعلم مبلغ قيمة التجربة في نظر العلم

وقد مضي زمن بين ارسطو وارخميدس كان غاية عمل العلماء فيه ترقية ما قرره ارسطو والاستفادة من قواعده وتحقيق آرائه ومع هذا فيجب اعتبار اقليدس مؤسساً لعلم الهندسة العصرية

أما العلوم الرياضية فقد حصلت علي الحرية المطلقة من الاغلال الدينية منذ عهد بعيد. ثم ارتقت رقياً جديداً بخلاصها من أسر علم ماوراء الطبيعة الذى أوجبه عليها الفيلسوف فيثاغورس

فلما جاء ارخميدس كمل علم الهندسة والحساب وزاد عليهما علم الميكانيكا الذى صار مبدأ لعلم الطبيعة . اكتشف هذا العالم مساحة الكرة والعلاقة الموجودة بين الكرة والاسطوانة ، ونظرية مركز الثقل وثقل الاجسام المغمورة في الماء وغير ذلك من الاصول الرياضية الهامة ويعزى اليه اختراع كثير من الآلات فاعتبر ارخميدس من العقول العالية التى تستحق الاجلال والاعظام

أما علم الفلك الصحيح فنشأ مع هيبارك الذى اكتشف حساب المثلثات وحدد عدم تساوى حركات الشمس والقمر وحسب المسافة التى تفصل بينهما و بين الارض . وعمل جدولا بحركات السيارات الي ستمائة سنة ورسم خريطة للنجوم

وظهر غاليان فرتب الاعمال التشريحية التى تمت علي يد هيروفيل وايراز يسترات فحصل منها مجموعة علمية تعتبر غاية ما بلغه الاقدمين من علم البيولوجيا أى علم الحياة

و يعتبر كتاب الطبيب الاشهر دو بيرغام المدعو (دواودو بارتيوم) اول كتاب علم الفزيولوجيا أى علم وظائف الاعضاء علي الاسلوب العلمي . وقد وضع هذا الطبيب أيضاً مؤلفات جمة عظيمة القدر

في علم الطب

وقد وضع بلين الطبيعي تاريخا طبيعيا علي مثال غاليان وهو دائرة معارف حيوانية نباتية معدنية . و بلين هذا لم يكن عالما بالمعنى الرسمي لهذه الكلمة ولكنه كان عالما باللغة ومحبا للعلم وجامعا لشوارده

وقد قرر بطليموس نظرية ثبوت الأرض ودوران الشمس والكواكب حولها واكتشف نظرية الحركات الظاهرية . وفى هذا الوقت نفسه اكتشف ديوفانت علم الجبر وهو علم كان له اكبر النتائج علي علم الفلك وسواه

(العلم في القرون الوسطي) القرن الوسطي هي فترة تبلغ الف سنة من القرن الرابع الي الخامس عشر فيها وقع العالم الأوروبي في ظلام حالك من الجهل ونضوب المعارف العالية طمست عندهم معالم العلم، ودرست مناره واصبح الناس كما كانوا علي عهد الجاهلية الأولي وذلك بالتأثير المزدوج لغلبة فلسفة أرسطو وسلطة العقائد الدينية فتنازل العلم عن وظيفته للتعصب الذى قام به رجال الدين هنالك، وكان من يتجرأ علي التلفظ بكلمة علم أو نظرية جديدة يجازى بالقتل حرقا باسم مبتدع وقد عد من احرق من العلماء العاملين والمؤلفين المفكرين في اوروبا في ذلك العهد فبلغ نحو ثلاثمائة الف وخمسين الفا

فلما جاء القرن الخامس عشر كانت النفوس قد حقدت أشد الحقد علي رجال الكنيسة الذين أسرفوا في الانتصار لأصولهم فظهرت البروتستانتية في جميع الممالك وشجع اهل العلم علي المجاهرة بعلومهم ونظرياتهم وسمي هذا الدور بدور النهضة الفكرية لاوروبا

في هذا الدور ظهر (ليونار دوفانسي) وكان فيلسوفا وعالما واستاذا في الفنون فاكتشف نظرية السطح المائل وتصادم الاجسام والاحتكاك . واخترع عدداً لا يحصي من الآلات ورقي الآلات المائية الابصارية . وهو الذى اكتشف الخاصة الشعرية

ونبغ في هذا العصر العلماء فراكستور وموردليكو وانتونيود ودومينيس و بورتا وغيرهم فكملوا الآلات الابصارية في ذلك العهد وقد انتهي دور هذه النهضة بالاعمال العظيمة التى قام بها فيزال وهارفي على البيولوجيا أى علم الحياة . فأما اندريه فيزال هذا فانه لم يأت بملاحظات جديدة ولكن الفضل العظيم

ايجاز وترتيب المعارف السابقة في علم التشريح الوصفي . والذى عزى اليه بالذات مكتشفات غاية في القيمة في الفزيولوجيا الميكانيكية . وأما غليوم هارفي فانه فضلا عن ايضاحه كيفية الدورة الدموية سنة (١٦٢٨) بين ظواهر التوالد الحيواني

بعد عدة سنين من هذا العهد جاء (بيكيت) فاكتشف الاوعية الكيلوسية و (لوينهوك) الاوعية الشعرية ، و (ما لبيني) الكريات الدموية ، و (استينون) المسالك الباروتيدية

وفي هذا العهد اكمل (غابسون) دراسة الكبد و (وليس) المخ والاعصاب و (وارتون) الغدد

وارتقى علم التشريح الوصفي ارتقاء عظيما في مدى القرنين السادس عشر والسابع عشر وقد جاءت الاكتشافات الهائلة في علم الفلك للعلماء (نيكوبراهيه) و (كوبرنيك) و (كبلر) فكانت اكبر ما عرف منها في تاريخ العلم

وفي مقدمة القرن السابع عشر ظهرت حركة علمية كان لها تأثير كبير علي ترقية العلوم الرياضية التجريبية تمت علي ايدى غاليليه وديكارت ونيوتن . وقد افاض المؤرخون في ذلك العصر في انواع التقدم الذى نالته العلوم بينما لم يترق في الحقيقة الا علم الطبيعة . أما البيولوجيا (علم الحياة) والكيمياء فكانتا متأخرتين ومختلطتين في كثير من مباحثهما بعلم الطبيعة. وقد اخطأوا في قولهم أن ذلك الرقي الكبير والتقدم العظيم تم علي يد (باكون) . نعم ان اسلوبه العملي يعتبر من الاعمال الجليلة ولكن كان قد سبقه اليه جم غفير من رجال العلم وان كان هو قد شهر هذا الاسلوب بفصاحته وباعماله المتواصلة

فغاليليه يعتبر الموجد لعلم الطبيعة باكتشافه النظريات الاساسية للحركة والثقل وباختراعه الترمومتر والميكروسكوب والمنظار الفلكي وباصلاحه لعلم الميكانيكا واليه ينسب اكتشاف الكلف الشمسي واثبات حركة دوران الارض ووجوه الزهرة واكتشافه توابع جوبتير . والنتبه هنا انه في جميع هذه المباحث كان متأثراً بروح علمية صادقة واخلاص حق للمذهب التجريبي ، وبدقة عظيمة في الاستنتاجات

أما ديكارت فلم يجرب الا قليلا ولكنه يعتبر من مكوني علم الطبيعة

باكتشافه نواميس الانعكاس وبتعليله الظواهر الجوية وعلي الاخص بايجاده الهندسة التحليلية وهي الاداة الثمينة التى استخدمها العلم في ترقيه نحو الحقائق الوجودية وديكارت هذا رغماً عن الاغلاط التفصيلية في كتبه ولا وجه لمؤاخذته عليها يعتبر من الرجال الذين احاطوا علما بكنه العقل والطبيعة معا . وهو رغماً عما كان يحيط به من تعصب رجال الدين وعما كان يبديه من الاحتياط حتى لا يقع تحت غائلتهم استطاع أن يضع اقوى الاساس التى يقوم عليها بناء العلم الحاضر فانه القائل : (أعطني مادة وحركة وأنا ابني لك الكون) فان من يقل مثل هذه الكلمة يكن بلاشك قد أدرك بعض سر الوجود

أما نيوتن فانا ماله جسيمة جداً فمنها اكتشافه لناموس الجاذبة العامة وكيفية تحليل الضوء واختراعه التلسكوب ، فضلا عن أن علم الفلك مدين له بمعظم النظريات علي القمر. أما في علم الرياضة فقد أوجد التحليل الذى يشاركه في الفخر به العلامة (لبنز) ويمتاز نيوتين بدقته في الملاحظات واخلاصه للاسلوب التجريبي الصارم

هؤلاء الرجال الثلاثة غاليليه وديكارت ونيوتن قد يعتبرون اكبر رجال العلم اوجدهم الخالق ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور . ومن حسن الاتفاق انهم وجدوا في عصر واحد فكانت مجهوداتهم المتضامنة من اكبر العوامل لتقرير الحقائق العلمية وطبع العلم بطابع التمحيص الذى لا يزال عليه الى اليوم . ولقد كان تأثيرهم من العظم بحيث تأثرت منه سائر العلوم فكان القرن السابع عشر بهم اكثر القرون بركة علي جميع الفروع العلمية . يشهد بذلك من نبغ في عصرهم من الرجال امثال باسكال وماريوت ورو بيرفال وكلميني في فرنسا ، وهو يجنس واونودوجيريك وغريغوري وهاليه في هولاندة والمانيا وانجلترة ، وتورسيلي واقاديمي فلورنسا في ايطاليا ثم ان اصول انتقال الضغط علي السوائل وثقل الهواء وناموس ضغط الغازات والتلسكوب والآلة الكهربائية والآلة المفرغة للهواء الي غير ذلك كلها من مكتشفات هذا العصر اى القرن السابع عشر

وقد امتاز القرن الثامن عشر بالرقي العظيم الذى نالته العلوم الرياضية بأعمال

(أول)و(كابرو)و(دالامبير) و(لاجرانج) و (لابلاس) فقد جاؤا بنتائج ابحاث عالية القدر وزادوا بها مذخور العلوم الفلكية والرياضية والميكانيكية

وفي هذا الوقت نفسه كان(فيك دازير) و (بوفون) و (كامبر) و (دوبنتون) و (بلاس) يدرسون تشريح المقارنة وعلم الحيوانات . وكان (هالر) يضع أساس البيولوجيا (علم الحياة) بأعماله العظيمة في علم وظائف الاعضاء

هؤلاء الرجال العظماء كانوا بأعمالهم الجليلة طليعة لاقطاب العلم العصرى الذين ملأوا العالم بمباحثهم في جميع المناحي العقلية وهم (كوفيه) و (جوفرواسانتيلير) . فالاول اوجد الباليونتولوجيا اى علم الحفريات وترتيب الحيوانات والثاني اكتشف الفلسفة التشريحية

فلما جاء (درو) احدث رقيا كبيرا في المباحث النباتية فزاد في المباحث التي بدأها (مانيول) و (تورنفور) واشتهر فيها أيضاً (لينيه) و(جوسيو) الأول بأسلوبه الصناعي والثاني بأسلوبه الطبيعي

وقد جاءت أعمال (دينجنهوز) و (دوسينبيه) و (دوسوسور) على تنفس الحيوانات وارتباطه بالهواء والضوء من الاعمال التي أدخلت المعارف النباتية في دور جديد

وقد كان القرن الثامن عشر قرن يمن وبركة لا على علم البيولوجيا فقط بل وعلى علم الكيمياء أيضاً . فقد ولد كلاهما بعد أن بقيا قروناً طويلة في حالة جنينية محضة ولم يرتق فيه علم الطبيعة الا فيما يختص بالكهرباء الاستاتيكية والكهرباء الجوية ونظريات الصوت بواسطة (دوفيه) و (دوفرانكلان) و (دو بيرنولي)

أما ترقيات الكيمياء فكانت على العكس عظيمة جداً فن الاخوين (روبل) و (ميكير) و (تيبرى) و (شيل) و (بيرجمان) و (بريستليه) و (كافنديش) و (جيتون) و (فوركروا) يعتبرون كلهم طليعة لمقدم (لافوازييه) الكبير الذى يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء . فان هذا العلامة حلل الهواء والماء الى عناصرهما البسيطة وعلل حدوث الاحتراق وعرف المواد التي تتكون منها أجساد الحيوانات والنباتات وكفي بهذه الاعمال فخامة وجلالة وآثاراً عظيمة على العلم والصناعة. وقد ختم هذا القرن المعظم

بتجدد البيولوجيا على يد العلامة الكبير (اكسافييه بيشا) فانه بعد أن حلل الأعضاء والأنسجة قرر أسلوبه الناطبر الذى بين حدوده بقوله : « يجب تحليل خواص الأجسام الحية بدقة وبيان ان كل ظاهرة فيزيولوجية تتعلق بآخر تحليل لهذه الخاصائص في حالتها الطبيعية . وان كل ظاهرة مرضية تأتي من زيادتها أو نقصها أو فسادها ، وان كل ظاهرة علاجية ترتبط بعودتها الى الصورة الطبيعية التي شذت هي عنها وتمييز الأحوال التي تؤدى فيها كل منها وظيفتها وتمييز مايكون سببه أحدهما أو الآخر تمييزاً فيزيولوجياً وطبياً »

أما القرن التاسع عشر فان مجرد سرد مابلغه العلم فيه من الترقي يوجب الدهش نعم انه لم يولد من العلوم الجديدة غير علم الاجتماع البشرى ولكن العلوم جميعها قد خطت فيه خطوات واسعة في سبيل التقدم الباهر . وان ما اكتشف فيه من المجهودات الطبيعية والكيماوية كان لها أكبر تأثير في الصناعة فتقدمت تقدماً لا يمكن تحديده بحد . وقد استفاد فيه الطب من المكتشفات التي تمت في علم التشريح والفزيولوجيا فوائد لاتحصى .

وجاء (فولتا) و (جالفاني) فأخضعا للانسان من القوى الوجودية مالا تستطيع ادراك نتائجه الباهرة حالا واستقبالا باكتشافهما الكهرباء المولدة للحركة وباختراعهما العمود الكهربائي وحدث ان تجارب (أورستيد) المختصة بالمغناطيس الكهربائي التي اكملتها وأخصبتها تجارب (امبير) و(أراغو) كانت قاعدة لاختراع التلغراف الكهربائي واعتبر فيه (ستفنسون) موجداً للآلة البخارية بتحسينه المركبة البخارية التي كان اخترعها (كونيو) قبله

و بعد سنين معدودة جاء (جاكوبي) و (الكنجتون) و (وربولز) فاستخدما ماأوجده (بيكريل) وتوصلوا الي الوسائل التي تمكنهم من وضع طبقات رقيقة جداً من المعادن الحالة لصفائح على الاجسام الاخرى بواسطة العمود الكهربائي

ولا يجوز أن تنسي علم التصوير الشمسي المؤسس على تغير ألوان بعض المواد الكيماوية بتأثير الضوء وهو العلم الذى لايذكر الا بذكر مؤسسيه والعاملين لترقيه (نيسيفورنيس) و (دبداجير) و (دوتالبوت)

هذا مايختص بالمباحث المادية التي

نمت في القرن التاسع عشر. أما ما نشأ فيه من المباحث النظرية فحدث عنه ولا حرج فان العلماء (مالوس) و (فرسنل) و (بيو) أوجدوا جزءاً عظيما من نظريات الابصار ودرسوا أحوال الانعكاسات الضوئية ونظرية الاينير • ودرس (اورستيد) و (امبير) و (اراغو) و (فاراديه) جهة من جهات القوى الكهربائية فتحين لباحات جديدة للمغناطيس الكهربائي والكهرباء من وجهة الحركة

وأسس (ماييه) و (كلرذبوس) و (جول) و (هيرن) فرعاً جديداً من العلم باكتشافهم علم استحالة الحركة الي حرارة ولنضف الي هذه الأسماء (جي لوساك) و (دوربنبولت) الذين أوجدا في الطبيعة مباحث هامة جداً . وعلم الكيمياء مدين بمباحث عالية القدر للعلماء (برتلو) و (برزليوس) و (شغرول) و (دوماس) و (لوران) و (جيرهاردت) و (كيكوليه) و (ورتز) فان هؤلاء أوجدوا بمباحثهم العالية فلسفة علم الكيمياء التي لم تكن منتظرة قبلهم وكانت سبباً لاكتشافات جليلة فيها. نذكر منها الألوان الجميلة الكثيرة التي امكن استخراجها من الفحم الحجرى والمواد الغالية القدر التي تستعمل في الطب منها الكلوروفورم والكينين الخ ووسائل الصباغة

وقد جاء اكتشاف التحليل الطيفي فأبان لنا شيئاً كثيراً من طبيعة الكواكب الموضوعة علي بعد منا بملايين الفراسخ

وقد تقدمت المباحث البيولوجية علي يدى (بروسيه) و (بلينفيل) و (ماجندى) و (كلودبرنار) و (روبان) بفرنسا و (مولر) و (لهان) و (فيركو) و (هلمولتز) في ألمانيا تقدماً عظيما مهدت به السبيل لاحداث انقلاب عظيم في علم الطب

ثم ان علم الطب الذى يعتبر في حقيقته تطبيقاً للمعارف البيولوجية علي صناعة العلاج قد حدث فيه تقدم عظيم بتقدم العلوم الأخرى التى تعتبر كالاصول له . وقد عرف ان اختلال توازن الأعضاء او حدوث عرض لأحدها يوجب الحال المسمى بالمرض فصارت غاية الطب اليوم البحث عن الأسباب التى توجد ذلك الاختلال الجسدى . فاذا عرف ذلك علي أكمل وجه جاء العلاج مؤثراً لامحالة وزال الشك من علم التشخيص

قلنا لم يولد في القرن التاسع عشر من العلوم الجديدة غير علم الاجتماع البشرى وناهيك به من علم عالى القدر عظيم الفائدة كبير العائدة علي المجتمعات البشرية ولد هذا العلم علي أيدى (فوريه) و (أجوست كونت) و (برودون) وعدد عديد من الاقتصاديين ولكنه لم يبلغ غاية نموه للآن فلا يزال يحتاج لخطوات واسعة في سبيل الحقائق المخبوءة في اطوار الحياة الاجتماعة ولا يبرزها الا الزمن والحوادث الجسام

هذا ولا يجوز لنا ان نهمل تلك الحركة الكبرى التى ظهرت من لدن سنة (١٨٤٦) وراء استكناه أسرار العالم الروحاني التى ظهرت أولا في امريكا ثم سرت منها الى انجلترة وسائر الممالك الأوربية. قد نقلنا في مقدمة هذا الفصل ما كتبه الاستاذ الكبير (اوليفرلودج) الانجليزى في هذا الصدد ولكن لا يغنى هذا الكلام عن ايراد تاريخ موجز لهذه الحركة التى تعتبر أعظم حادث في تاريخ العلوم التجريبية

نشأ العلم الأوروبي معادياً للدين بطبيعته فبذل جهده فى مكافحة أصوله وتوهينها وتم له ذلك حتى خيل للعالم أن دولة المدركات الدينية قد انقرضت وخلا الجو لدعاة المادة فأصبحت العقائد بالروح والخلود والملأ الاعلي في عداد المدركات الاثرية التى يروجها الكهنة في عقول البسطاء لسلب أموالهم وتسخير قواهم فلما نشأت حركة المباحث النفسيه في القرن التاسع عشر تناولت البحث بنفس الاسلوب العلمي التجريبى فتأدت منه الى نتائج غاية في الخطورة يرى الفلاسفة انها المكملة لبناء صرح العلم العظيم والحافظة للفطر الانسانية من أن تفسدها التعاليم المادية المجتاحة

(كيف كان بدء الاهتمام بهذه المباحث ؟)

كان جو العالم المتمدن الي سنة (١٨٤٦) خاياً للفلسفة الحسية وكان صوت لروحيين قد خفت حتى لم يعد احد يسمع لهم ركزا

ولكن حدث أن رجلا اسمه (جون فوكس) كان يقيم في قرية (هيدسفيل) من مقاطعة نيويورك بأمريكا فسمعت زوجته ذات ليلة اصواتاً في الدار وضوضاء لم تدع للنوم مساغا الي الجفون . فكانت مدام فوكس تنادى جيرانها وتستعين بهم في البحث عن الفاعل المستتر فلم تهتد اليه فتجاسرت هذه المرأة ذات ليلة وقالت

لذلك الصائت الجلب اطرق عشر طرقات فعل فقالت له كم عمر ابنتي ؟ فطارق طرقات بقدر سني عمرها فقالت له ان كنت اوذيت من شيء فأحدث طرقتين ايضا فأحدثهما ولم تزل به هذه المرأة الجريئة حتى علمت بواسطة الطارق انه روح رجل كان ساكنا في ذلك البيت فقتله جاره ليسرق ماله ودفنه فيه

فلم يسع مدام فوكس الا استحضار الجيران واستجواب الروح امامهم ، ثم ان المرأة رفعت الأمر للحكومة فاعتنت بالبلاغ وأجرت المباحث الواجبة فوجدت الأمر حقيقاً

من هذا اليوم شاع امر هذه الحادثة في اصقاع امريكا وكثر حدوث امثالها في كل بلد فاهتم بها رجال العلم ودرسوها درساً مدققا فكان السابق الي دراستها الاصولي الكبير (ادمون) رئيس مجلس اعيان الولايات المتحدة فاعتقد صحتها ونشر في ذلك كتابا سنة ١٨٦٥

وتبعه العلامة (مابس) استاذ الكيمياء في المجمع الأمريكي فقرر صحتها ونسب حدوثها لارواح الموتى ولكن الحدث الذي أوجب الدوى الكبير هو سهادة العالم الخطير (روبرت هير) الأمريكي لهذه الحادثة وتأليفه فيها كتابا سماه (الأبحاث التجريبية علي الظواهر الروحية)

فانتشب القتال من ذلك اليوم بين المصدقين والمكذبين ولم يبق عالم ولا كاتب الا التي بنفسه في تلك المعمعة فانتقل ذلك المذهب من امريكا الى انجلترة وصادف فيها نصراء من الطبقة العليا من امثال الأستاذ (وليم كروكس) أشهر علماء الكيمياء والعلامة الكبير الفزيولوجي (روسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي ، والطبيبي الخطير (أوليفرلودج) وغيرهم ممن سير ذكرهم عند ذكر مباحثهم هذا الكتاب

أما وليم كروكس الكيماوي فبعد أن بحث هذه الظواهر الروحية كتب عنها كتابا أسماه (المباحث النفسية) جاء فيه هذه العبارة

« وبما اني متحقق من صحة هذه »
«الحوادث فمن الجبن الأدبي أن أرفض»
« شهادتي لها بحجة ان كتاباتي قد استهزأ »
«بها المنتقدون وغيرهم ممن لا يعلمون شيئاً»
« في هذا الشأن. ولا يستطيعون بما علقوه »
«من الأوهام ان يحكموا عليها بأنفسهم أما »
«أنا فاسرد بغاية الصراحة ما رأيته بعيني»
«وحققته بالتجارب المتكررة

فجاء هذا القول مشابهاً لقول الاستاذ (اليوت رئيس جماعة العلماء الامريكية في مجلة (أنال بسيشيك) وهو :

«منذ مدة وجيزة كان يشق علي »
« الامر كلما فكرت في اني ساكون كاتباً »
« لتاريخ اعتقادى بدون ان أهبط »
«من كمالي العقلي ولا يمكنني السكوت»
«امام هذه المشاهدات الحقة لئلا أنسب»
« للجبن الادبي »

وقال العلامة (روسل ولاس) المتقدم ذكره في كتابه المعجزات في العصر الحاضر:

« لقد كنت دهريا صرفا مقتنعاً »
« بمذهبي تمام الاقتناع ولم يكن في ذهني »
« أدني محل للتصديق بحياة روحية ولا »
« يوجد عامل في هذا الكون كله غير »
«المادة وقوتها . ولكني رأيت ان »
« المشاهدات الحسية ان تغالب فانها »
«قهرتني وأجبرتني علي اعتبارها حقائق »
«مثبتة قبل ان اعتقد نسبتها الي الارواح»
«بمدة طويلة. ثم اخذت هذه المشاهدات»
« مكانا من عقلي شيئاً فشيئاً ولم يكن ذلك »
«بطريقة تصورية ولكن بتأثير المشاهدات »
« التي كان يتلو بعضها بعضا بصورة لا »
« يمكن تعليلها بوسيلة أخرى »

لما انتشرت هذه المباحث بين العلماء رأت الجمعية العلمية الانجليزية ان تؤلف لجنة منها لبحثها بحثاً علمياً دقيقاً حتى يقف الناس منها علي ما يجب الوقوف عنده فتألفت هذه اللجنة واجتمعت أربعين مرة ثم رفعت تقريراً عن أعمالها طبع بالانجليزية وترجم الي الفرنسية في كتاب ضخم جاء فيه ما يأتي من صحيفة ٩ :

« قد عقدت هذه اللجنة من يوم تألفها في ٢١ فبراير سنة ١٨٦٩ أربعين اجتماعا بقصد عمل التجارب والامتحانات المدققة

« كل هذه الاجتماعات عقدت في الدور الخاصة للأعضاء لاجل نفي كل احتمال في اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أي وسيلة من أي نوع كان

« وقد كانت أثاثات الغرف التي عقدت فيها الاجتماعات في كل حال هي أثاثاتها العادية

« وقد كانت الترابيزات التي استخدمت دائماً للتجارب هي ترابيزات الغذاء ثقيلة تحتاج لقوة عظيمة اذا أريد

تحريكها • وقد كان طول اصغرها خمسة اقدام وتسع عقد وعرضها اربعة اقدام . وكان طول اكبرها تسعة اقدام ونصف وكان ثقلها مناسبا لحجمها

« وقد كنا نعيد الى تفتيش الترابيزات وجميع الاثاثات تفتيشاً مكرراً قبل عمل التجارب لنحصل على الثقة التامة بعدم وجود أي آلة اوجهاز يمكن بواسطته ان تحدث الاصوات والحركات التي سنذكر بعد

« وقد عملنا تجار بنا في ضوء الغاز ما عدا عدداً قليلا منها اقتضي فيه اشأنه الخاص ان نعمله في الظلام في دقائق معدودة

« وقد تحاشت لجنتكم ان تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه الوظيفة في الخارج او الذين يأخذون اجرا على عملهم هذا. لان واسطتنا الوحيد كان احد اعضاء اللجنة وهو شخص جليل الاعتبار في في الهيئة الاجتماعية وحاصل علي صفة النزاهة المطلقة وليس له من غرض مالي يرمي اليه ولا أى مصلحة في غش اللجنة

« وقد عقدت لجنتكم عدة اجتماعات بدون اية واسطة لاجل محاولة الحصول على نتائج مشابهة للتى تحصلت عليها بحضور الواسطة فلم تحصل بعد كل جهد على نتائج مشابهة تماما للتى تحصل مع وجود الواسطة

« كل تجربة من التجارب التى عملناها بما امكن لمجموع عقولنا ان تتخذه من التحوطات عملت بصبر وثبات وقد دُبرت هذه التجارب في احوال كثيرة الاختلاف واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لاجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وابعاد كل احتمال لغش اوتوهم

« وقد اقتصرت اللجنة في تقريرها على ذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس وحقيتها مستندة الى الدليل القاطع

« وقد كان نحو اربعة اخماس اعضاء اللجنة بدأوا في التجارب وهم في اشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ومقتنعون اشد اقتناع بأنها كانت اما نتيجة التدليس او التوهم او انها حادثة بحركة غير ارادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الاعضاء المنكرون للغاية عن فروضهم السابقة الا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن

مقاومته في شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة و بعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة ، فاقتنعوا رغما منهم بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال البحث الطويل هي مشاهدات حقة لاغبار عليها

وقد كانت نتيجة تجاربهم التي تتبعوها مدة طويلة وقادوها بعناية واهتمام وجشموها جميع أشكال الامتحانات والاختبارات تقرير الاحوال الآتية :

(اولا) انه بوجود شخص او اشخاص ذوى استعداد جسماني او عقلي خاص تتولد قوة كافية لتحريك أشياء ثقيلة بدون استخدام أى مجهود عضلي وبدون مس ولا اتصال مادى من أى نوع كان بين الاشياء و بين جسد أى شخص من الحاضرين

(ثانياً) هذه القوة تستطيع أن تحدث اصواتاً في بعض الاشياء الجامدة بحيث يسمعها جميع الحاضرين بوضوح تام ولا يكون بين تلك الاشياء و بين أحد الحاضرين أى اتصال وقد ثبت ان هذه الاصوات صادرة في هذه الأشياء عن ذبذبة تتضح عند اللمس تمام الاتضاح

(ثالثاً) كثيراً ماتكون تلك القوة مقودة بعقل

***

بعد صدور هذا التقرير الرسمي من جمعية تعتبر مثابة العلم الطبيعي في العالم التفت لهذه المباحث علماء الارض فجالوا فيها كل مجال وصدرت فيها مئات من المجلات وعشرات الالوف من الكتب ولا تزال هذه الحركة آخذة في التقدم وقد وقفنا لمباحثها صحفاً كثيرة من مجلة (الحياة) التى كنا نصدرها شهرياً لدحض الفلسفة المادية وتقرير الحقائق الاسلامية

(العلم بين يدى العرب) قلنا ان أوروبا في القرون الوسطي وقعت في ظلام حالك من الجهل فوقف بها تيار العلم ، ونضبت موارد الحكمة وبقي الناس في غيهبة مطلخمة نحواً من الف سنة ، ونقول الآن ان بلاد المسلمين كانت في تلك الفترة ملجأ العلم والحكمة وموطن المدنية والحضارة فبلغت فيها المعارف والفنون ارفع ما قُدر لها في تلك القرون البعيدة ، ولسنا نسمح لانفسنا بأن نصف ماكانت عليه بلاد المسلمين في ذلك العهد من النور والحياة الراقية بقلمنا حتى لا ننسب للتحيز فندع القول

لكبار علماء الغرب ومؤرخيهم أبعد الناس عن محاباتنا في هذه الوجهة ليكون اقول أوقع في النفوس

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين في النسخة الفرنسوية في طبعتها العاشرة التي ظهرت سنة ١٩٠٠ ماترجمته

و بعد وفاة محمد ترجمت الي اللغة العربية أهم المؤلفات اليونانية . وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كلالياذة) و (الاوديسه) الي اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشي منه علي عقائدهم ولما ولي الخلافة ابو جعفر المنصور (من سنة ٧٥٣ الي ٧٧٥) نقل عاصمة الملك الي بغداد وجعلها عاصمة فخمة . فلم يأل جهداً في بذل الوسع في درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة · ولما جلس حفيده هرون الرشيد علي عرش الملك سنة (٨٧٦) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة الي كل مسجد في جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر في القارة الاسيوية لم يشرق الا في خلافة المأمون الذى تولي الخلافة من سنة (٨١٣ الي ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى وجمع اليها كتباً لاتحصي ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم

هذا المركز الذى اكتسبه العرب وهذا الذوق السليم في العلم استمر لديهم حتي بعد أن انقسمت المملكة الي ثلاثه أقسام حتي ان العباسيين في آسيا والفاطميين في مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين علي الحكومة فقط بل كانوا كذلك علي الآداب والعلوم أيضاً

ذاق العرب في الفنون الادبية كل مامن شأنه أن يحد القريحة و يصقل الذهن وقد افتخروا فيا بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ماأنجبت الامم كلها مجتمعة أما في العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الاسلوب الذى توخوه في المباحث وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاورو بيين فانهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلي النظرى لايؤدى الى التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون

معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي · وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات وممدات لعلم المنطق · وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة علي الميكانيكا والايدروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها علي جدران اوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . وهذا هو الذى قاد العرب لأن يكونوا اول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لجملة آلات للتقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضا هو الذى جعلهم يستعملون في ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المدلة والاسطرلابات (هي آلات لقياس ابعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية وقد كانوا علي ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضا الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية (وهي جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند وهو أيضا الذى اوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، وهو ايضا الذى هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية ، هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب ارسطو الاستدلالي علي مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا علي جمع الكتب بصفة منتظمة لأجل أن يتوصلوا الي تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل أن المأمون نقل الي بغداد مائة حمل بعير من الكتب وقد كان احد شروط معاهدة الصلح بينه و بين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه احدى مكتبات القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس علي الرياضات السماوية فأمر المأمون بترجمته لعربية وسماه المجسطي وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب اعتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء · وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الطب والعلوم الفلكية فقط · وكان من نظام هذه المكتبة انها تعير كتبها للطلبة الساكنين في القاهرة · وكان بتلك المكتبة كرتان

أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز قيل أن الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد علي ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائها وحدة محويا في أربعة وأربعين جزءاً وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة ومما يحكي ان أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لايمكن نقلها الا علي أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد في كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة ، وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك ، فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد سنة (٨٠٥) ترجم فيه كتبا لأرسطو وافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتبا في الفروع العلمية التي تطلب منهم وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه ، ومن ينظر الي تلك الأقاصيص والحكايات التي هي الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور

الشعرى الذى كان لدى العرب . ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا في كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولا حجر ، وما يعلم من المراقبة علي الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ ، وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التي تصلح لأن تتخذ مادة في العلوم كثيرة جدا في الجغرافية والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض ، وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها وتذهيبها علي صفات شتى

« كان الملك الاسلامي العربي مملوءا بالمدارس والكليات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة علي عدد عديد منها . وكان في طرف من اطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد في سمرقند

لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد في الاندلس وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم ما يأتي) :

« كان امراء المسلمين في الاقاليم يناظرون الملوك في حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا العلماء ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند وبخارى الى فاس وقرطبة و يروى عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لا فرق بين الغني والفقير. فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير علي السواء وكانوا يكفون التلاميذ الفقراء مؤنة دفع اجر التعليم و يعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سدا للحاجة اهل العلم وشهوة الاغنياء فى جمع الكتب » انتهى كلام العلامة جيبون . ثم قال دراير :

« وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى المدار الواسعة فكانت بيد النسطوريين او اليهود لأن المسلمين لم

يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا من اعماله . ولقد فاه الخليفة الكبير المأمون بفكره عن حقيقة العلماء فقال : ان صفوة خليقة الله وافضل عباده وأنفعهم هم الذين يقفون حياتهم علي تربية مواهبهم الطبيعية وان الذين يعلمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق في عماية الجهالة وغياهب البربرية

ثم قال دراير :

« وقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب في القاهرة في اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائيا بحيث لا يستطيع أحدهم ان يشتغل بمهنة التطبيب الا بهذا الشرط

« أول مدرسة أنشئت من هذا القبيل في أوروبا هي المدرسة التى اسسها العرب في (سالون) من ايطاليا ، وأول مرصد اقيم فيها هو الذى اقامه المسلمون في أشبيلية باسبانيا

« ولو أردنا ان نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، واوجدوا علوما

أخرى لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف علي براعتهم في العلوم الرياضية وعلي التسهيلات التى أدخلوها عليها وعلي تفوقهم في حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما الفوه فيها من الكتب وما عملوه من الجداول والتقاويم

ثم قال :

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضاً بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الأشكال ، والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

أما في علم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء و بعضاً من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو) استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . أما في علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . أما في الايدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها علي أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لانواع الاوزان النوعية وكتبوا ابحاثا علي الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء . أما في نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليوناني الذى مقتضاه ان الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الي الجسم المرئي وقالوا بعكس ذلك أى ان الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئي الى العين وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الاشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحني الذى يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة في الافق وكذلك في الغروب نراهما قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلياً بالتقدم الباهر الذى نالته الصنائع في عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات وسن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والمصانع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن وكانوا يجرون في عملها علي ماحسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقي والشعر وقد وهبوهما وقتاً كبيراً وحبوهما مكانة من أفئدتهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى في المجالات الزاهرة للادبيات الفلسفية ، وكان لديهم مؤلفات عالية جداً في تقلب الاحوال الانسانية وعلي نتائج عدم التدين ، وعلي زوال النعم ، وعلي أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحياناً حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس في مذاهبهم وقد كانوا وصلوا به الي أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه علي المواد الجامدة والمعدنية أيضاً فان النظرية التى ابتنى عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هي زعمهم ان المعادن تكونت تكوناً تدريجياً . قال الخازني (اذا سمع الجهال قول العلماء بأن الذهب تكون بالتدريج علي طريق الترقي يفهمون من هذا بأنه استحال أولا الى معادن أخرى بمعنى انه كان في مبدإه رصاصاً ثم صار خارصيناً ثم برنزاً ثم صار فضة ثم استحال الي ذهب . ولم يعلموا ان الفلاسفة يقولون ما يقولونه عن الذهب كما يقولون عن الانسان أى انه ماصار انساناً الا من طريق الترقي التدريجي وهذا لا يستلزم أن يكون قد استحال الي استحالات نهائية كأن كان أولا ثوراً ثم صار حماراً ثم صار قرداً ثم انتهي أخيراً بأن صار انساناً » انتهى ما نقلناه عن درابر

وجاء في (كتاب تمدن العرب) للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومأ اليه ما نصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها علي الصنائع ، فقد اكتسبت علومهم لصنائعهم جودة عالية جداً ، واننا وان كنا لم نزل نجهل اكثر الطرائق التى سلكوها في ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها . فنعرف مثلا انهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جداً في صناعة

الصباغة ، وانهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتى ان صفائح طليطلة أصدق البراهين علي ذلك ، ونعرف أيضاً انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة علمة ، وانهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

« ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لايجمل بنا أن نسردها سرداً بل علينا أن نهبها شيئاً من التفصيل ... الي أن قال : مما ر يتجلي للقارىء ان ديوان المكتشفات العربية في العلوم الطبيعية لايقل في الخطورة والقدر عما كان لهم من في العلوم الرياضية والفلكية . وما نسرده عليك هنا يبرهن لك عن تلك الخطورة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية خصوصاً في نظريات الضوء والابصار . وقد حفظ عنهم اختراعهم لأجهزة ميكانيكية من أدق ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التي تعد من أعظم أركان علم الكيمياء مثل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيك وقد سجلت لهم اكبر الاعمال الاساسية مثل التقطير مثلا وأثر عنهم استخدام الكيمياء لفن الصيدلة »

هذا بعض ما كتبه علماء اوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفة التي لها الفضل الاول علي مدنية أوروبا

(أنواع العلوم عند العرب) المطلع علي مادونه العرب من العلوم يدهش من توسعهم في أسمائها وموضوعاتها فقد عدلهم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى في رسالته (ارشاد القاصد الي أسنى المقاصد) ستين علما . هذا ولم تكن العلوم الحديثة النشأة كالبكتريولوجيا والبيولوجيا والباليونتولوجيا وغيرها قد ظهرت ، وهو ما يدل القارىء على ان العرب كانوا من أميل الامم الي العلوم والتوسع فيها والجرى وراء غاياتها . ونحن لايسعنا في هذا الفصل اغفال ذكر أنواع العلوم التي كان يدرسها المسلمون أيام عظمتهم المدنية فلنأت علي ذكرها مستفادة من رسالة العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصار المذكور فنقول :

(القول في حصر العلم) كل علم فأما أن يكون مقصوداً لذاته اولا

والاول العلوم الحكمية والمراد بالحكمة هنا استكمال النفس الناطقة قوتيها النظرية والعلمية بحسب الطاقة الانسانية . والاول يكون بحصول الاعتقادات اليقينية في معرفة الموجودات وأحوالها . والثاني يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل ، واجتنابها الرذائل

وأما الثاني وهو مالا يكون مقصودا لذاته بل آلة لغيره ، فأما للمعاني وهو علم المنطق واما لما يتوصل به الي المعاني من اللفظ والخط وهو علم الادب

(العلوم الحكمية النظرية)

والعلوم الحكمية النظرية تنقسم الي أعلي وهو العلم الالهي وأدني وهو العلم الطبيعي وأوسط وهو العلم الرياضي وذلك لان نظره وان كان في أمور مجردة ، من المادة الجسميه وعلائقها في العقل والحس فهو العلم الالهي

وان كان في أمور مادية في الذهن وفي الخارج فهو العلم الطبيعي

وان كان في أمور يصح تجردها عن الماديات في الذهن فهو العلم الرياضي وعكس هذا القسم ممتنع لاستحالة تجرد شيء في الخارج دون الذهن

وتنحصر العلوم الرياضية في أربعة علوم الهندسة والهيئة والعدد والموسيقي ، لأن نظره اما أن يكون فيما يمكن أن يفرض فيه أجزاء تتلاقي علي حد مشترك بينها أولا وكل واحد منهما قار الذات أولا ، والاول الهندسة والثاني الهيئة والثالث العدد والرابع الموسيقي

(العلوم الحكمية العلمية)

والعلوم الحكمية تنقسم الي السياسة والاخلاق وتدبير المنزل وذلك لان اعتباره اما للامور العامة فعلم السياسة ، أو الامور الخاصة ، فاما بالشخص وحده فعلم الاخلاق أو مع خاصته فعلم تدبير المنزل . فهذه العلوم الاصلية وماعداها فهي فرعية فلنذكر هذه العلوم مرتبة فنقول :

(علم الادب) هو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بادلة الالفاظ والكتابة . وموضوعه اللفظ والخط . ومنفعته اظهار مافي نفس الانسان من المعاني وايصاله الي شخص آخر من النوع الانساني حاضراً كان أو غائباً وهو حلية اللسان والبيان وبه يتميز ظاهر الانسان علي سائر الحيوان . وانما ابتدأت به لانه أول أدوات الكمال ولذلك من عرى عنه

لم يهتم بغيره من الكمالات وتنحصر مقاصده في عشرة علوم وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم المعاني وعلم القوافي وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة والقراءة وذلك لأن نظره اما في اللفظ والخط والأول فاما في الالفاظ المفرد أوالمركب أو مايعمهما

وأما نظره في المفرد فاعتماده اما علي السماع وهو اللغة أوعلي الحجة وهو التصريف

واما نظره في المركب فاما مطلقا أو مختصا بوزنه ، والأول ان تعلق بخواص تركيب الكلام واحكامه الاسنادية فعلم المعاني والا فعلم البيان

والمختص بالوزن فنظره أما في الصورة أو المادة والثاني علم البديع والاول أن كان بمجرد الوزن فهو علم العروض والافعلم القوافي

وما يعم المفرد والمركب علم النحو والمتعلق بالخط اما بوضعه فعلم قوانين الكتابة أو بالاستدلال به فعلم قوانين القراءة

وهذه العلوم لاتختص بالعربية بل توجد في سائر لغات الامم

(علم اللغة) هو علم نقل الالفاظ الدالة علي المعاني المفردة وضبطها وتمييز الخاص بذلك اللسان من الدخيل، وتفصيل مايدل فيه علي الذوات مما يدل علي الاحداث وما يدل علي الاشخاص وبيان الالفاظ المتباينة والمترادفة والمشتركة والمتشابهة

ومنفعته الاحاطة بهذه المعلومات خبرا وطلاقة العبارة والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالالفاظ الفصيحة والاقوال البليغة ويحتاج الي علي النحو والتصريف

(علم التصريف) هو علم بأصول ابنية الكلم واحوالها فيبحث فيه من الحروف البسيطة كم هي واين مخارجها وأحوال تركيبها وما هو مضاعف وتقديره وما هو ثلاثي أو رباعي ونهاية ذلك ، وما الاصلية منها التي لاتبدل وما المزيدة ، ومعرفة الصحيح منها والمعتل وأنواع الابنية وتغيرها عند اللواحق ، وأمثلة الالفاظ المفردة في الزنة والهيئة وما يختص منها بالافعال وما يختص بالاسماء وتمييز الجامد منها والمشتق واصناف الاشتقاق وكيف

هو . وكيف يبدل بصيغة الفعل حتى يصير امراً ونهياً وتعريف التثنية والجمع والفصل والوصل والوقف والابتداء وما يدغم من الحروف وما يقلب وما يخفي وما يجب اظهاره

وهو يتقدم علي المعاني والبيان تقدماً ضروريا ويحتاج اليه في اللغة والقوافي . ولم يزل هذا العلم مندرجاً في علم النحو حتى ميزه وأفرده أبو عثمان المازني

(علم المعاني) هو علم يعرف منه أحوال الالفاظ المركبة من خواص تركيبها وقيود دلالاتها ونسبها الاسنادية واحوال المسند والمسند اليه في الجمل واحوال الفصل والوصل بينهما وصيغ الأجوبة بمقتضي الحال

ومنفعته فهم الخطاب وانشاء الجواب بحسب المقاصد والاغراض جريا علي قوانين اللغة في التركيب ويعين في البلاغة معونة بليغة

(علم البيان) هو علم يعرف فيه احوال الاقاويل المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والاشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتأديتها المطلوب بها تأدية وافية منفعته حصول الملكة علي انشاء الاقاويل المذكورة بحسب المألوف منها كافية في التأليف والتبيين اذا اضيف ذلك الي طبع منقاد وذهن وقاد

(علم البديع) هو علم يبحث فيه عن مواد الأقاويل الشعرية وكيف تستعمل للتزيين والتحسين في سائر احوالها

منفعته تكميل الأقاويل الشعرية نظما كانت او نثرا في بلوغها غايتها وتأدية المطلوب بها وانها كيف تفتن بحسب الاغراض لتفيد مايقصد بها من التحصيل الموجب لانفعال النفس من بسط وقبض والشيء يذكر بضده فتذكر المحاسن بالذات والعيوب

يحتاج الي اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والاستكثار من مختار الشعر

هذه العلوم هي وسائل فهم كتاب الله المنزل وكلام نبيه المرسل اذ كانا من الفصاحة والبلاغة في حد الاعجاز

(علم العروض) هو علم يتعرف منه صحيح أوزان الشعر وفاسدها وأنواع الاوزان المستعملة المسماة بالبحور وكيفية تحليلها الي اجزائها المسماة بالتفاعيل ومقادير

الابيات والمصاريع واصناف التغايير المسماة بالعلل والزحافات

منفعته معرفة ماهو من الكلام شعر من حيث الصورة واى نوع هو ومايجوز ان يستعمل فيه من الاختلافات وربما احتيج اليه في دفع المعاند في شعر ما . وقيل انه يستغنى عنه السليم الطبع المستكثر لانواع الشعر ولا ينتفع به البليد ويحتاج اليه من عداهما وهم الاكثر

(علم القوافي) هو علم يتعرف منه احوال نهايات الشعر علي اى وجه تكون وكم هي واى النهايات بحرف وايها باكثر من حرف وكم اكثرها وما يجوز ان يبدل منها بما يساويه في الزنة

منفعته نحو منفعة العروض واشد لكثرة الاشتباه في القوافي واحكامها

(علم النحو) هو علم يتعرف منه احوال اللفظ المركب من جهة مايلحقه من التغايير المسماة بالاعراب والبناء وانواعها من الحركات والحروف ومواضعها ولوازمها وكيفية دخولها في الحل لتبيين دلالتها علي المقصود ودفع اللبس عن سامعها . فان القائل (ماأحسن زيد) بسكون الدال يحتمل احد امور ثلاثة التعجب من حسنه والاستفهام عن اى شيء منه احسن . وسلب الاحسان عنه حتى يعرف فيتميز

(علم قوانين الكتابة) هو علم يتعرف منه صور الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها خطا وما يكتب منها في السطور وكيف سبيله ان يكتب ومالا يكتب وابدال مايبدل منها وبماذا يبدل ومواضعه

(علم قوانين القراءة) هو علم يعرف منه العلامات الدالة علي مايكتب في السطور من الحروف المميزة بين المشتركة منها في الصور المتشابهة في النقط والاشكال والعلامات الدالة علي الاعلام والمد والقصر والوصل والفصل والمقاطع وأحوال هذه العلامات واحكامها

(علم المنطق) هو علم يتعلم فيه ضروب الانتقالات من امور حاصلة في ذهن الانسان الي امور مستحصلة فيه واحوال تلك الامور واصناف ماترتب الانتقال فيه وهيئته جارية علي الاستقامة واصناف ماليس كذلك

موضوعه المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصل الي مطلوب تصورى او مطلوب تصديقي تأدياً صوابا

واشتقاقه من النطق الداخلي أى القوة العاقلة وقد رتبه أرسطوطاليس علي تسعة أجزاء

الاول يسمي ايساغوجي ومعناه المدخل ويتبين فيه الالفاظ والمعاني المفردة من حيث هي عامة كلية وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

الجزء الثاني يسمي قاطيغورياس أى المقولات ويتبين فيه المعاني المفردة الشاملة بالعموم لجميع الموجودات وهي الجواهر والاعراض التسعة التى هي الكم والكيف والاين والوضع ومتى والملك والاضافة والفعل والانفعال

الجزء الثالث بارمنياس ومعناه العبارة ويتبين فيه كيفية تركيب المعاني المفردة بالنسبة الايجابية أو السلبية حتى تصير قضية وخبراً يلزمه أن يكون صادقا أو كاذبا

الجزء الرابع يسمي انولوطيقي ومعناه التحليل بالعكس ويتبين فيه كيفية تركيب القضايا حتى يصير منها دليل يفيد علماً بمجهول وهو القياس

الجزء الخامس يسمي باديطيقي ومعناه البرهان ويتبين فيه شرائط القياس اليقينى ومقدماته

الجزء السادس طوبيقي ومعناه المواضع ويراد بها الجدلية . ويتبين عنه القياس الجدلى النافع في مخاطبة من يقصر علمه عن البرهان والمواضع التى يستخرج منها المقدمات الجدلية ووصايا المجيب والسائل

الجزء السابع ريطوريقي ومعناه الخطابي ويتبين منه القياسات الخطابية والبلاغية المقنعة النافعة في مخاطبات الجمهور علي سبيل المشاورات والمخاصمات والمشاجرات والحيل النافعة في الاستعطاف والاستمالة

الجزء الثامن يسمي طوريقي ومعناه الشعرى ويتبين فيه حال القياسات الشعرية ومقدماتها وكيف يستعمل التشبيه المفيد للتخييل الموجب للانفعالات النفسانية وقبول الترغيب والترهيب والمدح والذم والاغراء والتحذير والتحقير وما أشبهها

الجزء السابع يسمي سوفسطيقي ومعناه نقض شبه المموهين . ويتبين فيه القياسات المغالطية وأصناف الغلط الواقعة في الحدود والاقيسة من جهة اللفظ والمعنى من مادة أو صورة ووجه التحرز منها ور بما جعل هذا الجزء تالياً للبرهان فيكون سابقاً

(العلم الالهي) هو علم يبحث فيه عن الموجودات كلها من حيث تعينها وثبوتها

وتحقق حقائقها وما يعرض لها ونسب ما بينها وما يعمها وما يخصها من حيث هي موجودات مجردة عن المادة وعلاقتها . وموضوعه الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية . و يعبر عنه بالعلم الالهي لاشتماله علي علم الربوبية وبالعلم الكلي لعمومه وشموله بالنظر لكايات الموجودات وبعلم مابعد الطبيعة لتجرد موضوعه عن المواد ولواحقها

أجزاؤه الاصلية خمسة : الاول النظر في الامور العامة مثل الوجود والماهية والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والقدم والحدوث والاسباب والمسببات وما يجرى هذا المجرى

الثاني النظر في مبادىء العلوم كلها وتبيين مقدماتها ومراتبها

الثالث النظر في اثبات وجود الاله الحق والدلالة علي وحدته وتمرده بالربوبية واثبات صفاته و بيان انها لاتوجب كثرة في ذاته

الرابع النظر في اثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس الانسانية والملائكة والجن والشياطين وحقائقها وأحوالها

الخامس أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل وحال المعاد وكيفية ارتباط الخلق بالامر

(علم النواميس) هو علم يعرف به أحوال النبوة وحقيقتها ووجه الحاجة اليها. و يطلق الناموس علي الوحي وعلي الملك النازل به وعلي السنة

منفعته بيان وجوب النبوة وحاجة الانسان اليه في بقائه ومنقلبه الي الشرع والفرق بين النبوة الحاقة والدواعي الباطلة ومعرفة المعجزات المختصة بالرسل والكرامات المختصة بالصديقين والاولياء .

وفيه كتاب لارسطو وآخر لافلاطون وأكثر مسائله في خلال مسائل آراء المدنية الفاضلة لأبي نصر الفارابي الفيلسوف الاسلامي المشهور

وينتظم في سلك هذا العلم ثمانية علوم شرعية وهي علوم القراءة ورواية الحديث والاصول وأصول الفقه والجدل والفقه

(علم القراءة) هو علم بنقل لغة القرآن واعرابه الثابت بالسماع المتصل

(علم الحديث) هو علم بنقل أقوال النبي صلي الله عليه وسلم وأفعاله بالسماع المتصل وضبطها وتحريرها

(علم التفسير) هو علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله واستخراج أحكامه وحكمه والعلوم الموصلة اليه هي اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع والقراءات . ويحتاج الي معرفة أسباب النزول واحكام الناسخ والمنسوخ والي معرفة أخبار أهل الكتاب. ويستعان فيه بعلم أصول الفقه وعلم الجدل

(علم رواية الحديث) هو علم يتعرف منه أنواع الرواية وأحكامها وشروط الرواة وأصناف المرويات واستخراج معانيها . و يحتاج الي مايحتاج اليه علم التفسير من اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبديع والاصول . و يحتاج الي تاريخ النقلة

(علم أصول الدين) هو علم يشتمل علي بيان الآراء والمعتقدات التى صرح بها رسول الله صلي الله عليه وسلم واثباتها بالادلة العقلية ونصرتها وتزييف كل ما خالفها

أول من تكلم في هذا العلم عمرو ابن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما من رجال المعتزلة لما وقعت لهم الشبهة في كتاب الله تعالي كيف يكون محدثاً وهو صفة من صفات القديم ، وكيف يكون قديماً وهو أمر ونهى وخبر ، والشبهة في مسألة القدر اذا كانت الاشياء الكائنة كلها بقدر الله ولا قدرة للعبد في الخروج عنها فكيف العقاب، وان كان للعبد قدرة علي مخالفة المقدور فيلزم تغيير علم الأول بالكائنات الي غير ذلك من المسائل وأخذ عنهم أبو الحسن الاشعري وخالفهم في كثير من المسائل

(علم أصول الفقه) هو علم يتعرف منه تقرير مطالب الاحكام الشرعية العلمية وطريق استنباطها ومواد حججها واستخراجها بالنظر

(علم الجدل) هو علم يتعرف منه تقرير الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الادلة وترتيب النكت الخلافية وهذا متولد من الجدل وهو أحد أجزاء المنطق لكنه خصص بالمباحث الدينية

(علم الفقه) هو علم بأحكام التكاليف الشرعية العلمية كالعبادات والمعاملات والعادات ونحوها. والمشهور ان اول من دون كتبه عبد الملك بن جريج وانما يتبع فيه الآن مذاهب الأئمة الاربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل

(العلم الطبيعي) هو علم يبحث

فيه عن أحوال الجسم المحسوس من حيث هو متعرض للتغير في الاحوال والثبات فيها فالجسم من هذه الحيثية موضوعه · وقد جرى العرب فيه على ترتيب أرسطو على ثمانية اجزاء وهي :

الجزء الاول ويسمى السماع الطبيعي وسمع الكيان يتبين فيه الامور العامة لجميع الطبيعيات مثل المادة والصورة والحركة والطبيعة واللانهاية وأشباهها

الجزء الثاني ويسمى السماء والعالم يتبين فيه أحوال الاثيريات والعناصر وطبائعها ومواضعها والحكمة في تنضيدها

الجزء الثالث ويسمى الكون والفساد يتبين فيه احوال مايتكون وما يفسد من المركبات والتولد والتوالد والنشوء والبلي والاستحالات

الجزء الرابع ويسمى الآثار العلوية يتبين فيه أحوال العناصر قبل الامتزاج وما يعرض لها من التخلخل والتكاثف وأصناف الجزئيات بتأثير السماويات فيها وأحوال الكائنات فى الجو مثل الغيوم والامطار والرعد والبرق والهالة وقوس قزح والصواعق والشهب والعلامات وأحوال الكائنات عنها فوق الارض كالثلج والبرد والطل والصقيع والرياح والبخار والمد والجزر وأحوال الكائنات عنها تحت الارض كالزلزلة والرجفة والخسف

الجزء الخامس المعادن يتبين فيه أحوال الكائنات الجادية من الفلزات والجواهر النفيسة وغيرها من الزاجات والشبوب والاملاح والكباريت والزئبق وكيفية تولدها

الجزء السادس النبات يعرف فيه أحوال الكائنات غير الحساسة من النجم والشجر وكيفية اعتدالها ونشوءها وتوليدها المثل

الجزء السابع الحيوان يعرف فيه أحوال الكائنات النامية الحساسة المتحركة بالارادة من البحرية والهوائية والبرية والاهلية وما يتولد منها وما يتوالد

الجزء الثامن يسمى الحس والمحسوس ويعرف فيه القوى المحركة المدركة خصوصا للانسان وأحوال النوم والرؤيا واليقظة منفعته أن يعرف منه أحوال الاجسام البسيطة والمركبة من الافلاك والعناصر والمولدات الثلاث وموادها وصورها ومباديها الفاعلة لها والغايات التى لاجلها وجدت وأعراضها اللازمة لها أو المفارقة والاطلاع

على أسرارها كالخواص الفلكية وغرائب الممتزجات العنصرية كجذب حجر المغناطيس للحديد ونحوه وحال الشجرة المعروفة بالماشقة والمعروفة بالغيرانه ونحوها وغرائب المراجات الثانية كلبن العذراء ونحوه

وبالنسبة الى علم الهندسة لأن به مظهر معلوماته للحس ويتسلم منه بعض مباديه وبالنسبة الى علم الهيئة أيضاً بهذا الاعتبار ، وبالنسبة الي العلم الالهى فانه يمهد الذهن لمباحثه ولذلك قدم عليه في التعلم ، وبالنسبة الى العلوم الفرعية التى تتفرع عليه مما يأتي ذكره

وأما العلوم التى تتفرع عليه وتنشأ منه فهى عشرة : علوم الطب والبيطرة والبيزرة والفراسة وتفسير الرؤيا وأحكام النجوم والسحر والطلسمات والسيمياء والكيمياء والفلاحة . وذلك لأن نظره اما ان يكون فيما يتفرع علي الجسم البسيط او الجسم المركب أو ما يعمهما

والاجسام البسيطة اما الفلكية فأحكام النجوم وأما العنصرية فالطلسمات والاجسام المركبة اما ما يلزمه مزاج فهو علم السيمياء أو يلزمه مزاج فاما بغير ذى نفس فالكيمياء ، أو بذى نفس فاما غير مدركة فالفلاحة واما مدركة فاما الهامع ذلك أن تعقل أولا

الثاني البيطرة والبيزرة وما يجرى مجراها . والذى بذى النفس العاقلة هو الانسان وذلك اما في حفظ صحته واسترجاعها فهو الطب أو أحواله الظاهرة الدالة علي أحواله الباطنة فالفراسة أو احوال نفسه حال غيبته عن حسه وهو قصير الرؤيا ، والعام البسيط المركب السحر فلنذكر هذه العلوم علي النهج المتقدم

(علم الطب) هو علم يبحث فيه عن بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض لالتماس حفظ الصحة وازالة المرض

موضوعه بدن الانسان وما يشتمل عليه من الاركان والاخلاط والاعضاء والارواح والقوى والأفعال . وأحواله من الصحة والمرض وأسبابها من المآكل والمشارب واهوية المحيطه بالابدان والحركات والسكونات والاستفراغات والاحتقانات والصناعات والعادات والاجناس والاسنان والواردات الغريبة والعلامة الدالة علي أحوال من ضرر أفعاله وحلالات بدنه وما يبرز منه والتدبير

بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء وتقدير الحركة والسكون والادوية البسيطة والمركبة واعمال اليد لغرض علم الصحة وعلاج الامراض بحسب الامكان

ينقسم الي جزءين نظرى وعملي وقد كان قبل أن يتهذب تقتصر فرقة من أمره علي التجارب وفرقة علي القياس والمحققون جمعوا بين التجربة والقياس

ومباديه بعضها اتفاقية تجربية وبعضها الهامات الهية

(علم البيطرة والبيزرة) الحال فيه بالنسبة الي هذه الحيوانات كالحال في الطب بالنسبة للانسان

وقد عني بالخيل دون غيرها من الامام لمنفعتها للانسان في الطلب والهرب ومحاربة الاعداء وجمال صورها وحسن أدواتها

وعني علم البيزرة بالجوارح لمنفعتها وأدبها في الصيد وامساكه

(علم الفراسة) هو علم يتعرف منه الاخلاق الانسانية من هيئة الانسان ومزاجه وتوابعه . وحاصله انه الاستدلال بالخلق الظاهر علي الخلق الباطن منفعته جليلة في تقدمة المعرفة بأخلاق من يضطر الانسان الى مخالطته من صديق وزوج ومملوك ليصير علي بصيرة من أمره فان الانسان ممنو بذلك لانه مدني بالطبع

ويقرب من هذا العلم قيافة الاثر وقيافة البشر وليست علوما اكتسابية وانما هي تخمينات حدسية وكذلك النظر في غضون الاكف واسارير الجبهة ونحوها

(علم التعبير) هو علم يتعرف منه الاستدلات من التخيلات الحلمية علي ماشاهدته النفس حال النوم من عالم الغيب فخيلته القوة المخيلة بمثال يدل عليه في عالم الشهادة

(علم احكام النجوم) هو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية لي الحوادث السفلية

(علم السحر) هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقدر بها علي افعال غريبة بأسباب خفية

فطريق الهند فيه تصفية النفس وتجريدها عن الشواغل البدنية بحسب الطاقة الانسانية لأنهم يرون ان تلك الآثار انما تصدر عن النفس البشرية

وطريق النبط عمل أشياء مناسبة

للغرض المطلوب مضافة الي رقية ودخنة بعزيمة نافذة في وقت مختار له . وتلك الاشياء تارة تكون تماثيل كالطلسمات وتارة تكون تصاوير ونقوشا كالشمايذ وتارة عقداً تعقد وينفث عليها وتارة كتبا تكتب ونحو ذلك وتدفن في الارض او تطرح في الماء او تعلق في الهواء او تحرق بالنار وتلك الرقية يكون فيها تضرع الي الكوكب الفاعل الغرض المطلوب . وتلك الدخنة عقاقير منسوبة الى ذلك الكوكب لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن الكواكب

وقد نقل كتاب سحر النبط بن وحشية وهو يشتمل علي تفصيل هذا الاجمال

وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب واستنزال قواها بالوقوف والتضرع اليها لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن روحانية الافلاك والكواكب لاعن اجرامها . وهذا هو الفرق بينهم وبين الصابئة . والوقوف لكل واحد من الكواكب وقت خاص وترتيب وشرائط مخصوصة . ولها ايضا مطالب تختص بكل واحد منها تشتمل علي معرفتها كتب الوقوفات للكواكب

وفي كتاب طماوس لأرسطو وغيره من كتبه ورسائله الي الاسكندر ذكر فصول من هذا الباب هي قواعده

وفي كتاب غاية الحكيم لمسلمة المجريطي منها ايضا جمل كافية . وقدماء الفلاسفة يميلون الى هذا الرأى

وطريق العبرانيين والقبط والعرب الاعتماد علي ذكر اسماء مجهولة المعاني كأنها اقسام وعزائم بترتيب خاص كأنهم يخاطبون بها حاضراً لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن الجن ويدعون في تلك الاقسام انها تسخر ملائكة قاهرة للجن ويحصرون الطرق الموصلة الي تسخير الروحانية في ثلاثة: الاستخدام وهو أعلاها واعمقها نفعا وانما تقع الاجابة فيه بعد مدة وتختلف المدد باختلاف جهات الاستخدام. ويليه الاستنزال والاجابة فيه علي الفور الا ان الانتفاع به انما هو في كشف امور غائبة وفي علاج المصاب ونحوه وادناها الاستحضار ولا يتعدى كشف الامور . واذا كان يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل كالصبي والمرأة والنطق بلسانه حال غيبته عن الحس اطلقوا عليه اسم الاستحضار واذا كان مناما فأحضره فأطلقوا عليه اسم

الجليان

و يقرب من السحر اظهار غرائب خواص الامتزاجات ونحوها فكأنه من جملة مقدماته عند النبط واليونانيون يجعلونه علما برأسه و يعبرون عنه بالنيرنجات

وألحق معهم بالسحر ما هو من الافعال العجيبة مرتب علي سرعة الحركة وخفة اليد وهذا ليس بعلم انما هذا هو الشعبذة كما ألحق بعضهم بالسحر غرائب الآلات الموضوعة علي ضرورة عدم الخلاء الذى هو من فروع الهندسة

(علم الطلسمات) هو علم يتعرف منه كيفية تمزيج القوى العاليه الفعالة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب في عالم الكون والفساد

وقد نقل ابن وحشيه كتاب طيقانا عن النبط وهو انموذج عمل الطلسمات ومدخل الي عملها

وكتاب غايه الحكيم المجريطي أودعه قواعد هذا العلم لكنه ضن بالتعليم فيه كل الضن

(علم السيمياء) قد يطلق علي غير الحقيقي من السحر وهو الأشهر وحاصله احداث مثالات خياليه لا وجود لها في الحس

ويطلق علي ايجاد تلك المثالات بصورها في الحس وتكون صوراً في جوهر الهواء.

وسبب سرعة زوالها سرعة تغير جوهر الهواء وكونه لا يحفظ مايقبله زمانا طويلا لكنه سريع القبول لرطوبته وأما كيفية احداث هذه الصورة وعللها فليس هذا موضعه

لفظ سيمياء عبراني معرب أصله شيم يه معناه اسم الله

(علم الكيمياء) علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وافادتها خواص لم تكن لها. والاعتماد فيه علي أن الفلزات كلها مشتركة في النوعية والاختلاف الظاهر بينها انما هو أمور عرضية يجوز انتقالها لان الاستحالة في الطبيعة غير منكرة. والجمهور من الحكماء يديرون دواء يعبرون عنه بالاكسير وعن مادته بالحجر المكرم يلقون الاكسير علي الحجر حال انفعاله بالذوبان فيحيله كاحالة اسم الجسد الوارد عليه لكن الى الاصلاح ولهم بدل عن الحجر يقوم منه اكسير دون اكسير الحجر ولهم شبيه بالحجر وشبيه بالبدل

(علم الفلاحة) يتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه الى تمام نشوءه

وهذا التدبير انما هو اصلاح الارض بالماء وبما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالسماد ونحوه مع مراعاة الاهوية

(علم الهندسة) يتعرف منه أحوال المقادير ولواحقها واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص أشكالها والطرق الي عمل ماسبيله ان يعمل بها واستخراج مايحتاج الي استخراجه بالبراهين اليقينية وموضوعه المقادير المطلقة أعنى الجسم التعليمى والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل

وأجزاؤه الاصلية عشرة :

الاول يتبين فيه احوال الخطوط المستقيمة من كيفية اتصالها وانفصالها وأوضاعها

الثاني يتبين فيه أحوال الدوائر والقسي الواقعة في أسطحة مستوية وأوتارها والخطوط المماسة لها

الثالث يتبين فيه حال الخطوط المنحنية التى تسمي الزائد والناقص والمكافي وخواصها واضافتها الى الخط المستقيم والمستدير والاشكال الحادثة عنها

الرابع يتبين فيه حال الاشكال المستقيمة الخطوط واحاطتها بالدوائر واحاطة الدوائر بها

الخامس يتبين فيه النسب الكلية الاجمالية والتفصيلية

السادس يبرهن فيه علي الخواص العددية

السابع يتبين فيه حال الاشكال الحادثة عن الدوائر الواقعة علي الكرة

والثامن يتبين فيه أحوال المجسمات المستوية السطوح

التاسع يتبين فيه أحوال المجسمات الكرية والاسطوانية والمخروطية

العاشر يتبين فيه حال الكرة المتحركة وخواصها

وأما العلوم المتفرعة عليه فهي عشرة علوم عقود الابنية والمناظر والمرايا المحرقة ومراكز الاثقال والمساحة وانباط المياه وجر الاثقال والبنكامات والآلات الحربية والآلات الروحانية

(علم عقود الابنية) يتعرف منه أحوال أوضاع الابنية وكيفية شق الانهار وتنقية القنى وسد البثوق وتنضيد المساكن ومنفعته عظيمة في عمارة المدن والقلاع والمنازل وفي الفلاحة

(علم المناظر) يعرف منه أحوال

المبصرات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن المناظر واختلاف أشكالها وأوضاعها ومايتوسط بين الناظر والمبصرات وعلل ذلك

ومنفعته معرفة مايغلط فيه البصر من أحوال المبصرات ويستعان به علي مساحة الاجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضا

(علم المرايا المحرقة) يتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها . ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع

(علم مركز الاثقال) يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول والمراد بمركز الثقل حد في الجسم عنده يتعادل بالنسبة الي الحامل

ومنفعته كيفية معرفة معادلة الاجسام العظيمة بما هو دونها لتوسط المسافة كما في القرسطون

(علم المساحة) يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والاجسام بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب

ومنفعته جليلة في أمر الخراج وقسمة الارضين وتقدير المساكن وغيرها

(علم انباط المياه) يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الارض واظهارها

(علم البنكامات) يتبين منه كيفية ايجاد الآلات المقدرة للزمان . ومنفعته معرفة أوقات العبادات واستخراج الطوالع من الكواكب وأجزاء فلك البروج

(علم الآلات الحربية) يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها

(علم الآلات الروحانية) يتبين فيه كيفية ايجاد الآلات المرتبة علي ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها

ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات كقدحي العدل والجور والسرج والقطارة وامثال ذلك

(علم الهيئة) يعرف منه احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها واوضاعها ومقاديرها وابعادما بينها وحركات الافلاك والكواكب ومقاديرها

وموضوعه الاجسام المذكورة من حيث كمياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها

أجزاؤه الأصلية اربعة: الأول يبحث فيه عن جملة الأفلاك ووضع بعضها عند بعض ونسبها وبيان انها متحركة وان الأرض ساكنة

الثاني يتبين فيه حركات الأجرام السماوية وانها كلها كرية وكم هي وكيف هي وما منها بالأرادة وما منها بالقسر وجهاتها والسبيل الى معرفة مكان كل واحد من الكواكب من أجزاء البروج في كل وقت ولواحق الحركات السماوية مثل الخسوف والكسوف وغيرها

الثالث يبحث فيه عن الأرض المعمور منها والمعمور والخراب وقسمة المعمور بالأقاليم وأحوال المساكن وما يلزمها من الحركة اليومية وما يتعلق بها من المطالع والمغارب ومقادير الليالي والايام

الرابع يتبين فيه مقادير أجرام الكواكب وأبعادها ومساحة الافلاك

أما العلوم المتفرعة عليه فهي خمسة . علم الزيجات والتقاويم والمواقيت وكيفية الارصاد وتسطيح الكرة والآلات الحادثة عنه والآلات الظلية . وذلك لأنه اما ان يبحث عن ايجاد مايبرهن بالفعل أو لا الثاني كيفية الأرصاد والأولي اما حساب الاعمال أو التوصل الي معرفتها بالآلات والاول منهما أن اختص بالكواكب المتحيزة فهو علم الزيجات والتقاويم والا فهو علم المواقيت. والآلات اما شعاعية أو ظلية

(علم الزيجات) يتعلم منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعا من الاصول الكلية

منفعته معرفة وضع كل واحد من الكواكب بالنسبة الي فلكه والي فلك البروج وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها وظهورها واختفائها في كل مكان وزمان وما يلزم ذلك من اتصال بعضها ببعض وكسوف وخسوف القمر وما يجرى هذا المجرى

(علم المواقيت) يتعرف منه أزمنة الايام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل اليها

منفعته معرفة أوقات العبادات وتوخي جهتها والطوالع والمطالع من أجزاء البروج ومن الكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ومقادير الظلال والارتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها

(علم الأرصاد) يتعرف منه كيفية تحصل مقادير الحركات الفلكية والتوصل

بها بالآلات الرصدية

منفعته كال علم الهيئة وحصول عمله بالفعل

(علم تسطيح الكرة) يتعرف منه كيفية ايجاد الآلات الشعاعية . منفعته الارتياض بعلم هذه الآلات وعملها وكيفية انتزاعها من أمور ذهنية مطابقة للاوضاع الخارجية والتوصل الى استخراج المطالب الفلكية

(علم الآلات الظالية) يتعرف منه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها والخطوط التي ترسمها بأطرافها • منفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ونحوها

(علم العدد) ويسمى الأرثماطيقي يتعرف منه أنواع العدد وأحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض موضوعه الأعداد من جهة لوازمها وخواصها

ينقسم الى جزئين الأول منهما يبحث فيه عن لواحق الأعداد في ذاتها كالزوجية والفردية ونحوها • وثانيهما يبحث فيه عن لواحق الأعداد عند اضافة بعضها الى بعض كالتساوي والتفاضل والتناسب والتباين ونحوها واستخراج ما سبيله ان يستخرج منها . وهذا العلم كالعلم الالهي في استغنائه عن غيره

وتتفرع عليه ستة علوم وهي : الحساب المفتوح وحساب التخت والميل وحساب الجبر والمقابلة وحساب الخطأين وحساب الدور والوصايا وحساب الدرهم والدينار

(علم الحساب المفتوح) يتعرف منه كيفية مزاولة الاعداد لاستخراج المعلومات الحسابية من الجمع والتفريق والتناسب

منفعته ضبط المعاملات وحفظ الاموال وقضاء الديون وقسمة التركات وغيرها

يحتاج اليه في العلوم الفلكية وفي المساحة والطب وقيل يحتاج اليه في سائر العلوم

(علم حساب التخت والميل) يتبين منه كيفية مزاولة الاعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد وتغني عما بعدها من المراتب . وهذه الرقوم التسعة منسوبة الى الهند

منفعته تسهيل الاعمال الحسابية وسرعتها خصوصاً الفلكية

(علم الجبر والمقابلة) يتبين منه كيفية

استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها

ومعنى الجبر انه اذ كانت مقادير يراد معادلتها لمقادير أخر وفيها استثناء رفع ذلك الاستثناء بزيادة الناقص ويزاد في الجهة الاخرى نظيره ليعتدلا في المعادلة ومعنى المقابلة اسقاط الزائد من أحد الجملتين بعد الجبر ليعتدلا في المعادلة وسير المقدرات الموزونة بالوزن يقع فيه جبر ومقابلة

منفعته استعلام المجهولات العددية اذا كانت معلومة العوارض ورياضة الذهن

(علم حساب الخطأين) يتبين منه استخراج المجهولات العددية اذا أمكن صيرورتها في أربعة أعداد متناسبة

منفعته نحو منفعة علم الجبر والمقابلة الا أنه أقل عموماً منه وأسهل عملا

وانما سمي حساب الخطأين لأنه يفرض فيه المطلوب شيئاً ويختبر فان وافق فذاك والا حفظ الخطأ الثاني واستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين وعلى هذا اذا اتفق وقوع المسألة أولا في أربعة أعداد متناسبة أمكن استخراجها بخطأ واحد

(علم الدور والوصايا) يتبين منه مقدار ما يوصى به اذا تعلق بدور في بادىء النظر . ولابد من ايضاح هذا المعنى بصورة من صور مثالها : رجل وهب لمعتقه في مرض موته مائة درهم لا مال له غيرها فقبضها ومات قبل سيده وخلف بنتاً والسيد المذكور ثم مات السيد • فظاهر المسألة ان الهبة تمضي من المائة في ثلثها فاذا مات المعتق رجع الى السيد نصف الجائز بالهبة

(علم حساب الدرهم والدينار) يتبين منه استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية ولهذه الزيادة لقبوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس ونحوها

منفعته نظير منفعة الجبر والمقابلة فيما تكثر فيه أجناس المعادلة

(علم الموسيقي) يتبين به النغم والايقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحون وايجاد الآلات الموسيقية

موضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس باعتبار نظامه في طبقته وزمانه

أجزاؤه خمسة : الأول في المبادىء وكيفية استنباطها

الثاني في النغمات وأحوالها • والنغم

صوت لابث زمانا ما يجرى من الالحان مجرى الحروف من الالفاظ وبسائطها سبع عشرة نغمة وأدوارها أربعة وثمانون دورا لختار الفرس منها اثني عشر دوراً لقبوها البردوات وأسماؤها : عشاق ، نوى ، بوسليك ، راست عراق ، أصفهان ، كجك تزرك زنكوله ، رهاوى ، حسينى ، حجازى واتبعوها بستة أدوار لقبوها الاوازات وهي : شهناز ، مايه ، سلك ، نوروز ، كردانيه ، كوشت . والعرب كانت تنسب النغمات الي شدود العود لشهرته

الجزء الثالث في الايقاع وهو اعتبار زمان الصوت ، وأدوار الايقاعات عند العرب ستة . الثقيل الاول ، والثاني ، والماحوزى ، ، والرمل ، وخفيفه ، والهزج والفرس تقتصر علي أربعة أضرب ، ضرب يعلم بضرب الاصل وهو قريب من الثقيل الاول وضرب يعلم بالمخمس وهو قريب من الماحوزى ، وضرب يعلم بالتركي وضرب يعلم بالفاختي وهو من الفروع

الجزء الرابع في كيفية تأليف الألحان وبيان الملائم منها

الجزء الخامس في ايجاد الآلات الموسيقية وتقديرها ، وانما وضعوا هذه الآلات لضرورة ومنفعة . أما الضرورة فاشتغال الاصوات الانسانية بالتنفس ونحوه فيتخللها فترات تخل باللذة . وأما المنفعة فما وجد في بعض الآلات مما ليس في الطبيعة فلم يحسن الاخلال به

(علم السياسة) يعرف به أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها

موضوعه المراتب المدنية وأحكامها

منفعته معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة والمردية ووجه استبقاء كل واحد منها وعلة زواله وجهة انتقاله وما ينبغي أن يكون عليه الملك في نفسه وحال أعوانه وأمر الرعية وعمارة المدن

(علم الاخلاق) يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها

موضوعه الملكات النفسية من الامور العادية

منفعته ان يكون الانسان كاملا في أفعاله بحسب امكانه لتكون أولاه سعيدة وأخراه حميدة

(علم تدبير المنزل) يعلم منه الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجه وولده وخدمه ووجه الصواب فيها . موضوعه أحوال الاهل والخدم . منفعته انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة

***

هذه جملة اسماء العلوم التي كان يعرفها العرب والفوا فيها المؤلفات الكثيرة في ابان حضارتهم وقد حرصنا أن نأتي عليها بأسمائها عندهم وحدودها لديهم مع استخدام عباراتهم التي كانت خاصة بهم ليدرك القارىء مبلغ ما كان عليه العرب من البسطة العلمية في الوقت الذى كانت فيها أوروبا تخبط في دياجير جهالة القرون الوسطي . ولولا ان اصاب المسلمين جمود يشبه الموت البحت لترقت هذه العلوم مع الزمن و بلغت أعظم شأوها اليوم وهي عربية خالصة من العجمة ولم تكن في حاجة لنقل العلم الاوروبي الى لغتنا ، وكانت آتتنا من ثمراتها في الصنائع والفنون بما يبارى مالدى أوروبا منهم أو يزيد عليها ولكن الله قضي غير هذا ولاراد لقضائه ولا شك ان في ذلك حكمة لاندركها

﴿ العلَم ﴾ لغة شيء منصوب في الطريق ليهتدى به . والجبل ورسم الثوب ورقمه

والعَلَم في الاصطلاح النحوى هو ماوضع لمسمي معين بدون احتياج الي قرينة كأحمد والهند . وهو مفرد كمحمد أو مركب اضافي كعبدالله ، أو مركب مزجي كسيبويه ، أو مركب اسنادى كجاد الرب

حكم الاضافي أن يعرب صدره علي حسب العوامل وعجزه بالاضافة

وحكم المزجي أن يمنع من الصرف الا اذا ختم بويه فيبنى علي الكسر

وحكم الاسنادى ان يبقي علي حاله

ينقسم العلم الي اسم وكنية ولقب . فالكنية كل مركب اضافي صدره اب أو أم كابي بكر ، واللقب كل ما أشعر برفعة أوضعة كراشد وجاهل . والاسم ما عداهما كمحمد واحد

العادة أن يؤخر اللقب عن الاسم ولا ترتيب بين الكنية وغيرها

﴿ علَن ﴾ الامر يعلُن و يعلِن وعلُن يعلُن علنا وعلانية ظهر . و (عالنه بالعداء) جاهره به

﴿ علا ﴾ الشيء يعلو علوا ارتفع و (علي الشيء) يعلَي علاء ارتفع .

و (عَلِّي الشيء) أعلاه . و (تعالَي الشيء) ارتفع و (تعالَ) أي ائت .
و (اعتلي واستعلي) ارتفع .
(العاليـة) أعلي الرمح أو النصف الذي يلي السنان الي ثلثه . و (العالية) أيضاً قرى بظاهر المدينة جمعها العوالي
(العلاوة) من كل شيء ما زاد عليه جمعه علاوى و (العليّيون) اسم لأعلي الجنة
(عـلو الشيء) نقيض سفله .
و (العلي) المرتفع و (المعلّي) هو سابع سهام الميسر عند العرب وله أوفر حظ
➤ أبو العلاء ➤ انظر المعرى مادة عرى
➤ أبو العالية ➤ هو الحسين بن مالك ابو العالية الشامي مولي العميين
بنو العم قوم من فارس نزلوا البصرة في بني تميم أيام عمر بن الخطاب . وابو العالية المذكور من ذريتهم . كان أديبا شاعراً راوية صحب الاصمعي واخذ عنه وكان اذا جالس الاصمعي أو غيره وتكلم معه انتصف منه وزاد عليه . ومن شعره قوله :

ولو انني اعطيت من دهرى المنى
وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين ألا ارجعي
وقلت لايام أتين ألا ابعدى

حدث المبرد قال قال الجماز لابي العالية كيف أصبحت ؟ قال أصبحت علي غير مايحب الله ، وغير ما أحب أنا ، وغير مايحب ابليس . لان الله عز وجل يحب أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك . وأنا أحب ان أكون علي غاية الجدة والثروة ولست كذلك ، وابليس يحب ان أكون منهمكا في المعاصي واللذات ولست كذلك
ومن شعره أيضاً :

اذم بغداد والمقام بها
من غير ماخبر وتجريب
ماعنده سكانها مختبط
وفر ولا فرجة لمكروب
قوم مواعيدهم مطرزة
بزخرف القول والا كاذيب
خلوا سبيل العلي لغيرهم
ونازعوا في الفسوق والحوب
بمحتاج راجي النوال عندهم
الي ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون ان تكون له
وعمر نوح وصبر أيوب

كانت وفاته يوم تمام سنة (٢٤٠) هـ

➤ علوان الاسدى ➤ بن علي بن مطارد الضرير كان من الادباء المطبوعين علي الشعر . من شعره قوله :

أوجهك أم شمس النهار أم البدر
وثغرك أم در وريقك أم خمر
وقدك أم غصن ترنحه الصبا
وغنج اراه حشو جفنيك أم سحر
تبدى لنا والليل ملق جرانه
فعاد نهاراً قبل ان يطلع الفجر
أعاذلتي ما أقتل الحب للفتى
اذا كان من يهواه شيمته الغدر
ويامعشر العشاق ما أعجب الهوى
يُرى مره عذبا وأعذبه مر
ولم أنس حالي يوم زُمت ركابهم
أقام بجسمي الضر وارتحل الصبر
فما للنوى لا ألف الله شمله
وما لغراب البين لا ضمه وكر
وليل كيوم الحشر منكر الدجي
طويل المدى لا يستبين له فجر
اراعى نجوماً ليس يلفي زوالها
ولا مؤنس الا التسهد والفكر
ارى أسهم الايام تقصد مهجتي
كأن صروف الدهر عندي لها وتر
الا ايها الدهر المكدر عيشتي
رويدك شلي لا يروعه ذعر
أتحسب ان الي لمدرك ضارعا
فاني وفخر الدين لي في الورى ذخر

➤ علاء الدين الجويني ➤ هو عطاء الملك بن محمد بن محمد الاجل علاء الدين الجويني صاحب الديوان الخراساني أخو الصاحب الكبير شمس الدين كان لهما الحل والعقد في دولة ابغا ونالا من الجاه ما يجاوز الوصف
في سنة (٦٨٠) قدم بغداد مجد الملك العجمي فأخذه صاحب الديوان وغله وعاقبه وصادر امواله واملاكه وعاقب سائر خواصه ولما عاد منكوتمر من الشام الي همذان مهزماً حمل علاء الدين المذكور معه الي عران وهناك ابغا ومنكوتمر
فلما ملك ارغون بن ابغا طلب الاخوين فاختفيا وتوفي علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة (٦٨١) ثم اخذ ملك الور اماناً لشمس الدين من ارغون واحضره اليه فغدر به وقتله
ثم فوض امر العراق الي سعد الملك العجمي ومجد الدين بن الاثير والامير علي

ابن حكيان. ثم قتل آق وزير ارغون الثلاثة بعد عام

كان علاء الدين واخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالامور وعدل ورفق بالرعية وعمارة للبلاد . وبالغ بعضهم فقال كانت بغداد ايام الصاحب علاء الدين اجود مما كانت ايام الخليفة . وكان المؤلف اذا الف كتابا ونسبه اليهما كانت جائزته الف دينار وكان لهما نظر في العلوم . ومن شعر علاء الدين قوله :

البادية الاعراب عنى فانني
بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
واهلك يا نجل العيون فانني
بليت بهذا الناظر المتضايق

◀ علي ▶ حرف جر تأتي للاستعلاء نحو (جاء علي فرس) وتأتي للمصاحبة نحو (جاء علي مرضه) وتأتي بمعنى اللام نحو (علام توبخه) وتأتي للاستدراك نحو (جاء علي ان حضوره خير من غيبته)

وتأتي اسم فعل امر بمعنى الزم نحو (عليك الصلاة) اى الزمها

◀ علي بن ابي طالب ▶ هو امير المؤمنين ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء تولي الخلافة بعد عثمان بن عفان بطريق الانتخاب

تبين للقارىء من مطالعة سيرة عثمان ابن عفان في هذا الكتاب ان هذا الخليفة مات مقتولا في ثورة أهلية قام بها جمهور من الناقمين علي حكومته فكانت لهم الكلمة العليا بعد مقتله في نصب خليفته ولم يكن في المدينة ولا في العالم الاسلامي اذ ذاك أليق من علي بن ابي طالب لهذا الامر الخطير فقصده وفد من كبار الصحابة وكلموه في امر البيعة له فامتنع اولا ثم اجاب الي ذلك فكان اول من بايعه الاشتر النخعي . ولكن علياً عليه السلام كان حريصاً علي ان يبايعه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فانهما كانا من أجدر الناس بعده للخلافة وكان هوى بعض الناس معهما . فلما بويع لعلي بالخلافة ارسل اليهما ليبايعاه فتلكأ طلحة فهدده الاشتر النخعي المتقدم ذكره وسل سيفه وقال والله لتبايعن او لأضربن بما بين عينيك فبايعه مكرهاً وبايعه الزبير

وروى ان علياً قال لهما ان احببتما ان تبايعاني وان احببتما بايعتكما . فقالا بل نبايعك . ثم قال بعد ان نقضا بيعته انما

فعلنا ذلك خشية علي انفسنا وقد عرفنا انه لم يكن ليبايعنا

وجيء بسعد بن ابي وقاص ليبايع فقال له لا ابايع حتى يبايع الناس والله ماعليك مني بأس . فقال علي خلوا سبيله

وجيء بعبد الله بن عمر ليبايع. فقال لا ابايع حتى يبايع الناس. قال ائتني بحميل قال لا ارى حميلا . فقال الأشتر خل عني اضرب عنقه . قال دعوه انا حميله . انك ماعلمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً

وتخلف عن البيعة من الانصار جمع منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدرى ومحمد ابن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب ابن عمرة وكان هؤلاء يميلون الي عثمان ابن عفان

وهرب قوم من أهل المدينة الى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وبايعه ما عدا هؤلاء من الصحابة

فلما تمت له البيعة صعد المنبر فحمد الله ثم قال :

« ان الله عز وجل انزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها الي الله سبحانه يؤدكم الي الجنة . ان الله حرّم حرَما غير مجهوله وفضل حرمة المسلم علي الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب . بادروا أمر العامة وخاصة احدكم الموت . فان الناس امامكم وان من خلفكم الساعة تحدوكم : تخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس اخراهم . اتقوا الله عباده في عباده وبلاده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه . واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض »

وروى بعضهم ان السبئية قالوا له وهو راجع الي بيته بعد الخطبة :

خذها اليك واحذرن ابا حسن
انا نمر الامر امرار الرسن
صولة اقوام كاسداد السفن
بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن
حتى يمرن علي غير عنن

فأجابهم امير المؤمنين بقوله :

أني عجزت عجزة لا اعتذر
سوف أكيس بعدها واستمر
ارفع من ذيلي ما كنت اجر
واجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتظر
او يتركوني والسلاح يبتدر

وجاءه وفد من الصحابة وقالوا له انا قد اشترطنا اقامة الحدود ، وان هؤلاء القوم (اى قتلة عثمان) قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم

فأجابهم علي عليه السلام : اني لست أجهل ماتعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم . هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ماشاؤا ، فهل ترون موضعا لقدرة علي شيء مماتريدون ؟

قالوا لا . قال فلا والله لاارى الا رأيا ترونه ان شاء الله ، ان هذا الامر امر جاهلية ، وان لهؤلاء القوم مادة ، وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض من أخذ بها ابداً . ان الناس من هذا الامر ان حرك علي امور . فرقة ترى ماترون ، وفرقة ، الا ترون ، وفرقة لاترى هذا ولا هذا . حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق فاهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا

ثم ان عليا اشتد علي قريش وحال بينهم وبين الهجرة ، وانما هيجه علي ذلك هرب بني امية الي الشام

وتفرقت الكلمة فكان بعضهم يقول والله لئن ازداد الامر لاقدمنا علي الانتصار من هؤلاء الاشرار ، ولنترك هذا الى ماقال علي امثل . وكان البعض الآخر يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره . والله ان عليا لمستغن برأيه ، وامره عناد ، لانراه الا سيكون علي قريش اشد من غيره

(مارآه علي لاصلاح الاحوال)

أول مارآه علي عليه السلام لاصلاح حال المسلمين ورد الامور الى نصابها الاول عزل جميع ولاة عثمان قبل أن تصل اليه بيعة أهل الامصار اذ كان يرى ان ابقاء هؤلاء في مناصبهم يوماً واحداً يقدح في دينه ، فحذره المغيرة بن شعبة وابن عباس من عاقبة هذا الامر فأبي وأصر علي ماأراد

ثم فرق الولاة علي الامصار فأرسل عثمان بن حنيف علي البصرة وعمارة بن شهاب علي الكوفة وعبيد الله بن عباس علي اليمن وقيس بن سهل بن عبادة علي

مصر وسهل بن حنيف علي الشام

فأما سهل بن حنيف فانه حين اتي تبوك لقيته خيل فسألوه عن شأنه . فقال انا امير الشام . فقالوا ان كان عثمان قد بعثك فحيهلا بك . وان كان غيره قد بعثك فارجع . قال اماسمعتم بالذى كان ؟ قالوا بلي . فرجع الي علي

واماقيس بن سعد فانه لما وصل الي مصر افترق اهلها فرقا ، ففرقة انضمت اليه واخرى لزمت الحياد واقامت في خربتى وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنحن علي جديلتنا حتى نحرك او نصيب حاجتنا . وثالثة قالوا نحن مع علي مالم يقد اخواننا وهم في ذلك مع الجماعة

واما عثمان بن حنيف فانه لما وصل الي ولايته بالبصرة وجد اهلها شيعا كاهل مصر

واما عمارة فلقيه طليحة بن خويلد بالطريق فأخبره بأن اهل الكوفة لايريدون بأميرهم بدلا فرجع الي علي

وانطلق عبيد الله بن عباس الي اليمن لجمع الولي الذى كان بها كل ما يستطيع جمعه من مال الجباية وخرج به ولحق بمكة

وكان علي الشام معاوية بن ابي سفيان فلما بلغه خبر مقتل عثمان واسناد الخلافة الى علي خشي ان تدول دولته فاتهم عليا بالاغواء علي قتل عثمان . وقوى شبهته في ذلك بابوائه لقتلته في جيشه

وارسل علي الي معاوية سبرة الجهني يطلب اليه ان يبايع ، فلما قدم عليه لم يجبه معاوية بشيء حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان اراد معاوية ان يعلن خلافه فدعا برجل فدفع اليه طوماراً مختوماً عنوانه (من معاوية الي علي) وقال له اذا دخلت المدينة فارفع الطومار حتى يراه الناس فلما وصل الي المدينة عمل بما امره به معاوية فعلم الناس انه مخالف لعلي . ودخل الرسول الي علي فلم يجد معه غير ذلك الطومار

ثم ان الناس ارادوا ان يعرفوا نية علي في معاوية فارسلوا اليه زياد بن حنظلة ليستطلعه رأيه . فقال له علي يازياد تيسر فقال لأى شيء ؟ قال نغزو الشام . فقال الاناة والرفق أمثل

ومن لا يصانع في امور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي بقول الشاعر :

متى تجمع القلب الذكي وصارما
وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس فسألوه عما وراءه فقال السيف

ثم دعا عليّ ابنه محمداً فأعطاه لواءه واعبأ جنده واستخلف على المدينة قثم ابن عباس واقبل على التهيؤ والتجهز. وبينا هو يتخذ اهبته اذ فجاءه خبر خروج طلحة والزبير وعائشة عليه

وذلك ان عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت خرجت من المدينة وعثمان محصور قاصدة الحج فبلغها وهي بمكة ان عثمان قد قتل وان الخلافة اسندت الى علي ابن ابي طالب . فقامت بالمسجد الحرام فخطبت الناس وقالت :

« ان الغوغاء من اهل الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالامس الارب واستعمال من حدثت سنه . وقد استعمل اسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي امور قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خجلوا وبدأوا بالعدوان ، ونبأ قولهم عن فعلهم فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام والله لأصبع عثمان خير من طباق الارض امثالهم . فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم، ويشرد من بعدهم والله لو ان الذين اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه ، اذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء »

وكان بمكة في تلك الآونة عبد الله ابن الحضرمي عاملها من قبل عثمان وعبد الله بن عامر والي البصرة ويعلي بن أمية قدمها من اليمن ثم قدم عليهم من المدينة طلحة والزبير فاجتمعت كلمتهم على ان يأتوا البصرة ويعلنوا المطالبة بدم عثمان والقصاص ممن اشترك في دمه

فساروا جميعاً فلما قاربوا البصرة وعلم بقدومهم عثمان بن حنيف واليها من قبل علي بن ابي طالب ارسل اليهم عمران بن حصين وابا الاسود الدؤلي ليعلما ماذا يريد القوم فلما وصلا استأذنا على عائشة ، فأذنت لهما فاستخبراها عن قدومها فقالت لهم ان الغوغاء من اهل الامصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله واحدثوا فيه الاحداث، وآووا فيه المحدثين واستوجبوا

فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الاعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين ، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في اصلاح هذا . ثم قرأت (لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) ننهض في الاصلاح من امر الله عز وجل وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والانثى . فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره

ثم سأل الرسولان طلحة ماأقدمك ؟ قال المطالبة بدم عثمان . قالا ألم تبايع عليا ، قال بلى واللج على عنقي وما استقيل عليا ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان

ثم سألا الزبير . فقال لهما مثل ماقال طلحة . فعاد الرجلان الى عثمان بن حنيف فأخبراه. فعزم على التهيؤ لمنعهم من البصرة ولم يكن أهلها على رأي واحد

فلما قدم جيش عائشة الى البصرة خرج اليهم من أهلها من هو على رأيهم وخرج عثمان بن حنيف فكان هو ومن معه في ميسرة المربد ووقف الآخرون في ميمنته . فتكلم طلحة والزبير محرضين على المطالبة بدم عثمان الخليفة المظلوم فكاد يكون بين الفريقين قتال

فتكلمت عائشة وكانت ذات صوت جهوري في معنى ماجاءت له فافترق اصحاب ابن حنيف فرقتين ، فرقة قالت صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وفرقة لم ترفع بما قالت رأسا ولم ترضه واعتبرته من الفتنة

ثم خرج بعد ذلك حكيم ابن جبلة في جماعة فقاتل جيش عائشة حتى حجزهما الليل . فلما أصبح الصباح خرج حكيم وعثمان ابن حنيف على جماعة فقاتلوا جيش عائشة حتى زال النهار ونادى عائشة يناشدهم ويدعوهم الى الكف فيأبون حتى اذا مسهم الضر نادوا بالصلح ، فاصطلحوا على ان يبعثوا رسولا الى المدينة ويسألوا عن بيعة طلحة والزبير فان كانا قد بايعا كرها فالامر أمرهما والا فالامر أمر عثمان

ابن حنيف . وكان الرسول الذى أرسلوه كعب بن سور قاضي البصرة . فلما وصل المدينة قصد المسجد ونادى يا أهل المدينة اني رسول أهل البصرة اليكم ، أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين طلحة والزبير علي بيعة علي ، أما أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد من القوم الا اسامة بن زيد فانه قام وقال: اللهم انهما لم يبايعا الا وهما كارهان فوثب عليه سهل بن حنيف والناس وكادوا يأتون عليه ، لولا ان قام فخلصه من أيديهم صهيب بن سنان وأبو أيوب الانصارى في عدة من الصحابة وأخذ بيده صهيب الي داره وقالوا أما وسعك ماوسعنا من السكوت

ورجع كعب بن سوار الي البصرة

وكان علي لما سمع بخبر كعب بن سوار كتب الى عثمان بن حنيف يعجزه ويقول والله ما اكرها علي فرقة ولقد اكرها علي جماعة وفضل ان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وان كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا

فلما عاد كعب الى البصرة وورد الكتاب طلب طلحة والزبير من عثمان ابن حنيف ان يخلي لهم الامر فلم يفعل فهاجموه ولخذوه وقد امرت عائشة بأن يترك ليسير حيث شاء ، فعاد الي علي

وكان لحكيم بن جبلة معهم مناوشات قتل في نهايتها وقتل معه عدد عظيم ممن كانت له شركة في دم عثمان

ثم نادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم أذلاء فقتلوا

ثم قام ذلك الجيش بالبصرة وكتبوا بأخبارهم الى أهل الشام والى أهل الكوفة يطلبون اليهم أن يقوموا بمثل ماقاموا به

فأسرع علي عليه السلام الي هؤلاء ليقمع نائرتهم وأرجأ سفره للشام لمقاتلة معاوية وكان يحاول أن يدركهم قبل ان يصلوا الى البصرة. فلما بلغ الربذة بلغه انهم وصلوا الى البصرة فبعث الي أهل الكوفة يطلب اليهم أن يخفوا لنجدته ليتغلب علي من خالفه . فاستشار أهل الكوفة اميرهم أبا موسي الاشعرى فقام فيهم خطيبا وجاء في آخر خطبته :

أما اذا كان ما كان فانها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جرائيم العرب ، فأغمدوا السيوف

وانصلوا الاسنة ، واقطعوا الاوتار وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة

فردت رسل عليّ عليه السلام علي ابي موسي واغلظوا له القول وكان فيهم الحسن بن علي فخطب اهل الكوفة فقال:

« يا ايها الناس اجيبوا دعوة اميركم وسيروا الي اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه ، والله لئن يليه اولو النهي أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا واعينونا علي ما ابتلينا وابتليتم به »

فأجاب الناس · فقال لهم الحسن اني غاد فمن شاء منكم ان يخرج علي الظهر ومن شاء فليخرج في الماء . فنفر معه من اهل الكوفة تسعة آلاف ، ركب بعضهم المطي وبعضهم السفن . فلحقت جنود البر بعلي بذى قار · فقال لهم :

« قد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذلك مانريد وان يلجوا داويناهم بالرفق وباينا هم حتى يبدأوا بظلم ولن ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه علي ما فيه الفساد ان شاء الله

ثم ان عليا ارسل القعقاع بن عمرو سفيرا الي اهل البصرة فسار حتى اتي عائشة

فقال لها : اى امه ما اشخصك ؟

قالت : اى بني اصلاح بين الناس

فقال القعقاع لطلحة والزبير ما اقدمكما؟

فأجاباه بما اجابت به عائشة

فقال لها القعقاع ما هذا الاصلاح؟ فلا قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن ، وان عمل كان احياء للقرآن

فقال قد قتلنا قتلة عثمان من اهل البصرة وانتم قبل قتلهم اقرب للاستقامة منكم اليوم . قتلتم ستمائة رجل الا رجلا فغضب ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين اظهركم وطلبتم ذلك الذى افلت (يريد حرقوص بن زهير) فمنعه ستة آلاف وهم علي رجل . فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون . فان قتلتموهم والذين اعتزلوكم فاديلوا عليكم . فالذى حذرتم وقربتم به هذا الامر اعظم مما اراكم تكرهون وانتم احميتم مضر وربيعة من هذا البلاء فاجتمعوا علي حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم ، والذنب الكبير . ولا ارى دواء لهذا الامر الا التسكين ،

واذا سكن اختلجوا ، فان انتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، ودرك بثار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الامة ، وان انتم أبيتم الامكابرة هـذا الامر واعتسافه كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهز ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ولا تتعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم الله . اني لأقول هـذا وأدعوكم اليه واني خائف أن لا يتم هـذا حتى يأخذ الله من هذه الامة التى قل متاعها ونزل بها مانزل ، فان هذا الامر الذى حدث أمر ليس يقدر وليس كالامور ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل)

فقال له القـوم أحسنت وأصبت فان جاء علي بمثل ماقلت صلح الامر

فرجع القعقاع الى علي فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح

ثم أمر علي بالرحيل وقال ضمن كلامه : (ولا يرتحل غداً أحد أعان علي عثمان بشيء في شيء من امور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم)

فاجتمع نفر من زعماء المهيجين على عثمان فقالوا ان عزكم في خطة الناس فصانعوهم فاذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر . فلا يجد بداً من انتم معه من ان يمتنع . ويشغل الله عليا وطلحة والزبير عما تكرهون

فلما وصل علي الي البصرة بعث الي القوم يقول : (ان كنتم على مافارقتم القعقاع فكفوا واقرونا ننزل وننظر في هذا الامر فنزلوا والقوم لا يشكون في الصلح

فقام السبئيون في الغلس واعملوا السيف في جيش اهل البصرة . فقال طلحة والزبير قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وانه لن يطاوعنا

وسأل علي عن الخبر ، وكان السبئيون قد وضعوا قريبا منه رجلا ليخبره فأجابه بقوله فدفاجأنا القوم بالقتال . فقال علي قد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وانهما لن يطاوعانا

ولم يجد الفريقان بدا من القتال وكانت عائشة في هودجها بين اهل البصرة فكان ذلك اليوم من اهول ما رآه المسلمون وكان اهل الشجاعة يلوذون بجمل عائشة حتى

لا تصاب بسوء فهلك حوله خلق لايحصي لهم عدد

فلما رأى علي كثرة القتلى حول الجمل نادى (اعقروا الجمل) ، فعقروه فسقط وسقط الهودج وكان كأنه قنفذ من كثرة ما رمي من النبال ، وجاء محمد بن أبي بكر أخو عائشة وكان من حزب علي وعمار بن ياسر فقطعا غرضة الرحل واحتملا الهودج فنحياه عن القتلى . وخرج بها محمد بن أبي بكر المذكور حتى أدخلها البصرة

وقد قتل في هذه الواقعة نحو عشرة آلاف من شجعان العرب منهم طلحة وابنه محمد وعبد الرحمن بن عتاب وغيرهم من مشهوري الرجال

أما الزبير فقد كان ترك الناس هاربا بدينه فقتله بالطريق رجل يقال له عمرو ابن جرموز

ثم زار علي عائشة وقعـد عندها ثم أمر بأن تجهز الي المدينة وودعها بنفسه أميالا

ثم أخذ علي بيعة أهل البصرة وامر عليها عبد الله بن عباس وجعل على الخراج وبيت المال زياد بن أبي سفيان

(وقعة صفين)

لما انتهي علي من أمر أهل البصرة وجه نظره الى الشام وفيها معاوية بن أبي سفيان فأرسل اليه علي جرير بن عبد الله البجلي يطلب منه البيعة فماطله معاوية وكان بالشام نخبة الجنود الاسلامية فتحالفوا على أن لايمسوا نساءهم ولا يناموا على فرشهم حتى يقتلوا قتلة عثمان ، وكان معاوية قد امتلك أفئدتهم بالمال والاخلاق الكريمة والسياسة الدقيقة فكانوا أطوع اليه من بنانه

فرفض معاوية بيعة علي واتهمه بالاشتراك في قتل عثمان . فلم ير علي بدا من مقابلته فعبر نهر الفرات من الرقة وقدم طلائعه فالتقت بطلائع معاوية فكانت بينهما مناوشات ثم تلاحقت بهما الجنود من كل طرف في سهل صفين

فاختار علي ثلاثة من رجاله ليذهبوا الي معاوية طالبين منه الطاعة وهم بشير ابن عمرو الانصارى وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي . فلما دخلوا على معاوية تكلم بشير بن عمرو فقال:

« يامعاوية ان الدنيا عنك زائلة ، وانك راجع الي الآخرة وان الله محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدمت يداك ، اني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة

وأن تسفك دماءها »

فقال له معاوية :

« هلا أوصيت صاحبك بذلك ؟ »

فقال له بشير بن عمرو :

« ان صاحبي ليس مثلك ، ان صاحبي أحق البرية كلها بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام والقرابة من الرسول صلي الله عليه وسلم »

قال معاوية :

وماذا يريد مني عليّ ؟

قال بشير بن عمرو :

يأمرك بطاعة الله ، واجابة ابن عمك الي ما يدعوك اليه من الحق ، فانه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك

قال معاوية :

ويطل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً

فقام اذ ذاك شبث بن ربعي أحد السفراء الثلاثة فقال :

يامعاوية اني قد فهمت ما رددت . وانه والله لايخفي علينا ماتغزو وما تطلب ، انك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، الا قولك قتل أمامكم مظلوماً فنحن نطالب بدمه ، فاستجاب لك سفهاء طغام ، وقد علمنا ان قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله عز وجل دونه بقدرته . وربما أوتي المتمنى أمنيته وفوق أمنيته . والله مالك في واحدة منهما خير. لئن أخطأت ماترجو انك لشر العرب حالا في ذلك، ولئن أصبت ماتتمنى لاتصيبه حتى تستحق من ربك صَلْي النار ،فاتق الله يامعاوية ودع ماأنت عليه ولا تنازع الامر أهله »

فرد معاوية عليهم رداً شديداً وأمرهم بالانصراف

فكان ذلك فاتحة باب القتال من الجانبين فبدأ القتال بشراذم كانت تتلاقي ثم تعود وانقضي شهر ذى الحجة علي ذلك فلما هل المحرم توادع الفريقان الي انقضائه طمعاً في الصلح وتفادياً من المجازر الفظيعة التي تكون اذا تلاقي الجيشان وجهاً لوجه .

وترددت بين علي ومعاوية الرسل .فبعث عليّ عدى بن حاتم الطائي ويزيد بن قيس الارحبي وزياد بن خصفة وشبث بن ربعي .فلما دخلوا علي معاوية تكلم عدي

فقال :

« انا اتيناك ندعوك الي امر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وامتنا ويحقن به الدماء ويؤمن به السبل ، ويصلح ذات البين . ان ابن عم سيد المرسلين افضلها سابقة ، وأحسنها في الاسلام اثرا ، وقد استجمع له الناس ،وقد ارشدهم الله بالذى رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك . فانك يامعاوية لايصيبك الله واصحابك بيوم مثل يوم الجمل »

فقال معاوية :

« كأنك قد جئت مهددا ولم تأت مصلحا وهيهات ياعدى ، كلا والله اني لابن حرب ، مايقعقع لى بالشنان وانك لمن المجلبين علي ابن عفان ، وانك لمن قتلته ، واني لأرجو ان تكون ممن يقتل الله عز وجل ،هيهات ياعدى قد حلبت بالساعد الأشد »

فقال شبث وزياد :

(انا اتيناك فيما يصلحنا واياك فأقبلت تضرب لنا الامثال . دع مالا ينتفع به من القول والفعل واجبنا فيما يعمنا واياك نفعه)

وقال يزيد بن قيس :

« انا لم نأت الا لنبلغك مابعثنا به اليك ولنؤدى عنك ماسمعنا منك، ونحن علي ذلك أن ننصح لك وان نذكر لك ماظننا أن لنا به عليك حجة، وانك راجع به الي الالفة والجماعة . ان صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ولا اظنه يخفي عليك ان اهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلي وان يميلوا بينك وبينه . فاتق الله يامعاوية ولا تخالف علينا فانا والله مارأينا رجلا قط اعمل بالتقوى ولا ازهد في الدنيا ولا اجمع لخصال الخير كلها منه »

فقال معاوية . « أما بعد فانكم قد دعوتم الى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التى دعوتم اليها فمعنا هي ، واما الطاعة لصاحبكم فانا لانراها . ان صاحبكم قتل خليفتنا،وفرق جماعتنا،وآوى ثأرنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم انه لم يقتله فنحن لانرد ذلك عليه.أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون انهم اصحاب صاحبكم ، فليدفعهم الينا فلنقتلهم به ثم نحن نجيبكم الى الطاعة والجماعة »

فقال له شبث بن ربعي : ايسرك يامعاوية انك ان امكنت من عمار تقتله ؟

فقال معاوية : وما يمنعني من ذلك ، والله لو امكنت من ابن سمية ماقتلته بعثمان ولكن كنت قاتله بنائل مولي عثمان

فقال شبث : لاتصل الي عمار حتى تندر الهام عن كواهل الاقوام وتضيق الارض الفضاء عليك برحبها

فقال معاوية : انه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك اضيق

فرجع هذا الوفد علي غير طائل . ثم أن معاوية أرسل الى علي حبيب بن مسلمة الفهرى وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد والأخنس بن شريق فدخلوا عليه فتكلم حبيب فقال :

(اما بعد فان عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب الي امر الله . فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع الينا قتلة عثمان ان زعمت انك لم تقتله نقتلهم به ثم اعتزل امر الناس فيكون امرهم شورى بينهم يولي الناس امرهم من اجمع عليه رأيهم

فقال له علي عليه السلام : ماانت لاام لك والعزل وهذا الامر . اسكت فانك لست هناك ولا بأهل له

فقام حبيب ابن مسلمة وقال . والله لتريني بحيث تكره

فقال علي . وما انت ولو اجلبت بخيلك ورجلك ، لاابقي الله عليك ؟ ان ابقيت علي . أحقرة وسوءا اذهب فصوب وصعد مابدالك

فقال شرحبيل بن السمط ان كلمتك فلعمري ما كلامي الا مثل كلام صاحبي قبل . فهل عندك جواب غير الذى اجبت به قبل . فقال علي : نعم فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر بعثة النبى صلي الله عليه وسلم وهدايته للخلق ثم ذكر وفاته واستخلاف الناس ابا بكر ثم عمر . ثم قال علي فأحسنا السيرة وعدلا في الامة وقد وجدنا عليهما ان توليا علينا ونحن آل رسول الله فغفرنا ذلك لهما . وولي عثمان فعمل اشياء عابها الناس عليه فساروا اليه فقتلوه . ثم اتاني الناس وأنا معتزل امورهم فقالوا لي بايع فأبيت عليهم ، فقالوا لي بايع ، الامة لاترضي الا بك وانا نخاف ان لم تفعل ان يفترق الناس فبايعتهم فلم يرعني الاشقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذى لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الاسلام طليق بن طليق . حزب من هذه الاحزاب

لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وراه حتى دخلا في الاسلام كارهين فلا غرو الا خفوفكم معه وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم الذين لاينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا ان تعدلوا بهم من الناس أحدا الا اني ادعوكم الي كتاب الله وسنة نبيه وامانة الباطل واحياء معالم الدين

فقال له شرحبيل : فاشهد ان عثمان قتل مظلوما

فقال لهما . لاأقول انه قتل مظلوما ولا انه قتل ظالما

قال شرحبيل : فمن لم يزعم ان عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء . ثم انصرفوا

لما انسلخ المحرم أمر علي ان ينادى امام جيش معاوية . ألاان أمير المؤمنين يقول لكم اني قد استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله فدعوتكم اليه فلم تناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا الي حق ، واني قد نبذت اليكم علي سواء ان الله لايحب الخائنين

وفي غد ذلك اليوم وكان الاربعاء اول صفر سنة (٣٧) ابتدأت الحرب بالمبارزة علي عادة العرب حتى مضت سبعة ايام

ثم أمر علي جنوده بالهجوم العام فتناحروا طول النهار الي المساء ثم اعادوا الكرة في اليوم التالي بأشد حمية فظهر الضعف في ميمنة جيش علي وانتهت هزيمتهم اليه فمشي علي نحو الميسرة فانكشفت عنه ولم يثبت معه فيها الا القليل . فأمر علي الأشتر النخعي ان يتدارك القوم فذهب اليهم وهيجهم علي القتال فكروا معه فأخذ يهزم الكتائب ويكسر الكراديس حتى كشف هذه الجموع المتدفقة عليه وألحقهم بصفوف معاوية بين العصر والمغرب ولم يزل الاشتر في هجمته حتى وصل الى حرس معاوية الذى كاد يهرب ولم يمنعه الامجيء المساء وكف الاشتر عنه . فلما أصبح الصباح أخذ الاشتر النخعي يتابع هجومه بالميمنة فتحقق معاوية ان الدائرة قد دارت عليه وان الأمر خرج من يديه ، فعمد هو وابن العاص ومستشاروه الآخرون الى الحيلة . فبينما الاشتر النخعي وجيشه يخترق الصفوف اذا بالمصاحف قد رفعت علي اطراف الرماح من قبل جيش معاوية وقائل يقول هذا كتاب الله عزوجل بيننا وبينكم . من لثغور الشام بعد اهل الشام ؟ ومن لثغور العراق بعد أهل العراق فلما رأى أهل العراق (أى جيش علي)

المصاحف مرفوعة قالوا نجيب الي كتاب الله

فقال لهم علي عليه السلام يا عباد الله امضوا علي حقكم وصدقكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب ابن مسلمة وابن ابي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر اطفال وشر رجال ، ويحكم انهم مارفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعملون بما فيها ، وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة

فقالوا مايسعنا ان ندعي الي كتاب الله عز وجل فنأبي ان نقبله

وقال مسعر بن فدكي التميمي واشباه له من القراء أجب الى كتاب الله اذا دعيت اليه والا ندفعك برمتك الي القوم أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان انه علينا ان نعمل بما في كتاب الله عز وجل والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك . ثم طلبوا منه ان يبعث الي الاشتر ليترك القتال . فارسل اليه رسولا . فقال الأشتر للرسول ليس هذه الساعة التى ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي ، اني قد رجوت ان يفتح لي فلا تعجلني . فرجع الرسول بالخبر فما انتهي اليه حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر . فقال له القوم والله ماتراك الا أمرته ان يقاتل . ثم قالوا ابعث اليه فليأتك والا والله اعتزلناك فقال للرسول ويحك قل للأشتر أقبل فان الفتنة قد وقعت . فأقبل الأشتر اليه

ثم ارسل علي عليه السلام والاشعث بن قيس ليسائل معاوية عما يريده . فلما ذهب اليه قال له معاوية : نرجع نحن وأنتم الي أمر الله في كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضونه ، ونبعث منا رجلا ثم نأخذ عليهما ان يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه

فرجع الأشعث الي علي فأخبره .

فقال الناس رضينا وقبلنا

فاختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار أهل العراق أبا موسي الاشعري فبين لهم علي تخوفه من ابي موسي لانه كان يخذل الناس عنه فأبوا الا اياه فاضطر لمشايعتهم

ثم كتب الفريقان بينهما عقد التحكيم وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضي عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي

سفيان : قاضي علي علي اهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره ، وان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الي خاتمته نحيي ما احيا ونميت ما امات . فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل وهما ابوموسي الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي عملا به ، وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة . واخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق والثقة من الناس انهما آمنان علي انفسهما واهلهما والامة لهما انصار علي الذي يتقاضيان عليه وعلي المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه انا علي ما في هذه الصحيفة وان قد وجبت قضيتهما علي المؤمنين ، فان الامن والاستقامة ووضع السلاح بينهم اينما ساروا علي انفسهم واهليهم واموالهم وشاهدهم وغائبهم وعلي عبد الله بن قيس (هو ابوموسي الاشعري) وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا ، واجلا القضاء الي رمضان وان احبا ان يؤخرا ذلك اخراه علي تراض منهما . وان توفي أحدهما فان أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من اهل المعدلة والقسط ، وان مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام ، وان رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه الا من أرادا ويأخذ الحكمان من ارادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما علي ما في هذه الصحيفة وهم انصار علي من ترك هذه الصحيفة وارادا فيه الحادا وظلما . اللهم انا نستنصرك علي من ترك ما في هذه الصحيفة »

ثم يلي هذه اسماء الشهود من الطرفين وكان تحريرها في ١٥ صفر من سنة ٣٧

انتهت وقعة صفين التى قتل فيها من الطرفين تسعون الفا . وهو قدر عظيم لم يحدث مثله في تاريخ الاسلام بل قيل ان قتلي جميع الوقائع الاسلامية من عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم الى عهدها لم يبلغ هذا العدد

بعد كتابة هذا العقد رجع معاوية الي دمشق مع جنوده . أما أصحاب علي فقد حدث بينهم شقاق عظيم فرجعوا وهم يتسابون ويتضاربون بالسياط طول الطريق بعضهم يقول بعدم جواز التحكيم

لصحة بيعة علي و بعضهم يقول بصحته و بدون سخط معارضيهم خروجا علي علي

فلما دخل علي الكوفة لم يدخل معه اثنى عشر الفا تحت قيادة شبث بن ربعي التميمي . فبعث اليهم علي عبد الله بن عباس وأمره ان لا يكلمهم حتى يحضرهم نفسه . فأقبل القوم عليه يكلمونه . فقال لهم ابن عباس ما نقمتم من الحكمين ، وقد قال الله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بأمة محمد صلي الله عليه وسلم ؟

فقالوا أن ما جعل حكمه الي الناس وأمره بالنظر فيه والاصلاح له فهو اليهم كأمره به وما حكم فأمضاه فليس للعباد ان ينظروا فيه . حكم في الزاني مئة جلدة وفي السارق قطع يده ، فليس للعباد ان ينظروا في هذا

قال ابن عباس فان الله عز وجل يقول : يحكم به ذوا عدل منكم

فقالوا له أو تجعل الحكم في الصيد، والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين

ثم قالوا ان هذه الآية بيننا : أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس يقاتلنا ويسفك دماءنا ؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول ونحن أهل حربه . وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد امضى الله حكمه وحزبه ان يقتلوا أو يرجعوا . وقبل ذلك دعوناهم الي كتاب الله فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه كتابا وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة · وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ براءة الا من أقر بالجزية

ثم جاء علي فوجد ابن عباس يخاصمهم فقال له انته عن كلامهم ألم انههم ؟ ثم سألهم ما أخرجكم علينا ؟

قالوا حكومتكم يوم صفين

فقال أنشدكم الله ألست قد نهيتكم عن قبول التحكيم فرددتم علي رأيي · ولما أبيتم الا ذلك اشترطتم علي الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن وان يميتا ما أمات القرآن . فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف حكما يحكم بما في القرآن . وان أبيا فنحن من حكمهما براء ؟

قالوا له فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟

فقال علي : انا لسنا حكمنا الرجال وانما حكمنا القرآن . وهذا القرآن انما هو

خط مسطور بين دفتين لا ينطق، وانما يتكلم به الرجال

قالوا فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك و بينهم ؟

قال ليعلم الجاهل و يثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الامة · ادخلوا مصركم رحمكم الله

فقالوا ان التحكيم كان منا كفراً وقد تبنا الي الله فتب نبايعك

فقال علي ادخلوا فلنمكث ستة اشهر حتى يجيء المال و يسمن الكراع ثم نخرج الي عدونا فدخلوا علي ذلك

≺ اجتماع الحكمين ≻

لما آن وقت اجتماع الحكمين ارسل علي اربعمائة مقاتل تحت قيادة شريح بن هاني، ومعهم ابو موسي الاشعرى وبعث معاوية اربعمائة رجل ومعهم عمرو بن العاص وكانوا اتفقوا علي ان يجتمعوا بدومة الجندل باذرح · وقد شهد هذا المشهد جم غفير من الصحابة منهم عبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث والمغيرة ابن شعبة

تكلم الحكمان فقال عمرو بن العاص لابي موسي الاشعرى ألست تعلم ان معاوية وآل معاوية اولياء عثمان

قال أبو موسي : بلي

قال عمرو: فان الله يقول فمن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا · فما يمنعك من معاوية ولي عثمان ياابا موسي وبيته في قريش كما قد علمت فان تخوفت ان يقول الناس ولي معاوية وليست له سابقة ، فان لك بذلك حجة ، تقول انى وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم، والطالب بدمه، الحسن السياسة، الحسن التدبير، وهو اخو ام حبيبة زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد صحبه فهو احد الصحابة

ثم قال له ان ولي (اى موكلي) قد اكرمك كرامة لم يكرمها خليفة

فقال ابو موسي ياعمرو اتق الله · فأما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس علي الشرف يولاه اهله ، ولو كان الشرف لكان هذا الامر لآل أبرهة بن الصباح . انما هو لاهل الدين والفضل · مع اني لو كنت معطيه أفضل قريش اعطيته علي بن ابي طالب · واما قولك ان معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فاني لم اكن لأوليه معاوية وأدع المهاجرين

الاولين . وأما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته وما كنت لأرتشي في حكم الله عز وجل . ولكنك ان شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب

فقال عمرو ان كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابنى وأنت تعرف فضله وصلاحه

فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة

فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه ويدع الامر للمسلمين يولون عليهم من شاؤا . فتقدم أبو موسي للناس وقال :

« أيها الناس انا قد نظرنا في أمر هذه الامة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع عليه رأيي ورأى عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر أهلا

وروى المسعودى المؤرخان الحكمين لم يخطبا الناس وانما كتبا صحيفة فيها خلع علي ومعاوية وان المسلمين يولون عليهم من أحبوا ولكن لهج كثير من المؤرخين بأن عمرو بن العاص خطب بعد أبي موسي فقال ان هذا (أى أبا موسي) قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه ما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه . فحدث بين أبي موسي وبينه نزاع . وهو قول غير معقول والصواب ما ذكره المسعودى فان الحكم يجب أن يكتب كما كتب عقد التحكيم لا ان يعلن على شكل خطبة

فلم يرض علي عليه السلام بهذا الحكم ورأى أن لا بد له من معاودة الكرة على معاوية

(الخوارج على علي بن أبي طالب)

لما أراد علي عليه السلام أن يولي أبا موسي أمر التحكيم كره بعض الناس ذلك لانهم كانوا يرون أن علياً امامته صحيحة وان جنوحه للتحكيم شك بعد يقين لا يجوز للخليفة أن يتصف به حتى عدوه كفرا . فلما أرسل أبا موسي جاءه رجل من هؤلاء الكارهين للتحكيم فقال له ان الناس قد تحدثوا عنك انك رجعت لهم عن كفرك فصعد على المنبر وذكر أمر هؤلاء الخوارج ونعي عليهم مذهبهم . فوثبوا من نواحي المسجد يقولون (لا حكم الا لله)

وعلي يقول (كلمة حق اريد بها باطل)

ثم اجتمع اولئك الكارهون في دار عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة حثهم فيها على الخروج على علي . وقال في آخر خطابه . فأخرجوا بنا من هذه القرية الظالم اهلها الي بعض كور هذه الجبال أو الي بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة

ثم انهم عرضوا الرئاسة على جمهور منهم فأبوها زهدا في الدنيا فلما عرضوها على عبد الله بن وهب ، قال هاتوها اما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا ادعها فرقا من الموت . فبايعوه ثم اتفقوا على ان يخرجوا وحدانا مستخفين حتى يجتمعوا في جسر النهروان

فلما خرجت الخوارج جاءت شيعة علي فبايعوه وقالوا نحن اولياء من واليت واعداء من عاديت

فخطب امير المؤمنين الناس فقال :

« الحمد لله وان اتي الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل ، واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . (اما بعد) فان المعصية تورث الحسرة ، وتعقب الندم . وقد كنت امرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة امرى ونخلتكم رأيي لو كان لقصير امر ، ولكن ابيتم الا ما اردتم فكنت انا وانتم كما قال اخو هوازن :

امرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم
يستبينوا الرشد الا ضحي الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى
مكان الهدى او انني غير مهتدى
وهل انا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد

« الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا القرآن ، واتبع كل منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمها ، وكلاهما لم يرشد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين

« استعدوا وتأهبوا للمسير الي الشام واصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين »

ثم كتب الي الخوارج يدعوهم المجيء معه لمحاربة أهل الشام فكتبوا اليه :

(اما بعد) فانك لم تغضب لربك وأنما غضبت لنفسك ، فان شهدت علي نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فما بيننا وبينك . والا فقد نابذناك علي

واضطراب الامور . فظن معاوية انه غير مخلص لعليّ فكاتبه ليغويه للانضمام اليه فكتب اليه قيس ما أيأسه منه

فعمد معاوية الي الحيلة ليحمل علياً علي عزله فتظاهر بالشام ان هوى قيس معه وأمر أصحابه بأن لا يسبوه . تظاهر معاوية بهذا وكتب جواسيس علي اليه بذلك . وقد نجحت هذه الحيلة فان أولئك الجواسيس كتبوا لعليّ بما يتظاهر به معاوية . فساء ظنه بعامله قيس بن سعد بن عبادة فأمره بأن يقاتل المعتزلين بخربتى وعددهم عشرة آلاف . فكتب اليه قيس يريه ان ذلك يعود بالشر علي البلاد وانه مكتف شرهم بالمياسرة واللين فزداد عليّ شكا في صدقه فكتب اليه يشدد في وجوب محاربتهم فرد عليه قيس بالمعنى الأول فأبي عليه الا مقاتلتهم . فأرسل اليه قيس يقول ان قاتلتهم تعود بالوبال علي مصير مصر ثم ختم خطابه بقوله « ان تتهمني فاعزلني عن عملك وابعث اليه غيري »

فعزله عليّ وولي عليها محمد بن أبي بكر فأخذ في مشادة أولئك المعتزلين الذين لما بلغهم خبر وقعة صفين اجترأوا علي محمد ابن أبي بكر فأرسل اليهم سريتين كان نصيبهما الفشل . فلما بلغ علياً ما حصل قال مالمصر الا أحد رجلين صاحبنا الذي عزلناه عنها (يعني قيس بن سعد) أو مالك بن الحارث الاشتر النخعي وكان والياً علي الجزيرة فولاه مصر فمات وهو سائر اليها . ويقال ان معاوية دس اليه السم بواسطة بعض أشياعه

فانتهز معاوية فرصة هذا الاضطراب وكتب الي مسلمة بن مخلد رئيس المعتزلين بخربتى يمنيه ويأمره بالثبات ثم جهز جيشاً الى مصر تحت قيادة عمرو بن العاص فسار اليها حتى نزل أدانيها واجتمعت عليه شيعة عثمان فكتب عمرو الي محمد بن أبي بكر

« أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن أبي بكر فني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا علي خلافك ورفض أمرك وندموا علي اتباعك فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها أني لك من الناصحين »

فكتب محمد بن أبي بكر الى عليّ يطلب اليه المدد وخرج لعمرو بن العاص في الفي مقاتل فانهزم واختفى محمد بن أبي بكر فقتله معاوية بن خديج ثم أحرقه بالنار

سواء ان الله لا يحب الخائنين »

فأراد علي أن يدعهم ويسير الي الشام فخرج حتى عسكر بالنخيلة ومن هناك كتب الى ابن عباس ان يرسل اليه جيش البصرة ، والى امير المدائن ليرسل اليه جندها فاجتمع عنده نحو سبعين الفا

فبلغ عليا وهو بالنخيلة ان الخوارج اعترضوا الناس وقتلوا منهم فأرسل اليهم رسولا فقتلوه فقصدهم بجيشه فنصح لهم وانذرهم فأصروا علي معاندته . فرفع علي راية مع ابي ايوب الانصارى ونادى من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو الي المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، انه لا حاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك دمائكم فانصرف منهم جمع وخرج الى علي جمع وبقي مع عبد الله بن وهب قائدهم ٢٨٠٠ رجل من اربعة آلاف فأصر هؤلاء الرهط القليلون علي الموت دون مبدأهم فزحف اليهم علي فسحقهم ولم يبق منهم الا نفر قليل وكانت هذه الوقعة بجسر النهروان . وهذا من اكبر ما عرف من صدق العزيمة في المحافظة علي المبادىء

فان قوما يبذلون ارواحهم لمجرد انهم لم يرضوا عما جرى من التحكيم ظنا منهم ان ذلك يقدح في ايمانهم نعتبرها من اكرم امثال الحرية وان كنا لا نرى رأيهم في الخروج علي علي عليه السلام وعذره واضح في الانصياع الي التحكيم

ثم أراد امير المؤمنين ان يسير الي معاوية فأظهر جيشه التثاقل بحجة ان نبالهم نفدت وسيوفهم كلت فرجع بهم الي الكوفة لياخذوا اهبتهم . فازدادوا تثاقلا عن القتال رغماً عن الخطب المؤثرة التي كان يلقيها عليهم

(تطلع معاوية لامتلاك مصر)

لما نجح معاوية في حيلته من التحكيم وادرك ما الم بجيش علي من الوهن امتدت مطامعه لامتلاك مصر وغيرها ونشطه علي ذلك مبايعة اشياعه له بالخلافة ولكن كان علي مصر من قبل عليّ قيس بن سعد ابن عبادة وهو من اولي البصر والسياسة فاستقامت له امورها رغما عن وجود شيعة استفظعوا مقتل عثمان فاعتزلوا في قرية خربتى وكانوا تحت قيادة مسلمة بن مخلد الانصارى فكان قيس بن سعد يداريهم ولا يتعرض لهم بسوء خوفا من الفتنة

ثم أخذ معاوية ينتقص أطراف البلاد فأرسل النعمان بن بشير الي عين التمر فأخذها • ووجه سفيان بن عوف للاغارة علي هيت والانبار والمدائن فأتي الانبار واحتمل مابها من الاموال وتعقبه علي فلم يلحقه

ووجه معاوية عبد الله بن مسعدة الي تيماء فقاتله وهزمه ثم سهل له طريق الفرار فتهم بالغش

ووجه معاوية الضحاك بن قيس للاغارة علي بوادى البصرة

ووجه بسر بن ارطاة الي الحجاز واليمن فملك المدينة وبايع اهلها لمعاوية ثم أتي مكة فبايعه اهلها ايضاً ثم ذهب الي اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس ففر منها الى علي بالكوفة فاستولى بسر علي اليمن وقتل ابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس

ومن أدل دلائل الاضطراب في حكومة علي أن عبد الله بن عباس وهو من أخص شيعته فارقه وترك البصرة التي كان قد ولاه عليها وجاء مكة لان علياً اتهمه بمال أخذه من مال المسلمين

(مقتل علي عليه السلام)

اجتمع ثلاثة رجال من الخوارج علي علي عليه السلام وهم عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي فتذاكروا فيما آل اليه أمر المسلمين من الفرقة والشتات وذهاب كل فريق لتأييد زعيم وانتهوا من مذاكرتهم الي عدم احتمال صلاح هذا الامر الا بقتل أولئك الزعماء الذين اعتبروهم ثلاثة وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو ابن العاص • فانتدب عبد الرحمن بن ملجم لقتل علي عليه السلام، وتعهد البرك ابن عبد الله بقتل معاوية، وأخذ عمرو بن بكر علي نفسه قتل عمرو بن العاص • ثم تعاهدوا علي ذلك وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى توجه لقتله حتى يقتله أو يموت دونه • ثم أخذوا أسيافهم فسقوها سما وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠) أن يثب كل علي صاحبه الذى توجه اليه

فأما ابن ملجم فذهب الي الكوفة فلما كانت ليلة ١٥ من رمضان سنة (٤٠) ترصد لعلي بالمسجد فلما خرج أمير المؤمنين لصلاة الصبح ضربه في قرنه بالسيف

وهو ينادى الحكم لله ياعلي لالك ولا لأصحابك

فنادى علي لايفوتنكم الرجل فشد عليه الناس فقبوا عليه

أما البرك بن عبد الله فانه ترصد في ذلك اليوم نفسه لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه السيف فلم يصبه الا في أليته ولم تكن ضربة قاتلة

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة فاتفق انه اصبح متوعكا فأناب عنه خارجة بن حذافة ليصلي بالناس فشد عليه عمرو بن بكر فقتله

لما ضرب علي عليه السلام فزع الناس اليه من كل حدب واجهين آسفين مما أصابه ثم قالوا له ان فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن ؟ فقال ماآمركم ولا انهاكم أنتم أبصر، ثم أوصي أولاده بطاعة الله وتقواه وعولج من جرحه فلم يبرأ وتوفي عليه السلام في ١٧ من رمضان سنة (٤٠) بعد ان مضي علي خلافته أربع سنين وتسعة أشهر الا اياما ودفن بالكوفة التى كان اتخذها داراً للخلافة

﴿ صفات علي عليه السلام ﴾

اجتمعت في علي عليه السلام خصال لم تجتمع لغيره من الخلفاء وهي العلم الغزير والشجاعة العالية والفصاحة الباهرة وكان مع هذا حاصلا من محامد الاخلاق ومكارم الطباع علي مالا يتفق لغير الكاملين من الافراد

فكان عليه السلام من الشجاعة بالمكان الأرفع حتى ان الابطال كانت تتجنب مواقفه ، شهد مع رسول الله صلي الله عليه وسلم المشاهد كلها فكان فيها خائض غمرات، وكاشف كربات ، ومبدد كتائب وكان من أعلم أهل وقته بأساليب الحرب وفنونها لم تحفظ عليه فرة ، ولم تلاحظ عليه نبوة

فكان هو وأبو بكر وعمر أجدر الناس بخلافة النبي صلي الله عليه وسلم لما جمع الله فيهم من صفات الخير وخلال الكمال الا أن خلافة علي جاءت والناس في دور فتنة عمياء، وفي وقت كان فيه علي جند المسلمين بالشام رجل شديد الدهاء بعيد المطامع وهو معاوية بن ابي سفيان انتهز فرصة تقلب الاحوال في عاصمة الخلافة الاسلامية فدعا الناس لنفسه وكان بما فيه من صفات القادة وخلال رجال السياسة كفؤا لما ندب نفسه اليه فالتفت

عليه قلوب من كان قبله من جنود المسلمين وقوادهم واستطاع بهذه القوة من منازعة علي عليه السلام على الخلافة طول مدة خلافته ، وكان من اكبر اسباب قوته عدم تحرجه مما كان يتحرج منه الخليفة الرابع من استمالة الاحزاب اليه بالاموال ، واجتذاب أهوائهم بالمصانعات فبينا كان علي يحاسب عماله ورجاله على الفتيل والقطمير ولا يضع درهما في غير موضعه على مانص عليه كتاب الله وسنة رسوله ، كان معاوية يهب مئات الالوف لأشياعه بلا حساب فاجتمعت عليه أهواء من معمور وأوفى بقائه بقاء لتمتعهم واستدامة لعزتهم فلم يقصروا في الدفاع عنه طرفة عين ، ولولا هذه الاسباب لما استطاع معاوية ان يطمح ببصره الى خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في حياة علي بن ابي طالب بل ولا في حياة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهما من أركان الدين وأعلام الهدى ، ولكن المال في كل زمان ومكان سلطانا على النفوس يفوق كل سلطان

وكان من عوامل نجاح معاوية بن أبي سفيان حلمه البالغ الحد ، وسياسته البعيدة الغور ، ولين عريكته مع ذويه والمحيطين به ، وكان علي على النقيض من ذلك ، لابمعنى انه كان مجردا عن الحلم والسياسة ولين العريكة ، ولكنه كان لا يجاوز بهذه الخلال حدودها المشروعة فكان لايحلم الا حيث ينبغي الحلم ولا يلين الا حيث يجب اللين ، وكان فيما عدا ذلك لا يخاف في الله لومة لائم فظهرت هذه الخلال فيه مع وجود نقيضها في معاوية من الشدة التي لاتطاق ، والصرامة التي لاتحتمل . وما أقل من يقدر هذه الخصال الحميدة في الناس في زمن كان له فيه مناظر من أدهى الناس جمع حوله من أمثال عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح والضحاك بن قيس من أقطاب الدهاء والمكر من لايشق لهم غبار في التوسل لأغراضهم بكل الوسائل غير متحرجين من اثم ولا متأثمين من باطل

ومما زاد في عوامل نجاح معاوية ان عليا كان لسعة علمه واحاطته بالاحكام يرى نفسه جديراً بأن يستبد برأيه في الامور العظام فلا يستشير فيها أحداً فأغضب بذلك من حوله من كبار الصحابة ورأوا انهم سيكونون معه على حال لم يكونوها على عهد أسلافه فكانوا ينظرون لخلافته نظر المستثقل لنيرها ، المحب لانتهاء أمدادها

ومن العوامل التي أسقطت هيبة خلافة علي عليه السلام مع ما كان عليه من الكفاءة العالية انها أقيمت بيد رجال من أهل الثورة كانوا يرون لهم فضلا عليه ، وكانت نفوسهم مشبعة بأصول انقلابية لاتصلح معها لحفظ حالة معينة . ألم تره لما كاد ان يصل الأشتر النخعي بكتيبته الى فسطاط معاوية واحتال معاوية ومن معه برفع المصاحف وطلب التحكيم لوقف الحرب ، ورفض علي عليه السلام هذا الطلب قام في وجهه اولئك الثوريون معارضين بل مهددين وأرغموه على قبول التحكيم فقبله مضطراً ثم بدا لجماعة ان هذا التحكيم كفر فتفرقوا عنه وقاتلوه . ثم لما دعاهم لقتال معاوية اثاقلوا وأظهروا الجمود فكان هذا كله من اسباب نجاح معاوية بن ابي سفيان

اما معاوية فانه في هذه الأثناء أظهر كل مايستطيع اظهاره من الدهاء ، والسياسة فاستمال الاحزاب بالمال وقطع ألسنة أهل المطامع بالولايات والاعطيات ولم يدع وسيلة من الوسائل الا استخدمها لافشال أمر علي وافساد قلوب اصحابه عليه . فماذا يفعل علي وهو من الدين بحيث لا يستطيع دس الدسائس ولا بذل الاموال في غير وجوهها ، و لا المحاباة بالولايات والاقاليم . بل كان من الورع وشدة الحرص على امانة الله بحيث انه شدد الحساب على عبد الله بن عباس أخص أعوانه حتى اضطر لمفارقته والشخوص الى المدينة

هاتان الحالتان المتناقضتان حالة خلافته وحالة اغتصاب معاوية ما اجتمعا في عصر واحد الا غلبت الثانية الاولى لامحالة لان النفوس أميل الى الشر ، وانزع الى الاباحة .

نعم ان الحالة الاولى لم تعدم انصارا ولكنهم كانوا من القلة بحيث لايغنون شيئا وقد كان لعلي انصار تجردوا عن حب الدنيا وعلائقها لايقلون عن أنصار الانبياء وكان علي عليه السلام أحب اليهم من أنفسهم التي بين جنوبهم . قيل لاحدهم وهو ضرار ابن الازور بعد مقتل علي ، ماذا بلغ من غمك عليه ؟ قال كغم امرأة ذبح ولدها في حجرها وهي تنظر اليه

ناهيك ان من الناس من غلا في حب علي حتى زعموا ان الله قد حل فيه . وهذه العقيدة ان كانت من الضلالات البعيدة

الا انها تدل ضمنا علي ماكان لهذا الرجل من سمو المنزلة في قلوب المحيطين به

ثم أن أردت أن تعرف الفرق بين معاوية وعلي فاعتبر هذا الامر : وهو ان عليا حين حضرته الوفاة التف حوله أنصاره وسألوه أن يسند الخلافة الي الحسن ابنك ؟ فقال لهم ما آمركم ولا انهاكم انتم أبصر . فأبي ان يشير عليهم باسناد الخلافة لابنه هربا من حساب الله وهو يعلم ان ابنه سيد قريش وزهرة شجرة النبوة وكان من العلم والفقه والاستقامة بحيث لا يطمح الي مثله طامح . واما معاوية فانه بذل طائل الاموال لاخذ البيعة لابنه يزيد ثم عاد الي التهديد والوعيد والاكراه وهو يعلم ان يزيد هذا لا يصلح لخلافته علي بيته فضلا عن خلافة النبي صلي الله عليه وسلم علي امته ، مع انهماكه في ملاذه وحرصه علي شهواته وادمانه الخمر

فلا جرم قد اجمع المسلمون علي عد علي عليه السلام من الخلفاء الراشدين ولم يعدوا معاوية منهم ولولا ان المؤرخين المسلمين وخصوصا المتأخرين منهم كانوا يتأثمون من تناول الصحابة بنقد لكانوا عدوا معاوية من المغتصبين للخلافة

أما رأينا الخاص في التحكيم الذي حدث فهو :

ان ذلك التحكيم وان كان احبولة من أحابيل معاوية الا ان قبول علي وحزبه له كان يقضي عليهم ان يحترموا حكمه . ولقد أنصف عمرو بن العاص وابو موسي الاشعري في حكمهما بعزل الزعيمين وترك المسلمين أحرارا ليختاروا من شاؤا . لاننا مهما قلبنا هذه المسألة علي وجوهها لم نر حلا اعدل لها من هذا الحل .

والا فلو كان أصر أبو موسي علي اثبات خلافة علي كان اضطر عمرو بن العاص الي رفضها وكان ينبني علي ذلك رجوع القتال الى ما كان عليه وهو ما كان قد كرهه المسلمون وقبلوا امر التحكيم هربا منه . فجاء حكمهما بخلع كلا الزعيمين من أعدل الاحكام وأقربها الي الحق فان كان أجمع المسلمون بعدها علي انتخاب علي أو مال اليه السواد الاعظم منهم كان ذلك مما يوهن أمر معاوية لو اراد المعارضة

فرفض علي عليه السلام وشيعته لحكم الحكمين بعد قبولهم التحكيم هو الذي أضعف أمر علي وقضي علي اصحابه بالتخاذل والتثاقل عن القتال معه وهو

الذي قوى أمر معاوية وزاد في التفاف شيعته حوله وأعطاه اكبر حجة امام المسلمين في الاستمرار علي منازعة علي

﴿ علي بن الحسن المروزي ﴾ كان من علماء القرن الثالث توفي سنة (٢١٥) ه

﴿ علي بن خشرم المروزي ﴾ كان من أجلاء العلماء توفي سنة (٢٥٧) وقيل بعدها

﴿ علي بن محمد ﴾ كان من كبار شيوخ الصوفية من كلامه :

« الذنب بعد الذنب عقوبة الذنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة »

توفي سنة (٣٢٨) ه بمكة

﴿ أبو علي الكاتب ﴾ كان من كبار الصوفية . من كلامه :

« المعتزلة نزهوا الله تعالي من حيث العقل فاخطأوا والصوفية نزهوه من حيث العلم فأصابوا »

توفي سنة نيف واربعين وثلاثمائة

﴿ ابو علي الفارسي ﴾ هو أبو الحسن ابن احمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان ابن ابان الفارسي النحوى

ولد بمدينة فسا وطلب العلم ببغداد سنة (٣٠٧) فبلغ في النحو رتبة الامامة . ثم أقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان

وكان قدومه عليه سنة (٣٤١) وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مناظرات

ثم انتقل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة أنا غلام أبي علي الفسوى في النحو . وصنف له كتاب الايضاح والتكملة في النحو

يحكي انه كان يوماً في ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال لم انتصب المستثنى في قولنا (قال القوم الا زيداً) ؟

قال الشيخ بفعل مقدر

فقال له عضد الدولة : كيف تقديره؟

قال الشيخ تقديره : استثنى زيداً

فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل (امتنع زيد) ؟

فانقطع الشيخ وقال له هذا الجواب ميداني . ثم انه لما رجع الى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله اليه فاستحسنه وذكر في كتاب الايضاح انه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية الا

وحكي أبو القاسم احمد الاندلسي قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر فقال اني لاغبطكم علي قول الشعر فان خاطرى لا يوافقني علي قوله مع

تحقيق العلوم التى هي مواده. فقال له رجل فما قلت قط شيئا منه؟ قال ابو علي ما اعلم ان لي شعراً الا ثلاثة ابيات في الشيب وهي قولي :

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب اولي ان يعابا
ولم اخضب مخافة هجر خل
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما
فصيرت الخضاب له عقابا

وقيل أن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب الايضاح ببيت ابي تمام الطائي وهو قوله :

من كان مرعي عزمه وهمومه
روض الاماني لم يزل مهزولا

ولم يكن ذلك من عادته لأن ابا تمام لم يكن ممن يستشهد بشعره لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرا فلهذا استشهد به في كتابه

ومن تصانيف ابي علي الفارسي كتاب التذكرة وهو كبير، وكتاب المقصور الممدود وكتاب الحجة في القراآت وكتاب الاغفال فيما اغفله الزجاج من المعاني ، وكتاب العوامل المائة ، وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات ، وكتاب المسائل الشيرازيات ، وكتاب المسائل القصريات . وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجالسيات

قال القاضى ابن خلكان الذى تنقل عنه هذه الترجمة : وكنت مرة رأيت في المنام سنة (٦٤٨) وانا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت الي قليوب ودخلت الي مشهد بها فوجدته شعثا وهو عمارة قديمة ورأيت به ثلاثة اشخاص مقيمين مجاورين فسألتهم عن المشهد وانا معجب لحسن بنائه . واتقان تشييده . ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا لا نعلم . ثم قال احدهم ان الشيخ ابا علي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدة وتفاوضنا في حديثه . فقال وله مع فضائله شعر حسن. فقلت ما وقفت له علي شعر. فقال انا انشدك من شعره. ثم انشد بصوت رقيق الى غاية ثلاث ابيات . واستيقظت في اثر الانشاد ولذة صوته في سمعي وعلق خاطرى منها البيت الاخير وهو:

الناس في الخير لا يرضون عن احد
فكيف ظنك سيموا الشر او ساموا

وكان الشيخ ابو علي الفارسي متهما بالاعتزال وكان مولده سنة (٢٨٨) وتوفي سنة (٣٧٧) ببغداد

﴿ علي الرضا ﴾ هو ابو الحسن علي الرضا بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين

هو احد الأئمة الاثنى عشر في اعتقاد الامامية (انظر هذه الكلمة) وكان المأمون قد زوجه ابنته ام حبيب في سنة (٢٠٢) وجعله ولي عهده وضرب اسمه علي الدينار والدرهم

وكان السبب في ذلك انه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو وكان عددهم ثلاثة وثلاثين الفا واستدعي عليا المذكور فأنزله احسن منزلة وجمع خواص الاولياء وأخبرهم انه نظر في اولاد العباس وأولاد علي بن ابي طالب فلم يجد في وقته احداً افضل ولا احق بالامر من علي الرضا فبايعه وامر بازالة السواد من اللباس والاعلام ونمي الخبر الي من بالعراق من اولاد العباس فعلموا ان في ذلك خروج الامر عنهم فخلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدى عم المأمون فقاتله المأمون فانهزم ابراهيم واختفي ثم ظهر وعفا عنه المأمون وتوفي علي الرضا قبل وفاة المأمون فلم يل الخلافة

ولد علي الرضا سنة (١٥٣) بالمدينة وقيل بل سنة (١٥١) وتوفي سنة (٢٠٢) وقيل بل سنة (٢٠٣) بمدينة طوس وصلي عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد

قال فيه أبو نواس :

قيل لي أنت احسن الناس طرا
في فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح
يثمر الدر في يدى مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى
والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام
كان جبريل خادما لأبيه

وكان سبب قوله هذه الابيات ان بعض اصحابه قال له ما رأيت أوقح منك ما تركت خمراً ولا طرداً ولا معنى الا قلت فيه شيئا وهذا علي بن موسي الرضا في عصرك لم تقل فيه شيأ. فقال والله ما تركت ذلك الا اعظاما له وليس قدر مثلي ان يقول في مثله . ثم انشد بعد هذه الابيات .

وفيه يقول ابو نواس أيضا :

مطهرون نقيات جيوبهم
تجرى الصلاة عليهم اينما ذكروا

خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا
وكنيته ابا الحسن

فلما آلت الخلافة لمعاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته وقد كنيته أبا محمد فجرت عليه

وقال الحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء انه لما قدم علي عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك وكنيتك . قال اما الاسم فلا واما الكنية فأكتنى بأبي محمد. فغير كنيته

وانما قال له عبد الملك ذلك القول بغضاً في عليّ عليه السلام

ضرب علي بن عبد الله بالسياط مرتين ، ضربه الوليد بن عبد الملك احدهما لتزوجه لبابة بنت عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب وكانت عند عبدالملك فعض تفاحة ثم رمي بها اليها وكان أبخر . فدعت بسكين. فقال ماتصنعين بها ؟ قالت اميط عنها الاذى . فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله المذكور فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منهم أي لتحقرهم لأن مروان بن الحكم انما تزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه . فقال علي بن عبد الله انما ارادت لبابة الخروج من هذا البلد وأنا ابن عمها فتزوجتها لا كون لها محرما

وقيل في سبب تطليق عبد الملك لبابة انها قالت له يوماً لو استكت . فاستاك وطلقها . ثم تزوجها علي بن عبد الله بن العباس وكان أقرع لا تفارقه قلنسوته . فبعث عبد الملك جارية وهو جالس مع لبابة فكشفت رأسه علي غفلة منه . لترى لبابة مابه ، فقالت هذه للجارية : هاشمي أقرع أحب الي من أموى أبخر

أما سبب ضربه في المرة الثانية فقد حدث أبو عبد الله محمد بن شجاع قال رأيت علي بن عبد الله يوماً مضروبا بالسوط يدار به علي بعير ووجهه مما يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله الكذاب . فأتيته وقلت ماهذا الذى نسبوك فيه الى الكذب ؟ قال بلغهم عنى اني أقول ان هذا الامر سيكون في ولدى ووالله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجانّ المطرقة

وروى ان علي بن عبد الله دخل علي سليمان بن عبد الله وهو خطأ بل علي هشام بن عبد الملك وكان معه ابنا ابنه

من لم يكن علويا حين تنسبه
فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برا خلقا فأتقنه
صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلي وعندكم
علم الكتاب وما جاءت به السور

قال المأمون يوما لعلي بن موسي الرضا المذكور مايقول بنو ابيك في جدنا العباس ابن عبد المطلب ، فقال مايقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه علي خلقه ، وفرض طاعته علي بنيه ؟ فأمر له بألف ألف درهم

وكان قد خرج أخوه زيد بن موسي بالبصرة علي المأمون وفتك بأهلها فأرسل اليه المأمون أخاه عليا المذكور يرده عن ذلك . فجاءه وقال له ويلك يازيد فعلت بالمسلمين بالبصرة مافعلت وتزعم انك ابن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ والله لأشد الناس عليك لرسول الله صلي الله عليه وسلم . يازيد ينبغي لمن أخذ برسول الله أن يعطي به

فبلغ كلامه المأمون فبكي . وقال هكذا ينبغي أن يكون أهل بيت رسول الله

علي بن عبد الله بن العباس

هو ابو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وهو جد السفاح والمنصور

كان سيدا كريما فصيحا وهو أصغر اخوته وكان أجمل قريش علي وجه الارض واكثرهم صلاة وكان يدعي السجاد لذلك

يقال كان له خمسمائة شجرة زيتون فكان يصلي تحت كل شجرة ركعتين وكان يدعى ذا الثفنات . هكذا قال المبرد في الكامل وهو غير معقول فان كل ركعة لو استغرقت دقيقة واحدة لكان عليه أن يصلي الف دقيقة في كل يوم وهي عبارة عن أكثر من ستعشرة ساعة وليس علي وجه الارض من يستطيع أن يقوم بهذا العمل المتواصل يوميا

روى ان علي بن أبي طالب افتقد عبد الله بن العباس في وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه . مابال ابن العباس لم يحضر الظهر ؟ فقالوا ولد له مولود . فلما صلي علي قال امضوا بنا اليه . فأتاه فهنأه . فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ، ماسميته ؟

فقال له ابن العباس أو يجوز لى أن أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه فحنكه ودعا له . ثم رده اليه وقال

السفاح والمنصور (اللذان توليا الخلافة فأوسع له علي سريره ، بره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون الف درهم علي دين فأمر هشام بقضائها. ثم قال له علي وتتوصي بابني هذين خيراً . فأجابه هشام . فشكره علي وقال وصلتك رحم

فلما ولى علي قال هشام لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده . فسمعه عليّ فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان

كان عليّ المذكور عظيم المحل عند أهل الحجاز حتى قال هشام بن سليمان المخزومي ان علي بن عبد الله اذا قدم مكة حاجا أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها ولزمت مجلسه اعظاماً له واجلالا وتبجيلا فان قعد قعدوا وان قام قاموا وان مشى مشوا جميعاً حوله ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم

وكان أسمر جسيما له لحية طويلة وكان عظيم القدم حتى لا يوجد له نعل ولا خف. وكان مفرطاً في الطول اذا طاف فكأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله وكان مع هذا الطول يكون الي منكب أبيه عبد الله بن العباس وعبد الله الي منكب أبيه العباس وهو الي منكب ابيه عبد المطلب

نظرت عجوز الى عليّ وهو يطوف وقد فرع الناس طولا . فقالت من هذا الذى فرع الناس ؟ فقيل هو علي بن عبد الله ابن العباس. فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون. عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط ابيض

توفي علي بن عبد الله سنة (١١٧) وهو ابن ثمانين سنة

﴿علي العقيلي﴾ هو علي بن الحسن بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن محمد العقيلي ينتهي نسبه الى عقيل بن أبي طالب

كان من فضلاء الشعراء له ارجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز في ارجوزته التى ذم فيها الصبوح ومدح الغبوق:

من شعره قوله :

استجل بكراً عليها * من الزجاج رداء
فوجه يومك فيه * من الملاحة ماء

وله أيضاً :

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء
ولا تضح ضحي الا بصهباء
أدرك حجيج الندامي قبل نفرهم
الي منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج علي مكة الروحاء مبتكراً
وطف بها حول ركن العود والناء

وله أيضاً:

وقائل ماالملك قلت الغنى
فقال لا بل راحة القلب
وصون ماء الوجه عن بذله
في نيل ماينفد عن قرب

وله أيضاً:

قم هاتها وردية ذهبية
تبدو فتحسبها عقيقاً ذابا
أوما ترى حسن الهلال كأنه
لما تبدى حاجباً قد شابا

وله أيضاً:

وبركة قد أفادنا عجباً
ماعاج من مائها ولا انسكبا
من حول فوارة مركبة
قد انحنى ظهر مائها تعبا

وله أيضاً:

ولما أقلعت سفن المطايا
بريح الوجد في لجج السراب
جرى نظرى وراءهم الى أن
تكسر بين أمواج الهضاب

وهات زواهر الكاسات ملاى
الي الحانات بالذهب المذاب
فكبير الجو يوقد نار برق
اذا خمدت تدخن بالضباب

وقال أيضاً :

يامن يدخن بالخضاب مشيبه
ان المدلس لايزال مريبا
هب ياسمين الشيب عاد بنفسجا
أيعود عرجون القوام قضيبا

وقال أيضاً :

أذهبت فضة خده بعتابي
ونثرت در دموعه بخضابي
ظبى جعلت كناسه قلبى فلم
أعقل لصيده سواه قبل طلابي
فزها علي ذمر يسحب ذيله
بين التكبر منه والاعجاب
فحلفت اني ان ظفرت بخده
لأرصعن مدامه بحباب

وله أيضاً :

ياذا الذى يبسم عن مثل ما
لأنجمه يلمع في عقده
ومن له خد غدا حائزاً
شقائق النعمان من ورد

اثن عنان الهجر عن عاشق
قد طال ركض الدمع في خده

وقال ايضاً :

ناحت فواخت سحب وكرها الفلك
بكاؤها لطواويس الربا ضحك
وانجم النبت تجلي في ملابسها
جيد السماء التي اقارها البرك
والورد مابين انهار مدرجة
كأنه شفق من حوله حبك
فسقينا من عصير الكرم صافية
كأنها الذهب الابريز منسبك
يبدى المزاج علي حافاتها حببا
كأنه من حرير ابيض شبك

وقال ايضاً :

نحن المحاسن للدنيا اذا سفرت
حتى اذا ابتسمت كنا ثناياها
حلي به ما رأى جيد الزمان له
قلائد هي أبهي من سجاياها
لم يخلق الله شيئاً قطا اكثر من
حاجات قصادها الا عطاياها

علي بن ظافر بن حسين الفقيه الوزير جمال الدين ابو الحسن الازدى المصرى بن العلامة أبي منصور ولد سنة (٥٦٧) وتفقه علي والده . وقرأ الادب و برع فيه . وقرأ علي والده الاصول وتفوق علي غيره في علم التاريخ وأخبار الملوك . ودرس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه . وترسل الي الديوان العزيز وولي وزارة الملك الأشرف . ثم انصرف ودخل مصر وولي وكالة بيت المال مدة

كان منوقد الخاطر طلق العبارة وكان مع علو منصبه واقبال الدنيا عليه له نزوع الي أهل الآخرة محباً لأهل الدين والصلاح. أقبل في آخر عمره علي مطالعة الأحاديث وأدمن النظر فيها. وله تآليف منها الدول المنقطعة ، وبدائع البدائه ، والذيل عليه، واخبار الشجعان، واخبار الملوك السلجوقية ، وأساس السياسة ، ونفائس الذخيرة، ولم يكمل ولو اكمل ما كان في الأدب مثله، وكتاب التشبيهات ، وكتاب من أصيب ابتداءه بعلي عليه السلام

من شعره قوله :

اني لأعجب من حبي فأكتمه
جهدى وجفني يفيض الدمع يعلنه
وكون من انا اهواه واعشقه
يخرب القلب عمداً وهو يسكنه
وأعجب الكل امراً ان مبسمه
من اصغر الدر جرما وهو أثمنه

وله أيضاً :

كم من دم يوم النوى مطلول
بين رسوم الحي والطلول
بانوا فلا جسم ولا ربع لهم
الا رماه البين بالنحول
ياراحلين والفؤاد معهم
مسابق في أول الرعيل
ودوا فؤادى عندكم مابأعكم
اياه الا طرفي الفضول
ورب ظبى منكم تخاف من
سطوة عينيه أسود الغيل
اثار منه الوجه حتى كدت ان
أقول لولا الدين بالحلول
ينقص بالعلة كل كامل
في الحسن غير لحظه العليل

وقال في كتابه بدائع البدائه اجتمنا ليلة من ليالي رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد اوقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين علي الأديب أبي الحجاج يوسف بن علي المنبوز بالنجمة ان يصنع قطعة في فانوس السحور وانما طلب بذلك اظهار عجزه فصنع وأنشد:

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه
ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم ار نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهي الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من دون الجماعة وقلت له : هذا التعجب لا يصح لأنا قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ولا تحصى بالعد اذا غابت تنهي الصائمين عن الفطر وهي نجوم الصباح . فأسرف الجماعة في تقريعه، وأخذوا في تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع أيضاً رحمه الله تعالي وأنشد :

هـذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب في الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم في وسطه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائباً من اصحابنا في ليلتنا ماجرى بيننا فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو رحمه الله وانشدنيه :

أحبب بفانوس غدا صاعدا
وضوءه دان من العين
يقضي بصوم ويفطر معا
فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه ابو محمد القلمي رحمه الله تعالي :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسري النجوم ولا يسرى اذا رقبا
يراقب الصبح خوفا ان يفاجئه
فان بدا طالعا في افقه غربا
كأنه عاشق وافي علي شرف
يرعي الحبيب فان لاح الرقيب خبا
ثم اني صنعت بعد حين فقلت ؟
ألست ترى شخص المنار وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب
كحامل منظوم الانابيب اسمر
عليه سنان بالدماء خضيب
ترى بين زهر الزهر منه شقيقة
لها العود غصن والمنار كثيب
وتبدو كخد احمر والدجي لما
بدا فيه ثغر للنجوم شنيب
كأن لزنجي الدجى من لهيبه
ومن خفقه قلب عراه وجيب
تراه يراعي الشهب ليلاقن دنا
طلوع صباح حان منه غروب
فهل كان يرعاها لعشق فقر اذ
درى ان رومي الصباح رقيب
وقلت في اختصار المنى الاول من
هذه القطعة :
انظر الي المنار والا * فانوس فيه يرتفع
كحامل رمحا سنانا * نه خضيب يلمع
وقلت أيضاً :
ألست ترى حسن المنار وضوءه
يرفع من جنح الدجنة أستارا
تراه اذا جن الظلام مراقبا
له مضرما في قلب فانوسه نارا
كصب بمخود من بني الزنج سامها
وصالا وقد أبدى لترغب دينارا
وقلت فيه :
وليلة صوم قد سهرت بجيبها
علي انها من طيبها تفضل الدهرا
حكي الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد اضحت مساميره تبرا
كما قام رومي بكاس مدامة
وحيا بها زنجية وشحت درا
ومن شعره ايضا :
وقد بدت النجوم علي سماء
تكامل صحوها في كل ءن
كسقف أزرق من لازورد
بدت فيه مسامر من لجين
وله أيضا :
والليل أفرع بالكواكب شائب
فيه بمجرته لمثل المفرق

ولربما يأتي الهلال بنحره
منصيدا حوت النجوم بزورق
حتى اذا هبت علي الماء الصبا
وألاح نور تمامه بالمشرق
ابدى لنا علما بهيجا مذهبا
قد لاح في تجعيدكم ازرق
وحكي براءة عسجد قد رام صا
نعها يؤلف بينها بالزئبق
توفي علي بن ظافر سنة (٦٢٣) ه

﴿علية بنت المهدي﴾ اخت هارون الرشيد كانت من أعقل النساء واجملهن ذات صون وعفاف وادب بارع تزوجها موسي بن عيسي العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها كانت من أعف النساء اذا طهرت لازمت المحراب واذا لم تكن طاهرا غنت ، لها ديوان شعر منه قولها :
ايا سروة الفتيان طال تشوق
فهل لي الي ظل لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضي خروجه
وليس لمن يهوى اليه سبيل
ومن شعرها ايضاً :
سلم علي ذاك الغزال
الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له
ياغل الباب الرجال
خليت جسمي ضاحيا
وسكنت في ظل الحجال
وبلغت مني غاية
لم أدر منها ما احتيال

لما خرج الرشيد الي الري أخذها معه فلما وصلت الي المرج نظمت قولها :
ومغترب بالمرج يبكي لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون علي الحب
اذا ما اتاه الركب من نحو ارضه
تنشق يستشفي برائحة الركب
وغنت بهما فلما بلغ الرشيد الصوت علم انها قد اشتاقت الي العراق واهلها فأمر بردها
من شعرها :
اني كثرت عليه في زيارته
فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه اني لا ازال أرى
في طرفه قصرا عني اذا نظرا
وقالت ايضا :
كتمت اسم الحبيب عن العباد
ورددت الصبابة في فؤادي

فوا شوقي الى ايام خلي
لعلي بلسم من اهوى انادى

وقال ايضا :
خلوت بالراح اناجيها
آخذ منها واعطيها
نادمتها اذ لم اجد صاحبا
ارضاه ان يشركني فيها

وقالت ايضا :
بنيُ الحبُ علي الجورفلو
انصف المشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
وقليل الحب صرفا خالصا
هو خير من كثير قد مزج

قالت عريب المغنية احسن يوم مر بي في الدنيا واطيبه يوم اجتمعت فيه مع ابراهيم بن المهدى واخته علية بنت المهدى ومعهم اخوهما يعقوب بن المهدى وكان من احذق الناس في الزمر . فبدأت علية فغنتهم من صنعتها في شعرها واخوها يعقوب يزمر عليها :
تحبب فان الحب داعية الحب
وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر فان حدثت أن اخا الهوى
نجا سالما فارج النجاة من الحب
واطيب ايام الفتى يومه الذى
يروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فأين حلاوات الرسائل والكتب

وقالت ايضا :
لم ينسنيك سرور لا ولا حزن
وكيف لا كيف ينسي وجهك الحسن
ولا خلا منك لا قلبي ولا جسدى
كلي بكلك مشغول ومرتهن
وحيدة الحسن مالى عنك مذ كانت
نفسي بحيك الا الهم والحزن
نور تولد من شمس ومن قمر
حتى تكامل فيه الروح والبدن

قالت عريب المغنية فما سمعت مثل ما سمعت منها قط ، والله اعلم اني لا اسمع مثله

ولدت علية بنت المهدى سنة (١٦٠) وتوفيت سنة (٢١٠) ولها من العمر خمسون سنة

﴿ عمد ﴾ السقف يعمده عَمداً دعمه واقامه بعماده و (عمد الي الشيء) قصده . و(عمّده المرض) اضناه و (عميد الرجل) يعمَد عمَداً غضب. و(أعمد الشيء) جعل تحته عمادا. و (تعمّد الشيء) قصده (اعتمد علي الحائط) اتكأ . و اتعمد الشيء) قام بعماد . (العماد) ما يسند به عُمُد وعمد

(فعله عَمداً) أى عن قصد . و (العُمدة) ما يعتمد عليه . و (العَمود) مايقوم عليه البيت وغيره جمعه أعمدة وعُمُد و (العميد) الشديد الحزن والذى هده العشق و(عميد القوم) سيدهم وسندهم . و (رجل معمود) أى هده العشق

﴿ عمدة الدين حفدة ﴾ هو ابومنصور محمد بن اسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم العاطرى الطوسي المعروف بحفدة الملقب عمدة الدين الفقيه الشافعي النيسابورى

كان من فضلاء الفقهاء والوعاظ فصيحا أصوليا تفقه بمرور لي ابي بكر محمد ابن منصور السمعاني . انتقل الي مرو الروذ واشتغل علي القاضي حسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوى صاحب شرح السنة والتهذيب ثم انتقل الي بخارى واشتغل بها علي برهان الدين عبد العزيز بن عمرو بن مازة الحنفي . ثم عاد الى مرو وعقد بها له مجلس التذكير . فلما كانت فتنة الغزسنة (٥٤٨) خرج الي العراق ومنها الى أذربيجان والجزيرة ومنها الى الموصل واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ وسمعوا منه الحديث ومن أماليه قوله:
مثل الشافعي في العلماء
مثل الشمس في نجوم السماء
قل لمن قاسه بغير نظير
أيقاس الضياء بالظلماء

وأنشد يوما علي الكرسي من جملة أبيات :
تحية صوب المزن يقرأها الرعد
علي منزل كانت تحل به هند
نأت فأعرناها القلوب صبابة
وعارية العشاق ليس لها رد

كانت مجالسه في الوعظ أحسن المجالس

توفي سنة (٥٧١) بمدينة تبريز وقيل سنة (٥٧٣)

﴿ عماد الدين بن يونس ﴾ هو أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد الملقب عماد الدين الفقيه الشافعي

كان امام وقته في المذهب والاصول والخلاف وكانت له شهرة عظمة في زمانه . قصده الفقهاء من البلاد البعيدة للاستفادة

منه والتخرج عليه . وقد نبغ على يديه خلق كثير صاروا ائمة ومؤلفين

ابتدأ يتلقى العلم عن ابيه بالموصل ثم توجه الى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية على السديد محمد السلامي فصار معيداً بها والمدرس يومئذ الشرف يوسف بن بندار الدمشقي . وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن بن محمد الكشميهني لما قدمها ومن ابي حامد محمد بن ابي الربيع الغرناطي ثم عاد الى الموصل ودرس بها في عدة مدارس وصنف كتبا في المذهب منها كتاب المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط وشرح الوجيز للغزالي وصنف جدلا وعقيدة وتعليقة في الخلاف لكنه لم يتمها وكانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينبية والنفيسية والعلائية

تقدم في دولة نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل تقدما كبيرا فعينه سفيرا عنه الى بغداد غير مرة الى الملك العادل وناظر في ديوان الخلافة . واستدل في مسألة شراء الكافر للعبد المسلم

وتولى القضاء بالموصل . وانتهت اليه رئاسة اصحاب الشافعي بهذه المدينة

كان الشيخ عماد الدين شديد الورع والتقشف لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله ولا يمس القلم للكتابة الا بعد غسل يده ، وكان حسن الاخلاق لطيف الخلوة ملاطفا بحكايات وأشعار . وكان نور الدين يرجع اليه في الامور الجسيمة ويستفتيه . صنف له العقيدة ولم يزل معه حتى انتقل عن مذهب أبي حنيفة الى مذهب الشافعي ولم يوجد في بيت اتابك مع كثرتهم شافعي سواه

ولما توفي نور الدين سنة (٦٠٧) توجه الى بغداد لتقرير ولده الملك القاهر مسعود فعاد وقد أنجز المهمة ومعه الخلعة والتقليد ، فتوفرت حرمته عند القاهر وكان كامل الادوات غير انه لم يرزق التوفيق في مؤلفاته فانها ليست على قدر علمه

ولد سنة (٥٣٥) بقلعة اربل وتوفي سنة (٦٠٨) بالموصل

﴿ العمادي ﴾ هو عبد الرحمن بن محمد عماد الدين العمادي مؤلف كتاب (المستطاع من الزاد) في مناسك الحج . توفي سنة (١٠٥١) ه

﴿ عماد الدين بن المشطوب ﴾ هو

أبو العباس احمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن احمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل بن مرزبان الهكاري المعروف بابن المشطوب

كان أميراً وافر الحرمة عند ملوك الدولة الصلاحية فعدوه بينهم كأنه واحد منهم وكان عالي الهمة كثير الجود شجاعا أبي النفس تهابه الملوك وله تاريخ مملوء بحوادث الخروج عليهم

كان جده أبو الهيجاء صاحب العمادية وعدة قلاع من بلاد الهكارية . ولم يزل عماد الدين وافر الحرمة حتى خرج على الملك الكامل فحاصره بتل يعفور وهي القلعة التي بين الموصل وسنجار . فراسله الامير بدر الدين لؤلؤ اتابك صاحب الموصل ولم يزل يخدعه ويؤمنه الى ان انقاد وحلف له اتابك على ذلك فانتقل الى الموصل وأقام بها قليلا ثم قبض عليه سنة (٧١٦) وأرسله الى الملك الأشرف مظفر الدين بن الملك العادل فاعتقله الملك الأشرف في قلعة حران وضيق عليه وأثقله بالحديد حتى استحالت حاله الى أسوأ حال فامتلأت رأسه ولحيته وثيابه بالقمل . فكتب بعض من كان متعلقاً بخدمته في ذلك الوقت الى الملك الأشرف دوبيت في معناه وهو :

يا من بدوام سعده دار فلك
ما أنت من الملوك بل أنت ملك
مملوكك ابن المشطوب في السجن هلك
أطلقه فإن الأمر لله ولك

مكث الامير ابن المشطوب على هذه الحال حتى مات سنة (٦١٩) فبنت له ابنته قبة على باب مدينة رأس عين ونقلته من حران اليها

ولما كان بالسجن كتب اليه بعض الادباء دوبيت وهو :

يا احمد مازلت عماداً للدين
يا أشجع من أمسك رمحاً بيمين
لا تأس اذا حصلت في سجنهم
ها يوسف قد أقام في السجن سنين

روى ان الأمير سيف الدين أبا الحسن علي المعروف بالمشطوب كتب الى الملك الناصر صلاح الدين يخبره بولادة ولده عماد الدين أبي العباس احمد ، وان عنده امرأة أخرى حاملا فكتب القاضي الفاضل جوابه ما يأتي :

« وصل كتاب الامير دال على الخبر بالولدين ، الحال على التوفيق ، والسائر

كتب الله سلامته في الطريق ، فسررنا بالغرة الطالعة من لثامها ، وتوقعنا المسرة بالثمرة الباقية في اكمامها »

أما والده سيف الدين المشطوب فقد كان السلطان صلاح الدين قد وضعه في عكا لما خاف عليها من الفرنج هو وبهاء الدين قراقوش ولم يزل بها حتى حاصرهم الفرنج بها وأخذوها ولما خلص منها وصل الي السلطان وهو بالقدس سنة (٥٨٨)

قال القاضي ابن شداد دخل علي السلطان بغتة وعنده أخوه الملك العادل فنهض اليه واعتنقه وسر به سروراً عظيما وأخلي المكان وتحدث معه طويلا

توفي سيف الدين هذا سنة (٥٨٨) ولم يكن في أمراء الدولة الصلاحية أحد يدانيه في المنزلة وعلو المرتبة. وكانوا يسمونه الامير الكبير، وكان ذلك علما عليه عندهم لايشاركه فيه غيره

وكتب القاضي الفاضل : « ورد الخبر بوفاة الامير سيف الدين المشطوب امير الأكراد وكبيرهم وكانت وفاته يوم الاحد الثاني والعشرين من شوال من السنة المذكورة بالقدس وخبزهم يوم وفاته بنابلس وغيرها ثلاثمائة الف دينار، وكان بين خلاصه من أسره وحضور أجله دون مائة يوم فسبحان الحي الذى لا يموت وتهدم به بنيان قوم ، والدهر قاض ماعليه لوم »

﴿ ابن العميد ﴾ هو أبو الفضل محمد ابن العميد أبي عبد الله بن الحسن بن محمد الوزير الكاتب المعروف بابن العميد

كان من أهل الفضل والأدب وله ترسل . أما والده أبو الفضل فكان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة . تولي وزارته عقيب موت وزيره أبي علي بن القمي سنة (٣٢٨)

كان ابن العميد متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم . وأما الادب والترسل فلم يقاربه فيهما أحد في زمانه حتى لقب بالجاحظ الثاني . وكان كامل الرياسة جليل القدر وكان من بعض أتباعه والآخذين عليه الصاحب بن عباد الوزير الاديب المشهور ومن أجل صحبته اياه قيل له الصاحب

وكان له في الرسائل اليد البيضاء قال الثعالبي في كتابه (اليتيمة) : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد

كان الصاحب بن عباد قد سافر الي

بغداد فلما رجع قال له ابن العميد كيف وجدتها . فأجابه: بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد

وكان يقال له الاستاذ وكان سائسا مدبرا للملك قائما بحقوقه . قصده جماعة من مشهوري الشعراء من البلاد الشاسعة ومدحوه بأطيب الشعر . منهم أبو الطيب المتنبي . فله فيه القصيدة التى أولها:

بادِ هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

ومنها .

أرجان ايتها الجياد فانه
عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا
لو كنت افعل ما اشتهيت فعاله
ماشق كوكبك العجاج الاكدرا
أمي ابا الفضل المبر اليتي
لأيمن اجل بحر جوهرا
افتى برؤيته الانام وحاش لي
من ان اكون مقصرا أو مقصرا
من مبلغ الاعراب اني بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وملت نحو عشارها فأضافني
من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما
واتي فذلك اذا اتيت مؤخرا

فأعطاه ابن العميد ثلاثة آلاف دينار وقصده ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي بالري وامتدحه بقصيدته التي اولها :

برح اشتياق وادكار
ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها
ترفض من نوم مطار
لله قلبي ما يجن
من الهموم وما يوارى
لقد انقضي سكر الشبا
ب وما انقضي وصب الخمار
وكبرت عن وصل الصغا
ر وما سلوت من الصغار
سقيا لتغليسي الى
بلب الرصافة وابتكارى
ايام اخطر في الصبا
نشوان مسحوب الازار

حجي الي حجر الصرا
ة وفي حداتها اعتاري
ومواطن اللذات أو
طاني ودار اللهـو داري
لم يبق لى عيش يلذ
سوى معاقرة العقار
حتى بألحان قمر
ت بين ألحان القماري
واذا استهل ابن العميـ
ـد تضاءلت ديم القطار
خرق صفت اخلاقه
صفو السبيك من النضار
فكأنما زفت موا
هبه بأمواج البحار
وكأن نشر حديثه
نشر الخزامي والعرار
وكأنما مما تفر
ق راحتاه من نثار
كاف يحفظ السر نحـ
ـسب صدره ليل السرار
ان الكبار من الامور
ر تنال بالهمم الكبار
والي ابي الفضل انبه
ـت هواجس النفس السواري

فتأخرت صلته عنه فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزدد ابن العميد علي الاهمال مع رقة حاله التى ورد عليها الي بابه . فتوسل الي داخل عليه وهو في مجلس حافل بأعيان الدولة ومقدمي أرباب الديوان فوقف بين يديه وأشار اليه بيده وقال :

« أيها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل ، وذللت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك ، والله مابي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فأغششتهم ، وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه ألقاهم ، وبأى حجة أقاومهم ، ولم أحصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم ، الا علي ندم مؤلم ، ويأس مسقم ، فان كان للنجاح علاقة فأين هي ؟ وما هي ؟ الا ان الذين تحسدهم علي ما مدحوا به كانو من طينتك ، وان الذين هجوا كانو مثلك ، فزاحم بمنكبيك أعظمهم شأنا ، وأنورهم شعاعا ، وأمدهم باعا ، وأشرفهم بقاعا »

فلما أتم الشاعر تبكيته ضاع رشد ابن العميد ولم يدر مايقول . فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال :

هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة ، وعن الاطالة مني في المعذرة واذا تواهبنا ما دفعنا اليه ، استأنفنا ما نتحامد عليه »

قال ابن نباته :

« أيها الرئيس ، هذه نفثة مصدور منذ زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ، والغنى اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال :

« والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله تعالي ، ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الي قرى عائم ولجاج قائم ولست ولى نعمتى فاحتملك ، ولا صنيعتى فأغضي عليك ، وان بعض ما أقررته في مسامعي ينغص مرة الحليم ، ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريضي »

قال ابن نباته :

« صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ، ولا استدعيتني برسول ، ولا سألتنى مدحك ، ولا كلفتنى تقريضك ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك ، وقلت لا يخاطبنى أحد الا بالرياسة ، ولا ينازعنى خلق في أحكام السياسة ، فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة ، فكأنك دعوتنى بلسان الحال ، ولم تدعنى بلسان المقال »

فدار ابن العميد مغضباً وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس . وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار ماراً يقول : والله ان سف التراب والمشي علي الجمر أهون من هذا . فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهيناً له ، ومشتريه مماكساً فيه

فلما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب اليه حلمه ، التمسه من الغد ليعتذر اليه ، ويزيل آثار ما كان منه . فكأنما غاص في سمع الارض وبصرها . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الي أن مات

وقد رويت هذه القصة منسوبة الي غير ابن نباتة ولم توجد هذه القصة في ديوانه . ونسب بعضهم هذه القصة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بنوتة

كان أبو الفرج احمد بن محمد الكاتب مكينا عند مخدومه ركن الدولة بن بويه . وله الرتبة العالية عنده وكان ابن العميد

لايوفيه حقه من الاكرام فعاتبه مراراً فلم
يفد فكتب اليه:

مالك موفور فما باله
أكسبك التيه على المعدم
ولم اذا جئت نهضنا وان
جئنا تطاولت ولم تتمم
وان خرجنا لم تقل مثل ما
نقول قدّم طرفه قدّم
ان كنت ذا علم فمن ذا الذى
مثل الذى تعلم لم يعلم
ولست في الغارب من دولة
ونحن من دونك في المنسم
وقد ولينا وعزلنا كما
أنت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها
فصل على الانصاف أو فاصرم

للصاحب بن عباد الوزير مدائح كثيرة في ابن العميد منها ما رفعه اليه وقد قدم الى أصبهان :

قالوا ربيعك قد قدم
قلت البشارة ان سلم
أهو الربيع أخو الشتا
ءأم الربيع أخو الكرم
قالوا الذى بنواله
أمل المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميـ
ـد اذن فقالوا لي نعم

وقد كان ابن العميد كثير الاعجاب بقول بعضهم :

وجاءت الى ستر على الباب بيننا
تخاف وقد قامت لديه الولائد
لتسمع شعرى وهو يقرع قلبها
بوحي تؤديه اليـه القصائد
اذا سمعت منى لطيفاً تنفست
له نفساً تنقد منه القلائد

لابن العميد شعر وقد ذكر له الصابي في كتاب الوزراء قوله :

رأيت في الوجه طاقة بقيت
سوداء عيني تحب رؤيتها
فقلت للبيض اذ تروعها
بالله الا ما رحمت غربتها
فقل لبث السوداء في بلد
تكون فيه البيضاء ضرتها

كان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة والنقرس أخرى . تسلمه هذه الى هذه . فقال لسائل سأله أيهما أصعب عليك وأشق ؟ قال اذا عارضنى النقرس

فكأني بين فكي سبع يمضغني ، واذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه

ويقال انه رأى اكارا في بستان يأكل خبزا بصل وابن وقد أمعن منه فقال وددت لو كنت كهذا الاكار آكل ما اشتهى

ومر الصاحب بن عباد على باب ابن العميد بعد وفاته فلم ير هناك احداً بعد ان كان الدهليز يغص من زحام الناس فأنشد :

ايها الربع لم علاك اكتئاب
اين ذاك الحجاب والحجاب
اين من كان يفزع الدهر منه
فهو اليوم في التراب تراب
قل بلا رقبة وغير احتشام
مات مولاى فاعتراني اكتئاب

وقد رويت هذه الحكاية لغير الصاحب وفي غير ابن العميد

لما مات ابن العميد ولى مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين ابا الفتح عليا مكانه في دست الوزارة وكان جليلا نبيلا سرياً ذا فضائل وفواضل

ذكر الثعالبي في اليتيمة في ترجمة والده قال . كتب ابو الفتح الى صديق له يستهديه خمرا مستورا عن والده

« قد اغتنمت الليلة اطال الله بقاءك ياسيدى رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع اصحابي في سمط الثريا : فان لم تحفظ علينا هذا النظام ، باهداء المدام ، عدنا كبنات نعش والسلام »

وذكر له الثعالبي مقاطيع من الشعر

ولم يزل في وزارة ركن الدولة الى ان توفي ركن الدولة فلما تولي ولده مؤيد الدولة استوزره ايضاً وأقام على ذلك مدة مديدة وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد منافرة و يقال انه اغرى مؤيد الدوله عليه فتنكر له وقبض عليه سنة (٦٦٢) وسجنه بعد ان اجتاح ماله وجدع انفه وجز لحيته . وقال غيره وقطع يديه

يقال انه لما ايس من نفسه وعلم انه لا مخلص له مما هو فيه شق جيبه جبة كانت عليه واستخرج منها رقعة فيها تذكرة بجميع ماكان له ولوالده من الذخائر والدفائن والقاها في النار . فلما علم انها قد احترقت قال للمتوكل به افعل ما امرت به فوالله لا يصل الى صاحبك من اموالنا درهم واحد

فما زال مؤيد الدولة يعرضه علي أنواع العذاب حتى تلف

وقد قال بعض الشعراء في ذلك

ل العميد وآل برمك مالكم
قل المعين لكم وذل الناصر
كان الزمان يحبكم فبدا له
ان الزمان هو الخؤون الغادر

تولي موضعه الصاحب بن عباد وقد أتينا علي ترجمته في حرف الصاد . وقد سمع الوزير أبو الفتح بن العميد كثيراً ما ينشد قبل ان يقتل بمدة :

دخل الدنيا أناس قبلنا
رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا
ونخليها لقوم بعدنا

ومما قاله أبو الفتح نفسه :

يقول لي الواشون كيف تحبها
فقلت لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم
فقلت هوى لم يهو قط أمثالي
وكم من شفيق قال مالك واجما
فقلت ترى ما بي وتسأل عن حالي

وكان أبو حيان علي بن محمد التوحيدي قد وضع كتاباً سماه مثالب الوزيرين ضمنه معايب أبي الفضل بن العميد المذكور والصاحب بن عباد تحامل عليهما فيه ، وعدد نقائصهما وسلبهما ما اشتهر عنهما من الفضائل و بالغ في التعصب عليهما . وكان أبو حيان المذكور مؤلفا فاضلا من أهل القرن الرابع فلا يستطيع أن يحط من قدرهما لكثرة فضائلهما حتى زعم الناس ان من اقتنى كتابه ذلك انعكست حاله وساء مصيره . وقد راجت هذه العقيدة حتى قال بها القاضي الفاضل ابن خلكان نفسه اذ قال « لقد جربت ذلك وجربه غيري علي ما أخبرني من أثق به »

﴿ العميدي ﴾ هو أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد وقيل احمد العميدي الفقيه الحنفي المذهب السمرقندي الملقب ركن الدين

كان اماماً في فن الخلاف وخصوصاً فن البحث وقد أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بفن الخلاف . وكان اشتغاله بفن الخلاف علي رضي الدين النيسابوري وهو أحد الأركان الاربعة الذين برعوا في هذا الفن علي يد رضي الدين المذكور وهم ركن الدين الطاوسي

وركن الدين امام زادة والعميدي المذكور ورابع لانذكر اسمه

وقد سلك العميدي في هذا الفن طريقة اشتهرت عند الفقهاء وصنف كتاب الارشاد واعتني بشرحه جماعة منهم القاضي شمس الدين أبو العباس المذكور وسماه عرائس النفائس وصنف العميدي كتباً أخرى واشتغل عليه خلق كثيرون انتفعوا به

كان العميدي رضي الاخلاق كثير التواضع . جم الفضائل

توفي سنة (٦١٥) ببخاري

﴿ عَمُر ﴾ المنزلُ بأهله يعمُر عَمْراً كان مأهولا بهم فهو عامر . و (عَمَر المكانَ أهله) سكنوه . و (عَمِر يعمَر عمارة) مثل عَمُر يعمُر أي صار عامراً

(عَمَّر فلان) عاش زماناً طويلا . و (عمَّر المنزلَ) جعله آهلا . و (اعتمر المكانَ) قصده وزاره

(استعمره في المكان) جعله يعمُره و (السِّيارة) ما يعمَّر به المكان . و (العُمارة) أجرة العمارة و (العَمْر) الحياة والدين ومنه (لعَمْري) في القسم أي لحياتي . و (لَعَمر الله) قسم تقديره لعمر الله قسمي ومعناه أقسم بدوام الله

(العُمُر) الحياة . و (عُمَيرة) عَلَم علي الكف

﴿ عمرو بن كلثوم ﴾ هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهر وأمه ليلي بنت مهلهل . أخي كليب وهو صاحب المعلقة المعروفة

روى انه لما تزوج مهلهل بنت بعيج بن عتبة أهديت اليه فولدت له ليلي بنت مهلهل فقال لامرأته هند اقتليها فأمرت خادماً لها أن تغيبها عنها فلما نام هتف به هاتف يقول

كم من فتى يؤمل * وسيد شمردل
وعدة لا تجهل * في بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال ياهند أين بنتي ؟ قالت قتلتها . قال كلا واله ربيعة فاصدقيني . فأخبرته . فقال أحسني غذاءها . فتزوجها كلثوم بن عتاب . فلما حملت بعمرو بن كلثوم قالت انه أتاني آت في المنام فقال :

يالك ليلي من ولد * يقدم إقدام الاسد
من جشم فيه العدد * أقول قيلا لا فند

فولدت غلاماً فسمته عمراً . فلما أتت عليه سنة قالت له أتاني ذلك الآتي بالليل أعرفه فأشار الي الصبي وقال :

اني زعيم لك أم عمرو
بماجد الجد كريم النجر

اشجع من ذى لبـد هزبر
وقاص وآب شـديد الاسر

يـودهم في خمـة وعشر

فكان كما قال ، ساد قومه وهو ابن خمسة عشر ومات وله مائة وخمسون سنة تقول أكثر مايرويه الرواة من هذا القبيل منسوبا الي الهواتف موضـوع كما يتبادر الي ذهن القارىء واتما اثبتناه من باب التفكهة

ولا ندرى كيف اثبتـه كبار الرواة بدون نقد ولا ادني اشارة بتوهين

روى ان عمرو بن هند ملك الحيرة قال ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟ فقالوا نعم ام عمـرو بن كلثوم . قال ولم ؟ قالوا لأن ابها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل اعز العرب وبعلها كلثـوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند الي عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير امه امه فأقبـل عمرو من الجزيرة الي الحيرة في جماعة بنى تغلب . واقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بنى تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وارسـل الى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بنى تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم علي عمرو بن هند في رواقه وكانت هند عمة امرىء القيس بن حجر الشاعر المشهور ، وكانت ام ليلى بنت مهلهـل بنت اخي قاطمة بنت ربيعة التى هي ام امرىء القيس وبينهما هذا النسب وقد كان عمرو بن هند أمر امه ان تنحي الخدم اذ دعا بالطرف فقالت هند ناوليني ياليلي ذلك الطبق . فقالت ليلي لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فأعادت عليها وألحت فصاحت ليلي وأذلاه يالتغلب ، فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه ، فوثب عمرو ابن كلثوم الى سيف لعمرو بن هنـد معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو ابن هند ، ونادى في بنى تغلب فانتهبوا مافي الرواق وساقوا نجائبه وسـاروا نحو الجزيرة . في ذلك يقول عمرو بن كلثوم في معلقته (ألاهبي بصحنك فأصبحينا)

عن ابن الاعـرابي قال أغار عمـرو ابن كلثوم التغلبي علي بنى تميم ثم مر من غزوه ذلك علي حي من بنى قيس بن ثعلبة

فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدى ثم انتهي الى بنى حنيفة باليمامة وفيه أناس من عجل فسمع بها أهل حجر فكان أول من أتاه من حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد ابن عمرو بن شمر فلما رآهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال .

من عاذنى بعدها فلا أجتبر
ولاسقي الماء ولاأرعى الشجر
بنو لجيم وجعـاسيس مضر
بجانب الدويد يهوون العكر

فانتهي اليه يزيد بن عمرو فطعنـه فصرعه عن فرسـه وأسره ، وكان يزيد شديداً جسيما فشده في القد وقال له أنت الذى تقول :

متى نعقد قريننا بحبل
نجذ الحبل أو نقص القرينا

أما اني سأقرنـك الى ناقتى هـذه فأطردكما جميعاً . فنـادى عمرو بن كلثوم يالربيعة ، أمثلة ؟ قال فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ، ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتي قصراً بحجر من قصورهم وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله علي نجيبة وسقاه الخمر فلما أخذت برأسه تغنى:

أأجمع صحبتي السحر ارتحالا
ولم أشعر ببين منك هالا
ولم أر مثل هالة في معد
أشبه حسنها الا الهلالا
ألا أبلغ بنى جشم بن بكر
وتغلب كلما أتيا حلالا
بأن الماجد القرم بن عمرو
غداة نطاع قد صدق القتالا
كتيبته ململمة رداح
اذا يرمونها تفنى النبالا
جزى الله الاغر يزيد خيراً
ولقاه المسرة والجمالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو
يزيد الخير نازله نزالا
بمجمع من بنى قران صيد
يجيلون الطعام اذا أجالا
يزيد يقدم السفراء حتى
يروى صدرها الأسل النهالا

قال ابن الاعرابي بلغ عمرو بن كلثوم ان النعمان بن المنذر يتوعده فدعا كاتباً من العرب فكتب اليه :

ألا أبلغ النعمان عنى رسالة
فمدحك حولي وذمك قارح

متى تلقنى في تغلب ابنة وائل
وأشياعها ترقي اليـك المسالح

وهجا النعمان بن المنذر هجاء كثيراً منه قوله يعيره بأمه سليمي :

حلت سليمي بخبت بعد فرتاج
وقد تكون قديماً في بنى تاج
اذ لاترجي سليمي أن يكون لها
من بالخورنق من قين ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس
كما تلفف قبطي بديباج
تمشي بعدلين من لؤم ومنقصة
مشي المقيد في اليابوت والحاج

وقال في النعمان بن المنذر :

لحا الله أدنانا الي اللؤم زلفة
وألأمنا خلا وأعجزنا أبا
وأجدرنا أن ينفج الكير خاله
يصوغ القروط والشنوف بيثربا

حدث النمر بن قاسط قال لماحضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال يا بنى قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائي ولا بد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت واني والله ما عيرت أحداً بشيء الا عيرت بمثله ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلا فباطل ومن سب سب فكفوا عن الشتم فانه أسلم لكم وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم ، وامنعوا من ضيم الغريب فرب رجل خير من الف ، ورد خير من خلف ، واذا حدثتم فعوا ، واذا حدثتم فأوجزوا ، فان مع الاكثار تكون الاهذار ، وأشجع القوم العطوف بعد الكر ، كما ان أكرم المنايا القتل ، ولا خير في من لا روية له عند الغضب ولا من اذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لايرجي خيره ولا يخاف شره ، فبكؤه خير من دره ، وعقوقه خير من بره ، ولا تتزوجوا في حيكم فانه يؤدى الي قبيح البغض

يفتخر قوم عمرو بن هند بمعلقته و يعجبون بها وهي في الحقيقة من أجود ماقالته العرب ، وأشغف بنى تغلب بها حتى قال فيهم بعض الشعراء :

الهي بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم
يا للرجال لشعر غير مسؤوم

أما معلقته فهي :

ألاهبي بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور الاندرينا (١)
مشعشعة كأن الحص فيها
اذا ما الماء خالطها سخينا (٢)
تجور بذى اللبانة عن هواه
اذا ماذاقها حتى يلينا (٣)
ترى اللحز الشحيح اذا أمرت
عليه لماله فيها مهينا (٤)
صبنت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا (٥)
وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لاتصبحينا (٦)
وكأس قد شربت ببعلبك
وأخرى في دمشق وقاصرينا (٧)
وانا سوف تدركنا المنايا
مقدرة لنا ومقدرينا (٨)
قفي قبل التفرق ياظعينا
نخبرك اليقين وتخبرينا (٩)
قفي نسألك هل أحدثت صرماً
لوشك البين أم خنت الامينا (١٠)
بيوم كريهة ضربا وطعناً
أقر به مواليك العيونا (١١)

(١) هب من نومه استيقظ . والصحن القدح العظيم . واصبحينا أى اسقينا وقت الصباح . والاندرين قرى بالشام . يقول استيقظي من نومك واسقينا الصبوح بقدحك العظيم ولا تدخرى خمر هذه القرى (٢) مشعشعة أى ممزوجة والحص نبت له نور احمر . وسخينا أى حاراً ، ومن الناس من جعل سخينا فعلا أى كرمنا (٣) يمدح الخمر و يقول انها تميل صاحب الحاجة عن حاجاته اذا ذاقها حتى يلين أى انها تنسي الهموم والحاجات أصحابها فاذا شربوها لانوا (٤) اللحز ضيق الصدر . يقول ترى الانسان الضيق الصدر البخيل مهيناً لماله اذا أديرت الخمر عليه (٥) الصبن الصرف. يقول : صرفت الكأس عنا يا أم عمرو وكان مجرى الكأس عن اليمين فأجريتها عن اليسار (٦) يقول : ليس صاحبك الذى لا تسقينه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة الذى تسقينهم أى لست شر أصحابي فكيف أخرت سقيي الصبوح (٧) يقول ورب كاس شربتها ببعلبك البلدتين (٨) ومقدرينا أى ومقدرين نحن لها (٩) ياظعينا أى ياظعينة وهي المرأة في الهودج ثم كثر هذا الاسم للمرأة حتى قيل لها ظعينة وهي في بيتها (١٠) الصرم القطيعة. والوشك السرعة. والامين المأمون (١١) الكريهة من أسماء الحرب . يقول

وان غداً وان اليوم رهن
و بعد غد بما لا تعلمينـا (١٢)
تريك اذا دخلت على خلاء
وقد أمنت عيون الكاشحينا (١٣)
ذراعيْ عيطل أدماء بكر
هجان اللون لم تقرأ جنينا (١٤)
وثدياً مثل حق العاج رخصاً
حصاناً من أكف اللامسينا (١٥)
ومتنىْ لدنة سمقت وطالت
روادفها تنوء بما ولينا (١٦)

تخبرك بيوم حرب كثر فيه الضرب والطعن فأقر بنو اعمامك عيونهم في ذلك اليوم (١٢) يقول فان الايام رهن بما لا يحيط علمك به اى ملازمة له (١٣) الكاشح المضمر العداوة • يقول تريك هذه المرأة اذا اتيتها خالية وأمنت عيون اعدائها ذراعيْ عيطل الي آخر ماذكره في الابيات التالية (١٤) العيطل الطويلة العنق من النوق • والأدماء البيضاء منها والبكر الناقة التى حملت بطناً واحداً • والهجان الابيض ولم تقرأ جنيناً اى لم تضم في رحمها ولداً • يقول تريك ذراعين ممتلئين كذراعي ناقة طويلة العنق ولم تلد بعد (١٥) رخصاً ليناً وحصاناً عفيفة (١٦) اللدن اللين • وسمقت

وما كة يضيق الباب عنها
وكشحاً قد جننت به جنونا (١٧)
وساريتىْ بلنط أو رخام
يرن خشاش حليهما رنينا (١٨)
فما وجدت كوجدي أم سقب
أضلته فرجعت الحنينا (١٩)
ولا شمطاء لم يترك شقاها
لها من تسعة الا جنينا (٢٠)

أى طالت والرادفتان فرعا الاليتين • وتنوء أى تنهض بتثاقل. والولي القرب. يقول : وتريك متنى قامة طويلة لينة تثقل أردافها مع مايقرب منها (١٧) المأكة رأس الورك يقول : وتريك وركا يضيق الباب عنها وكشحاً قد جننت بحسنه جنوناً (١٨) البلنط العاج • والسارية الاسطوانة • يقول : وتريك ساقين كاسطوانتين من عاج او رخام في البياض او الضخم بصوت حليهما أى خلاخيلها تصويتا (١٩) السقب ولد الناقة • والوجد الحزن • ووجد يعنى حزن • يقول : فما حزنت مثل حزني ناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها في طلبها • (٢٠) الشمط بياض الشعر • والجنين المستور فى القبر هنا • يقول ولا حزنت كحزني عجوز لم يترك شقاء جدها

تذكرت الصبا واشتقت لما
رأيت حمولها أُصُلاً حدينا (٢١)
فأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدى مصلتينا (٢٢)
ابا هنـد فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقينا (٢٣)
بانا نورد الرايات بيضا
ونصدرهن حمراً قد روينا (٢٤)
وايام لنا غر طوال
عصينا الملك فيها ان ندينا (٢٥)

لها من تسعة بنين الا مدفونا في قبره (٢١) يقول : تذكرت العشق والهوى واشتقت الي محبوبتي لما رأيت حمول ابلها وقت الأصيل (٢٢) أعرضت ظهرت . واشمخرت ارتفعت في اعيننا كأسياف بأيدى رجال شاهرى سيوفهم (٢٣) يقول . يا ابا هنـد لا تعجل علينا وانظرنا نخبرك باليقين من امرنا وشرفنا يريد عمرو ابن هند الملك (٢٤) يقول نخبرك باليقين من امرنا بأنا نورد اعلامنا الحروب بيضا ونرجعها منها حمرا قد روين من دماء الابطال (٢٥) يقول نخبرك بوقائع لنا مشهورات كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية ان نطيعه ونتذلل له وقال

وسيد معشر قد توجوه
بتاج الملك يحمي المحجرينا (٢٦)
تركنا الخيل عاكفة عليه
مقلدة أعنتها صفونا (٢٧)
وأنزلنا البيوت بذى طلوح
الى الشامات تنفي الموعدينا (٢٨)
وقد هرت كلاب الحي منا
وشذبنا قتادة من يلينا (٢٩)

الكوفيون تقدير (ان ندينا) ان لا ندينا فحذف لا (٢٦) يقول ورب سيد قوم متوج الملك حام للملجئين قهرناه. ومعنى احجرته الجأته (٢٧) العكوف الاقامة . والصفون جمع صافن. وقد صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرابع يقول. قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده (٢٨) يقول وانزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذى طلوح الي الشامات تنفي من هذه الاماكن اعداءنا الذين كانوا يوعدوننا (٢٩) القتاد شجر ذوشوك . والتشذيب نفي الشوك والاغصان الزائدة . ويلينا اى يقرب منا . يقول : لقد لبسنا الاسلحة حتى انكرتنا الكلاب وهرت لانكارها ايانا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من اعدائنا

متى ننقل الي قوم رحانا
يكونوا في اللقاء لها طحينا (٣٠)
يكون ثفالها شرقي نجد
ولهوتها قضاعة أجمعينا (٣١)
نزلتم منزل الاضياف منا
فأعجلنا القرى ان تشتمونا (٣٢)
قريناكم فعجلنا قراكم
قبيل الصبح مرداة طحونا (٣٣)
نعم أناسنا ونعف عنهم
ونحمل عنهم ماحملونا (٣٤)

(٣٠) يقول متى حار بناقوما سحقناهم استعار للحرب اسم الرحي واستعار لقتلاها اسم الطحين (٣١) الثفال خرقة أوجلدة تبسط تحت الرحي ليقع عليها الدقيق . واللهوة القبضة من الحب تلقى في فم الرحي وقد ألهيت ألقيت فيها لهوة . يقول تكون معركتنا في الجانب الشرقي من نجد وتكون في قبضتنا قضاعة أجمعين (٣٢) يقول نزلتم منزل الاضياف فعجلنا قراكم كراهية ان تشتمونا ولكي لايشتموه (٣٣) المرداة الصخرة التي يكسر بها الصخور. والطحون من الطحن أى شديدة الطحن يريد بها حرباً أهلكتهم اشد الاهلاك (٣٤) يقول نعم عشائرنا بنوالنا ونعف عن أموالهم ونحمل

بسمر من قنا الخطي لُدن
ذوابل أو ببيض يختلينا (٣٥)
نطاعن ماتراخي الناس عنا
ونضرب بالسيوف اذا غشينا (٣٦)
كأن جماجم الابطال فيها
وُسوق بالاماعز يرتمينا (٣٧)
نشق بها رؤس القوم شقا
ونختلب الرقاب فتختلينا (٣٨)
وان الضغن بعد الضغن يبدو
عليك ويخرج الداء الدفينا ٣٩)

عنهم ماحملونا (٣٥) تراخي تَبعُد. يقول نطاعن الابطال مابعدوا عنا ونضربهم بالسيوف اذا غشينا أى اذا أتونا (٣٦) اللُدن جمع لَدن أى لين. وقنا الخطي الرماح المنسوبة لخط وهي بلدة مشهورة بالرماح . والذابل صفة للرماح أيضاً أى الدقيقة . وأراد بالبيض السيوف (٣٧) وُسوق جمع وسق وهو حمل بعير. والاماعز الامكنة التى تكثر بها الحجارة . (٣٨) تختلب الرقاب أى تسلبها . والاختلاء قطع الخلا وهو الحشيش الرطب (٣٩) يقول أن الضغن تفشو آثاره بعد الضغن وتخرج الداء المدفون في الصدور

ورثنا المجد قد علمت مَعَد
نطاعن دونه حتى يبينا (٤٠)
ونحن اذا عماد الحي خرت
عن الاحفاض نمنع من يلينا (٤١)
نجذ رؤسهم في غير بر
فما يدرون ما ذا يتقونا (٤٢)
كأن سيوفنا فينا وفيهم
مخاريق بأيدى لاعبينا (٤٣)

(٤٠) يقول ورثنا شرف آبائنا وقد علمت ذلك معد . ونطاعن الاعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا (٤١) الحفض متاع البيت والجمع أحفاض والحفض أيضاً البعير الذى يحمل فرش البيت والجمع أحفاض وعلي هذا التعبير يكون أراد بالأحفاض الامتعة : يقول ونحن اذا وقعت الخيام فخرت علي أمتعتها نمنع ونحمي من يقرب منا . ونحن اذا سقطت الخيام عن الابل للاسراع في الحرب نحمي جيراننا (٤٢) يقول : نقطع رؤسهم في غير بر في دقوق ولا يدرون ماذا يحذرون منا من القتل والسبى (٤٣) المخراق سيف من خشب يقول : كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لايحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق : أو كنا نضرب بها في سرعة

كأن ثيابنا منا ومنهم
خُضبن بأرجوان أوطلينا (٤٤)
اذا ماعيّ بالاسناف حي
من الهول المشبه أن يكونا (٤٥)
نصبنا مثل رهوة ذات حد
محافظة وكنا السابقينا (٤٦)
بشبان يرون القتل مجداً
وشيب في الحروب مجربينا (٤٧)
حُديا الناس كلهم جميعاً
مُقارعة بنيهم عن بنينا (٤٨)

كما يضرب بالمخاريق في سرعة (٤٤) يقول كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان (٤٥) الاسناف الاقدام يقول : اذا عجز عن التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع يشبه أن يكون ويمكن (٤٦) يقول نصبنا خيلا مثل هذه الخيل أو كتيبة ذات شوكة محافظة علي أحسابنا وسبقنا خصومنا (٤٧) يقول نسبق ونغلب بشبان يعدون القتال في الحروب مجداً .و بشيب قد مرنوا علي الحروب (٤٨) حديا اسم جاء علي صيغة التصغير من التحدى . يقول : فنتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا ونقارع أبناءهم ذابين عن أبنائنا

فأما يوم خشيتنا عليهم
فتصبح خيلنا عُصباً ثبينا (٤٩)
وأما يوم لا نخشي عليهم
فنمعن غارة متلببينا (٥٠)
برأس من بني جُشم بن بكر
ندق به السهولة والحزونا (٥١)
ألا لا يعلم الأقوام انا
تضعضعنا وانا قد ونينا (٥٢)
ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٥٣)

(٤٩) الثُّبَة الجماعة والجمع الثُّبون . يقول : فأما يوم نخشي علي أبنائنا وحرمنا فتصبح خيلنا جماعات تذب عن الحرم (٥٠) الامعان الاسراع والمبالغة والتلبب لبس السلاح . يقول : وأما يوم لانخشي علي حرمنا من أعدائنا فنمعن في الاغارة عليهم لابسين أسلحتنا (٥١) يقول نغير عليهم مع رئيس ندق به السهل والحزن أي نهزم الضعاف والاشداء (٥٢) التضعضع التكسر والتذلل وضعضعته فتضعضع اى كسرته فانكسر والوني الفتور . يقول: لا يعلم الاقوام اننا تذللنا وانكسرنا وفترنا في الحرب أى لسنا بهذه الصفة فتعلمنا الاقوام بها . (٥٣) أى لايسفهن احد علينا

بأي مشيئة عمرو بن هند
نكون لقيلكم فيها قطينا (٥٤)
بأي مشيئة عمرو بن هند
تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٥٥)
تهددنا وأوعدنا رويداً
متى كنا لامك مقتوينا (٥٦)
فان قناتنا يا عمرو أعيت
علي الاعداء قبلك أن تلينا (٥٧)
اذا عض الثقاف بها اشمأزت
وولتهم عَشَوزَنة زَبونا (٥٨)

فتسفه فوق سفههم (٥٤) القطين الخدم والقيل الملك دون الملك الاعظم . يقول كيف تشاء ياعمرو بن هند أن نكون خدماً لمن وليتموه أمرنا من الملوك ؟ (٥٥) تزدرينا تحتقرينا . يقول: كيف تشاء أن تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا . أى لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا . (٥٦) القتو خدمة الملك من قتا يقتو . والمَقتَى مصدر كالقتو ينسب اليه فتقول مقتوى يقول : ترفق في تهديدنا فمتى كنا خدماً لامك ؟ (٥٧) العرب تستعير العز اسم القناة . يقول : فان قناتنا أبت أن تلين لاعدائنا قبلك يريد ان عزهم أبي أن يزول (٥٨) الثقاف الحديدة التي يقوم بها

عشوزنة اذا انقلبت أرنّت
تشج قفا المثقف والجبينا (٥٩)
فهل حُدثت في جشم بن بكر
بنقص في خطوب الاولينا (٦٠)
ورثنا مجد علقمة بن سيف
اباح لنا حصون المجد دينا (٦١)
ورثت مهلهلا والخير منه
زهيرا نعم ذخر الذاخرينا (٦٢)

الرمح . والعشوزنة الصلبة الشديدة والزبون الدفوع من زبنت الناقة حالبها اذا ضربته بركبتيها . يقول اذا اخذها الثقاف لتقويمها نفرت من التقويم وولت الثقاف قناة صلبة شديدة دفوعاً (٥٩) أرنت صوتت وفي هذا البيت وصف تلك القناة

(٦٠) يقول هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء في امور القرون الماضية اوبنقص عهد سلف (٦١) الدين وقهر . يقول : ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من اسلافنا وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهراً وعنوة اى غلب اقرانه علي المجد ثم اورثنا مجده ذلك (٦٢) يقول . ورثت مهلهلا ومجد الرجل الذى هو خير منه وهو زهير فنعم ذخر الذاخرين

وعتاباً وكلثوماً جميعاً
بهم نلنا تراث الأكرمينا (٦٣)
وذا البُرة الذى حُدثتَ عنه
به نُحمَي ونحمي المُحجَرينا (٦٤)
ومنا قبله الساعي كليب
فأي المجد الا وقد ولينا (٦٥)
متى نعقد قرينتنا بحبل
تجُذ الحبل أو تقص القرينا (٦٦)
ونوجد نحن أمنعهم ذماراً
واوفاهم اذا عقدوا يمينا (٦٧)

(٦٣) يقول: ورثنا مجد عتاب وكلثوم وبهم بلغنا ميراث الأكارم فشرفنا بهم (٦٤) ذو البرة من بني تغلب سمي به لشعر علي انفه يستدير كالحلقة . يقول: ورثت مجد ذي البرة الذى اشتهر وعرف وبمجده محمينا سيدنا وبه نحمي الفقراء الملجئين الي الاستجارة بغيرهم (٦٥) يقول ومنا قبل ذي البرة الساعي للمعالي كليب . ثم قال واى المجد الا قد ولينا أى قربنا منه نحويناه (٦٦) يقول: متي قرنا ناقتنا بأخرى قطعت الحبل او كسرت عنق القرين . والمعنى متى قرنا بقوم في قتال او جدال غلبناهم . والجذ القطع . والوقص دق العنق (٦٧) يقول : نجدنا أمنعهم ذمة وجواراً واوفاهم باليمين والذمار

ونحن غداة اوقد في خزازى
رفدنا فوق رفد الرافدينا (٦٨)
ونحن الحابسون بذى أراطى
تسف الجلة الخور الدرينا (٦٩)
وكنا الأيمنين اذا التقينا
وكان الأيسرين بنو أبينا (٧٠)
فصالوا صولة فيمن يليهم
وصلنا صولة فيمن يلينا (٧١)
فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا بالملوك مصفدينا (٧٢)
اليكم يابنى بكر اليكم
ألما تعرفوا منا اليقينا (٧٣)
ألما تعرفوا منا ومنكم
كتائب يطعن ويرتمينا (٧٤)
علينا البيض واليلب اليماني
واسياف يقمن وينحنينا (٧٥)
علينا كل سابغة دلاص
ترى فوق النطاق لها غضونا (٧٦)
اذا وضعت عن الابطال يوماً
رأيت لها جلود القوم جونا (٧٧)

العهد · (٦٨) الرفد الاعانة . يقول ونحن غداة اوقدت نار الحرب في خزازى اعنا فوق اعانة المعينين (٦٩) تسف اى تأكل يابساً · والجلة الكبار من الابل . والخور الكثيرة الالبان والناقة خوراء . والدرين مااسود من النبت وقدم . يقول ونحن حبسنا اموالنا بهذا الموضع حتى سفت النوق الغزار الالبان قديم النبت وأسوده لاعانة قومنا ومساعدتهم علي قتال عدوهم (٧٠) يقول كنا حماة الميمنة اذا لقينا الاعداء، وكان اخواننا حماة الميسرة . (٧١) يقول لحمل بنو بكر علي من يليهم من الاعداء وحملنا نحن علي من يلينا منهم (٧٢) النهاب الغنائم والواحد نهب والاوب الرجوع. والتصفيد التقييد يقول . فرجع بنو بكر مع الغنائم والسبايا ورجعنا مع الملوك مقيدين (٧٣) يقول : تنحوا وتباعدوا عن مساماتنا ومباراتنا يابنى بكر ألم تعلموا من نجدتنا و بأسنا اليقين (٧٤) يقول: ألم تعلموا كتائب منا ومنكم يطعن بعضهن بعضاً ويرمي بعضهن بعضاً . وما في قوله ألما صلة زائدة (٧٥) اليلب نسج من سيور تلبس تحت البيض . يقول : وكان علينا البيض واليلب اليماني واسيافا يقمن أو ينحنين لطول الضراب بها (٧٦) السابغة الدرع الواسعة التامة . والدلاص البراقة والغضون جمع غضن وهو التشنج في الشيء (٧٧) الجون الاسود والجون

كأن غضونهن متون غدر
تصفقها الرياح اذا جرينا (٧٨)
وتحملنا غداة الروع جرد
عرفن لنا نقائذ وافتلينا (٧٠)
وردن دوارعاً وخرجن شعثاً
كأمثال الرصائع قد بلينا (٨٠)
ورثناهن عن آباء صدق
ونورثها اذا متنا بنينا (٨١)
علي آثارنا بيض حسان
نحاذر أن تقسم أو تهونا (٨٢)
أخذن علي بعولتهن عهداً
اذا لاقوا كتائب معلمينا (٨٣)
ليستلبن أفراساً وبيضاً
وأسرى في الحديد مقرنينا (٨٤)
ترانا بارزين وكل حي
قد اتخذوا مخافتنا قرينا (٨٥)
اذا ما رحن يمشين الهوينى
كما اضطربت متون الشاربينا (٨٦)
يقتن جيادنا ويقلن لستم
بعولتنا اذا لم تمنعونا (٨٧)

الابيض والجمع جون . يقول : اذا خلعها الابطال رأيت جلودهم سوداً لليسهم اياها (٧٨) الغدر جمع غدير، تصفقه ، تضربه، شبه غضون الدروع بمتون الغدران اذا ضربتها الرياح في جريها (٨٩) الروع الفزع ويريد به الحرب هنا. والجرد الخيول التى رق شعر جسدها. والنقائذ المخلصات من أيدى الاعداء . يقول : وتحملنا في الحرب خيل رقيقات الشعور قصارها عرفت لنا وفطمت عندنا وخلصناها من أيدى أعدائنا (٨٠) دوارع أى مدرعات . والرصائع هي عقد العنان علي قذال الفرس يقول : وردت خيلنا مدرعة وخرجن منها شعثاً قد بلين علي الأعنة (٨١) يقول : ورثنا خيلنا من آباء كرام شأنهم الصدق ونورثها أبناءنا اذا متنا (٨٢) يقول علي آثارنا نساء بيض حسان نحاذر عليها أن يسبيها الاعداء فتقتسمها وتهينها (٨٣ و ٨٤) يقول : قد عاهدن أزواجهن اذا قاتلوا الاعداء الذين وضعوا علي أنفسهم علامات ليعرفوا بها ان يثبتوا و يستلبوا أفراساً و بيضاً وأسرى (٨٥) يقول: ترانا خارجين الي الصحراء وقد خافنا جميع الاحياء (٨٦) الهوينى تصغير الهونى وهي تأنيث الأهون . يقول : اذا مشت هذه النسوة مشت الهوينى متمايلات كالسكارى (٨٧) يقول يعلفن افراسنا ويقلن لستم ازواجنا اذا لم تحمونا من سبى الاعداء.

ظعائن من بني جشم بن بكر
خلطن بميسم حسباً ودينا (٨٨)
وما منع الظعائن مثل ضرب
ترى منه السواعد كالقلينا (٨٩)
كأنا والسيوف مسللات
ولدنا الناس طراً أجمعينا (٩٠)
يدهدون الرؤس كما تدهدى
حزاورة بأبطحها الكرينا (٩١)
وقد علم القبائل من معد
اذا قبب بأبطحها بنينا (٩٢)
بأنا المطعمون اذا قدرنا
وان المهلكون اذا ابتلينا (٩٣)

(٨٨) ظعائن أى نساء . والميسم الحسن وهو من الوسام والوسامة . يقول : هن نساء من هذه القبيلة جمعن الحسب والدين (٨٩) يقول : وما منع النساء من السبي الا ضرب تطير منه السواعد كما تطير القلل (٩٠) يقول: كأنا نحال استلال السيوف من اغمادها ولدنا جميع الناس اى نحميهم حماية الوالد ولده (٩١) الحزاورة الغلمان يقول : يدحرجون رؤس أقرانهم كما يدحرج الغلمان الشداد الكرات في مكان مطمئن من الارض (٩٢) يقول : وقد علمت هذه القبائل انا نطعم الضيفان اذا قدرنا

وأنا المانعون اذا أردنا
وأنا النازلون بحيث شينا (٩٤)
وأنا التاركون اذا سخطنا
وأنا الآخذون اذا رضينا (٩٥)
وأنا العاصمون اذا أطعنا
وأنا العازمون اذا عصينا (٩٦)
ونشرب ان وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كدراً وطينا (٩٧)
ألا أبلغ بني الطماح عنا
ودعمياً فكيف وجدتمونا (٩٨)
اذا ما الملك سام الناس خسفاً
أبينا أن نقر الذل فينا (٩٩)

(٩٣) و(٩٤) و (٩٥) و(٩٦) و(٩٧) يقول : وانما نمنع الناس ما أردنا منعه اياهم وننزل حيث شئنا وانا نترك ما نسخط عليه ونأخذ الذى نرضاه ونعصم جيراننا اذا أطاعونا ونعزم أى نشتد عليهم اذا عصونا وانا نشرب صفو الماء ويشرب غيرنا كدره (٩٨) يقول : سل هؤلاء كيف وجدونا شجعان أو جبناء (٩٩) الخسف الذل والسوم أن تكلف انساناً مشقة وشراً . يقول : اذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له

ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملاه سفينا (١٠٠)
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجبابر ساجدينا (١٠١)

عمرو بن معدى كرب هو أبو عبد الله وقيل أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن ربيعة بن زبيد ينتهي نسبه لقحطان ويكنى أباثور وأمه وأم أخيه عبدالله امرأة من جرم وهى معدودة من المنجبات

كان من معدودى فرسان العرب قال ابو عبيدة عمرو بن معدى كرب فارس اليمن وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس

حكي زيد بن قحيف الكلابي قال سمعت أشياخنا يزعمون ان عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بني زبيد ، فبلغهم ان بني خثعم تريدهم فتأهبوا لهم ، وجمع معدى كرب ابو عمرو المذكور

(١٠٠) يقول عممنا الدنيا براً وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا (١٠١) يقول اذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا لعزتنا وشدة بأسنا

بني زبيد لقتالهم . فدخل عمرو وصاحب هذه الترجمة على أخته وقال لها أشبعيني اني غدا آتي الكتيبة : فجاءه أبوه معدى كرب فأخبرته ابنته بما قال عمرو . فقال هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت نعم . قال فسليه ما يشبعه ؟ فسألته . فقال عمرو فرق من ذرة ، وعنز رباعية قال وكان الفرق يومئذ ثلاثة آصع . فصنعت له ذلك وذبحت العنز وهيأت الطعام . فجلس عمرو عليه فسلته جميعاً . وأتتهم بنو خثعم في الصباح فلقوهم . وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفع رأسه فاذا لواء ابيه قائم ، فوضع رأسه . ثم رفعه فاذا اللواء قد زال . فقام كأنه محرقة فتلقى أباه وقد انهزم . فقال له انزل عنها . قال له أبوه اليك يامائق فقال له قومه خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته ، وان ظهر فهولك . فألقي ابوه سلاحه اليه ، وركب عمرو فرمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ثم كر عليهم وفعل ذلك مراراً وحملت معه بنو زبيد فانهزمت خثعم ، فقيل له من ذلك اليوم فارس بني زبيد

أدرك عمرو بن معدى كرب الاسلام وأسلم وكان من خبره في ذلك ما رواه المدائني

عن ابي اليقظان عن جويرة بن أسماء . قال اقبل النبي صلي الله عليه وسلم من غزوة تبوك يريد المدينة فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدى في رجال من قومه فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلي الله عليه وسلم فأمسك عنه حتى أعلم به فلما تقدم ورسول الله يسير قال عمرو حياك الملك أبيت اللعن (وهي كلمة كان العرب يقولونها اذا قابلوا الملوك)

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لعنة الله وملائكته والناس اجمعين علي الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فآمن بالله يؤمنك الله يوم الفزع الاكبر.

قال عمرو بن معدى كرب: وما الفزع الاكبر؟ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انه فزع ليس كما تحسب وتظن، انه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي الا مات الا ما شاء الله تعالي من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت الا نشر. ثم تلج تلك الارض بدوى تهد منه الارض ، وتخر منه الجبال ، وتنشق السماء انشقاق القبطية الجديدة ما شاء الله من ذلك . ثم تبرز النار فينظر اليها حمراء مظلمة قد صار لها لسان في السماء ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنت يا عمرو؟

فقال اني اسمع أمراً عظيما

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا عمرو أسلم تسلم

فأسلم وبايع قومه علي الاسلام . وكان ذلك في رجب سنة تسع

عن ابي عبيدة قال لما ارتد عمرو بن معدى كرب عن الاسلام مع من ارتد من مذحج استجاش فروة النبي صلي الله عليه وسلم فوجه اليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتم فعلي بن ابي طالب أميركم وهو علي الناس ، ووجه عليا فاجتمعوا بكسر من ارض اليمن فأقتتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض . يروى انه لما بلغ عمرو بن معدى كرب قرب مكانهم اقبل في جماعة من قومه ، فلما دنا منهم قال دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فاني لم اسم لاحد قط الا هابني . فلما دنا منهم نادى ابو ثور ، انا عمرو بن معدى كرب . فابتدره علي وخالد وكلاهما يقول لصاحبه خلني واياه ويفديه بأبيه وامه . فقال عمرو اذ سمع قولهما العرب تفزع مني وأراني لهؤلاء جزرا؟

فانصرف عنهما ثم رجع الي الاسلام

كان لعمرو بن معدى كرب سيف مشهور سماه الصمصامة فوقع الى آل سعيد ابن العاص وكان سبب وقوعه ان ريحانة بنت معدى كرب اخت عمرو بن معدى كرب سبيت في الوقعة المتقدمة فأفداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة فصار الى اخيه سعيد فوجد سعيد جريحا يوم قتل عثمان وقد ذهب السيف والغمد ، ثم وجد الغمد فلما قام معاوية جاء اعرابي بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر ، فقال سعيد هذا سيفي ، فجحد الاعرابي مقالته، فقال سعيد الدليل علي انه سيفي ان تبعث الى غمده فتغمده فيكون كفائه ، فبعث معاوية الي الغمد فأتي به من دار سعيد فاذا هو عليه فأقر الاعرابي انه أصابه يوم الدار فأخذه سعيد منه واثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدى من البصرة فأرسل الى آل سعيد فيه ، فقالوا انه السبيل فقال خمسون سيفا قاطعا اغنى من سيف واحد فأعطاهم خمسين الف درهم وأخذه

عن الشعبي قال ان عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن معدى كرب في الغنيمة الفين ، فقال له يا امير المؤمنين الف ههنا وأوما الي شق بطنه الايمن والف ههنا وأوما الي شق بطنه الايسر فما يكون ههنا؟ وأوما الي وسط بطنه ؟ فضحك عمر وزاده خمسمائة

قال ابو اليقظان قال عمرو بن معدى كرب لو سرت بظعينة وحدى علي مياه معد كلها ماخفت ان اغاب عليها مالم يلقني حراها وعبداها . الحران فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب . واما العبدان فأسود بني عبس يعني عنترة والسليك بن السلكة ، وكلهم لقيت فاما عامر بن الطفيل فسريع الطعن علي الصوت . واما عتيبة بن الحرث فأول الخيل اذا غارت وآخرها اذا آبت . واما عنترة فقليل النبوة شديد الكلب واما السليك فبعيد الغارة كالليث الضارى

عن قيس ان عمر بن الخطاب كتب الي سعد بن ابي وقاص اني قد امددتك بألفي رجل عمرو بن معدى كرب وطليحة ابن خويلد فشاورهما في الحرب ولا تولهما شيئاً . فمد عمر كلا منهما بألف

وعن قيس ايضاً قال شهدت وقعة القادسية وكان سعد بن ابي وقاص علي الناس فجاء رستم وهو من اشهر قواد الفرس

فجعل يمر بنا وعمرو بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحض الناس ويقول يامعشر المهاجرين كونوا أسداً أغنى رعباسا ، فانما الفارسي تيس بعد أن يلقي نيزكه . قال وكان مع رستم قائدهم أسوار لاتسقط له نشابة . فقيل له ياأبا ثور اتق ذلك . فانا لنقول له ذلك اذرماه رمية فأصاب فرسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كانا عليه وقباء ديباج

قال أبو زيد ان عمرو بن معدى كرب شهد حرب القادسية وهو ابن مائة وست سنين . وقيل بل ابن مائة وعشر سنين ولما قتل العلج (يريد قائد الفرس رستم المتقدم ذكره) عبر بنهر القادسية هو وقيس بن مكسوح المرادى ومالك بن الحرث الأشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به الى الارض فأقعي الفرس فرده وأتي بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع . فقال لاصحابه اني عابر الجسر فان أسرعتم بقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدى أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت وان ابطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت . ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يابنى زبيد علام تدعون صاحبكم والله مانرى ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فلا تقدر ان تتحرك من يده. فلما غشيناه رمي الاعجمي بنفسه وخلي فرسه فركبه عمرو وقال أنا ابو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني وغار

عن أبان ابن صالح قال قال عمرو ابن معدى كرب يوم القادسية الزموا خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل الا خراطيمها ثم شد علي رستم وهو علي الفيل فضرب فيله فجزم عرقوبيه وسقط من تحته خرج فيه أربعون الف دينار فحازه المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله وانهزم الفرس . وقيل ان الخرج سقط عليه فقتله

عن الشعبي قال جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن معدى كرب لطليحة أما ترى ان هذه الزعانف تزاد ولا نزاد ، انطلق بنا الي

هذا الرجل (يعنى عمر) حتى نكلمه . فقال هيهات والله لا القاه في هذا أبداً . فلقد لقيني في بعض فجاج مكة فقال ياطليحة أقتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيداً ظننت انه قاتلي ولا آمنه. قال عمرو ولكنني ألقاه . قال أنت وذاك فخرج الي المدينة فقدم علي عمر وهو يغدى الناس وقد جفن لعشرة عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو فاقعد مع عشرة حتى اكل مع ثلاثين ثم قام . فقال يا أمير المؤمنين انه كانت لي مآكل في الجاهلية منعني منها الاسلام ، وقد صررت في بطني صرتين وتركت بينهما هواء فسده

فقال له أمير المؤمنين عليك بحجارة من حجارة الجزيرة فسده بها. ياعمرو انه بلغني انك تقول ان لي سيفاً يقال له الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم والله ان وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك

حدث يونس وأبو الخطاب قالا لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجاناً ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد بن أبي وقاص الخمس ثم فرق البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل الفين ، وبقي مال دثر (أى كثير) فكتب الي عمر بما فعل فكتب اليه أن فض مابقي علي حملة القرآن. فأتاه عمرو بن معدى كرب ، فقال له سعد ما معك من كتاب الله ؟ فقال عمرو اني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن قال مالك في هذا المال نصيب . وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى صاحب جبانة بشر فقال له سعد مامعك من كتاب الله؟ قال بسم الله الرحمن الرحيم . فضحك القوم ولم يعطه شيئا. فقال عمرو في ذلك :

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد
قالت قريش الا تلك المقادير
نعطي السوية من طعن له نفذ
ولا سوية اذ تعطي الدنانير

وقال بشر بن ربيعة :

أنخت بباب القادسية ناقتى
وسعد بن وقاص علي أمير
وسعد أمير شره دون خيره
وخير أمير بالعراق جرير
وعند أمير المؤمنين نوافل
وعند المثنى فضة وحرير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا
بباب قديس والمكر عسير

عشية ود القوم لو أن بعضهم

يعار جناحي طائر فيطير

اذا مافرغنا من قراع كتيبة

دلفنا لاخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم

جمال بأحمال لهن زفير

فكتب سعد الى عمر بما قال لها وما ردا عليه و بالقصيدتين فكتب ان اعطها علي بلائهما . فأعطي كل واحد منهما الفي درهم

عن ابن قتيبة ان سعد بن ابي وقص كتب الي عمر بن الخطاب يثنى علي عمرو ابن معدى كرب . فسأل عمر عمرا عن سعد فقال . هو لنا كالأب اعرابي في نمرته اسد في تامورته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينعر في السرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة

فقال عمر لشد ماتقارضتما الثناء

وجاء رجل وعمرو بن معدى كرب واقف بالكناسة علي فرس له فقال لأ نظرن مابقي من قوة ابي ثور فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ففطن عمرو فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس لايقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه قال : ياابن اخي مالك ؟ قال يدى تحت ساقك . فخلي عنه وقال : ياابن اخي ان في عمك لبقية بعد

كان عمرو مع شجاعته ومواقفه المشهورة مشهورا بالكذب فحدث المبرد قال :

كانت الاشراف بالكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار و يتحدثون ويتذاكرون ايام الناس فوقف عمرو الى جانب الصقعب النهدى فأقبل عليه يحدثه و يقول اغرت علي بنى نهد فخرجوا الى مسترعفين بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسه

فقال له رجل ياابا ثور مقتولك الذى تذكره هو الذى تحدثه

فقال عمرو اللهم غفرا انما انت محدث فاستمع ، انما نتحدث بمثل هذا واشباهه لنرهب هذه المعدية

وقال محمد بن سلام ابت العرب الا ان عمرا كان يكذب . قال وقلت لخلف الاحمر وكان مولي للاشعريين وكان يتعصب لليمانية ، أكان عمرو يكذب ، قال كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال

وعن زياد مولي سعد قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول و بلغنا ان عمرو ابن معدى كرب وقع في الخمر وانه قد دله لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم العناء شديد النكاية للعدو . فقيل له فقيس ابن مكسوح ؟ فقال هذا أبذل لنفسه من قيس وان قيساً لشجاع

عن محمد ابن المرهبي : قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال : قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياماً ، ثم قال والله مالي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعني بأبي ثور عمرو ابن معدى كرب ، أسرج لي يا غلام . فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قربها اليه ليركبها قال له : ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الاسلام ، فأسرج لي حصاناً . فأسرجه فركبه وأقبل الي محلة بنى زبيد ، فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب فأرشد اليها فوقف ببابه ونادى أى أبا ثور اخرج الينا . فخرج اليه مؤتزراً كأنما كسر وجبر . فقال انعم صباحا ابا مالك . قال عيينة أو ليس قد أبدلنا الله بهذا (السلام عليكم) ؟ قال دعنا مما لا نعرف . انزل فان عندنا كبشاً ساحا . فنزل فعمد الي الكبش فذبحه ، ثم كشف جلده عنه وعضاه وألقاه في قدر جماح وطبخه حتى اذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها وألقى القدر عليها فقعدا فأكلاه . ثم قال عمرو أى الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال عيينة أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا في الاسلام . قال عمرو أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال عيينة أنت. قال عمرو فأنت أقدم اسلاماً أم أنا ؟ قال عيينة أنت . قال عمرو فاني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً الا أنه قال فهل انتم منتهون ؟ فقلنا لا ، فسكت وسكتنا

فقال له عيينة انت أكبر سنا واقدم اسلاماً . فجاء بها فجلسا يتنادمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا . فلما أراد عيينة الانصراف . قال عمرو بن معدى كرب ولئن انصرف ابو مالك بغير حباء انها لوصمة علي . فأمر بناقة له أرحبية كأنها جبيرة لجين فارتحلها وحمله عليها ثم قال ياغلام هات المزود . فجاء بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه . فقال عيينة اما المال فوالله لا قبلته . قال عمرو ابن معدى كرب فوالله انه من حباء عمر

ابن الخطاب . فلم يقبله عينة . وانصرف
وهو يقول :

جزيت ابا ثور جزاء كرامة
فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وافدتنا
خبية علم لم تكن قط تعرف
وقلت حلالاً ان ندير مدامة
كلون انبعاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية
تردالي الانصاف من ليس ينصف
وانت لنا والله ذي العرش قدوة
اذا صدنا عن شربها المتكلف
تقول ابو ثور احل حرامها
وقول ابي ثور أسد وأعرف

وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأُبي المرادى قوماً في الجاهلية فأصابا غنائم ، فادعي أُبي انه قد كان مسانداً له فأبي عمرو ان يعطيه شيئاً . ثم بلغ عمراً ان ابيا يتوعده فقال عمرو في ذلك قصيدة اولها :

أعاذل سكتي بدني ورمحي
وكل مقلص سلس القياد
أعاذل انما أفنى شبابي
وأقرح عاتقي ثقل النجاد
تمناني ليلقاني ابي
وددت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي
تكشف شحم قلبك عن سواد
اريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

وهذا البيت كان يتمثل به علي بن ابي طالب في بعض المواطن
ومن شعر عمرو بن معدى كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني واصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصباً
كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس
تكشف عن سواعدها الدروع
اذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه الي ما تستطيع
وصله بالزمان فكل امر
سماك له او سموت له ولوع

وهي طويلة
كان سبب موت عمرو بن معدى كرب ماحكاه قتيبة وغيره قالوا : كانت مغازى العرب اذ ذاك بالرى ودمستى فخرج عمرو مع شباب من مذحج

حتى نزل الخان الذى دون روذة فتغدى القوم ثم ناموا . وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته . وكان عمرو اذا اراد الحاجة لم يجترى أحد ان يدعوه وان ابطأ . فقام الناس للرحيل وترحلوا الا من كان في الخان الذى فيه عمرو . فلما ابطأ صاحوا به ياابا ثور فلم يجبهم وسمعوا علزاً شديدا ومراسا في الموضع الذى دخله ، فقصدوه واذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا ، فحملوه علي فرس وامروا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن علي قارعة الطريق . فقالت امرأته الجعفية ترثيه :

لقد غادر الركب الذين تحملوا
بروذة شخصا لاضعيفا ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها
فقدتم ابا ثور سنانكم عمرا
فان تجزعوا لايغن ذلك عنكم
ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا

﴿ عمر بن الخطاب ﴾ هو الخليفة الثاني لرسول الله صلي الله عليه وسلم وهو اول من دعي امير المؤمنين
وهو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرشي العدوى
وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وقيل هي حنتمة بنت هشام بن المغيرة فعلي هذا تكون أخت ابي جهل وعلي الاول تكون بنت عمه
كان في الجاهلية من الذين انتهي اليهم الشرف من قريش اذ كانت له السفارة أما صناعته فكان تاجراً وبقي كذلك الى ان ولي الخلافة
كان عمر مشهوراً في الجاهلية بالشدة وعزة الجانب والمنعة علي انه لم يكن غنياً . وكان يرعي الغنم لأبيه وهو صغير حتى قال يوماً وقد مر بمكان اسمه ضجنان بعد ان ولي الخلافة

« كنت أرعي للخطاب بهذا المكان فكان فظا غليظا فكنت ارعي احيانا واحتطب احيانا فأصبحت أضرب الناس ليس فوقي أحد الا رب العالمين . ثم قال

لاشيء مما ترى الا بشاشته
يبقي الاله ويودى المال والولد

وقد اعز الله المسلمين باسلام عمر . فقد كانوا قبل اسلامه يجتمعون في دار الأرقم مستخفين لشدة قريش عليهم وكان النبى صلي الله عليه وسلم يتوقع خير المسلمين

باسلام أحد العمرين وهما عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام أعني أبا جهل

فأسلم عمر في ذى الحجة لمضي ست وعشرين سنة

فلما أسلم قال يارسول الله ملام نخفي ديننا ونحن علي الحق وهم علي الباطل ؟ فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم انا قليل وقد رأيت مالقينا. فقال له عمر والذى بعثك بالحق لايبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ثم خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة من هذا اليوم سمي رسول الله عمر بالفاروق لانه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل

لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

صحب عمر رسول الله صلي الله عليه وسلم أحسن صحبة و بذل في نصره ماله ونفسه ، وجاهر بالاسلام حتى أعزه . ولما أمر النبى صلي الله عليه وسلم بالهجرة هاجر جميع الصحابة مستخفين الاعمر فانه لشدة بأسه هاجر علي ملأ قريش ، فتقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضي في يده اسهما واختصر عنزته ومضي قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعاً ثم اتي المقام فصلي متمكنا ثم وقف علي حلقات قريش واحدة واحدة وقال لهم : شاهت الوجوه لايرغم الله الا هذه المعاطس من اراد أن تثكله أمه و يؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادى . قال علي بن ابي طالب فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضي لوجهه

أمضي عمر بن الخطاب ايام صحبته لرسول الله في الدفاع عنه و بذل حياته في سبيل دعوته وكان يظهر في ذلك من الغيرة وشدة العناية مالا يصدر الا ممن شرح الله صدره للاسلام فهو علي نور من ربه

(كيف انتخب للخلافة)

أخرج الامام ابن الجوزى في السيرة العمرية عن عاصم قال : جمع ابو بكر الناس وهو مريض فأمر من يحمله الي المنبر فكانت آخر خطبة خطب بها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فانها غرارة ، وآثروا الآخرة علي الدنيا وأحبوها فبحب كل واحدة منهما تبغض الاخرى وان هذا الامر الذى هو أملك بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به اوله، ولا يتحمله الا افضلكم مقدرة ، واملككم لنفسه اشدكم في حال الشدة ، واسلسكم في حال اللين ، واعلمكم برأى ذوى الرأى لايتشاغل بما لايعنيه ، ولا يحزن لما نزل به ، ولا يستحيي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوى علي الامور ، لا يجوز بشيء منها حده بعدوان ولا تقصير، يرصد لما هو آتيه عتاده من الحذر والطاعة ، وهو عمر بن الخطاب »

ثم نزل فحمل الساخط امارته الراضي بها علي الدخول معهم

تولي عمر بن الخطاب باجماع من المسلمين فكان مثال العدل والزهد والمرحمة ضرب به المثل في حب الرعية والسهر علي راحتها ، والدأب علي ما فيه صلاحها

لما تمت له البيعة صعد المنبر فخطب الناس فقال بعد ان حمد الله وصلي وسلم علي نبيه

« انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما فورب الكعبة لأحملنهم علي الطريق »

اول عمل عمله عمر ارساله ابي عبيدة لحرب الفرس ، وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش بالشام واسنادها لابي عبيدة عامر بن الجراح ، و بعث يعلي بن امية لاجلاء نصارى نجران من بلادهم باليمن

كان اهل نجران قد اوفدوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وفداً يصالحونه علي دفع الجزية فصالحهم وكتب لهم بذلك كتابا جعل لهم فيه ذمة الله وعهده ان لا يفتنوا عن دينهم ومراتبهم فيه ولا يحشروا ولا يعشروا وان يؤمنوا علي انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وعيرهم و بعثهم وامثلتهم لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا يطأ ارضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، لهم ذلك ما رعوا العهد ونصحوا ولم يأكلوا الربا

فلما استخلف ابو بكر أقرهم علي ما هم عليه . فلما تولي عمر رأى من المصلحة اجلاءهم عن جزيرة العرب حتى لا يكون في جزيرة العرب دينان. فأرسل اليهم يعلي ابن امية واوصاه بقوله :

« اليهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من اقام منهم علي دينه واقرر المسلم وامسح ارض كل من تجلي منهم ثم خيرهم البلدان • وأعلمهم انا نجليهم بأمر الله ورسوله ان لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من اقام علي دينه منهم ثم نعطيهم ارضاً كأرضهم اقراراً لهم بالحق علي انفسنا ووفاء بذمتهم فيما امر الله من ذلك بدلا بينهم و بين جيرانهم من اهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف »

وكتب لهم كتاباً هذا صورته:

« اما بعد فمن وقعوا به من اهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الارض وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان ارضهم باليمن »

فنزل بعضهم الشام و بعضهم النجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت

نقول لا ندرى كيف لم يسع عمر رضي الله عنه ماوسع النبي صلي الله عليه ولابا بكر من ترك اهل نجران وعدم اجلائهم • ان كان استند علي ماورد عن النبي صلي الله عليه وسلم من قوله : (لا يبقين في جزيرة العرب دينان) فلم نفهم كيف قال رسول الله ذلك ولم ينفذه وكيف علمه ابو بكر ولم يعمل به ؟

الحقيقة ان عمر سلك في هذا الامر مسلكا اجتماعياً بحتا فراعي مصلحة الامة العربية في عزلها عن الاختلاط بأهل الملل الاخرى وقد عهد مثل هذا العمل في كل امة تسود سواها لتأمن شر الانتقاض عليها او دس الدسائس فيها • فان دولة الروسيا فرقت ملايين من التتار في جميع البلاد الروسية فنقلت قرى برمتها وجعلت مكانها قرى روسية حتى لا نصبح للتتار بين عصبة يثورون بها عليها في يوم من الأيام ولو عملت الدولة العثمانية مثل ذلك بمقدونيا وتراقية والبانيا و بلغاريا وصربيا و بولونيا ورومانيا ايام كانت تملكهم لأصبحت كل تلك الممالك لها الآن ولم تكن بؤرات قلاقل اضعفتها بحروبها الاهلية . فما فعله عمر رضي الله عنه كان من قبيل عمل الامم الاستعمارية فأجلي اهل نجران ليأمن شر الدسائس والفتن وهو وجه يبيحه ناموس التغالب الحيوي لاسيما وقد حاطه امير المؤمنين بكل مايتصور من ضروب العدل والانصاف والرحمة . فلم يأمر اهل نجران بالهجرة فتضطرهم لبيع املاكهم بالبخس بل أرسل اليهم من تولى امر نقلهم وامر

ولاته بالاحسان اليهم وابدالهم ارضا من ارضهم وهذا غاية ماعرف من العدل وليس له نظير في تاريخ الامم المتغلبة فأين هذا من امم تطرد غير المتدينين بدينها حفاة عراة لا يملكون شيئاً فيهلكوا في الطريق او يضطروا للارتداد عن دينهم كما فعلت دوله الاندلس في القرن الخامس عشر حين استولت علي آخر ما كان في ايدى العرب من الاندلس فطردت ستة ملايين عربي وامرتهم ان لا يهاجروا الي بلاد المسلمين فتمزقوا ايدى سبا ونالهم من الجوائح ما لا يخطر علي بال بشر

(فتح الشام)

كان ابو بكر الصديق وجه ابا عبيدة وخالد بن الوليد لفتح الشام فحدثت واقعة اليرموك حيث انهزم الرومان شر انهزام فأسرع هرقل امبراطور الرومان الي مدينة حمص وجعلها مقراً لأعماله الحربية وولي اخاه القيادة العامة

اما قائد المسلمين ابو عبيدة فانه بعد انتصاره في وقعة اليرموك خرج حتى نزل بمرج الصفر وهناك سمع بأن المنهزمين اجتمعوا بفحل وان مددا اتي اهل دمشق فلم يدر أيبدأ بدمشق ام بفحل ، فكتب يستشير عمر فأمره بأن يبدأ بدمشق لانها عاصمة الشام فتقدم اليها وحاصرها نحواً من سبعين يوماً وكان ابو عبيدة ارسل جيشاً تحت امرة ذى الكلاع ليرد عن دمشق كل مدد يأتي من حمص فضعف أهل دمشق عن تحمل الحصار . وفي أثناء ذلك ولد لقائد دمشق مولود فاحتفل به أهلها فأكلوا وشربوا وغفلوا عن مواقعهم فاتخذ خالد بن الوليد سلالم من الحبال و ندب معه جماعة فتسوروا السور ونزلوا الى الباب ففتحوه وامر الجيش بأن يقتحمه فهاج اهل دمشق وطلبوا الصلح وفتحوا جميع ابواب المدينة

وقد روى البلاذرى ان سبب فتح دمشق ان خالد بن الوليد اتفق مع أسقف من اساقفتها اعطاه خالد الامان عند مروره بها او مجيئه الي الشام والاول أصح

اما الصلح فكان علي دينار علي كل رأس وجريب من الحنطة علي كل جريب من الارض وعلي المقاسمة علي العقار والدينار وقد وهن بعضهم امر المقاسمة ولم يقبلها . وكان فتح هذه المدينة

في اواخر سنة ١٣ وبعضهم قال في اوائل المحرم سنة ١٤ وبعضهم قال انها فتحت في رجب سنة ١٤

(وقعة فحل)

بعد فتح دمشق اتجه جيش المسلمين لمناجزة هرقل امبراطور الرومان فسار اليه ابو عبيدة فبعث خالد بن الوليد في المقدمة وجعل نفسه وعمرو بن العاص علي الميمنة والميسرة وجعل علي الخيل ضرار بن الأزور وعلي المشاه عياضا وسلم القيادة العامة لشرحبيل بن حسنة . فلما انتهوا الي ابي الاعور وكان بين الاردن وبين دمشق يمنع المدد عن أهل دمشق قدموه الي طبرية فحاصرها ونزلوا هم بفحل . وكان الرومان قد أغرقوا الارض بينهم وبين فحل فوقف المسلمون دونها فأراد الرومان ان يباغتوهم فهجموا عليهم ليلا فدارت رحي قتال عنيف انهزم فيه الرومان وانتهوا الي تلك الاوحال فلم يستطيعوا اجتيازها فأسروا جميعاً

ثم انصرف ابو عبيدة ومعه خالد الي حمص وسار شرحبيل بن حسنة الي بيسان وطبرية ، ويزيد بن ابي سفيان الي سواحل الشام

اما اهل بيسان فتحصنوا في مدينتهم ثم انتهي امرهم بالصلح . وصالح أهل طبرية ابا الاعور علي ان يبلغ الامر الى شرحبيل . ونزل قواد المسلمين في مدن نهر الأردن وقراها

فلما علم امبراطور الرومان بما حل بجنده رأى أن يرسل جيشاً الي دمشق ليشغل ابا عبيدة عن حمص فنزل ذلك الجيش في مرج الروم غرب دمشق فأسرع ابو عبيدة ومعه خالد فنازلا ذلك الجيش الذي سار قسم منا الى دمشق فتبعه خالد واستقبله يزيد ابن ابي سفيان فاقتتلوا فلم يفلت منهم الا الشريد وقتل خالد بيده قائدهم

اما ابو عبيدة فقاتل من كان تخلف من ذلك الجيش بمرج الروم فأصاب الرومان فزع عظيم وقتل قائدهم

(فتح سواحل الشام)

ذكرنا ان ابا عبيدة وجه يزيد بن ابي سفيان لفتح سواحل الشام فجعل يزيد علي مقدمته اخاه معاوية ابن ابي سفيان ففتح صيدا ثم عرقة وجبيل وبيروت . ثم ان الرومان استردوا بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واول

خلافة عثمان فقاتلهم معاوية حتى أجلاهم عنها

(فتح حمص)

أما أبو عبيدة فقصد حمص عن طريق بعلبك وقدم السمط بن الاسود اليها وأرسل خالد بن الوليد الي البقاع فافتتحها ونزل أهل بعلبك فصالحوا أبا عبيدة

ثم انه توجه الى حمص فوجد السمط ابن الاسود قد صالحهم فأجاز صلحه وقيل بل فتحها بعد قتال عنيف

(فتح فلسطين واجنادين)

لما سار أبو عبيدة من فحل الي حمص وافتتح عمرو بن العاص وشرحبيل بيسان وصالحهم أهل الأردن وقصد عمرو فلسطين كتب أمير المؤمنين الي يزيد بن أبي سفيان ليشد أزرهم من خلفهم وان يسرح معاوية الي قيسارية وأمر عمرو بن العاص بمقابلة القائد الروماني المشهور المسمى (الارطبون) في (اجنادين) ووجه علقمة بن محرز لصد القائد الروماني المسمي الفيقار في غزة فسار معاوية الي قيسارية وكان فيها مائة الف جندى للرومان فافتتحها

وأما علقمة بن محرز فحصر الفيقار وضيق عليه

وأما عمرو بن العاص فسار نحو الارطبون وتتابعت علي الاول الامداد وسفرت بينهما السفراء ثم ان عمرو تظاهر بأنه سفير ودخل علي الارطبون فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه . فحدثت الارطبون نفسه بأن هذا السفير هو عمرو ذاته فأرصد له بالطريق من يقتله ففطن عمرو لذلك فاحتال بحيلة وذلك انه قال للارطبون قبل أن يبرح معسكره ان معي قوماً هم شركائي في الرأى فأمرني أن أذهب فآتيك بهم فأجابه الارطبون الي ذلك وأرسل لمن أرصده لقتله أن لا يتعرض له فذهب عمرو ولم يعد

فلما عاد عمرو الي معسكره أمر جنوده بالزحف فحدث قتال عنيف انتهي بهزيمة الارطبون فتقهقر الى ايليا فأفرج له المسلمون الذين كانوا يحاصرونها ودخلها ثم اضطر للتقهقر الي اجنادين

(فتح بيت المقدس)

لما فتح عمرو اجنادين ترك أهل ايليا أى بيت المقدس محصورين وشرع يتمم فتح مدن فلسطين فافتتح غزة ولد ونابلس وبيت جبرين ومرج عيون ويافا ثم قصد بيت المقدس وأخذ يخابر بها

الارطبون فامتنع عليه، فرأى عمرو ان أمرها سيلتوى عليه فكتب الي عمرو يقول:

« اني أعالج حربا كؤداً صدوما ،
وبلاداً ادخرت لك فرأيك »

فلما قرأ عمر الكتب حشد جيشاً وقصد بيت المقدس لفتحها

ويقال ان سبب مجيء عمر نفسه ان أهل بيت المقدس طلبوا الصلح علي شرط أن يكون المتولي للعقد هو امير المؤمنين نفسه

سار عمر وكتب للامراء ان يوافوه بالجابية فكان اول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ثم أبو عبيدة ثم خالد علي الخيول وعليهم الديباج والحرير فكبر علي عمر أن يرى آثار التنعم بادية علي رجاله بعد تلك الخشونة والشظف فنزل عن دابته وأخذ أحجاراً من الارض فرماهم بها وقال:

« سرع ما لفتم عن رأيكم • اياى تستقبلون بهذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين • سرع ماندت بكم البطنة، وتالله لو فعلتموها علي رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم »

فقالوا ياأمير المؤمنين انها يلامعوان علينا السلاح (اليلامعة مالمع من السلاح)

قال عمر فنعم اذن. وركب حتى دخل الجابية وبينما هو بها اذ جاء اهل ايلياء طالبين الصلح خائفين علي كنيستهم العظمي وقبلتهم المقدسة فأمنهم عمر رضي الله عنه علي أموالهم واعراضهم ودينهم وكتب لهم بذلك عهداً وكان ذلك سنة (١٥) وقيل (١٦)

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهي الى المسجد الأقصي فصلي فيه. ثم قام الي كناسة أى زبالة كان الروم جعلوها علي مكان هيكل اليهود هدموه والقوا عليه تلك الزبالة نكاية في بنى اسرائيل وقال أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا في أصلها وحثا التراب في ذيل ثوبه، فسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء النظام في كل شيء. فقال ما هذا؟ فقالوا كبر كعب الاحبار وكبر الناس بتكبيره. وكان كعب هذا حبر من أحبار اليهود بالمدينة صحب النبى وصاحبيه ولم يشأ أن يسلم حتى تتحقق جميع العلامات التى قرأها في كتب بنى اسرائيل عن النبى وأصحابه ثم أسلم في خلافة عثمان • فقال عمر عليَّ به • فأتي به فسأله عن سبب تكبيره • فقال ياأمير

المؤمنين انه قد تنبأ بما صنعت نبى منذ خمسمائة سنة وسرد له الخبر

(فتح حماة واللاذقية وقنسرين)

فتح هذه البلاد ابو عبيدة قبل مسيره من حمص وقيل فتحها بعد عودته من بيت المقدس . صالحه اهل حماة ثم بعث خالد ابن الوليد الى قنسرين وسار هو الي اللاذقية فامتنع عليه اهلها فأمر الجند ان يحفروا اسرابا في الارض كل سرب يستر الرجل وفرسه . ثم انه اظهر القفول الى حمص فلما جن عليهم الليل عادوا الي معسكرهم وحفائرهم واهل اللاذقية يظنون انهم انصرفوا ففتحوا بابهم وخرجوا سرحهم فلم يرعهم الا أن صبحهم المسلمون فطلبوا الامان فقوطعوا علي خراج يؤدونه وبنى المسلمون بها مسجداً لهم

واما خالد فلما وصل الى قنسرين زحف اليه قائدها ميناس بجيش الرومان فاقتتلوا قتالا عنيفا فقتل ميناس واسلم بعض أهلها واقام بعضهم علي النصرانية ثم أسلموا بعد ذلك

فلما فرغ من حاضر قنسرين وهي قرية قريبة من قنسرين تحصن منه اهل تلك المدينة فقال لهم خالد : انكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم اولانزلكم الله الينا . فنظروا في امرهم فرأوا أن يصالحوه فأبي الا اخراب قلمتها فأخربها

أما هيرقل فقصد بعد حمص انطاكية ثم انتقل عنها الي الرها في الجزيرة ليجمع جيشاً يمد به اهل حمص قبل سقوطها فتفطن له المسلمون فأرسلوا اليه عمرو بن مالك من قبل قرقيسيا وعبد الله ابن المعتم من الموصل والوليد بن عقبة من الجزيرة بجيوش من المسلمين . وكذا لحقهم من قنسرين خالد بن الوليد وعياض ابن غنم فاضطر هيرقل أن يرحل الي القسطنطينية

فلما بلغ عمر مافعله خالد قال : امر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان أعلم منى بالرجال

ويقال أن عمر قال هذا القول لمافتح خالد قنسرين وقد كان عمر قد عزله عن القيادة العامة وعزل المثنى بن حارثة الشيباني وقال : اني لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموها فخشيت ان يوكلوا اليهما

ولما بلغ هرقل القسطنطينية لحقه رجل كان اسيرا في يد المسلمين فأحضره

هرقل وسأله عن هؤلاء القوم

فقال الرجل احدثك كأنك تنظر اليهم هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون بذمتهم الا بثمن (يعنى من اهل البلاد التى دخل اهلها في ذمتهم) ولا يدخلون الا بسلام ؟ يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه

فقال هرقل : لئن صدقتنى ليرثن ما تحت قدمي هاتين

(فتح حلب وانطاكية وغيرهما)

لما اتم ابو عبيدة فتح حماة وقنسرين واللاذقية وغيرها سار الي حلب وعلي مقدمته عياض ابن غنم الفهرى فوجد اهلها متحصنين لحاربهم فطلبوا الصلح فصالحهم

ثم قصد حاضر حلب وكان كحاضر قنسرين يجمع اصنافاً من العرب فصالحهم ابو عبيدة علي الجزية ثم انهم اسلموا بعد

ثم قصد ابو عبيدة وتقدم فحاصر المدينة فانتهي الامر بالصلح وسار عنهم فنقضوا العهد فأرسل اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة الفهرى فتحاها علي الصلح الاول

(كرة هيرقل علي سورية)

لما تم للمسلمين فتح سورية بعد ان عالجوا حربها ثلاث سنين ماشعروا الا وهرقل قادم بجند كثيف من حمص بطريق البحر . وكان ابو عبيدة اذ ذاك في حمص فاستمد خالداً فجاءه بمن معه

فكان من رأى خالد ابن الوليد ان يناجز عدوه ولا يتأخر عنه لأنه كان معروفاً بالشدة واشار عليه غيره بأن يكتب لعمر يستشيره فكتب له . وكانت جيوش هيرقل قد وصلت وتواردت عليه الامداد من كل وجه

فكتب امير المؤمنين الي سعد بن ابي وقاص في العراق ان ابا عبيدة قد احيط به ولزم حصنه فبث المسلمين بالجزيرة وشغلهم بالمسلمين عن أهل حمص . وكان عمر قد جعل في كل مصر قدراً من الخيل

فلما وصل كتاب امير المؤمنين الي سعد ارسل جيشاً مع القعقاع بن عمرو وغيره وامرهم ان يسلك كل قائد طريقا الي الجزيرة فيقصد واحد قرقيسياء والآخر الرقة والثالث نصيبين والرابع حران والرها وخرج عمر بن الخطاب نفسه ممداً لابي عبيدة فنزل الجابية . فلما بلغ الروم ذلك انفضوا الي مدائنهم وبادروا المسلمين

اليها فتحصنوا ونزل المسلمون عليهم فمنعوهم من امداد هيرقل فدب الفشل الي جنوده

فقال المسلمون لابي عبيدة قد تفرق اهل الجزيرة عن هيرقل وندم اهل قنسرين فأخرج بنا الى هرقل وخالد بن الوليد ساكت . فقال له ابو عبيدة مالك لا تتكلم

قال :

قد عرفت الذى كان من رأيي فلم تسمع من كلامي

قال له ابو عبيدة فتكلم فاني اسمع منك واطيعك

قال خالد : فاخرج بالمسلمين فان الله تعالي قد نقص من عدتهم (يعنى الروم) وبالمدد يقاتلون ، وانما نقاتل منذ اسلمنا بالنصر فلا تحملك كثرتهم .

فجمع ابو عبيدة الناس وخطبهم قائلا:

« ايها الناس ان هذا يوم له ما بعده اما من حيي منكم فانه يصفو له ملكه وقراره ، واما من مات منكم فانها الشهادة فأحسنوا بالله الظن ولا يكرهن اليكم الموت امر قد اقترفه احدكم دون الشرك توبوا الي الله وتعرضوا للشهادة فاني اشهد وليس اوان الكذب اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»

ثم خرج في قلب جيشه وعلي ميمنته خالد وعلي ميسرته عباس وكان علي باب المدينة معاذ بن جبل فانهزم الرومان وولوا الادبار . وتم بذلك فتح الشام ويئس منها هرقل الى الابد

اما القواد الذين حضروا وقائعها من المسلمين فهم ابو عبيدة بن الجراح القائد العام ثم يليه خالد بن الوليد وكان له الاثر الاكبر في تلك الحروب كما رأيت وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص ويزيد ابن ابي سفيان واخوه معاوية الذى تولى الخلافة بعد وحبيب بن مسلمة الفهرى وعياض بن غنم الفهرى وشرحبيل بن حسنة وذو الكلاع الحميرى والقعقاع بن عمرو والسمط بن الاسود الكندى وعلقمة ابن مجزز وعلقمة بن حكيم الفراسي وعبادة ابن الصامت ومالك بن الاشتر النخعي ومسروق بن فلان العكي وابو ايوب المالكي وغيرهم

(فتح العراق وفارس)

لما ولي عمر الخلافة انتدب الناس لفتح بلاد الفرس فلم ينتدب له احد لتوهم الناس ان امر فارس يلتوى عليهم ولا يسهل

لم لما اشتهرت به من قوة الشوكة وشدة الصولة

ثم عاد عمر فانتدب الناس وقال :

« ان الحجاز ليس لكم بدار الا علي النجعة (أي المرعي) ولا يقوى عليه اهله الا بذلك . أين القراء المهاجرون عن موعود الله . سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فانه قال (ليظهره علي الدين كله) والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي اهله مواريث الامم اين عباد الله الصالحون ؟ »

فكان أول من لباه أبو عبيد بن مسعود الثقفي وثنى سعد بن عبيد وسليط ابن قيس فأمر ابا عبيد علي الجيش وقال له :

« اسمع من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وأشركهم في الامر ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف ، ولم يمنعني ان أؤمر سليطا الا سرعته الي الحرب ، وفي التسرع الي الحرب ضياع الا عن بيان الله ، ولولا سرعته لأمرته ولكن الحرب لا يصلحها الا المكيث »

خرج ابو عبيد في آخر جمادى الاولي وأوائل جمادى الآخرة سنة (١٣) الي الحيرة من بلاد العرب وكانت تحت حماية الفرس وكان عليها امرأة يقال لها بوران فاستدعت القائد رستم المشهور وسلمته القيادة العامة فالتقى أحد قواده المدعو جابان بجيش أبي عبيد بالنمارق فانهزم وأسر

وتقدم أبو عبيد الى كسكر فالتقي هناك بقائد فارسي اسمه نرسي فهزمه بمكان يدعي السقاطية

ثم تقدم ابو عبيد الى الحيرة فلقيه قائد من قواد الفرس اسمه بهمن جاذوية وكان معه جنود مدربون وعدة لم ير مثلها المسلمون فعبر أبو عبيد نهر المروحة ترغما عن نصيحة سليط بن قيس بعدم عبوره فقابلهم الفرس فقتل أبو عبيد في المعركة فاشتد كلب الفرس فهزموا المسلمين فهموا بالرجوع فعمد رجل من ثقيف الي الجسر فهدمه قاصدا بذلك منع الهزيمة فكان في ذلك شر كبير اذ أعمل الفرس في المسلمين السيوف فبادر المثنى بن حارثة وجماعة فحمي الناس حتى أصلحوا الجسر ثم مروا عليه الي الضفة الاخرى

بلغ أمر هذه الهزيمة عمر فأرسل اليهم مدداً تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي

ثم تواردت اليه جموع من العرب لامداده فلما احس الفرس بشدة المسلمين ارسلوا اليهم قائداً مدربا اسمه مهران فعبر لهم النهر فعبأ المثني بن حارثه جنوده احسن تعبئة و بقي الفرس ودارت رحا الحرب ثم انتهت بهزيمة الاعجام شر هزيمة

كانت مملكة الفرس في هذ الاثناء في شر من التفرق عظيم ، فقد كان كل رئيس متغلباً علي ما لديه ليس لهم ملك يجمع كلمتهم . فلما ادرك الفرس سوء المغبة بمداهمة المسلمين لهم اجتمع رأيهم علي تعيين ملك عليهم لتلتف القلوب حوله فولوا عليهم يزد جرد بن شهريان من آل كسرى فالتفت القلوب عليه مع ضعفه وتباروا في طاعته فأعد كل ما يستطيع من عدة لقتال المسلمين

فلما بلغ عمر ذلك اهتم له غاية الاهتمام وكتب الي عماله يستنفر الناس لقتال الفرس وخرج هو فعسكر علي ماء بقرب المدينة والناس معه لا يعلمون شيئاً ثم اخبر الناس بعزمه علي الخروج بنفسه للفرس وطلب اليهم رأيهم فأجمعوا علي ان يبعث رجلا من الصحابة المشهورين بالقيادة ويقيم هو لا مداده

فرضي منهم هذا الرأى ولكنه حار في انتخاب قائد محنك وبينما هو يشاور أصحابه اذ ورد عليه كتاب من سعد بن أبي وقاص وكان عاملا له علي صدقات هوازن . فقال بعض الناس لعمر قد وجدته . قال عمر فمن ؟ قال ذلك البعض : الاسد عاديا . قال عمر من هو ؟ قالوا سعد بن أبي وقاص

فعينه عمر لقتال الفرس وأوصاه بقوله :

« يا سعد سعد بني وهيب لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن فان الله ليس بينه و بين احد نسب الا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الامر الذى رأيت النبي صلي الله عليه وسلم منذ بعث الي ان فارقنا فالزمه فانه الامر . هذه عظتي اياك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين »

ثم لما اراد ان يسرحه قال له :

« اني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي فانك تقدم علي امر شديد كربه

لايخلص منه الا الحق ، • فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عادة عتاداً فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر علي ما اصابك او نابك يجتمع لك خشية الله . واعلم ان خشية الله تجتمع في امرين في طاعته واجتناب معصيته ، وانما اطاعه من اطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا و بغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء منها السر ومنها العلانية . فأما العلانية فان يكون حامده وذامه في الحق سواء . واما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه علي لسانه و بمحبة الناس فلا تزهد في التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم وان الله اذا احب عبداً حببه واذا بغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في امرك »

سار سعد بن ابي وقاص بأربعة آلاف مقاتل ولحق به من لحق من الامداد فما وصل القادسية الا و كان معه ثلاثون الفاً فلم يجد بها جنداً من الفرس فأخذ يبث السرايا هنا وهناك . ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط بمائة الف مقاتل

فبادر سعد بن ابي وقاص بإرسال وفد الي يزدجرد ليعرض عليه الدخول في الاسلام أو الجزية منهم الاشعث بن قيس وعمرو بن معدى كرب الزبيدى والمغيرة ابن شعبة . فجمع يزدجرد وجوه دولته وقابلهم . فلما مثلوا لديه ، قال يزدجرد للترجمان سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الي غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن اجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته . فقالوا بل تكلم فقال :

« ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير و ينهانا عن الشر ووعدنا علي اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم امر أن نبتدىء الي من خالفه من العرب ، فبدأنا بهم فدخلوا معه علي وجهين مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد . فعرفنا جميعا فضل ما جاء به علي الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم امرنا ان نبتدىء بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعكم الي ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو

أهون من آخر شر منه : الجزية ، فان أبيتم فالمناجزة فان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزى قبلنا ومنعنا كم والا قاتلنا كم

لماسمع يزدجرد هذا الكلام امتشاط غضباً ورد رداً غليظاً فأظهر امتهانه للعرب وتعجبه من ظهورهم بذلك المظهر العظيم بعد أن كانوا من أفقر الشعوب وأبعدهم عن النظام فأجابه المغيرة بن زرارة بأن ماوصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق الا انه قد كان قبل الاسلام ، وأما بعده فالحال صار غير الحال . ثم دعاه الي مادعاه اليه الخطيب السابق

فغضب يزدجرد اشد الغضب واستدعي بوقر من تراب فقال احملوه علي اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن

ثم قال ارجعوا الي صاحبكم واعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم

فقدم احد رجال الوفد وهو عاصم ابن عمرو وقال انا سيد هؤلاء وحمل التراب علي عاتقه وخرج الي سعد وقال أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم

فلما انصرفوا قال يزدجرد لقائده اني وجدت أفضلهم أحمقهم حيث حمل التراب علي رأسه . فقال رستم أيها الملك انه أعقلهم . وتطير من ذلك

فأخذ سعد في بث السرايا للغارة علي الاطراف وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قائداً اسمه الجالينوس في أربعين الفا . وخرج هو في ستين الفا وجعل علي ميمنته الهرمزان وعلي ميسرته مهران وجعل يطاول سعداً مدة أربعة أشهر ليضجره ويحمله علي الاقلاع . وكان سعد قد أعد للمطاردة عدتها ثم بدأ رستم في الهجوم بأمر من يزدجرد نفسه فتقابل الجيشان فلقي خيالة المسلمين من فيلة الفرس أمراً اداً لأنها نفرت أمام تلك الفيلة فبادرتها مشاة المسلمين بالسيوف علي خراطيمها وبحل أحزمتها لتندعن أصحابها واشتد القتال طول النهار الي الليل بدون أن يبدو علي أحد تضعضع . ثم عاد القتال من الغد وانتهي في المساء علي ما انتهي عليه بالامس ثم عاد في اليوم الثالث وانتهى علي ما كان عليه في اليومين السابقين .

الباهظة . فلما تم هذا الصلح قصد عمرو الاسكندرية حيث يقيم جنود الرومان ومهرة قوادهم فحاصرها مدة طويلة ثم هاجمها هجوماً عاماً وأخذها عنوة وبذلك تم له فتح مصر من أقصاها الى اقصاها

ثم سار الي برقة وهي واقعة بين مصر وطرابلس الغرب فصالحه أهلها علي الجزية ثم سار الى طرابلس ففتحها عنوة ثم كتب الي أمير المؤمنين: أما بعد فقد بلغنا اطرابلس وبينها و بين افريقية (أى تونس) تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل

فنهاه عمر فولي علي برقة عقبة بن نافع وعاد هو الى مصر

(الحوادث في عهد عمر)

من أهم ماحدث في عهد عمر طاعون عمواس الشام وعام الرمادة بالحجاز . أما طاعون عمواس فقد اجتاح من جيش المسلمين عشرين ألفا وكان من بقي لا يفي بصد الرومان لو كانوا فطنوا لذلك وكروا لاسترداد بلادهم

وأما عام الرمادة فسمي بذلك لريح كانت تسفي ترابا كالرماد وأصاب الناس بالحجاز مجاعة شديدة فهلك النسل والضرع وعاني أمير المؤمنين بسبب ذلك أشد المتاعب . وآلي علي نفسه أن لا يأكل سمناً ولا عسلا حتى يحيي الناس ويكون واياهم سواء فجعل يأكل الزيت حتى أصيب بالقراقر البطنية . فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشتراها غلام لعمر بأربعين درهما . ثم أتي مولاه فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك . قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً . فقال عمر تصدق بهما فاني أكره أن آكل اسرافا . ثم قال . كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يعنني ماأصابهم

(آثار عمر في الخلافة)

لم يكن العرب يؤرخون في الجاهلية بعام مقرر لحادثة معينة كتاريخ النصارى بعام الميلاد . فكانوا يقولون مثلا حدث ذلك بعد عشرين سنة من عام الفيل وولد فلان عام الفجار وهلم جرا واستمروا علي ذلك بعد الاسلام الي أن مضي سنتان ونصف من خلافة عمر أى الي سنة (١٦) من الهجرة فرأى عمر وجوب الاصطلاح علي سنة معينة للتاريخ منها لضبط الحوادث فاستشار أصحابه فأشار عليه علي

عليه السلام بأن يجعل التاريخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم الي المدينة

(تدوين الدواوين)

اتسعت موارد المسلمين بعد الفتوحات التي احدثوها وتشعبت أعمالهم فاقتضي الحال أن يكون لذلك نظام يلم شعثه ، ويجمع متفرقه ، فجمع أصحابه واستشارهم في كيفية تدوين الدواوين . فقال علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة مااجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئاً .

وقال عثمان : أرى مالا كثيراً يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر (أى يلتبس)

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوه جندا فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ عمر بقوله فدعا عقيل بن ابي طالب اخا علي ومخرمة بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من اذكياء قريش فأمرهم بتدوين الدواوين . والديوان هو الدفتر في أصل اللغة ثم توسعوا في مدلوله فأطلقوه علي دفاتر الحكومة ثم علي المكان الذى يكون فيه الديوان

كتبت الدواوين في مدة عمر بالرومية والفارسية فكانت الأولي بالشام والثانية بالعراق واستمر ذلك الي عهد عبد الملك ابن مروان فنقل عبد الملك ديوان الشام الي العربية وفعل مثل فعله عامله علي العراق الحجاج بن يوسف

ثم أمر عمر رضي الله عنه بأن يحصي الناس لتضبط اعطياتهم وأمر أن تبدأ اسماؤهم باسم العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم ومن يليه من ذوى القربي ثم بأهل السابقة والذين حضروا الفتوح علي درجاتهم التي قررها لهم ثم بالفقراء والمساكين والنساء والاطفال

وقال قائل اذ ذاك لعمر بن الخطاب لو تركت في بيوت الأموال عدة لكون ان كان

فقال عمر كلمة ألقاها الشيطان علي فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدى بل أعد لهم ماأمرنا الله ورسوله . طاعة الله ورسوله فهما عدتنا التي بها أفضينا الى ماترون فاذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم

ومما يعزى لعمر ترتيب الجنود علي الثغور والقلاع فانه لما اتي الشام رتب الشواتي والصوائف ، اى الجنود التى تغزو في الصيف والجنود التى تغزو في الشتاء وسد فروج الشام ومسالحها

وكانت العرب تتعامل بالنقود الفارسية والرومية واستمر ذلك في الاسلام الى عهد عمر فلما كانت سنة (١٨) امر عمر بضرب الدراهم علي نقش النقود الكسروية وشكلها غير انه زاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله . ولم تضرب الدنانير الا في عهد عبد الملك بن مروان

وامر عمر ببناء البصرة سنة (١٥) وكان البناء اولا بالقصب فاحترقت فبنيت باللبن (أى بالطوب)

ثم امر ببناء الكوفة سنة (١٧) وكانت مبنية بالقصب ايضاً ثم بنيت باللبن

(أخلاق عمر وصفاته)

كان عمر بالمكان الأعلي من العدل والرحمة بالرعية وحسن السياسة والدؤب علي النظر في مصلحة الناس فكان لايهدأ له بال ولا يقر له قرار لاليلا ولا نهاراً حتى يعلم دخائل الامور وتصرفات عماله في الجهات فكان يزور اهل الذمة ويسألهم عن حقيقة احوالهم ولا يطمئن حتى يسأل كبار الصحابة عن دخيلة امورهم كي لايشكوا ظلماولا حيفا . كل ذلك طاعة لله ورسوله

وكان عمر يساوى بين الناس في المعاملة حتى كان لايفرق بين عبد وحر ولا بين قوى وضعيف . روى الأسود بن يزيد قال : كان الوفد اذا قدموا علي عمر سألهم عن اميرهم فيقولون خيراً . فيقول هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون نعم . فيقول كيف صنيعه بالضعيف ؟ وهل يجلس علي بابه ؟ فان قالوا لا عزله

وبلغه مرة ان حرقوصاً عامله علي الاهواز نزل جبل الاهواز والناس يختلفون اليه ، والجبل كؤود يشق علي من رامه فكتب اليه ماصورته :

اما بعد : بلغني انك نزلت منزلا كؤودا لاتؤتي فيه الا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا علي معاهد وقم في امرك علي رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ، ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك

وكتب عمر الي ابي موسي الأشعري « انه يزل الناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب الضعيف من العدل ان ينصف في الحكم وفي القسم »

وخطب عمر بن الخطاب فقال :

« ياايها الناس اني والله ما ارسل عمالا اليكم ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا اموالكم ولكني ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسننكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الىّ فوالذى نفس عمر بيده لا قصنه منه »

فوقف عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من امراء المسلمين علي رعيته فأدب بعض رعيته انك لتقصنه منه

فقال عمر اى والذى نفس عمر بيده اني لأقصنه منه وكيف لا اقصه منه وقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يُقص من نفسه . ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمّروهم فتفتنوهم ولاتمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم

كان عمر يكره التنطع في الدين اى التعمق فيه . روى انه كان جماعة من الصحابة انقطعوا للعبادة فخشي عمر ان يقلدهم الناس فتبطل الحركة الاجتماعية ويختل النظام العمراني فجعل ينهي الناس عن التنطع ويحذرهم الابتداع

نظر عمر يوماً الي شاب قد نكس رأسه . فقال له ياهذا ارفع رأسك فان الخشوع لايزيد علي مافي القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق مافى قلبه فانما أظهر للناس نفاقا علي نفاقه

وأخبر عمر برجل يصوم الدهر فجعل يضربه بمخفقته ويقول : كل يادهر ، كل يادهر

واستعمل عمر بن الخطاب رجلا من بنى اسد علي عمل فجاء يأخذ عهده فأتي عمر ببعض ولده فقبله . فقال الاسدى اتقبل يا امير المؤمنين ؟ والله ما قبلت ولداً قط . قال عمر فأنت والله بالناس اقل رحمة ، هات عهدنا لا تعمل لي عملا ابدا

عن الحسن قال : حضر باب عمر سهل بن عمرو بن الحارث بن هشام وابو سفيان بن حرب في نفر من قريش من تلك الرؤوس . وصهيب وبلال من تلك الموالي الذين شهدوا بدراً فخرج اذن عمر

فأذن لهم (أي للموالي) وترك اولئك

فقال أبو سفيـان لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنـا علي بابه لا يلتفت الينا

فقال سهيل بن عمرو وكان رجـلا عاقلا أيهـا القوم اني والله أرى الذى في وجوهكم ، ان كنتم غضـابا فاغضبوا علي انفسكم ، دُعى القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم اذا دعوا علي انفسكم يوم القيامة وتركتم

وكانت هذه سيرة عمر مع قريش الذين تأخر اسلامهم عن عام فتح مكة

وروى ابو حاطب عن أبيه قال قدمنا مكة فأقبل اهل مكة يسعون وقالوا لعمر يا أمير المؤمنين ابو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا ، فأقبل عمر وبيـده الدرة (وهي السوط يضرب به) فاذا ابوسفيان قد نصب احجاراً فقال ارفع هذا ، فرفعه ، ثم قال وهذا وهذا ، حتى رفع احجاراً كثيرة خمسة وستة ثم استقبل عمر الكعبة فقال : الحمد لله الذى جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه

روى ان عمر قال لرجل : من سيد قومك ؟ فقال انا . فقال عمر كذبت لو كنت كذلك لم تقله

من أخبار تواضعـه ما رواه ابن أبي سليمان عن أبيه قال قدمت المدينة فدخلت داراً من دورها فاذا عمر بن الخطاب عليه ازار قطرى يدهن ابل الصدقة بالقطران

وقال كعب الاحبار : نزلت علي رجل يقال له مالك وكان جاراً لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدخول علي أمير المؤمنين فقال ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس

وعن الحسن قال : كان بين عمر بن الخطاب و بين رجل كلام في شيء . فقال له الرجل اتق الله . فقال رجل من القوم أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر دعه فليقلها لي . نعم ما قال ، لاخير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها

وروى عمر لمـا قدم الشـام عرضت له مخاضـة فنزل عن بعيره وخلع نعليـه فأمسكهما بيده فخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له قائده أبو عبيـدة : قد صنعت صنيعاً عظيما عند أهل الارض . فصك عمر في صدره وقال أواه لو غيرك يقولهـا ياأبا عبيدة انكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالاسلام

فمها تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله

وروى الفضل بن عميرة ان الاحنف ابن قيس قدم علي عمر بن الخطـاب في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو محتجز بعباءة (اي ملتف بها) يهنأ بعيراً من ابل الصدقة فقال ياأحنف دع ثيابك وسلم فأعن امير المؤمنين علي هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق اليتيم و الارملة والمسكين فقال رجل يغفر الله لك ياامير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا ؟ فقال عمر : ياابن فلانة وأى عبد هو أعبد مني ومن الاحنف هذا ، انه من ولي امر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم مايجب علي العبد لسيده من النصيحة واداء الامانة في المداراة

وقد كان يقوم بنفسـه فيشـارف الاسواق و يراقب المكاييل والموازين و يأمر باماطة الاذى عن الطريق

قال المسيب بن دارم رأيت عمـر ابن الخطاب يضرب جمالا و يقول حملت جملك مالا يطيق

وعن أبي ساعدة الهذلي قال : رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار بدرة اذا اجتمعوا علي الطعام بالسوق حتى يدخلوا سكك أسلم ويقول لاتقطعوا علينا سابلتنا

وكان عمر يتولي القضاء بنفسه و ينيب عنه غيره ، وكتب يوماً الى قاضيه شريح المشهور :

« أما بعد فاذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنـه الرجال . فان جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الامرين شئت : ان شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم وان شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيراً لك

وكتب الى ابي موسي الاشعرى وكان احد ولاته :

بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد . فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم أُدل اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لايطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، والبينة علي من ادعى واليمين علي من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرم حلالا او احل حراماً ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم

ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل
الفهم الفهم عند ما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلي الله عليه وسلم . أعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك . ثم اعمد الي أحبها الي الله وأشبهها بالحق فيم ترى واجعل للمدعي حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي اليه فان أحضر بينة أخذت له بحقه . والا وجهت عليه القضاء. فان ذلك أنفي للشك وأجلي للعمي ، وأبلغ للعذار

« المسلمون عدول بعضهم علي بعض الا مجلوداً في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولي منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم اياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه و بين الله تبارك وتعالي ولو علي نفسه يكفه الله ما بينه و بين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام »

(نبذ من أخباره)

روى الاحنف بن قيس قال وفدنا علي عمر بفتح عظيم فقال أين نزلتم ؟ فقلت في مكان كذا . فقام معنا حتى انتهينا الي مناخ رواحلنا فجعل يتخللها ببصره و يقول : ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ أما علمتم ان لها عليكم حقاً ؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الارض . » فقلنا يا أمير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا التسرع الي أمير المؤمنين بما يسره

وعن الليث عن عبد الله بن صالح قال أتي عمر بن الخطاب بفتى أمرد وجد قتيلا ملقي علي وجهه في الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له علي خبر . فشق ذلك عليه حتى اذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك وُجد صبي مولود ملقي موضع القتيل فأتي به عمر ، فقال ظفرت بدم القتيل ان شاء الله . فدفع الصبي الى امرأة وقال لها قومي بشأنه وخذى منا نفقته وانظرى من يأخذه منك ، فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الي صدرها فأعلميني بمكانها

فلما شب الصبي جاءت جارية وقالت للمرأة ان سيدتي بعثتني اليك أن تبعثي الصبي لتراه وترده اليك . قالت نعم اذهبي به اليها وأنا معك ، فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت علي سيدتها . فلما رأته

أخذته فقبلته وضمته اليها . فاذا هي بنت شيخ من الانصار من أصحاب رسول الله فأخبرت عمر خبر المرأة فاشتمل عمر علي سيفه ثم اقبل الي منزلها فوجد أباها متكئا علي باب داره

فقال له امير المؤمنين : يا أبا فلان مافعلت ابنتك فلانة ؟ قال يا امير المؤمنين جزاها الله خيراً هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق ابيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها

فقال عمر قد احببت ان أدخل اليها فأزيدها رغبة في الخير واحثها علي ذلك فقال الصحابي جزاك الله خيراً يا امير المؤمنين امكث مكانك حتى ارجع اليك

فاستأذن لعمر فلما دخل عمر امر كل من كان عندها فخرج عنها وبقيت هي وعمر في البيت ليس معها احد فكشف عمر عن السيف وقال لتصدقيني . وكان عمر لا يكذب . فقالت علي رسلك يا امير المؤمنين فوالله لأصدقن: ان عجوزاً كانت تدخل علي فاتخذتها اماً وكانت تقوم في امرى بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت فأمضيت بذلك حينا ثم انها قالت لي يا بنية انه قد عرض لى سفر ولي بنت أتخوف عليها منه ان تضيع وقد احببت أن اضمها اليك حتى ارجع من سفرى . فعمدت الي ابن لها شاب امرد فهيأته كهيئة الجارية واتتني به لا اشك أنه جارية ، فكان يرى مني ماترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يوماً وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدى الي شفرة كانت الى جنبي فقتلته ثم أمرت به فألقي حيث رأيت فاشتملت منه علي هذا الصبي فلما وضعته القيته في موضع أبيه . فهذا والله خبرهما علي ما أعلمتك

فقال عمر صدقت بارك الله فيك . ثم أوصاها ووعظها ودعا لها وخرج، وقال لأبيها بارك الله في ابنتك ، فنعم الابنة ابنتك ، وقد وعظتها وأمرتها فقال الشيخ وصلك الله يا امير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك

قال المغيرة بن شعبة وكان أحد دهاة الصحابة وقد ذكر عمر : كان والله له فضل يمنعه ان يخدع ، و عقل يمنعه أن يخدع

﴿ من خطب عمر بن الخطاب ﴾

لما ولي عمر الخلافة صعد المنبر وقال : « ما كان الله ليراني ان أرى نفسي

اهلا لمجلس ابي بكر فنزل مرقاة ثم اندفع يخطب فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه « اقرأوا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من اهله ، وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا،وتزتبوا للعرض الاكبر يوم تعرضون علي الله لاتخفي منكم خافية . انه لم يبلغ حق ذى حق ان يطاع في معصية الله ألا واني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت وعففت ،وان افتقرت اكلت بالمعروف »

وعن سعيد ابن المسيب قال : لما ولى عمر بن الخطاب خطب علي منبر رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال :

« ايها الناس اني قد علمت انكم كنتم تؤانسون مني شدة وغلظة وذلك اني كنت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه وجلوازه (شرطيه) وكان كما قال الله تعالي بالمؤمنين رؤفا رحيما ، وكنت بين يديه كالسيف المسلول الا ان يغمدني أو ينهاني عن امر فأكف عنه،والا اقدمت علي الناس لمكان امره . فلم ازل مع رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ذلك حتى توفاه وهو عنى راض والحمد لله علي ذلك كثيرا وانا به اسعد

« ثم قمت ذلك المقام مع ابي بكر الصديق خليفة رسول الله بعد رسول الله وكان من قد علمتم في رغبه ولينه،فكنت خادمه وجلوازه وكنت كالسيف المسلول بين يديه لي الناس اخلط شدتي بلينه الا ان يتقدم الي فأكف والا اقدمت . فلم ازل حتى توفاه الله فكان عنى راض والحمد لله علي ذلك وانا به اسعد

« ثم صار امركم اليوم الي وانا اعلم انه يقول قائل كان يشتد علينا والامر الى غيره ، فكيف لما صار الامر اليه ؟ فاعلموا انكم لاتسألون عنى احداً . قد عرفتموني وخبرتموني وقد عرفت بحمد الله من محمد نبيكم صلي الله عليه وسلم ماقد عرفت ، وما اصبحت نادما علي شيء كنت احب ان اسأله الا وقد سألته ، واعلموا ان شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافا عن الأول علي الظالم والمعتدى والاخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم،واني بعد شدتي تلك واضع خدى الي الارض لأهل العفاف وأهل الكفاف . ان كان بيني وبين من هو منكم شيء من احكامكم ان امشي معه الي من احبه منكم فينظر فيما بيني وبينه . فاتقوا الله عباد الله

وأعينوني علي نفسي بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولاني الله من أمركم »

وخطب يوماً فقال :

« أيها الناس ان بعض الطمع فقر وان بعض اليأس الغنى ،انكم تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون مالا تدركون ، وأنتم مؤجلون في دار غرور . كنتم في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته . فاظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر . فانه من أظهر لنا شيئاً وزعم ان سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظنناته حسنا . واعلموا ان بعض الشح شعبة من النفاق «فانفقوا خيراً لانفسكم . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » أيها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم ، ولاتلبسوا نساءكم القباطي فانه ان لم يشف فانه يصف (أى فانه ان لم يرق فيرى ماتحته فهو يصفه للناظر)

« أيها الناس اني لوددت ان انجو كفافا لالي ولا علي ، واني لأرجو ان عمرت فيكم يسيراً أو كثيرا ان اعمل بالحق فيكم ان شاء الله ، وان لايبقي أحد من المسلمين وان كان في بيته الا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا يعمل اليه نفسه ولم ينصب اليه يوما ، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله . ولقليل في رفق خير من كثير في عنف ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر ،والشهيد من احتسب نفسه . واذا أراد احدكم بعيرا فليعمد الي الطويل العظيم فليضربه بعصاه فان وجده حديد الفؤاد فليشتره »

(مقتل عمر رضي الله عنه)

كان للمغيرة بن شعبة مملوك أصله فارسي من نهاوند اسمه ابو لؤلؤة فشكا الى عمر ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه وطلب اليه تخفيفه فسأله كم خراجك ؟ فقال درهمان في كل يوم . فقال له عمر وما صناعتك ؟ قال نجار نقاش حداد . قال عمر فما خراجك بكثير علي ماتصنع من الاعمال

. وقيل بل وعده عمر بأن يسأل المغيرة تخفيف خراجه ولكن أبا لؤلؤة أعد خنجراً له شعبتان وسمه وأتي به الهرمزان (وكان من قواد الفرس الذين غلبهم سعد بن أبي وقاص فأظهر الاسلام وخان المسلمين مراراً

ثم أظهر التوبة) وقل له كيف ترى هذا؟ فقال له الهرمزان انك لاتضرب به أحداً الا قتله . فتحين أبو لؤلؤة عمر حتى اذا كانت صلاة الغداة قام وراءه وكان عمر اذا أقيمت الصلاة يقول اقيموا صفوفكم فقال كما كان يقول فلما كبر طعنه ابو لؤلؤة ست طعنات فسقط عمر وطعن ابو لؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلا ممن حاولوا القبض عليه فهلك منهم سبعة . فألقى عليه احد المصلين برنسا ، فلما احس بأنه هالك طعن نفسه فمات

فلما سقط عمر قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا نعم هو ذا . قال تقدم فصل بالناس . فصلي عبد الرحمن بالناس صلاة خفيفة وعمر طريح . ثم حمل الي داره

وقد رُجح ان اقدام ابي لؤلؤة علي طعن عمر كان نتيجة مؤامرة بينه و بين الهرمزان المتقدم ذكره وجفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة اتي به سعد بن ابي وقاص ليعلم الناس الكتابة والسبب في هذه المؤامرة ظاهر وهو ان عمر دوخ الفرس وثل عرشهم واجلي نصارى نجران عن بلادهم وفل جيوش قيصر وهو حامي

النصرانية في عصره

لما طعن عمر دعا بطبيب ينظر في جرحه فجاءه طبيب من الانصار من بني معاوية فسقاه لبنا فخرج من الطعنة أبيض فقال له الطبيب ياأمير المؤمنين اعهد (أي أوص فانك ميت)

فقال عمر صدقني أخو بني معاوية ولو قلت غير ذلك لكذبتك .فبكي القوم عليه حين سمعوا ذلك . فقال لا تبكوا علينا من كان باكيا فليخرج . ألم تسمعوا ما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « يعذب الميت ببكاء أهله عليه »

وروى انه لما طعن عمر اجتمع اليه البدريون والمهاجرون والانصار . فقال عمر لابن عباس اخرج اليهم فسلهم أعن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذى أصابنى ؟ فسألهم فقال القول لا والله ولوددنا أن زاد الله في عمرك من اعمارنا

وعن ابن عباس قال دخلت علي عمر بن الخطاب في أيام طعنته وهو مضطجع علي وسادة من أدم وعنده جماعة من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فقال له رجل ليس عليك بأس

قال عمر لأن لم يكن عليّ اليوم

ليكونن بعد اليوم وان للحياة نصيباً من القلب ، وان للموت لكربة ، وقد كنت احب ان انجي نفسي وانجو منكم ، وما كنت من امركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشي ان يموت دونها فهو يركض بيديه ورجليه . واشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فأخلقتها وثمرتكم يانعة في اكمامها ما اكلتها ، وما جنيت ماجنيت الا لكم ، وما تركت ورائي درهماً ماعدا ثلاثين أو اربعين درهما ثم بكي وبكي الناس معه

قال ابن عباس فقلت ياأمير المؤمنين أبشر فوالله لقد مات رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وهو عنك راض ، وان المسلمين راضون عنك

فقال عمر : المغرور والله من غررتموه اما والله لو ان لي مابين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع

لما ثقل علي عمر مرضه قال لابنه عبد الله ضع خدى علي الارض ، فوضعه علي الارض . فجعل يقول ويلي وويل أمي ان لم يغفر لي ربي ثم مات فصلي عليه في

المسجد وحمل على سرير رسول الله صلي الله عليه وسلم وغسله ابنه عبد الرحمن وصلي عليه صهيب وكان تقدم علي وعثمان للصلاة عليه . فقال ابنه عبد الرحمن لااله الاالله ماأحرصكما علي الأمرة أما علمتما ان أمير المؤمنين قال ليصل بالناس صهيب

لما مات عمر ثار ابنه عبيد الله فقتل ابنة أبي لؤلؤة وجفينة النصراني المتقدم ذكره والهرمزان وذلك ظنا منه ان قتل والده كان تآمر بينهما و بين أبي لؤلؤة فقد شهد عبد الرحمن بن أبي بكر غداة قتل عمر فقال:رأيت عشية أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة وهم يتناجون فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه وهو الخنجر الذى ضرب به عمر فقتلهم عبيدالله بن عمر وقال والله لأقتلن رجالا ممن شرك في دم أبي يعرض بالمهاجرين والانصار فبلغ ذلك صهيبا فبعث اليه عمرو بن العاص فما زال به حتى أخذ منه سيفه ، ثم قبض عليه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره

(تحوطه للخلافة قبل موته)

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له يا أمير

المؤمنين لو استخلفت

قال عمر ان تركتكم فقد تركتكم من هو خير مني ، وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني ، ولو كان ابو عبيدة ابن الجراح حياً لاستخلفته . فان سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول انه امين هذه الامة . ولو كان سالم مولي ابي حذيفة حياً لاستخلفته فان سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول ان سالماً ليحب الله حباً لو لم يخفه ماعصاه

قيل ياامير المؤمنين فلو انك عهدت الي عبد الله فانه له اهل في دينه وفضله وقديم اسلامه

فقال عمر بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد ولوددت اني نجوت من هذا الامر كفافا لالي ولا علي

ثم راجعوه فقالوا يا امير المؤمنين لو عهدت ؟ فقال قد كنت اجمعت بعد مقالتي لكم ان اولي رجلا امركم ارجو ان يحملكم علي الحق (واشار الى علي بن ابي طالب) ثم رأيت ان لا اتحملها حياً وميتا . فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلي الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة وذكر السبعة واستثنى سعيد بن زيد . وقال عن الستة فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم موالياً فأحسنوا مؤازرته

ودعا بعلي وعثمان والزبير وسعد وأمرهم ان يتشاوروا في أمر الخلافة . وقال لهم انتظروا اخاكم طلحة ثلاثة فان جاء والا اقضوا أحدكم . وليشهدكم عبد الله ابن عمر وليس له من الامر شيء . قوموا فتشاوروا وليصل بالناس صهيب

ثم قال لأبي طلحة الانصارى :

يا أبا طلحة ان الله أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم

وقال للمقداد بن الاسود اذا وضعتموني في حفرتي اجمع هؤلاء الرهط وقم علي رؤوسهم فان اجتمع خمسة علي رأى واحد وابي واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اجتمع اربعة ورضوا وابي الاثنان فاضرب رأسيهما . فان رضي ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما عليه الناس

﴿ وصيته لمن يخلفه ﴾

عن عبد الله بن عمر : دفع اليّ عمر كتابا فقال اذا اجتمع الناس علي رجل فادفع اليه هذا الكتاب واقرأه مني السلام فاذا فيه :

« أوصي الخليفة من بعدى بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين الأولين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله ان يعرف حقهم و يحافظ لهم كرامتهم واوصيه بالانصار خيرا (الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا) الي قوله تعالي المفلحون . ان يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم وان يشركوا في الامر . واوصيه بذمة الله وذمة محمد صلي الله عليه وسلم ان يوفي بعهدهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم وان يقاتل من ورائهم (اى يحميهم)

﴿ صفة عمر وسياه ﴾

كان عمر أصلع طويل القامة اذا مشي بين الناس خيل لمن يراه انه علي دابة وكان أسمر شديد السمرة وكان يصبغ لحيته بالصفرة . وكان يعمل بكلتا يديه علي السواء . وروى بعض اهل العلم انه كان ابيض امهق وهو قول ضعيف

٭٭٭

ان من يمعن النظر في صفات امير المؤمنين عمر يدرك حكمة الله في ادخاره لخلافة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد توفرت فيه من الخلال الجميلة والخصال النبيلة مالا يتوفر الا لمن يعدهم لاحداث الامور الجليلة في السنين القليلة ، ومن يبعثهم لرفع شأن الامم و بسط سلطانها علي الشعوب . فقد حاط المسلمين بعدله ، ودوخ لهم الممالك ببأسه ، وبسط من سلطانهم بيمن نقيبته ، مالا يتفق مثله لغير الافراد الممتازين الذين يسلطهم الله لاحداث الامور الجسام في العالم ومن يتأمل في انه في مدى حكمه فتح المسلمين الشام ومصر وبلاد الفرس والعراق وايد سلطان امته في هذه الممالك جميعها فهدأت ثائرتها واستنامت لحكم الاسلام بعد ان كانت مضطربة الحبل ، مسلوبة الأمن ، يدرك ان عمر كان قد جمع الى مواهبه الحربية صفات الملك السياسي المجرب ، والسلطان الادارى الحازم ، ولو كان خلفه من سار علي منهاجه ولم تحدث احداث الدار والجمل وصفين والنهروان في خلافتي عثمان وعلي

عليها السلام ، لبلغت فتوحات الاسلام اسوار الصين شرقاً وحدود المحيط الاطلانتيقي غرباً في سنين معدودة ، ولما آل الامر الي انتقال الخلافة الي معاوية ويزيد ومروان بن الحكم ، ولحفظ الاسلام ديباجته الناصعة . ولكن اراد الله امراً فتم وختم تاريخ جلال الخلافة النبوية بموت هذا الرجل العظيم ، فانفتح علي المسلمين باب الشر ، لا لعدم كفاءة عثمان وعلي ولكن لأن الاحوال التي احاطت بهما كانت تقضي ان يضطرب حبل الامور ، وتثور سوا كن الفتن علي ماقدمناه في تار يخهما ولله الامر من قبل ومن بعد

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (٢٣) هـ

﴿ ابن عمر ﴾ اقرأ ترجمته في حرف العين في كلمة عبد الله

﴿ عمر بن عبد العزيز ﴾ بن مروان ابن الحكم من خلفاء بني امية

ولد بحلوان مصر سنة (٦٠) امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . روى العلم عن انس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويوسف بن عبد الله بن سلام وسعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير والربيع بن سبرة وغيرهم

كان ابيض الوجه، وسيما نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بجبهته اثر حافر دابة قد وخطه الشيب

قيل ان أباه لما ضربه الفرس وأدماه جعل يمسح الدم ويقول ان كنت اشج بني مروان انك لسعيد وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم قال: الناقص والأشج اعدلا بني امية . قال المؤرخون الناقص هو هشام بن عبد الملك لأنه نقص من اعطيات جيوشه فلقب بالناقص

بعثه ابوه من مصر الى المدينة ليتأدب بأدب اهلها فكان يختلف الي عبد الله ابن عبيد الله يسمع منه ، ولما مات ابوه عبد العزيز طلبه عمه عبد الملك الي دمشق وزوجه بابنته فاطمة . وكان قبل ذلك يبالغ في التنعم ويفرط في الاختيال في المشية

قال انس بن مالك ماصليت خلف امام اشبه برسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا الفتى عمر بن عبد العزيز

وقال زيد ابن أسلم كان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود

سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال هو نجيب بني

أمية وانه يبعث يوم القيامة امة وحده

وقال عمرو بن ميمون بن مهران عن ابيه كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة

لما طلب للخلافة كان بالمسجد فسلموا عليه بالخلافة فعقر فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه المنبر ، فجلس طويلا لا يتكلم. فلما رآهم جالسين قال ألا تقومون فتبايعوا امير المؤمنين فنهضوا اليه فبايعوه رجلا رجلا

وقد عمل له ابن الجوزى سيرة مجلداً ضخما وهو الذى امر بجمع احاديث رسول الله وتدوينها كما جمع ابو بكر الصديق القرآن وعدل بين الناس عدلا لم يره الناس الا من جده عمر بن الخطاب فرتع الناس في بحبوحة الأمن والخصب وتمنوا لو خلد في الخلافة ولكن بنى امية تألبوا عليه ودسوا اليه السم فمات مسموماً وسبب كراهتهم له انه ضيق الخناق عليهم ولم يتركهم يستغلون ضعف الضعفاء نقما لغلتهم فتوفي بدير سمعان سنة (١٠١)

هو الذى بنى الجحفة واشترى ملطية من الرومان بمائة الف اسير وبناها

وفي عمر بن عبد العزيز يقول الشريف الرضي وهو زعيم أولاد علي بن أبي طالب في القرن الخامس:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ
ـن فتى من أمية لبكيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذ
ف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو اني رأيت قبرك لاستحـ
ـييت ان أرى وما حييتك
دير سمعان فيك مأوى ابن حفص
فبودى لو انني آويتك
وعجيب ان قلبت بنى مر
وان طرا وانني ماقليتك
قد نما العدل منك لما تآى الجو
ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك
فلو اني ملكت دفعا لما نا
بك من طارق الردى لافديتك

﴿ عمر بن ربيعة ﴾ هو عمر بن عبد الله أبي ربيعة المخزومي ويكنى أبا الخطاب . أبو جهل بن هشام بن المغيرة عم أبيه . وأم عمر بن الخطاب بنت عم أبيه وكانت أمه نصرانية

كان عمر بن أبي ربيعة يتعرض للنساء الحواج ويشبب بهن فنفاه عمر بن عبد العزيز الى الدهلك من بلاد الفرس ثم انه

غزا في البحر فاحترقت السفينة التى كان بها فمات هو ومن كان معه

حج عبد الملك بن مروان فلقيه عمر ابن ابي ربيعة فقال له عبد الملك يافاسق فقال له عمر بئست تحية ابن العم علي طول الشحط . فقال له عبد الملك : يافاسق اما ان قريشاً تعلم انك أطولها صبوة ،وابطأها توبة القائل:

ولولا ان تعنفني قريش
مقال الناصح الادني الشفيق
لقلت اذا التقينا قبليني
ولو كنا علي ظهر الطريق

شبب عمر بينت عبدالملك بن مروان ولما يقول:

افعلي بالاسير احدى ثلاث
وافهمهن ثم ردى جوابي
اقتليه قتلا سريعاً مريحا
لاتكوني عليه سوط عذاب
او اقيدى فانما النفس بالنفس
س قضاء مفصل في كتاب
اوصليه وصلا تقربه العيـ
ن وشر الوصال وصل الكذاب

فأعطت الذى جاءها بالابيات لكل بيت عشرة دنانير

والتقي عمر بن ابي ربيعة وجميل فتناشدا فأنشده الأول :

فلما تلاقينا عرفت الذى بها
كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقالت وارخت جانب الستر انما
معى فتكلم غير ذى رقبة اهلي
فقلت لها مابي لهم من ترقب
ولكن سرى ليس يحمله مثلي

فصاح جميل وقال هذا والله الذى ارادته الشعراء فأخطأته ، وتعلقت بوصف الديار

اشتهر عمر بن ابي ربيعة بحب امرأة يقال له الثريا فتزوج بها رجل يقال له سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فقال عمر بن ابي ربيعة :

ايها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا ما استقل يماني

ووجه جمال هذه الابيات ورقتها ان سهيل والثريا اسمان من اسماء النجوم

كان عمر ابن ابي ربيعة جيد الالفاظ رقيق المعاني حسن السبك . تاب بعد الاربعين وتنسك وحسن حاله . توفي سنة

(٩٣) م

﴿ عمرو بن العاص ﴾ هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ابن غالب القرشي وامه النابغة بنت حرمل من بنى عنزة

كان عمرو في الجاهلية جزاراً وكان يختلف الى الشام ومصر بالتجارة . وكان ذا مكانة عالية في قريش لشهرته بالدهاء والكيد حتى قيل ان دهاة العرب في الاسلام عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وقيس ابن سعد بن عبادة

أسلم عمرو قبل الفتح بسنة أشهر . وسبب اسلامه انه كان ذهب الي النجاشي ليكيد لأصحاب النبى صلي الله عليه وسلم الذين هاجروا اليه • فقال له النجاشي ياعمرو تكلمنى في رجل يأتيه الناموس كما كان يأتي موسي بن عمران ؟ وكان النجاشي قد أسلم قال عمرو وكذلك هو أيها الملك ؟ قال نعم • قال فأنا أبايعك له • فبايعه له علي الاسلام • ثم قدم مكة فلقي خالد بن الوليد فقال : مارأيك قد استقام الميسم والرجل نبي • قال خالد وانا اريده • قال عمرو وانا معك • فقال عثمان بن طلحة وانا معك فقدموا جميعاً علي النبى صلي الله عليه وسلم وأسلموا . فكان اسلام عمرو بعد طول روية ولذلك قال النبى صلي الله عليه وسلم « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وقال: « ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام »

صحب عمرو رسول الله صحبة حسنة مخلصة وكان محبباً اليه حتى لقد روى عنه انه قال : ماعدل بي رسول الله وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمت

وقد بعثه رسول الله علي جيش فيه أبو بكر وعمر في غزوة ذات السلاسل . وأرسله والياً علي الصدقة الي عمان وأمره أن يدعو أهلها الي الاسلام فلبوا دعوته

كان عمرو بن العاص محباً للامارة حريصاً عليها وكان يصحب هذه النزعة فيه همة عالية وحنكة عظيمة ومهارة في قيادة الجيوش تصغر بجانبها كل مهارة

وهو الذى أطمع عمر في فتح مصر وأقدم عليها بأربعة آلاف جندى وهو عدد نزر لايقدم به الا كل مقدام لايقيم للحياة وزناً . ثم أمده عمر بثمانية آلاف فتم له فتح مصر وطرابلس

وقد أتينا في تاريخ أمير المؤمنين عمر

ابن الخطاب علي كيفية فتح عمرو بن العاص لمصر بإيجاز ونقول هنا انه دخل مصر من الفرماء فقابله بها الرومان ووقفوه عن التقدم شهراً كاملا ثم اعانه قبطها فتم له الفتح ثم تقدم حتى اتي بلبيس فحاصرها وكان بها ارمانوسة ابنة المقوقس وكانت نزلت بها اثناء سفرها الي خطيبها ابن قيصر الرومان فأرجعها اليه معززة مكرمة فسر المقوقس بقدوم ابنته وعد عمل عمرو من الاعمال الجليلة

ثم سار عمرو من بلبيس الي بابل وكانت قرب الكنيسة المعلقة بمصر القديمة وتقابلها علي ضفة النيل الغربية مدينة منف عاصمة البلاد يومئذ وبها كان المقوقس مع الحامية وكان المقوقس هذا بطريركا للاقباط وواليا من قبل الامبراطور الروماني علي مصر . فنازل عمرو بن العاص بابل وقاتل من فيه قتالا شديداً . ثم استمد عمر بن الخطاب فأمده بأربعة آلاف معهم الزبير بن العوام وكان من كبار رجال الحرب فلما علم عمرو بقدومه سر سروراً عظيما . فقال الزبير بعد ان طاف بالحصن وعرف مناعته اني اهب نفسي لله ارجو ان يفتح الله بذلك علي المسلمين فوضع سلماً علي جانب الحصن ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوه جميعاً . فما شعروا الا والزبير علي رأس الحصن يكبر فصعد الناس علي اثره فارتبك الرومان وهربوا بعده هرج ومرج وفتح المسلمون باب الحصن ودخلوه وهرب جنود الرومان الي جزيرة الروضة علي سفن أعدوها لذلك

فلما رأى المقوقس شدة حول المسلمين عزم علي مصالحتهم فأرسل اليهم رسلا يدعوهم لارسال سفراء من قبلهم للمداولة معهم في امر حاسم . فحبس عمرو رسل المقوقس يومين ليروا احوال المسلمين . ثم اطلقهم فسألهم المقوقس عما رأوا فقالوا :

رأينا قوماً الموت أحب اليهم من الحياة ، والتواضع أحب الي احدهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم علي التراب ، وأكلهم علي ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم . ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون اطرافهم ويخشعون في صلاتهم

فقال المقوقس لقومه : لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى علي

قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض ، وقووا علي الخروج من موضعهم ثم أرسل الي عمرو ان يقابله بنفسه ليقررا أمر الصلح معاً . فقابله واصطلحوا علي ان يفرض علي جميع من بمصر من القبط ديناراً عن كل نفس ، ليس علي الشيخ الفاني ولا علي من لم يبلغ الحلم ولا النساء شيء ، وعلي ان للمسلمين عليهم منزلا لجماعتهم حيث نزلوا . ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم ، وان لهم ارضهم واموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها

ثم احصوا القبط الذين تجب عليهم الجزية فبلغوا ستة ملايين فكانت جزيتهم يومئذ اثنى عشر مليونا من الدنانير

ثم ان المقوقس كتب الي امبراطور الرومان بما تم ، فأرسل اليه يوبخه وامر قواده بالبلاد أن يقاتلوا العرب ، فقاتلهم عمرو حتى الجأهم الي الاسكندرية ثم حاصرهم هنالك ستة اشهر ثم أخذها منهم عنوة . وقيل بل حاصرها اكثر من ستة اشهر ان المتأمل في خبر هذا الفتح يدهش من تمكن عمر بن العاص من فتح قطر عظيم كمصر باثنى عشر الف جندي ولكن من يتأمل في ان القبط كانوا من اعوانه في فتحها وهم أهل البلاد يبطل دهشه . ولا شك ان القبط لم يقدموا علي هذا الأمر الا لما علموا من عدل المسلمين وحسن سيرتهم مع محكوميهم ، بخلاف الرومانيين في ذلك العهد اذ كانوا يذبحونهم ذبح الاغنام ، ويضطهدونهم اضطهاداً لم يسمع بمثله

بعد ان أتم عمرو فتح البلاد أمر ببناء مدينة مكان فسطاطه بقرب بابل التي قاتل الرومان فيها ، فاختط مهندسوه لكل قبيلة خطة . وبنى عمرو مسجده المعروف بجامع عمرو وجعلوا مساحته ٥٠ ذراعا طولا في ٥٠ عرضا . ثم زاده مسلمة ابن مخلد في زمن معاوية وطلاه بالنورة وزخرف سقفه وبنى فيه أربع منائر للاذان وفرشه بالحصر وكان مفروشا بالحصباء . ثم هدمه عبد العزيز بن مروان سنة (٧٩) وهو أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك وزاد فيه

ولما أصاب اهل الحجاز مجاعة شديدة عام الرمادة كتب عمر الي عمرو هذا

الكتاب وهو :

من عبد الله عمر امير المؤمنين الي العاصي بن العاصي سلام اما بعد فلعمرى ياعمرو ماتبالي اذا شبعت انت ومن معك من اهلك ان اهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم ياغوثاه

فكتب اليه عمرو :

من عبد الله عمرو بن العاص الي امير المؤمنين . اما بعد يالبيك ثم يالبيك قد بعثت اليك بعير اولها عندك وآخرها عندى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعث اليه بقافلة من طعام فلما قدمت علي عمر اعطي كل بيت جملا بما حمل

ولما توفي عمر وتولي عثمان عزله عن مصر وكان يستشيره في امور ولكن كان عمرو شديد التأليب علي عثمان والتحريض عليه . فلما اشتدت الفتنة هاجر الى بيته بفلسطين . فبينما هو يقعد ومعه ابناه عبد الله ومحمد وعندهم سلامة بن روح الخزاعي اذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان، فقال محصور . فقال عمرو : انا ابو عبد الله ، العير يضرب والمكواة في النار

ثم مر بهم راكب آخر فسألوه . فقال : قتل عثمان . فقال عمرو انا أبو عبد الله ، اذا نكأت قرحة أدميتها

فقال سلامة بن روح يامعشر قريش انما كان بينكم و بين العرب باب فكسرتموه

فقال عمرو نعم أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل ليكون الناس في الامر شرعا سواء

ثم لما ولي عليّ عليه السلام وخرج عليه معاوية كتب هذا الاخير الى عمرو ابن العاص هذا الكتاب وهو :

« أما بعد فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ماقد بلغك وقد سقط الينا مروان بن الحكم في نفر من اهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك، فاقبل اذاكرك اموراً لا نعدم صلاح مغبتها ان شاء الله »

فوافي معاوية . فقال له ما حكمك يا عمرو (اى بماذا تحكم لنفسك من الأجر علي مساعدتي)

فقال عمرو : مصر طعمة (اى استولي عليها وعلي خراجها طول حياتي)

فتلكأ معاوية وقال له : ابا عبد الله اما تعلم ان مصر مثل العراق

قال عمرو : بلي ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك ، وانما كانت لك اذا غلبت عليا علي العراق

ثم افترقا فلما حضر عتبة بن ابي سفيان قال لمعاوية : أما ترضي ان تشترى عمرا بمصر ان هي صفت لك ؟

فرضي معاوية ان يعطي عمرا مصر علي ان يأخذ لنفسه خراجها مابقي . فلما استقر الحال لمعاوية اراد أن يرجع فيما اعطاه لعمرو ، فأصلح بينهما معاوية بن خديج علي ان لعمرو ولاية مصر سبع سنين ثم مضي عمرو لمصر ولم يمكث بها الا سنتين أو ثلاثا ثم مات

فتم الامر لمعاوية بدهاء عمرو بن العاص وتدبيره

من حكم عمرو بن العاص قوله لابنه يوماً

« يابنى امام عادل ، خير من مطر وابل ، واسد حطوم ، خير من امام ظلوم وامام ظلوم خير من فتنة تدوم . يابنى مزاحمة الاحمق خير من مصالحته . يابنى زلة الرجل عظم يجبر ، وزلة اللسان لاتبقي ولاتذر . يابنى استراح من لاعقل له »

وقال معاوية لعمرو بن العاص يوماً من أبلغ الناس ؟ قال من كان رأيه راداً لهواه . قال فمن اسخي الناس ؟ قال من بذل دنياه في اصلاح دينه . قال فمن أشجع الناس قال من رد جهله بحلمه

وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر. ولكنه الذى يعرف خير الشرين

عن قبيصة قال : صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله ولا افقه في دين الله ، ولا احسن مدراقمنه،

وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا اعطي للجزيل من غير مسألة منه ،

وصحبت معاوية بن ابي سفيان فما رأيت رجلا اثقل حلما منه ،

وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين طريقا ، ولا اكرم جليسا ، ولا اشبه سريرة بعلانية منه ،

وصحبت المغيرة بن شعبة فلو ان مدينة لها ثمانية ابواب لايخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من أبوابها كلها

من اخباره في التقوى انه وقع بينه وبين المغيرة بن شعبة نزاع فسبه المغيرة . فقال عمرو بن العاص يالهصيص يسبنى المغيرة . فقال له ابنه عبد الله . انا لله وانا اليه راجعون، أدعوة القبائل وقد نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم عنها؟ فاعتق عمرو بن

العاص ثلاثين رقبة كفاره عن كلمته تلك

وروى عن ربيعة بن ربيعا بن لقيط قال سمعت عمرو بن العاص وهو يصلي بالليل وهو يبكي ويقول : اللهم آتيت عمرا مالا فان كان أحب اليك ان تسلب عمراً ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله . وانك آتيت عمرا أولادا فان كان احب اليك ان تثكل عمرا ولده ولا تعذبه بالنار فأثكله ولده ، وانك آتيت عمرا سلطانا فان كان أحب اليك أن تنزع عنه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه

ولما حضرته الوفاة قال : اللهم انك امرت بأمور ، ونهيت عن أمور تركنا كثيراً مما أمرت ، ووقعنا في كثير مما نهيت ، اللهم لااله الا أنت ثم أخذ بابهام ابنه عبد الله فلم يزل يهلل حتى مات .

وكانت وفاته سنة (٤٣) وهو متجاوز الثمانين ودفن في المقطم

﴿ ابو عمرو بن العلاء ﴾ بن عمار ابن العريان التميمي المازني البصرى

كان اعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر

قال الاصمعي قال ابو عمر بن العلاء لقد علمت من النحو مالم يعلمه الاعمش وما لو كتب لما استطاع ان يحمله

وقال أيضا سألت أبا عمرو عن الف مسئلة فأجابني فيها بألف حجة

وكان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصرى مقدما في عصره

وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر وكانت كتبه التى كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الي قريب من السقف ثم انه تقرأ أى تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الي علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه . وكانت عامة اخباره عن اعراب قد أدركوا الجاهلية

قال الأصمعي : جلست الي عمرو ابن العلاء عشر حجج فلم أسمعه يحتج ببيت اسلامي : قال وفي عمرو بن العلاء يقول الفردوق :

مازلت أغلق أبوابا وافتحها

حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

حكي عمرو بن العلاء قال طلب الحجاج بن يوسف الثقفي ابي فخرج منه هاربا الى اليمن فانا لنسير بصحراء باليمن اذ لحقنا لاحق ينشد :

ربما تكره النفوس من الام

ر له فرجة كحل العقال

قال فقال ابي ما الخبر ؟ قال مات الحجاج . قال ابو عمرو فانا بقوله فرجة اشد سروراً منى بموت الحجاج قال فقال ابي اصرف ركابنا الي البصرة

قال ابو عبيدة قلت لابي عمرو وكم سنك يومئذ ؟ قال كنت قد خنقت بضعاً وعشرين سنة

قال له ابن مناذر يوماً حتى متى يحسن بالمرء ان يتعلم؟ قال مادامت الحياة يحسن به

وقال ابو عمرو حدثنا قتادة السدوسي قال لما كتب المصحف عرض علي عثمان ابن عفان رضي الله عنه فقال ان فيه لحناً ولتقيمنه العرب بألسنتها

كان ابو عمرو اذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضي . وكان له في كل يوم فلسان يشترى بأحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه ثم يتركه لأهله ويشترى بالآخر ريحاناً فيشمه يومه فاذا امسي قال لجاريته جففيه ودقيه في الاشنان

روى يونس بن حبيب النحوى قال سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول مازدت في شعر العرب قط الا بيتاً واحداً وهو :

وانكرتنى وما كان الذى نكرت

من الحوادث الا الشيب والصلعا

وهذا البيت يوجد في جملة أبيات للأعشي

وقال أبو عبيدة دخل ابو عمرو بن العلاء علي سليمان بن علي وهو عم السفاح فسأله عن شيء فصدقه ، فلم يعجبه ماقاله فوجد ابو عمرو في نفسه وخرج وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك

وان اكرموني وان قربوا

اذا ما صدقتهم خفتهم

ويرضون منى بأن يكذبوا

ولد أبو عمر سنة (٧٠) وقيل (٦٨) وقيل (٦٥) بمكة وتوفي سنة (١٠٤) وقيل (١٥٩) وقيل (١٥٠) وقيل (١٥٦) بالكوفة . وقد خرج الي الشام يجتدى عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ولي دمشق فلما عاد الي الكوفة توفي بها

وذكر بعض الرواة انه رأى قبر أبي عمرو بالكوفة مكتوبا عليه (هذا قبر أبي عمرو بن العلاء)

لما حضرت ابا عمرو الوفاة كان يغشي عليه ويفيق ، فأفاق من غشية له فاذا ابنه بشر يبكي . فقال له مايبكيك وقد أتت علي اربع وثمانون سنة

ورثاه عبد الملك بن المقفع بقوله :

رزينا أبا عمر ولا حي مثله
فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا
ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدنا لك اننا
أمنا على كل الرزايا من الجزع

﴿ عمر بن قبس ﴾ من علماء الحديث العباد توفي سنة مائة وبضع واربعين سنة

﴿ عمرو بن دينار ﴾ هو أبو محمد الأثرم الجمحي وهو من ثقات العلماء . توفي سنة (١٢٦)

﴿ علم العمران ﴾ انظر علم الاجتماع البشري في مادة (جمع)

﴿ عمشت ﴾ عينه تَعْمَش عمشاً ضعف بصرها فهو أعمش . و (تعامش عن الشيء) تغافل عنه

﴿ الأعمش ﴾ هو سليمان بن مهران الاسدي الكوفي كان من علماء القرن الثاني توفي سنة (١٤٧) وقيل أكثر

﴿ عمق ﴾ الطريق والمكان يعمَق وعمُق يعمُق عُمقا بعد وطال وانبسط (عمُقت البئر) بعد قعرها و(أعمق البئر وعمّقها) جعلها عميقة . و (تعمّق في كلامه) تنطع . و (العُمْق والعَمْق والعُمُق) قعر البئر

﴿ عمل ﴾ الرجل يعمَل عملا صنع و (عامله) سامه بعمل . و (أعمله) جعله عاملا . و (تعمّل) تكلف العمل . و (اعتمل الرجل) عمل عملا متعلقا بنفسه . و (استعمله) جعله عاملا وسأله ان يعمل . (العمالة) مايتولاه العامل أي الوالي من البلاد و (عامل الرمح) مايلي السنان منه و (العِمالة والعُمالة) اجر العامل . و (رجل عمِيل) مطبوع على العمل و (العُملة) اجر العمل . و (المعاملات) الاحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الدنيا . و (اليَعْمَلة) الناقة النجيبة المطبوعة على العمل جمعها يَعْمَلات ويَعامِل . (العمل في الاقتصاد السياسي) انظر اشتراكية

﴿ العاملي ﴾ هو محمد بهاء الدين بن الحسين العاملي وهو مؤلف كتاب الكشكول في الادب وله كتاب المخلاة وكتاب (العروة الوثقى) في التفسير . وله (الزبدة) في الاصول . وله (خلاصة الحساب والهندسة) و (تشريح الافلاك) في علم الفلك

ولد ببعلبك سنة (٩٤٣) ثم ساح حتى

وصل الى اصفهان فوصل خبره الى السلطان شاه عباس الاول . فولاه مشيخة العلماء ثم جاء مصر فالقدس فحلب . ثم رجع الى اصفهان وتوفي سنة (١٠٣١)هـ

﴿ العمالقة ﴾ والعماليق هم بنو عمليق أو عملاق من فلسطين تفرقوا في البلاد (أنظر عرب)

﴿ عم ﴾ الشيء يعُم عُموماً شمل الجماعة فهو عام . و (عم الشيءَ) ضد خصصه . و (عم فلاناً) البسه العمامة و (أعم الرجل) كرم أعمامه و (تعمم) لبس العمامة ومثله اعتم و (العامّة) خلاص الخاصة . و (العمة) هيئة الاعتمام يقال هو حسن العمة ، و (العُمومة) مصدر كالابوة يقال بينهما عمومة . و (رجل مُعِمّ) أي كثير الاعمام

﴿ عمه ﴾ الرجل يعمَه وعمِه يعمَه عمها ضل وتحير فهو عمِه و (العمَه) ضد البصيرة

﴿ عمي ﴾ يعمَى عمى ذهب بصره . و (عمي عليه الامرُ) التبس واشتبه . و (أعماه) جعله اعمى . و (تعامى) أظهر العمى و (العَماء) السحاب المرتفع وقيل اسود وقيل الابيض و (العمي) الاعمى جمعه عُميون . و (المَعْماة) المجهل من الارض جمعها معامي . و (المُعَمَّى) من القول ماعمي معناه

﴿ ابن الاعمى ﴾ هو علي بن محمد المبارك كمال الدين ابن الاعمى الشاعر كان من شعراء الدولة الناصرية كان مقرئاً بالتربة الاشرفية وكان والده الشيخ ظهير الدين الاعمى خطيب القدس

من شعره قوله :

أنا في حالة النوى والتداني
لست أنفك عن الغرام عناني
لا يروم السلو قلبي ولا يفـ
ـتر عن ذكر من أحب لساني
وسواء اذا المودة واست
نظري بالعيان أو بالجنان
فاقتراب الديار لفظ وقرب الـ
ـود معنى فاسلك سبيل المعاني
لست ممن يرضى بطيف خيال
قانعاً في هواهم بالهوان
ان طيف الخيال دل على ان
الكرى قد يلم بالأجفان
غير اني تشتاق عيني الى من
حل من مهجتي أعز مكان

ويروحي ظبي تغار غصون ا ل
بان منه وتخجل النيران
ذو قوام يغنيه عن حمله الر
ح وجفن وسنانه كالسنان
كتب الحسن فوق خديه بين ا ل
سماء والنار فيهما جنتان
حرس الورد منهما نرجس اللح
ظ فلم سيجوه بالريحان

وقال يذم دار سكناه وفيه غلو كبير
أتي به توسعا في التخيل :

دار سكنت بها اقل صفاتها
ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد
والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته
كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى
غنت لها رقصت علي نغماتها
رقص بتنغيص ولكن قافه
قد قدمت فيه علي اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين
ن الشمس ما طربي سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها
فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز
ابصارنا من حصر كيفياتها
تغشي العيون بمرها ومجيئها
وتصم سمع الخلد من اصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها
مع ليلها ليست علي عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة
تدع الطهاة تضج من شوكاتها
شوكاتها فاقت علي سمر القنا
فاعجب لشدة فتكها وثباتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت
عنه العتاق الجرد في حملاتها
فترى ابا مروان منها هاربا
وابا الحصين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت
في ارضها وعلت علي جنباتها
لو شم اهل الحرب منتن فسوها
اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها
مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكم متحارب
متراكب في الارض مثل نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها
لا يفعل المشراط مثل اداتها

ابدا تمص دماءنا فكأنها
حجامة لبدت علي كاساتها
وبها من النمل السليماني ما
قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو
ن جلودنا فالعقر من سطواتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها
فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت علي اوكارها فظننتها
ورق الحمام سجعن في شجراتها
ولها زنابير تظن عقاربا
لابره للسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالاقارب رتع
فينا حمانا الله لدغ حماتها
فكأنها حيطانها كغرائب
اطلعن ارؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل الي النجاة ولا نجا
ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم في نفثاتها والمكر في
فلتاتها والموت في لفتاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها
والضيف لا ينفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها
وترابها كالرمل في خشناتها
والبوم عاكفة علي ارجائها
والدود يبحث في ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها
وجهنم تعزى الي نفحاتها
قد رممت من قبل آدم يلتقي
مع امنا حواء في عرفاتها
شاهدت مكتوبا لي ارجائها
ورأيت مسطورا علي عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا
تلقوا بأيديكم الي هلكاتها
ابداً يقول الداخلون ببابها
يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا
بتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا الفا غراب ناعق
كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبراً لعل الله يعقب راحة
للنفس ان غلبت علي شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من
شوق الصباح تسح من عبراتها
واقول يارب السموات العلي
يارازق الوحش في فلواتها

اسكنتني بجهنم الدنيا ففي
اخراي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن اهواه شملي عاجلا
ياجامع الارواح بعد شتاتها

وله هجو في حمام ضيق شديد الحر ليس فيه ماء بارد :

ان حمامنا الذى نحن فيه
قد اناخ العذاب فيه وخيم
مظلم الارض والسما والنواحي
كل عيب من عيبه يتعلم
حرج بابه كطاقة سجن
شهد الله من يجز فيه يندم
وله مالك غدا خازن النيـ
ران بل مالك ارق وارحم
كلما قلت قد اطلت عذابي
قال لي اخسأ فيه ولا تتكلم
قلت لما رأيته يتلظى
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

واهدى اليه صاحب صحن حلاوة ولم تكن جيدة فكتب اليه:

ان في صحنك المسمي حلاوة
رقة تورث القلوب قساوة
كم حفرنا فلم نجد غير ارض الصـ
حن يبسا كمثل ارض السماوة
لست ادرى من سكر كان ام من
عسل حين لم تشبه نداوة
غير اني رأيت صحنا صغيراً
ماعليه من النعيم طلاوة
شبهته العيون حين اتانا
وجه مولود قد علته غشاوة
لاتكن تحسب الصداقة هذا
ليس هذا صداقة بل عداوة

توفي سنة (٦٩٢) ه

﴿ العَشَنْبَل ﴾ البطي والنشيط والاسد. والضخم . والسيد الكريم

﴿ ابو العميثل ﴾ هو عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

كان من كبار الشعراء المكثرين من اللغة اصله فارسي من الرى وكان يفخم الكلام ويعربه تولي الكتابة لطاهر بن الحسين اكبر قواد المأمون ثم لابنه عبد الله بن طاهر ، فمن شعره يمدح عبد الله المذكور :

يامن يحاول ان تكون صفاته
كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلأ نصحنك في المشورة والذى
حج الحجيج اليه فاسمع أودع

أصدق وعف وبر وارفق واتئد
واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي
وهديت للنهج الاسد المهيع

و يقال انه وصل يوماً الى باب عبد الله بن طاهر فرام الدخول اليه فحجب فقال :

سأترك هذا الباب مادام أذنه
على ماأرى حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوماً الي الاذن سلما
وجدت الي ترك اللقاء سبيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأنكره وأمر بدخوله

وكان يقول النعمان اسم من اسماء الدم ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت الي الدم لحمرتها .قيل وقولهم انها منسوبة الي النعمان بن المنذر ليس بشيء وحدثت الاصمعي بهذا فنقله عني

ولكن الذى ذكره جمهور اللغويين عن شقائق النعمان ان النعمان بن المنذر وهو آخر ملوك الحيرة من اللخميين خرج الى ظاهر الكوفة وقد اعتم نبته ما بين اصفر واحمر واخضر واذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال ما احسنها احموها فحموها فسموها شقائق النعمان بذلك

ويحكي ان أباتمام الطائي لما أنشد عبد الله بن طاهر قصيدته البائية المذكورة في ترجمته كان أبو العميثل حاضراً فقال ياأبا تمام لم تقول مالا يفهم ؟ فقال ياأبا العميثل لم لاتفهم مايقال ؟

صنف أبو العميثل كتباً مفيدة منها كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وكتاب «المتشابه» وكتاب « الادبيات السائرة » وكتاب «معاني الشعر»

توفي سنة «٢٤٠» ه

﴿ عن ﴾ حرف جر ومن معانيها المجاوزة نحو بعدت عن البيت . وقد تأتي مرادفة لمن نحو قوله تعالي : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » أى من عباده. وقد تأتي للتعليل نحو: «أكرمه عن قصد» أى لقصد وتأتي بدل الباء نحو قوله تعالي وما ينطق عن الهوى

﴿ العنب ﴾ ثمر مشهور أصله من آسيا وهو يهوى الاقاليم المعتدلة وأحسن الاراضي التى توافقه المختلفة الطبيعة التى تكون محتوية على قليل من الحصي لانه يعين على الحرارة وعلى تهوية الأرض وهو يتكاثر بالمقل والبزور والترقيد والتطعيم

وهو يعرس في اوائل الصيف

وقيمته تختلف بحسب الكبر والاستطالة وغلظ القشر وعدم البزور وكثرة الشحم واللون والحلاوة الي أنواع كثيرة واجوده الكبار الرقيق القشر القليل البزور

يقول عنه اطباء العرب انه اجود الفواكه غذاء يسمن و يصلح هزال الكلي ويصفي الدمو يعدل الامزجة الغليظة و ينفع من السوداء والاحتراق وقشره يولد الاخلاط الغليظة وكذا بزره

قالوا وشرب الماء عليه يولد الاستسقاء وحمي العفن • ولا ينبغي ان يؤكل فوق الطعام

ويقول عنه أطباء العرب كما نقله الدكتور (ناورودتسكي) في كتابه (العلاج النباتي) : انه مرطب منظف للقناة الهضمية يعطي في الامراض الالتهابية وسدد الكبد والطحال والامراض المعدية العصبية والتهاب الامعاء والامساك . العنب معدود من الفواكه النافعة لادواء الصدر فيعمل من عصيره مشروب ذو تأثير كبير ضد السعال وآفات الرئة

ثم قال : وشاي اوراق العنب فيه خاصية ادرار البول والقبض ولذلك يوصف في أحوال الدسنطاريا والاسهال وانحباس البول والنقطة واليرقان

و يوصف العنب علاجا شافياً للرمل والنقطة وامراض الكلي والامساك

ثم قال ويجب غسل العنب بماء غزير قبل اكله

(علاج الضعف بالعنب)

عرفت للعنب خاصة التقوية منذ القدم ولكن تقرير العلاج به علي قواعد مخصوصة لازالة بعض الاعراض المرضية لم يحدث الا من لدن القرن الغابر

وقد عنى كثير من العلماء بدرس نتائجه علي المرضي حتى حدا حب البحث بعضاً منهم الى تجربة ذلك في انفسهم فانقطعوا لتناوله دون سواه عدة اسابيع علي الاسلوب الذى سنبينه فقرروا النتائج الآتية وهي :

ان الانقطاع الي تناول العنب علي الطريقة المقررة لذلك يزيد في ادرار البول و يقلل من حموضته ومن المقدار المطلق والنسبي لحمض البوليك وهو كما لا يخفي من اعدى المتخلفات الغذائية علي الصحة

وهو يفعل في الامعاء فعلا ملينا و يقلل الاختمارات فيها ويزيد في خاصة الجسم

لاختزان المواد الدهنية وتنبيه وظائف الكبد فيزيد في ادرار الصفراء وهي خاصة تعتبر غاية في القيمة وعليها تتوقف فائدته في معظم الأحوال

أما خاصة التقوية فيه فما لاسبيل لانكاره والعلة في ذلك انه باختزانه المواد الازوتية والدهنية في الجسم يعينه علي مقاومة الضعف . ويزيد في قوة مقاومته للامراض والانحلال فاذا تعاطاه المسلول أو المصاب بسرعة الانحلال في انسجة الجسم حفظ لها قوة المقاومة وقواها علي تحمل فعل الامراض بهما وكان بذلك عونا عظيما علي الشفاء مما ألم بهما

وله خاصية أخرى لاتقل في الخطورة والقيمة عن ماتقدم وهي وقايته لأنسجة الجسم من الاحتراق بفعل الحياة . والعلة في ذلك احتواؤه علي مواد ايدروكربونية كثيرة قابلة للاحتراق فمتى دخل الجسم وامتص احترقت المواد المذكورة وكفت الجسم مؤونة ايجاد الحرارة الغريزية باحتراق أنسجته الذاتية

الخلاصة ان التداوى بالعنب يحسن وظائف الكبد والامعاء والكليتين وهي من الاعضاء الرئيسية وأكثرها قبولا للتخلف عن وظائفها . وهي اذا انحرفت عن سننها الطبيعي انحرفت لها الصحة العامة لامحالة

(ماهي طريقة التداوى بالعنب ؟)

طريقة ذلك أن يقصد المصاب حديقة يكثر فيها العنب الجيد فيهب من نومه مبكراً وينزل الى الحديقة فيتناول بيده مايستطيع تناوله بلا افراط ولا تفريط و يتمتع بعد ذلك بمناظر الاشجار والازهار ويعرض جسمه للهواء الطلق ثم يرتاح فاذا جاع عاد الي ما كان عليه آنفا فيجمع العليل بذلك الرياضة الجسدية والعلاج بالعنب ولا يخفي مالرياضة من التأثير علي الصحة وقد يفيد هذا العلاج من لايستطيع الذهاب الي الحدائق أولا تمكنه حالته من الوجود فيها

أما مقدار مايؤخذ من العنب فلا يمكن تقديره لأنه يتعلق بحالة المريض وسنه وقد شوهد ان من المرضي من يتناول من أربعة ارطال الي ثمانية في اليوم فلا يمر علي المتعالجين بهذه الطريقة أسابيع حتى تعود اليهم قوتهم وحيويتهم فاذا حافظوا عليها بالتدبير الغذائي الحكيم أمنوا شر الوقوع فيما كانوا قد وقعوا فيه

عنب الثعلب هو من الثمار الطبية منه بستاني يستنبت ومنه برى ينبت بنفسه. من خواصه أنه يفتتح السدد و يمنع السيلان واليرقان والطحال وامراض الكلي والمثانة والالتهاب وضيق التنفس والربو والصلابات الباطنة شربا بالسكر

ويحتقن به فيمنع الجنون واذا استعمل من الخارج حلل الاورام حيث كانت بدهن الورد والاسفيداج والملح يقطع الحكة والجرب

وتبخر به النزلات ووجع الاسنان ووجع الحلق فيذهب بسرعة ويقطر في الاذن فيذهب أمراضها الحارة

ومن مضاره أنه يخدر ويخلط العقل ويصلحه القيء واكل الربوب

عناب هوشجر معروف يقارب الزيتون في الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه سبط أجوده النضيج اللحيم الاحمر الحلو

(خواصه الطبية) ينفع من خشونة الحلق والصدر والسعال والتهيب والعطش وغلبة الدم وفساد مزاج الكبد والكلي والمثانة وأورام السفل كلها والمقعدة وورقه يدبر الذوق اذا مضغ فيمين علي تعاطي الأدوية البشعة . وهو يحبس القيء

وان دق ونثر علي القروح الساعية والحمرة والقلة والأ واكل بعد الطلي بالعسل أبرأها . وان طبخ حتى ينضج وشرب من مائه نصف رطل أبرأ من الحكة

العنبر هو تجمد مرضي في قوام الشمع يتكون في امعاء حيوان بحرى يسمي قشلوت مكروسيفال . توجد تلك المادة منه في المعي الاعور غالبا في وسط سائل أصفر نارنجي أو أحمر مع بعض بقايا فكوك حيوانية بحرية صغيرة . وماذكر غير ذلك فباطل . غالبا يوجد العنبر سابحا علي وجه البحر قرب شواطيء الهند والصين واليابان وافريقا والبريزيل

وقت خروج هذه المادة من بطن الحيوان تكون رخوة ولونها ورائحتها كالمادة الثفلية . والعنبر الذى يلتقط علي شواطيء البحار قد يكون كبير الحجم حتى انه يبلغ مائة رطل . لونها سنجابي مسود لكنها معرقة ببياض معتبر . طعمها تفه دسم ورائحتها قوية

أما من جهة الوجهة الكيماوية فهو مركب من ٨٥ من العنبرين و ٥ر٢ من مادة بلسمية وفيه أيضاً مادة تذوب في الماء

ومخلوطة بالحمض الجاوى . فالعنبرين مادة دسمة بيضاء فاقدة الطعم والرائحة اذا كانت نقية ولا تذوب في الماء وتذوب في الاتير والكحول

(استعمال العنبر) ظل الاطباء مدة طويلة يعتبرونه مقويا للاعضاء ومثيراً للقوة التناسلية ومطيلا للحياة وكانوا يرون ان له فعلا خاصاً علي القلب والمجموع العصبي . فأما فعله علي القلب فهو مذهب الاستاذ الرازى وأما فعله علي المخ والمجموع العصبي فحقق تجريبات المتأخرين الذين عرفوا له فعلا شبيهاً بفعل المسك فتأثيره يظهر علي الأكثر في الجهاز المخي الشوكي والجهاز الدورى . وقد تحقق بالمشاهدات ان جزءاً صغيراً منه يواتر النبض ويزيد في قوته وقوة الوظائف المخية والعضلية ويحدث تزيحاً . وهذه الصفات تستدعي دقة الطبيب الذى يأمر به فانها تشعر بتنبيه شديد لا يكون حميد العاقبة علي متعاطيه

وقد استعمله الطبيب (كلوكيه) مع النجاح في مرض سوء الهضم العصبي والنزلات المزمنة

واستعمل كثيراً في الهيبوخونداريا والليبوتيميا أى انقطاع الحس والحركة وهو أيضاً مضاد للعفونة . ولكن بطل استعمال العنبر الآن من الوجهة العلاجية لما ينشأ عنه من المضار علي المخ والمجموع العصبي وقصر استعماله علي التعطير

أما أطباء العرب فقد بالغوا في مدحه ووسعوا دائرة العلاج به حتى صار يستعمل لأكثر أعضاء البدن كالأمراض الباردة والدماغ والاذن والأنف وأمراض الصدر كالسعال والربو وأمراض القلب وقروح الرئة وضعف المعدة والكبد والاستسقاء واليرقان والطحال وأمراض الكلي والرياح الغليظة . وقالوا انه أجل المفردات فيما ذكر وشديد التفريح . وهو يقوى الحواس وينعش القوى ويعيد ما أذهبه الدواء والافراط في الشهوات

علي هذه الاقوال أسس عطارو مصر معاجين ومربيات يبيعونها باسم مقويات وهي في الحقيقة سموم فتاكة فيندفع الي تعاطيها الذين فقدوا قواهم الحيوية بالافراطات في دور الشبيبة فتحدث لديهم تهيجات وقتية ثم تزول ويبقي أثرها السيء في مجموعهم العصبي وربما أدى بهم استعمال تلك المقويات الي أمراض خطيرة تودى بحياتهم في دقائق معدودة

فعلي الذين فقدوا قواهم الحيوية ان لايعرضوا حياتهم للخطر باستعمل هذا العلاج المهيج فان تهييجه وقتي لايلبث ان يزول ويحل محله ضعف لابره له، وليعلموا ان ماذهب به الافراط في الشبيبة لايعود في الشيخوخة وان لكل طور من اطوار عمر الانسان حالا يخصه ويحسن فيه . وليس من العقل ولا الكمال ان يريد الانسان بأن يكون في دور شيخوخته من الوجهة الشهوية كما كان في دور شبيبته . فان حاول المدلسون ان يوهموه بذلك فليعارضه بالحس وليرأ بصحته من ان تلعب بها هذه النزعات السافلة والمقاصد الاثيمة

العنبر هو نبات سوقه تعلو الى نصف متر وهو سنوى وازهاره زرقاء يتكاثرمن بزوره في فصل الربيع أو الخريف وهو كثير الوجود في الحدائق

عَنِتَ الشيء يعنَت فسد . و(عَنِتَ فلان) دخل في امر شاق . و (عنّته وأعنته) شدد عليه و (العَنَت) الشدة والخطأ

عُنتر الرجلُ شجع في الحرب و (العَنتر) الذباب واحده عنترة

عنترة هو عنترة بن شداد بن عمرو بن قراد يقال ان أباه ادعاه بعد الكبر وذلك انه كان لأمة سوداء اسمها زبيبة ، وكانت العرب في الجاهلية اذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده ، وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد . وكان سبب ادعاء أبي عنترة اياه ان بعض احياء العرب أغاروا علي قوم من بنى عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنترة . فقال له أبوه كر . فقال العبد لايحسن الكر ، وانما يحسن الحلاب والصر . فقال له ابوه كر وأنت حر . فكر وقاتل قتالا حسناً واستنقذ ما في ايدى القوم من الغنيمة فادعاه ابوه بعد ذلك

وهو احد اغربة القوم وهم ثلاثة عنترة وأمه سوداء ، وخفاف بن ندبة السلمى وأبوه عمير وامه سوداء واليها ينسب ، والسليك ابن سلكة السعدى

وكان عنتره من أشد اهل زمانه قوة وأعرفهم بالحرب وفنونها هو معدود احد الفرسان الذين مابلغ مبلغهم في الفروسية عربي وهم عامر بن الطفيل وعنترة المذكور هنا والسليك ابن السلكة وعتيبة بن الحرث وعمرو بن معدى كرب الزبيدى

كان عنترة لايقول من الشعر الا البيتين والثلاثة حتى سابه رجل من قومه فذكر سواده وسواد امه وغير ذلك وانه لايقول الشعر . فقال له عنترة والله ان الناس ليترافدون الطعمة ، فما حضرت انت ولا ابوك ولا جدك مرفد الناس قط وان الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيتك في خيل مغيرة في اوائل الناس قط وان اللبس ليكون بيننا فما حضرت انت ولا ابوك ولاجدك خطة فصل وانما انت فقع بقرقر وانى لاحتضر البأس واوفى المغنم واعف عن المسألة واجود بما ملكت يدى ، وفصل الخطة الصماء . واما الشعر فستعلم فكان اول ما قال من القصائد (هل غادر الشعراء من متردم) ويروى مترنم وهو اجود شعره بل من اجود الشعر وكانت العرب تسمي تلك القصيدة التى عدت من المعلقات بالمذهبة

مما سبق اليه عنترة ولم ينازع فيه قوله:

اني امرؤ من خير عبس منصبا
شطرى واحمي سائرى بالمنصل
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت
الفيت خير من معم مخول

وقوله

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل
لابد ان اسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لاابالك واعلمي
اني امرؤ سأموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل مثلت
مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل
والخيل تعلم والفوارس اننى
فرقت جمعهم بطعنة فيصل

ومن غلوه في مدح نفسه قوله :

وانا المنية في المواطن كلها
والطعن منى سابق الآجال
اني لتعرف في الحروب مواقفي
من آل عبس منصبي وفعالى
منهم ابي حقا فهم لي والد
والام من حام فهم اخوالي

وقد اشتهر عنترة بحب بنت عمه عبلة فشبب بها كثيراً وذكرها في معلقته وقد وضع القصاصون في ذلك قصة تقع في نحو ثلاثين مجلداً ذكروا فيها جهاده للحصول عليها واكثر مافيها مبالغ فيه

اما معلقته فهي:

هل غادر الشعراء من متردَّم … أم هل عرفت الدار بعد توهم (١)

يا دار عبلة بالجواء تكلمي … وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي (٢)

دار لآنسة غضيض طرفها … طوع العناق لذيذة المتبسم (٣)

فوقفت فيها ناقتي وكأنها … فدن لأقضي حاجة المتلوّم (٤)

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا … بالحزن فالصمان فالمتثلم (٥)

حييت من طلل تقادم عهده … أقوى وأقفر بعد أم الهيثم (٦)

حلت بأرض الزائرين فأصبحت … عسراً علي طلابك ابنة مخرم (٧)

علقتها عرضاً واقتل قومها … زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم (٨)

---

(١) المتردم الموضع الذى يستصلح لما اعتراه من الوهن ، والتردم مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول هل ترك الشعراء موضعاً الا وقد رقعوه وأصلحوه اى لم يتركوا شيئاً يصاغ فيه شعر الا وقد صاغوه . أو لم يتركوا شيئاً الا رجعوا نغماتهم بانشاء الشعر في وصفه (٢) الجو الوادى والجمع الجواء وهو في هذا البيت اسم موضع (٣) الآنسة المؤنسة . والغضيض الاين ولذيذة المتبسم اى الفم (٤) الفدن القصر والجمع الأفدن . والمتلوم المتمكث يقول حبست ناقتي في دار حبيبتي . شبه الناقة بقصر في عظمها وضخمها . ثم قال وانما وقفتها فيها لأقضي حاجة المتمكث بجزعي من فراقها

(٥) يقول وهي نازلة بهذا الموضع وأهلنا نازلون بتلك المواضع

(٦) الاقواء والاقفار الخلاء جمع بينهما بضرب من التأكيد . وأم الهيثم كنية عبلة . يقول حييت من جملة الاطلال أى خصصت بالتحية من بينها ثم أخبر انه قدم عهده بأهله وقد خلا عن السكان بعد ارتحال حبيبته عنه (٧) الزائرون الاعداء جعلهم يزأرون كالاسود . يقول نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر علي طلابها . (٨) قوله علقتها عرضاً أى عشقتها فجأة بغير قصد . والزعم الطمع والمزعم المطمع . يقول عشقتها مفاجأة أى نظرت اليها نظرة اكسبتني شغفاً بها مع قتل قومها ثم قال أطمع في حبك طمعاً لا موضع له لأنه لا يمكنني الظفر بوصالك مع ما بين

ولقد نزلت فلا تظني غيره … مني بمنزلة المحب المكرَّم (٩)

كيف المزار وقد تربع أهلها … بعنيزتين وأهلنا بالغيلم (١٠)

ان كنت أزمعت الفراق فانما … زمت ركابكم بليل مظلم (١١)

ماراعني الا حمولة أهلها … وسط الديار تسف حب الخمخم (١٢)

فيها اثنتان وأربعون حلوبة … سوداً كخافية الغراب الأسحم (١٣)

اذ تستبيك بذي غروب واضح … عذب مقبله لذيذ المطعم (١٤)

وكأن فارة تاجر بقسيمة … سبقت عوارضها اليك من الفم (١٥)

أو روضة أنفاً تضمن نبتها … غيث قليل الدمن ليس بمعلم (١٦)

الحيين من القتال (٩) يقول نزلت من قلبي منزلة المحب المكرم فتيقني هذا

(١٠) يقول كيف يمكنني أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهلنا بذلك الموضع وبينهما بون

(١١) الازماع توطين النفس علي الشيء والركاب الابل . يقول: ان وطنت نفسك علي الفراق فاني قد شعرت به بزمكم ابلكم ليلا

(١٢) الحمولة الابل والخمخم نبت تعلفه الابل . يقول مايفزعني الا استفاف ابلها حب الخمخم وسط الديار أى ما انذرني بارتحالها الا انقضاء مدة الانتجاع والكلأ فاذا انقضت مدة الانتجاع علمت انها راحلة الي دار حيها

(١٣) الحلوبة جمع الحلوب والاسحم الاسود . والخوافي من الجناح أربعة من ريشها . يقول في حمولتها اثنتان وأربعون ناقة تحلب ، سوداء كخافية الغراب الاسود والسود أنفس الابل فوصف رهط محبوبته بالغنى

(١٤) الغروب جمع غرب وهو الحد والوضوح البياض . والموضع موضع التقبيل منه . أراد بالغروب الأشر التى تكون في أسنان الشابات . يقول أنها تسبيك بذي أشر يستعذب تقبيله (١٥) سميت فارة المسك لأن الطيب تفور منها . والقسامة الحسن . والعوارض من الاسنان معروفة يقول وكأن فارة مسك عطار بنكهة امرأة حسناء سبقت عوارضها اليك مافي فيها (١٦) الروضة الأنف التي لم ترع .

جادت عليه كل بكر حرة
فتركن كل قرارة كالدرهم (١٧)
سحا وتسكابا فكل عشية
يجرى عليها الماء لم يتصرم (١٨)
وخلا الذباب بها فليس ببارح
غردا كفعل الشارب المترنم (١٩)

والدِمن والدِمَن من جماعة دمنة وهي السرجين يقول : وكأن فارة تاجر أو روضة لم ترع بعد قد زكانبتها وسقاه مطر لم يكن معه سرجين وليست الروضة بمعلم تطأه الدواب والناس (١٧) البكر من السحاب السابق مطره . والحرة الخالصة من البرد والريح والحر من كل شيء خالصه . يقول مطرت علي هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لابرد معها حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها

(١٨) السح الصب والانصباب . والتسكاب السكب . يقول أصابها المطر الجوْد صبا وسكبا فكل عشية يجرى عليها ماء السحاب ولم ينقطع عنها (١٩) يقول وخلت الذباب بهذه الروضة فلا تزايلها وتصوت تصويت شارب الخمر حين يرجع صوته بالغناء

هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب علي الزناد الأجذم (٢٠)
تمسي وتصبح فوق ظهر حشية
وأبيت فوق سراة ادهم ملجم (٢١)
وحشيتى سرج علي عبل الشوى
نهد مراكله نبيل المحزم (٢٢)

(٢٠) هزجا أى مصوتا . والمكب المقبل علي الشيء . والأجذم الناقص اليد . يقول ان صوت الذباب مثل قدح رجل ناقص اليد قد اقبل علي قدح النار. شبه حكه احدى يديه بالاخرى بقدح رجل ناقص اليد النار من الزندين

(٢١) السراة أعلي الظهر. يقول تصبح محبوبته وتمسي فوق فراش وطيء وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم . يقول هي تتنعم وأنا أقاسي شدائد الاسفار والحروب

(٢٢) الحشية من الثياب ماحشي بقطن أو صوف أو غيرهما. والعبل الغليظ والشوى الاطراف والقوائم . والنهد الضخم . والمراكل جمع المركل وهو موضع الركل والركل الضرب بالرجل . والمحزم موضع الحزام . يقول وحشيتى سرج علي فرس غليظ القوائم والاطراف ضخم الجنبين منتفخهما سمين موضع الحزام

هل تبلغنى دارها شدنية
لُعنت بمحروم الشراب مصرم (٢٣)
خطّارة غب السُرى زيّافة
تطس الإكام بوخد خف ميثم (٢٤)
فكأنما أقص الإكام عشية
بقريب بين المنسمين مصلم (٢٥)

يريد انه يستوطىء غيره الحشية ويلازم هو ركوب الخيل لزوم غيره الجلوس علي الحشية والاضطجاع عليها

(٢٣) شدن ارض أو قبيلة تنسب الابل اليها واراد بالشراب اللبن . والتصريم القطع يقول هل تبلغنى دار الحبيبة ناقة شدنية لُعنت ودُعي عليها بأن تحرم اللبن ويقطع لبنها لبعد عهدها باللقاح وانما شرط هذا لتكون اقوى وأسمن (٢٤) الزيف التبختر . والوطس والوثم الكسر يقول : هي رافعة ذنبها في سيرها مرحا ونشاطا بعد ما سارت الليل كله متبخترة تكسر الآكام بخفها الكثير الكسر للاشياء . والوخد السير السريع والميثم للمبالغة كأنه آلة للوثم (٢٥) المصلم من أوصاف الظليم لانه لا اذن له ، والصلم الاستئصال . يقول كأنما تكسر الآكام لشدة وطئها عشية بعد سرى الليل وسير

تأوى له قُلص النعام كما أوت
حِزَقٌ يمانية لاعجم طمطم (٢٦)
يتبعن قلة رأسه وكأنه
حدج علي نعش لهن مخيم (٢٧)
صعل يعود بذى العُشيرة بيضه
كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم (٢٨)

النهار كظليم قرب مابين منسميه ولا اذن له . (٢٦) القلوص من الابل بمنزلة الجارية من النساء والجمع قُلُص . والحزق الجماعات والطمطم الذى لا يفصح . يقول تأوى الي هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الابل اليمانية الى راع أعجم عي لايفصح شبه الظليم في سواده بهذا الراعي الحبشي وقلص النعام بابل يمانية وشبه أويها اليه بأوى الابل الي راعيها (٢٧) قلة الرأس اعلاه والحدج الهودج . والنعش الشيء المرفوع. والمخيم المجعول خيمة . يقول تتبع هذه النعام أعلي رأس هذا الظليم أى جعلته نصب أعينها · ثم شبه خلقه بمركب من مراكب النساء جعل كالخيمة علي مكان مرتفع (٢٨) الصعل والاصعل الصغير الرأس ويعود أى يتعهد . والاصلم الذى لا اذن له شبه الظليم بعبد لبس فروا طويلا ولا اذن له لانه لا اذن للنعام

شربت بماء الدحرضين فأصبحت
زوراء تنفر عن حياض الديلم (٢٩)
وكأنما تنأى بجانب دفها الـ
وحشي من هزج العشي مؤوم (٣٠)
هر جنيب كلما عطفت له
غضبى اتقاها باليدين وبالفم (٣١)

(٢٩) الزور الميل وزوراء أى مائلة ومياه الديلم مياه معروفة . يقول : شربت هذه الناقة من مياه هذا الموضع فأصبحت مائلة نافرة عن مياه الأعداء

(٣٠) الدف الجنب والجانب الوحشي اليمين وسمي وحشياً لانه لا يركب من ذلك الجانب ولا ينزل منه والهزج الصوت والصفة منه هزج . والمؤوم القبيح الرأس العظيمه . يقول : من هزج العشي أى من خوف هزج العشي فحذف المضاف والباء في قوله بجانب دفها للتعدية . يقول كأن هذه الناقة تبعد وتنحي الجانب الأيمن منها من خوف هر عظيم الرأس قبيحه

(٣١) هر بدل من هزج العشي جنيب أى مجنوب اليها أى قود يقول تنحي تتباعد من خوف سنور كلما انصرفت الناقة غضبى لتعقره قابلها الهر بالخدش بيده والعض بفمه يقول كلما مالت رأسها اليه زاده خدشاً وعضاً

بركت على جنب الرداع كأنما
بركت على قصب أجش مهضم (٣٢)
وكأن رباً أو كحيلاً معقداً
حش الوقود به جوانب قمقم (٣٣)
ينباع من ذفرى غضوب جسرة
زيافة مثل الفنيق المكدم (٣٤)

(٣٢) رداع اسم موضع . اجش له صوت . مهضم اى مكسر . يقول كأنما بركت هذه الناقة وقت بروكها على جنب الرداع على قصب مكسر له صوت. شبه أنينها من كلالها بصوت القصب المكسر عند بروكها عليه (٣٣) الرب الطلا . والكحيل القطران . وعقدت الدواء غليته حتى خثر وحش النار اوقدها . والوقود الحطب . شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم اوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان

(٣٤) ينباع اراد بها ينبع فأشبع الفتحة لاقامة الوزن فتولدت من اشباعها الف ومنهم من جعله ينفعل من البوع وهي طي المسافة . والذفرى ماخلف الاذن . والجسرة الناقة الموثقة الخلق . والزيافة التبختر . والفنيق الفحل من الابل . يقول ينبع هذا العرق من خلف اذن ناقة

ان تغدفي دون القناع فانني
طب بأخذ الفارس المستلئم (٣٥)
أثني علي بما علمت فانني
سمح مخالقتي اذا لم أظلم (٣٦)
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم (٣٧)

غضوب موثقة الخلق شديدة التبختر من سيرها مثل فحل من الابل قد كدمته الفحول (٣٥) الاغداف الارخاء وطب أى حاذق عالم . واستلأم لبس اللأمة . يقول مخاطباً محبوبته : ان ترخي وترسلي دوني القناع . أى تستتري عني فاني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين . أى لا ينبغي لك أن تزهدي في مع نجدتي وشدة مراسي . وقيل معناه اذا لم أعجز عن صيد الفرسان الدارعين فكيف أعجز عن صيد أمثالك

(٣٦) المخالقة مفاعلة من الخلق يقول اثني علي أيتها الحبيبة بما علمت من محامدي ومناقبي فاني سهل المخالطة والمخالقة اذا لم يهضم حقي ولم يبخس حقي

(٣٧) باسل كريه وشجاع يقول : واذا ظلمت وجدت كريها مرا كطعم العلقم أى من ظلمني عاقبته عقابا بالغا

ولقد شربت من المدامة بعد ما
ركد الهواجر بالمشوف المعلم (٣٨)
بزجاجة صفراء ذات أسرة
قرنت بأزهر بالشمال مفدم (٣٩)
فاذا شربت فانني مستهلك
مالي وعرضي وافر لم يكلم (٤٠)

يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه

(٣٨) الهواجر جمع الهاجرة وهي أشد الاوقات حراً . والمشوف المجلو . والمعلم أى الذي عليه علامة وأراد به الدينار يقول ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر بالدينار المجلو المنقوش والعرب تفتخر بالخمر والقمار لأنهما من دلائل الجود عندهم (٣٩) الاسرة الخطوط الموجودة بالجبهة . وبأزهر أى بابريق أزهر ومفدم أى مسدود الرأس بالفدام . يقول شربت الخمر بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بابريق أبيض مسدود الرأس بالفدام لأصب الخمر من الابريق والزجاجة (٤٠) يقول : فاذا شربت فانني أهلك مالي بجودي ولا أشين عرضي فأكون تام العرض مهلكا للمال ولكن لا يكلم عرضي عيب عائب . يفتخر بأن سكره يحمله على محامد الاخلاق ويكفه

ولذا صحوت فما اقصر عن ندى
وكما علمت شمائلي وتكرمي (٤١)
وحليل غانية تركت مجدلا
تمكو فريصته كشدق الأعلم (٤٢)
سبقت يداى له بعاجل طعنة
ورشاش نافذة كلون العندم (٤٣)

عن المثالب (٤١) يقول واذا صحوت من سكرى لم أقصر عن جودى أى يفارقنى السكر ولا يفارقنى الجود. ثم قال واخلاقي وتكرمى كما علمت أيتها الحبيبة. افتخر بالجود ووفور العقل اذ لم ينقص السكر عقله

(٤٢) الحليلة الزوجة. والغانية ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها عن الرجال، وقيل بل الغانية البارعة الجمال المستغنية بجمالها عن التزين. وقيل الغانية المقيمة في بيت أبويها لم تتزوج من قولهم غنىَ بالمكان اذا قام به. والأشهر القول الثاني. وجدلته ألقيته على الجدالة وهى الارض. والمكاء الصفير. والعلم الشق في الشفة العليا يقول: ورب زوج امرأة بارعة الجمال قتلته وألقيته على الارض وكانت فريصته تصفر بانسكاب الدم منها كشدق الأعلم، شبه سعة الطعنة بسعة شدق الأعلم (٤٣) العندم دم الاخوين

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي (٤٤)
اذ لا أزال على رحالة سابح
نهد تعاوره الكماة مكلم (٤٥)
طوراً يجرد للطعان وتارة
يأوى الى حصد القسي عرمرم (٤٦)

يقول طعنته طعنة في عجلة ترش دما من نافذة يحكي لون العندم (٤٤) يقول هل سألت الفرسان عن حالي في قتالي ان كنت جاهلة بها (٤٥) التعاور التداول يقال تعاوروه ضربا اذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب. والكلم الجرح والتكليم التجريح. يقول هلا سألت الفرسان عن حالي اذا لم أزل على سرج فرس سابح تنتاب الابطال في جرحه. والنهد الضخم (٤٦) الطور التارة والمرة والجمع الاطوار يقول مرة أجرده من صف الاولياء لطعن الاعداء وانضم مرة الى قوم محكمى القسي كثيرون. يقول احمل على الاعداء فأحسن البلاء ومرة انضم الى قوم احكمت قسيهم وكثر عددهم. أراد انهم رماة مع كثرة عددهم والعرمرم الكثير، وحصد الشيء استحكم

يخبرك من شهد الوقيعة انني
أغشى الوغى واعف عند المغنم (٤٧)
ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هربا ولا مستسلم (٤٨)
جادت له كفي بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم (٤٩)
برحيبة الفرغين يهدى جرسها
بالليل معتس الذئاب الضرم (٥٠)

(٤٧) الوقيعة اسم من اسماء الحرب كالوقعة، والوغى من اصوات اهل الحرب ثم استعير للحرب، والمغنم الغنيمة، يقول ان سألت الفرسان عن حالى في الحرب يخبرك من حضر الحرب بأني كريم عالى الهمة آتي الحروب واعف عن اغتنام الاموال

(٤٨) المدجج التام السلاح والامعان الاسراع في الشيء والغلو فيه، يقول ورب رجل تام السلاح كانت الابطال تكره نزاله وقتاله لفرط بأسه لا يسرع في الهرب اذا اشتد بأس عدوه ولا يستكين له اذا صدق مراسه (٤٩) يقول: جادت يدى له بطعنة عادلة برمح مقوم صلب الكعوب. والصدق الصلب (٥٠) الرحيبة الواسعة والفرغ ما بين كل عروتين من الدلو مدفوع

فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم (٥١)
فتركته جزر السباع ينشنه
يقضمن حسن بنانه والمعصم (٥٢)
ومشك سابغة هتكت فروجها
بالسيف عن حامي الحقيقة معلم (٥٣)

الماء الى الاودية، والجرس والجرس الصوت: يقول: حسن سيلان دم هذه الطعنة يدل السباع اذا سمعن خرير الدم منها فيأتينه ليأكلن منه، والمعتس من الذئاب وغيرها المبتغى الطالب، يقال يعتس اى يطلب فريسة، والضرم الجياع (٥١) الشك الانتظام يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه ثم قال ليس الكريم محرما على الرماح (٥٢) الجزر جمع جزرة وهي الشاه المعدة للذبح، والنوش التناول والقضم الاكل بمقدم الاسنان، يقول: فصيرته طعمة للسباع كما يكون الجزر طعمة للناس، ثم قال تتناوله السباع وتأكل بمقدم اسنانها بنانه الحسن ومعصمه الجميل (٥٣) المشك الدرع التى قد شك بعضها الى بعض. والحقيقة ما يحق عليك حفظه والمعلم الذى اعلم نفسه اى شهرها بعلامة حتى يعرف. والمعلم الذى يشار اليه بأن

رَبِذٍ يداه بالقداح اذا شتا
هتاك غايات التجار ملوّم (٥٤)
لما رآني قد نزلت أريده
أبدى نواجذه لغير تبسم (٥٥)
عهدي به مد النهار كأنما
خُضب البنان ورأسه بالعظلم (٥٦)

فارس الكتيبة . يقول: رب موضع انتظام درع واسعة شققت وسطها بالسيف عن رجل حاملا يجب عليه حفظه شاهر نفسه في حومة الحرب (٥٤) الربذ السريع شتا دخل في الشتاء. والغاية راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه. واراد بالتجار الخمارين والملوم الذي ليم مرة بعد أخرى . يقول : هتكت الدرع عن رجل سريع اليد خفيفها في اجالة القداح في الميسر في البرد وعن رجل يهتك رايات الخمارين بشراء جميع ماعندهم ملوم علي اسرافه في الجود

(٥٥) يقول : لما رآني هذا الرجل نزلت عن فرسي أريده كشر عن أسنانه غير متبسم لفرط كلوحه

(٥٦) مد النهار طوله ، والعظلم نبت يختضب به . والعهد اللقاء : رأيته طول النهار وامتداده بعد قتلي اياه وجفاف الدم عليه كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت

فطعنته بالرمح ثم علوته
بمهند صافي الحديدة مخذم (٥٧)
بطل كأن ثيابه في سرحة
يُحذى نعال السبت ليس بتوأم (٥٨)
ياشاة ماقنص لمن حلت له
حرمت علي وليتها لم تحرم (٥٩)
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي
فتجسسي أخبارها لي واعلمي (٦٠)

(٥٧) المخذم السريع القطع . يقول : طعنته برمحي حين القيته من ظهر فرسه ثم علوته بسيف مهند صافي الحديد سريع القطع (٥٨) السرحة الشجرة العظيمة يحذى أي يجعل حذاء له والحذاء النعل . يقول : وهو بطل مديد القد كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته ، واستواء خلقه تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرظ نعالا له أي تستوعب رجلاه السبت ولم تحمل أمه معه غيره . والسبت الجلد المدبوغ

(٥٩) ماصلة زائدة والشاة كناية عن المرأة. يقول : ياهؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فانها قد حازت أتم الجمال (٦٠) فيقول بعثت جاريتي لتتعرف أحوالها لي

قالت رأيت من الاعادي غرة
والشاة ممكنة لمن هو مرتم (٦١)
وكأنما التفتت بجيد جداية
رشأ من الغزلان حر أرثم (٦٢)
نبئت عمرا غير شاكر نعمتي
والكفر مخبثة لنفس المنعم (٦٣)

(٦١) الغرة الغفلة . يقول فقالت جاريتي لما انصرفت اليّ صادفت الاعادي غافلين عنها ، ورمي الشاة ممكن لمن أراد أن يرميها ، يريد ان زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء عنها (٦٢) الجيد العنق والجداية ولد الظبية والجمع الجدايا. والرشأ الذي قوي من أولاد الظباء والحر من كل شيء خالصه وجيده . والأرثم الذي في شفته العليا أثر بياض . يقول كأن التفاتها الينا في نظرها التفات ولد ظبية هذه صفته في نظره

(٦٣) التنبئة والتنبي الاخبار وانبأ أفعل من سبعة أفعال تتعدى الي ثلاثة مفاعيل وهي أعلمت وأريت وانبأت ونبأت واخبرت وخبرت وحدثت . يقول : اعلمت ان عمرا لايشكر نعمتي وكفران النعمة ينفر نفس المنعم عن الانعام . فالتاء في نبئت هو المفعول الاول قد أقيم مقام الفاعل واسند الفعل اليه وعمراً المفعول الثاني وغير الثالث

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى
اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (٦٤)
في حومة الحرب التي لا تشتكي
غمراتها الابطال غير تغمغم (٦٥)
اذ يتقون بي الاسنة لم أخم
عنها ولكني تضايق مقدمي (٦٦)
لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم (٦٧)

(٦٤) الوصاة الوصية . وضح الفم الاسنان وتقلص أي تتشنج وتقصر يقول : حفظت وصية عمي اياي باقتحامي القتال في أشد أحوال الحرب وهي حال تقلص الشفاه عن الاسنان فرقا من القتل

(٦٥) حومة الحرب معظمها وغمرات الحرب شدائدها . والتغمغم صياح لايفهم منه شيء . يقول : ولقد حفظت وصية عمي في حومة الحرب التي لا تشكوها الابطال الا بجلبة وصياح (٦٦) لم أخم أي لم أجبن . والمقدم موضع الاقدام . يقول حين جعلني أصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم لم اجبن عن تلك الاسنة ولكن تضايق موضع أقدامي فتأخرت لذلك لا لنكوص

(٦٧) يتذامرون يتحاضون علي القتال غير مذمم أي محمود

يدعون عنتر والرماح كأنها
اشطان بئر في لبان الادهم (٦٨)
ما زلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم (٦٩)
فازور من وقع القنا بلبانه
وشكا الي بعبرة وتحمحم (٧٠)
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكي
ولكان لو علم الكلام مكلمي (٧١)
ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم (٧٢)
والخيل تقتحم الخبار عوابساً
من بين شيظمة وأجرد شيظم (٧٣)

(٦٨) اشطان البئر حباله . ولبان الادهم صدره (٦٩) الثغرة الانخفاض الذى في أعلي النحر وتسربل أى اكتسي (٧٠) ازور أى مال والتحمحم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له (٧١) المحاورة المخاطبة (٧٢) يقول ولقد شفا نفسه قول الفرسان أقدم يا عنترة لاعتمادهم علي نجدته (٧٣) الخبار الارض اللينة والشيظم الطويل من الخيل والاجرد القصير الشعر

ذُلُل ركابي حيث شئت مشايعي
لبي وأحفزه بأمر مبرم (٧٤)
اني عداني أن أزورك فاعلمي
ما قد علمت و بعض ما لم تعلم (٧٥)
حالت رماح ابنَي بغيض دونكم
وزوت جواني الحرب من لم يجرم (٧٦)
ولقد كررت المهر يدمي نحره
حتى اتقتني الخيل بابني حذيم (٧٧)
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
للحرب دائرة علي ابني ضمضم (٧٨)
الشاتمي عرضي ولم أشتمهما
والناذرين اذا لم القهما دمي (٧٩)

(٧٤) ذلل جمع ذلول وهو ضد الصعب والركاب الابل ، ومشايعي أى معاوني ، ولبي أى عقلي يقول : تذلل ابلي لي حيث وجهتها ويعاونني عقلي وأمضي ما يقتضيه بأمر محكم (٧٥) عداني شغلني (٧٦) ابنا بغيض بنو عبس وذبيان يريد شغله عن زيارتها قتالهم ، وزوت أى حازت الي ناحية ، جواني الحرب أى الذين جنوها (٧٧) نحرة عنقه (٧٨) ابنا ضمضم هما حصين وهرم (٧٩) والناذرين الخ أى الموجبان علي أنفسهما سفك دمي اذا لم أرهما أى انهما يتوعدانه حال غيبته

ان يفعلا فلقد تركت اباهما
جزر السباع وكل نسر قشعم (٨٠)

(٨٠) ان يفعلا اى يشتما فلا غرابة فاني قتلت اباهما وجعلته اكلا للسباع والنسور توفي عنترة سنة (٦١٥) للميلاد

﴿ عِنْد وعَنْد ﴾ اسم المكان نحو (جاء عند فلان) واسم للزمان نحو قول رسول الله صلي الله عليه وسلم (انما الصبر عند الصدمة الأولي) وقد تجر بمن نحو (جاء من عنده)

﴿ عَنَد ﴾ عن الطريق يعنُد ويعنِد عنداً وعُنوداً مال . و (عَنَد فلان) خالف الحق . و (عانده) خالفه وقاطعه

﴿ العنادية ﴾ فرقة من السوفسطائية يزعمون ان الموجودات كلها خيالات مثلها كمثل النقش علي الماء

﴿ العِنْدية ﴾ فرقة يقولون ان حقائق الاشياء تابعة للاعتقادات فاذا اعتقد الانسان الشيء جوهراً فهو جوهر أو عرضا فهو عرض أو حادثا فهو حادث

﴿ العَنْدليب ﴾ هو الهزار والجمع العنادل . يقال (البلبل يُعندل) اذا صوت وقد اكثر العرب من ذكر العندليب في اشعارهم قال ابو سعيد المؤيد بن محمد الاندلسي يصف طنبور :

وطنبور مليح الشكل يحكي
بنغمته الفصيحة عندليبا
لما ذوى ذوى تغنا فصاحا
حواها في تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا
يكون اذا نشا شيخا اديبا

(انظر كلمة هزاز)

﴿ العَنْدَم ﴾ هو البقم وهو قلب شرائح الخشب المسمي (هياتو كسيلون كمبكيانوم) وهو يرد من اواسط امريكا ويستعمل منه قلب الخشب الاحمر وهو يحتوى علي حمض التنيك ومادة ملونة تحمر اذا عرضت علي النور وتزرق مع الحديد وبه املاح الرصاص

(خواصه الطبية) مغلي البقم قابض لطيف غير مهيج يستعمل في الدسنتاريا الضمية وفي الاسهال المزمن الاعتيادى وفي السحج والانزفة المتعددية ويحقن به في مرض الليكوريا اى السيلان الابيض

﴿ العَنْز ﴾ الانثى من المعز جمعه أعنُز و (العنَزة والعنَزة) عصا شبه العكازة

﴿ عَنَزة ﴾ ابو حي من العرب

العنزروت — صمغ فارسي لشجرة شائكة ويقال له ايضا الانزروت «خواصه الطبية» قال علماء العرب انه يستأصل البلغم فلذلك ينفع في داء المفاصل وعرق النسا والنقرس ووجع الورك والركبة والاعصاب و يسقط الجنين والدود ويفتح السدد ويحلل الرياح الغليظة ويقع في المراهم فيأكل اللحم الزائد وينبت الجيد ويلحم ويقطع الدم . ويقع في الاكحال فينفع من السيل والجرب والحكة والدمعة واذا اختلط بمثله من كل من النشا والسكر بعد ان يربي بلبن الاتن والنسا و بياض البيض نفع من سائر الرمد والحمرة والورم والسلاق ومع اللؤلؤ والمرجان المحرق والسكر يزيل البياض وهو يلحم القرحة وآثار الجدري . واذا مزج بدهن الآس قتل القمل واذهب الحكة وطيب الرائحة وقطع صنان الآبط

عنُف — به يعنُف عنافة لم يرفق به فهو « عنيف » و « عنفه » بمعنى عنف عليه ولامه و « العُنف » ضد الرفق

العنفقة — شعيرات بين الشفة السفلي والذقن جمعها عنافق

عنفوان الشباب — اوله

العناق — الانثى من أولاد المعز قبل الحول جمعها أعنُق

العنكبوت — حشرة معروفة ذكورها اصغر اجسادا من اناثها وهي أكالة للحم فاذا انقضت على فريستها نفثت فيها سما يقف حركتها فلا تستطيع الدفاع عن نفسها . وهي تبيض بيوضا تخرج منه صغارها بشكلها النهائي اى انها لاتتشكل في اطوار متعاقبة كبعض الحشرات وهي تتغذى من الحشرات التى تصطادها بالشبكة التى تمدها علي جدران البيوت فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد في باطنها محتوية علي سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة فيتجمد بمجرد ملامسته للهواء و يصير خيطا في غاية الدقة

العنكبوت نفعه للانسان أكثر من ضره وعضته ليست سامة اذا استثنينا انواعا منه في المناطق المحرقة ومع سميتها فليست جروحها مميتة . والمعروف من العناكب انواع كثيرة منها مايبلغ نحو ١٨ سنتيمتراً كالنوع المسمي الميغال في بلاد البريزيل بأمريكا . وهو يهاجم صغار الطيور فيفترسها و يتخذ لنفسه جحراً في الارض ويخرج منه ليلا ليحصل ما

يقتات منه

العنَم — شجرة في الحجاز لها ثمرة حمراء ، يقال « عَنَّم بنانه » اى خضبه بالعنم

عنّ — له الشيء يعُن ويعِن عناء ظهر أمامه و « عنَّن الكتاب » عنونه و « العَنان » السحاب و « العِنان » سير اللجام الذى يمسك جمعه أعنّة والعنّين من لا يأتي النساء والاسم العُنّة ، و « العنّينة » المرأة التى لا تشتهي الرجال

ابن عنين — هو ابو المحاسن محمد ابن نصر الدين الكوفي الاصل الدمشقي المولد . يقال انه خاتمة فحول الشعراء كان غزير المادة من الادب مطلعاً علي فنون الشعر ، نفاه السلطان صلاح الدين الايوبي من دمشق لوقوعه في بعض الناس فلما مات وتولي ابنه الملك العادل كتب اليه يستعطفه :

ماذا علي طيف الاحبة لو سرى
وعليهم لو سامحوني في الكرى

ثم قال يشكو الغربة :

أشكو اليك نوى تمادى عمرها
حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لاعيشتي تصفو ولا رسم الهوى
يعفو ولا جفني يصافحه الكرى
أضحي من الأحوى المريع محولا
وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يقيل بظلكم
كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

فأذن له الملك العادل بالرجوع الي مصر وطنه فقال :

هجوت الاكابر في جلق
ورعت الوضيع بسب الرفيع
وأخرجت منها ولكنني
رجعت علي رغم أنف الجميع

تولى الوزارة بمصر في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر . وانفصل عنها لما تولي الملك الاشرف سنة ٦٣٠ هـ

عنا — يعنو عُنواً خضع وذل فهو عانٍ و « عنا الامر فلاناً » أهمه و « عنا فلان بالشيء » أخرجه « أعناه » أخضعه . و « العَنوة » القهر والمودة وهو ضد

عَنوَن الكتاب — كتب عنوانه ويقال أيضاً علونه والاسم العنوان

عَنى — الامر لفلان يعنى عَنياً نزل له . و « عنى الله به عناية » حفظه . و « عناه الامر » عرض له وشغله . و « عُنى

فلان بحاجته عناية) أهمته فهوعانٍ وعنٍ و «عنّاه» أتعبه وآذاه وكلفهمايشق عليه و «تعنّى» تعب .و «اعتنى بالامر» اهتم به . يقال « هذا في معنى ذلك ومَعناته» أى سواء

« تعهداليه » بعهد عهداً أوصاه وشرط عليه . و « عهد الحرمة » رعاها . و «عهده بالبلد» وجده و «عهده» عرفه و «عاهده» عاقده . و «تعهده وتعاهده» تفقده واحتفظ به و « العَهْد » الوصية والذمة والوفاء والامان. و «العُهدة » كتاب الحلف وكتاب الشراء . يقال عُهدة هذا عليه أى تبعته و المَعْهد المنزل المعهود به الشيء . جمعه معاهد

عهر اليها يعهر عَهْراً أتاها بفجور فهو عاهر والمرأة عاهر وعاهرة و تعهر يتعهر عهراً فجر وفسق

عهل العاهل الملك الاعظم

العِهن جوارح الانسان و العِهن الصوف او المصبوغ ألواناً جمعه عُهون

عوج عاج بالمكان يعُوج عَوْجا أقام به و عاج المسافر وقف علي المكان . و عوِج العود يعوَج عِوَجا انحنى والاسم العِوَج .و « عوّجه» حناه و « تعوج » انحنى . و « انعاج عليه » انعطف . و«اعوجّ» نحنى و«أعوَج» فرس لبني هلال تنسب اليه كرائم الخيل

العاج هو سن الفيل . يستخرجه الانسان من هذا الحيوان حياً وميتاً وتصنع منه الاشياء النفيسة . وقد سطا الانسان علي أسنان الفيل منذ القدم أى منذ ألوف كثيرة من السنين فصنع منه حليه وتعاويذه . وقد وجدت قطع من العاج من أقدم آثار الانسان علي هذه الارض وعليها صورة الفيل ذى الشعر الذى انقرض منذ قرون كثيرة

العاج خاص بسن الفيل ولكن يطلق لفظ العاج الآن علي القطع المستخرجة الآن من عظام فرس النهر والفظ وبعض الحيتان . وعاج الفيل أفضلها وأكثرها شيوعاوهو مؤلف من مادة آلية فيها كثير من الانابيب الدقيقةجداً وهي تبتدىء من أصل السن وتمتد الي محيطه وعليها تتوقف مرونة العاج وصلابته والتموج الظاهر في سطحه اذا قطع عرضاً . وهذا هو المميز لعاج الفيل من غيره

العاج صلب جداً يعسر قطعه بالسكين ولكن يسهل بشره وبرده وخرطه وبياضه ضارب الى صفرة واذا تعرض للهواء ومرّت عليهالسنوات اصفر أوأسمر

النابان اللذان يسطوعليهما الانسان من الفيل يوجدان في فكه الأعلي وقد يطولان حتى يبلغا نحو أربعه أمتار كما شوهد في الفيل المنقرض تقل كل منهما قنطاران مصريان ، اما الافيال العائشة معنا الآن فقد يبلغ سن الواحد منها نحو ثلاثة امتار وثقله نحو مائة وستين رطلا

هذان النابان هما سلاح الفيل وعدته يهاجم بها الاسد ويطعن وحيد القرن

أجود العاج الافريقي الواردمن قرب خط الاستواء ويرد الي اسواق أوروبامنه ما تبلغ قيمته نحو ستمائة الف جنيه ولا يبعد ان تنقرض الافيال من علي سطح الارض بسبب أخذ الانسان أسنانهافانها كثيراً ماتموت ألماً بعد قلع نابيها.ولكن الانسان لايقفه عن شهواته شيء فهو لا يبالي بغير اهوائهولوعدا علي الكون ومافيه

عاد يعود عوداً رجع .و (عاد المريض) زاره فهو عائد جمعه عُوَّدو عُوّاد و(عاده عوداً) صيره عادة و(أعادالشيء) بدأه ثانياً والاسم العائدةو(اعتد القوم) شهدوا العيد و (عاود الرجلُ) رجع و (اعاده) أرجعه . و (تعودالشيء) جعله من عادته ومثله(اعتاده) و (عاد) رجل من قدماء العرب وبه سميت قبيلة كبيرة هم بنو عادالذين ارسل اللهاليهم هودا عليه السلام (انظر كلمة عرب) يقال : (رجع عَوْدَه علي بدئه)أى لم يصل لمراده حتى عاد . و (والعُود) الخشب . والغصن بعد قطعه . وآلة من آلات اللهو معروفة. ونوع من الطيب يتبخر به جمعه عِيدان وأعواد.و(العيد) الموسم.و كل يوم فيه تذكار لحادثةاورجل و(العادة)مايعتاده الانسان و(العاديّ) نسبة الى العادة . و (المَعاد) محل العود الي الآخرة

العُود اذا طلق العود أريد به عودالبخور وهوانواع كثيرة يشبه بعضها ببعض وهو يؤخذ من اشجار هندية توجد بالهندالشرقية والنوع الذى يؤخذ منه خشب العود يسمى (الوكيلوم أغالوخن)وهوينبت في الكوشنشين وغيرها في حالة صحة الشجر يكون خشبه ابيض لارائحة له فاذا اصيب بمرض من امراض الشجر احتقنت أوعيته بمادة دهنية راتنجية

عطرية فتقف التغذية ويضوع من الخشب حينئذ رائحة ذكية فيتغير لونه وصفاته ويرغب فيه حينئذ كعطر ثمين . ويصنع من قشر هذا الشجر ورق كوشتنشين

واما انواع العود في كتب العرب فكثيرة افضلها المندلي المجلوب من مندل هو وسط بلاد الهند ثم الهندى وهو الجبلي وهو اعطر ويفضل علي المندلي ثم السمندوري ثم القماري ثم القاقلي والبري والقطعي والصيني والاواني والمنطاقي فهذه انواعه العشرة المعروفة في كتبهم

(خواصه الطبية) قال علماء العرب اذا مضغ العود او تمضمض بطبيخه طيب النكهة . ويحضر منه ذرور ينثر علي البدن لتطيب ريحه . واذا شرب منه قدر مثقال نفع من لزوجة المعدة وسكن لهيبها واذا شرب بالماء نفع من وجع الكبد ووجع الجنب وقرحة الامعاء

وقال جالينوس اذا شرب منه نحو درهم ونصف اذهب الرطوبة العفنة التي بالمعدة . ويقال انه يقطع البلغم بسائر انواعه فينفع من الربو والسعال وضيق النفس والاستسقاء والطحال ونحو ذلك وتعمل منه اشربة تزيد في النفع علي معجون المسك لانه يحفظ الحوامل والصحة ويهضم واذا شرب في الشراب الريحاني قوم السموم وفرح تفريحاً لا يعدله غيره وخصوصاً اذا مد بالسكر . وفحمه يجلو الاسنان

هذا ماورد في كتب العرب . اماما ورد في كتب الاوربيين المحدثين فقد ذكر ميريه في قاموسه الدوائي بأن الشرقيين اكثر ما يستعملون هذا الخشب للتعطير فهو منبه مشدد مقو للرأس نافع من السدد والدوار والشلل ومسحوقه دواء للقىء والفيضان البطني لا كقابض مقوانتهى

﴿ عود الصليب ﴾ منه انواع كثيرة وهو نبات حشيشي جذره معمر حزمي اوراقه متعاقبة ذنيبية كبيرة مجنحة ذوات فصوص غير متساوية وله ازهار حمراء كبيرة بنفسجية

جذور هذا النبات غليظة تشبه اللفت مستطيلة متفرعة تنضام علي هيئة حزمة مصفرة ملساء سهلة الكسر رائحتها قوية اذا كانت رطبة وطعمها مغث كريه واذا جفت صارت بلا رائحة

حللها الكيماويون فوجدوها مركبة من ماء ونشا واوكسالات والياف خشبية ومادة شحمية متبلورة وسكر غير قابل

للتبلور وحمض فوسفوري وتفاحي خالصين ومادة نباتية حيوانية وتفاحات وفوسفات الكلس واملاح أخر وصمغ ومادة نشية

(خواصه الطبية) كان القدماء ينسبون لهذا النبات احداث خوارق العادات كحفظ المحصولات وطرد الجن والهوام وكونه حرزا للصرع

والمتأخرون كانوا يصفونه من الباطن كمضاد للصرع مع انه قيل انه لم ينجح فيه ولكن ثبت انه مضاد للتشنج بقوة فيستعمل في الآفات التشنجية كالهستريا والنزلة الخانقة والشلل والاهتزازات والفزع الليلي للاطفال وفي اكثر الامراض العصبية ولكنهم لم يتأدوا أن يضموه الي ادوية أخرى لان خواصه الطبية قليلة والعلاج به غير موثوق به والاحق بالاستعمال مطبوخ الجذر الجديد لا مسحوق الجذر الجاف لانه فقد منه معظم خواصه ويمكن أن يوجد فيه بعض الخواص التي ذكرها القدماء في علاج الصرع والتأثير المسكن للمجموع العصبي واحتقانات الاحشاء وادرار الطمث . والموصي به استعمال عصارة الجذر الرطب التي هي لبنية ذات رائحة نفاذة بمقدار أوقيتان كانت كريهة لانها تحتوى علي جميع خواص النبات

﴿ عاذ ﴾ به يعوذ عوذاً وعياذاً لجأ اليه واعتصم به . و (تعوّذ به) واستعاذ اعتصم به . و (العَوذ) الملجأ و (العُوذة) الرقية يرقي بها الانسان من جنون أو خوف وتطلق علي التمائم جمعها عوذ

﴿ التعاويذى ﴾ هو أبو الفتح محمد ابن عبيدالله بن عبدالله الكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور

كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين الجزالة والعذوبة كان أصله كاتباً في ديوان المقاطعات وعمي في آخر عمره وله في ذلك أشعار كثيرة يرثي بها عينيه وكان قد جمع ديوانه بنفسه وصنع له خطبة ورتبه علي أربعة فصول وكل ما زاد عليه بعد ذلك سماه الزيادات . لما عمي كان باسمه راتب بالديوان فالتمس ان ينقل باسم أولاده . ثم كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأله أن يجدد له راتباً مدة حياته وهي :

خليفة الله أنت بالدين والد
يا وأمر الاسلام مطلع
أنت لنا سنه الأئمة أعلا
م الهدى مقتف ومتبع

قد عدم العدم في زمانك وال
جور معا والخلاف والبدع
فالناس في الشرع والسياسة وال
احسان والعدل كلهم شرع
ياملكا يردع الحوادث والا
يام عن ظلمها فترتدع
الى ان يقول :
ولي حديث يلهو و يعجب من
يوسع لى خلقه فيستمع
نقلت رسمي جهلا الي ولد
لست بهم ماحييت انتفع
نظرت في نفعهم وما انا في اجـ
لاب نفع الاولاد مبتدع
وقلت هذا بعدى يكون لكم
فما اطاعوا أمرى ولا سمعوا
واختلسوه مني فما تركوا
عيني عليه ولا يدى تقع
فبئس والله ماصنعت فأضرر
ت بنفسي وبئس ماصنعوا
فان اردتم به امرأ يزول به ال
خصام من بيننا ويرتفع
فاستأنفوا لي رسما اعوذ به
علي ضنك معاشي به فيتسع

وان زعمتم اني أتيت بها
خديعة فالكريم ينخدع
حاش لرسم الكريم بنسخ من
نسخ دواوينكم فينقطع
فوقعوا لي بما سألت فقد
اطمعت نفسي واستحكم الطمع
ولا تطيلوا معي فلست ولو
دفعتموني بالرمح اندفع
وحلفوني أن لاتعود يدى
ترفع في نقله ولا تضع
فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب
فكان يصله بصلة من الخشكار الردى
فكتب الى فخر الدين صاحب المخزن ابياتاً
يشكو من ذلك أولها :
مولاى فخر الدين أنت الي الندى
عجل وغيرك محجم متباطي
ومنها :
حاشاك ترضي أن تكون جرايتي
كجراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها
مابين طسوج الي قيراط
أخنت عليها الحادثات وأفرطت
فيها الرداءة أيما افراط

قد كدرت جسمي المضيء وغيرت
طبعي السليم وعنفت اخلاطي
فتول تدبيري فقد أنهيت ما
أشكوه من مرضي الي بقراط
وكتب الي عضد الدين أبي الفرج
محمد بن المظفر يطلب منه شعيراً لفرسه :
مولاى يامن له أياد
ليس الى عدها سبيل
ومن اذا قلت العطايا
فجوده وافر جزيل
اليه ان جارت الليالي
نأوى وفي ظله نقيل
ان كميتي العتيق سنا
له حديث معي يطول
كان شرائي له فضولا
فاعجب لما يجلب الفضول
ظننته حاملا لرجلي
فخاب ظني به الجميل
ولم أخل للشقاء اني
لثقل أعبائه حمول
فان اكن عالياً عليه
فهو علي كاهلي ثقيل
ازحل كاليوم ليس فيه
خير كثير ولا قليل

ليس له مخبر حميد
ولا له منظر جميل
وهو حرون وفيه بطء
ولا جراد ولا ذلول
لا كنه معجب لراء
اذا رآه ولا تليل
مقصر ان مشي ولكن
ان حضر الاكل مستطيل
يعجبه التبن والشعير ال
معسول والقت والقصيل
اذا رأى عكر شاراً يت ال
لعاب من شدقيه يسيل
وليس فيه من المعاني
شيء سوى انه أكول
فهب له اليوم ما تسنى
وهبه من بعض ما تنيل
ولا تقل ان ذا قليل
فالقل في عينه جليل
ولد ابن التعاويذى سنة ٥١٩ وتوفي
سنة ٥٨٣ أو ٥٨٦ ببغداد

عور — الرجل يعور عوراً ذهبت
احدى عينيه فهو (أعور) : و (عوره)
صيره أعور . و (عاير بين المكيالين)
قدرهما ونظر ما الفرق بينهما و (أعوره)

صبره أعور . و (أعور الشيء) ظهر وبدت عورته وهي موضع المخافة منه . و (تعاور القوم الشيء) تداولوه بينهم . و (استعار الشيء) طلب اعارته و (العاريّة والعاريّة) ماتداولوه بينهم

﴿ عاز ﴾ الشيء يعوزه عوزاً احتاج اليه فلم يجده و (عوز الشيء يعوز عوزاً) عز فلم يوجد و (أعوز الرجل) افتقر فهو معوز أي فقير و (أعوزه الشيء) احتاج اليه فلم يقدر عليه . (والعوز) الحاجة والضيق . و (المعوز) الثوب الخلق

﴿ عوص ﴾ الكلام يعوص صعب و «أعوص في الكلام» غمضه . و «اعتاص الامر» اشتد وامتنع

﴿ عاض ﴾ فلان فلاناً من الشيء يعوضه عوضاً وعوضاً أعطاه عوضاً . يقال: «اعتاضه عنه» أي أخذه بدلا عنه

﴿ العوف ﴾ الحال والشأن . يقال «نعيم عوفك» ، أي نعم حالك . و «العوف» أيضاً الضيف والبخت

﴿ عوف بن مالك الاشجعي ﴾ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم عام الفتح وتوفي بدمشق سنة ٧٣

﴿ عاقه ﴾ يعوقه عوقاً حبسه واخره ومثله عوّقه : و (تعوّق) تثبط و (اعتاقه) عاقه . و (العيّوق) نجم في السماء احمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لايتقدمها

﴿ عال ﴾ يعول عولا جار عن الحق . و (عال الرجل) كثر عياله ومثله (أعال يعيل اعالة) . و (عال عياله) كفاهم المعيشة . و (عال صبره وعيل صبره) غلب . و (أعال الرجل) افتقر و (عوّل عليه) استعان به . و (عوّل الرجل وأعول) رفع الصوت بالبكاء . و (عيّل الرجل) أهل بيته جمعه عيال و (المعوّل) الفأس التي ينحت بها الصخر

﴿ عام ﴾ يعوم عوماً سبح في الماء و (عاوم فلاناً) عامله بالعام كشاهره وياومه و (العام) السنة

﴿ العوّام ﴾ بن حوشب الشيباني من ثقات علماء الحديث توفي سنة (٤١٨) هـ

﴿ عانت ﴾ البقرة تعون عوناً صارت عواناً ، والعوان النصف في سنها من كل شيء و (الحرب العوان) هي أشد الحروب التي قوتل فيها المرة بعد المرة . و (المعونة) المساعدة . و (تعاون)

موضع من بلاد العرب ، و «المعوان» الكثير المعونة

﴿ ابو عوانة ﴾ هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن زيد النيسابوري ثم الاسفرايني

كان من حفاظ الحديث له مسند صحيح مخرج على كتاب مسلم . وكان مكثراً من نقل الاحاديث طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط والحجاز والجزيرة واليمن واصبهان والري وفارس فسمع من أجلاء العلماء وروى عن كبار المحدثين

قال أبو عبد الله الحاكم : أبو عوانة من علماء الحديث وأثباتهم من الرحالة في أقطار الارض لطلب الحديث توفي سنة ٣١٦

﴿ عون الدين الحلبي ﴾ هو سليمان ابن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن الاديب البارع عون الدين بن العجمي الحلبي الكاتب

كان متأهلا للوزارة كامل الرياسة لطيف الشمائل . من شعره قوله :

لهيب الخد حين بدا لعيني
هوي قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا
وها أثر الدخان على الحواشي

وحضر يوماً مجلس مخدومه الملك الناصر وأسند ظهره الى الطراحة ، فقال له أستاذ الدار الستره وراءك . فقال له الملك الناصر : سلمان منا أهل البيت . فقال :

رعى الله ملكا ماله من مشابه
يمن على العاني ولم يك منانا
لاحسانه امسيت حسان مدحه
وكنت سليماناً فأصبحت سلمانا

ومن جيد شعره قوله :

ياسائقاً يقطع البيداء معتسفا
بضامر لم يكن في سيره واني
ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا
تعدل بلغت المنى عن ديرمران
واقصد علالي قلاليه تلاق بها
ماتشتهي النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا
ماست فياخجلة المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له
وكمل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا في الخد مرسله
في فترة فتنت من سحر أجفان

فليت ريقته وردى ووجنته
وردى ومن صدغها آسي وريحاني
وعج علي دير متى ثم حي به الـ
ربان بالطرس فالربان رباني
فهمت منه اشارات فهمت بها
وصنت مشورها في طي كتمان
واعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ
لذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحتها تحيي النفوس اذا
دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت
بشهبها من همومي كل شيطان
كم رحت في الليل أسقيها وأشربها
حتى انقضى وندبي غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها
أجاب رمزاً ولم يسمح بتبيان

الي أن قال :

سكرت منها فلا صحو وجدت بها
علي الندامى وليس الشح من شاني
وسوف أمنحها أهلا وأنشده
ماقيل فيها بترجيح وألحان
حتى تميل له أعطافه طربا
وينتشي الكون من أوصاف نشوان

خير الملوك صلاح الدين ليس له
في الجود ثان ولا عن جوده ثان

ولد عون الدين سنة ٦٠٦ وتوفي سنة
١٥٦

﴿العاهة﴾ هى العارض الذى يفسد ما أصابه

﴿ عوى ﴾ الكلب يعوى عَيّا وعُواء صوت

﴿ عاب ﴾ الشيء يعيبه عيبا .جعله ذا عيب فهو عائب ، والشيء معيب • ومثله «عيّبه» و «تعيّبه» و «العيبة» مايجعل فيه العياب

﴿ عاث ﴾ الشيء يعيثه عيثا وعيوثاً أفسده

﴿ عاج ﴾ به يعيج عيجاعيجا به

﴿ ابن عيذون ﴾ القالى هو أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوى كان جده سلمان مولي عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين

كان ابن عيذون احفظ اهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين أخذ الأدب عن أبي بكر بن دريد الازدى وأبي بكر ابن الانبارى ونفطويه وابن درستويه

وغيرهم

وأخذ عنه ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى صاحب مختصر العين . وله تآليف ممتعة منها كتاب الامالي وكتاب البارع في اللغة مرتباً علي حروف المعجم وكتاب المقصور والممدود وكتاب الابل ونتاجها ، وكتاب في حلي الانسان والخيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان . وكتاب شرح فيه القصائد المعلقات وغير ذلك

وقد طاف ابن عيذون كثيرا من البلاد فسافر الي بغداد وأقام بالموصل وقصد الأندلس ودخل قرطبة واستوطنها وأملي كتابه الامالي بها

ولد سنة (٢٨٨) وتوفي سنة (٣٥٦) ه

﴿ عيّره ﴾ كذا تعييراً قبحه عليه و (عاير المكيال) عيارا امتحنه بغيره لمعرفة صحته . و (تعايروا) عير بعضهم بعضا . و(عيّار الدرهم) ماجعل فيها من الفضة الخالصة . و (العار) كل شيء لزم به عيب جمعه أعيار . و (العَيْر) الحمار جمعه اعيار وعيور . و (اليعير) قافلة الحمير جمعه عيران . و المعيار العار

﴿ عيسي ﴾ بن مريم عليه السلام هو أحد المرسلين أولي العزم أرسل الي بنى اسرائيل من منذ نحو ١٩٠٠ سنة

ولد بقرية بيت لحم من قرى فلسطين في سنة (٤٠٠٤) من عمر الدنيا علي قول اليهود وفي ٢٥ دسمبر علي قول المسيحيين حملت به أمه مريم من غير أب علي سبيل المعجزة . فأرسل الله اليها روح القدس جبريل عليه السلام فتمثل لها بشراً سويا فلما اوجست منه خيفة بشرها بأنه جاء ليهب لها غلاما زكيا فنفخ الله في بطنها من روحه فحدث لها جنين من غير ملامسة بشرية فنما في بطنها وولد كما يولد كل مولود فلما وضعته عنفها أهلها علي ماظنوه فيها من الظنون ، فأنطق الله عيسي وهو في المهد فقال للمعنفين: اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »

لما كبر عيسي وقوى علي أداء واجب الرسالة أرسله الله الي بنى اسرائيل كما قال هو نفسه : « انما ارسلت لخراف بنى اسرائيل الضالة » فلقي منهم مالقي كل رسول من امته من العداء والمحادة فما اتبعه الا نفر من المستضعفين ولكن تعاليمه في الزهد وأصوله في الحكمة كانت

قد آلمت كبار رجال الدين من اليهود لأن العادة قد جرت بأن الرؤساء المسيطرين يكرهون المصلحين لما تقتضيه مطالبهم من تغيير الاوضاع ، واسقاط قوم ورفع آخرين ، وفي ذلك ضياع لمراكز المتصدرين للرئاسة والقضاء علي سلطتهم فتألب عليه رؤساء الدين اذ ذاك وادعوا عليه الدعاوى الكاذبة حتى صدر أمر الحكومة الرومانية بصلبه. فتطلبوه ليوقعوا عليه حكم الصلب فنجاه الله منهم برفعه اليه

ولقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالي : (بل رفعه الله اليه) فقال قوم منهم معناه رفعه الي السماء بجسده . وقال آخرون بل توفاه الله كما يتوفي الناس ثم رفع اليه روحه بدليل قوله تعالي : « اني متوفيك ورافعك الي »

ومن قال بأنه رفع جسداً وروحاً فسر التوفي بالنوم مستدلا بتعبيره تعالي عن النوم بالوفاة في بعض القرآن وهو قوله تعالى : « يتوفاكم بالليل » أى ينيمكم فيه

رفع عيسي عليه السلام ولكن الروح العالية التى بثها في أصحابه لم ترفع معه فثبتوا علي طريقته رغماً عن قوة أعدائهم وبسطة سلطانهم ولم يبالوا بما لحق اجسادهم من الاذى ومازالوا يدعون الناس الي دينهم فيتبعهم من فتح الله بصيرتهم للهدى في وسط تلك الوثنية الرومانية المستحكمة حتى شعرت السلطة بثقل وطأتهم فأخذت الحكومة في اضطهادهم وتعذيبهم بالحديد والنار والوان الايلام فكانوا لايزدادون الا ثباتا علي الحق ومضيا في شأنهم . ولم يزالوا علي هذه الحال من الشقاء نحواً من ثلاثة قرون حتى اتيح لهم الامبراطور كونستانتين وكان نصرانيا متحمساً فأمر بهدم الهياكل الوثنية وحمل الناس علي الدخول في الديانة المسيحية بالسيف فدخل الناس في الدين أفواجا أفواجا حاملين معهم عقائدهم الوثنية الموروثة وعز عليهم ان يتجردوا منها لاصالة شدة التصاقها بضمائرهم فخلطوا بينها و بين دينهم الجديد فكان هذا أول ماطرأ علي تلك الديانة من الانحراف عن صراطها الاصلي . فحدثت في النصوص تأويلات . وفي الكتب توسعات ، وطمت الاقاويل والشروح كما حصل لكل الاديان السابقة حتى جاء خاتم النبيين محمد صلي الله عليه وسلم بالاصلاح الاكبر لكل الاديان السابقة توفيقا بين عقائد الامم ، وجمعاً بين افئدة الشعوب

لتقوم الانسانية علي دعائم الاخاء والحب الخالص ، وتتعارف الطوائف البشرية بدل تناكرها هذا التناكر الشديد الوطأة عليها

هذا ما يقوله الرجل المسلم واما المسيحي فيقول: ان عيسي بن الله حملت به مريم بواسطة الروح القدس ولد بقرية بيت لحم في عهد القنصلية الثانية عشرة لاغسطس امبرطور الرومان في سنة (٤٠٠٤) من عمر الدنيا (٢٥ ديسمبر) ففر به اهله يوسف النجار ومريم الى مصر ليخلصاه من المذابح التى كانت تلتهم الابرياء تحت حكم (هيرود) ومكثا بمصر طول مدة حكم هذا الامبراطور الروماني ولكن لخوفهما من ظلم (ارشيلاوس) لم يرجعا الي بلاد اليهود بل الي ناصرة الجليل . فلما بلغ عمره الثانية عشرة أتيا به الي بيت المقدس للاحتفال بعيد الفصح فمكث بالهيكل وهما لايعلمان ذلك . فلما عادا اليبحثا عنه وجداه في وسط جمهور من أحبار اليهود يجادلهم في الامور الدينية ويفحمهم ببيان باهر ودليل ساطع

ولما كانت السنة الخامسة عشرة من حكم الامبراطور (تيبير) أقام يوحنا المعمدان (وهو يحيي عليه السلاح) علي شواطيء نهر الأردن يعظ الناس ويستتيبهم ويعمدهم ويبشرهم بظهور المسيح قريبا ، فقصده عيسي عليه السلام ليعمد علي يديه فعمده، وبينما عيسي خارج من النهر واذا بروح القدس نزل عليه في صورة حمامة ، عندذاك اعلن يوحنا الناس بأن عيسي هو المسيح الموعود به في الكتب المقدسة والذى ينتظره اليهود . فلما علم عيسي انه المسيح قصد الفلاة فصام فيها اربعين يوما ليتطهر ويخلص من سلطة الشيطان ، ثم عاد فطاف بلاد اليهود والجليل حاملا الي الناس (الخبر) السار بظهور المسيح المنتظر وصدور عفو الله عن المذنبين واخذ يدعو الناس الى الاعتقاد بوظيفته مؤيداً دعواه بالمعجزات الباهرة كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتي واخراج الجنة من اجساد الممسوسين . فاتبعه بعض الناس فانتخب منهم اثني عشر تلميذاً ليبثهم في الاقطار داعين اليه . في السنة الرابعة من رسالته حضر الي بيت المقدس لآخر مرة وكانت دعوته قد هيجت ضده احبار اليهود والفريسيين (الفريسيون هم طائفة من اليهود كانوا ينتحلون مظهراً من التقوى ويبطنون كل ضروب الفسوق)

ولكنه مع ذلك قصد بيت المقدس مع تلاميذه وأدى معهم الصلاة فأخذه اليهود وقادوه الي كبير أحبارهم ثم الي (بونسبيلات) محافظ البلاد اليهودية من قبل الرومان . فحوكم عيسي عليه السلام وحكم عليه بالجلد والتعذيب والصلب فنفذ الحكم عليه . فلما مات اكفهرت السماء وزلزلت الارض وانشق حجاب الهيكل وفتحت القبور وبعد موته بثلاثة أيام حيي عيسي وظهر لتلاميذه ليعطيهم التعليمات الاخيرة ويعدهم بأنهم سيلحقون به في الملأ الاعلي

هذا مايقوله المسيحي في نشأة عيسي وأصله ووظيفته في العالم ، ولكن هنالك مصادر تاريخية يهودية ووثنية لا توافق المصادر المسيحية في اعتبارها عيسي عليه السلام ابناً لله ولا في أنه ولد بلا أب ولا في انه كان من نقاء الحياة بالمكان الاعلي ولسنا نريد أن نعول علي ماورد في هذين المصدرين لانهما غير جديرين بالنقد . ولو كان عرب الجاهلية يدونون تاريخهم لوجد خصوم الاسلام في كتابات الجاهلية المعاصرين للنبي صلي الله عليه وسلم ما يستشهدون به في الطعن علي الاسلام وعلي الداعي اليه ولكن ليس من العدل التعويل علي شيء من هذا . أكبر الدلائل عندنا علي ان عيسي عليه السلام كان واحداً من المرسلين أولي العزم وعلي انه كان من كمال السيرة ، ونقاء الحياة علي ماكان عليه كل رسول قبله ان الصق الناس به لم يشاهدوا منه الا كل ما يحملهم علي حبه والثبات علي أصوله ، وتحمل مرارة التعذيب والموت صبراً في سبيله . فان كانت مثل هذه الحال لا تشهد لصاحب دعوة بكمال السيرة واصالة الدعوة فلا يمكن الاستشهاد بمحسوس بعدها علي شيء أصلا

ولكن النقد العلمي في أوروبا قرر بأن عقيدة الهية عيسي هي من بقايا العقائد القديمة فان كثيراً من الامم القديمة بين فارسية وهندية وآشورية وبابلية وميدية وليدية قد أدعت الالهية لافراد منها زيادة في تعظيمهم ومبالغة في تبجيلهم وقد ادعي بعض غلاة المسلمين الهية محمد صلي الله عليه وسلم والهية علي بن أبي طالب والهية كثيرة من أولادهما . وقد عذب علي عليه السلام هؤلاء الدعاة اليه بكل أنواع العذاب حتى أمر باحراق بعضهم احياء فلم يؤثر ذلك فيهم فلما مات قالت تلك الطائفة انه رفع الي السماء كما رفع عيسي

عليه السلام ثم تمادت هذه الطوائف الغالية في غلوها القرن الاول والثاني وما يليهما ولا تزال لها بقية الي اليوم في فارس وغيرها ولا يزال في كل دين دعاة يؤلهون بعض الافراد

ومن نقدة حياة عيسي عليه السلام الدكتور (ستروس) الالماني فقد ألف كتابا سماه (حياة المسيح) زعم فيه ان عيسي من الاشخاص الوهمية التي لم توجد ذواتها علي سطح الارض . وكل ما في الامر ان طائفة المسيحيين لما تكونت في القرن الاول اصطلحت علي أن تجعل شعارها شخصاً وهمياً تنحله جميع صفات الكمال وتتخذه قبلة مراميها وأمياها وسمته المسيح فبقي هذا الاسم الي الآن

ومن غلاة منتقدي عيسي عليه السلام المسيو (ميرون) السويسري فقد كتب كتابا سماه (المسيح محال الي قيمته الحقيقية) زعم فيه ان حياة المسيح لم تكن خالصة من الشوائب وسيرته لم تكن بعيدة من المثالب . وتعجب من اندفاع الناس في عبادته بدون نظر ولا روية وعد ذلك من مدهشات الاحوال الانسانية وادعي ان سقراط الفيلسوف اليوناني الذى حكم عليه قومه بشرب السم جزاء أصوله الفلسفية العالية كان أعلي من المسيح نفساً فانه لما أعطي السم شربه باسما ولم يضعه هول الموت من ثباته ورزانته شيئاً . قال وأما المسيح فكما ورد عنه في الانجيل قد أظهر تبرمه من الحكم عليه ، وتألمه من العذاب الذى صب عليه ، وأبدى دهشه من ترك الله له بين أيدى أعدائه

الي هذا الحد وصلت جرأة النقاد العلميين في أوروبا ولكن هذه الاقوال كلها تذوب وتتلاشي أمام الفعل الكبير الذى قام به عيسي عليه السلام بل الذى قامت به روحه بعد وفاته

ثم ذهب عيسي عليه السلام ولم يكن له من الاتباع من يستطيعون حماية دعوتهم ، ورعاية ملتهم ، ولكنه أودع في أولئك النفر من روحه ما دفعهم لنشر دعوته في الارض غير مبالين بما كان ينتابهم من المظالم وما يحيق بهم من الجرائم . فكان الرجل منهم يقاد الي المحاكمة فيؤمر بترك دينه فيأبي فتسلط عليه زبانية السجون يحملونه من صنوف العذاب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر فيموت من تلك

التعذيبات علي حال لايهونها غريق في لجة ولا مرمي في اتون ولا ساقط من جدار ولا مفترس للوحوش

استمر أتباع عيسي يدعون الناس الى ملتهم بعزيمة ثابتة وصريمة نافذة حتى دانت لأصولهم الارض كل هذا لا يمكن تعليله بسطوات الوهم ولا بنزوات الخيال . فان كانت انحرفت تلك الاصول الآن عن نصابها . وتعرت عن حقائقها وأصبح الحكم للصور والاشكال والمعول علي ظواهر الاحوال فليست التبعة في هذا علي عيسي عليه السلام ولكن علي من تصدر لوراثته في أصوله وتعرض للهيمنة علي اتباعه

(بماذا جاء عيسي للناس ؟) يقول النقد الديني للديانة العيسوية بأن عيسي لم يجيء للناس بأصل جديد من أصول الدين ولا بأمر من الامور العبادية لم يكن معروفا من قبل ولكنه امتاز بأمر واحد لم يجيء به رسول مثل تجليته اياه وهو اعلانه القرابة القريبة بين الله وعباده فجعل الله أبا لخلقه رحيما بهم متعطفاً عليهم وجعلهم بنيه اللائذين بحماه فانهدمت الحواجز الحديدية التي كانت بين الله وخلقه ولولا ان رجال الدين اعترضوا هذه الصلة الكريمة فجعلوا أنفسهم وسطاء بين الله وعباده ونحلوا أنفسهم من الوظائف العلوية بما لا يتفق مع كمال الله وتنزهه عن الاغراض لبلغت الديانة العيسوية أضعاف ما بلغته من السلطان على القلوب ولما عمل الناس في أوروبا على الفصل بين الكنيسة والحكومة ولبقيت علي نقائها الاول ماشاء الله ان تبقى . ولكن لا راد لما أراده الله فقد انتحل رجال من هذا الدين لانفسهم حق الوساطة بين الله وخلقه ونحلوا أنفسهم جميع خصائص الاوصياء حتى حرموا علي الرجل أن يولد أو يتنصر أو يتزوج أو يصلي أو يتوب أو يموت الا بحضور واحد منهم . ولا يخفى ان هذا يناقض ذلك الاصل الجليل الذى حمله الي الناس عيسي عليه السلام وعده النقد الديني الامتياز الوحيد للدعوة المسيحية

الديانة العيسوية ديانة زهد مطلق وتخل عن الدنيا ليس بعده مرمي ولذلك اعتبرت فيها الرهبنة من الكمالات وعدت الثروة من موجبات الغضب الالهي والبعد عن رحمته ومن أصولها عدم مقابلة الشر بالشر . وعدم مقاصة الجناة والائمة

وصرف النظر عن الاحكام والحكومة والتجرد عما سوى الله، والصعود الي الجبال لعبادة الله علي انفراد وتمضية الحياة علي حال ليس بعده مرمي في الزهد والتجرد عن العلاقات الفانية

هذه الاصول وان ظهرت مناقضة لمقتضيات الحياة الدنيا فانها في ذاتها حق وفي مصلحة الروح . والا فما الذى يعود علي الانسان من الفائدة الصحيحة اذا كانت حياته قصيرة ويوم رحيله عن هذه الدنيا مجهولا ، ان بلغت الدنيا من العمران أقصى ما قدر لها أن تبلغه. ما الذي يعود عليه من عماريتها لاسيما وهو يعلم حق العلم أن ذلك العمران وراءه سلسلة جرائم ومخاز لا تنقطع ، وتيار فساد وفسق لا يندفع ، وان كل ماهو قائم أمامه من شاهقات الابنية ، وشامخات القصور ، وما يحيط بها من الحدائق الغناء ، والشوارع المزدانة بالانوار وما يحتف بها من دور الآثار وبيوت الطرف لم تقم كلها الاعلي اصول مختلفة الدرجات من الاستبداد والاغتصاب وتسخير الضعفاء وهضم حقوق النساء والولدان ؟ ماذا حمل التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والسفن البخارية ، من الخير للناس؟ يقولون سهلت التجارات ، وقربت المسافات ، وزادت رؤس الاموال، واعانت علي زيادة المدنية ولكن هل قلت الامراض ، وخففت الويلات ، ونقصت من عدد الفقراء والمعوزين ؟ وابطلت جرائم المجرمين وسهلت الحياة علي الناشئين؟ وهل هذبت الاخلاق، ولطفت الطباع، وازالت الشحناء من الصدور؟ لا بل زادت الحياة ضنكا علي ضنك حتى أصبح الانتحار والجنون من الحوادث العادية ، وحتى دفعت الامم الكبرى للحرب هربا من ضيق الاحوال الاقتصادية ، فما فائدة هذا العمران ، وما قيمته في نظر الناقد البصير ؟

أقول هذا وانا اعلم أن الانسان مدفوع الى تعمير هذه الأرض ، مسوق الي بذل كل نفيس من مواهبه وقواه في احياء مواتها ، ولعل دور الانتفاع بهذا العمران في أخص مايهم الانسان من سلامة روحه وعقله يأتي بعد الدور الذى نحن فيه فدعوة عيسي عليه السلام الي الزهد المطلق وهو وسط المدنية الرومانية الباهرة، وفي مزدحم شؤونها الساحرة ، كان من أحسن الردود علي اولئك الغرقي في حمأة شهواتهم ،

الصرعي من سطوات الاهواء بهم الملكي تحت كلاكل عمرانهم ولون كان المذهب العيسوى يساير الفطرة من حيث ميلها الى العدل بين مطالب الروح والجسد والاخذ من هذه وهذه لما نجحت الدعوة العيسوية ولكان مذهبه بالمذاهب الفلسفية أشبه ولما حدث منه ذلك الاثر الكبير الذى احدثته الديانة المسيحية

فكان مجيء محمد صلي الله عليه وسلم بعد عيسي عليه السلام بناموس العدل بين مطالب الطبيعتين ، وقانون التكمل في الحياتين، واستخدام العمران المادى لفائدة المكان المعنوى من أشد الحاجات الانسانية مساسا بحياتها وأكثرها علاقة بكمالها فقد كانت سادت الاصول الزهدية في أوروبا حتى تلاشت المدنية الرومانية و بقي الناس الفسنة لا ينبغ فيهم عالم بالكون ولا متكلم في الشؤون العامة ولو كانت أوروبا استمرت في ذلك الدور لتلاشت فكان في ارسال الله لمحمد صلي الله عليه وسلم تكميل لبناء الصرح الديني الجليل الذى بدأه آدم ورفعه نوح وابراهيم وموسي واطلعه عيسي واكمله محمد صلوات الله عليهم أجمعين

﴿عيسي بن عمر﴾ هو أبو عمر عيسي ابن عمر الثقفي النحوى البصرى . قيل كان مولي خالد بن الوليد نزل في ثقيف فنسب اليهم

كان من علماء النحو بينه و بين أبي عمرو بن العلاء صحبه ولهما مسائل ومجالس أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن أبي اسحق وروى الحروف عن عبد الله ابن كثير وابن محيض . وسمع الحسن البصرى وله اختيار في القراءة علي قياس العربية . وروى القراآت عنه أحمد بن موسي اللؤلؤى وهرون بن موسي النحوى والاصمعي والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل وشجاع بن أبي نصر . وأخذ عنه سيبويه النحو

لعيسي بن عمر الثقفي كتاب اسمه الجامع في النحو يقال أن سيبويه أخذ هذا الكتاب وبسطه وحشي عليه من كلام الخليل وغيره . ولما كمل بالبحث والتحشية نسبه اليه وهو كتاب سيبويه المشهور قيل والذى يدل علي صحة هذا القول أن سيبويه لما فارق عيسي بن عمر المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله هذا عن مصنفات عيسي . فقال له سيبويه صنف نيفا وسبعين مصنفا في النحو وأن بعض

أهل اليسار جمعها وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق منها في الوجود سوى كتابين أحدهما اسمه الاكمال وهو بأرض فارس عند فلان والآخر هذا الكتاب الذى أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال رحم الله عيسي وأنشد :

ذهب النحو جميعاً كله
غير ما أحدثه عيسي بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع
وهما للناس شمس وقمر

وكان الخليل قد أخذ عنه أيضاً ويقال ان أبا الاسود الدؤلي لم يضع في النحو الا باب الفاعل والمفعول فقط . وان عيسي ابن عمر وضع (كتاب الاكثر) وبوبه وهذبه وسمي ماشذ عن الاكثر لغات وكان يطعن علي العرب ويخطيء المشهورين منهم مثل النابغه في بعض أشعاره وغيره

وروى الاصمعي قال : عيسي بن عمر لابي عمرو بن العلاء أنا أفصح من معد بن عدنان . فقال له أبو عمرو لقد تعديت . فكيف تنشد هذا البيت

قد كن يخبأن الوجوه تستراً
فاليوم حين بدأن للنظار

أو بدين للنظار ؟ فقال عيسي بدأن فقال له أبو عمر أخطأت . يقال بدا يبدو اذا ظهر . وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء والصواب (حين بدون للنظار) وانما قصد أبو عمرو تغليطه لأنه لا يقال في هذا الموضع بدأن ولا بدين بل بدون

كان عيسي بن عمر مشهوراً بالتقعير واستعمال الغريب في كلامه فاتفق أن سقط يوماً عن حمار له واجتمع عليه الناس فقال: (مالكم تكاكأتم علي تكاكؤكم علي ذى جنة ، افرنقعوا) : أراد أن يقول مالكم تجمعتم علي تجمعكم علي مجنون انكشفوا عني

وروى انه كان ينتابه ضيق في النفس فأدركه يوماً وهو في السوق فوقع ودار الناس حوله يقولون مصروع ، فكانوا بين قارىء ومعوذ . فلما أفاق من غشيته نظر الى ازدحامهم فقال مالكم تكأكأتم علي (الخ) فقال بعض الحاضرين لما سمع هذا الكلام ان جنيته تتكلم بالهندية

ويروى ان عمر بن وهبة الفزارى أمير العراقيين . ضربه بالسياط فكان يقول : وان كانت الا اثيابا

في اميفاط قبصها عشارك)

وقيل ان الذى ضربه هو يوسف بن عمر أمير العراقين . وكان سبب ضربه اياه انه لما تولي العراقين بعد خالد بن عبد الله القسرى تتبع أصحابه وكان بعض جلسائه قد أودع عند عيسي بن عمر المذكور وديعه فنمي الخبر الى يوسف فكتب الي نائبه بالبصرة يأمره أن يحمل اليه عيسي ابن عمر مقيداً فدعاه ودعا حداداً وأمر بتقييده فلما قيده قال له الوالي لا بأس عليك انما أرادك الامير لتأديب ولده . قال عيسي فما بال القيد اذن؟ فبقيت هذه الكلمة مثلا بالبصرة فلما وصل الي يوسف أمير العراقين سأله عن الوديعة فأنكر فأمر بضربه فلما أخذه السوط جزع فقال هذه المقالة المقدم ذكرها وهي : والله ان كانت الا اثيابا) الخ

توفي عيسي بن عمر سنة (١٤٩)

﴿ عاش ﴾ يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة صار ذا حياة و (عيّشه) أحياه و (عايشه) عاش معه . و (تعيش) تكلف أسباب المعيشة و (العَيش) مصدر عاش والحياة والخبز والطعام يقال : (عيش السمك) أى طعامه . و

(العيّاش) بائع العيش وهو الخبز . و (عائشة) اسم للرجال والنساء

﴿ عائشة ﴾ بنت أبي بكر الصديق تزوجها النبى صلي الله عليه وسلم فكانت من أكبر النساء عقلا وأغزرهن فضلا وأعلاهن في الدين كعباً روت عن النبي صلي الله عليه وسلم أحاديث لا تحصي وقصدها الناس بعد موته صلي الله عليه وسلم يستفتونها فكانت تجلس اليهم من وراء حجاب فتفتيهم وتحدثهم

لما حدثت فتنة عثمان وقتل فيها استنكرت قتله استنكاراً شديداً حملها علي المطالبة بقتلته من علي" للاقتصاص منهم شايعت في ذلك ماطلبه طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وغيره من الذين ساءهم قتل عثمان . فلم يستطع علي عليه السلام أن يسلمهم أولئك القتلة لأنهم يعدون بالالوف وهم الذين عملوا علي توليته الخلافة فلو أمر بالقاء القبض عليهم لم يسلموا حتي تسفك آخر قطرة من دمائهم فيكون في ذلك صدع لوحدة المسلمين فامتنع علي" عن تسليمهم فثارت عائشة وطلحة والزبير وانضم اليهم جمهور كبير يقدره بعضهم بسبعين الفاً وكانت عائشة

وسط المعركة راكبة علي جمل عليه هودج مصفح بالحديد حتى لاتخرقه النبال فتصيبها وكانت في ذلك اليوم تشجع القوم علي القتال وتحضهم علي بذل أرواحهم في سبيل نيل الانتصار فلما رأى علي" اشتداد القتل بين الطرفين أمر بعقر جمل عائشة والهجوم عليه وأخذه عنوة ، فعقروا الجمل فسقط وحمل أصحاب علي علي حماة الجمل فحدث بينهم قتال لم يسمع بمثله انتهي بغلبة أصحاب علي" في الجمل ومن فيه وكان طلحة قد قتل أيضاً وكان الزبير قد ترك أمر هذا الخلاف قبل حدوث القتال فانهزم جيش عائشة وتمزق شمله ، وأخذ علي عائشة فردها الي المدينة بالاحترام اللائق بها

كانت عائشة رضي الله عنها مع علمها وتقواها كريمة لاتدخر شيئاً روى انجاءها يوما عطاؤها من بيت المال وهو ألوف كثيرة من الدراهم فبسطتها وسط الدار وجعلت كل عدد منها في صرة وأخذت توزعها علي الفقراء وكانت صائمة فقالت لها جاريتها ألا أبقيت درهمين اشترى لك بها طعاما لفطورك ؟ قالت والله لو ذكرتني لفعلت

فهذا نهاية مايعلم عن الكرم والشيء من معدنه لايستغرب

﴿ ابن عائشة ﴾ هو عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ونسبته الي عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها وكان عالما كريما توفي سنة «٢٢٨» ه

﴿ العيص ﴾ الشجر الكثير الملتف جمعه أعياص

﴿ عيط ﴾ يعيط تعيطا صاح و «العياط» الجلبة والصياح

﴿ عياض ﴾ هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسي اليحصبي السبتي

كان امام عصره في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم . صنف التصانيف المفيدة منها كتاب الاكمال في شرح كتاب مسلم ومنها مشارق الانوار وهو كتاب ممتع في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطأ والبخارى ومسلم وشرح حديث أم زرع شرحا مستوفي وله كتاب سماه التنبيهات جمع فيه فوائد جمة . بالجملة جميع تأليفه مفيدة نافعة

قال ابو القاسم بن بشكوال في كتاب الصلة انه دخل الاندلس طالباً للعلم فأخذ

بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيراً وكان له عناية كثيرة به واهتمام بجمعه وتقييده . وهو من أهل اليقين في العلم والذكاء والفطنة والفهم تولى القضاء ببلدة سبتة مدة طويلة فحمدت سيرته فيها ثم نقل منها الى قضاء غرناطة فلم تطل مدته فيها

للقاضي عياض شعر حسن فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضي دانية قال أنشدني لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح:

أنظر الي الزرع وخاماته
تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

الخامة القصبة الرطبة من الزرع

وأنشد أيضاً لأبيه:

الله يعلم اني منذ لم أركم
كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم
لأن بعدكم عني جنى حيني

ذكره العماد في كتاب الخريدة فقال انه كبير الشأن ، عزيز البيان ثم قال وله في لزوم مالا يلزم

اذا ما نشرت بساط انبساط
فعنه فديتك فطو المزاحا
فان المزاح علي ما حكاه
أولو العلم قبلي عن العلم زاحا

ومدحه أبو الحسن بن هرون المالقي بقوله :

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم
والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه
كي يكتموه فانه معلوم
لولاه ما ناحت أباطح سبتة
والروض حول فنائها معدوم

ولد القاضي عياض بمدينة سبتة سنة «٤٧٦» وتوفي بمراكش سنة «٥٤٤»

﴿ عاف ﴾ الرجل الماء يعافه عيفا كرهه . و « عاف الطير » يعيفها عيافة زجرها وتفاءل بأسمائها وبمساقطها و بأصواتها أو تشاءم منها ، وهي عادة كانت عند العرب واليونانيين وغيرهم

﴿ عال ﴾ الرجل يعيل عيلا وعيلة افتقر فهو عائل « والاسم العيلة » . و « عالني الشيء » عيلا أعوزني وأعجزني و « عيل الرجل » كثر عياله

﴿ عيم ﴾ اعتام الرجل اختار .

«أخذ عيمة الشيء» اي خياره

﴿ العين ﴾ هي أكرم أعضاء الانسان وأنفعها وهي مركبة من أجزاء ظاهرة وهي الحاجب والجفنان والاهداب ومن أجزاء باطنة وهي نوعان:

١ ـ أغشية «الملتحمة» وهي غشاء دقيق شفاف وهو سبب لمعان العين طبيعته مخاطية وهو يغشي الجهة الامامية من كرة العين والجهة الخلفية للجفنين

٢ ـ والصلبة أي بياض العين وهي غشاء ليفي متين مثقوب من الخلف ثقباً ضيقاً يمر فيه العصب البصري ، وفيه من الأمام ثقب أكبر منه تدخل فيه القرنية وهي غشاء شفاف موضوع في الجهة المقدمة من الصلبة وهي كزجاجة الساعة

والمشيمة وهي غشاء وعائي أسمر اللون او اسوده موضوع في داخل الصلبة والقزحية وهي غشاء ليفي وعائي موضوع خلف القرنية وفيه فتحة وهي المسماة بالحدقة تختلف ألوانها وهي موضوعة خلف القرنية فقد تكون سوداء او زرقاء وهي المغطية لون العين وهي لطيفة تنقبض من الضوء الشديد وتنبسط في الضوء الخفيف

والشبكية وهي امتداد من العصب البصري هو الجزء الحساس من العين وبها يتم الابصار اذ عليها ينطبع الشيء المرئي أولا ثم ينتقل الى المخ بواسطتها

وأما الرطوبات « فأولها » الرطوبة المائية وهي توجد في خزانتين منفصلتين احداهما عن الأخرى بالقزحية

« ثانيتها » البلورية وهي رطوبة متجمدة شكلها عدسي موضوعة في الجسم الزجاجي

« ثالثتها » الجسم الزجاجي وهو مادة تشبه الهلام الشفاف موضوع داخل الشبكية

« أمراض العين » اقرأها في كلمة «رمد»

« صحة العين » العين من الاعضاء السريعة التأثر وهي مع ذلك معرضة للجو تعرضاً مستمراً فيجب العناية بأمرها عناية تلائم سمو وظيفتها . فما يضر بالعين الهواء الحار فانه يجفف الرطوبة المندية لها واختلاف الأهوية لأنه يحبس العرق عن الوجه فيحتقن الغشاء المخاطي المغشي للعين فيزيد احساسها ويحصل من ذلك رمد ، والابخرة المتصاعدة من المراحيض ومن معامل

الرصاص والزئبق . فيجب أن لا يعرض الانسان عينيه لهذه المؤثرات فان اضطر لذلك وجب عليه تمريضهما بحذر شديد ثم اراحتهما بعد الفراغ من العمل اراحة طويلة

ثم ان العوارض الضارة بالعين لا تقتصر علي ماأتينا عرضاً من الجوبل تتناول بعض مايتناوله الانسان من المشروبات والمأكولات

فمن المشروبات التي تضر بالعين السوائل الكحولية لانها توجه الدم الي الرأس فتسبب احتقاناً في العينين ، ومن المآكل الضارة بهما التوابل وما شابهها

وأما زيادة الاحساس بأن يكون الشخص لايستطيع احتمال النور فعلاجه استعمال النظارات الزرقاء ثم التدرج في لونها من الزرقة الشديدة الى مابعدها حتى تنتهي الى زجاجة بيضاء فتكون العين قد تعودت الضوء فلا ترجع للتألم منه

وأما ضعف الاحساس وهو عدم امكان رؤية الاشياء الا بضوء شديد فعلاجه الراحة والتعود علي النظر للاشياء في ضوء ضعيف

(تغيرات الابصار) قد يحدث لبعض الناس تغيرات في الابصار كطول النظر أو قصره أو زيادة في الاحساس البصرى أو ضعفه

فأما قصر النظر فناشيء من تحدب العينين وبروزهما وكلاهما ناشيء عن زيادة رطوبتهما

وأما طول النظر فهو ناشيء من قلة الرطوبة المائية التي تسبب فلطحة العين وهي تنشأ في الخامسة والاربعين من عمر الانسان ثم تزيد كلما تقدم العمر

كلتاهاتين العلتين تعالجان بالنظارات

➤ عانه ➤ يعينه عيناً أصابه بعينه فهو (عائن) والمصاب (معين) انظر كلمة (حسد)

(عيَّن الشيء) خصصه . و (عاينه) رآه بعينه . و (رآه عياناً) أى معاينة . و (العين) الباصرة . والجاسوس . والحاضر من كل شيء ، يقال بعته عيناً بعين ، وخيار الشيء . والدينار والذهب والنقد وذات الشيء والسيد . و (العيون) الشديد الاصابة بالعين . و (امرأة عيناء) أى حسنة العين (والمعان) المنزل و (المعيان) الشديد الاصابة بالعين

➤ أبو العيناء ➤ هو أبو عبد الله محمد ابن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء . مولي أبي جعفر المنصور المعروف بأبي العيناء . صاحب النوادر والشعر والأدب

أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشاه بالبصرة وبها طلب الحديث وكتب الأدب وسمع من أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري والعتبي وغيرهم وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناومن ظرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء مالم يكن في أحد نظرائه وله في ذلك أخبار ممتعة وأشعار في غاية الرقة وخصوصاً مع أبي علي الضرير

حضر أبو العيناء يوما مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا في حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من السخاء والجود ، فقال الوزير لابي العيناء وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل . قد اكثرت ياأبا العيناء من ذكرهم ، ووصفك اياهم ، وانما هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين

فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟

فسكت الوزير وعجب الحاضرون من اقدامه عليه

وشكا أبو العيناء الي عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال . فقال له أليسا قد كتبنا الي ابراهيم بن المدبر في أمرك ؟

فقال أبو العيناء : نعم قد كتبت الي رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاناة الدهر ، فأخفق سعيي ، وخابت طلبتي

فقال عبيد الله انت اخترته

فقال أبو العيناء وما عليَّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسي قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد . واختار النبي صلي الله عليه وسلم عبدالله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع الى المشركين مرتداً . واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسي الأشعرى حكما فحكم عليه

وانما قال أبو العيناء الأسر لان ابراهيم المذكور كان قد أسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة . وسجنه فنقب السجن وهرب

ودخل أبو العيناء علي أبي الصقر اسماعيل بن بلبل الوزير يوما فقال له . الذي

أخرك عنا ياأبا العيناء ؟
فقال سرق حماري
فقال وكيف سرق ؟
قال لم اكن مع اللص فأخبرك
قال فهلا أتيتنا علي غيره ؟
قال قعد بي عن الشراء قلة يساري
وكرهت ذل المكاري ، ومنة العواري
وخاصم ابو العيناء يوما علويا ، فقال له العلوي تخاصمني وأنت تقول كل يوم : اللهم صل علي محمد وآل محمد
قال ابو العيناء لكني اقول الطيبين الطاهرين ولست منهم
ووقف عليه يوما رجل من العامة فلما أحس ابو العيناء به وكان ضريراً ، قال من هـذا ؟
قال رجل من بني آدم
فقال ابو العيناء مرحبا بك أطال الله بقاءك ، ما كنت اظن هذا النسل الا قد انقطع
وسار يوما الى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه ، فقيل هو مشغول بالصلاة
فقال أبو العيناء لكل جديد لذة
وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيا
ومر بباب عبد الله بن منصور وهو مريض وقد صح فقال لغلامه كيف خبره ؟
فقال كما تحب
فقال أبو العيناء مالي إذن لا أسمع الصراخ عليه ؟
ودعا أبو العيناء سائلا ليعشيه فلم يدع شيئاً الا اكله
فقال له ابو العيناء : ياهذا دعوتك رحمة ، فتركتني رحمة
ولقيه بعض أصحابه في السحر فجعل يتعجب من بكوره
فقال له ابو العيناء أراك تشركني في الفعل وتفردني في التعجب
وذكر له ان المتوكل قال : لولا انه ضرير لنادمناه
فقال أبو العيناء ان أعفاني من رؤية الاهلة ، وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة
وقيل له الى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟
فقال مادام المحسن يحسن والمسيء يسيء ، بل أعوذ بالله ان أكون كالعقرب التي تلسب النبي والذمي
وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات فسمع ابن مكرم رجلا يقول : من ذهب بصره قلت حيلته

فقال له ما اغفلك عن أبي العيناء ذهب بصره فعظمت حيلته
وسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في بعض دعائه : يارب سائلك
فقال : يابن الفاعلة ومن ليس سائلك
وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به : كم عدد المكذبين بالبصرة ؟
فقال مثل عدد البغائين ببغداد
ودخل علي المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ٢٤٩ فقال له الخليفة ماتقول في دارنا هذه :
فقال ياأمير المؤمنين ان الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك
فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟
فقال أعجز عن قليله وافتضح عند كثيره
فقال له امير المؤمنين : دع هذا عنك ونادمنا
فقال أبو العيناء انا رجل مكفوف وكل من في مجلسك يخدمك ، وانا محتاج أن أخدم ، ولست آمن من ان تنظر الي بعين راض وقلبك علي غضبان ، او بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هـذين هلكت ، فاختار العافية علي التعرض للبلاء
فقال له الخليفة بلغني عنك بذاء في لسانك
فقال ياأمير المؤمنين قد مدح الله تعالي وذم : فقال نعم العبد انه أواب وقال عز وجل هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم • وقال الشاعر :

اذا أنا بالمعروف لم اثن صادقا
ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لي الله المسامع والفما

قال فمن اين انت ؟
قال ابو العيناء : من البصرة
قال فما تقول فيها ؟
قال ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم
ولما سلم نجاح بن مسلمة الى موسي ابن عبدالله الاصبهاني ليستأدى ما عليه من الاموال ، عاقبه فتلف في مطالبته ، وفي تلك الليلة بلغ المعتز بالله بن المتوكل الخبر فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء فقال له : ماعندك من خبر نجاح بن مسلمة
قال أبو العيناء : (فوكزه موسي

فقضي مليه)

فبلغت كلمته هذه موسي فلقي ابا العيناء في الطريق فتهدده

فقال له ابو العيناء : اتريدان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس (١)

وكتب الي بعض الروساء وقد وعده بسيء فلم ينجزه

« ثقتي بك تمنعني من استبطائك وعلمي بشغلك يدعوني الي اذكارك ، ولست آمن من استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك اخترام الاجل ، فان الآجال آفات الآمال فسح الله في اجلك »

(١) وجه الظرف في قوله (فوكزه الخ) وقوله (اتريدأن تقتلني الخ) انهما آتيان من القرآن نزلا في حق موسي عليه السلام

و بلغنك منتهي املك والسلام »

ولد ابوالعيناء آخر المئة الثانية بالاهواز ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة وسكن بغداد مدة ثم عاد الي البصرة وتوفي بها سنة (٢٨٣) وقيل (٢٨٢)

﴿ عاه ﴾ المال يعيه عيها اصابته العاهة

﴿ عيّ ﴾ الرجل بأمره وعَيِي يعيا عيا لم يهتد لمراده فهو (عَيَّان) . و (عَيِيَ في المنطق) حصر فهو (عَيّ وعَيِيّ)

(اعيا الماشي) اعياء تعب و (داء عُياء) لايبرأ منه . و (رجل عَيّ) اي ذو عيٍّ جمعه اعياء .

﴿ الي هنا انتهي بحول الله تعالي المجلد السادس ﴾

(ويليه المجلد سابع واوله حرف الغين)

(والحمد لله أولاوآخراً)

